

الصَّحِيفَةُ وَالضَّعِيفُ وَالمسْكُوتُ عَنْهُ

ذَرْيَةُ الظَّبَرِيِّ

تَمَهِّدُ تَارِخَ الْخَلَافَةِ فِي كِتَابِ الْعَبَاسِيَّيْنِ

٥٢٤٨ - ٣٠٤

لِإِمَامِ أَبِي جَعْفَرِ بْنِ جَرِيرِ الطَّبَرِيِّ

(٩٢١ - ٩٤٤)

حَقِيقَةُ وَحْيِ رَوَايَةِ عَلَى عَلَيْهِ وَمِنْهُ صَحِيفَةُ

مُحَمَّدِ بْنِ طَاهِرِ الْبَرْزَنجِيِّ

بِإِسْرَافِ دَرَاجَةِ الْمُعْنَى

محمد صبحي حسن حلاق

المَحَلَّ الثَّالِثُ عَشَرُ

دَارُ الْإِنْكَشَافِ

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

الصَّحِيفُ وَالضَّعِيفُ وَالسَّكُوتُ عَنْهُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تِبْيَانُ الْجَلَاقِ فِي هَذَا الْعَصَابِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الطبعة الأولى

1428 هـ - 2007 م

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع
والتصوير و النقل و الترجمة و التسجيل المرئي و المسموع
و الحاسوبي و غيرها من الحقوق إلا بذن خطى من

دار ابن كثير

للطباعة و النشر و التوزيع

دمشق - بيروت

التنفيذ الطباعي : مطبع المستقبل
التجلييد : مؤسسة فؤاد البعينو للتجلييد

دمشق - حلب - وهي - جادة ابن سينا - بناء الجباري

ص.ب : 311 - طالة المبيعات تلفاكس: 2225877 - 2228450

مكتب تلفاكس: 2243502 - 2458541

بيروت - برج أبي حيدر - خلف دبوس الأصلي - بناء الحديقة

ص.ب : 113/6318 - تلفاكس: 01/817857 - جوال : 03/204459

www.ibn-katheer.com - info@ibn-katheer.com



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

وبعد: فلابد من وقفة أخرى قبل مواصلتنا لمنهج التخريج والتعليق على أخبار الإمام الطبرى رحمه الله تعالى والمملفت للنظر هنا ليس ندرة إيراد الأسانيد واختفائها تدريجياً ..

وإنما توقف المصادر الموثوقة المتقدمة الأخرى التي استشهدنا بها للمقارنة والتصويب فتأريخ خليفة بن خياط توقف عند سنة (٢٣٢ هـ) وإن كان في سنته الأخيرة يقتصر على ذكر الحج وبعض الوفيات ، ثم تأريخ البسوى الذى توقف عند سنة (٢٤٢ هـ) وهذا مصدران تأريخيان على النظام الحولى لمؤرخين متقدمين من المؤرخين الثقات عند أئمة الجرح والتعديل.

أما المصادر الأخرى والتي تأتي بالدرجة الثانية من حيث اعتمادنا على مروياتها لا لجرح في مؤلفيها (حاشا) بل هم ثقات إلا أنهم استخدمو النظم الحولى قليلاً ولم يتذدوه منهجاً - ونادرًا ما يستخدمون الإسناد - أقول وحتى هذه المصادر توقفت جلها قبل هذا التاريخ سوى مصدر واحد ينتهي عند أحداث السنة (٢٥٦ هـ) وأعني المعرف لابن قتيبة الدينوري - أما الأخبار الطوال فينتهي مع نهاية عهد المعتصم الخليفة ، وأما كتاب الوزراء والكتاب فالذى وصل إلينا منه مطبوعاً ينتهي في عهد المأمون .

وهنا اشتدت حاجتنا إلى مصادر أخرى من المصادر الموثوقة التي تستخدم الإسناد غالباً إلا أنها جاءت متأخرة عن عهد المؤرخين الكبار بعقد ونصف أو عقدين فصاعداً ونعني :

١ - تأريخ بغداد للخطيب البغدادي .

٢-المتنظم لابن الجوزي .

٣-تأريخ دمشق لابن عساكر .

والذى يستدعي الانتباه أن ابن الجوزي رحمه الله تعالى وبالرغم من تأخره عن عصر الطبرى فقد توفي سنة (٥٩٧ هـ) إلا أنه جاء بأخبار الطبرى وزاد عليها أخبار أخرى أحياناً بإسناده المتصل من طريق الخطيب البغدادي وأحياناً أخرى بإسناده المتصل من غير هذا الطريق ويؤيد أخبار الطبرى أحياناً بروايات مسندة ومن الأمثلة على ذلك خبر دخول الزنج البصرة سنة (٢٥٧ هـ) وقتلهم الرياشى العلامة رحمه الله تعالى [انظر المتنظم /١٣٤ /١٢].

أما الخطيب البغدادي فاسم على مسمى فقد اهتم بأخبار الخلفاء العباسيين وخاصة سني حكمهم وتاريخ بيعتهم ووفاتهم وبعضاً من سيرهم ، وكذلك فعل الحافظ ابن عساكر رحمه الله تعالى .

والملاحظة الأخيرة التي نود أن نذكرها هي أن الطبرى وكلما تقدم في ذكر الأعوام المتواترة أصبح إسناده عالياً (بعض النظر عن درجة رواته). حتى إنه أحياناً يروي الخبر عن شاهد عيان مباشر .

و وخاصة بعد وروده بغداد بعد وفاة الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه بمدة . وقد عاصر كثيراً من تلك الأحداث الجسام وإن لم يشارك في فصولها فقد عاصر حركة الزنج التي انتهت عام ٢٧٠ هـ بعدما يزيد على عقد من الزمان وهذا على سبيل المثال لا الحصر وتكسب شهادات الطبرى وأخباره في آخر عمره أهمية كبرى لأنه إمام مؤرخ ثقة وإن كان ذلك لا ينفي عن بعض أخباره نكارات ومباليغات ، والعهدة على من روی عنهم كما أشار إلى ذلك رحمه الله تعالى .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

خلافة المنتصر محمد بن جعفر

وفيها بويع للمنتصر محمد بن جعفر بالخلافة في يوم الأربعاء لأربع خلون من شوال ، وقيل . . . لثلاث خلون منه - وهو ابن خمس وعشرين سنة وكنيته أبو جعفر - بالجعفريّة فأقام بها بعدهما بويع له عشرة أيام ثم تحول منها بعياله وقواده وجندوه إلى سامرا^(١) ..

وكان قد بايده ليلة الأربعاء الذين ذكرناهم قبل ذكر عن بعضهم أنه قال : لما كان صبيحة يوم الأربعاء حضر الناس الجعفريّة من القواد والكتاب والوجوه والشاكريّة والجند وغيرهم ، فقرأ عليهم أحمد بن الخصيب كتاباً يخبر فيه عن أمير المؤمنين المنتصر أن الفتاح بن خاقان قتل أباه جعفرأ المتوكّل فقتله به ، فبایع الناس وحضر عبيد الله بن يحيى بن خاقان فبایع وانصرف .

وذكر عن أبي عثمان سعيد الصغير أنه قال : لما كانت الليلة التي قتل فيها المتوكّل ، كنا في الدار مع المنتصر فكان كلما خرج الفتاح خرج معه وكلما رجع قام لقياًمه وجلس لجلوسه وخرج في أثره وكلما ركب أخذ بر kabeh ، وسوى عليه ثيابه في سرج دابته ، وكان اتصل بنا الخبر أن عبيد الله بن يحيى قد أعدّ له قوماً في طريقه ليغتالوه عند انصرافه ، وقد كان المتوكّل أسمعه وأحفظه قبل انصرافه ، ووثب به ؛ فانصرف على غضب ، وانصرفنا معه ، فلما صار إلى داره أرسل إلى

(١) وقال ابن قتيبة الدينوري : وبويع المنتصر محمد بن جعفر وتوفي بعد ستة أشهر [المعارف / ٢٠٠].

والذى اختاره الحافظ ابن كثير أن المنتصر بويع له بالخلافة في الليل حين قُتل أبوه (الخليفة) فلما كان الصباح من يوم الأربعاء رابع شوال أخذت له البيعة من العامة وبعث إلى أخيه المعترض فأحضره إليه فبایعه المعترض [البداية والنهاية / ٨ / ٢١٥].

نُدِمَائِهِ وَخَاصَّتِهِ - وَقَدْ كَانَ وَاعِدُ الْأَتْرَاكَ عَلَى قَتْلِ الْمُتَوَكِّلِ قَبْلَ اِنْصَارَافِهِ إِذَا ثَمَلَ مِنَ النَّبِيِّ - قَالَ: فَلِمَ أَلْبَثْتَ أَنَّ جَاءَنِي الرَّسُولُ: أَنَّ اِحْسَرَ فَقَدْ جَاءَتِ رَسُولُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى الْأَمِيرِ؛ وَهُوَ عَلَى الرَّكُوبِ؛ فَوَقَعَ فِي نَفْسِي مَا كَانَ دَارِ بَيْنَنَا أَنَّهُمْ عَلَى اِغْتِيَالِ الْمُنْتَصِرِ؛ وَأَنَّهُ إِنَّمَا يُدْعَى لِذَلِكَ؛ فَرَكِبَتِ فِي سَلاَحٍ، وَعِدَّةً، وَصَرَّتِ إِلَى بَابِ الْأَمِيرِ، فَإِذَا هُمْ يَمْوِجُونَ؛ وَإِذَا وَاجَنَّ قَدْ جَاءَهُ فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ قَدْ فَرَغَ مِنْ أَمْرِهِ، فَرَكِبَ فَلَحِقَتُهُ فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ وَأَنَا مَرْعُوبٌ؛ فَرَأَى مَا بِيِّ، فَقَالَ: لَيْسَ عَلَيْكَ إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ شَرَقَ بِقَدْحٍ شَرِبَهُ بَعْدَ اِنْصَارَافِنَا، فَمَاتَ رَحْمَهُ اللَّهُ.

فَأَكَبَرَتِ ذَلِكَ، وَشَقَّ عَلَيَّ، وَمَضَيْنَا وَأَحْمَدَ بْنَ الْخَصِيبِ وَجَمَاعَةَ مِنَ الْقَوَادِ مَعَنَا حَتَّى دَخَلَنَا الْحَيْرَ، وَتَبَاتَتِ الْأَخْبَارُ بِقَتْلِ الْمُتَوَكِّلِ، فَأَخِذَتِ الْأَبْوَابُ، وَوُكِّلَ بِهَا، وَقَلَتْ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَسَلَّمَتْ عَلَيْهِ بِالْخَلَافَةِ، وَقَلَتْ: لَا يَنْبَغِي أَنْ نَفَارِقَكَ لِمَوْضِعِ السَّفَقَةِ عَلَيْكَ مِنْ مَوَالِيكَ فِي هَذَا الْوَقْتِ، قَالَ: أَجَلٌ؛ فَكَنْ أَنْتَ مِنْ وَرَائِي وَسَلِيمَانَ الرُّومَيِّ، وَأَلْقَيَ مَنْدِيلًا، فَجَلَسَ عَلَيْهِ، وَأَحْطَنَا بِهِ، وَحَضَرَ أَحْمَدَ بْنَ الْخَصِيبِ وَكَاتِبَهُ سَعِيدَ بْنَ حُمَيدَ لِأَخْذِ الْبَيْعَةِ^(١).

فَذُكِرَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ حُمَيدٍ أَنَّ أَحْمَدَ بْنَ الْخَصِيبِ، قَالَ لَهُ: وَيْلَكَ يَا سَعِيدَ! مَعَكَ كَلْمَاتَانِ أَوْ ثَلَاثَ تَأْخِذُ بِهَا الْبَيْعَةَ، قَلَتْ: نَعَمْ؛ وَكَلْمَاتٌ، وَعَمِلَتْ كِتَابَ الْبَيْعَةَ، وَأَخْدَتْهَا عَلَى مَنْ حَضَرَ وَكُلَّ مَنْ جَاءَ حَتَّى جَاءَ سَعِيدَ الْكَبِيرَ، فَأَرْسَلَهُ إِلَى الْمُؤَيَّدِ، وَقَالَ لِسَعِيدِ الصَّغِيرِ: امْضِ أَنْتَ إِلَى الْمَعْتَزِ حَتَّى تُحْضِرَهُ، قَالَ سَعِيدُ الصَّغِيرُ: فَقَلَتْ: أَمَّا مَا ذَمَّتِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي قَلْةِ مَمْنَعِكَ فَلَا أَبْرُحُ وَاللَّهُ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِكَ؛ حَتَّى يَجْتَمِعَ النَّاسُ، قَالَ أَحْمَدَ بْنَ الْخَصِيبِ: هَا هُنَّ مَنْ يَكْفِيكَ، فَامْضِ؛ فَقَلَتْ: لَا أَمْضِي حَتَّى يَجْتَمِعَ مَنْ يَكْفِي؛ فَإِنَّي السَّاعَةَ أَوْلَى بِهِ مِنْكَ! فَلَمَّا كَثُرَ الْقَوَادُ، وَبَايِعُوا؛ مَضَيْتَ وَأَنَا آيِسٌ مِنْ نَفْسِي، وَمَعِي غَلامَانِ؛ فَلَمَّا صَرَّتِ إِلَى بَابِ أَبِي نُوحَ، وَالنَّاسُ يَمْوِجُونَ وَيَذْهَبُونَ وَيَجْتَبُونَ؛ وَإِذَا عَلَى الْبَابِ جَمْعٌ كَبِيرٌ فِي سَلاَحٍ وَعِدَّةٍ، فَلَمَّا أَحْسَنُوا بِي لِحْقِنِي فَارِسَ مِنْهُمْ؛ فَسَأَلَنِي وَهُوَ لَا يَعْرِفُنِي: مَنْ أَنْتَ؟ فَعَمَّيْتُ عَلَيْهِ خَبْرِي، وَأَخْبَرَتِهِ أَنِّي مِنْ بَعْضِ أَصْحَابِ الْفَتْحِ، وَمَضَيْتُ حَتَّى صَرَّتِ إِلَى بَابِ الْمَعْتَزِ، فَلَمْ أَجِدْ بِهِ أَحَدًا مِنَ الْحَرْسِ

(١) كعادته ينفرد الطبراني بتفاصيل دون غيره من المؤرخين المتقدمين وانظر تعليقنا السابق.

والبوابين والمكّرين ولا خلقاً من خلق الله حتى صرت إلى الباب الكبير ، فدققتُه دقاً عنيفاً مفرطاً ، فأجابت بعد مدة طويلة ، فقيل لي: من هذا؟ فقلت: سعيد الصغير؛ رسول أمير المؤمنين المنتصر؛ فمضى الرّسول ، وأبطأ عليّ ، وأحسست بالمنكر وضاقت عليّ الأرض ، ثم فتح الباب فإذا بيدون الخادم قد خرج؛ وقال لي: ادخل وأغلق الباب دوني ، فقلت: ذهبت والله نفسي ، ثم سألني عن الخبر ، فأخبرته أنَّ أمير المؤمنين شرق بِكَأسٍ شربها ومات من ساعته؛ وأن الناس قد اجتمعوا وباعوا المنتصر ، وأنه أرسلني إلى الأمير أبي عبد الله المعتز بالله ليحضر البيعة ، فدخل ثم خرج إليّ؛ فقال: ادخل ، فدخلت على المعتز؛ فقال لي: ويلك يا سعيد! ما الخبر؟ فأخبرته بمثل ما أخبرت به بيدون ، وعزّيته وبكيت ، وقلت: تحضر يا سيدِي ، وتكون في أوائل مَنْ بايع ، فتستدعي بذلك قلب أخيك ، فقال لي: ويلك حتى نصبح! فما زلت أفتله في الجبل والغارب؛ ويُعينني عليه بيدون الخادم ، حتى تهيأ للصلوة ، ودعى بشيابه فلبسها ، وأخرج له دابة ، وركب وركبت معه ، وأخذت طريقاً غير طريق الجادة ، وجعلت أحدهه وأسهل الأمر عليه ، وأذكره أشياء يعرفها من أخيه ، حتى إذا صرنا إلى باب عبيد الله بن يحيى بن خاقان سألني عنه ، فقلت: هو يأخذ البيعة على الناس ، والفتح قد بايع ، فيئس حيئن؛ وإذا بفارس قد لحق بنا ، وصار إلى بيدون الخادم ، فسأره بشيء لا أعلمه ، فصاح به بيدون؛ فمضى ثم رجع ثلاثة؛ كل ذلك يرده بيدون ويصيح به: دعنا؛ حتى وافينا بابُ الحِير فاستفتحته فقيل لي: مَنْ أنت؟ قلت: سعيد الصغير والأمير المعتز ، ففتح لي الباب ، وصرنا إلى المنتصر؛ فلما رأه قربه وعانقه وعزاه ، وأخذ البيعة عليه؛ ثم وافى المؤيد مع سعيد الكبير ، ففعل به مثل ذلك ، وأصبح الناس ، وصار المنتصر إلى الجعفري ، فأمر بburial المتكل والفتح ، وسكن الناس ، فقال سعيد الصغير: ولم أزل أطالب المعتز بالبشرى بخلافة المنتصر وهو محبوس في الدار ، حتى وَهَبَ لي عشرة آلاف درهم^(١).

* * *

(١) هذه تفاصيل لا نستطيع نفيها ولا إثباتها وأمثالها بحاجة إلى إسناد موصول رجاله ثقات في نظر ابن حبان على الأقل دون أن يكونوا مجروحين ، والله أعلم.

وفي هذه السنة خلع المعتر والمؤيد أنفسهما ، وأظهر خلعهما في القصر
الجعفري المحدث^(١) .

وكان نسخة البيعة التي أخذت للمنتصر:

بسم الله الرحمن الرحيم

تُبَايِعُونَ عَبْدَ اللَّهِ الْمُتَتَصِّرَ بِاللَّهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بَيْعَةً طَوْعًا وَاعْتِقَادًا وَرَضًا ، وَرَغْبَةً
بِإِخْلَاصٍ مِنْ سَرَائِرِكُمْ ، وَانْشِراحَ مِنْ صُدُورِكُمْ ، وَصَدْقَةٌ مِنْ نِيَاتِكُمْ؛ لَا مَكْرَهَيْنِ
وَلَا مُجَرَّبِينِ ، بَلْ مُقْرَّبِينِ عَالَمِينَ بِمَا فِي هَذِهِ الْبَيْعَةِ وَتَأْكِيدَهَا مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ وَتَقْوَاهُ ،
وَإِعْزَازِ دِينِ اللَّهِ وَحْقَهُ ، وَمِنْ عُمُومِ صَلَاحِ عِبَادِ اللَّهِ ، وَاجْتِمَاعِ الْكَلْمَةِ ، وَلِمَ
الشَّعْثُ ، وَسَكُونِ الدَّهْمَاءِ ، وَأَمْنِ الْعَوَاقِبِ ، وَعَزِّ الْأُولَى إِلَيْهِ ، وَقَفْعُ الْمُلْحِدِينِ؟
عَلَى أَنْ مُحَمَّدًا الْإِمَامُ الْمُتَتَصِّرُ بِاللَّهِ عَبْدُ اللَّهِ وَخَلِيفَتِهِ الْمُفْتَرِضُ عَلَيْكُمْ طَاعَتَهُ
وَمُنَاصِحَتَهُ وَالْوَفَاءُ بِحَقِّهِ وَعَقْدِهِ ، لَا تَشْكُونَ وَلَا تُذْهَنُونَ ، وَلَا تَمِيلُونَ
وَلَا تَرْتَابُونَ؛ وَعَلَى السَّمْعِ لَهُ ، وَالطَّاعَةِ الْمَسَالِمَةِ ، وَالنُّصْرَةِ وَالْوَفَاءِ
وَالْإِسْقَامَةِ ، وَالنَّصِيحَةِ فِي السَّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ ، وَالْحُفُوفِ وَالْوَقْفِ عِنْدَ كُلِّ مَا يَأْمُرُ
بِهِ عَبْدُ اللَّهِ الْإِمَامُ الْمُتَتَصِّرُ بِاللَّهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ؛ وَعَلَى أَنْكُمْ أُولَى إِلَيَّهِ ، وَأَعْدَاءَ
أَعْدَائِهِ ، مِنْ خَاصٍّ وَعَامٍ ، وَأَبَعَدَ وَأَقْرَبَ ، وَتَمْسِكُونَ بِبَيْعَتِهِ بِوَفَاءِ الْعَهْدِ ، وَذَمَّةِ
الْعَهْدِ؛ سَرَائِرُكُمْ فِي ذَلِكَ مِثْلُ عَلَانِيَتِكُمْ ، وَضَمَائِرُكُمْ مِثْلُ أَسْتِتِكُمْ؛ راضِينَ بِمَا
يَرْضَاهُ لَكُمْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي عَاجِلِكُمْ وَآجِلِكُمْ ، وَعَلَى إِعْطَائِكُمْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
- بَعْدَ تَجْدِيدِكُمْ بَيْعَتَهُ هَذِهِ عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، وَتَأْكِيدِكُمْ إِيَّاهَا فِي أَعْنَاقِكُمْ - صَفَقَةُ
أَيْمَانِكُمْ ، راغِبِينَ طَائِعِينَ عَنْ سَلَامَةِ مِنْ قُلُوبِكُمْ وَأَهْوَائِكُمْ وَنِيَاتِكُمْ؛ وَعَلَى أَلَّا
تَسْعُوا فِي نَقْضِ شَيْءٍ مِمَّا أَكَدَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ، وَعَلَى أَلَّا يَمْيلَ بِكُمْ مَمْيلٌ فِي ذَلِكَ عَنْ
نُصْرَةِ إِخْلَاصٍ ، وَنَصْحَ وَمَوَالَةِ ، وَعَلَى أَلَّا تَبْدِلُوا وَلَا يَرْجِعَ مِنْكُمْ رَاجِعٌ عَنْ
نِيَتِهِ ، وَانْطَوَائِهِ إِلَى غَيْرِ عَلَانِيَتِهِ وَعَلَى أَنْ تَكُونَ بِيَعْتُكُمُ التِّي أُعْطَيْتُمُ بِهَا أَسْتِتِكُمْ
وَعَهْوَدَكُمْ بَيْعَةً يَطْلُعُ اللَّهُ مِنْ قُلُوبِكُمْ عَلَى اجْتِبَائِهَا وَاعْتِقَادِهَا ، وَعَلَى الْوَفَاءِ بِذَمَّتِهِ
بِهَا ، وَعَلَى إِخْلَاصِكُمْ فِي نَصْرَتِهَا وَمَوَالَةِ أَهْلِهَا ، لَا يَشُوبُ ذَلِكَ مِنْكُمْ دَغْلٌ

(١) انظر البداية والنهاية [٢١٥/٨].

ولا إدهان ولا احتيال ولا تأول؛ حتى تلقوا الله؛ موافقين بعهده ، ومؤذين حّقه عليكم ، غير مستشرفين ولا ناكثين ، إذ كان الذين يباعون منكم أمير المؤمنين إنما يباعون الله؛ يد الله فوق أيديهم ، فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ، ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرًا عظيمًا .

عليكم بذلك وبما أكّدت هذه البيعة في أعقابكم ، وأعطيتم بها من صفة أيمانكم ، وبما اشترط عليكم بها من وفاء ونَصْر ، وموالاة واجتهد ونُصْحَّ؛ وعليكم عهد الله؛ إن عهده كان مسؤولًا؛ وذمة الله وذمة رسوله ، وأشد ما أخذ على أنبيائه ورسله ، وعلى أحد من عباده من متأكّد وثائقه أن تسمعوا ما أخذ عليكم في هذه البيعة ، ولا تبدّلوا ، وأن تطّيعوا ولا تعصوا ، وأن تخلصوا ولا تربّوا ، وأن تمسكوا بما عاهدتم عليه تمسّكَ أهل الطاعة بطاعتهم وذوي العهد والوفاء بوفائهم وحقّهم؛ لا يلفتكم عن ذلك هوئًا ولا ميل ، ولا يزيغ بكم فيه ضلال عن هدى؛ باذلين في ذلك أنفسكم واجتهدكم ، ومقدّمين فيه حقّ الدين والطاعة بما جعلتم على أنفسكم؛ لا يقبل الله منكم في هذه البيعة إلا الوفاء بها .

فمن نكث منكم من باب أمير المؤمنين هذه البيعة عما أكّد عليه مسراً أو معلناً ، أو مصريحاً أو محتالاً؛ فاذهن فيما أعطى الله من نفسه ، وفيما أخذت به موايثق أمير المؤمنين ، وعهود الله عليه؛ مستعملاً في ذلك الهوينى دون الجدّ ، والرکون إلى الباطل دون نصرة الحق ، وزاغ عن السبيل التي يعتضم بها أولو الوفاء منهم بعهودهم؛ فكلّ ما يملك كُلُّ واحد ممّن خان في ذلك بشيءٍ نقض عهده من مال أو عقار أو سائمة ، أو زرع أو ضرع صدقة على المساكين في وجوه سبيل الله ، محرومٌ عليه أن يرجع شيءٍ من ذلك إلى ماله عن حيلة يقدمها لنفسه ، أو يحتال بها ، وما أفاد في بقية عمره من فائدة مال يقلّ خطرها أو يجلّ قدرها ، فتلك سبيل إلى أن توافيه منيته ، ويأتي عليه أجله؛ وكلّ مملوك يملكه اليوم إلى ثلاثين سنة من ذكر أو أنثى أحرار لوجه الله؛ ونساؤه في يوم يلزمها الحِنْث ، ومن يتزوجه بعدهنّ إلى ثلاثين سنة طوالق البَتَّة طلاق العرج والسنة؛ لا مثنوية فيه ولا رجعة ، وعليه المشي إلى بيت الله الحرام ثلاثين حجة ، لا يقبل الله منه إلا الوفاء بها؛ وهو برىء من الله ورسوله؛ والله ورسوله منه برئان؛ ولا قبل الله منه

صَرْفًاً وَلَا عَدْلًاً، وَاللَّهُ عَلَيْكُم بِذَلِكَ شَهِيدٌ، وَكُفِّى بِاللَّهِ شَهِيدًا^(١). [٣٨٧].

* * *

وذكر أنه لما كانت صبيحة اليوم الذي بُويع فيه المنتصر شاع الخبر في المحوزة - وهي المدينة التي كان جعفر بنها في أهل سامراً - بقتل جعفر ، وتوافى الجنُّ والشاكريَّة بباب العامة بالجعفريَّ وغيرهم من الغوغاء والعوام ، وكثير الناس وتسامعوا ، وركب بعضهم بعضاً ، وتكلموا في أمر البيعة ، فخرج إليهم عَتَاب بن عتاب - وقيل: إن الذي خرج إليهم زُرافة - فأبلغهم عن المنتصر ما يحبون ، فأسمعواه؛ فدخل إلى المنتصر فأخبره؛ فخرج وبين يديه جماعة من المغاربة ، فصاح بهم: يا كلاب! خذوهن؛ فحملوا على الناس فدفعوهم إلى الثلاث الأبواب ، فازدحم الناس ووقع بعضهم على بعض؛ ثم تفرقوا عن عدة قد ماتوا من الزَّحْمة والدُّؤُس؛ فمنهم من ذكر أنهم كانوا ستة نفر ، ومنهم من قال: كانوا ما بين الثلاثة إلى الستة.

* * *

وفيها ولَى المنتصر أبا عَمْرة أَحْمَدُ بْنُ سَعِيدٍ - مولى بني هاشم ، بعد البيعة له يوم - المظالم ، فقال قائل:

يَا ضَيْعَةَ الإِسْلَامِ لَمَّا وَلَى مظالمَ النَّاسِ أَبُو عَمْرَةَ
صُرِّيَّ مَأْمُونًا عَلَى أَمَّةٍ وَلَيْسَ مَأْمُونًا عَلَى بَعْرَةَ^(٢)
وَفِي ذِي الْحِجَةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ أَخْرَجَ الْمُنْتَصَرُ عَلَيَّ بْنَ الْمَعْتَصِمِ مِنْ سَامِرَا إِلَى
بَغْدَادَ وَوَكَّلَ بِهِ^(٣).

وَحْجَّ بِالنَّاسِ فِيهَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلِيمَانَ الزَّينِيَّ^(٤).

(١) هذه الرسائل والكتب وما شابهها ذكرها الطبرى بلا إسناد في الغالب فالله أعلم بصحتها.

(٢) انظر البداية والنهاية [٢١٥/٨].

(٣) المصدر السابق نفسه.

(٤) المصدر السابق نفسه.

ثم دخلت سنة ثمان وأربعين ومئتين
ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث
[ذكر غزاة وصيف التركي الروم]

فمن ذلك ما كان من إغزاء المنتصر وصيفاً التركي صائفة أرض الروم^(١).

* ذكر الخبر عن سبب ذلك ، وما كان في ذلك من وصيف:

ذُكر أنَّ السبب في ذلك أنه كان بين أحمد بن الخصيب ووصيف شحناه وتباغض؛ فلما استخلف المنتصر ، وابن الخصيب وزيره؛ حَرَضَ أحمد بن الخصيب المنتصر على وصيف ، وأشار عليه بإخراجه من عسكره غازياً إلى التغر؛ فلم يزل به حتى أحضره المنتصر ، فأمره بالغزو.

وقد ذُكر عن المنتصر أنه لما عَزَمَ على أن يُغزِي وصيفاً الثغر الشامي ، قال له أحمد بن الخصيب: ومنْ يجترئ على الموالي حتى تأمر وصيفاً بالشخص؟ فقال المنتصر لبعض من الحجَبة: ائذن لمن حضر الدار؛ فأذن لهم وفيهم وصيف ، فأقبل عليه ، فقال له: يا وصيف؛ أتنا عن طاغية الروم أنه أقبل يريد الثغور ، وهذا أمر لا يمكن الإمساك عنه؛ فإما شخصتَ وإما شخصتُ؛ فقال وصيف: بل أشخص يا أمير المؤمنين ، قال: يا أحمد؛ انظر ما يحتاج إليه على أبلغ ما يكون فأقمه له. قال: نعم يا أمير المؤمنين ، قال: ما نَعَمْ؟ قم الساعة لذلك؛ يا وصيف مُـرْ كاتبك يوافقه على ما يحتاج إليه ، ويلزمك حتى يزبح علتك فيه ، فقام أحمد بن الخصيب ، وقام وصيف ، فلم يزل في جهازه حتى خَرَجَ ، فما أفلح ولا أنجح.

وذكر أنَّ المنتصر لما أحضر وصيفاً وأمره بالغزو ، قال له: إنَّ الطاغية - يعني ملك الروم - قد تحرك ، ولست آمنه أن يهلك كلَّ ما يمرّ به من بلاد الإسلام ، ويقتل ويسيبى الذراري؛ فإذا غزوت وأردت الرجعة انصرفت إلى باب أمير المؤمنين من فورك ، وأمر جماعة من القواد وغيرهم بالخروج معه وانتخب له

(١) انظر المتنظم (٣/١٢) فقد ذكر الخبر مختصراً.

الرجال؛ فكان معه من الشاكرة والجند والموالي زهاء عشرة آلاف رجل؛ فكان على مقدمته في بدأته مُزاحم بن خاقان؛ أخو الفتح بن خاقان؛ وعلى الساقية محمد بن رباء، وعلى الميمنة السندي بن بختاشة، وعلى الدّراجة نصر بن سعيد المغربي؛ واستعمل على الناس والعسكر أبا عون خليفته؛ وكان على الشرطة بسامراً.

* * *

وكتب المنتصر عند إغزائه وصيفاً مولاه إلى محمد بن عبد الله بن طاهر كتاباً
نسخته:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدَ الْمُنْتَصِرِ بِاللَّهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ مَوْلَى أَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ .

سلام عليك؛ فإنَّ أميرَ المؤمنينَ يحمدُ إليكَ اللهُ الذي لا إلهَ إلَّا هو ، ويُسألهُ
أن يصلّيَ على محمدٍ عبدِه ورسولِه صلَّى اللهُ عليه وعلَى آله ، أما بعد: فإنَّ اللهَ
- ولِه الحمدُ على آلِه و الشَّكْرُ بِجميلِ بلائِه - اختارَ الإِسْلَامَ وفضَّلهُ ، وأتَمَهُ
وأكْمَلَهُ ، وجعلَهُ وسيلةً إِلَى رضاه ومتْويَهِ ، وسبيلاً نَهْجاً إِلَى رحمتِهِ ، وسبيلاً إِلَى
مَذْخُورِ كرامتِهِ؛ فقَهَرَ لَهُ مَنْ خَالَفَهُ ، وأَذْلَلَ لَهُ مَنْ عَنَّدَهُ عنْ حَقِّهِ ، وابتَغَ غَيْرَ
سَبِيلِهِ ، وَخَصَّهُ بِأَتَمِ الشَّرَائِعِ وَأَكْمَلَهَا ، وَأَفْضَلَ الْأَحْكَامِ وَأَعْدَلَهَا؛ وَبَعَثَ بِهِ
خَيْرَتِهِ مِنْ خَلْقِهِ وَصَفَوْتَهُ مِنْ عِبَادِهِ مُحَمَّداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، جَعَلَ الْجَهَادَ أَعْظَمَ فَرَائِضِهِ مِنْزَلَةً
عَنْهُ ، وَأَعْلَاهَا رَتْبَةً لَدِيهِ ، وَأَنْجَحَهَا وسِيلَةً إِلَيْهِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَعْزَزَ دِينَهُ ،
وَأَذْلَلَ عُنَتَةَ الشَّرِكَ ، قَالَ عَزَّ وَجَلَّ أَمْرًا بِالْجَهَادِ ، وَمُفْتَرِضًا لَهُ: «أَفِرَّوْا خَنَافِساً
وَثِقَالًا وَجَهَدُوا بِإِمْوَالِكُمْ وَأَنْفَسُكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُثُرَ
تَعْلَمُونَ» ، وَلَيْسَ تَمْضِي بِالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ حَالٌ لَا يَكَبِدُ فِي اللهِ نَصْبًا
وَلَا أَذَىً ، وَلَا يَنْفَقْ نَفْقَةً وَلَا يَقَارِعْ عَدُوًّا ، وَلَا يَقْطَعْ بَلَدًا ، وَلَا يَطْأَ أَرْضاً؛ إِلَّا
وَلَهُ بِذَلِكَ أَمْرٌ مَكْتُوبٌ ، وَثَوَابٌ جَزِيلٌ ، وَأَجْرٌ مَأْمُولٌ ، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ:
«ذَلِكَ يَأْتِهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظُلْمًا وَلَا نَصْبٌ وَلَا مَخْصَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْغَوْنَ مَوْطِنًا
يَغْيِطُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ يَنْلَا إِلَّا كُثُبَ لَهُمْ بِهِ، عَمَلٌ صَنَلِّعٌ إِنَّ اللَّهَ لَا

يُضيِّعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١١﴾ **وَلَا يُفْقِرُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيَّا إِلَّا كَثُبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ .**

ثم أثني عز وجل بفضل منزلة المجاهدين على القاعدين عنده ، وما وعدهم من جزائه وموته ، وما لهم من الزلفى عنده ، فقال : « لَا يَسْتَوِي الْقَعْدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولَى الضرَرِ وَالْمُجَهَّدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَأْمُولُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ فَضْلَ اللَّهِ الْمُجَهَّدِينَ يَأْمُولُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ عَلَى الْقَعْدِينَ دَرَجَةٌ وَلَا وَعْدَ اللَّهُ الْمُحْسِنِينَ وَفَضْلَ اللَّهِ الْمُجَهَّدِينَ عَلَى الْقَعْدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا » .

بالجهاد اشتري الله من المؤمنين أنفسهم وأموالهم ، وجعل جنته ثمناً لهم ، ورضوانه جزاء لهم على بذلك؛ وعدا منه حقا لا ريب فيه ، وحكم عدلا لا تبدل له ، قال الله عز وجل : « إِنَّ اللَّهَ أَشَرَّى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ يَأْتِ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَ اللَّهُ عَلَيْهِ حَقًا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَ بِعَهْدِهِ مِنْ اللَّهِ فَاسْتَبِرُوا بِيَعْلَمُ الَّذِي يَا يَعْلَمُ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ » .

وحكم الله عز وجل لإحياء المجاهدين بنصره ، والفوز برحمته ، وأشهد لهم بالحياة الدائمة ، والزلفى لديه ، والحظ الجزيل من ثوابه ، فقال : « وَلَا تَحْسِنَ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا إِنَّهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَزَّقُونَ ﴿٢٦﴾ فَرِحَّلَنَّ يِمَّا مَا أَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبِشُرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوْهُمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَا حَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْرُثُونَ » .

وليس من شيء يتقرّب به المؤمنون إلى الله عز وجل من أعمالهم ، ويسعون به في خط أوزارهم ، وفكاك رقابهم ، ويستوجبون به الشواب من ربهم ، إلا والجهاد عنده أعظم منه منزلة ، وأعلى لديه رتبة ، وأولى بالفوز في العاجلة والأجلة؛ لأنّ أهله بذلك الله أنفسهم ، لتكون كلمة الله هي العليا ، وسمحوا بها دون من وراءهم من إخوانهم وحرir المسلمين وبغضهم ، ووقفوا^(١) بجهادهم العدو .

وقد رأى أمير المؤمنين - لما يحبه من التقرّب إلى الله بجهاد عدوه ، وقضاء حقه عليه فيما استحفظه من دينه ، والتماس الزلفى له في إعزاز أوليائه ، وإحلال

(١) وقمه كوعده: قهره ، وأذله ، أو: ردّه أقبح الردّ ، وحزنه أشدّ الحزن (قاموس).

الباس والنقطة بمن حاد عن دينه ، وكذب رسle ، وفارق طاعته - أن ينهض وصيفاً مولى أمير المؤمنين في هذا العام إلى بلاد أعداء الله الكفرة والروم ، غازياً لما عرَّف اللهُ أمير المؤمنين من طاعته ومناصحته ومحمود نقبيه وخلوص نيته ، في كلّ ما قربه من الله ومن خلائقه .

وقد رأى أمير المؤمنين - والله ولئي معونته وتوفيقه - أن تكون موافاة وصيف فيمن أنهض أمير المؤمنين معه من مواليه وجنته وشاكريته ثغر ملطية لاثنتي عشرة ليلة تخلو من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين ومئتين ، وذلك من شهور العجم للنصف من حزيران ودخوله بلاد أعداء الله في أول يوم من تموز؛ فاعلم ذلك واكتب إلى عمالك على نواحي عملك بنسخة كتاب أمير المؤمنين هذا؛ ومزّهم بقراءته على من قيلهم من المسلمين وترغيبهم في الجهاد ، وحثّهم عليه واستنفارهم إليه ، وتعريفهم ما جعل الله من الثواب لأهله ، ليعمل ذوو النيات والحسنة والرغبة في الجهاد على حسب ذلك في النهوض إلى عدوهم والخوف إلى معاونة إخوانهم والزياد عن دينهم والرمي من وراء حوزتهم بموافاة عسكر وصيف مولى أمير المؤمنين ملطية في الوقت الذي حدّه أمير المؤمنين لهم إن شاء الله ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

وكتب أحمد بن الخصيب لسبع ليالٍ خلوٌ من المحرم سنة ثمان وأربعين ومئتين؛ وصيّر على ما ذكر على نفقات عسكر وصيف والمغانم والمقاسم المعروف بأبي الوليد الجريري البَجْلَي^(١) .

وكتب معه المنتصر كتاباً إلى وصيف يأمره بالمقام ببلاد الثغر إذا هو انصرف من غزاته أربع سنين ، يغزو في أوقات الغزو منها إلى أن يأتيه رأي أمير المؤمنين .



(١) هذا الخطاب الطويل انفرد به الطبرى دون غيره من المؤرخين المتقدمين الثقات والله أعلم .

[ذكر خير خل المعتز والمؤيد أنفسهما]

وفي هذه السنة خلع المعتز والمؤيد أنفسهما ، وأظهر المتصر خلعهما في القصر الجعفري المحدث^(١) .

* ذكر الخبر عن خلعهما أنفسهما:

ذكر أن محمداً المنتصر بالله لما استقامت له الأمور ، قال أحمد بن الخصيف ولوصيف وبغا: إننا لا نأمن الحدثان؛ وأن يموت أمير المؤمنين ، فيلي الأمر المعتر ، فلا يُبقي منا باقية ، ويُبيّد خضراءنا؛ والرأي أن نعمل في خَلْع هذين الغلامين قبل أن يظفرا بنا ، فجَدَ الأتراك في ذلك ، وألْحَوا على المنتصر وقالوا: يا أمير المؤمنين؟ تخليعهما من الخلافة ، وتابع لابنك عبد الوهاب ، فلم يزلوا به حتى فعل ، ولم يزل مكرِّماً المعتر والمؤيد؛ على ميل منه شديد إلى المؤيد؛ فلما كان بعد أربعين يوماً من ولادته؛ أمر بإحضار المعتر والمؤيد بعد انصرافهما من عنده ، فأحضرها وجعلا في دار ، فقال المعتر للمؤيد: يا أخي ، لم ترانا أحضرنا؟ فقال: يا شَقِيقٌ ، للخلْع ! فقال: لا أظنه يفعل بنا ذلك؛ فبيناهم كذلك؛ إذ جاءهم الرسل بالخلْع ، فقال المؤيد: السمع والطاعة ، وقال المعتر: ما كنت لأفعل؛ فإن أردتم القتل فشأنكم ، فرجعوا إليه ، فأعلمهو ثم عادوا بغطسة شديدة ، فأخذوا المعتر بعنف ، وأدخلوه إلى بيت ، وأغلقوه عليه الباب .

فذكر عن يعقوب بن السكيت : أنه قال : حدثني المؤيد ، قال : لما رأيت ذلك
قلت لهم بجرأة واستطالة : ما هذا يا كلاب ! فقد ضررت على دمائنا ، ثبون على
مولاكم هذا الوثوب ! اغربوا قبحكم الله ! دعوني أكلمهم ؛ فكاعوا عن جوابي بعد
تسريع كان منهم ، وأقاموا ساعة ، ثم قالوا لي : القه إن أحببت ، فظنت أنهم
استأمرروا ، فقمت إليه ، فإذا هو في البيت يبكي ، فقلت : يا جاهل ؟ تراهم قد
نالوا من أبيك - وهو هو - ما نالوا ، ثم تمنع عليهم ! أخلع ويلك ولا تراجعهم !
قال : سبحان الله ! أمر قد مضيت عليه ، وجرى في الآفاق أخلعه من عنقي !

فقلت: هذا الأمر قتل أباك ، فلَيْته لا يقتلك! اخلعه ويلك! فوالله لئن كان في سابق علم الله أن تلي لتألين.

قال: أفعل ، قال: فخرجت فقلت: قد أجاب ، فأعلموا أمير المؤمنين ، فمضوا ثم عادوا فجزوني خيراً ، ودخل معهم كاتب قد سماه ، ومعه دواة وقرطاس ، فجلس ، ثم أقبل على أبي عبد الله ، فقال: اكتب بخطك خلعت ، فتكلأ ، فقلت للكاتب: هاتِ قرطاساً ، أمِلْ ما شئت ، فأملَى على كتاباً إلى المنتصر ، أعلمه فيه ضعيفي عن هذا الأمر؛ وأنني علمت أنه لا يحل أن أتقلدَ ، وكرهت أن يأثم المتكفل بسيبي إذا لم أكن موضعاً له ، وأسائله الخلع ، وأعلمه أنني خلعت نفسي ، وأحللت الناسَ مِنْ بياعتي ، فكتبت كلَّ ما أراد ، ثم قلت: اكتب يا أبو عبد الله ، فامتنع ، فقلت: اكتب ويلك! فكتب وخرج الكاتب عنا ، ثم دعانا فقلت: نجدد ثيابنا أو نأتي في هذه؟ فقال: بل جددا ، فدعوت بشباب فلبستها ، و فعل أبو عبد الله كذلك ، وخرجنا فدخلنا؛ وهو في مجلسه ، والناس على مرأتهم ، فسلمتنا فرداً ، وأمر بالجلوس ، ثم قال: هذا كتابكم؟ فسكت المعترض ، فبدرت فقلت: نعم يا أمير المؤمنين! هذا كتابي بمسئولي ورغبي ، وقلت للمعترض: تكلم ، فقال مثل ذلك ، ثم أقبل علينا والأتراءُ وقوفُ ، وقال: أترياني خلعتكم طمعاً في أن أعيش حتى يكبر ولدي وأبایع له! والله ما طمعت في ذلك ساعة قط؛ وإذا لم يكن في ذلك طمع ، فوالله لأن يليها بنو أبي أحب إلي من أن يليها بنو عمِي؛ ولكن هؤلاء - وأوْمأ إلى سائر الموالي من هو قائم وقاعد - ألحوا عليَّ في خلعتكم ، فخفت إن لم أفعل أن يعترضكم بعضُهم بحديدة ، فيأتي عليكم ، مما ترياني صانعاً! أقتله؟ فوالله ما تفي دمائهم كلهم يدم بعضكم؛ فكانت إجابتهم إلى ما سألوا أسهل عليَّ ، قال: فأكبا عليه ، فقبلَ يده ، فضمَّهما إليه ، ثم انصرفَا.

وذكر أنه لما كان يوم السبت لسبعين من صفر سنة ثمان وأربعين ومترين خلع المعترض والمؤيد أنفسهما ، وكتب كلَّ واحد منها رُقعة بخطه أنه خلع نفسه من البيعة التي يوبع له ، وأنَّ الناس في حلٍّ من حلّها ونقضها؛ وأنهما يعجزان عن القيام بشيء منها ، ثم قاما بذلك على رؤوس الناس والأتراءُ والوجوه والصحابة والقضاة ، وجعفر بن عبد الواحد قاضي القضاة ، والقواعد وبني هاشم ، وولاة

الدّواوين والشيعة ووجوه الحرس ، ومحمد بن عبد الله بن طاهر ، ووصيف وبغا الكبير وبغا الصغير ، وجميع من حضر دار الخاصة وال العامة ، ثم انصرف الناس بعد ذلك .

والنسخة التي كتبها :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَوَكِّلِ عَلَى اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَلَّدَنِي هَذَا الْأَمْرَ ، وَبَايِعَ لَهُ
وَأَنَا صَغِيرٌ مِنْ غَيْرِ إِرَادَتِي وَمَحْبَبِي ؛ فَلَمَا فَهِمْتُ أَمْرِي عَلِمْتُ أَنِّي لَا أَقُومُ بِمَا
قَلَّدَنِي وَلَا أَصْلِحُ لِخَلَافَةِ الْمُسْلِمِينَ ، فَمَنْ كَانَ بَيْعِتِي فِي عَنْقِهِ فَهُوَ مِنْ نَقْضِهَا فِي
حَلَّ ، وَقَدْ أَحْلَلْتُكُمْ مِنْهَا ، وَأَبْرَأْتُكُمْ مِنْ أَيْمَانِكُمْ ؛ وَلَا عَهْدٌ لِي فِي رَقَابِكُمْ
وَلَا عَقْدٌ ، وَأَنْتُمْ بُرَاءُ مِنْ ذَلِكَ .

وكان الذي قرأ الرقاع أحمد بن الخصيب ، ثم قام كلُّ واحدٍ منهم قائماً ،
فقال لمن حضر: هذه رقعتي وهذا قولي؛ فاشهدوا عليّ ، وقد أبرأتكم من
أيمانكم ، وحللتكم منها ، فقال لهما المنتصر عند ذلك: قد خار الله لكم
وللمسلمين ، وقام فدخل ، وكان قد قعد للناس ، وأقعدهما بالقرب منه ، فكتب
كتاباً إلى العمال بخلعهما وذلك في صفر سنة ثمان وأربعين وستين .

* * *

نسخة كتاب المنتصر بالله إلى أبي العباس محمد بن عبد الله بن طاهر مولى
أمير المؤمنين في خلع أبي عبد الله المعترض وإبراهيم المؤيد :

من عبد الله محمد الإمام المنتصر بالله أمير المؤمنين إلى محمد بن عبد الله
مولى أمير المؤمنين؛ أما بعد؛ فإن الله - وله الحمد على آلاهه ، والشكر بجميل
بلاده - جعل ولاة الأمر من خلفائه القائمين بما بعث به رسوله ﷺ والذابين عن
دينه ، والذاعين إلى حقه والممضين لأحكامه ، وجعل ما اختصهم به من كرامته
قواماً لعباده، وصلاحاً لبلاده، ورحمة غمر بها خلقه ، وافتراض طاعتهم ،
ووصلها بطاعته وطاعة رسوله محمد ﷺ ، وأوجبها في محكم تنزيله؛ لما جمع
فيها من سكون الدّهماء ، واتساق الأهواء ، ولم الشعث ، وأمن السبل ، ووقد
العدو ، وحفظ الحرير ، وسدّ الثغور ، وانتظام الأمور ، فقال: ﴿أَطْبِعُوا اللَّهَ﴾

وَأَطْبِعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكُمْ أَنْتُمْ مِنْكُمْ» ، فمن الحق على خلفاء الله الذين جباهم بعظيم نعمته ، واحتضنهم بأعلى رتب كرامته ، واستحفظهم فيما جعله وسيلة إلى رحمته ، وسبباً لرضاه ومثوبته لأن يؤثروا طاعته في كل حال تصرفت بهم ، ويقيموا حقه في أنفسهم والأقرب منهم؛ وأن يكون محلهم من الاجتهد في كل ما قرب من الله عز وجل حسب موقعهم من الدين ولالية أمر المسلمين ، وأمير المؤمنين يسأل الله مسألة رغبة إليه ، وتذللأ لعظمته أن يتولاه فيما استرعاه ولاية يجمع له بها صلاح ما قلده ، ويحمل عنه أعباء ما حمله ، ويعينه بتوفيقه على طاعته؛ إنه سميع قريب .

وقد علمت ما حضرت من رفع أبي عبد الله وإبراهيم ابني أمير المؤمنين المتوكّل على الله رضي الله عنه إلى أمير المؤمنين رقعتين بخطوطهما؛ يذكران فيما عرفهما الله من عطف أمير المؤمنين عليهما ، ورأفته بهما ، وجميل نظره لهما؛ وما كان أمير المؤمنين المتوكّل على الله عَقْدَه لأبي عبد الله من ولاية عهد أمير المؤمنين وإبراهيم من ولاية العهد بعد أبي عبد الله ، وإن ذلك العقد كان وأبو عبد الله طفل لم يبلغ ثلاثة سنين ، ولم يفهم ما عُقد له ولا وقف على ما قلده ، وإبراهيم صغير لم يبلغ الحلم ، ولم تجر أحکامهما ولا جرت أحکام الإسلام عليهما ، وإنه قد يجب عليهما إذ بلغا ووقفا على عَجْزِهما عن القيام بما عقد لهما من العَهْد ، وأسند إليهما من الأعمال أن يَنْصَحَا لِهِ ولِجَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ ، بأن يُخْرِجا من هذا الأمر الذي عَقِدَ لهما أنفسهما ، ويعزلَا الأعمال التي قُلْدَاهَا ، ويجعلَا كُلَّ مَنْ فِي عَنْقِهِ لَهُمَا بَيْعَةً وَعَلَيْهِ يَمِينٌ فِي حَلٍّ؛ إذ كَانَا لَا يَقْوِمُانِ بِمَا رُشِحَا لَهُ ، وَلَا يَصْلِحَانِ لِتَقْلِيدِهِ ، وَأَنْ يَخْرُجَ مِنْ كَانَ ضَمِّ إِلَيْهِمَا مَمْنُ فِي نَوَاحِيهِمَا مِنْ قُوَادِ أمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَوَالِيهِ وَغَلْمَانَهُ وَجَنْدَهُ وَشَاكِرِيَّتِهِ وَجَمِيعِ مَنْ مَعَ أُولَئِكَ الْقَوَادِ بِالْحُضْرَةِ وَخُرَاسَانَ وَسَائِرِ النَّوَاحِي عَنْ رِسُومِهِمَا ، وَيُرْأَى عَنْهُمْ جَمِيعاً ذَكْرَ الضَّمِّ إِلَيْهِمَا ، وَأَنْ يَكُونُوا سُوقَةً مِنْ سُوقَةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَتِهِمْ ، وَيَصْفَانِ مَا لَمْ يَزَالَا يَذْكُرَانِ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينِ مِنْ ذَلِكَ؛ وَيَسْأَلَانِهِ فِيهِ ، مِنْذَ أَفْضَى اللَّهُ بِخَلَافَتِهِ ، وَأَنَّهُمَا قَدْ خَلَعَا أَنفُسَهُمَا مِنْ وَلَايَةِ الْعَهْدِ ، وَخَرَجَا مِنْهَا ، وَجَعَلَا كُلَّ مَنْ لَهُمَا عَلَيْهِ بَيْعَةً وَيَمِينَ مِنْ قُوَادِ أمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَجَمِيعِ أُولَائِهِ وَرَعِيَّتِهِ؛ قَرِيبَهُمْ وَبَعِيدَهُمْ وَحَاضِرَهُمْ وَغَائِبَهُمْ فِي حَلٍّ وَسِعَةٍ مِنْ بَيْعَتِهِمْ وَأَيْمَانِهِمْ؛ لِيَخْلُعُوهُمَا كَمَا خَلَعَا أَنفُسَهُمَا .

وجعله لأمير المؤمنين على أنفسهما عهداً الله؛ وأشد ما أخذ على ملائكته وأنبيائه وعباده من عهد وميثاق ، وجميع ما أكده أمير المؤمنين عليهما من الأيمان ، بإقامتهما على طاعته ومناصحته وموالاته في السر والعلانية ، ويسألان أمير المؤمنين أن يُظهر ما فعلاه ، وينشره ، ويُحضر جميع أوليائه ؛ ليسمعوا بذلك منها طالبُين راغبين ، طائعين غير مكرهين ولا مجبرين ، ويُقرّ عليهم الرقعتان اللتان رفعاهما بخطوطهما ، بما ذكرنا من وقوع الأمر لهما من ولادة العهد ، وهما صبيان ، وخلعهما أنفسهما بعد بلوغهما ، وما سألا من صرفهما عن الأعمال التي يتوليانها وإخراج منْ كان بها من ضم إليهما في نواحيهما من قُواد أمير المؤمنين وجنده وعلمانيه وشاكريته وجميع منْ مع أولئك القواد بالحضره وحراسان وسائر النواحي عن رسومهما وإزالة ذكر الضم إليهما عنهم ، وأن يكتب بالكتاب بذلك إلى جميع عمال النواحي .

وإنَّ أمير المؤمنين وقف على صدقهما فيما ذكرها ورفعا ، وتقدم في إحضار جميع إخوته ومنْ بحضورته من أهل بيته وقواده ومواليه وشيعته ورؤساء جنده وشاكريته وكتابه وقضاته والفقهاء وغيرهم؛ وسائر أوليائه الذين كانت وقعت البيعة لهم بذلك عليهم ، وحضر أبو عبد الله وإبراهيم ابنا أمير المؤمنين المتوكِّل على الله رضي الله عنه ، وقرئت رقعتهما بخطوطهما بحضورهما ، إلى مجلس أمير المؤمنين عليهمَا وعلى جميع من حضر ، وأعادا من القول بعد قراءة الرقعتين مثل الذي كتباه .

ورأى أمير المؤمنين أن يجمع في إجابتهما إلى نشر ما فعلاه وإظهاره ، وإمضائه ذلك قضاء حقوق ثلاثة: منها حق الله عز وجل ، فيما استحفظه من خلافته ، وأوجب عليه في النظر لأوليائه فيما يجمع لهم كلمتهم في يومهم وغدِّهم ، ويؤلّف بين قلوبهم ، ومنها حق الرعية الذين هم وداع الله عنده حتى يكون المقلد لأمرهم ممن يرعاهم آناء الليل والنهار بعانته ونظره وتفقده وعلمه ورأفته ، ومن يقوم بأحكام الله في خلقه ، ومن يضطلع بثقل السياسة وصواب التدبير ، ومنها حق أبي عبد الله وإبراهيم فيما يُوجبه أمير المؤمنين لهم بإخوتهما ومساند رحمهما؛ لأنهما لو أقاما على ما خرجا منه؛ لم يؤمن أن يؤدي ذلك إلى ما يعظم في الدين ضرره ، ويعم المسلمين مكروهه؛ ويرجع عليهما

عظيم الوزر فيه؛ فخلعهما أمير المؤمنين إذ خلعا أنفسهما من ولادة العهد ، وخلعهما جميع إخوة أمير المؤمنين ومن بحضرته من أهل بيته ، وخلعهما جميع من حضر من قواد أمير المؤمنين ومواليه وشيعته ، ورؤساء جنده وشاكريته وكتابه وقضاته والفقهاء وغيرهم من سائر أولياء أمير المؤمنين ؛ الذين كانت أخذت لهما البيعة عليهم .

وأمر أمير المؤمنين بإنشاء الكتب بذلك إلى جميع العمال ، ليتقدموا في العمل بحسب ما فيها ، ويخلعوا أبا عبد الله وإبراهيم من ولادة العهد ؛ إذ كانا قد خلعا أنفسهما من ذلك ، وحللا المخاصّ والعامّ ، والحاضر والغائب ، والدائي والقاصي منه ؛ ويسقطوا ذكرهما بولادة العهد ، وذكر ما تسبّب إليه من نسب ولادة العهد من المعترض بالله والمؤيد بالله من كتبهم وألفاظهم ، والدعاء لهم على المنابر ؛ ويسقطوا كلّ ما ثبت في دواوينهم من رسمهما القديمة والحديثة الواقعة على من كان مضموناً إليهما ، ويزيلوا ما على الأعلام والمطارد من ذكرهما ؛ وما سمت به دوابت الشاكريّة والرابطة من اسمائهما ، ومحلّك من أمير المؤمنين وحالك عنده على حسب ما أخلص الله لأمير المؤمنين من طاعتك ومناصحتك ، وموالتك ومشاعتك ؛ ما أوجب الله لك بسلفك ونفسك ، وما عرف الله أمير المؤمنين من طاعتك ویمن نقيبتك واجتهاتك في قضاء الحق .

وقد أفردك أمير المؤمنين بقيادتك ، وإزالة الضمّ إلى أبي عبد الله عنك وعمّن في ناحيتك بالحضرة وسائر النواحي ؛ ولم يجعل أمير المؤمنين بينك وبينه أحد يرأسك ، وخرج أمره بذلك إلى ولادة دواوينه .

فاعلم ذلك واكتب إلى عمّالك بنسخة كتاب أمير المؤمنين هذا إليك ، وأوّل عز إليهم في العمل على حسابه ، إن شاء الله ، والسلام .

وكتب أحمد بن الخصيب يوم السبت لعشر بقين من صفر سنة ثمان وأربعين ومئتين^(١) .

(١) أما خلع المعترض والمؤيد أنفسهما فقد ذكره ابن الجوزي في المتنظم (٣/١٢) وما ذكره الطبرى مطولاً واصفاً خطابهما .

وما كتباه في ذلك والذى استغرق طويلاً (٢٤٤ - ٢٥١) انفرد به الطبرى وذكره ابن الجوزي مختصرًا جداً (٤ - ٣/١٢) .

[ذكر الخبر عن وفاة المنتصر]

وفي هذه السنة توفى المنتصر^(١).

* ذكر الخبر عن العلة التي كانت فيها وفاته والوقت الذي توفي فيه وقدر المدة التي كانت فيها حياته :

فأما العلة التي كانت بها وفاته؛ فإنه اختلف فيها ، فقال بعضهم : أصابته الذبحة في حلقه يوم الخميس لخمس بقين من شهر ربيع الأول ، ومات مع صلاة العصر من يوم الأحد لخمس ليالٍ خلُون من شهر ربيع الآخر.

وقيل : توفي يوم السبت وقت العصر لأربع خلُون من شهر ربيع الآخر ؛ وإن علتة كانت من ورم في معدته ، ثم تصعد إلى فؤاده فمات ؛ وإن علتة كانت ثلاثة أيام أو نحوها .

وحدثني بعض أصحابنا أنه كان وجده حرارة ، فدعا ببعض منْ كان يتطلب له ، وأمره بفضله ، ففضله بموضع س้มوم ، فكان فيه منيته وإن الطبيب الذي فضلته انصرف إلى منزله ، وقد وجد حرارةً ، فدعا تلميذاً له ؛ فأمره بفضله ووضع مباضعه بين يديه ليتخير أجودها ؛ وفيها الموضع المسموم الذي فضله به المنتصر ؛ وقد نسيه فلم يجد التلميذ في المباضع التي وضع بين يديه مِبضاًً أجود من الموضع المسموم ؛ ففضله به أستاذه وهو لا يعلم أمره ؛ فلما فضله به نظر إليه صاحبه فعلم أنه هالك ؛ فأوصى من ساعته ، وهلك من يومه .

وقد ذكر أنه وجد في رأسه علة فقطر ابن الطيفوري في أذنه دُهناً ، فورم رأسه ، وعوجل فمات ، وقد قيل : إن ابن الطيفوري إنما سمه في محاجمه^(٢) .

(١) انظر لوفاته المنتظم (٥/١٢) والبداية والنهاية (٨/٢١٥).

(٢) ذكر الطبرى هذه الأخبار في بيان سبب وفاته والعلة التي مات منها وكلها احتمالات لم يخرج الطبرى واحدة منها (أى : رواية) بسند صحيح - وقد ذكر ابن الجوزي خمسة أقوال في سبب موته من ضمنها ما ذكره الطبرى هنا - ثم أخرج ابن الجوزي رواية مستندة في كيفية وفاته دون ذكر السبب وبسنته الموصول إلى المؤرخ عمر بن شبة قال : أخبرني أحمد بن الخصيب قال أخبرني جعفر بن عبد الواحد (شاهد عيان) قال : دخلت على المنتصر بالله فقال : لي يا جعفر =

قال أبو جعفر: ولم أزل أسمع الناس حين أفضت إليه الخلافة من لَدُنْ وَلَيْ إلى أن مات يقولون: إنما مدة حياته ستة أشهر ، مدة شирويه ابن كسرى قاتل أبيه ، مستفيضاً ذلك على السن العامة والخاصة^(١).

وذكر عن يُسْرُ الخادم؛ وكان - فيما ذكر - يتولى بيت المال للمنتصر في أيام إمارته: أنه قال: كان المنتصر يوماً من الأيام في خلافته نائماً في إيوانه ، فانتبه وهو يبكي ويتحبّ؛ قال: فهبته أن أسأله عن بكائه ، ووقفت وراء الباب؛ فإذا عبد الله بن عمر البازيار قد وافى فسمع نحيبه وشهيقه ، فقال لي: ما له؟ ويحك يا يسر! فأعلمه أنه كان نائماً فانتبه باكيًا ، فدنا منه ، فقال له: مالك يا أمير المؤمنين تبكي لا أبكي الله عينك؟ قال: ادْنُ مني يا عبد الله؛ فدنا منه فقال له: كنت نائماً، فرأيت فيما يرى النائم كأنَّ المتكول قد جاءني ، فقال لي: ويلك يا محمد! قتلتني وظلمتني وغبنتني في خلافتي؛ والله لا تمتّعت بها بعدي إلا أياماً يسيرة ، ثم مصيرك إلى النار. فانتبهتُ وما أملك عيني ولا جزعي ، فقال له عبد الله: هذه رؤيا؛ وهي تصدق وتذكّر ، بل يعمّرك ويُسرّك الله؛ فادع الآن بالبيذ ، وخذ في اللهو ، ولا تعباً بالرؤيا ، قال: ففعل ذلك؛ وما زال منكسرًا إلى أن تُوفّي.

وذكر أنَّ المنتصر كان شاور في قتل أبيه جماعةً من الفقهاء ، وأعلمهم بمذاهبه ، وحکى عنه أموراً قبيحة كرهت ذكرها في الكتاب؛ فأشاروا عليه بقتله؛ فكان من أمره ما ذكرنا بعضه.

وذكر عنه أنه لما اشتدت به علّته؛ خرجت إليه أمّه فسألته عن حاله ، فقال: ذهبْتُ والله مني الدنيا والآخرة.

قال إبراهيم بن جيش: حدثني موسى بن عيسى الكاتب ، كاتب عمي يعقوب وابن عمي يزيد ، أنَّ المنتصر لما أفضت الخلافة إليه ، كان يُكثر إذا سكر ذكر

لقد عوجلت بما أسمع بأذني ولا أبصر بعيني وكان في مرضه الذي مات فيه [المتوسط ١٧/١٢] وانظر تاريخ بغداد [١٢١/١٢] وهذا أصح ما ورد في خبر وفاته والله أعلم.
 (١) وجزم ابن كثير بفحوى هذا الكلام فقال: ولا خلاف أنه إنما ولّي الخلافة ستة أشهر لا غير [البداية والنهاية ٨/٢١٥].

قتل أبيه المتكول ، ويقول في الأتراك: هؤلاء قتلة الخلفاء ، ويذكر من ذلك ما تخوفوه ، فجعلوا الخادم له ثلاثين ألف دينار على أن يحتال في سمه ، وجعلوا عليّ بن طيفور جملة ، وكان المنتصر يكثر أكل الكمثرى إذا قدّمت إليه الفاكهة ، فعمد ابن طيفور إلى كمثرة كبيرة نضيجه ، فأدخل في رأسها خلاة ، ثم سقاها سماً ، فجعلها الخادم في أعلى الكمثرى الذي قدمه إليه ، فلما نظر إليها المنتصر أمره أن يُقْسِرْها ويطعنه إياها ، فكسرها وقطعها ، ثم أعطاه قطعة قطعة حتى أتى عليها ، فلما أكلها وجد فترة ، فقال لابن طيفور: أجد حرارة ، فقال: يا أمير المؤمنين! احتجم تبراً من علة الدم ، وقدر أنه إذا خرج الدم قوي عليه السم ، فحجم فحُمَّ ، وغلوظت علته عليه ، فتخوف هو والأتراك أن تطول علته ، فقال له: يا أمير المؤمنين ، إن الحجامة لم يكن فيها ما قدّرنا في عافيتك ، وتحتاج إلى الفصد؛ فإنه أنجح لما تريده ، فقال: أفعل ، ففصده بموضع مسموم ، ودهش ، فألقاه في مباضعه - وكان أحدها وأجودها ، ثم إن عليّ بن طيفور ، وجد حرارة ، فدعا تلميذاً له ليقصده ، فنظر في المباضع فلم يوجد أحد منه ، ولا أخير فصده ، فكانت منيته فيه.

وذكر عن ابن دهقانه أنه قال: كنا في مجلس المنتصر يوماً بعدهما قُتِلَ المتكول ، فتحدث المسدود الطنبوري بحديث ، فقال المنتصر: متى كان هذا؟ فقال: ليلة لانا ولا زاجر؛ فأحفظ ذلك المنتصر.

وذكر عن سعيد بن سلامة النصراوي أنه قال: خرج علينا أحمد بن الخصيب مسروراً يذكر أن أمير المؤمنين المنتصر رأى في ليلة في المنام: أنه صعد درجةً حتى انتهى إلى خمس وعشرين مِرْقاً منها؛ فقيل له: هذا ملكك؛ وبلغ الخبر ابنَ المنجم ، فدخل عليه محمد بن موسى وعليّ بن يحيى المنجم مهنيئين له بالرؤيا ، فقال: لم يكن الأمر على ما ذكر لكم أَخْمَد بن الخصيب؛ ولكنني حين بلغت آخر المراقي ، قيل لي: قف فهذا آخر عمرك؛ واغتنم لذلك غمّاً شديداً ، فعاش بعد ذلك أيامًا تَمَّة سنة ، ثم مات وهو ابن خمس وعشرين سنة.

وقيل: تُوفِّيَ وهو ابن خمس وعشرين سنة وستة أشهر.

وقيل: بل كان عمره أربعاً وعشرين سنة ، وكانت مدة خلافته ستة أشهر في قول بعضهم ويومنين .

وقيل : كانت ستة أشهر سواء .

وقيل : كانت مئة يوم وتسعة وسبعين يوماً .

وكانت وفاته بسامراً بالقصر المحدث ، بعد أن أظهر في إخوته ما أظهر بأربع وأربعين ليلة ؛ وذكر أنه لما حضرته الوفاة قال :

فما فرحتْ نفسي بِدُنْيَا أَخْذَتْها ولكنْ إِلَى الرَّبِّ الْكَرِيمِ أَصْبَرْ
وصلّى عليه أحمد بن محمد بن المعتصم بسامراً؛ وبها كان مولده .

وكان أعينَ أقْنَى قصيراً جَيِّدَ الْبَضْعَةَ ، وكان - فيما ذكر - مهيباً .

وهو أول خليفة من بني العباس - فيما بعد - عرف قبره ؛ وذلك أن أمه طلبت إظهار قبره .

وكان كنيته أباً جعفر واسم أمه حبشية وهي أم ولد رومية .

* * *

ذكر بعض سيره

ذكر أن المنتصر لما ولّي الخلافة كان أول شيء أحدث من الأمور عَزْل صالح عن المدينة وتولية علي بن الحسين بن إسماعيل بن العباس بن محمد إياها ؛ فذكر عن علي بن الحسين ، أنه قال : دخلت عليه أوَدْعَه ، فقال لي : يا علي ، إني أوجّهك إلى لحمي ودمي - ومد جلْد ساعده - وقال : إلى هذا وجّهتك ، فانظر كيف تكون للقوم ، وكيف تعاملهم ! يعني آل أبي طالب ، فقلت : أرجو أن أمتثل رأي أمير المؤمنين أيّده الله فيهم إن شاء الله ؛ فقال : إذاً تسعد بذلك عندى .

وذكر عن محمد بن هارون ، كاتب محمد بن علي برد الخيار وخليفة على ديوان ضياع إبراهيم المؤيد ، أنه أصيب مقتولاً على فراشه ، به عدّة ضربات بالسيف ، فأحضر ولده خادماً أسود كان له ووصيفاً ، ذكر أن الوصيف أقرّ على الأسود ، فأدخل على المنتصر ، وأحضر جعفر بن عبد الواحد ، فسئل عن قتله مولاه ، فأقرّ به ، ووصف فعله به وسبب قتله إياه ، فقال له المنتصر : ويلك ! لم

قتلته؟ فقال له الأسود: لما قتلت أنت أباك المتكول! فسأل الفقهاء في أمره، وأشاروا بقتله، فضرب عنقه وصلبه عند خشبة بابك.

* * *

وفي هذه السنة حَكَمَ محمد بن عمر والشاري ، وخرج بناحية الموصل ، فوجَهَ إِلَيْهِ الْمُنْتَصِرُ إِسْحَاقَ بْنَ ثَابَتَ الْفَرَغَانِيَّ ، فَأَخْذَهُ أَسِيرًا مَعَ عِدَّةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فُقِيلُوا وَصُلِبُوا^(١).

وفيها تحرَّك يعقوب بن الليث الصفار من سجستان فصار إلى هَرَاءَ^(٢).

وذكر عن أحمد بن عبد الله بن صالح صاحب المصلى: أنه قال: كان لأبي مؤذن ، فرأه بعض أهلهنا في المنام كأنه أذن أذاناً لبعض الصلوات؛ ثم دنا من بيت فيه المنتصر ، فنادى: يا محمد ، يا منتصر ، إن رَبَّكَ لِبِالْمِرْصادِ.

وذكر عن بُنَانَ الْمَغْنَى - وكان فيما قيل أخص الناس بالمنتصر في حياة أبيه وبعدهما ولِيُّ الْخِلَافَةَ - أنه قال: سألتَ الْمُنْتَصِرَ أَنْ يَهْبِطْ لِي ثُوبَ دِيَاجَ وَهُوَ خَلِيفَةٌ؛ فَقَالَ: أَوْ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الثُّوبِ الدِّيَاجِ؟ قَلَتْ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: تَتَمَارِضُ حَتَّى أَعُودُكَ؛ فَإِنَّهُ سَيَهْدِي لَكَ أَكْثَرًا مِنَ الثُّوبِ الدِّيَاجِ؛ قَالَ: فَمَا تِبْلِغُ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ ، وَلَمْ يَهْبِطْ لِي شَيْئًا.

* * *

وفي هذه السنة بُويع بالخلافةَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ الْمَعْتَصِمِ^(٣).

* * *

(١) انظر المتنظم (٥/١٢).

(٢) انظر المتنظم (٥/١٢).

(٣) انظر المتنظم (٥/١٢).

خلافة أحمد بن محمد بن المعتصم وهو المستعين ويكنى أبا العباس^(١)

* ذكر الخبر عن سبب ولايته والوقت الذي بُويع له فيه :

ذكر أنَّ المُتَّصِرَ لِمَا تَوَفَّى؛ وَذَلِكَ يَوْمُ السَّبْتِ عِنْدَ الْعَصْرِ لِأَرْبَعِ خَلْوَنَ من شَهْرِ رَبِيعِ الْآخِرِ مِنْ سَنَةِ ثَمَانِ وَأَرْبَعِينَ وَمَئَيْنَ، اجْتَمَعَ الْمَوَالِيُّ إِلَى الْهَارُونِيِّ يَوْمَ الْأَحَدِ، وَفِيهِمْ بُغَا الصَّغِيرِ وَبُغَا الْكَبِيرِ أَوْتَامَشُ وَمَنْ مَعْهُمْ، فَاسْتَحْلَفُوا قَوَادَ الْأَتَرَاكِ وَالْمَغَارِبَةِ وَالْأَشْرُوْسَيَّةِ - وَكَانَ الَّذِي يَسْتَحْلِفُهُمْ عَلَيْهِ بْنُ الْحَسِينِ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى الْأَسْكَافِيِّ كَاتِبُ بُغَا الْكَبِيرِ - عَلَى أَنْ يَرْضُوا بِمَنْ يَرْضِيُّهُ بُغَا الصَّغِيرِ وَبُغَا الْكَبِيرِ أَوْتَامَشُ، وَذَلِكَ بِتَدْبِيرِ أَحْمَدِ بْنِ الْخَصِيبِ، فَحَلَّفَ الْقَوْمُ وَتَشَاءُرُوا بَيْنَهُمْ، وَكَرِهُوا أَنْ يَتَولَّ الْخَلَافَةَ أَحَدٌ مِنْ وَلَدِ الْمَتَوَكِّلِ؛ لِقَتْلِهِمْ أَبَاهُ، وَخُوفُهُمْ أَنْ يَغْتَالُوهُمْ مَنْ يَتَولَّ الْخَلَافَةَ مِنْهُمْ؛ فَأَجْمَعَ أَحْمَدُ بْنُ الْخَصِيبِ وَمَنْ حَضَرَ مِنْ الْمَوَالِيِّ عَلَى أَحْمَدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْمَعْتَصِمِ، فَقَالُوا: لَا تُخْرِجَ الْخَلَافَةَ مِنْ وَلَدِ مَوْلَانَا الْمَعْتَصِمِ؛ وَقَدْ كَانُوا قَبْلَهُ ذَكَرُوا جَمَاعَةً مِنْ بَنِي هَاشِمٍ؛ فَبَايِعُوهُ وَقَتَّ الْعَشَاءِ الْآخِرَةِ مِنْ لَيْلَةِ الْإِثْنَيْنِ، لَسْتَ خَلْوَنَ مِنْ شَهْرِ رَبِيعِ الْآخِرِ مِنْ السَّنَةِ؛ وَهُوَ بْنُ ثَمَانِ وَعَشْرِينَ سَنَةً، ويُكَنِّي أبا العباسِ.

فَاسْتَكْتَبَ أَحْمَدُ بْنُ الْخَصِيبِ، وَاسْتَوْزَرَ أَوْتَامَشُ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْإِثْنَيْنِ لَسْتَ خَلْوَنَ مِنْ شَهْرِ رَبِيعِ الْآخِرِ صَارَ إِلَى دَارِ الْعَامَةِ مِنْ طَرِيقِ الْعُمَرِيِّ بَيْنِ الْبَسَاتِينِ، وَقَدْ أَلْبَسَهُ الطَّوِيلَةَ وَزَيَّ الْخَلَافَةَ؛ وَحَمَلَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ إِسْحَاقَ بَيْنِ يَدِيهِ الْحَرَبَةَ قَبْلَ طَلُوعِ الشَّمْسِ، وَوَافَى وَاجْنُ الْأَشْرُوْسَيَّ بَابَ الْعَامَةِ مِنْ طَرِيقِ الشَّارِعِ عَلَى بَيْتِ الْمَالِ، فَصَفَّ أَصْحَابَهُ صَفَّيْنِ، وَقَامَ فِي الصَّفَّ هُوَ وَعِدَّةٌ مِنْ

(١) انظر تعليقنا (٤١٣/٢٥٨/٩).

وجوه أصحابه ، وحضر الدار أصحاب المراتب من ولد المتوكل والعباسيين والطالبيين وغيرهم ممن لهم مرتبة ؛ فيبناهم كذلك ، وقد مضى من النهار ساعة ونصف ؛ جاءت صيحة من ناحية الشارع والسوق ؛ فإذا نحو من خمسين فارساً من الشاكريّة ؛ ذكروا أنهم من أصحاب أبي العباس محمد بن عبد الله ، ومعهم قوم من فرسان طبرية وأخلاق من الناس ومعهم من الغوغاء والسوق نحو من ألف رجل ؛ فشهروا السلاح ، وصاحوا : يا معتز يا منصور وشدوا على صفي الأشروسنية الذين صفهما واجن ، فتضعضعوا ، وانضم بعضهم إلى بعض ، ونفر من على باب العامة من الميّضة مع الشاكريّة ، فكثروا ، فشدّ عليهم المغاربة والأشروسنية ، فهزموهم حتى أدخلوهم الذرّب الكبير المعروف بزرافة وعُزُون ، وحمل قوم منهم على المعتزية ، فكشفوهم ؛ حتى جاوزوا بهم دار أخي عَزَّون بن إسماعيل وهم في مضيق الطريق ، فوق المعتزية هنالك ، ورمى الأشروسنية عدّة منهم بالشّاب ، وضربوهم بالسيوف ، ونشبت الحرب بينهم ؛ وأقبلت المعتزية والغوغاء يكثرون ؛ فوّقعت بينهم قتلى كثيرة ؛ إلى أن مضى من النهار ثلاثة ساعات ، ثم انصرف الأتراك وقد بايعوا أحمد بن محمد بن المعتصم ؛ وانصرفو ما يلي العمري والبساتين ، وأخذ الموالى قبل انصرافهم البيعة على من حضر الدار من الهاشميين وغيرهم وأصحاب المراتب وخرج المستعين من باب العامة منصراً إلى الهاشميين وغيرهم وأصحاب المراتب ، وخرج المستعين من باب العامة منصراً إلى الهاروني ، فبات هنالك ، ومضى الأشروسنية إلى الهاروني ، وقد قُتل من الفريقين عدّة كثير ، ودخل قوم من الأشروسنية دوراً ، فظفرت بهم الغوغاء ، فأخذوا دروعهم وسلاحيهم وجواشنهم ودوايّهم ، ودخل الغوغاء والمتّهبة دار العامة منصرين إلى الهاروني ، فانتهبوا الخزانة التي فيها السلاح والدروع والجواشن واللجم المغربية وأكثروا منها ؛ وربما مّر أحدّهم بالجواشن والحراب فأكثر ، وانتهبوها في دار أرمش بن أبي أيوب بحضور أصحاب الفقّاع تراس خيزران وقناً بلا أسنة ؛ فكثرت الرّماح والتّراس في أيدي الغوغاء وأصحاب الحمامات وغلمان الباقيّ ، ثم جاءتهم جماعة من الأتراك منهم بغا الصغير من درب زرافة ، فأحلّوهم من الخزانة ، وقتلوا منهم عدّة ، وأمسكوا قليلاً ، ثم انصرف الفريقان ، وقد كثرت القتلى بينهم ؛ وأقبل الغوغاء لا يمزّ أحد من الأتراك من أسفل سامراً يريد باب العامة إلا انتهوا

سلاحة ، وقتلوا جماعة منهم عند دار مبارك المغربي ، وعند دار حبس أخي يعقوب قوصرة في شوارع سامرا ، وعامة من انتهب - فيما ذكر - هذا السلاح أصحاب الفقاع والناطف وأصحاب الحمامات والسفاقون وغوغاء الأسواق ؟ فلم يزل ذلك أمرهم إلى نصف النهار ، وتحرك أهل السجن بسامرا في هذا اليوم ، فهرب منهم جماعة ، ثم وضع العطاء على البيعة ، وبعث بكتاب البيعة إلى محمد بن عبد الله بن طاهر في اليوم الذي يُويع له فيه ، وكان وصوله إلى محمد في اليوم الثاني ، ووافي به أخي لأنتمش ومحمد بن عبد الله في نزهة له ، فوجّه الحاجب إليه ، وأعلمته مكانه ، فرجع من ساعته ، وبعث إلى الهاشميين والقواد والجند ، ووضع لهم الأرزاق^(١) .

* * *

وورد في هذه السنة على المستعين وفاة طاهر عبد الله بن طاهر بخراسان في رجب ، فعقد المستعين لابنه محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر على خراسان ، ولمحمد بن عبد الله على العراق ، وجعل إليه الحرمين والشرطة ومعاون السواد برأسه وأفرده به ، وعقد في الجوسق لمحمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر على خراسان والأعمال المضمونة إليها خاصة يوم السبت لاثنتي عشرة ليلة خلت من شعبان .

ومرض بُغا الكبير في جمادى الآخرة ، فعاده المستعين في النصف منها ، ومات بغا من يومه ، فعقد لموسى ابنه على أعماله وعلى أعمال أبيه كلّها ، وولى ديوان البريد^(٢) .

وفي هذه السنة وجّه أنوجو التركي إلى أبي العمود الثعلبي ، فقتله يوم السبت بكفر توثي لخمس بقين من شهر ربيع الآخر .

وفيها خرج عبيد الله بن يحيى بن خاقان إلى الحجّ ؛ فوجّه خلفه رسولًا من الشيعة اسمه شعيب بنفيه إلى برققة ، ومنعه من الحجّ .

(١) ذكر ابن الجوزي خبر البيعة وما رافقه مختصرًا - انظر المستنظم (٦/١٢).
وانظر البداية والنهاية [٢١٦/١٨].

(٢) انظر المستنظم (٧/١٢).

وفيها ابتعاث المستعين من المعتز والمؤيد في جمادى الأولى منها جميع ما كان لهما ، خلا شيئاً استثنى منه المعتز قيمته مئة ألف دينار ، وأخذ له وإبراهيم غلة بثمانين ألف دينار في السنة ؛ فلما كان يوم الإثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من رمضان ابتعث من المعتز والمؤيد جميع ما لهما من الدور والمنازل والضياع والقصور والفرش والألة وغير ذلك بعشرين ألف دينار ، وأشهاداً عليهم بذلك الشهود العدول والقضاة وغيرهم ، وقيل : ابتعث ما لهما من الضياع وترك إلى أبي عبد الله ما يكون غلته من العين في السنة عشرين ألف دينار ، وإبراهيم ما تبلغ قيمة غلته في السنة خمسة آلاف دينار ؛ فكان ما ابتعث من أبي عبد الله بعشرة آلاف ألف دينار وعشر حبات لؤلؤ ، ومن إبراهيم بثلاثة آلاف ألف درهم وثلاث حبات لؤلؤ ؛ وأشهاداً عليهم بذلك الفقهاء والقضاة ، وكان الشراء باسم الحسن بن مخلد للمستعين ، وذلك في شهر ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين ومئتين وسبعين في حجرة الجوسوق ، ووُكّل بهما ، وجعل أمرهما إلى بُعا الصغير ؛ وكان الأتراك قد أرادوا حين شَغَبَ الغوغاء والشاكريّة قتلهما ؛ فمنعهم من ذلك أحمد بن الخصيب ، وقال : ليس لهم ذنب ولا المشتبه من أصحابهما ، وإنما المشتبه من أصحاب ابن طاهر ، ولكن احبسوهما فجُنِسَا^(١) .

وفيها غضب الموالي على أحمد بن الخصيب ؛ وذلك في جُمادى الأولى منها ، واستتصفى ماله ومال ولده ، ونفي إلى إقريطش .

وفيها صرف عليّ بن يحيى عن الشغور الشامية ، وعقد له على إرمينية وأذربيجان في شهر رمضان من هذه السنة .

وفيها شَغَبَ أهلُ حمص على كيدر بن عبيد الله عامل المستعين عليها فأخرجوه منها ، فوجّه إليهم الفضل بن قارن ، فمكرّ بهم حتى أخذهم ، وقتل منهم خلقاً كثيراً ، وحمل منهم مئة رجل من عيونهم إلى سامراً ، وهدم سورهم^(٢) .

وفيها غزا الصائفة واصيف ، وكان مقیماً بالشغر الشامي حتى ورد عليه موت

(١) انظر المتنظم (٨/١٢).

(٢) انظر المتنظم (٨/١٢).

المتنصر ، ثم دخل بلاد الروم ؛ فافتتح حصنًا يقال له : فرورية ، وعقد المستعين فيها لأوتامش على مصر والمغرب واتخذه وزيرًا^(١).

وفيها عقد لُبُغا الشرابي على حُلوان وما بذان ومهرجان قَدْقَ ، وصَبَرَ المستعين شاهك الخادم على دارِه وكراعه وحرمه وخزائنه وخاصة أموره ، وقدّمه أوتامش على جميع الناس^(٢).

ووجه بالناس في هذه السنة محمد بن سليمان الزيني^(٣).

* * *

ثم دخلت سنة تسع وأربعين ومئتين ذكر الخبر بما كان فيها من الأحداث

فمما كان فيها من ذلك غزو جعفر بن دينار الصائفة ، فافتتح حصنًا ومطامير ، واستأذنه عمر بن عبيد الله الأقطع في المصير إلى ناحية من بلاد الروم ؛ فأذن له ، فسار ومعه خلق كثير من أهل ملطة ، فلقيه الملك في جمع من الروم عظيم بموضع ، يقال له أرز من مرج الأسقف ، فحاربه بهم معه محاربة شديدة ، قُتل فيها خلق كثير من الفريقين ، ثم أحاطت به الروم وهم خمسون ألفاً ، فقتل عمر وألفاً رجل من المسلمين ؛ وذلك في يوم الجمعة للنصف من رجب^(٤).

* * *

[خبر قتل علي بن يحيى الأرمني]

وفيها قتل علي بن يحيى الأرمني^(٥).

* ذكر الخبر عن سبب قتيله :

ذكر أن الروم لما قتلت عمر بن عبيد الله ؛ خرجن إلى الشغور الجزرية ، وكلبوا

(١) انظر المنتظم (٨/١٢).

(٢) انظر المنتظم (٩/١٢).

(٣) انظر المنتظم (٩/١٢).

(٤) انظر المنتظم (٢٣/١٢).

(٥) انظر المنتظم (٢٣/١٢).

عليها وعلى حرم المسلمين بها ، فبلغ ذلك عليّ بن يحيى وهو قافل من إرمينيَّة إلى مِيافارِقين ، فنفر إليهم في جماعة من أهل مِيافارِقين والسلسلة ، فُقتل في نحو من أربعينَةَ رجل ، وذلك في شهر رمضان.

* * *

[شعب الجند والشاكريّة ببغداد]

وشعب الجند والشاكريّة ببغداد في هذه السنة في أول يوم من صفر^(١).

* ذكر الخبر عن السبب في ذلك :

وكان السبب في ذلك أنَّ الخبر لما اتصل بأهل مدينة السلام وسامراً وسائر ما قرب منها من مُدن الإسلام بمقتل عمر بن عبيد الله الأقطع وعليّ بن يحيى الأرمني - وكانا نابين من أنبياء المسلمين ، شديداً بأسهما ، عظيمًا غناوهما عنهم في الشغور التي هما بها - شق ذلك عليهم ، وعظم مقتلُهما في صدورهم ، مع قُرب أحدهما من مقتل الآخر ، ومع ما لحقهم من استفطاعهم من الأتراك قُتل المتوكِّل واستيلأَهُم على أمور المسلمين ، وقتلهم من أرادوا قتلهم من الخلفاء واستخلافهم من أحبوا استخلافه من غير رجوع منهم إلى ديانة ، ولا نظر للMuslimين ؛ فاجتمعت العامة ببغداد بالصراخ والنداء بالتفير ، وانضمت إليها الأبناء والشاكريَّة تُظهر أنها تطلب الأرزاق ؛ وذلك أول يوم من صفر ، ففتحوا سجن نصر بن مالك ، وأخرجوا منْ فيه وفي القنطرة بباب الجسر ؛ وكان فيها جماعة - فيما ذكر - من رفوغ خراسان والصعاليك من أهل الجبال والمحمّرة وغيرهم ، وقطعوا أحد الجسرين وضرموا الآخر بالنار ، وانحدرت سُفنُه ، وانتهُب ديوان قصص المحبّسين ، وقطعت الدفاتر ، وألقيت في الماء ، وانتهُبوا دار بشر وإبراهيم ابني هارون الصراتين كاتبي محمد بن عبد الله ؛ وذلك كلَّه بالجانب الشرقي من بغداد ، وكان والي الجانب الشرقي حينئذَ أحمد بن محمد بن خالد بن هرثمة ، ثم أخرج أهل اليسار من أهل بغداد وسامراً أموالاً كثيرة من أموالهم ، فقووا من خفَّ للنهوض إلى الشغور لحرب الروم بذلك ؛

(١) انظر المتنظم (١٢ / ٢٠).

وأقبلت العامة من نواحي الجبل وفارس والأهواز وغيرها لغزو الروم؛ فلم يبلغنا أنه كان للسلطان فيما كان من الروم إلى المسلمين من ذلك تغيير، ولا توجيه جيش إليهم لحربهم في تلك الأيام.

وللسع بقين من شهر ربيع الأول، وثبت نفر من الناس لا يُدرى مَنْ هم يوم الجمعة بسامراً، ففتحوا السجن بها، وأخرجوها مَنْ فيه، فوجّه في طلب النَّفَرِ الذين فعلوا ذلك زُرافة في جماعة من الموالي، فوثبت بهم العامة فهزموهم، ثم ركب في ذلك أوتامش ووصيف وبُغا وعامة الأتراك، فقتلوا من العامة جماعة، وألقيَ على وصيف - فيما ذكر لي - قدر مطبوخ، ويقال: بل رماه قوم من العامة عند السريجة بحجر؛ فأمر وصيف النفاطين، فقدفوا ما هنالك من حوانين التجار ومنازل الناس بالنار، فأنا رأيت ذلك الموضع محترقاً؛ وذلك بسامراً عند دار إسحاق.

وذكر أن المغاربة انتبهت منازل جماعة من العامة في ذلك اليوم، ثم سكن الأمر في آخر ذلك اليوم، وعزل بسبب ما كان من العامة والنفر الذين ذكرت في ذلك اليوم من الحركة أحمد بن جميل عمّا كان إليه من المعونة بسامراً، وولي مكانه إبراهيم بن سهل الدراج^(١).

* * *

[ذكر خبر قتل أوتامش وكاتبه]

وفي هذه السنة قُتِلَ أوتامش وكاتبه شجاع بن القاسم؛ وذلك يوم السبت لأربع عشرة خلؤن من شهر ربيع الآخر منها^(٢).

* ذكر الخبر عن سبب مقتله:

ذكر أن المستعين لما أفضت إليه الخلافة، أطلق يد أوتامش وشاهك الخادم في بيوت الأموال، وأباهم ما فِعلَ ما أرادا فعلاه فيها، وفعل ذلك أيضاً بأم نفسه، فلم يمنعها من شيء تريده؛ وكان كاتبها سلمة بن سعيد النصراوي،

(١) انظر المنتظم (٢٠/١٢).

(٢) انظر المنتظم (٢١/١٢).

وكانت الأموال التي ترد على السلطان من الأفاق إنما يصير معظمها إلى هؤلاء الثلاثة الأنفس ، فعمد أوتامش إلى مافي بيوت الأموال من الأموال فاكتسحه ؛ وكان المستعين قد جعل ابنه العباس في حجر أوتامش ؛ فكان ما فضل من الأموال عن هؤلاء الثلاثة الأنفس يؤخذ للعباس ، فيصرف في نفقاته وأسبابه - وصاحب ديوان ضياعه يومئذ دليل - فاقتطع من ذلك أموالاً جليلة لنفسه ؛ وجعلت الموالي تنظر إلى الأموال تُستهلك ؛ وهم في ضيقه ، وجعل أوتامش وهو صاحب المستعين وصاحب أمره ، والمستولى عليه ينفرد أمور الخلافة ؛ ووصيف وبغا من ذلك كله بمعزل ، فأغريا الموالي به ، ولم يزالا يدبران الأمر عليه حتى أحکما التدبير ، فتدمرت الأتراك والفراغنة على أوتامش ، وخرج إليه منهم يوم الخميس لاثني عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر من هذه السنة أهل الدور والكرخ ، فعسکروا وزحفوا إليه وهو في الجوّسق مع المستعين .

وبلغ الخبر ، فراد الهرب ، فلم يمكنه واستجبار بالمستعين فلم يجزه فأقاموا على ذلك من أمرهم يوم الخميس ويوم الجمعة ؛ فلما كان يوم السبت دخلوا الجوّسق ، فاستخرجوأوتامش من موضعه الذي توارى فيه ، فقتل وقتل كاتبه شجاع بن القاسم ، وانتهت دار أوتامش ، فأخذ منها - فيما بلغني - أموالاً جليلة ومتاع وفرش وآلية .

ولما قُتل أوتامش استوزر المستعين أبي صالح عبد الله بن محمد بن يزداد ، وعزل الفضل بن مروان عن ديوان الخراج ، ووليه عيسى بن فرخانشاه ، وولى وصيف الأهواز ، وبغا الصغير فلسطين في شهر ربيع الآخر ، ثم غضب بما الصغير وحزبه على أبي صالح بن يزداد ، فهرب أبو صالح إلى بغداد في شعبان ، وصيّر المستعين مكانه محمد بن الفضل الجرجائي : فصيّر ديوان الرسائل إلى سعيد بن حميد رياسة ، فقال في ذلك الحمدوني :

لَيْسَ السَّيِّفَ سَعِيدُ بَعْدَمَا عَاشَ ذَا طَمْرَيْنِ لَا نَوْبَةَ لَهُ
إِنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ آيَةُ اللَّهِ فِينَا مُنْزَلَةٌ

[مقتل عليّ بن الجهم]^(١)

وفيها قُتِلَ عليّ بن الجهم بن بدر؛ وكان سبب ذلك أنه توجّه من بغداد إلى الشجر ، فلما كان بقرب حلب بموضع يقال له خساف؛ لقيته خيل ل الكلب ، فقتلته ، وأخذ الأعраб ما كان معه ، فقال وهو في السياق :

أَزِيدَ فِي الْلَّيْلِ لَيْلُ أَمْ سَالَ بِالصَّبَحِ سَيْلُ
ذَكَرْتُ أَهْلَ دُجَيْلِ وَأَيْنَ مَنْ يَدْجِيلُ!

وكان منزله في شارع الدّجّيل .

* * *

وفيها عزل جعفر بن عبد الواحد عن القضاء ، ووليه جعفر بن محمد بن عمار البرجمي من أهل الكوفة ؛ وقد قيل : إن ذلك في سنة خمسين ومئتين .

وفيها أصاب أهل الري في ذي الحجة زلزلة شديدة ورجفة تهدّمت منها الدور ، ومات خلق من أهلها وهرب الباقون من أهلها من المدينة ؛ فنزلوا خارجها .
ومطر أهل سامراً يوم الجمعة لخمس بقين من جمادى الأولى ؛ وذلك يوم السادس عشر من تموز مطر جود ببرد وبرق ، فأطّبّق العيم ذلك اليوم ؛ ولم يزل المطر جوداً سائلاً يومئذ إلى اصفار الشمس ثم سكن .

وتحركت المغاربة في هذه السنة يوم الخميس لثلاث خلوٰن من جمادى الأولى ، وكانوا يجتمعون قرب الجسر بسامراً ، ثم تفرقوا يوم الجمعة^(٢) .

* * *

وحجّ الناس في هذه السنة عبد الصمد بن موسى بن محمد بن إبراهيم الإمام وهو والي مكة^(٣) .

(١) علي بن الجهم كان شاعراً من أصحاب المตوكل وكان فاضلاً متديناً ذا شعر حسن جيد ثم نقم عليه المتكوك [انظر ترجمته وتاريخ وفاته في تاريخ بغداد (١١/٣٦٧) والمنتظم (١٢/٢٦). ووفيات الأعيان (٣/٥٥)].

(٢) انظر المنتظم (١٢/٢٣).

(٣) انظر المنتظم (١٢/٢٣).

ثم دخلت سنة خمسين ومئتين
ذكر الخبر بما كان فيها من الأحداث

[ظهور يحيى بن عمر الطالبي ثم مقتله]

فمن ذلك ما كان من ظهور يحيى بن عمر بن يحيى بن حسين بن زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه؛ المكثي بأبي الحسين بالكوفة ، وفيها كان مقتله رضي الله عنه^(١).

* ذكر الخبر عن سبب ظهوره وما آل عليه أمره :

ذكر أنّ أباً الحسين يحيى بن عمر - وأمه أم الحسين فاطمة بنت الحسين بن عبد الله بن إسماعيل بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب - نالتْه ضيقه شديدة ، ولزمه دَيْن ضاق به ذرعاً ، فلقيَ عمر بن فرج - وهو يتولّ أمر الطالبيين - عند مقدمه من خراسان أيام المتوكل ، فكلّمه في صلته ، فأغاظه عليه عمر القول؛ فقذفه يحيى بن عمر في مجلسه ، فجُحِسَ ، فلم يزل محبوساً إلى أن كفل به أهله ، فأطلق ، فشخص إلى مدينة السلام ، فأقام بها بحال سيئة ، ثم صار إلى سامراً ، فلقي وصيفاً في رِزْق يُجرِي له ، فأغاظه له وصيفٌ في القول ، وقال:
لأي شيء يُجري على مثلك ! فانصرف عنه.

فذكر ابن أبي طاهر أن ابن الصوفي الطالبي حدّثه : أنه أتاه في الليلة التي كان خروجه في صبيحتها ، فبات عنده ، ولم يعلمه بشيء مما عزم عليه؛ وأنه عرض عليه الطَّعام ، وتبيّن فيه أنه جائع ، فأبى أن يأكل ، وقال : إن عشنا أكلنا ، قال : فتبينت أنه قد عزم على فتكه؛ وخرج من عندي؛ فجعل وجهه إلى الكوفة؛ وبها أιوب بن الحسن بن موسى بن جعفر بن سليمان عاملًا عليها من قيل محمد بن عبد الله بن طاهر؛ فجمع يحيى بن عمر جمّعاً كثيراً من الأعراب ، وضوى إليه جماعة من أهل الكوفة ، فأتى الفلوجة؛ فصار إلى قرية تعرف بالعمد؛ فكتب صاحب البريد بخبره؛ فكتب محمد بن عبد الله بن طاهر إلى أιوب بن الحسن وعبد الله بن محمود السرخسي - وكان عامل محمد بن عبد الله على معاون السواد

(١) انظر الخبر في المنتظم (١٢/٣٣).

- يأمرهما بالاجتماع على محاربة يحيى بن عمر - وكان على الخراج بالكوفة بدر ابن الأصبغ - فمضى يحيى بن عمر في سبعة نفر من الفرسان إلى الكوفة فدخلها ، وصار إلى بيت مالها؛ فأخذ ما فيه؛ والذى وُجد فيه ألفاً دينار وزيادة شيء ، ومن الورق سبعون ألف درهم؛ وأظهر أمره بالكوفة وفتح السجينين ، وأخرج جميع من كان فيهما؛ وأخرج عمالها عنها ، فلقيه عبد الله بن محمود السرخسي - وكان في عداد الشاكيرية ، فضربه يحيى بن عمر ضربةً على قصاص شعره في وجهه أثخته ؛ فانهزم ابن محمود مع أصحابه ، وحوى يحيى ما كان مع ابن محمود من الدواب والمال .

ثم خرج يحيى بن عمر من الكوفة إلى سوادها ، فصار إلى موضع يقال له بستان - أو قريباً منه - على ثلاثة فراسخ من جنبلاء؛ ولم يقم بالكوفة ، وتبعته جماعة من الزيدية ، واجتمعت على نصرته جماعة من قرب من تلك الناحية من الأعراب وأهل الطفوف والسبّيب الأسفل ، وإلى ظهر واسط ، ثم أقام بالبستان ، فكثر جمعه ، فوجّه محمد بن عبد الله لمحاربته الحسين بن إسماعيل بن إبراهيم بن مصعب ، وضمّ إليه من ذوي البأس والنجد من قواده جماعة؛ مثل خالد بن عمران وعبد الرحمن بن الخطاب المعروف بوجه الفلس ، وأبي السناء الغنوّي ، وعبد الله بن نصر بن حمزة ، وسعد الضبابي ، ومن الإسحاقية أحمد بن محمد بن الفضل وجماعة من خاصة الخراسانية وغيرهم .

وشخص الحسين بن إسماعيل ، فنزل بإزاء هَنْدَى في وجه يحيى بن عمر ، لا يقدم عليه الحسين بن إسماعيل ومنْ معه؛ وقصد يحيى نحو البحريّة - وهي قرية بينها وبين قُسْيَن خمسة فراسخ ، ولو شاء الحسين أن يلحقه لحقه - ثم مضى يحيى بن عمر في شرقى السّبّيب والحسين في غربىّه ، حتى صار إلى أبازد فأبازد إلى ناحية سُورَا ، وجعل الجند لا يلحقون ضعيفاً عجز عن اللحاق بـ يحيى إلا أخذوه ، وأوقعوا بهن صار إلى يحيى بن عمر من أهل تلك القرى .

وكان أبازد الفرج المعروف بـ ابن الفزارى يتولى معونة السّبّيب لمحمد بن عبد الله ، فحمل ما اجتمع عنده من حاصل السّبّيب قبل دخول يحيى بن عمر أبازد ، فلم يظفر به .

ومضى يحيى بن عمر نحو الكوفة ، فلقيه عبد الرحمن بن الخطاب وجّه

الفَلْس ، فقاتله بقرب جسر الكوفة قتالاً شديداً ، فانهزم عبد الرحمن بن الخطاب ، وانحاز إلى ناحية شاهي ، ووافاه الحسين بن إسماعيل ، فعسكر بها ، ودخل يحيى بن عمر الكوفة ، واجتمعت إليه الزيدية ، ودعا إلى الرضا من آل محمد وكثُفَ أمره ، واجتمعت إليه جماعة من الناس وأحبّوه ، وتولاه العامة من أهل بغداد - ولا يعلم أنهم تولوا من أهل بيته غيره - وبايده بالكوفة جماعة لهم بصائر وتدبّر في تشيعهم ؛ ودخل فيهم أخلاق لا ديانة لهم .

وأقام الحسين بن إسماعيل بشاهي ، واستراح وأراح أصحابه دوابهم ، ورجعت إليهم أنفسهم ، وشربوا العذب من ماء الفرات ؛ واتصلت بهم الأمداد والميرة والأموال ، وأقام يحيى بن عمر بالكوفة بعد العدد ، ويطبع السيف ، ويعرض الرجال ، ويجمع السلاح .

وإن جماعة من الزيدية ممن لا علم لهم بالحرب أشاروا على يحيى بمعاجلة الحسين ، وألحت عليه عوام أصحابه بمثل ذلك ، فزحف إليه من ظهر الكوفة من وراء الخندق ليلة الإثنين لثلاث عشرة خلت من رجب ، ومعه الهيضم العجلي ، في فرسان منبني عجل وأناس منبنيأسد ورجاله منأهل الكوفة ليسوا بذوي علم ولا تدبّر ولا شجاعة ، فأسرّوا ليتهم ؛ ثم صبحوا حسيناً وأصحابه - وأصحاب حسين مستريحون ومستعدون - فثاروا إليهم في العَلَس فرموا ساعة ، ثم حمل عليهم أصحاب الحسين فانهزموا ، ووضع فيهم السيف ؛ فكان أول أسير الهيضم بن العلاء بن جمهور العجلي ، فانهزم رجاله أهل الكوفة ، وأكثرهم عُرْلُ بغير سلاح ، ضعفوا القوى ، خلقان الثياب ؛ فداستهم الخيول ، وانكشف العسكر عن يحيى بن عمر ، وعليه جوشن تبّتي ، وقد تقطّر به البردون الذي أخذه من عبد الله بن محمود ، فوقف عليه ابن خالد بن عمران يقال له خير ؛ فلم يعرفه ، وظنّ أنه رجل من أهل خراسان ؛ لما رأى عليه الجوشن ، ووقف عليه أيضاً أبو الغور بن خالد بن عمران ، فقال لخير بن خالد: يا أخي ، هذا والله أبو الحسين قد انفوج قلبه ؛ وهو نازل لا يعرف القصة لأنفراج قلبه ، فأمر خير رجلاً من أصحابه المواصلين من العرفاء يقال له مُحْسِن بن المتناب ، فنزل إليه فذبحه ، وأخذ رأسه وجعله في قُوْصَرَة ، ووجهه مع عمر بن الخطاب ، أخي عبد الرحمن بن الخطاب إلى محمد بن عبد الله بن طاهر .

وادعى قتله غير واحد ، فذكر عن العرس بن عراهم أنهم وجدوه باركاً ، ووجدوا خاتمه مع رجل يعرف بالعسقلاني مع سيفه ، وادعى أنه طعنه وسلبه ، وادعى سعد الصبّابي أنه قتله .

وذكر عن أبي الحسين خال أبي السناء أنه طعن في العَلس رجلاً في ظهره لا يعرفه ، فأصابوا في ظهر أبي الحسين طعنة ولا يُدرى من قتله ، لكثرة من ادعاه ، وورد الرأس دار محمد بن عبد الله بن طاهر ، وقد تغّير فطلبوها من يقوّر ذلك اللحم ، ويخرج الحدقة والغلصمة ، فلم يوجد ، وهرب الجزارون ، وطلب من في السجن من الخرمية الذباحين من يفعل ذلك فلم يقدم عليه أحد ، إلا رجل من عمال السجن الجديد ، يقال له سهل بن الصعدي ، فإنه تولى إخراج دماغه وعينيه وقوره بيديه ، وحشى بالصبر والمسك والكافور بعد أن غسل وصُرِّ في القطن ، وذكر أنهم رأوا بجنبية ضربة بالسيف منكرة .

ثم إنّ محمد بن عبد الله بن طاهر أمر بحمل رأسه إلى المستعين من غد اليوم الذي وفاه فيه ، وكتب إليه بالفتح يده ، ونصب رأسه بباب العامة بسامراً ، واجتمع الناس لذلك ، وكثروا وتذمّروا ، وتولى إبراهيم الديري نصبّه؛ لأن إبراهيم بن إسحاق خليفة محمد بن عبد الله أمره فنصبه لحظة ، ثم حُطّ ، ورد إلى بغداد لينصب بها بباب الجسر؛ فلم يتهيأ ذلك لمحمد بن عبد الله لكثرة من اجتمع من الناس ، وذكر لمحمد بن عبد الله أنهم على أخذه اجتمعوا ، فلم ينصبه وجعله في صندوق في بيت السلاح في داره ، ووجه الحسين بن إسماعيل بالأسرى ورؤوس من قتل معه مع رجل يقال له أحمد بن عصمويه ممن كان مع إسحاق بن إبراهيم ، فكدهم وأجاعهم وأساء بهم؛ فأمر بهم فحبسوا في سجن الجديد ، وكتب فيهم محمد بن عبد الله يسأل الصفع عنهم ، فأمر بتحليتهم ، وأن تدفن الرؤوس ولا تُنصب ، فدفت في قصر بباب الذهب .

وذكر عن بعض الطاهريين أنه حضر مجلس محمد بن عبد الله وهو يُهتَّأ بمقتل يحيى بن عمر وبالفتح وجماعة من الهاشميين والطالبيين وغيرهم حضور؛ فدخل عليه داود بن القاسم أبو هاشم الجعفري فيمين دخل ، فسمعهم يهتّونه ، فقال: أيها الأمير؛ إنك لتهتّأ بقتل رجل لو كان رسول الله عليه السلام حياً لعزّي به! فما ردّ عليه محمد بن عبد الله شيئاً ، فخرج أبو هاشم الجعفري ، وهو يقول:

يَا بَنِي طَاهِرٍ كُلُوْهُ وَبِّيَا
إِنْ لَحْمَ النِّيَّيْ غِيْرُ مَرِيَّ
إِنَّ وِتَرَا يَكُونُ طَالِبَةُ اللَّهِ
لَوْتَرُ نِجَاْهُ بِالْحَرِيَّ

وكان المستعين قد وجّه كلباتكين مددًا للحسين ومستظهراً به ، فلحق حسيناً
بعدما هُزم القوم وقتل يحيى بن عمر ، فمضى ومعهم حاجب صاحب بريد الكوفة
فلقي جماعة ممن كان مع يحيى بن عمر ، ومعهم أسوقه وأطعمة يريدون عسكر
يحيى ؟ فوضع فيهم السيف فقتلتهم ، ودخل الكوفة ؛ فأراد أن ينهبها ويضع السيف
في أهلها ، فمنعه الحسين ، وأمن الأسود والأبيض بها ؛ وأقام أيامًا ثم انصرف
عنها^(١) .

* * *

[ذكر خبر خروج الحسن بن زيد العلوى]

وفي هذه السنة كان خروج الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن
الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب في شهر رمضان منها^(٢) .

* ذكر الخبر عن سبب خروجه :

حدّثني جماعة من أهل طبرستان وغيرهم ؛ أنّ سبب ذلك كان : أنّ محمد بن عبد الله بن طاهر لمّا جرى على يده ما جرى من قتل يحيى بن عمر ، ودخوله
أصحابه وجيشه الكوفة بعد فراغهم من قتل يحيى ؛ أقطعه المستعين من صوافي
السلطان بطبرستان قطائع ؛ وأنّ من تلك القطائع التي أقطعها قطيعة فيما قرب من
ثغرى طبرستان مما يلي الدّيّلَم ؛ وهما كلار وسالوس ، كان بحذائهما أرض لأهل
تلك الناحية فيها مراافق ، منها مُختَطَبْهم ومراعي مواشيهِم ومسرح سارِحتهم ؛
وليس لأحد عليها مُلْك ؛ وإنما هي صحراء من موتان الأرض ؛ غير أنها ذات
غياض وأشجار وكلاً.

فوجّه - فيما ذكر لي - محمد بن عبد الله بن طاهر أخاً لكاتبه بشر بن هارون

(١) هذه التفاصيل الكثيرة التي استغرقت الصفحات (٢٦٦ - ٢٧١) انفرد بذكرها الطبرى من بين المؤرخين المتقدمين الثقات والله تعالى أعلم وانظر المنتظم (١٢ / ٣٣ - ٣٤).

(٢) انظر المنتظم (١٢ / ٣٤).

النصرانى يقال له جابر بن هارون ، لحيازة ما أقطع هنالك من الأرض ، وعامل طبرستان يومئذ سليمان بن عبد الله خليفة محمد بن طاهر بن طاهر ، أخو محمد بن عبد الله بن طاهر ، والمستولى على سليمان ، والغالب على أمره محمد بن أوس البلخي ؛ وقد فرق محمد بن أوس ولده في مدن طبرستان ، وجعلهم ولاتها ، وضم إلى كل واحد منهم مدينة منها ؛ وهم أحداث سُفهاء ؛ قد تأذى بهم وبسفههم من تحت أيديهم من الرعية ، واستنكروا منهم ومن والدهم ومن سليمان بن عبد الله سفههم وسيرهم فيهم ، وغلظ عليهم سوء أثرهم فيهم ؛ بقصص يطول الكتاب بشرح أكثرها .

ووتر مع ذلك - فيما ذكر لي - محمد بن أوس الديلم بدخوله إلى ما قرب من بلادهم من حدود طبرستان ؛ وهم أهل سلم وموادعة لأهل طبرستان على اغترار من الديلم بما يلتمس بدخوله إليهم بغارة ، فسيئ منهم وقتل ، ثم انكفا راجعاً إلى طبرستان ، فكان ذلك مما زاد أهل طبرستان عليه حنقاً وغيظاً ، فلما صار رسول محمد بن عبد الله - وهو جابر بن هارون النصرانى - إلى طبرستان لحيازة ما أقطعه هنالك محمد ، عمد - فيما قيل لي - جابر بن هارون إلى ما أقطع محمد بن عبد الله من صوا في السلطان فحازه ، وحاز ما اتصل به من موات الأرض التي يرتفق بها أهل تلك الناحية - فيما ذكر - فكان فيما رام حيازته من ذلك الموات الذي يقرب من التغرين اللذين يسمى أحدهما كلار والآخر سالوس ؛ وكان في تلك الناحية يومئذ رجلان معروفان بالباس والشجاعة ، وكانا مذكورين قد يما بضبط تلك الناحية من رامها من الديلم ، وبإطعام الناس بها وبالإفضال عن ضوى إليهما ؛ يقال لأحدهما محمد وللآخر جعفر ؛ وهما ابنا رستم أخوان ؛ فأنكرتا ما فعل جابر بن هارون من حيازته الموات الذي وصفت أمره ، ومانعاه ذلك .

وكان ابنا رستم في تلك الناحية مُطاععين فاستنهضوا منْ أطاعهما ممن في ناحيتهم لمنع جابر بن هارون من حيازة ما رام حيازته من الموات الذي هو مرفق لأهل تلك الناحية - فيما ذكر - وغير داخل فيما أقطعه صاحبه محمد بن عبد الله ، فنهضوا معهما ، وهرب جابر بن هارون خوفاً على نفسه منهما وممن قد نهض معهما ، لإنكار ما رام جابر النصرانى فعله ، فلحق سليمان بن عبد الله بن طاهر ، وأيقن محمد وجعفر ابنا رستم ومنْ نهض معهما في منع جابر بما حاول

من حيازة ما حاول حيازته من الموات الذي ذكرت بالشّرّ وذلك أن عامل طبرستان كلّها سليمان بن عبد الله؛ وهو أخو محمد بن عبد الله بن طاهر وعمّ محمد بن طاهر بن عبد الله عامل المستعين على خراسان وطبرستان والري والمشرق كله يومئذ.

فلما أيقن القوم بذلك ، راسلوا جيرانهم من الدّيلم ، وذّكّرُوهم وفقاءهم لهم بالعهد الذي بينهم وبينهم ، وما ركبهم به محمد بن أوس من الغدر والقتل والسبّي ، وأنهم لا يؤمنون من ركوبه إياهم بمثل الذي ركبهم به ، ويسألونهم مظاهرتهم عليه وعلى مَن معه؛ فأعلمهم الدّيلم أنّ ما يلي أرضهم من جميع نواحيها من الأرضين والبلاد؛ إنما عمالُها إنما عمال لطاهر؛ وإنما عمال مَن يتّخذ آل طاهر إن احتاجوا إلى إنجادهم؛ وإن ما سألوا من معاونتهم لا سيل لهم إليه إلا بزوال الخوف عنهم من أن يُؤْتُوا من قبل ظهورهم إذا هم اشتغلوا بحرب من بين أيديهم من عمال سليمان بن عبد الله؛ فأعلمهم الذين سألوهم المظاهرة على حزب سليمان وعماله أنهم لا يغفلون عن كفایتهم ذلك ، حتى يأمونوا مما خافوا منه ، فأجابهم الدّيلم إلى ما سألوهم من ذلك ، وتعاقدوا هم وأهل كلار وسالوس على معاونة بعضهم بعضاً على حزب سليمان بن عبد الله وابن عبد الله وابن أوس وغيرهم ممن قصدتهم بحرب .

ثم أرسل أبا رستم محمد وجعفر - فيما ذكر - إلى رجل من الطالبيين المقيمين كانوا يومئذ بطبرستان ، يقال له محمد بن إبراهيم ، يدعونه إلى البيعة له ، فأبى وأمتنع عليهم ، وقال لهم : لكني أدلّكم على رجل منا هو أقوم بما دعوتموه إليه مَنِّي ، فقالوا : مَنْ هو؟ فأخبرهم أنه الحسن بن زيد ، ودَلَّهم على منزله ومسكنه بالري ، فوجّه القوم إلى الري عن رسالة محمد بن إبراهيم العلوي إليه مَنْ يدعوه إلى الشخص معه إلى طبرستان؛ فشخص معه إليها ، فوافاهم الحسن بن زيد ، وقد صارت كلمة الدّيلم وأهل كلار وسالوس ورويان على بيته وقتل سليمان بن عبد الله واحدة؛ فلما وفاهم الحسن بن زيد بايع له أبا رستم ، وجماعة أهل الشغور ورؤساء الدّيلم : كجايا ولاشام ، ووَهْسُودان بن جستان ، ومن أهل رويان عبد الله بن وَنْدَاميد - وكان عندهم من أهل التّاله والتّعبّد - ثم ناهضوا من في تلك النواحي من عمال ابن أوس فطردوهم عنها ، فلحقوا بابن أوس سليمان بن

عبد الله ؛ وهما بمدينة سارية ، وانضم إلى الحسن بن زيد مع مَنْ بايعه من أهل النواحي التي ذكرت ؛ لما بلغهم ظهوره بها حوزية جبال طبرستان كما صُمِّعَان وفادُسْبان وليث بن قباذ ، ومن أهل السفح خشكجستان بن إبراهيم بن الخليل بن ونداسفجان ، خلا ما كان من سكان جبل فريم ؛ فإن رئيسهم كان يومئذ والمتملك عليهم قارن بن شهريار ؛ فإنه كان ممتنعاً بجبله وأصحابه ، فلم ينقد للحسن بن زيد ولا مَنْ معه حتى مات ميته نفسه ، مع موادعه كانت بينهما في بعض الأحوال ، ومخاتنة ومصاہرة كفا من قارن بذلك من فعله عادية الحسن بن زيد ومن معه .

ثم زحف الحسن بن زيد وقواده من أهل النواحي التي ذكرت نحو مدينة آمل ، وهي أول مدن طبرستان مما يلي كلار وسالوس من السفح - وأقبل ابن أوس من سارية إليها يريد دفعه عنها ، فالتقى جيشاهما في بعض نواحي آمل ، ونشبت معركة القوم إلى ناحية أخرى ، فدخلوها فاتصل الخبر بدخوله مدينة آمل بابن أوس ، وهو مشتغل بحرب مَنْ هو في وجهه من رجال الحسن بن زيد ؛ فلم يكن له هُمْ إلا النجاء بنفسه واللحاق بسليمان بسارية ؛ فلما دخل الحسن بن زيد آمل كثُفَّ جيشه ، وغلظ أمره ، وانقضَّ إليه كل طالب نهبٍ ومرید فتنة من الصعاليك والحوzierة وغيرهم ؛ فأقام - فيما حُدِّثَتْ - الحسن بن زيد بأمل أيامًا ، حتى جرى الخراج من أهلها ، واستعد ، ثم نهض بمن معه نحو سارية مريداً سليمان بن عبد الله ، فخرج سليمان وابن أوس بمن معهما من جيوشهما ؛ فالتقى الفريقان خارج مدينة سارية ، ونشبت الحرب بينهم ، فخالف الوجه الذي التقى فيه الجيشان بعض قواد الحسن بن زيد إلى وجه آخر من وجوه سارية ، فدخلتها برجاله وأصحابه ، فانتهى الخبر إلى سليمان بن عبد الله وَمَنْ معه من الجندي ؛ فلم يكن لهم هُمْ غير النجاة بأنفسهم .

ولقد حدثني جماعة من أهل تلك الناحية وغيرها ، أن سليمان بن عبد الله هَرَبَ وترك أهله وعياله وثقله وكل ما كان له بسارية من مال وأثاث وغير ذلك بغير مانع ولا دافع ؛ فلم يكن له نهاية دون جُرجان ، وغلب على ما كان له ولغيره بها من جُنده الحسن بن زيد وأصحابه .

فاما عيال سليمان وأهله وأثنائه فإنه بلغني أن الحسن بن زيد أمر لهم بمركب حملهم فيه حتى أحقهم بسلامان وهو بجرجان ، وأماماً ما كان لأصحابه فإن منْ كان مع الحسن بن زيد من التَّبع انتهبه ، فاجتمع للحسن بن زيد بلحاق سليمان بن عبد الله بـجُرجان إمرة طبرستان كلها.

فلما اجتمعت للحسن بن زيد طبرستان ، وأخرج عنها سليمان بن عبد الله وأصحابه وجّه إلى الرَّي خيلاً مع رجل من أهل بيته ، يقال له الحسن بن زيد ، فصار إليها ، فطرد عنها عاملها من قِبَل الطاهرية ، فلما دخل الموجّه به من قِبَل الطالبيين الرَّي هرب منها عاملُها ، فاستخلف بها رجلاً من الطالبيين يقال له محمد بن جعفر ، وانصرف عنها ، فاجتمع للحسن بن زيد مع طبرستان الرَّي إلى حد همدان ، وورد الخبر بذلك على المستعين ، ومدبر أمره يومئذ وصيف التركي وكاتبه أحمد بن صالح بن شيرزاد ، وإليه خاتم المستعين ووزارته ، فوجّه إسماعيل بن فراشة في جمع إلى همدان ، وأمره بالمقام بها وضبطها إلى أن يتجاوز إليها خيل الحسن بن زيد؛ وذلك لأنّ ما وراء عمل همدان كان إلى محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر ، وبه عماله ، وعليه صلاحه.

فلما استقرَّ بمحمد بن جعفر الطالبي القرار بالرَّي ظهرت منه - فيما ذكر - أمور كرهها أهل الرَّي ، فوجّه محمد بن طاهر بن عبد الله قائداً له من قِبَلِه ، يقال له محمد بن ميكال - وهو أخو الشاه بن ميكال - في جَمْع من الخيل والرَّجال إلى الرَّي ، فالتحقى هو ومحمد بن جعفر الطالبي خارج الرَّي؛ فذُكر أنَّ محمد بن ميكال أسر محمد بن جعفر الطالبي ، وفضَّل جيشه ، ودخل الرَّي ، فأقام بها ، ودعا بها للسلطان؛ فلم يطأول بها مكثه حتى وجّه الحسن بن زيد إليه خيلاً ، عليها قائد له من أهل اللازr ، يقال له واجن ، فلما صار واجن إلى الرَّي خرج إليه محمد بن ميكال ، فاقتلا ، فهزم واجن وأصحابه محمد بن ميكال وجيشه ، والتجأ محمد بن ميكال إلى مدينة الرَّي معتصماً بها ، فاتبعه واجن وأصحابه حتى قتلوه ، وصارت الرَّي إلى أصحاب الحسن بن زيد.

فلما كان يوم عرفة من هذه السنة بعد مقتل محمد بن ميكال ، ظهر بالرَّي أحمد بن عيسى بن عليّ بن حسين الصغير بن عليّ بن حسين بن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه وإدريس بن موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن

حسن بن حسن بن عليّ بن أبي طالب؛ فصلّى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عليهِ الْكَوَافِرُ أَحْمَدُ بْنُ عَيْسَى بْنِ أَهْلِ الرَّبِّيِّ صلاة العيد ، وَدعا للرضا من آل محمد؛ فحاربه محمد بن عليّ بن طاهر ، فهزمه أَحْمَدُ بْنُ عَيْسَى ، فصار إلى قزوين^(١) .

* * *

وفي هذه السنة غضب على جعفر بن عبد الواحد ، لأنَّه كان بعث إلى الشاكرية ، فزعم وصيف أنه أفسدهم ، فنفي إلى البصرة لسبع بقين من شهر ربيع الأول^(٢) .

وفيها أُسقطت مرتبة مَنْ كانت له مرتبة في دار العامة من بني أمية ، كابن أبي الشوارب والعلمانين^(١) .

وأخرج في هذه السنة من الحبس الحسنُ بن الأفشين^(١) .

وأجلس فيها العباسُ بن أَحْمَدَ بنَ مُحَمَّدٍ ، فعقد لجعفر بن الفضل بن عيسى بن موسى المعروف بيشاشات على مكة في جمادى الأولى.

وفيها وثب أهل حِمْصَ وَقَوْمٌ من كلب - عليهم رجل يقال له عُطَيْفُ بن نعمة الكلبي - بالفضل بن قارن أخي مازيار بن قارن؛ وهو يومئذ عامل السلطان على حِمْصَ ، فقتلوا في رَجَبٍ؛ فوجّه المستعين إليهم موسى بن بُغا الكبير ، فشخص موسى من سامراً يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة خَلَّتْ من شهر رمضان؛ فلما قرب موسى تلقاء أهْلِها فيما بينها وبين الرَّسْتَنَ ، فحاربهم فهزمهم؛ وافتتح حمص وقتل مِنْ أهْلِها مقتلة عظيمة ، وأحرقها وأسر جماعة من رؤساء أهْلِها ، وكان عطيف قد لحق بالبدو^(١) .

وفيها مات جعفر بن أَحْمَدَ بن عَمَّار القاضي يوم الأَحد لسبع بقين من شهر رمضان.

وفيها مات أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْكَرِيمِ الْجَوَارِيِّ وَالْتَّيمِيُّ قاضي البصرة.

وفيها ولِي أَحْمَدُ بْنُ الْوَزِيرِ قضاة سامراً.

(١) انظر هذه الأخبار في البداية والنهاية [٢١٨ / ٨].

(٢) هذه الأخبار في المتنظم (٣٥ / ١٢).

وفيها وثبت الشاكرية والجند بفارس بعد الله بن إسحاق بن إبراهيم ، فانتهوا منزله ، وقتلوا محمد بن الحسن بن قارن ، وهرب عبد الله بن إسحاق^(١).

وفيها وجّه محمد بن طاهر من خراسان بفيلين كان وجّه بهما إليه من كأبل وأصنام وفواجح^(٢).

وغزا الصائفة فيها بلكافور.

وحجّ بالناس في هذه السنة جعفر بن الفضل بشاشات وهو والي مكة^(٣).

ثم دخلت سنة إحدى وخمسين ومئتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

[ذكر خبر قتل باغر التركي]

فمما كان فيها من ذلك قتل وصيف وبغا الصغير باغر التركي واضطراب أمر الموالي^(٤).

ذكر الخبر عن سبب قتلهم باغر :

ذكر أنّ سبب ذلك كان أن باغر كان أحد قتلة المتوكل ، فزيد لذلك في أرزاقه ، وأقطع قطائع ؛ فكان مما أقطع ضياع بسود الكوفة ، فتضمن تلك الضياع التي أقطعها باغر هنالك مِنْ كاتب كان لباغر يهودي - رجل من دهاقين بارُوسما ونهر الملك - بألفي دينار في السنة ، فعدا رجل بتلك الناحية ، يقال له ابن مارمة ، على وكيل باغر هنالك ، فتناوله أو دسَّ إليه مَنْ تناوله ، فحبس ابن مارمة ، وقُيدَ ، ثم عمل حتى تخلص من الحبس ، فصار إلى سامراً؛ فلقي دليل بن يعقوب النصري وهو يومئذ كاتب بغا الشرابي وصاحب أمره ، وإليه أمر العسكر ، يركب إليه القواد والعمال؛ لمكانه من بغا ، وكان ابن مارمة صديقاً لدليل ، وكان باغر أحد قُواد بغا ، فمنع دليل باغر من ظلم أحمد بن مارمة؛ وانتصف له منه ، فأوغر ذلك من فعله بصدر باغر ، وبيان كل واحد من دليل

(١) هذه الأخبار في المنتظم (٣٦/١٢).

(٢) انظر المنتظم (٤٢/١٢).

وباغر صاحبَه بذلِك السبب ، وباغر شجاع بطل معروف القدر في الأتراك ، يتواقا
بُغا وغيره ، ويحافظون شره .

فذكر أنّ باغر جاء يوم الثلاثاء لأربع بقين من ذي الحجة سنة خمسين ومئتين
إلى بُغا ، وبُغا في الحمام ، وباغر سكران شديد السكر ، وانتظره حتى خرج من
الحمام ، ثم دخل عليه ، فقال له : والله ما من قتل دليل بُدا ثم سبه ، فقال له بغا :
لو أردت قتل ابني فارسي ما منعتك ، فكيف دليل النصراوي ! ولكنْ أمرِي وأمر
الخلافة في يديه فتنتظر حتى أصيّر مكانه إنساناً ، وشأنك به ، ثم وجه بُغا إلى
دليل يأمره ألا يركب ؟ وقيل : بل تلقاه طبيب لبُغا ، يقال له ابن سرجويه ، فأخبره
بالقصة ، فرجع إلى منزله ، فاستخفى ، وبعث بُغا إلى محمد بن يحيى بن
فيروز ، وكان ابن فيروز يكتب له قبل ذلك ، فجعله مكان دليل ، فيوهم باغر أنه
قد عزل دليلاً ؛ فسكن باغر ، ثم أصلح بُغا بين دليل وباغر ، وباغر يتهدّد دليلاً
بالقتل إذا خلا بأصحابه ، ثم تلطّف باغر للمستعين ، ولزم الخدمة في الدار ،
وكره المستعين مكانه ؛ فلما كان يوم نوبة بُغا في منزله قال المستعين : أي شيء
كان إلى إيتاخ من الأعمال ؟ فأخبره وصيف ، فقال : ينبغي أن تصيروا هذه
الأعمال إلى أبي محمد باغر ، فقال وصيف : نعم ، وبلغت القصة دليلاً ، فركب
إلى بُغا فقال له : أنت في بيتك ؟ وهم في تدبير عزلك عن كلّ أعمالك ؟ فإذا عزلت
فما بقاوك إلا أن يقتلوك ! فركب بُغا إلى دار الخلافة في اليوم الذي نوبته في منزله
بالعشري ، فقال لوصيف : أردت أن تُزيلني عن مرتبتي ، وتجيء بياغر فتصيره
مكاني ؛ وإنما باغر عبدٌ من عبيدي ورجل من أصحابي ، فقال له وصيف :
ما علمت ما أراد الخليفة من ذلك ، فتعاقد وصيف وبُغا على تنحية باغر من الدار
والاحتياط له ، وأرجفوا له أن يؤمر ويضم إليه جيش سوى جيشه ؛ ويخلع عليه ،
ويجلس في الدار مجلس بُغا ووصيف - وهو يسمىان الأميرين - ودافعوا بذلك ،
وإنما كان المستعين تقرب إليه بذلك ليأمن ناحيته ، فأحسن هو ومن في ناحيته
بالشرّ ، فجمع إليه الجماعة الذين كانوا بايعوه على قتل المتقوك أو بعضها مع
غيرهم ؛ فلما جمعهم ناظرهم ووكل البيعة عليهم كما وکلها في قتل المتقوك ،
فقالوا : نحن على بيتنا ، فقال : الزموا الدار حتى نقتل المستعين وبُغا ووصيفاً ،
ونجيء بعليّ بن المعتصم أو بابن الواثق ، فتُقعده خليفة حتى يكون الأمر لنا ،

كما هو لهذين اللذين قد استوليا على أمر الدنيا ، وبقينا نحن في غير شيء؛ فأجابوه إلى ذلك ، وانتهى الخبر إلى المستعين ، فبعث إلى بُغا ووصيف؛ وذلك يوم الإثنين ، فقال لهما: ما طلبت إليكما أن تجعلاني خليفة؟ وإنما جعلتماني وأصحابكم ثم تريдан أن تقتلاني! فحلفا له أنهما ما علما بذلك ، فأعلمهم الخبر.

وقيل: إنَّ امرأة لباغر كانت مطلقة منه ، سعت إلى أم المستعين وإلى بُغا بذلك ، وبِكَرْ دليل إلى بُغا وحضر وصيف إلى منزل بُغا ومع وصيف أحمد بن صالح كاتبه؛ فاتفق رأيهم علىأخذ باغر واثنين من الأتراك معه وحبسهم حتى يروا رأيهم فيهم ، فأحضروا باغر ، فأقبل في عدّة حتى دخل الدار إلى بُغا.

فذكر عن بشر بن سعيد المَرْثُنِيَّ أنه قال: كنت حاضراً دخوله ، فمنع من الوصول إلى بُغا ووصيف ، وعُطِّل به إلى حمّام بُغا ، ودعى له بالقيود؛ فامتنع عليهم؛ فحبسوه في الحمام؛ ويبلغ ذلك الأتراك في الهارونية والكرخ والدور ، فوثبوا على إصطبل السلطان ، فأخذوا ما كان فيه من الدواب فانتهبوها وركبواها ، وحضروا الجوْسق بالسلاح؛ فلما أمسوا أمر وصيف وبُغا رشيد بن سعاد أخت وصيف أن يقتل باغر ، فأتاهم في عدّة؛ فشدّخوه بالطبرزيّات حتى أسكنوه ، فلما علم المستعين باجتماعهم ، ركب وصيف وبُغا حرّاقة ، وصاروا إلى دار وصيف جمِيعاً ، وترافق الناس يومهم - وهو يوم الثلاثاء وليلته - بالسلاح جائين وذاهبين؛ فقال لهم وصيف: ترافقوا حتى تنتظروا؛ فإن ثبتو على المقاومة ربّينا إليهم برأسه ، فلما انتهي قتله إلى الأتراك المشغبة ، أقاموا على ما هم عليه من الشَّغب حتى علموا أن المستعين وبُغا ووصيف قد انحدروا إلى بغداد؛ وقد كان وصيف أعطى قوماً من المغاربة فرساناً ورجالة السلاح والرماح ، ووجه بهم إلى هؤلاء المشغبة ، وبعث إلى الشاكيرية أن يكونوا على عدّة إن احتاج إليهم ، وسكن الناس عند الظهر ، وهدأت الأمور؛ وقد كان عدّة من قُواد الأتراك صاروا إلى هؤلاء المشغبين وسألوهم الانصراف ، فقالوا: يُوقِّيُونَ ، أي لا لا.

فذكر عن بشر بن سعيد عن جامع بن خالد - وكان أحد خلفاء وصيف من الأتراك - أنه كان المتولّي مخاطبته مع عدّة من يعرف التركية ، فأعلموهم أن المستعين وبُغا ووصيف قد خرجوا إلى بغداد ، فأظهروا التندّم ، وانصرفوا

منكسرین؛ فلما انتشر الخبر بخروج المستعين صار الأتراك إلى دور دليل ابن يعقوب ودور أهل بيته ممن قرب منه وجيرانه ، فانتهبو ما فيها حتى صاروا إلى الخشب والدُّوَرَانَدَاتِ ؛ وقتلوا ما قدروا عليه من البغال ، وانتهبو علَف الدواب والخمر التي في خزانة الشراب؛ ودفع عن دار سلمة بن سعيد النصراوي جماعة كان وَكَلْهُمْ بها؛ من المصارعين وغيرهم من حيرانهم ، ومنعوهم من دخول الدار؛ لأنهم أرادوا دار إبراهيم بن مهران النصراوي العسكري ، فدفعوهم عنها ، وسلم سلمة وإبراهيم من النهب.

وقال في قتل باغر والفتنة التي هاجت بسببه بعض الشعرا ، ذكر أن قائله
أحمد بن الحارت اليمامي :

لقد هاج باغْرُ حرباً طَحُونَا
نِ بِاللَّيْلِ يلتسمان السَّفِينَا
فجاءَهُمْ يَسِيقُ الناظرِينَا
وَصَرَّثْ مَجاذِيفَهُمْ سَائِرِينَا
فتكتَبَ فيهِ الْحَرُوبِ الرَّبُونَا
فَأَخْرَى إِلَهٌ بِهَا الْعَالَمِينَا
فَحَلَّ بِهَا مِنْهُ مَا يَكْرُهُونَا
وَغَرَّقَهَا اللَّهُ وَالرَّاكِبِينَا
وَجَاءَ الْفَرَاغْنَةُ الدَّارِعُونَا
يَرُوحُونَ خِيلًا وَرَجْلًا ثِينَا
بِأَمْرِ الْحُرُوبِ تَوْلَاهُ حِينَا
يُنِ حَتَّى أَحاطُهُمْ أَجْمِعِينَا
عَلَى السُّورِ يَحْمِي بِهَا الْمُسْتَعِينَا
تُفِيتُ النُّفُوسَ وَتُخْمِي الْعُرَيْنَا
أَلْوَفَ الْأَلْوَفِ إِذْ تُحْسِبُونَا
عَلَى السُّورِ حَتَّى أَغَارَ الْعَيْوَنَا

فذكر أنهم لما قدمو ببغداد اعتلى ابن مارمة ، فعاده دليل بن يعقوب ، فقال له : ما سبب علتكم؟ قال : عَقَرُ القيد انتقض علىي ، فقال دليل : لئن عقرت القيد؛

لعمري لئن قُتِلُوا بِاَغْرِي
وَفَرَّ الْخَلِيفَةُ وَالْقَائِدَا
وَصَاحُوا بِمَيْسَانَ مَلَأَهُمْ
فَالْأَزْمَهُمْ بَطْنَ حَرَاقَةَ
وَمَا كَانَ قَدْرُ ابْنِ مَارْمَةَ
وَلَكِنْ دُلِيلُ سَعَى سَعْيَةَ
فَحَلَّ بِبَغْدَادَ قَبْلَ الشَّرُوقِ
فَلَيْتَ السَّفِينَةَ لَمْ تَأْتِنَا
وَأَقْبَلَتِ التُّرْكُ وَالْمَغْرِبُونَ
تَسِيرُ كِرَادِيسُهُمْ فِي السَّلَاحِ
فَقَامَ بِحَرِبِهِمْ عَالَمٌ
فَجَدَّدَ سُورًا عَلَى الْجَانِبِ
وَأَحْكَمَ أَبْوَابَهَا الْمُضْمَنَاتِ
وَهِيَا مَجَانِيَّةً خَطَّارَةً
وَعَبَّى فَرْزُوضًا وَجَنِيشَيَّةً
وَعَبَّى الْمَجَانِيَّةَ مَظْوَمَةً

لقد نقضت الخلافة ، وبعثت فتنة ، ومات ابن مارمة في تلك الأيام؛ فقال أبو عليّ اليمامي الحنفي في شخص المستعين إلى بغداد:

ما زال إلّا لزوال ملكه وحفيه من بعده وهلكه

ومنع الأتراك الناس من الانحدار إلى بغداد ، فذكر أنهم أخذوا ملاحاً قد أكرى سفينته ، فضربوه مئي سوط ، وصلبوه على دقل سفينته ، فامتنع أصحاب السفن من الانحدار إلّا سرّاً أو بمؤنة ثقيلة.

* * *

[وقوع الفتنة ببغداد بين أهلها وبين جند السلطان]^(١)

وفي هذه السنة هاجت الفتنة ووقعت الحرب بين أهل بغداد وجند السلطان الذين كانوا بسامراً ، فبایع كُلُّ من كان بسامراً منهم المعترّ ، وأقام من ببغداد منهم على الوفاء ببيعة المستعين.

* ذكر الخبر عن سبب هيج هذه الفتنة ، وسبب بيعة من كان بسامراً من الجندي المعترّ وخلعهم المستعين ، ونصبهم الحرب لمن أقام على الوفاء ببيعته:

قال أبو جعفر: قد ذكرنا قبل موافاة المستعين وشاهك الخادم ووصيف وُغا وأحمد بن صالح بن شير زاد بغداد؛ وكانت موافاتهم إليها يوم الأربعاء لثلاث ساعات مضين من الهار لأربعة أيام - وقيل لخمسة أيام - خلون من المحرّم من هذه السنة؛ فلما وافاها ، نزل المستعين على محمد بن عبد الله بن طاهر في داره ، ثم وافي بغداد خليفة لوصيف على أعماله ، يعرف بسلام؛ فاستعلم ما عنده ، ثم انصرف راجعاً إلى منزله بسامراً ، فوافي القواد خلا جعفر الخياط وسليمان بن يحيى بن معاذ بغداد مع جلة الكتاب والعمال وبني هاشم ، ثم وافى بعد ذلك من قواد الأتراك الذين في ناحية وصيف: كلباتكين القائد وطیجع

(١) هذا العنوان بداية أخبار مطولة في ذكر فتنة شعواء حصلت في تلك الفترة العصيبة من تاريخ الأمة تنتهي في (٣٤٨/٩) وهذه الصفحات (٢٨٢ - ٣٤٥). مليئة بتفاصيل انفرد الطيري بذكرها من بين المؤرخين المتقدمين الثقات وقد ذكرها ابن الجوزي مختصراً (المتوسط ٤٣/١٢ - ٤٩).

ولا نستطيع الجزم بصحتها من عدمها وانظر تعليقاتنا الآتية.

ال الخليفة ، تركيّ ، وابن عجوز الخليفة ، نسائيّ ؛ وممّن في ناحية بُغا بـأبيكباـك القائد من غلـمان الخـدمة مع عـدة من خـلفاء بـغـا .

وكان - فيما ذكر - وجه إليهم وصيف وبـغـا قبل قدومهم رسـولاً ، يأمرـانـهم أن يـصـيرـوا إذا قـدـموـا بـعـدـادـ إلىـ الجـزـيرـةـ التيـ حـذـاءـ دـارـ مـحـمـدـ بنـ عـبـدـ اللهـ بنـ طـاهـرـ ، ولا يـصـيرـوا إلىـ الجـسـنـ ، فـيـرـعـبـواـ العـامـةـ بـدـخـولـهـمـ ، فـفـعـلـواـ وـصـارـواـ إـلـىـ الجـزـيرـةـ ، فـنـزـلـواـ عنـ دـوـابـهـمـ ، فـوـجـهـتـ إـلـيـهـمـ زـوـارـيقـ حـتـىـ عـبـرـواـ فـيـهاـ ، فـصـعـدـ كـلـبـاتـكـينـ وـبـأـيـكـباـكـ وـقـوـادـ منـ أـهـلـ الدـورـ وـأـرـنـاتـجـورـ التـرـكـيـ ، فـدـخـلـواـ عـلـىـ الـمـسـتـعـينـ ، فـرـمـوـاـ بـأـنـفـسـهـمـ بـيـنـ يـدـيهـ ، وـجـعـلـواـ مـنـاطـقـهـمـ فـيـ أـعـنـاقـهـمـ تـذـلـلاـ وـخـضـوـعاـ ، وـكـلـمـواـ الـمـسـتـعـينـ وـسـأـلـوهـ الصـفـحـ عـنـهـمـ وـالـرـضـاـ ، فـقـالـ لـهـمـ : أـنـتـمـ أـهـلـ بـغـيـ وـفـسـادـ وـاسـتـقـالـلـ لـلـنـعـمـ ؟ أـلـمـ تـرـفـعـواـ إـلـيـ فـيـ أـوـلـادـكـمـ ، فـأـلـحـقـتـهـمـ بـكـمـ ؟ وـهـمـ نـحـوـ مـنـ الـنـيـ غـلامـ ، وـفـيـ بـنـاتـكـمـ فـأـمـرـتـ بـتـصـيـرـهـنـ فـيـ عـدـادـ الـمـتـرـوـجـاتـ وـهـنـ نـحـوـ مـنـ أـرـبـعـةـ آـلـافـ اـمـرـأـ فـيـ الـمـدـرـكـينـ وـالـمـولـودـيـنـ ! وـكـلـ هـذـاـ قـدـ أـجـبـتـكـمـ إـلـيـهـ ، وـأـدـرـزـتـ لـكـمـ الـأـرـزـاقـ حـتـىـ سـبـكـتـ لـكـمـ آـنـيـةـ الـذـهـبـ وـالـفـضـةـ ، وـمـنـعـتـ نـفـسـيـ لـذـتهاـ وـشـهـوـتهاـ ؛ كـلـ ذـلـكـ إـرـادـةـ لـصـلـاحـكـمـ وـرـضـاـكـمـ ؛ وـأـنـتـمـ تـزـدـادـونـ بـغـيـ وـفـسـادـاـ وـتـهـدـداـ وـإـبـعادـاـ(١)ـ !

فـتـضـرـعـواـ ، وـقـالـواـ : قـدـ أـخـطـأـنـاـ وـأـمـيرـ الـمـؤـمـنـينـ الصـادـقـ فـيـ كـلـ قـوـلـهـ وـنـحـنـ نـسـأـلـهـ الـعـفـوـ عـنـ الـصـفـحـ عـنـ رـَلـتـنـاـ ! فـقـالـ الـمـسـتـعـينـ : قـدـ صـفـحـتـ عـنـكـمـ وـرـضـيـتـ ؛ فـقـالـ لـهـ بـأـيـكـباـكـ : إـنـ كـنـتـ قـدـ رـضـيـتـ عـنـاـ وـصـفـحـتـ ، فـقـمـ فـارـكـ بـعـنـاـ إـلـىـ سـامـرـاـ ؛ إـنـ الـأـتـرـاكـ يـتـظـرـونـكـ ؛ فـأـوـمـاـ مـحـمـدـ بنـ عـبـدـ اللهـ إـلـىـ مـحـمـدـ بنـ أـبـيـ عـونـ ، فـلـكـزـ فـيـ حـلـقـ بـأـيـكـباـكـ ، وـقـالـ لـهـ مـحـمـدـ بنـ عـبـدـ اللهـ : هـكـذـاـ يـقـالـ لـأـمـيرـ الـمـؤـمـنـينـ ؛ قـُـمـ فـارـكـ بـعـنـاـ ! فـضـحـكـ الـمـسـتـعـينـ مـنـ ذـلـكـ ، وـقـالـ : هـؤـلـاءـ قـوـمـ عـَجـمـ ؛ لـيـسـ لـهـمـ مـعـرـفـةـ بـحـدـودـ الـكـلـامـ ، وـقـالـ لـهـمـ الـمـسـتـعـينـ ، تـصـيـرـوـنـ إـلـىـ سـامـرـاـ ، إـنـ أـرـزـاقـكـمـ دـارـةـ عـلـيـكـمـ ، وـانـظـرـ فـيـ أـمـرـيـ هـاـهـنـاـ وـمـقـامـيـ .

فـانـصـرـفـواـ آـيـسـيـنـ مـنـهـ ، وـأـغـضـبـهـمـ مـاـ كـانـ مـنـ مـحـمـدـ بنـ عـبـدـ اللهـ ، وـأـخـبـرـواـ مـنـ وـرـدـواـ عـلـيـهـ مـنـ الـأـتـرـاكـ خـبـرـهـمـ ، وـخـالـفـواـ فـيـمـاـ رـدـ عـلـيـهـمـ تـحـريـضاـ لـهـمـ عـلـىـ خـلـعـهـ

(١) مثل هذه التفاصيل وضمنها لا يثبت إلا بإسناد صحيح فكيف يعتمد عليه ولا إسناد له؟ (فيما ذكر).

والاستبدال به ، وأجمع رأيهم على إخراج المعتر والبيعة له ؛ وكان المعتر والمؤيد في حبس في الجوسوق في حُجْرَة صغيرة ، مع كُلَّ واحد منهما غلام يخدمه ؛ موكلُ بهم رجل من الأتراك يقال له عيسى خليفة بليار ومعه عدّة من الأعوان ، فأخرجوا المعتر من يومهم ، فأخذوا من شعره ، وقد كان بُويع له بالخلافة ؛ وأمر للناس بربض عشرة أشهر للبيعة ، فلم يتم المال ، فأعطوا شهرين لقلة المال عندهم .

وكان المستعين خلف بسامراً في بيت المال مما كان طلماجور وأساتكين القائدان قدما به من ناحية الموصل من مال الشأم نحواً من خمسة ألف دينار ؛ وفي بيت مال أم المستعين قيمة ألف ألف دينار ، وفي بيت مال العباس ابن المستعين قيمة ستمائة ألف دينار فذكر أن نسخة البيعة التي أخذت :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تبايعونَ عبد الله الإمام المعترَّ بالله أمير المؤمنين بيضة طَفْع واعتقاد ، ورضاً ورغبة وإخلاص من سرائركم ، وانشراح من صدوركم ، وصدق من نياتكم ؛ لا مكرهين ولا مجبرين ؛ بل مقررين عالمين بما في هذه البيعة وتأكيدها من تقوى الله وإيثار طاعته ، وإعزاز حقه ودينه ؛ ومن عموم صلاح عباد الله واجتماع الكلمة ، ولم الشعث ، وسكنون الدهماء ، وأمن العواقب ، وعز الأولياء ، وقمع الملحدين ؛ على أن أبا عبد الله المعترَّ بالله عبد الله وخليفتُه المفترض عليكم طاعته ونصيحته والوفاء بحقه وعهده ، لا تشکُون ولا تُدْهُنون ، ولا تميلون ولا ترتابون ، وعلى السمع والطاعة ، والمساعدة والوفاء ، والاستقامة والصيحة في السر والعلانية ، والخفوف والوقوف عند كل ما يأمر به عبد الله أبو عبد الله الإمام المعترَّ بالله أمير المؤمنين ؛ من موالة أوليائه ؛ ومعاداة أعدائه ؛ من خاصّ وعام ، و قريب وبعيد ، متمسكين بيبيعته بوفاء العَقد وذمة العهد ؛ سرائركم في ذلك كعالياتكم ، وضمائركم فيه كمثل ألسنتكم ، راضين بما يرضى به أمير المؤمنين بعد بعيتكم هذه على أنفسكم ، وتأكيدكم إياها في أعناقكم صفةً ، راغبين طائعين ؛ عن سلامة من قلوبكم وأهوائكم ونياتكم ، وبولاية عهد المسلمين لإبراهيم المؤيد بالله أخي أمير المؤمنين ، وعلى ألا تسعوا في نقض شيء مما أكد عليكم ، وعلى ألا يميل بكم في ذلك مميل عن نصرة وإخلاص

وموالاة؛ وعلى ألا تبدّلوا ولا تغتروا ، ولا يرجع منكم راجع عن بيته وانطوابه على غير علانيته؛ وعلى أن تكون بيعتكم التي أعطيتموها بالاستكم وعهودكم بيعةً يطلّع الله من قلوبكم على اجتبائها واعتمادها . وعلى الوفاء بذمة الله فيها ، وعلى إخلاصكم في نصرتها وموالاة أهلها؛ لا يشوب ذلك منكم نفاق ولا إدهان ولا تأول؛ حتى تلقوا الله موافقين بعهده ، مؤذين حقّه عليكم ، غير مستربين ولا ناكثين؛ إذ كان الذي يباعون منكم أمير المؤمنين بيعة خلافته وولاية العهد من بعده لإبراهيم المؤيد بالله أخي أمير المؤمنين : ﴿إِنَّمَا يَبَايِعُونَ اللَّهَ يَدْ أَلَّهُ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ، وَمَنْ أَوْفَ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

عليكم بذلك وبما أكدت عليكم به هذه البيعة في أعناقكم ، وأعطيتم بها من صفة أيمانكم ، وبما اشترط عليكم من وفاء ونصرة وموالاة واجتهداد ، وعليكم عهد الله إنّ عهده كان مسؤولاً وذمة الله عزّ وجلّ وذمة محمد ﷺ ، وما أخذ الله على أنبيائه ورسله ، وعلى أحد من عباده من مواكيده ومواثيقه؛ أن تسمعوا ما أخذ عليكم في هذه البيعة ولا تبدّلوا ولا تميلوا وأن تمسكوا بما عاهدتم الله عليه تمسك أهل الطاعة بطاعتكم ، وذوي الوفاء والعهد بوفائهم ، ولا يلفتكم عن ذلك هوىً ولا ميلً ، ولا يُرْيغ قلوبكم فتنة أو ضلاله عن هُدّي ، باذلين في ذلك أنفسكم واجتهدكم ، ومقدّمين فيه حق الدين والطاعة والوفاء بما جعلتم على أنفسكم؛ لا يقبل منكم في هذه البيعة إلا الوفاء بها .

فمن نكث منكم ممّن بايع أمير المؤمنين وولي عهد المسلمين أخا أمير المؤمنين هذه البيعة على ما أخذ عليكم ، مسراً أو معلناً ، مصرحاً أو محتملاً أو متّأولاً؛ وادهن فيما أعطى الله من نفسه ، وفيما أخذ عليه من مواقيط الله وعهوده ، وزاغ عن السبيل التي يعتصم بها أولو الرأي؛ فكلّ ما يملك كلّ واحد منكم من خترت في ذلك منكم عهده ، من مال أو عقار أو سائمة أو زرع أو ضرع صدقة على المساكين في وجوه سبيل الله ، محبوس محروم عليه أن يُرجع شيئاً من ذلك إلى ماله؛ عن حيلة يقدمها لنفسه ، أو يحتال له بها؛ وما أفاد في بقية عمره من فائدة مال يقلّ خطرها أو يجلّ؛ فذلك سبيلها ، إلى أن توافيه ميتته ، ويأتي عليه أجله ، وكلّ مملوك يملكه اليوم وإلى ثلاثين سنة؛ ذكر أو أنثى ، أحرار لوجه الله ، ونساؤه يوم يلزمها فيه الحجّث ومن يتزوج بعدهن إلى ثلاثين سنة طوالق طلاق

الحرج؛ لا يقبل الله منه إلا الوفاء بها؛ وهو بريء من الله ورسوله ، والله ورسوله منه بريئان؛ ولا قبل الله منه صرفاً ولا عدلاً؛ والله عليكم بذلك شهيد ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وأحضر - فيما ذكر - البيعة أبو أحمد بن الرشيد وبه التفاصي محمولاً في محفظة؛ فأمر بالبيعة فامتنع؛ وقال للمعتز: خرجت إلينا خروج طائع فخلعتها ، وزعمت أنك لا تقوم بها ، فقال المعتز: أكرهت على ذلك وخفت السيف ، فقال أبو أحمد: ما علينا أنك أكرهت؛ وقد باينا هذا الرجل؛ فترى أن نطلق نساعنا ، ونخرج من أموالنا ، ولا ندرى ما يكون! إن تركتني على أمري حتى يجتمع الناس؛ وإلا فهذا السيف ، فقال المعتز: اتركوه ، فُرِّدَ إلى منزله من غير بيعة .

وكان من بايع إبراهيم الديري وعتاب بن عتاب ، فهرب فصار إلى بغداد ، وأما الديري فخلع عليه ، وأقر على الشرطة ، وخُلع على سليمان بن يسار الكاتب ، وصُرِّ على ديوان الضياع ، وأقام يومه يأمر وينهى وينفذ الأعمال ، ثم توأى في الليل ، وصار إلى بغداد .

ولما بايع الأتراك المعتز ولـى عماله ، فولى سعيد بن صالح الشرطة ، وجعفر بن دينار الحرس ، وجعفر بن محمود الوزارة ، وأبا الحمار ديوان الخراج؛ ثم عزل وجُعل مكانه محمد بن إبراهيم منقار ، وولي ديوان جيش الأتراك المعروف بأبي عمر كاتب سينا الشرابي ، وولى مقلداً كـنـد الكلب أخا أبي عمر بيت الأموال وإعطاء الأتراك والمغاربة والشاكريـة ، وولـى بـرـيد الآفاق والخاتم سينا الساربـاني واستـكـتبـ أـبـاـ عـمـرـ؛ فـكـانـ فـيـ حدـ الـوزـارـةـ .

ولما اتصـلـ بـمـحمدـ بـنـ عـبدـ اللهـ خـبـرـ الـبيـعةـ لـلـمعـتـزـ وـتـوجـيهـ الـعـمـالـ ، أمر بـقـطـعـ المـيـرةـ عنـ أـهـلـ سـامـرـاـ ، وـكـتـبـ إـلـىـ مـالـكـ بـنـ طـوـقـ فـيـ المـصـيرـ إـلـىـ بـغـدـادـ هـوـ وـمـنـ معـهـ مـنـ أـهـلـ بـيـتـهـ وـجـنـدـهـ ، إـلـىـ نـجـوـبـةـ بـنـ قـيـسـ وـهـوـ عـلـىـ الـأـنـبـارـ فـيـ الـاحـشـادـ وـالـجـمـعـ ، إـلـىـ سـلـيـمانـ بـنـ عـمـرـانـ الـمـوـصـلـيـ فـيـ جـمـعـ أـهـلـ بـيـتـهـ وـمـنـ السـفـنـ أـوـ شـيـءـ مـنـ الـمـيـرةـ أـنـ يـنـحـدـرـ إـلـىـ سـامـرـاـ ، وـمـنـعـ أـنـ يـصـعـدـ شـيـءـ مـنـ الـمـيـرةـ مـنـ بـغـدـادـ إـلـىـ سـامـرـاـ ، وـأـخـذـتـ سـفـيـنةـ فـيـهاـ أـرـزـ وـسـقـطـ ، فـهـرـبـ الـمـلـاـحـ مـنـهـاـ وـبـقـيـتـ السـفـيـنةـ حـتـىـ غـرـقـتـ ، وـأـمـرـ الـمـسـتـعـينـ مـحـمـدـ بـنـ عـبدـ اللهـ بـنـ طـاـهـرـ بـتـحـصـيـنـ بـغـدـادـ؛ فـتـقـدـمـ فـيـ ذـلـكـ ؛ فـأـدـيـرـ عـلـيـهـ السـوـرـ مـنـ دـجـلـةـ مـنـ بـابـ الشـمـاسـيـةـ إـلـىـ سـوـقـ الـثـلـاثـاءـ حـتـىـ

أورده دخلة من باب قطيبة أم جعفر ، حتى أورده قصر حميد بن عبد الحميد ، ورتب على كلّ باب قائداً في جماعة من أصحابه وغيرهم وأمر بحفر الخنادق حول السورين كما يدوران في الجانبين جميعاً ومظلات يأوي إليها الفرسان في الحرّ والأمطار ؛ فبلغت النفقـة - فيما ذكر - على السورين وحفر الخنادق والمظلات ثلاثمائة ألف دينار وثلاثين ألف دينار ؛ وجعل على باب الشمايسية خمس شدّاـخات بعرض الطريق ؛ فيها العوارض والألواح والمسامير الطوال الظاهرة ، وجعل من خارج الباب الثاني باب معلق بمقدار الباب ثخين ، قد أليس بصفائح الحديد ، وشدّ بالحبال كي إن وافى أحد ذلك الباب أرسل عليه الباب المعلق ، فقتل من تحته ، وجعل على الباب الداخل عرادة ، وعلى الباب الخارج خمسة مجانيق كبار ؛ وفيها واحد كبير سموه الغضبان ، وست عرادات ترمي بها إلى ناحية رقة الشمايسية ؛ وصُرِّ على باب البردان ثماني عرادات في كلّ ناحية أربع ، وأربع شدّاـخات وكذلك على كلّ باب من أبواب بغداد في الجانب الشرقي والغربي ، [وجعل على كلّ باب من أبوابها قواداً برجالهم] وجعل لكلّ باب من أبوابها دهليزاً بسقائف تسع مئة فارس ومئة راجل ؛ ولكل منجنيق وعرادة رجالاً مرتبين يمدّون بحباله ، ورامياً يرمي إذا كان القتال ، وفرض فروضاً ببغداد ومرّ قوم من أهل خراسان قدموا حجاجاً ، فسألوا المعونة على قتال الأتراك ، فأعينوا ، وأمر محمد بن عبد الله بن طاهر أن يفرض من العيارين فرض ، وأن يجعل عليهم عريف ، ويُعمل لهم تراس من البواري المقيرة ، وأن يجعل لهم مخالٍ تملأ حجارة ، ففعل ذلك وتولى - فيما ذكر - عمل البواري المقيرة محمد بن أبي عون ، وكان الرجل منهم يقوم خلف البارية فلا يُرى منها . عملت نسائجات ، أنفق عليها زيادة على مئة دينار ؛ وكان العريف على أصحاب البواري المقيرة من العيارين رجالاً يقال له يتوئه ، وكان الفراغ من عمل سور يوم الخميس لسبع بقين من المحرم .

وكتب المستعين إلى عمّال الخراج بكل بلدة وموضع أن يكون حملهم ما يحملون من الأموال إلى السلطان إلى بغداد ، ولا يحملون إلى سامراً شيئاً ؛ وإلى عمّال المعاون في ردّ كتب الأتراك ، وأمر بالكتاب إلى الأتراك والجند الذين بسامراً يأمرهم بتنقض بيعة المعتز ومراجعة الوفاء ببيعتهم إياه ، ويدركهم أياديهم

عندهم ، وينهاهم عن معصيته ، ونُكث بيته ؛ وكان كتابه بذلك إلى سيماء الشرياني .

ثم جرت بين المعتز ومحمد بن عبد الله بن طاهر مكاتبات ومراسلات ، يدعو المعتز محمداً إلى الدخول فيما دخل فيه مَنْ بايده بالخلافة وخلع المستعين ، ويذكره ما كان أبوه المتوكل أخذ له عليه بعد أخيه المنتصر من العَهْد وعقد الخلافة ، ودعوة محمد بن عبد الله المعتز إلى ما عليه من الأوبة إلى طاعة المستعين ، واحتجاج كلّ واحد منها على صاحبه فيما يدعوه إليه من ذلك بما يراه حُجَّة له ؛ تركت ذكرها كراهة الإطالة .

وأمر محمد بن عبد الله بكسر القناطير وبثق المياه بتسوّج الأنبار وما قرب منه من طسوج بادوريا ، ليقطع طريق الأتراك حين تخوف من ورودهم الأنبار .

وكان الذي تولى ذلك نجوية بن قيس ومحمد بن حمد بن منصور السعدي .

وبلغ محمد بن عبد الله توجيه الأتراك لاستقبال الشمسة التي كانت مع البيئونق الفرغانية مَنْ يحميها من أصحابه ، فوجه محمد ليلة الأربعاء عشر بقين من المحرم خالد بن عمران وبيندار الطبرى إلى ناحية الأنبار .

ثم وجّه بعدهما رشيد بن كاوس ، فصادفوا البيئونق ومَنْ معه من الأتراك والمغاربة ، وطالبهم خالد وبيندار بالشمسة ، فصار البيئونق وأصحابه مع خالد وبيندار إلى بغداد إلى المستعين .

وكان محمد بن الحسن بن جياويه الكردي يتولى معونة عُكباء ؛ وكان على الراذان رجل من المغاربة قد اجتمع عنده مالٌ ، فتوّجه إليه ابن جيلويه ، ودعاه إلى حمل مال الناحية ، فامتنع عليه ، ونَصَبَ له الحرب ؛ فأسر ابن جيلويه المغربي ، وحمله إلى باب محمد بن عبد الله ، ومعه من مال الناحية اثنا عشر ألف دينار وثلاثون ألف درهم ؛ فأمر محمد بن عبد الله لابن جيلويه بعشرة آلاف درهم ، وكتب كلّ واحد من المستعين والمُعْتَز إلى موسى بن بغا ، وهو مقيم بأطراف الشأم قرب الجزيرة - وكان خرج إلى حِمْص لحرب أهلها - يدعوه إلى نفسه ، وبعث كلّ واحد منها إليه بعدة ألوية يعقدها لمن أحبّ ، ويأمره المستعين بالانصراف إلى مدينة السلام ، ويستخلف على عمله من رأى ،

فانصرف إلى المعترض وصار معه ، وقدم عبد الله بن بُغا الصغير بغداد على أبيه ؛ وكان قد تخلف بسامراً حين خرج أبوه منها مع المستعين ، وصار إلى المستعين ، فاعتذر إليه وقال لأبيه : إنما قدمت إليك لأموت تحت ركبك ، وأقام ببغداد أيامًا ، ثم استأذن ليخرج إلى قرية بقرب بغداد على طريق الأنبار ، فأذن له ؛ فأقام فيها إلى الليل ، ثم هرب من تحت ليلته ، فمضى في الجانب الغربي إلى سامراً مجانبًا لأبيه وممالئًا عليه ؛ واعتذر إلى المعترض من مصيره إلى بغداد ، وأخبره أنه إنما صار إليها ليعرف أخبارهم ، وليسير إليه فيعرفه صحتها ، فقبل ذلك منه ، ورده إلى خدمته .

وورد الحسن بن الأفسين بغداد ، فخلع عليه المستعين ، وضم إليه من الأشرفية وغيرهم جماعة كثيرة ، وزاد في أرزاقه ستة عشر ألف درهم في كل شهر^(١) .

ولم يزل أسد بن داودسياه مقیماً بسامراً ، حتى هرب منها ، فذكر أنّ الأتراك بعثوا في طلبه إلى ناحية الموصل والأنبار والجانب الغربي في كل ناحية خمسين فارساً ، فوافى مدينة السلام ؛ فدخل على محمد بن عبد الله ، فضم إليه من أصحاب إبراهيم الديريج مئة فارس ومئتي راجل ، ووكله بباب الأنبار مع عبد الله بن موسى بن أبي خالد .

وعقد المعترض لأخيه أبي أحمد بن المتكى يوم السبت لسبعين من المحرم من هذه السنة - وهي سنة إحدى وخمسين ومئتين - على حرب المستعين وابن طاهر ، وولاه ذلك ، وضم إليه الجيش ، وجعل إليه الأمرا والنهاي ، وجعل التدبیر إلى كلباتكين التركي ، فعسكر بالقاطلوب في خمسة آلاف من الأتراك والفراغنة وألفين من المغاربة ، وضم المغاربة إلى محمد بن راشد المغربي ، فوافوا عُكّباء ليلة الجمعة للليلة بقيت من المحرم؛ فصلّى أبو أحمد ، ودعا للمعترض بالخلافة؛ وكتب بذلك نسخاً إلى المعترض؛ فذكر جماعة من أهل عُكّباء أنهم رأوا الأتراك والمغاربة وسائر أتباعهم؛ وهم على خوف شديد ، يرون أنّ محمد بن عبد الله قد خرج إليهم فسبقهم إلى حربهم ، وجعلوا ينتهبون القرى

(١) انظر المتنظم (٤٤/١٢).

ما بين عُكّباء ، وبغداد وأوانا وسائر القرى من الجانب الغربي ، تخوّفاً على أنفسهم وخلوا عن الغلّات والضياع؛ فخرّبت الضياع ، وانهت الغلّات والأمتعة وهدّمت المنازل ، وسلّب الناس في الطريق^(١).

ولما وافى أبو أحمد عُكّباء ومن معه خرج جماعة من الأتراك الذين كانوا مع بغا الشرابي بمدينة السلام من مواليه ، والمضمومين إليه ، فهربوا ليلاً ، فاجتازوا بباب الشّمامية؛ وكان على الباب عبد الرحمن بن الخطاب ، ولم يعلم بخبرهم؛ وبلغ محمد بن عبد الله ذلك ، فأنكره عليه وعنقه وتقدّم في حفظ الأبواب وحراستها والنفقة على من يتولاها.

ولما وافى الحسن بن الأفشين مدينة السلام وكلّ بباب الشّمامية.

ثم وافى أبو أحمد وعسّكره الشّمامية ليلة الأحد لسبعين خلون من صفر ، ومعه كاتبه محمد بن عبد الله بن بشر بن سعد المرثدي ، وصاحب خبر العسّكر من قبيل المعترّ الحسن بن عمرو بن قماش ومن قيله ، صاحب خبر له يقال له جعفر بن أحمد البناي ، يعرف بابن الخبازة ، فقال رجل من البصريين كان في عسّكره ويعرف بباذنجانة :

يَا بْنَى طَاهِر أَتَكُمْ جَنُودُ اللَّهِ — وَالْمَوْتُ بَيْنَهَا مَشْوُرٌ
وَجِيُوشُ أَمَامَهُنَّ أَبُو أَحْمَدَ — دَنْعَمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرِ
وَلَمَّا صَارَ أَبُو أَحْمَدَ بِبَابِ الشّامِيَّةِ وَلَى الْمُسْتَعِنِ الْحَسِينِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بِبَابِ
الشّامِيَّةِ ، وَصَيَّرَ مَنْ هُنَاكَ مِنَ الْقَوَادِ تَحْتَ يَدِهِ؛ فَلَمْ يَزِلْ مَقِيمًا هُنَاكَ مَدَّةَ الْحَرَبِ
إِلَى أَنْ شَخْصًا إِلَى الْأَنْبَارِ؛ فَوَلَى مَكَانَهُ إِبْرَاهِيمَ بْنَ إِسْحَاقَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ؛ وَلَثَلَاثَ
عَشْرَةَ مَضْيًّا مِنْ صَفَرٍ؛ صَارَ إِلَى مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ جَاسُوسَ لَهُ؛ فَأَعْلَمَهُ أَنَّ
أَبَا أَحْمَدَ قَدْ عَيَّ قَوْمًا يَحْرُقُونَ ظَلَالَ الْأَسْوَاقِ مِنْ جَانِبِيِّ بَغْدَادٍ، فَكُشِطَتْ فِي ذَلِكَ
الْيَوْمِ .

وذكر أنّ محمد بن عبد الله وجّه محمد بن موسى المنجم والحسين بن إسماعيل ، وأمرهما أن يخرجوا من الجانب الغربي ، وأن يرتفعا حتى يجاوزا

(١) انظر المتنظم (٤٥/١٢) وقد علق ابن كثير على هذه الفتنة قائلاً: ثم جرت بينهما حروب طويلة وفتنة مهولة جداً قد ذكرها ابن جرير مطولة [البداية والنهاية ٨/٢١٩].

عسكر أبي أحمد ويحرّرا: كم في عسكره؟ فزعم محمد بن موسى أنه حَرَّهم ألفي إنسان ، معهم ألف دابة؛ فلما كان يوم الإثنين عشر خلون من صفر وافت طلائع الأتراك إلى باب الشماسية ، فوقوا بالقرب منه؛ فوجّه محمد بن عبد الله الحسين بن إسماعيل والشاه بن ميكال وبندار الطبرى فيمن معهم؛ وعزم على الركوب لمقاتلتهم ، فانصرف إليه الشاه ، فأعلمه أنه وافى بمَنْ معه بباب الشماسية .

فلما عاين الأتراك الأعلام والرايات وقد أقبلت نحوهم انصرفوا إلى معسكرهم؛ فانصرف الشاه والحسين ، وترك محمد الركوب يومئذ.

فلما كان يوم الثلاثاء لإحدى عشرة ليلة خلت من صفر عزم محمد بن عبد الله على توجيه الجيوش إلى القُucus ليعرض جنده هنالك ، ويرهب بذلك الأتراك؛ وركب معه وصيف وبغا في الدُّروع ، وعلى محمد درع ، وفوق الدرع صدرة من درع طاهر؛ وعليه ساعد حديد؛ ومضى معه بالفقهاء والقضاة ، وعزم على دعائهم إلى الرجوع عما هم عليه من التمادي في الطغيان واللجاج والعصيان ، وبعث يبذل لهم الأمان على أن يكون أبو عبد الله ولِي العهد بعد المستعين؛ فإنْ قبلوا الأمان وإنما باكرهم بالقتال يوم الأربعاء لاثنتي عشرة ليلة تخلو من صفر؛ فمضى نحو باب قُطربيل ، فنزل على شاطئ دجلة هو ووصيف وبغا ، ولم يمكنه التقدّم لكثرة الناس؛ وعارضهم من جانب دجلة الشرقي محمد بن راشد المغربي.

ثم انصرف محمد؛ فلما كان من الغد وافته رسائل عبد الرحمن بن الخطاب وجه الفلس وعلّك القائد ومن معهما من القواد ، يعلمه أنّ القوم قد دنوا منهم ، وأنهم قد رجعوا إلى عسكрем إلى رقة الشماسية ، فنزلوا وضربوا مضاربهم فأرسل إليهم لا تبُدو لهم ، وإن قاتلوكم فلا تقاتلوهم؛ وادفعوهم اليوم ، فوافى بباب الشماسية اثنا عشر فارساً من عسكر الأتراك - وكان على باب الشماسية باب وسرّاب وعلى السرّاب باب ، فوق الاثنا عشر الفارس بإزاء الباب ، وشتموا مَنْ عليه ، ورموا بالسهام ، ومن بباب الشماسية سكت عنهم؛ فلما أكثروا أمر علّك صاحب المنجنيق أن يرميهم؛ فرميهم فأصاب منهم رجالاً فقتلهم؛ فنزل أصحابه إليه ، فحملوه وانصرفوا إلى عسكрем بباب الشماسية .

وقدم عبد الله بن سليمان خليفة وصيف التركى الموجّه إلى طريق مكة لضبط

الطريق مع أبي الساج في ثلثة رجال من الشاكرية ، فدخل على محمد بن عبد الله ، فخلع عليه خمس خلع ، وعلى آخر من معه أربع خلع.

ودخل أيضاً في هذا اليوم رجل من الأعراب من أهل الشعلبية يطلب الفرض معه خمسون رجلاً ، وورد الشاكرية القادمون من سامراً من قيادات شتى ؛ وهم أربعون رجلاً ، فأمر بإعطائهم وإنزالهم فأعطوا.

ووافي الأتراك في هذا اليوم بباب الشعماستية ، فرموا بالسهام والمنجنيق والعرادات ؛ وكان بينهم قتلى وجراحى كثير ؛ وكان الأمير الحسين بن إسماعيل لمحاربتهم ، ثم أمد بأربعمائة رجل من الملطيين مع رجل يعرف بأبي السناء الغنوي [وهو ابن أخت الهيثم الغنوي] ثم أمدهم بقوم من الأعراب نحو من ثلثة رجال ، وحمل في هذا اليوم من الصلات لمن أبلى في الحرب خمسة وعشرين ألف درهم ، وأطروحة وأسورة من ذهب ؛ فصار ذلك إلى الحسين بن إسماعيل وعبد الرحمن بن الخطاب وعلّك ويحيى بن هرثمة والحسن بن الأفشين وصاحب الحرب الحسين بن إسماعيل ، فكان الجرحى من أهل بغداد أكثر من مئتي إنسان ، والقتلى عدة ، وكذلك الجراحات في الأتراك والقتلى أكثرهم بالمجانيق ؛ وانهزم أكثر عامة أهل بغداد ، وثبت أصحاب البواري وانصرفوا جمياً ، وهم في القتلى والجرحى شبيه بالسواء ؛ وجُرح من هؤلاء - فيما ذكر - مئتان ، ومن هؤلاء مئتان ، وقتل جماعة من الفريقين .

وجاء كردوس من الفراغنة والأتراك في هذا اليوم إلى باب خراسان من الجانب الشرقي ليدخلوا منه ، وأتى الصريخ محمد بن عبد الله ، وثبت لهم المبيضة والغوغاء فردوهم ، وقد كان محمد أمر أن يُمحَر تلك الناحية ؛ فلما أرادوا الانصراف ، وحلّت عامة دوابهم ، ونجا أكثرهم ، أحضر الأتراك منجنيقاً ، فغلبهم الغوغاء عليه والمبيضة ، وكسروا قائمة من قوائمها ، وقتل اثنان من الشاشية من الحجاج ، وأمر بحمل الآجر من قصر الطين وتلك الناحية إلى باب الشعماستية ؛ وفتحوا بباب الشعماستية ، وأخرجوا إلى الآجر من لقطه ، وردوه إلى هذا الجانب من السور .

وكان محمد بن عبد الله اتصل به أن جماعة من الأتراك قد صاروا إلى ناحية النهروان ، فوجّه قائدين من قواده يقال لهما عبد الله بن محمود السرخيسي

ويحيى بن حفص المعروف بحبوس في خمسة من الفرسان والرجال إلى هذه الناحية ، ثم أردهم بسبعينة رجل أيضاً ، وأمرهم بالمقام هناك ؛ ومنع منْ أراده من الأتراك ؛ فتوّجَه آخرهم إلى هذه الناحية يوم الجمعة لسبعين خلون من صفر .

فلما كان ليلة الإثنين لثلاث عشرة بقيت من صفر ، صار قوم من الأتراك إلى النهروان ، فخرج جماعة من كان مع عبد الله بن محمود ، فرجعوا هرباً ، وأخذت دوابهم ، وانصرف منْ نجا منهم إلى مدينة السلام مفلولين ، وقتل زهاء خمسين رجلاً ، وأخذوا ستين دابة ، وعدة من البغال قد كانت جاءت من ناحية خلوان عليها الثلج ، فوجّهوا بها إلى سامراً ، ووجهوا برؤوس منْ قتلوا من الجندي ، فكانت أول رؤوس وافت في تلك الحرب سامراً .

وانصرف عبد الله بن محمود مفلولاً في شرذمة ، وصار طريق خراسان في أيدي الأتراك ، وانقطع الطريق من بغداد إلى خراسان .

وكان إسماعيل بن فراشة وجّه إلى همدان للمقام بها ، فكتب إليه بالانصراف ، فانصرف ، فأعطيه هو وأصحابه استحقاقهم .

ووجّه المعتز عسكراً من الأتراك والمغاربة والفراغنة ومنْ هو في عدادهم ، وعلى الأتراك والفراغنة الدرغاني الفرغاني ، وعلى المغاربة ربلة المغربي ، فساروا إلى مدينة السلام من الجانب الغربي ، فجازوا قطربل إلى بغداد ، وضربوا عسكراً بين قطربل وقطيعة أم جعفر ؛ وذلك عشية الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من صفر .

فلما كان يوم الأربعاء من غد هذه الليلة ، وجّه محمد بن عبد الله بن طاهر الشاه بن ميكال من باب القطيعة وبنداراً وخالد بن عمران فيمن معهم من أصحابهم من الفرسان والرجال ، فصافهم الشاه ، وأصحابه ، فتراموا بالحجارة والسهام ، وألجموا الشاه إلى مضيق عند باب القطيعة ، وكثُر المبيضة من أهل بغداد ، ثم حمل الشاه والمبيضة حملة واحدة أزالوا بها الأتراك والمغاربة ومنْ معهم عن موضعهم ، وحمل عليهم المبيضة ، وأصرحوا بهم ، وحمل عليهم الطبرية فخالطوه؛ وخرج عليهم بندار وخالد بن عمران من الكمين ؛ وكانوا كمنوا في ناحية قطربل ، فوضعوا في أصحاب أبي أحمد الأتراك منهم وغيرهم السيف ، فقتلواهم أربع قتل؛ فلم يقتل منهم إلا القليل ، وانتهت المبيضة

عسکرهم وما كان فيه من المتع والأهل والأثقال والمضارب والحرثي ، فكلّ من أفلت منهم من السيف رمى بنفسه في دجلة ليعبر إلى عسکر أبي أحمد؛ فأخذه أصحاب الشيارات ، وكانت الشيارات قد شحنت بالمقاتلة - فقتلوا وأسروا وجعل القتل والرؤوس من الأتراك والمغاربة وغيرهم في الزواريق ، فنصبت بعضها في الجسرين؛ وعلى باب محمد بن عبد الله؛ فأمر محمد بن عبد الله لمن أبلى في هذا اليوم بالأسورة ، فسُوّر قوم كثير من الجناد وغيرهم ، فطلب المنهزمة ، فبلغ بعضهم أواناً ، وبلغ بعضهم ناحية عسکر أبي أحمد عبر دجلة ، وبعضهم نفذ إلى سامراً.

وذكر أن عسکر الأتراك يوم هزموا بباب القطعية كانوا أربعة آلاف ، فقتل منهم يوم الواقعة هنالك ألفان؛ وكان وضع فيهم بالسيف من باب القطعية إلى القفص ، فقتلوا مَنْ قتلوا ، وغرق مَنْ عُرق ، وأسر منهم جماعة ، فخلع محمد بن عبد الله على بندار أربع خلع ملحم ، ووشي وسود وخر ، وطوقه طوقاً من ذهب ، وخلع على أبي السناء أربع خلع ، وعلى خالد بن عمران وجميع القواد ، كلّ رجل أربع خلع ، وكان انصارفهم من الواقعة مع المغرب ، وسُخِرت البغال ، وأخذ لها الجوابي لتحمل فيها الرؤوس إلى بغداد.

وكان كلّ مَنْ وافى دار محمد برأس تركي أو مغربي أعطوه خمسين درهماً وكان أكثر ذلك العمل للمبيضة والعيارين ، ثم وافى عيار وبغداد قُطُريل ، فانتهبا ما تركه الأتراك من متع أهل قُطُريل وأبواب دورهم؛ فوجّه محمد في آخر هذا اليوم أخيه أبي أحمد عبيد الله بن عبد الله والمظفر بن سيسيل في أثر المنهزمين حياة لأهل بغداد؛ لأنّه لم يأمن رجعتهم عليه فبلغوا القفص ، وانصرفا سالمين ، وزعوا مَنْ أقام من الرجال والعيارين بناحية قُطُريل ، وأشار على محمد بن عبد الله أن يتبعهم بعسکر في اليوم الثاني وفي تلك الليلة ، ليوغل في آثارهم ، فأبى ذلك ولم يتبع مولياً ، ولم يأمر أن يجهز على جريح ، وقيل أمان من استأمن ، وأمر سعيد بن حميد فكتب كتاباً يذكر فيه هذه الواقعة؛ فقرىء على أهل بغداد في مسجد جامعها ، نسخته:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أما بعد؛ فالحمد لله المنعم فلا يبلغ أحد شكر نعمته ، والقادر فلا يعارض في قدرته ، والعزيز فلا يغالب في أمره ، والحكم العدل فلا يردد حكمه ، والناصر فلا يكون نصره إلا للحق وأهله ، والمالك لكل شيء فلا يخرج أحد عن أمره ، والهادي إلى الرحمة فلا يضل من انقاد لطاعته ، والمقدم إعذاره ليظاهر به حجته؛ الذي جعل دينه لعباده رحمة ، وخلافته لدينه عصمة ، وطاعة خلفائه فرضاً واجباً على كافة الأمة؛ فهم المستحفظون في أرضه على ما بعث به رسليه ، وأمناؤه على خلقه فيما دعاهم إليه من دينه ، والحاملون لهم على منهاج حقه؛ لئلا يتشعب بهم الطريق إلى المخالفة لسبيله ، والهادي لهم إلى صراطه؛ ليجمعهم على الجادة التي ندب إليها عباده الذين بهم يُحمي الدين من الغواة والمخالفين؛ محتاجين على الأمم بكتاب الله الذي استعملهم به ، ودعا الأمة بحق الله الذي اختارهم له؛ إن جاهدوا كانت حجة الله معهم ، وإن حاربوا حكم بالنصر لهم ، وإن بغاتهم عدوًّا كانت كفایة الله حائلة دونهم ومعقلًا لهم ، وإن كادهم كائد فالله من وراء عنهم ، نَصَبَهُمُ الله لِإعْزَازِ دِينِهِ؛ فمن عادهم فإنما عادى الدين الذي أعزه وحرسه بهم ، ومن ناوأهُمْ فإنما طعن على الحق الذي يكلوه بحراستهم جيوشهم بالتصـر والعز منصورة ، وكتائبهم سلطان الله من عدوهم محفوظة ، وأيديهم عن دين الله دافعة ، وأشياعهم بتناصرهم في الحق عاليه ، وأحزاب أعدائهم ببعيدهم مجموعـة ، وحاجتهم عند الله وعند خلقـه داحضـة ، ووسائلـهم إلى النـصر مردودـة؛ تجمـعـهم مواطنـ التـحاكمـ ، وأحكـامـ الله بـخذـلانـهم واقـعةـ ، وأقدـارـه بإسلامـهم إلى أولـيـائـهـ جـارـيةـ ، وعادـاتـهمـ في الأمـمـ السـالـفةـ والـقـرـونـ الـخـالـيةـ مـاضـيـةـ؛ ليـكونـ أـهـلـ الحـقـ عـلـىـ ثـقـةـ منـ إـنجـازـ سـابـقـ الـوـعـدـ ، وأـعـداـوـهـ مـحـجـوبـونـ بـمـاـ قـدـمـ إـلـيـهـمـ منـ إـنـذـارـ ، مـعـجـلـةـ لـهـمـ نـقـمةـ اللهـ بـأـيـديـ أولـيـائـهـ ، مـعـدـ لـهـمـ العـذـابـ عـنـ رـبـهـمـ ، وـالـخـزـيـ مـوـصـولـ بـنـوـاصـيـهـمـ فيـ دـنـيـاهـ ، وـعـذـابـ الـآـخـرـةـ مـنـ وـرـائـهـمـ وـمـاـ اللهـ بـظـلـامـ لـلـعـبـيدـ.

وصلـىـ اللهـ عـلـىـ نـبـيـهـ الـمـصـطـفـىـ ، وـرـسـوـلـهـ الـمـرـتـضـىـ ، وـالـمـنـقـذـ مـنـ الصـلـالـةـ إـلـىـ الـهـدـىـ ، صـلـاةـ تـامـةـ نـامـيـةـ بـرـكـاتـهـ ، دائـمـةـ اـتـصالـهـ ، وـسـلـمـ تـسـليمـاـ.

والحمد لله تواضعاً لعظمته ، والحمد لله إقراراً بربوبيته ، والحمد لله اعترافاً
بقصور أقصى منازل الشكر عن أدنى منزلة من منازل كرامته ، والحمد لله الهادي
إلى حَمْدِهِ والموجب به مزيده ، والمحصي به عوائد إحسانه ، حمدًا يرضاه
ويتقبله ، ويوجب طوله وإفضاله ، والحمد لله الذي حكم بالخذلان على مَنْ بَغَى
على أهل دينه ، وسبق وعده بالنصر لمن بُغى عليه من أنصار حقه .

وأنزل بذلك كتابه العزيز ، موعدةً للباغين ؛ فإن أفلعوا كانت التذكرة نافعة لهم ، والحججة عند الله لمن قام بها فيهم ، ثم أوجب بعد التذكرة والإصرار جهادهم ، فقال فيما قدّم من وعده ، وأبان من برهانه : ﴿شَمَّ بُرْنَى عَلَيْهِ لِيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ﴾ ، وعداً من الله حقاً نهى به أعداءه عن معصيته ، وثبت به أولياءه على سبيله ؛ والله لا يخلف الميعاد .

ولله عند أمير المؤمنين - في رئيس دعوته ، وسيف دولته ، والمحامي عن سلطانه ، ومحل ثقته ، والمتقدم في طاعته ، ونصيحته لأولئه ، والذاب عن حقه ، والقائم بمجاهدة أعدائه ؛ محمد بن عبد الله مولى أمير المؤمنين - نعمه يُرحب إلى الله في إتمامها ، والتوفيق لشكرها ، والتطوّل بمن أراد المزيد فيها ؛ فإن الله قدر لآبائه القيام بالدعوة الأولى لآباء أمير المؤمنين ، ثم جمع له آثارهم بقيامه بالدولة الثانية ؛ حين حاول أعداء الله أن يطمسوا معالم دينه ويعفوا عنها ؛ فقام بحق الله وحق خليفة ، محاميًّا عنها ، ومراميًّا من ورائها ، متناولاً للبعيد برأيه ونظره ، مباشرًا للقريب بإشرافه وتفضله ، باذلاً نفسه في كلّ ما قربه من الله ، وأوجب له الرُّلْفَة عنده ، وسيمتع الله أمير المؤمنين به وليتاً ، مكافِلًا على الحق ، وناصرًا موزارًا على الخير ، وظهيرًا مجاهدًا العدو الدين .

وقد علمتم ما كان كتاب أمير المؤمنين تقدم به إليكم فيما أحدهُ الفرقه
الضالله عن سبيل ربها ، المفارقة لعصمه دينها ، الكافرة لنعم الله ونعم خليفته
عندما ، المباهنة لجماعة الأمة التي أَلْفَ الله بخلافته نظامها ، المحاولة لتشويش
الكلمة بعد اجتماعها ، الناكثة لبيعته ، الخالعة لربقة الإسلام من أعناقها ،
الموالى الأتراك ، وما صارت إليه من نصر الغلام المعروف بأبي عبد الله بن
المتوكل لإقامةها عند مصير أمير المؤمنين إلى مدينة السلام ، محل سلطانه ،

ومجتمع أنصاره وأبناء أنصار آبائه؛ وما قابل به أمير المؤمنين خيانتهم وأثره من الأناة في أمرهم.

ثم إن هؤلاء الناكثين جمعوا جمعاً من الأتراك والمعاربة ، ومن ولج في سوادهم ، ودخل في عُمارهم ، مؤاتياً للفتنة من ألفاف الغيّ ، ورأسوا عليهم المعروف بأبي أحمد بن المتكّل ، ثم ساروا نحو مدينة السلام في الجانب الشرقيّ ، معلنين للبغى والاقتدار ، مظهرين للغي والإصرار؛ فتأنّاهم أمير المؤمنين ، وفسح لهم في النّظرة لهم ، وأمر بالكتاب إليهم بما فيه تبصّرهم الرشد ، وتذكّرهم بما قدّموا من البيعة ، وإفهامهم ما لله عليهم وله في ذلك من الحقّ ، وأنّ خروجهم مما دخلوا فيه من بيعتهم طوعاً الخروج من دين الله والبراءة منه ومن رسوله ، وتحريمهم أموالهم ونساءهم عليهم؛ وأن في تمسكهم به سلامه أديانهم ، وبقاء نعمتهم ، والاحتراس من حلول النّقم بهم ، وأن يبين لهم ما سلف من بلائه عندهم؛ من أُسْنَى الموهاب ، وأرفع الرغائب ، والاختصاص بسنّي المراتب ، والتقدّم في المحاولات؛ فأبوا إلا تماذياً ونقاراً ، وتمسكاً بالغي وإصراراً.

فقدّ أمير المؤمنين نصيحة المؤمن ، ووليه محمد بن عبد الله مولى أمير المؤمنين تدبير أمورهم ودعائهم إلى الحقّ ما كانت الإنابة أو محاربتهم إن جنح بهم غيّهم ، وتتابعوا في ضلالهم ، فلم يأبهم نظراً وإفهاماً ، وتبيننا وإرشاداً ، وهم في ذلك رافقون أصواتهم بالتوعّد لأهل مدينة السلام؛ بسفك دمائهم وسَنَّي نسائهم وتغنمُّ أموالهم؛ وقبل ذلك ما كانوا في مسيرهم على السبيل التي يستعملها أهل الشرك في غاراتهم ، ويambilون إليها عند إمكان النّهزة لهم؛ لا يجتازون بعامر إلا أخربوه ، ولا بحرير لمسلم ولا غيره إلا أباحوه ، ولا ب المسلم يعجز عنهم إلا قتلوه ، ولا بمال لمسلم ولا ذميّ إلا أخذوه؛ حتى انتقل كثير من سبقت إليه أخبارهم ممن أمامهم عن أوطانهم ، وفارقوا منازلهم ورباعهم ، وفرعوا إلى باب أمير المؤمنين تحضناً من معزّتهم ، لا يمرون بغنيّ إلا خلعوا عنه لباس الغنى؛ ولا بمستور إلا هتكوا عن الذريّة والنساء ستّره ، لا يرقبون في مؤمن إلاّ ولا ذمةً ، ولا يتوقفون عن مسلم بهتك ولا مُثلاً ، ولا يرغبون عما حرم الله من دم ولا حرمة.

ثم تلقوا التذكرة بالحرب ، وقابلوا الموعظة بالإصرار على الذنب ، وعارضوا التبصير بالاست بصار في الباطل ؛ فذلّلوا نحو باب الشّماسية ، وقد رتب محمد بن عبد الله مولى أمير المؤمنين بذلك الباب والأبواب التي سبّيلها سبّيله من أبواب مدينة السلام الجيوش في العدّة الكاملة ، والعدّة المتظاهرة ؛ معاقلهم التوكل على ربّهم ، ومحضونهم الاعتصام بطاعته ، وشعارهم التكبير والتلهيل أمام عدوهم .

ومحمد بن عبد الله مولى أمير المؤمنين ، يأمرُهم بتحصين ما يليهم والإمساك عن الحرب ما كانت مندوحة لهم ؛ فبأدّهم الأولياء بالموعظة ، وبأدّهم الغواة الناکثون بحروبهم ، وعادوهم أياماً بجمعهم وعدادهم ، مُدلين بعدّتهم مقدّرين ألا غالب لهم ؛ ولا يعلمون بالله أن قدرته فوق قدرتهم ، وأن أقداره نافذة بخلاف إرادتهم ، وأحكامه عادلة ماضية لأهل الحق عليهم ؛ حتى إذا كان يوم السبت للنصف من صفر وافقوا باب الشّماسية بأجمعهم قد نشروا أعلامهم ، وتنادوا بشعارهم ، وتحصّنوا بأسلحتهم ، وبدا الأمر منهم لمن عاينهم ، ليس لهم وعيد دون سفك الدماء ، وسبّي النساء ، واستباحة الأموال ؛ فبأدّهم الأولياء بالموعظة فلم يسمعوا ، وقابلواهم بالتذكرة فلم يُصغوا إليها ، وبدؤوا بالحرب منابذين لها ، فتسرع الأولياء عند ذلك إليهم ، واستنصروا عليهم ، واستحكمت بالله ثقّتهم ، ونفذت به بصائرهم ؛ فلم تزل الحرب بينهم إلى وقت العصر من هذا اليوم ؛ فقتل الله من حُماتهم وفرسانهم ورؤسائهم وقادة باطلهم جماعة كثيراً عددها ، ونالت الجراحة المتخنة التي تأتي من ناله أكثر عامتهم .

فلما رأى أعداء الله وأعداء دينه أنْ قد أكذب ظنونهم ، وحال بينهم وبين أمانهم ، وجعل عوّاقبها حسرات عليهم ؛ استنهضوا جيشاً من سامراً من الأتراك والمغاربة في العتاد والعدّة والجلد والأسلحة في الجانب الغربي ، طالبين المعرّة ، ومؤملين أن ينالوا نيلًا من أهله باشتغال إخوانهم في الجانب الشرقي بأعدائهم .

وقد كان محمد بن عبد الله مولى أمير المؤمنين شحّن الجانبيين جميعاً بالرجال والعدّة ، ووكل بكل ناحية منْ يقوم بحفظها وحراستها ، ويكتف عن الرعية بوائق أعدائهم ، ووكل بكل باب من الأبواب قائداً في جمْع كثيف ، ورتب على السور

مَنْ يرَايِيهِ فِي الْلَّيلِ وَالنَّهَارِ وَبِثِ الرِّجَالِ لِيعرُفَ أخْبَارَ أَعْدَاءِ اللَّهِ فِي حَرْكَاتِهِمْ وَنَهْوَضَهُمْ وَمَقَامَهُمْ وَتَصْرِفَهُمْ ، فَيُعَالِمُ كُلَّ حَالٍ لَهُمْ بِحَالٍ يَفْتَ اللَّهُ فِي أَعْضَادِهِمْ بِهَا .

فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْأَرْبَعَاءِ لِإِحدى عَشْرَةِ لَيْلَةٍ بَقِيتِ مِنْ صَفَرِ ، وَافَى الْجَيْشُ الَّذِي أَنْهَضُوهُ مِنَ الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ الْبَابَ الْمُعْرُوفَ بِبَابِ قُطْرِبَلِ ، فَوَقَفُوا بِإِزَاءِ النَّاكِثِينِ الْمُعْسَكِرِينَ بِالْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ مِنْ دُجْلَةٍ فِي عَدْدٍ لَا يُسْعِهِ إِلَّا الْفَضَاءُ وَلَا يَحْمِلُهُ إِلَّا الْمَجَالُ الْفَسِيْحُ ، وَقَدْ تَوَاعَدُوا أَنْ يَكُونُ دُنْوَهُمْ مِنَ الْأَبْوَابِ مَعًا لِشَغْلِ الْأُولَيَاءِ بِحَرْبِهِمُ الْفَسِيْحِ ، فَيُضَعِّفُوا عَنْهُمْ وَيُغْلِبُوا حَقَّهُمْ بِبَاطِلِهِمْ ؛ أَمْلَأُوا كَاذِبًا غَيْرَ صَادِقٍ كَادِهِمُ اللَّهُ فِيهِ ، وَظَنَّا خَائِبًا لَهُ فِيهِ قَضَاءً نَافِذًا .

وَأَنْهَضَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ نَحْوَهُمْ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَوْنَ وَبُنْدَارُ بْنُ مُوسَى الطَّبَرِيِّ مَوْلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ نَصَرِ بْنِ حَمْزَةَ مِنْ بَابِ قُطْرِبَلِ ، وَأَمْرُهُمْ بِتَقْوِيَةِ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ ، وَالاتِّبَاعُ لِأَمْرِهِ وَالتَّصْرِيفُ مَعَ كِتَابِهِ ، وَالتَّوْقِفُ عَنِ الْحَرْبِ حَتَّى تَسْبِقَ التَّذَكِّرَةُ الْأَسْمَاعَ ، وَتَزُولُ الْحَجَّةُ بِالْتَّابُعِ مِنْهُمْ وَالْإِصْرَارِ ، فَنَفَذُوا فِي جَمِيعِ يِقَابِلِ جَمِيعِهِمْ ، مُسْتَبْصِرِينَ فِي حَقِّ اللَّهِ عَلَيْهِمْ ، مَسَارِعِينَ إِلَى لِقَاءِ عَدُوِّهِمْ ، مُحْتَسِبِينَ خَطَاهُمْ وَمُسَيِّرِهِمْ ، وَاثْقَلِينَ بِالثَّوَابِ الْأَجْلِ وَالْجَزَاءِ الْعَاجِلِ . فَتَلَقَّاهُمْ وَمَنْ مَعَهُمْ أَعْدَاءُ اللَّهِ ، قَدْ أَطْلَقُوا نَحْوَهُمْ أَعْتَهُمْ ، وَأَشْرَعُوا لِتَحْوِرِهِمْ أَسْتَهُمْ ، لَا يَشْكُونَ أَنَّهُمْ نُهَزَّةُ الْمُخْتَلِسِ ، وَغَنِيمَةُ الْمُنْتَهِبِ ؛ فَنَادُوهُمْ بِالْمَوْعِظَةِ نَدَاءَ مَسْمَعًا ، فَمَجَّحُوكُمْ أَسْمَاعُهُمْ ، وَعَمِيتُوكُمْ أَبْصَارُهُمْ ، وَصَدَقُوكُمْ أُولَيَاءُ اللَّهِ فِي لِقَائِهِمْ ؛ بِقُلُوبِ مُسْتَجَمِعَةِ لَهُمْ ، وَعْلَمُوكُمْ بِأَنَّ اللَّهَ لَا يَخْلِفُ وَعْدَهُ فِيهِمْ ؛ فَجَالَتِ الْخَيْلُ بِهِمْ جَوْلَةً ، وَعَاوَدَتِ كَرَّةً بَعْدَ كَرَّةٍ عَلَيْهِمْ ، طَعَنَّا بِالرَّماحِ ، وَضَرَبَّا بِالسَّيْفِ ، وَرَشَقَّا بِالسَّهَامِ ؛ فَلَمَّا مَسَّهُمْ الْمِرْجَاحُهُمْ ، وَكَلَّمُتُهُمُ الْحَرْبُ بِأَنْيابِهَا ، وَدارَتْ عَلَيْهِمْ رِحَاها ، وَصَمَمْتُهُمْ أَبْنَاؤُهَا ظَمَاءً إِلَى دَمَائِهِمْ ؛ وَلَوْلَا أَدْبَارُهُمْ ، وَمِنْحُ اللَّهِ أَكْتَافُهُمْ ، وَأَوْقَعْتُهُمْ بِأَسْهِبِهِمْ ، فَقُتِلَتْ مِنْهُمْ جَمَاعَةٌ لَمْ يَحْرِسُوا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ بِتُوبَةِ ، وَلَمْ يَتَحَصَّنُوا مِنْ عَقَابِهِ بِأَمَانَةِ ، ثُمَّ ثَابَتْ ثَانِيَةً ؛ فَوَقَفُوا بِإِزَاءِ الْأُولَيَاءِ ، وَعَبَرَ إِلَيْهِمْ أَشْيَاعُهُمُ الْغَاوُونَ مِنْ عَسْكِرِهِمْ بِبَابِ الشَّمَاسِيَّةِ أَلْفَ رَجُلٍ مِنْ أَنْجَادِهِمْ فِي السُّفُنِ ، مَعَاوِنِينَ لَهُمْ عَلَى ضَلَالِهِمْ ؛ فَأَنْهَضَ لَهُمْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ خَالِدُ بْنِ عُمَرَانَ وَالشَّاهَ بْنِ مِيكَالَ مَوْلَى طَاهِرِ نَحْوَهُمْ ، فَنَفَذُوا بِبَصِيرَةٍ لَا يَتَخَوَّنُهَا فَتُورُ ،

ونية لا يلحقها تقدير؛ ومعهما العباس بن قارن مولى أمير المؤمنين.

فلما وافى الشاه فيمِنْ معه أعداء الله ، وكل بالمواضع التي يتخوف منها مدخل الْكُمناء ، ثم حمل مَنْ توجّه معه من القواد المسمَّين ماضين لا يغويهم الوعيد ، ولا يشكُّون من الله في النصر والتأييد ، فوضعوا أسيافهم فيهم ، تمضي أحكام الله عليهم؛ حتى أحقوهم بالمعسكر الذي كانوا عسكروا فيه وجاؤزوه ، وسلبواهم كل ما كان من سلاح وكُراع وعتاد الحرب؛ فمن قتيلٍ عُودرت جثّته بمصرعه ، ونقلت هامته إلى مصير فيه معتبرٌ لغيره ، ومن لاجئٍ من السيف إلى الغرق لم يجرِه الله من حذاره ، من أسير مصفود يُقاد إلى دار أولياء الله وحزبه ، ومن هارب بخشاشة نفسه ، قد أسكن الله الخوف قلبه؛ فكانت النقطة بحمد الله واقعة بالفريقين ممن وافى الجانب الغربي قادماً ، ومن عبر إليهم من الجانب الشرقي مُنجداً ، لم ينجُ منهم ناج ، ولم يعتصم منهم بالتبة معتصم ، ولا أقبل إلى الله مقبل؛ فرقاً أربعاً يجمعها النار ، ويشملها عاجل النكال ، عظةً ومعتبراً لأولي الأ بصار؛ فكانوا كما قال الله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرِ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفَّارًا وَأَحْلَوْا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَار﴾ TA جَهَنَّمْ يَصْلُوْنَهَا وَيُسَّرَ الْقَرَارُ.

ولم تزل الحرب بين الأولياء وبين الفرقة التي كانت في الجانب الشرقي والقتل محتمل في أعلامهم ، والجراح فاشية فيهم؛ حتى إذا عاينوا ما أنزل الله بأشياعهم من الْبَوَار ، وأحلَّ بهم من النقطة والاستصال؛ ما لهم من الله من عاصم ، ولا من أوليائه ملجاً ولا موئلاً؛ ولَوْا منهزمين مفلولين منكوبين ، قد أراهم الله العبر في إخوانهم الغاوية ، وطوابفهم المضللة؛ وضلَّ ما كان في أنفسهم لما رأوا من نصر الله لجنده ، وإعزازه لأوليائه؛ والحمد لله رب العالمين قامع الغواة التاكبين عن دينه ، والبغاة الناقضين لعهده ، والمرآق الخارجين من جملة أهل حقه؛ حمدأً مبلغأً رضاه ، وموجاً أفضل مزيده؛ وصلى الله أولاً وأخرأ على محمد عبده وسورله ، الهادي إلى سبيله ، والداعي إليه بإذنه ، وسلم تسليماً. وكتب سعيد بن حُميد يوم السبت لسبعين خلون من صفر سنة إحدى وخمسين ومئتين.

وركب محمد بن عبد الله بن طاهر يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من صفر إلى باب الشماسية ، وأمر بهدم ما وراء سور بغداد من الدور والحوائط

والبساتين وقطع النَّخل والشَّجر من باب الشَّماسية إلى ثلاثة أبواب؛ لتسع الناحية على مَنْ يحارب فيها؛ وكان وُجْهه من ناحية فارس والأهواز نِيفٌ وسبعون حماراً بمال إلى بغداد ، قدم به - فيما ذكر - منكجور بن قارن الأشروسني القائد ، فوجَّه الأتراك وأبو أحمد بن بابك إلى طرارستان في ثلاثة فارس وراجل؛ ليتلقَّى ذلك المال إذا صار إليها. فوجَّه محمد بن عبد الله قائداً له يقال له: يحيى بن حفص ، يحمل ذلك المال ، فعدَّل به عن طرارستان ، خوفاً من ابن بابك؛ فلما علم ابن بابك أن المال قد فاته صار بمن معه إلى النهرawan؛ فأوقع من كان معه من الجنδ بأهلها ، وأخرج أكثرهم ، وأحرق سفن الجسر؛ وهي أكثر من عشرين سفينة ، وانصرف إلى سامراً.

وقدم محمد بن خالد بن يزيد - وكان المستعين قلده الشغور الجزرية ، وكان مقيناً بمدينة بلد يتظاهر من يصيير إليه من الجنδ والمال - فلما كان من اضطراب أمر الأتراك ودخول المستعين بغداد ما كان ، لم يمكنه المصيير إلى بغداد إلا من طريق الرقة ، فصار إليها بمن معه من خاصته وأصحابه؛ وهم زهاء أربعينه فارس وراجل؛ ثم انحدر منها إلى مدينة السلام ، فدخلها يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من صفر ، فصار إلى دار محمد بن عبد الله بن طاهر؛ فخلع عليه خمس خلع: دَبِيقِي ، وَمُلْحِم ، وَخَرْ ، وَوُشِي ، وَسَوَاد ، ثم وجهه في جيش كثيف لمحاربة أيوب بن أحمد؛ فأخذ على ظهر الفرات فحاربه في نفر يسير ، فهُزم وصار إلى ضياعته بالسوداد.

ذكر عن سعيد بن حميد أنه قال: لما انتهى خبر هزيمة محمد بن عبد الله ، قال: ليس يُقلح أحدٌ من العرب إلا أن يكون معه نبيٌ ينصره الله به .

وفي هذا اليوم كانت للأتراك وقعة بباب الشَّماسية ، كانوا صاروا إلى الباب ، فقاتلوا عليه قتالاً شديداً حتى كشفوا مَنْ عليه ، ورموا المنجنيق المنصوب بسرعة الباب بالنقط والنار ، فلم ي عمل فيه نارهم ، وكثَّرَهم من على الباب من الجنδ حتى أزالوه عن موقفهم ، ودفعوهم عن الباب بعد قتلهم عدّة يسيرة من أهل بغداد ، وجرحهم منهم جماعة كثيرة بالسهام. فوجَّه محمد بن عبد الله إليهم عند ذلك العزادات التي كانت تحمل في السفن والزواريق ، فرمُوهُم بها رميًّا شديداً ، فقتلوا منهم جماعة كثير نحواً من مئة إنسان ، فتنحُوا عن الباب؛ وكان بعض

المغاربة صار في هذا اليوم إلى سور باب الشّماسية؛ فرمى كُلّاً إلى السور ، وتعلق به وصعد ، فأخذه الموكلون بالسور فقتلوه ، ورموا برأسه في المنجنيق إلى عسكر الأتراك؛ وانصرفو عند ذلك إلى معسكرهم.

وذكر أن بعض الموكلين بسور باب الشّماسية من الأبناء هاله ما رأى من كثرة مَنْ ورد بباب الشّماسية في هذا اليوم من الأتراك والمغاربة؛ وكانوا قربوا من الباب بأعلامهم وطبلولهم ، ووضع بعض المغاربة كُلّاً على السور؛ فأراد بعض الموكلين بالسور أن يصبح : يا مستعين ، يا منصور ، فغلط؛ فصاح : يا معترز ، يا منصور؛ فظنه بعض الموكلين بالباب من المغاربة ، فقتلوه وبعثوا برأسه إلى دار محمد بن عبد الله؛ فأمر بنصبه ، فجاءت أمه وأخوه في عشية هذا اليوم بجثته في محمل يصيحان ويطلبان رأسه؛ فلم يُدفع إليهما؛ ولم يزل منصوباً على الجسر إلى أن أنزل مع ما أنزل من الرؤوس.

ووافي ليلة الجمعة لسبعين بقين من صفر جماعة من الأتراك بباب البردان؛ وكان الموكل به محمد بن رباء؛ وذلك قبل شخوصه إلى ناحية واسط؛ فقتل منهم ستة نفر ، وأسر أربعة ، وكان الدّرغمان شجاعاً بطلاً ، وصار في بعض الأيام مع الأتراك إلى باب الشّماسية ، فرمي بحجر منجنيق ، فأصاب صدره؛ فانصرف به إلى سامراً ، فمات بين بصرى وعكرباء؛ فحمل إلى سامرا؛ فذكر يحيى بن العكّي القائد المغربي أنه كان إلى جنب الدّرغمان في يوم من أيامهم؛ إذ وفاه ناوكي ، فأصاب عينه ، ثم أصابه بعد ذلك حجر فأطار رأسه ، فحمل ميتاً.

وذكر عن عليّ بن حسن الرامي ، أنه قال : كنا قد جمعنا على السور على باب الشّماسية من الرّماة جماعة ، وكان مغربي يجيء حتى يقرب من الباب ، ثم يكشف استه ثم يضرط ويصبح؛ قال : فانتخبت له سهماً فأنفذته في دبره حتى خرج من حلقه ، وسقط ميتاً. وخرج من الباب جماعة فنصبوه كالصلوب ، وجاءت المغاربة بعد ذلك ، فاحتملوه.

وذكر أن الغوغاء اجتمعوا بسامراً بعد هزيمة الأتراك يوم قطربل ، ورأوا ضعف أمر المعترز ، فانتهبو سوق أصحاب الحُلُي والسيوف والصيارة ، وأخذوا جميع ما وجدوا فيها من متع وغيره ، فاجتمع التجار إلى إبراهيم المؤيد أخي المعترز ، فشكوا ذلك إليه ، وأعلموه أنهم قد كانوا ضمنوا لهم أموالهم وحفظها عليهم.

قال : فقال لهم : كان ينبغي لكم أن تحولوا متابعكم إلى منازلكم ؛ وكثير عنده ذلك .

وقدم بحونة بن قيس بن أبي السعدي يوم السبت لثمان بقين من صفر بمن فرض من الأعراب وهم ستمائة راجل ومئتا فارس . وقدم في هذا اليوم عشرة نفر من وجوه أهل طرسوس يشكون بلکاجور ، ويزعمون أن بيعة المعتر وردت عليه ، فخرج بعد ساعتين من وصول الكتاب ، ودعا إلى بيعة المعتر ، وأخذ القواد وأهل الشغر بذلك فباع أكثرهم ، وامتنع بعض ، فأقبل على من امتنع بالضرب والقييد والحبس . وذكر أنهم امتنعوا وهربو لما أخذهم البيعة كرهاً ، فقال وصيف : ما أظن الرجل إلا [اغتر ومؤه عليه] وأن الوارد عليه بكتاب المعتر هو الليث بن بابك ، وذكر له أن المستعين مات ، وأقاموا المعتر مكانه ؛ فتكلّم هؤلاء النفر يشكون بلکاجور ، ونسبوه إلى أنه فعل ذلك على عمد ، ورفعوا عليه أنه كان يرى فيبني الواثق ، وقد ورد كتاب بلکاجور يوم الأربعاء لأربع بقين من صفر مع رجل يقال له علي الحسين المعروف بابن الصعلوك ؛ يذكر فيه أنه ورد عليه كتاب من أبي عبد الله بن المتك ، أنه قد ولـي الخليفة ، وبائع له . فلما ورد عليه كتاب المستعين بصحة الأمر ، جدد أخذ البيعة على من قيله ، وأنه على السمع والطاعة له . فأمر للرسول بألف درهم فقبضها ، وقد كان أمر بالكتاب إلى محمد بن علي الأرمني المعروف بأبي نصر بولاته على التغور الشامية ، فلما ورد كتاب بلکاجور بالطاعة أمسك عن إنفاذ كتاب محمد بن علي الأرمني بولاية .

وفي يوم الإثنين لست بقين من صفر من هذه السنة قدم إسماعيل بن فراشة من ناحية همدان في نحو ثلاثة فارس ، وكان جنده ألفاً وخمسين فتقديم بعضهم وتتأخر بعض ، وتفرقوا ، وقدم معه برسول للمعتر ، كان وجهه إليه لأخذ البيعة ، فقبض الرسول وصار به إلى مدينة السلام على بغل بلا إكاف ، فخلع على إسماعيل خمس خلع . وورد برجل ذكر أنه علوى أخذ بناحية الري وطبرستان ، متوجهاً إلى من هناك من العلوية ؛ وكان معه دواب وغلمان ؛ فأمر به فحبس في دار العامة أشهرأ ، ثم أخذ منه كفيل وأطلق .

وقرئ في هذا اليوم كتاب موسى بن بغا يذكر فيه أنه ورد كتاب المعتر ، وأنه دعا أصحابه ، وأخبرهم بما حدث ، وأمرهم بالانصراف معه إلى مدينة السلام ؛ فامتنعوا ، وأجابه الشاكريه والأبناء ، واعتزله الأتراك ومن كانوا بهم ، وحاربوه

فقتل منهم جماعة وأسر أسرى؛ فهم قادمون معه. فكثروا في دار ابن طاهر عند قراءتهم كتابه.

ولخمس بقين من صَفَرِ دخْلِ من البصرة عشر سفائن بحرية؛ تسمى البارج، في كل سفينة اشتياص وثلاثة نفاطين ونجران وخباز وتسعة وثلاثون رجلاً من الجنادفين والمقاتلة؛ فذلك في كل سفينة خمسة وأربعون رجلاً. فمدّت إلى الجزيرة التي بحذاء دار ابن طاهر، ولعب أصحابها بالنيران، ثم مددت إلى ناحية الشماسية في هذه الليلة، فرمي من فيها من الأتراك بالنيران، فعزّموا على الانتقال من معسكرهم برقة الشماسية إلى بستان أبي جعفر بالحير، ثم بدا لهم فارتفعوا فوق عسكرهم في موضع لا ينالهم شيء من النار.

ولليلة بقيت من صَفَرِ صار الأتراك والمغاربة إلى أبواب مدينة السلام من الجانب الشرقي، فأغلقت الأبواب في وجوههم، ورموا بالسهام والمنجنيقات والعزادات، فقتل من الفريقين وجُرح جماعة كثيرة، فلم يزالوا كذلك إلى العصر.

وفي هذه السنة كرّ سليمان بن عبد الله راجعاً من جُرجان إلى طبرستان وشخص من آمُل، وخرج بجمع كثير وخيل وسلاح، فتنحى الحسن بن زيد، ولحق بالدليل، فكتب إلى السلطان ابن أخيه محمد بن طاهر بدخوله طبرستان، فقرئ كتابه ببغداد، وكتب نسخة ذلك المستعين إلى بغا الصغير مولى أمير المؤمنين بفتح طبرستان على يدي محمد بن طاهر وهزيمة الحسن بن زيد؛ وأن سليمان بن عبد الله دخل سارية على حالٍ من السلامة، وأنه ورد عليه ابنان لقارن بن شهريار مولى أمير المؤمنين، يقال لهما: مازيار ورسنم، في خمسة رجل، إلى ما ذكر من غير ذلك في الفتح، وأنّ أهل آمُل أتوا من بين مظهرين إبانتهم، مستقيلين عثراتهم؛ فلقاهم بما زاد في سكونهم وثقتهم، ونهض بعسكره على تعبيته، مستقرئاً للقرى والطرق، وتقدم بالنهي عن القتل، وترك العرض لأحدٍ في سلب وغيره، وتوعّد من جاوز ذلك؛ وأن كتاب أسد بن جندان وفاه بهزيمة عليّ بن عبد الله الطالبي المسمى بالمرعشي فيمن كان معه؛ وهو أكثر من ألفي رجل ورجلين من رؤساء الجبل، في جمع عظيم عند تأدي الخبر إليهم بانهزام الحسن بن زيد ودخوله بالأولياء إلى تلك الناحية، وأنه دخل مدينة آمُل

في أحسن هيئة ، وأظهر عزة وسلامة شاملة ، وانقطعت عنه أسباب الفتنة . ولخمس بقين من المحرم من هذه السنة ورد كتاب العلاء بن أحمد عامل بغاء الشرابي على الخراج والضياع بإرميئية ، بما كان من خروج رجلين بتلك الناحية ؛ سماهما وذكر إيقاعه بهما ، وأنهما التجأا إلى قلعة ، فوضع عليها المجانين حتى جهدها ، وأنهما خرجا من القلعة هاربين ، وخفي أمرهما وصارت القلعة في أيدي الأولياء .

* * *

وفيها أيضاً ورد كتاب مؤرخ لإحدى عشرة ليلة بقيت من المحرم بانتقاد أهل أربيل ، وكتاب الطالبي إليهم ، وأنه بعث أربعة عساكر على أربعة أبواب مدinetهم ليحاصرهم .

* * *

وفيها ورد كتاب مخبر عن الحرب التي كانت بين عيسى بن الشيخ والموفق الخارجي وأسر عيسى الموفق ، ومسألة عيسى المستعين توجيه ما يحتاج إليه من السلاح ؛ ليكون عدّة له في البلد ، يقوى به الجندي على الغزو ، وأن يكتب إلى صاحب الصور في توجيه أربع مراكب إليه بجميع آلتها ؛ تكون قبله مع ما قبله منها .

* * *

وفيها أيضاً ورد كتاب محمد بن طاهر بخبر الطالبي الذي ظهر بالري ونواحيها ، وما أعدّ له من العساكر ، ووجه إليه من المقاتلة ، وبهرب الحسن بن زيد عند مصيره إلى المحمدية وإحاطة عسكره بها ، وأنه عند دخوله المحمدية وكل بالمسالك والطرق ، وبث أصحابه ، وأن الله أظفره بمحمد بن جعفر أسيراً على غير عقد ولا عهد ، والذي صار إلى الري من العلوية في المرة الثانية بعدما أسر محمد بن جعفر أحمر بن عيسى بن علي بن حسين الصغير بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، وإدريس بن موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن حسن بن علي بن أبي طالب ، وهو الذي خرج في مصعد الحاج ، والذي بطبرستان الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد بن

الحسن بن عليّ بن أبي طالب رحمة الله عليه ورضوانه^(١).

* * *

وفيها أيضاً ورد كتابٌ من محمد بن طاهر على المستعين ، يذكر فيه انهزام الحسن بن زيد منه ، وأنه لقيه في زُهاء ثلاثين ألفاً ، فجرت فيما بينه وبينه حرب ، وأنه قتل من رؤوس أصحابه ثلاثة ونِيَفَا وأربعين رجلاً ، وأمر المستعين أن يقرأ نسخة كتابه في الآفاق .

* * *

وفيها خرج يوسف بن إسماعيل العلوي ابن أخت موسى بن عبد الله الحسيني .

وفي شهر ربيع الأول منها أمر محمد بن عبد الله أن يُتخذ لعيارى أهل بغداد كافر Kobabat ، وأن يصيّر فيها مسامير الحديد ، ويجعل ذلك في دار المظفر بن سيسيل ؛ لأنهم كانوا يحضرون القتال بغير سلاح ، و كانوا يرمون بالأَجْرُ ، ثم أمر منادياً ، فنادى : مَنْ أراد السلاح فليحضر دار المظفر ، فوافاها العيارون من كل جانب ، فقسم ذلك فيهم ، وأثبت أسماءهم ، ورأس العيارون عليهم رجلاً يدعى ينتويه ؛ ويكنى أبا جعفر وعدة آخر ؛ يدعى أحدهم دُونل ، والآخر دمحال ، والآخر أبا نملة ، والآخر أبا عصارة ، فلم يثبت منهم إلا ينتويه ؛ فإنه لم يزل رئيساً على عيارى الجانب الغربي ؛ حتى انقضى أمر هذه الفتنة ، ولما أعطي العيارون الكافر Kobabat تفرقوا على أبواب بغداد ، فقتلوا من الأتراك ومن أتباعهم نحواً من خمسين نفساً في ذلك اليوم ، وقتل منهم عشرة أنفس وجُرح منهم خمسين نسمة بالنشاب ، وأخذوا من الأتراك علمين وسلميين .

وفيها كانت لبحونة بن قيس وقعة مع جماعة من الأتراك بناحية بُزوغى ، لقيهم هو ومحمد بن أبي عون وغيرهما ، فأسرروا منهم سبعة ، وقتلوا ثلاثة ، ورمى بعضهم بنفسه في الماء ، فغرق بعضهم ونجا بعضهم .

وذكر عن أحمد بن صالح بن شيرزاد : أنه سأله رجلاً من الأسرى عن عدّة

ال القوم الذين لقيهم بحونة ، قال : كنا أربعين رجلاً ، فلقينا بحونة وأصحابه ، سحراً ، فقتل منا ثلاثة ، وغرق ثلاثة ، وأسر ثمانية ، وأفلت الباقيون ، وأخذ ثماني عشرة دابة وجواشن ورایة لعامل أوانا؛ وهو أخو هارون بن شعيب .

وكانت الواقعة بأوانا يوم الأربعاء ، وأقام جند بحونة وعبد الله بن نصر بن حمزة بقطريبل مسلحة .

وخرج - فيما ذكر - ينتويه وأصحابه من العيارين في بعض هذه الأيام من باب قطريبل ، فمضوا يشتمون الأتراك حتى جازوا قطريبل ، فعبر من عبر إليهم من الأتراك ناشبة في الزواريق ، فقتلوا منهم رجلاً ، وجرحوا منهم عشرة؛ وكاثرهم العيارون بالحجارة فأثخنوه ، فرجعوا إلى معسكرهم ، فأحضر ينتويه دار ابن طاهر؛ فأمر ألا يخرج إلا في يوم قتال ، وسُور ، وأمر له بخمسين درهم .

ولأربع عشرة خلت من ربيع الأول منها ، قدم من ناحية الرقة مزاحم بن خاقان ، وأمر القواد وبني هاشم وأصحاب الدواوين بتلقيه؛ وقدم معه من كان معه من أصحابه من الخراسانية والأتراك والمغاربة ، وكانوا زهاء ألف رجل؛ معه عتاد الحرب من كل صنف ، ودخل بغداد ، ووصيف عن يمينه وبغا عن شماله ، وعيبد الله بن عبد الله بن طاهر عن يسار بغا ، وإبراهيم بن إسحاق خلفهم؛ وهو بوقار ظاهر؛ فلما وصل خلع عليه سبع خلع ، وقلد سيفاً ، وخلع على ابنيه على كل واحد منها خمس خلع ، ثم أمر أن يفرض له ثلاثة آلاف رجل من الفرسان والرجال ، ووجه المعتر موسى بن أنسناس ومعه حاتم بن داود بن بنحور في ثلاثة آلاف رجل من الفرسان والرجال فعسكر بإزاء عسكر أبي أحمد من الجانب الغربي بباب قطريبل للليلة خلت من ربيع الأول ، وخرج رجل من العيارين يعرف بدبيكويه على حمار وخليفته على حمار ، ومعهم ترسة وسلاح؛ وخرج آخر في الجانب الشرقي يكفي أبي جعفر ويعرف بالمخزمي في خمسين رجل في سلاح ظاهر ، معهم الترسة وبواري مقيرة وسبيوف وسكاكين في مناطقهم ، ومعهم كافر كوبات ، وقرب العسكر الوارد من سامرا إلى الجانب الغربي من بغداد ، فركب محمد بن عبد الله ومعه أربعة عشر قائداً من قواده في عدة كاملة ، وخرج من المبيضة والنظارة خلق كثير ، فسار حتى حاذى عسكر أبي أحمد؛ وكانت بينهم في الماء جولة قتل من عسكر أبي أحمد أكثر من خمسين رجلاً ، ومضى المبيضة

حتى جازت العسكرية بأكثر من نصف فرسخ ، فعبرت إليهم شُبّارات من عسكر أبي أحمد؛ فكانت بينهم مناوشة ، وأخذوا عدّة من الشُبّارات بما فيها من المقاتلة والملائين ، فاستوثق منهم ، وانصرف محمد بن عبد الله ، وأمر ابن أبي عون أن يصرف الناس ، فوجّه ابن أبي عون إلى النّاظرة والعامّة من صرفهم وأغلوظ لهم القول ، وشتمهم وشتموه ، وضرب رجلاً منهم فقتله ، وحملت عليه العامّة؛ فانكشف من بين أيديهم؛ وقد كان أربع شُبّارات من شُبّارات أهل بغداد تخلّفت؛ فلما انصرف ابن أبي عون منهزمًا من العامّة نظر إليها أهل عسكر أبي أحمد فوجّهوا في طلبها شُبّارات ، فأخذوها وأحرقوا سفيينة فيها عرّادة لأهل بغداد وصارت العامّة من فورهم إلى دار عون لينهبوها ، وقالوا: مายل الأتراك ، وأعانهم وانهزم ب أصحابه ، وكلّموا محمد بن عبد الله في صرفه وضجّوا ، فوجّه المظفر بن سيسيل في أصحابه ، وأمره أن يصرف العامّة ويمنعهم أن يأخذوا ابن أبي عون شيئاً من متاعه ، وأعلمهم أنه قد عزله عن أمر الشُبّارات والبحريات وال الحرب ، وصيّر ذلك إلى أخيه عبيد الله بن عبد الله ، فمضى مظفر ، فصرف الناس عن دار محمد بن أبي عون .

وفي يوم الخميس لإحدى عشرة ليلة بقيت من شهر ربّع الأول وافى عسكر الأتراك الشاخص من سامراً إلى بغداد عُكّباء ، فأنخرج ابن طاهر بن دار الطبرى وأخاه عبيد الله وأبا السنّا ومزاحم بن خاقان وأسد بن داود سياه وخالد بن عمران وغيرهم من قوّاده ، فمضوا حتى بلغوا قطربيل ، وفيها كمين الأتراك فأوقع بهم ، ونشبت الحرب بينهم؛ فدفعهم الأتراك حتى بلغوا الحائطين بطريق قطربيل ، وقاتل أبو السنّا وأسد بن داود قتالاً شديداً ، وقتل كلّ واحد منهم عدّة من الأتراك والمغاربة ، ومال أبو السنّا ميّلة ، وتبعه الناس ، فقتل قائداً من قوّاد الأتراك يقال له سور ، ورفع رأسه فصار من فوره إلى دار ابن طاهر ، وأعلمته هزيمة الناس وسأله المدد ، فأمر ابن طاهر به فطّوق - وكان وزن الأطواق كلّ طوق ثلاثة ديناراً ، وكلّ سوار سبعة مثاقيل ونصف - وانصرف أبو السنّا راجعاً إلى الناس فيما أخرج إليهم من المدد من جميع الأبواب ، فذكر أنّ محمد بن عبد الله عتف أبو السنّا بإخلاله بموضعه ومجيئه نفسه بالرأس ، وقال له: أخللت بالناس ، فقبع الله هذا الرأس ومجيئك به !

ولما انصرف محمد بن عبدوس قاتل أسد بن داود أشدّ قتال بعد تفرق الناس عنه ، فقتل وثاب إلى موضعه قوم من أهل بغداد بعد ما أخذ الأتراك رأسه ، فدافعوه عن جثته ، فحملوه إلى بغداد في زورق ، وبلغ الأتراك باب قطربيل ، فخرج الناس إليهم فدفعوهم عن الباب دفعاً شديداً ، واتبعوهم حتى نحْوَهُم؛ فأتي دار ابن طاهر بعدة رؤوس ممن قتل من الأتراك والمغاربة في هذا اليوم ، فأمر بنصبها بباب الشماسية ، فنصبت هنالك ، ثم رجع الأتراك والمغاربة على أهل بغداد من ناحية قطربيل ، فقتل من أهل بغداد خلق كثير ، وقتل من الأتراك جمع كثير؛ ولم يزل بندار ومن معه يقاتلونهم حتى أمسوا ، وانصرف بندار بالناس ، وغلقت الأبواب ، وأمر ابن طاهر المظفر بن سيسيل ورشيد بن كاوس ، وقاداً معهم فتوّجّهوا في نحو من خمسين فارس من باب قطربيل إلى ناحية عسکر ابن أشناس ، فوافوهم على حالِ سكون وأمن ، فقتلوا منهم نحواً من ثلثين ، وأسروا عدّة وانصرفوا.

وذُكر أنَّ الأتراك والمغاربة وافوا في هذا اليوم بباب القطعية ، فنقبوا نقباً بقرب الحمام الذي يعرف بباب القطعية ، فقتل أول منْ خرج منهم من النقب ، وكان القتل في هذا اليوم أكثر في الأتراك والمغاربة والجرح بالسهام في أهل بغداد.

وسمعت جماعة يذكرون أنه حضر هذه الواقعة غلام لم يبلغ الحلم ، ومعه مخلة فيها حجارة ومقلاع في يده ، يرمي عنه فلا يخطيء وجوه الأتراك ووجوه دوابهم ، وأنَّ أربعة من فرسان الأتراك الناشبة جعلوا يرمونه في خطئونه وجعل يرميهم فلا يخطيء ، وتقطر بهم دوابهم؛ فمضوا حتى جاؤوا معهم بأربعة من رجال المغاربة بأيديهم الرماح والتراس ، فجعلوا يحملون عليه ، ثم دخله اثنان منهم ، فرمى بنفسه في الماء ، ودخل خلفه فلم يلتحقا به ، وعبر إلى الجانب الشرقي ، وصيَّح ، وكَبَّر الناس ، فرجعوا ولم يصلوا إليه.

وذُكر أنَّ عبيد الله بن عبد الله دعا القواد في هذا اليوم وهم خمسة نفر ، فأمر كلَّ واحد منهم بناحية ، ثم مضى الناس إلى الحرب ، وانصرف هو إلى الباب؛ فقال لعبد الله بن جهم وهو موكل بباب قطربيل: إياك أن تدع منهم أحداً يدخل منهاماً من الباب ، ونشبت الحرب ، وتشتت الناس ، ووّقعت الهزيمة؛ وثبت أسد بن داود؛ حتى قُتل وقتل بيده ثلاثة ، ثم أتاه سهم غَرَب ، فوقع في حلقه

فولى ، وجاء سهم آخر فوق في كَفَلْ دابته فشبّت به فصرعته ؛ ولم يثبت معه أحد إلا ابنته ، فجُرِح ؛ وكان إغلاق الباب على المنهزمين أشدَّ من عدوهم ، وحُمِل - فيما ذكر - إلى سامراً من أهل بغداد سبعون أسيراً ، ومن الرؤوس ثلاثمائة رأس.

وذكر أنَّ الأسرى لما قربوا من سامراً أمر الذي وجه به معهم ألا يدخلهم ساماً إلا مغطى الوجه ، وأنَّ أهل سامراً المأروءُ لهم كثُر ضجيجهم وبكاؤهم ؛ وارتقت أصواتهم وأصوات نسائهم بالصراخ والدعاء ، فبلغ ذلك المعتز ، فكره أن تغليظ قلوب منْ بحضرته من الناس عليه ، فأمر لكل أسير بدينارين ، وتقديم إليهم بترك معاودة القتال ، وأمر بالرؤوس فدفنت.

وكان في الأسرى ابن محمد بن نصر بن حمزة وأخ لقسطنطينية جارية أم حبيب وخمسة من وجوه بغداد ممن كان في النظارة ؛ فأما ابن محمد بن نصر ، فذكر أنه قُتل وصلب بإياز باب الشّماسية لمكان أبيه .

وفي يوم الخميس لأربع بَقِين من شهر ربيع الأول ، قدم أبو الساج من طريق مكة في نحو من سبعينية فارس ومعه ثمانية عشر محملًا فيها ستة وثلاثون أسيراً من أسرى الأعراب في الأغلال ، ودخل هو وأصحابه بغداد في زِيَّ حسن وسلام ظاهر ، فصار إلى الدّار ، فخلع عليه خمس خلع ، وقد سيفاً ، وانصرف إلى منزله مع أصحابه ؛ وقد خلع على أربع نفر من أصحابه .

وفي يوم الإثنين لانسلاخ شهر ربيع الأول ، وافى باب الشّماسية - فيما قيل - جماعة من الأتراك ، معهم من المعتز كتاب إلى محمد بن عبد الله : وسألوا إيصاله إليه ، فامتنع الحسين بن إسماعيل من قبوله حتى استأمر ؛ فأمر بقبوله ؛ فوافى يوم الجمعة ثلاثة فوارس ، فأخرج إليهم الحسين بن إسماعيل رجلاً معه سيف وترس ، فأخذ الكتاب من خريطة ، فأخرج ، فأوصله إلى محمد ؛ فإذا فيه تذكير محمد بما يجب عليه من حفظه لقديم العهد بينه وبين المعتز والحرمة ؛ وأن الواجب كان عليه أن يكون أول من سعى في أمره وتوجيهه خلافته ؛ وذكر أنَّ ذلك أول كتاب ورد عليه من المعتز بعد الحرب .

وفي يوم السبت لخمس خلؤن من ربيع الآخر وافى بغداد حَبْشُون بن بغا الكبير ومعه يوسف بن يعقوب قوصرة مولى الهاדי فيمن كان مع موسى بن بغا من الشاكريّة ، وانضمَّ إليهم عامة الشاكريّة المقيمين بالرقة ؛ وهم في نحو من ألف

وثلاثمائة ، فخلع عليه خمس خلع ، وعلى يوسف أربع خلع ، وعلى نحو من عشرين من وجوه الشاكرية ، وانصرفوا إلى منازلهم .

وقدِمَ بغدادَ رجل ذُكرَ أنَّ عدَّةَ الأتراكَ والمغاربةَ وحشُوْهُم في الجانب الغربيِّ اثنا عشرَ ألفَ رجلَ ورَأْسَهُم بـأبيكباك القائدَ وـأَنَّ عدَّةَ مَنْ مَعَ أبيَّ احمدَ في الجانب الشرقيِّ سبعةَ آلـافَ رجلَ خليفةَ عليهم الدرـغمـانـ الفـرغـانـيـ ، وأنه ليس بـسامـراـ من قـوـادـ الأـتـراكـ ولاـ منـ قـوـادـ المـغـارـبـ إـلاـ ستـةـ نـفـرـ ، وـكـلـواـ بـحـفـظـ الـأـبـوـابـ ، وـكـانـ بـيـنـ الـفـرـيقـيـنـ وـقـعـةـ يـوـمـ الـأـرـبـاعـ لـسـعـيـ خـلـوـنـ مـنـ شـهـرـ رـبـيعـ الـآخـرـ ، فـقـتـلـ - فـيـماـ ذـكـرـ - فـيـهاـ مـنـ أـصـحـابـ الـمـعـتـزـ مـعـ مـنـ غـرـقـ مـنـهـمـ أـرـبـعـمـائـةـ رـجـلـ ، وـقـتـلـ مـنـ أـصـحـابـ ابنـ طـاهـرـ مـعـ مـنـ غـرـقـ ثـلـثـمـائـةـ رـجـلـ ، لمـ يـكـنـ فـيـهـمـ إـلاـ جـنـديـ ؛ وـذـلـكـ أـنـهـ لـمـ يـخـرـجـ فـيـ ذـلـكـ الـيـوـمـ مـنـ الـغـوـغـاءـ أـحـدـ ، وـقـتـلـ الـحـسـنـ بـنـ عـلـيـ الـحـرـبـيـ ؛ وـكـانـ يـوـمـاـ صـعـباـ عـلـىـ الـفـرـيقـيـنـ جـمـيـعـاـ .

وـذـكـرـ أـنـ مـزـاحـمـ بـنـ خـاقـانـ رـمـىـ فـيـهـ مـوـسـىـ بـنـ أـشـنـاسـ بـسـهـمـ فـأـصـابـهـ ، فـانـصـرـفـ مـجـرـوـحـاـ ؛ وـافـتـنـدـ مـنـ عـسـكـرـ أـبـيـ اـحـمـدـ نـحـوـ مـنـ عـشـرـينـ قـائـدـاـ مـنـ الـأـتـراكـ وـالـمـغـارـبـ .

ولـمـ كـانـ يـوـمـ الـخـمـيسـ لـأـرـبـعـ عـشـرـ بـقـيـتـ مـنـ شـهـرـ رـبـيعـ الـآخـرـ خـلـعـ عـلـىـ أـبـيـ السـاجـ خـمـسـ خـلـعـ ، وـعـلـىـ اـبـنـ فـراـشـةـ أـرـبـعـ خـلـعـ ، وـعـلـىـ يـحـيـيـ بـنـ حـفـصـ حـبـوـسـ ثـلـاثـ خـلـعـ ، وـعـسـكـرـ أـبـوـ السـاجـ فـيـ سـوـقـ الـثـلـاثـاءـ ، وـأـعـطـيـ الـجـنـدـ بـغـالـاـ مـنـ بـغـالـ السـلـطـانـ يـحـمـلـ عـلـيـهـاـ الرـجـالـةـ ، وـحـوـلـ مـزـاحـمـ بـنـ خـاقـانـ مـنـ بـابـ حـرـبـ إـلـىـ بـابـ السـلـامـةـ ، وـصـارـ مـكـانـ مـزـاحـمـ خـالـدـ بـنـ عـمـرـانـ الطـائـيـ الـمـوـصـلـيـ .

وـذـكـرـ أـبـاـ السـاجـ لـمـ أـمـرـهـ اـبـنـ طـاهـرـ بـالـشـخـوصـ قـالـ لـهـ : أـيـهـاـ الـأـمـيرـ ، عـنـديـ مـشـورـةـ أـشـيرـ بـهـاـ ، قـالـ : قـلـ يـاـ أـبـاـ جـعـفـرـ ؛ إـنـكـ غـيرـ مـتـهـمـ ، قـالـ : إـنـ كـنـتـ تـرـيدـ أـنـ تـجـادـ هـؤـلـاءـ الـقـوـمـ فـالـرـأـيـ لـكـ إـلـاـ تـفـارـقـ قـوـادـكـ وـلـاـ تـفـرـقـهـمـ ، وـاجـمـعـهـمـ حـتـىـ تـفـضـ هـذـاـ عـسـكـرـ الـمـقـيمـ بـإـرـائـكـ ؛ إـنـكـ إـذـاـ فـرـغـتـ مـنـ هـؤـلـاءـ فـمـاـ أـقـدـرـكـ عـلـىـ مـنـ وـرـاءـكـ ! فـقـالـ : إـنـ لـيـ تـدـبـيرـاـ ، وـيـكـفـيـ إـنـ شـاءـ . فـقـالـ أـبـوـ السـاجـ : السـمـعـ وـالـطـاعـةـ ؛ وـمضـىـ لـمـ أـمـرـ بـهـ .

وـذـكـرـ أـنـ الـمـعـتـزـ كـتـبـ إـلـىـ أـبـيـ اـحـمـدـ يـلـوـمـهـ لـلـتـقـصـيرـ فـيـ قـتـالـ أـهـلـ بـغـدـادـ ، فـكـتـبـ إـلـيـهـ :

وللـدـهـرـ فـيـهـ اـتـسـاعـ وـضـيقـ
فـمـنـهـ الـبـكـورـ وـمـنـهـ الـطـرـوـقـ
وـيـخـذـلـ فـيـهـ الصـدـيقـ الصـدـيقـ
تـفـوـتـ الـعـيـسـوـنـ وـبـخـرـ عـمـيـقـ
وـخـوـفـ شـدـيدـ ، وـحـصـنـ وـثـيقـ
سـلاـخـ السـلاـخـ ، فـمـاـ يـسـتـفـيـقـ
وـهـذـاـ حـرـيـقـ وـهـذـاـ غـرـيـقـ
وـآخـرـ يـشـدـخـهـ الـمـنـجـنـيـقـ
وـدـوـرـ خـرـابـ وـكـانـتـ تـرـوـقـ
وـجـدـنـاهـ قـدـ سـدـ عـنـ الـطـرـيـقـ
وـبـالـلـهـ نـدـفـعـ مـاـ لـاـ نـطـيـقـ

لـأـمـرـ الـمـنـايـاـ عـلـيـنـاـ طـرـيـقـ
فـأـيـامـنـاـ عـبـرـ لـلـأـنـامـ
وـمـنـهـ هـنـاـتـ تـشـبـ الـوـلـيـدـ
وـسـوـرـ عـرـيـضـ لـهـ ذـرـوـةـ
قـتـالـ مـيـدـ وـسـيـفـ عـتـيـدـ
وـطـوـلـ صـيـاحـ لـدـاعـيـ الصـبـاحـ الـ
فـهـذـاـ قـتـيلـ وـهـذـاـ جـرـيـحـ
وـهـذـاـ قـتـيلـ وـهـذـاـ تـلـيـلـ
هـنـاكـ اـغـتـصـابـ وـثـمـ اـنـهـابـ
إـذـاـ مـاـ سـمـونـاـ إـلـىـ مـسـلـكـ
فـبـالـلـهـ نـبـلـغـ مـاـ نـرـجـيـهـ

فـأـجـابـهـ مـحـمـدـ بـنـ عـبـدـ اللـهـ - أوـ قـيلـ عـلـىـ لـسانـهـ :

وـجـارـ بـهـ عـنـ هـدـاـهـ الـطـرـيـقـ
وـهـذـاـ بـأـمـثـالـ هـذـاـ خـلـيـقـ
وـتـوـكـيـدـهـاـ فـيـهـ عـهـدـ وـثـيقـ
وـيـلـقـىـ مـنـ الـأـمـرـ مـاـ لـاـ يـطـيـقـ
مـنـ كـانـ عـنـ غـيـرـهـ لـاـ يـفـيـقـ
رـوـاهـ لـنـاـعـنـ خـلـوـقـ خـلـوـقـ
يـصـدـقـهـ ذـاـ النـبـيـ الصـدـوقـ

أـلـاـ كـلـ مـنـ زـاغـ عـنـ أـمـرـهـ
مـلـاقـ مـنـ الـأـمـرـ مـاـ قـدـ وـصـفـتـ
وـلـاـ سـيـمـاـ نـاـكـثـ بـيـعـةـ
يـسـدـ عـلـيـهـ طـرـيـقـ الـهـدـىـ
وـلـيـسـ بـالـغـ مـاـ يـرـجـيـهـ
أـتـانـاـ بـهـ خـبـرـ سـائـرـ
وـهـذـاـ الـكـتـابـ لـنـاـ شـاهـدـ

أـمـاـ الشـعـرـ الـأـوـلـ؛ فـإـنـهـ يـنـشـدـ لـعـلـيـ بـنـ أـمـيـةـ فـيـ فـتـنـةـ الـمـخـلـوـعـ وـالـمـأـمـوـنـ ،
وـالـجـوابـ لـاـ يـعـرـفـ قـائـلـهـ .

وـفـيـ رـبـيعـ الـآـخـرـ مـنـ هـذـهـ السـنـةـ ذـكـرـ أـنـ مـئـيـ نـفـسـ مـنـ بـيـنـ فـارـسـ وـرـاجـلـ مـضـوـاـ
مـنـ قـبـلـ الـمـعـتـرـ إـلـىـ نـاحـيـةـ الـبـنـدـنـيـجـينـ وـرـئـيـسـهـمـ تـرـكـيـ يـدـعـيـ أـبـلـجـ فـقـصـدـواـ
الـحـسـنـ بـنـ عـلـيـ ، فـاـنـتـهـبـواـ دـارـهـ ، وـأـغـارـواـ عـلـىـ قـرـيـتـهـ ، ثـمـ صـارـواـ إـلـىـ قـرـيـةـ قـرـيـةـ
مـنـهـ ، فـأـكـلـوـاـ وـشـرـبـواـ ، فـلـمـاـ اـطـمـأـنـواـ اـسـتـصـرـخـ عـلـيـهـمـ الـحـسـنـ بـنـ عـلـيـ أـكـرـادـاـ مـنـ
أـخـوـالـهـ وـقـوـمـاـ مـنـ قـرـىـ حـولـهـ ، فـصـارـواـ إـلـيـهـمـ وـهـمـ غـارـوـنـ ، فـأـوـقـعـ بـهـمـ وـقـتـلـ
أـكـثـرـهـمـ ، وـأـسـرـ سـبـعـةـ عـشـرـ رـجـلـاـ مـنـهـمـ ، وـقـتـلـ أـبـلـجـ ، وـهـرـبـ مـنـ بـقـيـ مـنـهـ لـيـلـاـ ،

ثم بعث الحسن بن علي الأسرى ورأس أبلج ورؤوس مَنْ قُتِلَ معه إلى بغداد .
والحسن بن علي هذا رجل من شيبان كان يخلف - فيما ذكر - يحيى بن حفص
في عمله ، وأمّه من الأكراد .

* * *

ذكر خبر المدائن في هذه الفتنة^(١)

ذكر أنّ أبا الساج وإسماعيل بن فراشة ويحيى بن حفص ، لَمَّا خُلِعْ عليهم للشخص نحو المدائن ، عسکروا بسوق الثلاثاء ؛ فلما كان يوم الأحد عشر يَقِين من شهر ربيع الأول ، حمل رجالته على البغال ، وصار إلى المدائن ، ثم إلى الصيادة ؛ وابتدأ في حفر خندق المدائن - وهو خندق كسرى - وكتب يستمدّ ؛ فوجه إليه خمسة رجل من رجاله الجيشية ؛ وكان شخوصه في ثلاثة آلاف فارس ورجل ، ثم استمدّ فأمده ، فحصل في عسكره ثلاثة آلاف فارس وألفاً راجل ، ثم أمد بمنتهي راجل من الشاكرة القدماء ، وحملوا في السفن ، وانحدروا إليه يوم الأحد لأربع خلوات من جمادى الآخرة .

ذكر الخبر عن أمر الأنبار وما كان فيها من هذه الفتنة

فمما كان بها أن محمد بن عبد الله وجّه بحونة بن قيس في الأعراب إلى الأنبار ، وأمره بالمقام بها والفرض لأعراب الناحية ، ففرض قوماً منهم ومن المشبهة بهم نحواً من ألفي رجل ؛ فأقام بالأنبار وضبطها ؛ فبلغه أن قوماً من الأتراك قد قصدواه ، فبئق الماء من الفرات إلى خندق الأنبار ، فامتلاً الخندق لزيادة الماء ، وفاض على ما يليه من الصحاري ؛ فصار الماء إلى السالحين فصار ما يلي الأنبار بطيبة واحدة ، وقطع القناطر التي توصل إلى الأنبار ؛ وكتب يستمدّ ، فندب للخروج إليه رشيد بن كاوس أخو الأفشين ، وضمّ إليه ممن كان معه من رجال تمة ألف رجل ؛ خمسة فارس وخمسة راجل ، فشخص وعسكر في قصر عبدويه ، وأمده ابن طاهر بثلاثة راجل من الملاطيين القادمين من

(١) انظر المتنظم (١٢ / ٤٣ - ٤٤٨) والبداية والنهاية [٢١٩ / ٨].

الغور ، وانتخبوا ودفع إليهم استحقاقهم ، ونفذوا إليه يوم الثلاثاء ، ورحل من قصر عَبْدُوِيَّة يوم الإثنين سَلْخَ ربيع الآخر في نحو من ألف وخمسمائة رجل ، وأخرج المعتَرِّ أبا نصر بن بُغا من سامراً على طريق الإسحاقِيَّ يوم الثلاثاء ، فسار يومه وليلته ، فصَبَّحَ الأنبار ساعة نزلها رُشيد بن كاووس .

وكان بحونَة نازلاً في المدينة ورُشيد خارجها ، فلما وافى أبو نصر عاجل رشيداً وأصحابه وهم غارون على غير تعبية ، فوضع أصحابه فيهم السيف ، ورمُوهُم بالنشاب فقتلوا عدّة ، وثار بعض أصحاب رشيد إلى أسلحتهم فقاتلوا الأتراك والمغاربة قتالاً شديداً ، وقتلوا منهم جماعة ، ثم انهزم الشاكريَّة ورشيد على الطريق الذي جاؤوا فيه من صفين إلى بغداد .

ولما بلغ بحونَة ما لقيه أصحاب رشيد ، وأنَّ الأتراك قد مالوا عند انهزام رشيد إلى الأنبار عَبَرَ إلى الجانب الغربي ، وقطع جسر الأنبار ، وعبر معه جماعة من أصحابه ، وصار رشيد إلى المُحَوَّل في ليلته ، وسار بحونَة في الجانب الغربي حتى وافى بغداد يوم الخميس بالعشري ، ثم دخل رشيد في هذه العشية إلى دار ابن طاهر ، فأعلم بحونَة محمد بن عبد الله أنه عند مصير الأتراك إلى الأنبار وجه إلى رشيد يسألَه أن يوجه إليه مئة رجل من الناشبة ليترتبهم قُدَّام أصحابه ، فامتنع من ذلك ، وسألَه أن يضمَّ إليه ناشبة من الفرسان والرجالَة ليصير إلىبني عمه ، وذكر أنَّهم مقيمون هنا لك في الجانب الغربي على الطاعة وانتظار أمير المؤمنين ، وضمن أن يتلافى ما كان منه ، فضمَّ إليه ثلاثة رجال من فرسان الشاكريَّة الناشبة ورجالَتهم ، وخلع عليه خمس خلع ، ومضى إلى قصر ابن هُبيرة يستعدَ هنا لك .

ثم اختار محمد بن عبد الله الحسينَ بن إسماعيل للأنبار ، ووجهَ محمد بن رجاء الحِضاريَّ معه وعبد الله بن نصر بن حمزة ورشيد بن كاووس ومحمد بن يحيى وجماعة من الناس ، وأمر بإخراج المال لمن يخرج مع الحسين ومع هؤلاء القوم؛ فامتنع مَنْ كان قد من مَلَطْية من الشاكريَّة وهم عُظم الناس من قبض رزق أربعة أشهر؛ لأنَّ أكثرهم كان بغير دوابٍ ، وقالوا: نحتاج إلى أن نقوى في أنفسنا ، ونشتري الدواب ، وكان الذي أطلق لهم أربعة آلاف دينار ، ثم رضوا بقبض أربعة أشهر ، فجلس الحسين في مجلسٍ على باب محمد بن عبد الله ، وتقدَّم في تصحيح الجرائد ، ليكون عَرْضُه الناس وأصحابه في مدينة أبي جعفر ،

فأعطي في ذلك اليوم جماعة من خاصته ، ثم صار الحسين وأصحاب الدّواوين بعد ذلك إلى مدينة أبي جعفر ، ووضع العطاء لمن يخرج معه من الجنّد في ثلاثة مجالس ؛ واستتم إعطاؤهم يوم السبت لاثنتي عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى .

فلما كان يوم الإثنين أحضر الحسين بن إسماعيل الدّار ومعه القواد الخارجون معه : رشيد بن كاوس ، ومحمد بن رجاء ، وعبد الله بن نصر بن حمزة ، وأرمش الفرغاني ، ومحمد بن يعقوب أخو حزام ، ويوف بن منصور بن يوسف البزم ، والحسين بن عليّ بن يحيى الأرمني ، والفضل بن محمد بن الفضل ، و Mohammad بن هرثمة بن النصر ؛ وخلع على الحسين ؛ وقدّمت مرتبته إلى الفوج الثاني - وكان في الفوج الرابع - وخلع على هؤلاء القواد ، وصيّر رشيد بن كاوس على المقدمة ، ومحمد بن رجاء على الساقفة ، ومضى الحسين ومن ضمّ إليه من عشيرته وقواده إلى معسكرهم ، وأمر وصيف وبغا أن يسبقا الحسين إلى معسكره ، وشيّعه عبد الله بن عبد الله وجميع قواد ابن طاهر وكتابه وبنو هاشم واللّجؤ إلى الياسريّة ، وأخرج لأهل العسكر من المال ستة وثلاثون ألف دينار ، وحمل إلى معسكر الياسريّة بعد لإعطاء مَنْ بقي ألف وثمانمائة دينار ، تمام استحقاقهم .

فلما كان يوم الخميس سارت مقدمة الحسين والمقلّد لها عبد الله بن نصر ومحمد بن يعقوب في ألف فارس ورجل ، فنزلوا البئق المعروف بالقطوفة ؛ وكان الأتراك قد وجّهوا إلى المنصورية على خمسة فراسخ من بغداد جماعةً منهم ومن المغاربة والغوغاء زُهاء مئة إنسان ، فظفر بسبعة من المغاربة ، فوجّه بهم إلى الحسين ، فأنفذهم إلى الباب ، وسار الحسين يوم الجمعة لسبعين من جمادى الأولى ، وقد كان أهل الأنبار حين تنحى بحونه ورشيد ، وصار الأتراك والمغاربة إلى الأنبار ونادوا الأمان ؛ فأعطوه ، وأمروا بفتح حواناتهم ، والتسوق فيها والانتشار في أمورهم ، واطمأنوا إلى ذلك منهم وسكنوا ، وطمعوا فيهم أن يفوا لهم ، فأقاموا بذلك يومهم وليلتهم حتى أصبحوا وكان في وقت غلبتهم عليها وافتّهم سفن من الرّقة فيها دقيق وأطواق فيها زيت وغير ذلك ؛ فأخذوه وجعلوا ما وجدوا فيها من إبل ودوابٍ وبغال وحمير ، ووجّهوا بذلك مع مَنْ يؤديه إلى

منازلهم بسامراً ، وانتهوا ما وجدوا ، ووجهوا برؤوس من قُتل من أصحاب رشيد وبحونة وأهل بغداد وبمن أسروا و كانوا مئة وعشرين رجلاً ، والرؤوس سبعون رأساً ، وجعلوا الأسرى في الجوالقات ، قد أخرجوا منها رؤوسهم حتى صاروا إلى سامراً ، وصار الأتراك إلى فم الأستانة ، وحاولوا سدها ليقطعوا ماء الفرات عن بغداد ، فوجّهوا رجالاً ، ودفعوا إليه مالاً لآلة السّكّر ، وسدّه مع الفلّوس والصواري ، فقطّن به وهو يبتاع ذلك ، فحمل إلى دار ابن طاهر بعد أن ناله العامة بالضرب والشتم؛ حتى أشفى على الموت ، فسئل عن أمره فصدق ، فوجّه به إلى الحبس .

وكان ابن طاهر قد وجّه الحارث خليفة أبي الساج؛ فكان على طريق مكة إلى قصر ابن هبيرة ، وضمّ إليه خمسينه رجل من فرسان الشاكرية القادمين معه؛ فنفذ ومن معه لسبع خلون من جمادى الأولى ، ووجّه ابن أبي دلف هشام بن القاسم في مئتي راجل وفارس إلى السّيّدين ، ليقيم هناك؛ فلما توجّه الحسين إلى الأنبار كتب إليه باللحاق بعسكر الحسين ليصير معه إلى الأنبار ، ونوديَ ببغداد في أصحاب الحسين ومزاحم بن خاقان أن يلحقوا بقوادهم ، فسار الحسين ، وتقدّم خالد بن عمران حتى نزل دمماً؛ فأراد أن يعقد على نهر أنق جسراً ليعبّر عليه أصحابه ، فمانعه الأتراك ، فعبر إليهم جماعة من الرجال فكشفوهم ، وعقد خالد الجسر ، فعبر هو وأصحابه ، وصار الحسين إلى دمماً ، فعسكر خارجها ، وأقام في معسكره يوماً ، ووافته طلائع الأتراك مما يلي نهر أنق ونهر رفيل فوق قرية دمماً ، فصفّ الحسين أصحابه من جانب النهر والأتراك من الجانب الآخر ، وهم زهاء ألف رجل ، وتراسقوا بالسهام ، فجرح بينهم عداد ، وانصرف الأتراك إلى الأنبار .

وكان بحونة مقيناً بقصر ابن هبيرة ، فانضمّ إلى الحسين في جميع من كان معه من الأعراب وغيرهم ، وكتب بحونة يسأل مالاً لإعطاء أصحابه؛ فأمر أن يحمل إلى معسكر الحسين لإعطاء أصحاب بحونة ثلاثة آلاف دينار ، وحمل إلى الحسين مال وأطواق وأسورة وجوائز لمن أبلى في الحرب ، وكان الحسين وعد أن يُمدّ بالرجال حتى يكمل عسكره عشرة آلاف رجل ، فكتب ينتجز ذلك؛ فأمر بتوجيه أبي السنّا محمد بن عبدوس الغنوّي والجحاف بن سواد في ألف فارس

وراحل من الملطّيين وجند انتخبو من قيادات شتى ، فقبضوا أنز الهم لليلتين بقيتا من جمادى ، وساروا مع أبي السناء والجحاف على نهر كرخايا إلى المحول ، ثم إلى ديمتا ، ونزل الحسين بعسكره في موضع - يعرف بالقطيعة - واسع يحتمل العسكر ، فأقام فيه يومه ، ثم عزل على الرّحلة منه إلى قرب الأنبار ، فأشار عليه رشيد والقواد أن ينزل عسكره بهذا الموضع لسعته وحصانته ، ويسير هو وقواده في خيلٍ جريدةً ، فإن كان الأمر له كان قادرًا أن ينقل عسكره؛ وإن كان عليه انجاز إلى عسكره وراجع عدوه؛ فلم يقبل الرأي ، وحملهم على المسير من موضعهم ، فساروا ، وبين الموضعين فرسخان أو نحوهما ، فلما بلغوا الموضع الذي أراد الحسين التزول فيه ، أمر الناس بالنزول؛ وكان جواسيس الأتراك في عسكر الحسين ، فساروا إليهم ، وأعلموهم رحلة الحسين ، وضيق العسكر بالموضع الذي نزل فيه ، فواقوهم والناس يحطون أثقالهم ، فسار أهل العسكر ، ونادوا السلاح ، فصادفوه؛ فكانت بينهم قتلى من الفريقين ، وحمل أصحاب الحسين عليهم فكشفوهم كشفاً قبيحاً ، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، وغرق منهم خلق كثير في الفرات ، وكان الأتراك قد كمنوا قوماً ، فخرج الكمين عند ذلك على بقية العسكر؛ فلم يكن لهم ملجاً إلا الفرات ، وغرق من أصحاب الحسين خلق كثير ، وقتل جماعة وأسر من الرجال جماعة؛ وأما الفرسان فضرموا دوابهم هرابة لا يلوون على شيء ، والقواد ينادونهم يسألونهم الرّاجعة ، فلم يرجع منهم أحد ، وأبلى محمد بن رجاء ورشيد يومئذ بلاء حساً ، ولم يكن لمن انهزم معقل دون الياسرة على باب بغداد ، فلم يملك القواد أمور أصحابهم ، فأشفقوا حينئذ على أنفسهم ، فانثنوا راجعين وراءهم ، يحمونهم من أدبائهم أن يتبعوا ، وحوى الأتراك جميع عسكر الحسين بما فيه من المضارب وأثاث الجنود وتجارات أهل السوق؛ وكان معه في السفن سلاح سليم؛ لأن الملاحين حرزوا سفنهم ، فسلم ما كان معهم من السلاح ومن تجارات التجار.

وذكر عن ابن زنبور كاتب الحسين أنه أخذ للحسين اثنا عشر صندوقاً فيها كسوة ومال من مال السلطان مبلغه ثمانية آلاف دينار ، ونحو من أربعة آلاف دينار لنفسه ، ونحو من مئة بغل؛ وانتهب فروضُ الحسين مضارب الحسين وأصحابه ، وطاروا مع مَنْ طار ، فواقوها الياسرة؛ وكان أكثر النهب مع أصحاب أبي السناء.

ووافي الحسين والفلل الياسيرية ويوم الثلاثاء لست خلون من جمادى الآخرة .

ولقي الحسينَ رجل من التجار في جماعة ممن ذهبت أموالهم في عسكره ، فقال : الحمد لله الذي يبْصِن وجهك ! أصعدت في اثنى عشر يوماً ، وانصرفت في يوم واحد ! فتغافل عنه .

قال أبو جعفر : وممّا انتهى إلينا من خبر الحسين بن إسماعيل ومن كان معه من القُوَّاد والجند الذي كان محمد بن عبد الله بن طاهر استنهضَهم من بغداد في هذه السنة لحرب مَنْ كان قصد الأنبار وما اتصل بها من البلاد من الأتراك والمغاربة ، أنه لما صار إلى الياسيرية منصرفه مهزوماً من دِيمَما ، أقام بها في بستان ابن الحَرْوري ، وأقام مَنْ وافى الياسيرية من المنهزمَة في الجانب الغربي من الياسيرية ، وُمْنعوا من العبور ، ونُودي ببغداد فيما دخلها من الجند الذين في عسكر الحسين أن يلحقوا بالحسين في معسكره ، وأجْلُوا ثلاثة أيام؛ فمن وجد منهم ببغداد بعد ثلاثة ضُرب ثلاثمائة سوط ، وُمْحى اسمه من الديوان .

فخرج الناس ، وأمر خالد بن عمران في الليلة التي قدم فيها الحسين أن يعسكر في أصحابه بالمحوَّل ، وأعطى أصحابه أرزاقهم في تلك الليلة في الشَّرْج ، ونودي في أصحابه بالمحوَّل باللحاق به .

ونودي في الفرض القدماء الذين كانوا فرضاً بسبب أبي الحسين يحيى بن عمر بالكوفة وهم خمسة رجال ، وأصحاب خالد وهم نحو من ألف رجل ، فعسكروا بالمحوَّل يوم الثلاثاء لسبعين خلون من جمادى الآخرة ، وأمر ابن طاهر الشاه بن ميكال في صبيحة الليلة التي وافى فيها الحسين أن يتلقاه ويمنعه من دخول بغداد ، فلقيه في الطريق ، فرده إلى بستان ابن الحَرْوري ، وأقاموا يومهم؛ فلما كان الليل صاروا إلى دار ابن طاهر ، فوبخه ابن طاهر ، وأمره بالرجوع إلى الياسيرية لينفذ إلى الأنبار مع مَنْ ينفذ إليها من الجند؛ فصار من ليلته إلى الياسيرية ، ثم أمر بإخراج مال لإعطاء شهر واحد لآل هذا العسكر فحمل تسعة آلاف دينار ، وصار كتاب ديوان العطاء وديوان العَرْض إلى الياسيرية لعرض الجندي وإعطائهم .

فلما كان يوم الجمعة لسبعين خلون من جمادى الآخرة توجَّه خالد بن عمران

مُصعداً إلى قنطرة بهلايا - وهي موضع السّكْر - وخرجت معه نحو من عشرين سفينـة ، وركب عبيد الله بن عبد الله وأحمد بن إسرائيل والحسن بن مخلد إلى عسكر الحسين بن إسماعيل بالياسريـة ، فقرؤوا على الحسين والقواد كتاباً كتبـ به عن المستعين ، يخبرـهم فيه بسوء طاعـتهم وما ركبـوا من العصيان والتـخاذل؛ فقرىء عليهم والعـسـكـرـ مـقـيمـ ، والـعـرـاضـ يـعـرضـونـهـمـ ليـتـعـرـفـواـ مـنـ قـتـلـ وـمـنـ غـرـقـ منـ كـلـ قـيـادـةـ ، وـنـوـدـيـ بالـلـحـاقـ بـعـسـكـرـهـمـ ؛ فـخـرـجـواـ ، وـأـتـاهـمـ كـتـابـ بـعـضـ عـيـونـهـمـ بـالـأـنـبـارـ يـخـبـرـ أـنـ القـتـلـيـ كـانـتـ مـنـ الـأـتـرـاكـ أـكـثـرـ مـنـ مـئـتـيـ ، وـالـجـرـحـيـ نـحـواـ مـنـ أـرـبـعـمـائـةـ ؛ وـأـنـ جـمـيعـ مـنـ أـسـرـهـ الـأـتـرـاكـ مـنـ أـهـلـ بـغـدـادـ الـجـيـشـيـةـ وـالـفـرـوضـ مـنـ الـرـجـالـةـ مـتـنـانـ وـعـشـرـونـ إـنـسـانـاـ ، وـأـنـ عـدـ رـؤـوسـ مـنـ قـتـلـ فـوـجـدـهـاـ سـبـعـينـ رـأسـاـ ، وـكـانـواـ أـخـذـواـ جـمـاعـةـ مـنـ أـهـلـ الـأـسـوـاقـ ، فـصـاحـوـاـ لـأـبـيـ نـصـرـ : نـحـنـ أـهـلـ السـوقـ ، فـقـالـ : مـاـ بـالـكـمـ مـعـهـمـ ! فـقـالـواـ : أـكـرـهـنـاـ فـخـرـجـنـاـ ، شـئـنـاـ [أـوـ أـبـيـنـاـ]ـ فـأـطـلـقـ مـنـ كـانـ مـنـهـمـ يـشـبـهـ السـوـقـةـ . وـأـمـرـ بـحـبـسـ الـأـسـرـيـ فـيـ الـقـطـيـعـةـ .

وـذـكـرـ عنـ صـاحـبـ بـغـالـ السـلـطـانـ : أـنـ جـمـيعـ مـاـ ذـهـبـ مـنـ بـغـالـ السـلـطـانـ مـئـةـ وـعـشـرـونـ بـغـلاـ .

ورـحـلـ الحـسـينـ يـوـمـ الإـثـنـيـنـ لـاثـنـيـ عـشـرـ بـقـيـتـ مـنـ جـمـادـيـ الـآـخـرـةـ ، وـكـتـبـ إـلـىـ خـالـدـ بـنـ عـمـرـانـ وـهـوـ مـقـيمـ عـلـىـ السـكـرـ ، أـنـ يـرـحلـ مـتـقدـمـاـ أـمامـهـ ، فـامـتنـعـ خـالـدـ مـنـ ذـلـكـ ؛ وـذـكـرـ أـنـهـ لـاـ يـبـرـحـ مـنـ مـوـضـعـهـ إـلـاـ أـنـ يـأـتـيـهـ قـائـدـ فـيـ جـنـدـ كـثـيفـ فـيـقـيمـ مـكـانـهـ ، لـأـنـهـ يـتـخـوـفـ أـنـ يـأـتـيـهـ الـأـتـرـاكـ مـنـ خـلـفـهـ مـنـ عـسـكـرـهـ بـنـاحـيـةـ قـطـرـيـلـ ، وـأـمـرـ اـبـنـ طـاهـرـ بـمـالـ ، فـحـمـلـ إـلـىـ الـحـسـينـ بـنـ إـسـمـاعـيلـ لـإـعـطـاءـ جـمـيعـ مـنـ فـيـ عـسـكـرـهـ رـزـقـ شـهـرـ وـاحـدـ ؛ لـيـقـرـقـ فـيـهـ بـدـمـمـاـ ، وـأـمـرـ أـنـ يـخـرـجـ مـعـهـ الـكـتـابـ وـالـعـرـاضـ لـأـصـحـابـهـ هـنـالـكـ ، وـقـلـدـ أـمـرـ نـفـقـاتـ عـسـكـرـهـ وـإـعـطـاءـ الـجـنـدـ مـنـ قـبـلـ دـيـوـانـ الـخـرـاجـ الـفـضـلـ بـنـ مـظـفـرـ السـبـعـيـ وـحـمـلـ الـمـالـ مـعـ السـبـعـيـ إـلـىـ عـسـكـرـ الـحـسـينـ ، لـيـنـفـذـ مـعـهـ إـذـاـ نـفـذـ .

وـقـدـ قـيلـ : إـنـ الـحـسـينـ اـرـتـحـلـ إـلـىـ الـأـنـبـارـ فـيـ النـصـفـ مـنـ لـيـلـةـ الـأـرـبـاعـ لـعـشـرـ بـقـيـنـ مـنـ جـمـادـيـ الـآـخـرـةـ ، فـسـارـ وـتـبـعـهـ مـنـ فـيـ عـسـكـرـهـ يـوـمـ الـأـرـبـاعـ ، وـنـوـدـيـ فـيـ أـصـحـابـهـ بـالـلـحـاقـ بـهـ ، فـسـارـ حـتـىـ نـزـلـ دـمـمـاـ ، وـأـرـادـ أـنـ يـعـقـدـ عـلـىـ نـهـرـ أـنـقـ جـسـراـ لـيـعـبـرـ عـلـيـهـ ، فـمـانـعـهـ الـأـتـرـاكـ ، فـعـبـرـ إـلـيـهـمـ جـمـاعـةـ مـنـ أـصـحـابـهـ مـنـ الـرـجـالـةـ ،

فحاربواهم حتى كشفوهم ، وعقد خالد الجسر ، فعبر أصحابه ووجه محمد بن عبد الله بكتبه محمد بن عيسى بشيء شافه به ، فيقال: إنه حمل معه أطواقاً وأسورة ، وانصرف إلى منزله ، وصار إلى الحسين يوم السبت لثمان خلؤن من رجب رجال ، فأخبره أن الأتراك قد دلوا على عدة مواضع في الفرات ، تُخاض إلى عسكره ، فأمر بضرب الرجل مئتي سوط ، ووكل بالمخاوض رجلاً من قواده ، يقال له الحسين بن عليّ بن يحيى الأرمني في مئة راجل ومئة فارس؛ فطلع أول القوم ، فخرج عليهم وقد أتاه منهم أربعة عشر علماً ، فقاتل أصحابه ساعة ، ووكل بالقنطرة أبا السنّا ، وأمره أن يمنع من انهزم من العبور؛ فأتى الأتراك المخاضة ، فرأوا الموكل بها ، فتركوه واقفاً ، وصاروا إلى مخاضة أخرى خلف الموكل فقاتلوهم ، فصبر الحسين بن عليّ وقاتل ، فقيل للحسين بن إسماعيل ، فقصد نحوه ، ولم يصل إليه حتى انهزم ، وانهزم خالد بن عمران معه ومن معه ، ومنعهم أبو السنّا من القنطرة ، فرجع الرجال والحراسانية فرموا بأنفسهم في الفرات ، ففرق من لم يحسن السباحة ، وعبر من كان يحسن السباحة ، فنجا عرياناً ، وخرج إلى جزيرة لا يصل منها إلى الشطّ ، لما على الشطّ من الأتراك ، فذكر عن بعض جند الحسين ، أنه قال: بعث الحسين بن عليّ الأرمني إلى الحسين بن إسماعيل أنَّ الأتراك قد وافوا المخاضة ، فأتاه الرسول ، فقيل: الأمير نائم ، فرجع الرسول فأعلمته ، فردَّ آخر ، فقال له الحاجب: الأمير في المخرج ، فرجع فأخبره ، فردَّ رسولًا ثالثًا ، فقال: قد خرج من المخرج ونام؛ فعلت الصيحة فعبر الأتراك ، فقعد الحسين في زورق أو شباره ، وانحدر واستأثر قوم من الحراسانية ، ورموا ثيابهم وسلاحهم ، وقعدوا على الشطّ عراةً ، وشدَّ أصحاب أعلام الأتراك حتى ضربوا أعلامهم على مضرب الحسين بن إسماعيل ، واقتطعوا السوق ، وانحدرت عامة السفن ، فسلمت إلا ما كان موكلًا به منها ، ولحق الأتراك أصحاب الحسين ، فوضعوا فيهم السيف؛ فقتلوا وأسروا نحوَ من مئتين ، وغرق خلْقٌ كثير؛ ووافي الحسين والمنهزمة بغداد نصف الليل ، ووافي فلّهم وبقيتهم في النهار؛ وفيهم جرحى كثيرة ، فلم يزالوا إلى نصف النهار يتتابعون عراة مجرّحين ، وقد من قواد الحسين بن يوسف البزم وغيره. ثم جاء كتابه أنه أسير في أيدي الأتراك عند مفلح؛ وأنَّ عدة الأسرى من وقعة الحسين الثانية مئة ونيف وسبعين إنساناً ، والقتلى مئة ، والدواب نحو من

ألفي دابة ومئتي بغل وأكثر ، وقيمة السلاح والثياب وغير ذلك أكثر من مئة ألف دينار ؛ فقال الهنداوي في الحسين بن إسماعيل :

يَا أَخْزَمَ النَّاسِ رَأَيْاً فِي تَخْلُفِهِ عَنِ الْقَتَالِ خَلَطْتَ الصَّفْوَ بِالْكَدْرِ لَمَّا رَأَيْتَ سُيُوفَ التُّرْكِ مُصْلَتَةً عَلِمْتَ مَا فِي سِيُوفِ التُّرْكِ مِنْ قَدْرٍ فَضَرْتَ مِنْ حِجَزاً ذُلاًّ وَمَنْقَصَةً وَالْتَّحْجُّ يَذْهَبُ بَيْنَ الْعَجْزِ وَالضَّجَرِ

ولحق بالمعترض في جمادى الآخرة منها من بغداد جماعة من الكتاب وبني هاشم ، ومن القواد مُزاحم بن خاقان أرطوج ، ومن الكتاب عيسى بن إبراهيم بن نوح ويعقوب بن إسحاق ، ونماري ، ويعقوب بن صالح بن مرشد ، ومقلة ، وابن لأبي مزاحم بن يحيى بن خاقان ، ومن بني هاشم علي ومحمد ابنا الواثق ، ومحمد بن هارون بن عيسى بن جعفر ، ومحمد بن سليمان من ولد عبد الصمد بن علي .

* * *

وفيها كانت وقعة بين محمد بن خالد بن يزيد وأحمد المولد وأيوب بن أحمد بالسُّكِّير من أرض بني تغلب ، قتل بين الفريقين جماعة كثيرة ، وانهزم محمد بن خالد ، وانتهت الآخرون متاعه ، وهدم أيوب دور آل هارون بن معمر ، وقتل من ظفر به من رجالهم .

* * *

وفيها كانت لبلكا جور غزوة فتح - فيما ذكر - فيها مطمورة أصاب فيها غنية كثيرة ، وأسر جماعة من الأعلاج ، وورد بذلك على المستعين كتاب تاريخه يوم الأربعاء لثلاث ليال بقين من شهر ربيع الآخر سنة إحدى وخمسين ومئتين .

* * *

وفي يوم السبت لثمان بقين من رجب من هذه السنة كانت وقعة بين محمد ابن رجاء وإسماعيل بن فراشة وبين جعلان التركي بناحية بادرايا وباكوسايا ، فهزם ابن رجاء وابن فراشة جعلان ، وقتلا من أصحابه جماعة ، وأسرها جماعة .

* * *

وفي رجب منها كان - فيما ذكر - وقعة بين ديوداد أبي الساج وبين بايكباك بناحية جرجارايا ، قتل فيها أبو الساج بايكباك ، وقتل من رجاله جماعة ، وأسر منهم جماعة ، وغرق منهم في النهر وان جماعة .

وفي النصف من رجب منها اجتمع مَنْ كان ببغداد من بني هاشم من العباسين ، فصاروا إلى الجزيرة التي يلزء دار محمد بن عبد الله ، فصاحوا بالمستعين وتناولوا محمد بن عبد الله بالشتم القبيح ، وقالوا: قد مُنعنا أرزاقنا ، وتُدفع الأموال إلى غيرنا ممن لا يستحقها ، ونحن نموت هزاً وجوعاً! فإن دفعت إلينا أرزاقنا وإلا قصدنا إلى الأبواب ففتحناها ، وأدخلنا الآتراك؛ فليس يخالفنا أحد من أهل بغداد ، فعبر إليهم الشاه بن ميكال ، فكلّمهم ورفق بهم ، وسألهم أن يعبر معه منهم ثلاثة أنفس ليدخلهم على ابن طاهر ، فامتنعوا من ذلك ، وأبوا إلا الصياغ وشتم محمد بن عبد الله؛ فانصرف عنهم الشاه؛ فلم يزالوا على حالهم على قرب الليل ، ثم انصرفوا واجتمعوا من غد ذلك اليوم ، فوجّه إليهم محمد بن عبد الله ، فأمرهم بحضور الدار يوم الإثنين ليأمر من يناظرهم ، فصاروا إلى الدار فأمر محمد بن داود الطوسي بمناظرتهم؛ وبذل لهم رزق شهر واحد؛ وأمرهم أن يقبحوا ذلك ، ولا يكلّفوا الخليفة أكثر من هذا؛ فأبوا أن يقبحوا رزق شهر ، وانصرفوا .

* * *

[خروج الحسين بن محمد الطالبي وما آل إليه أمره]^(١)

وفيها خرج بالكوفة رجل من الطالبيين يقال له الحسين بن محمد بن حمزة بن عبد الله بن الحسين بن علي بن حسين بن علي بن أبي طالب ، فاستخلف بها رجلاً منهم يقال له محمد بن جعفر بن الحسين بن جعفر بن الحسين بن حسن ، ويكنى أبا أحمد ، فوجّه إليه المستعين مزاحم بن خاقان أرطوج؛ وكان العلوّي بسوان الكوفة في ثلثمائة رجل منبني أسد وثلاثمائة رجل من الجارودية والزيدية وعامتهم صوافية؛ وكان العامل يومئذ بالكوفة أحمد بن نصر بن مالك الخزاعي ، فقتل العلوّي من أصحاب ابن نصر أحد عشر رجلاً ، منهم من جند الكوفة أربعة ،

(١) انظر البداية والنهاية [٨/٢٢٠].

وهرب أَحْمَدُ بْنُ نَصْرٍ إِلَى قَصْرِ ابْنِ هَبِيرَةَ؛ فَاجتَمَعَ هُوَ وَهَشَامُ بْنُ أَبِي دَلْفٍ؛ وَكَانَ يَلِي بَعْضَ سَوَادِ الْكُوفَةِ - فَلَمَّا صَارَ مَزَاحِمُ إِلَى قَرْيَةِ شَاهِي كَتَبَ إِلَيْهِ فِي الْمَقَامِ حَتَّى يَوْجَهَ إِلَى الْعُلُوِّ مَنْ يَرْدَهُ إِلَى الْفَيْئَةِ وَالرَّجُوعِ. فَوَجَّهَ دَاوُدُ بْنُ الْقَاسِمِ الْجَعْفَرِيَّ، وَأَمْرَ لَهُ بِمَالِهِ، فَتَوَجَّهَ إِلَيْهِ وَأَبْطَأَ دَاوُدَ وَخَبِيرَهُ عَلَى مَزَاحِمٍ، فَزَحَفَ مَزَاحِمُ الْكُوفَةِ مِنْ قَرْيَةِ شَاهِيَّ، فَدَخَلَهَا وَقَصَدَ الْعُلُوِّ فَهَرَبَ، فَوَجَّهَ فِي طَلَبِهِ قَائِدًا، وَكَتَبَ بِفَتْحِهِ الْكُوفَةِ فِي خَرِيطَةِ مُرِيسَةٍ.

وَقَدْ ذُكِرَ أَنَّ أَهْلَ الْكُوفَةِ عِنْدَ وَرُودِ مَزَاحِمِ حَمْلَوْا الْعُلُوِّ عَلَى قَتَالِهِ، وَوَعْدُهُ التَّصْرِ، فَخَرَجَ فِي غَرْبِيِّ الْفَرَاتِ؛ فَوَجَّهَ مَزَاحِمُ قَائِدًا مِنْ قُوَادِهِ فِي الشَّرْقِيِّ مِنْ الْفَرَاتِ، وَأَمْرَهُ أَنْ يَمْضِيَ حَتَّى يَعْبُرَ قَنْطَرَةَ الْكُوفَةِ ثُمَّ يَرْجِعَ، فَمُضِيَ القَائِدُ لِذَلِكَ، وَأَمْرَ مَزَاحِمَ بَعْضَ أَصْحَابِهِ الَّذِينَ بَقُوا مَعَهُ أَنْ يَعْبُرُوا مَخَاضَةَ الْفَرَاتِ فِي قَرْيَةِ شَاهِيَّ، وَأَنْ يَتَقدِّمُوا حَتَّى يَحَارِبُوا أَهْلَ الْكُوفَةِ وَيَصَافُوهُمْ مِنْ أَمَامِهِمْ فَسَارُوا مَعَهُمْ مَزَاحِمُ، وَعَبَرُوا الْفَرَاتَ، وَخَلَفَ أَنْقَالَهُ وَمَنْ بَقِيَ مَعَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ؛ فَلَمَّا رَأَهُمْ أَهْلُ الْكُوفَةِ نَاوَشُوهُمُ الْحَرْبَ، وَوَافَاهُمْ قَائِدُ مَزَاحِمَ، فَقَاتَلُوهُمْ مِنْ وَرَائِهِمْ مُزَاحِمُ مِنْ أَمَامِهِمْ؛ فَأَطْبَقُوهُمْ عَلَيْهِمْ جَمِيعًا فَلَمْ يَفْلُتْ مِنْهُمْ أَحَدٌ.

وَذُكِرَ عَنْ ابْنِ الْكَرْدِيَّةِ: أَنَّ مَزَاحِمًا قُتِلَ مِنْ أَصْحَابِهِ قَبْلَ دُخُولِهِ الْكُوفَةِ ثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا، وَقُتِلَ مِنْ الزِّيَّدِيَّةِ أَصْحَابُ الصَّوْفِ سَبْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، وَمِنْ الْأَعْرَابِ ثَلَاثَةَ رَجُلٍ؛ وَأَنَّهُ لَمَّا دَخَلَ الْكُوفَةَ رُمِيَ بِالْحَجَارَةِ فَضَرَبَ نَاحِيَّتِي الْكُوفَةِ بِالنَّارِ، وَأَحْرَقَ سَبْعَةَ أَسْوَاقٍ؛ حَتَّى خَرَجَتِ النَّارُ إِلَى السَّبِيعِ، وَهَجَمَ عَلَى الدَّارِ الَّتِي فِيهَا الْعُلُوِّ فَهَرَبَ؛ ثُمَّ أُتَيَ بِهِ وَقُتُلَ فِي الْمَعْرِكَةِ مِنْ الْعُلُوِّيَّةِ رَجُلٌ وَذُكِرَ أَنَّهُ حُبِسَ جَمِيعُهُ مِنْ الْكُوفَةِ مِنْ الْعُلُوِّيَّةِ، وَحُبِسَ أَبْنَاءُ هَاشِمٍ، وَكَانَ الْعُلُوِّيُّ فِيهِمْ.

وَذُكِرَ عَنْ أَبِي إِسْمَاعِيلِ الْعُلُوِّيِّ أَنَّ مُزَاحِمًا أَحْرَقَ بِالْكُوفَةِ أَلْفَ دَارٍ، وَأَنَّهُ أَخْذَ ابْنَةَ الرَّجُلِ مِنْهُمْ فَعَنَّقَهَا.

وَذُكِرَ أَنَّهُ أَخْذَ لِلْعُلُوِّيِّ جَوَارٍ، فِيهِمْ امْرَأَةٌ حُرَّةٌ مَضْمُومَةٌ، فَأَقَامَهَا عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ وَنَادَى عَلَيْهَا.

* * *

وَفِي النَّصْفِ مِنْ رَجَبِهِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ، وَرَدَ عَلَى مَزَاحِمَ كِتَابٌ مِنَ الْمُعْتَزِّ

يأمره بالمسير إليه ، ويعده وأصحابه ما يحبّ ويحبّون ، فقرأ الكتاب مزاحم على أصحابه؛ فأجابه الأتراك والفراغنة والمغاربة ، وأبى الشاكرية ذلك ، فمضى فيمن أطاعه منهم وهم رُهاء أربعين إنسان ، وقد كان أبو نوح تقدّمه إلى سامراً ، فأشار بالكتاب إليه ، وكان مزاحم ينتظر أمر الحسين بن إسماعيل؛ فلما انهزم الحسين مضى إلى سامراً ، وقد كان المستعين وجّه إلى مزاحم عند فتح الكوفة عشرة آلاف دينار وخمس خلع وسيفاً ، ونفذ الرسول إليه وألفي الجناد الذين كانوا معه في الطريق؛ فرددوا جميع ذلك معهم ، وصاروا إلى باب محمد بن عبد الله ، وأعلموه ما فعل مزاحم. وكان في الجناد والشاكرية خليفة الحسين بن يزيد الحراني وهشام بن أبي دلف والحارث خليفة أبي الساج ، فأمر ابن طاهر أن يخلع عن كلّ واحد منهم ثلاث خلع.

وذكر أن هذا العلوّي كان قد ظهر بنينوى في آخر جمادى الآخرة من هذه السنة؛ فاجتمع إليه جماعة من الأعراب ، وفيهم قومٌ من كان خرج مع يحيى بن عمر في سنة خمسين ومئتين ، وقد كان قدم إلى تلك الناحية هشام بن أبي دلف ، فواقفهم العلوّي في جماعة نحو من خمسين رجلاً، فهزمه وقتل عدّة من أصحابه ، وأسر عشرين رجلاً وغلاماً ، وهرب العلوّي إلى الكوفة؛ فاختفى بها ، ثم ظهر بعد ذلك ، وحمل الأسرى والرؤوس إلى بغداد ، فعرف خمسة نفر من كان مع أصحاب أبي الحسين يحيى بن عمر؛ فأطلقوا ، وأمر محمد بن عبد الله أن يضرب كلّ واحد من أطلق وعاد خمسين سوط ، فضربوا في آخر يوم من جمادى الآخرة.

وذكر أن كتب أبي الساج لما وردت بما كان من إيقاعه ببايكباك ، وذلك لاثنتي عشرة بقيةً من رجب من هذه السنة ، وجّه إليه عشرة آلاف دينار معونة له ، وبخلعة فيها خمسة أثواب وسيف.

* * *

وفيها كانت وقعة - فيما ذكر - بين منكجور بن خيدر وبين جماعة من الأتراك بباب المدائن هزمهم فيها منكجور ، وقتل منهم جماعة.

* * *

وفيها كانت لبلكا جور صائفة ، فتح فيها فتوحاً فيما ذكر .

* * *

وفيها كانت وقعة بين يحيى بن هرثمة وأبي الحسين بن قريش ، قُتِلَ من الفريقين جماعة ، ثم انهزم أبو الحسين بن قريش .

وفي يوم الخميس لاثنتي عشرة ليلة خلت من شعبان كان بباب بغواريا وقعة بين الأتراك وأصحاب ابن طاهر؛ وكان السبب في ذلك أن الموكّل كان بباب بغواريا إبراهيم بن محمد بن حاتم والقائد المعروف بالتساوي في نحو من ثلاثة فارس ورجل ، فجاءت الأتراك والمغاربة في جمْعٍ كثير ، فتقربوا السور في موضعين ، فدخلوا منهما ، فقاتلهم النساوي فهزموه ، ووافوا باب الأنبار ، وعليه إبراهيم بن مصعب وابن أبي خالد وابن أسد بن داود سياه ، وهم لا يعلمون بدخولهم باب بغواريا ، فقاتلهم قتالاً شديداً ، فقتل من الفريقين جماعة ، ثم إنَّ مَنْ كان على باب الأنبار من أهل بغداد انهزوا لا يلوون على شيء ، فضرب الأتراك والمغاربة بباب الأنبار بالنار فاحتراق ، وأحرقوا ما كان على باب الأنبار من المجانق والعرادات ، ودخلوا بغداد حتى صاروا إلى باب الحديد ومقبار الرّهينة ومن ناحية الشارع إلى موضع أصحاب الدواليب ، فأحرقوا ما هنالك وأحرقوا كلَّ ما قرب من ذلك من أماكنهم وورائهم ، ونصبوا أعلامهم على الحوانيت التي تقرب من ذلك الموضع ، وانهزم الناس ، حتى لم يقف بين أيديهم أحد؛ وكان ذلك مع صلاة الغَدَاء ، فوجَّه ابن طاهر إلى القواد ، ثم ركب في السلاح فوقف على باب درب صالح المسكين ، ووافاه القواد ، فوجّههم إلى باب الأنبار وباب بغواريا وجميع الأبواب التي في الجانب الغربي ، وشحّنها بالرجال ، وركب بُغا ووصيف ، فتوجَّه بُغا في أصحابه وولده إلى باب بغواريا ، وصار الشاه بن ميكال والعباس بن قارن والحسين بن إسماعيل إلى باب الأنبار والغوغاء ، فالتحقوا بالأتراك في داخل الباب ، فبادرهم العباس بن قارن ، فُقِيلَ - فيما ذكر - في مقام واحد جماعة من الأتراك ، ووجَّه برؤوسهم إلى باب ابن طاهر ، وكثُرُهم الناس على هذه الأبواب ، فدفعوهم حتى أخرجوهم بعد أن قُتِلَ منهم جماعة؛ وكان بُغا الشرابي خرج إلى باب بغواريا في جمْعٍ كثير ، فوافاهم وهم غازيون ، فقتل منهم جماعة كثيرة ، وهرب الباقيون ، فخرجوا من

الباب ؛ فلم يزل بُغا يحاربهم إلى العصر ؛ ثم انهزموا وانصرفوا ، ووَكَل بالباب مَنْ يحفظه وانصرف إلى باب الأنبار ، ووجه في حمل الجصّ والأجرّ ، وأمر بسده .

وفي هذا اليوم أيضاً كانت حرب شديدة بباب الشّمامية ، قُتِلَ من الفريقين - فيما ذكر - جماعة كثيرة ، وجُرح آخرون ؛ وكان الذي قاتل الأتراك في هذا اليوم - فيما ذكر - يوسف بن يعقوب قوصرة .

وفيها أمر محمد بن عبد الله المظفر بن سيسيل أن يعسكر بالياسريّة ، ففعل ذلك ، ثم انتقل إلى الكُناسة إلى أن وفاه بالفردل بن إيزنكجيوك الأشروسي ؛ فأمر له بفرض ، وضمّ إليه رجالاً من الشاكرية وغيرهم ، وأمر أن يضام المظفر ويعسكر بالكناسة ، ويكون أمرهما واحداً ، ويضبط تلك الناحية ؛ فأقام هنالك حيناً ، ثم أمر بالفردل المظفر بالمضي ، ليعرف خير الأتراك ليدبر في أمرهم بما يراه ؛ فامتنع من ذلك المظفر ، وزعم أنَّ الأمير لم يأمره بشيء مما سأله ، وكتب كلُّ واحد منهما يشكو صاحبه ، وكتب المظفر يستعفي من المقام بالكناسة ، ويزعم أنه ليس بصاحب حرب ، فأغافى ، وأمر بالانصراف ولزوم البيت ؛ وقد أمر ذلك العسكر ومن فيه من الجندي النائبة والأثبات بالفردل ، وضمّ إليه أثبات المظفر وأفرد بالناحية .

* * *

وفي شهر رمضان من هذه السنة التقى هشام بن أبي دلف والعلويّ الخارجي بنينوى ، ومعه رجل منبني أسد ، فاقتتلوا فقتل من أصحاب العلويّ - فيما ذكر - نحو من أربعين رجلاً ، ثم افترقا ، فدخل العلويّ الكوفة فباع أهلها المعترّ ، ودخل هشام بن أبي دلف بغداد .

وفي شهر رمضان من هذه السنة كانت بين أبي الساج والأتراك وقعة بناحية جرْجَرَايا ، هزمهم فيها أبو الساج ، وقتل منهم جماعة كثيرة ، وأسر منهم جماعة آخر .

* * *

[ذكر خبر قتل بالفردل]

ولليلة بقيت من شهر رمضان منها قُتِل بالفردل؛ وكان سبب قتله أن أبا نصر بن بغلا لما غلب على الأنبار وما قرب منها ، وهزم جيوش ابن طاهر من تلك الناحية وأجلهم عنها ، بث خيله ورجاله في أطراف بغداد من الجانب الغربي ، وصار إلى قصر ابن هبيرة ، وبها بحونه بن قيس من قبيل ابن طاهر ، فهرب منه من غير قتال جرى بينه وبينه ، ثم صار أبو نصر إلى نهر صَرْصَر ، واتصل بابن طاهر خبره وخبر الواقعة التي كانت بين أبي الساج والأتراك بجرجرايا وخذلان مَنْ معه من الفروض إياه عند أحمرار البأس ، فندب بالفردل إلى اللحاق بأبي الساج والمسير بمَنْ معه إليه ، فسار بالفردل فيمَن معه غداً يوم الثلاثاء لليلتين بقيتا من شهر رمضان ، فسار يومه وصبح المدائن ، فوافاها مع موافاة الأتراك ومَنْ هو مضموم إليهم من غيرهم ، وبالمدائن رجال ابن طاهر وقواده ، فقاتلهم الأتراك ، فانهزموا ، ولحق مَنْ فيها من القواد بأبي الساج ، وقاتل بالفردل قتالاً شديداً؛ ولما رأى انهزام مَنْ هنالك من أصحاب ابن طاهر مضى متوجهاً نحو أبي الساج بمن معه فأدرك فقتل.

وذكر عن ابن القواريري - وكان أحد القواد - قال: كنت وأبو الحسين بن هشام موكليين بباب بغداد ومنكجور منفرد بباب سباط ، وكان بقرب بابه ثلمة في سور المدائن ، فسألت منكجور أن يسلّها فأبى ، فدخل الأتراك منها ، وتفرق أصحابه ، قال: وبقيت في نحو من عشرة أنفس ، ووافي بالفردل هو وأصحابه ، فقال: أنا الأمير ، أنا فارس ومعي فارسان ، نمضي على الشطّ وتكون الرجال على السفن ، فدافع ساعة ثم مضى لوجهه وعسكره في السفن على حالهم يريد أبا الساج ، أو تلك الناحية ، وأقمت بعده ساعة تامة ، وتحتني أشقر عليه حلية ، فصرت إلى نهر ف Thuray ، فسقطت عنه؛ وقد صدوني يقولون: صاحب الأشقر؛ فخرجت من النهر راجلاً قد طرحت عنى السلاح ، فنجوت.

وغضب ابن طاهر على ابن القواريري وأصحابه ، وأمرهم بلزوم منازلهم ، وغرق بالفردل.

ولأربع خلون من شوال من هذه السنة ، جمع - فيما ذكر - محمد بن عبد الله بن طاهر جميع قواده الموكلين بأبواب بغداد وغيرهم ؛ فشاورهم جميعاً في الأمور ، وأعلمهم ما ورد عليهم من الهزائم ؛ فكل أجاب بما أحب من بذل النفس والدم والأموال ، فجزاهم خيراً وأدخلهم إلى المستعين ، وأعلمه ما ناظرهم فيه وما ردوا عليه من الجواب ، فقال لهم المستعين : والله يا معشر القواد ، لئن قاتلت عن نفسي وسلطاني ما أقاتل إلا عن دولتكم وعامتكم ، وأن يرد الله إليكم أموركم قبل مجيء الأتراك وأشباهم ؛ فقد يجب عليكم المناصحة والجهد في قتال هؤلاء الفسقة ؛ فرددوا أحسن مرد ، وجزاهم الخير ، وأمرهم بالانصراف إلى مراكزهم فانصرفوا .

* * *

[ذكر خبر هزيمة الأتراك ببغداد]

وفي يوم الإثنين لأيام خلت من ذي القعدة من هذه السنة كانت وقعة عظيمة لأهل بغداد ، هزموا فيها الأتراك ، وانتهوا عسكراً ؛ وكان سبب ذلك أن الأبواب كلها من الجانبين فتحت ونصبت المجانق والعرادات في الأبواب كلها والشّبارات في دجلة ، وخرج منها الجنديُّم ، وخرج ابن طاهر وبُغا ووصيف حين تزاحف الفريقان ، واشتدت الحرب إلى باب القطعية ، ثم عبروا إلى باب الشّمامية ، وقعد ابن طاهر في قبة ضربت له ، وأقبلت الرّؤماة من بغداد بالناوكة في الزواريق ؛ ربما انتظم السهم الواحد عدّة منهم فقتلهم ، فهزّمت الأتراك وتبعهم أهل بغداد حتى صاروا إلى عسكراً ، وانتهوا سوقهم هنالك ، وضربوا زورقاً لهم كان يقال له الحديدي ، كان آفة على أهل بغداد بالنار ، وغرق فيه ، وأخذوا لهم شبارتين ؛ وهرب الأتراك على وجوههم لا يلوون على شيء ، وجعل وصيف وبغا يقولان كلما جيء برأس : ذهب والله الموالي ، وأتبعهم أهل بغداد إلى الرُّوذبار ، ووقف أبو أحمد بن المتوكل يرد الموالي ، ويخبرهم أنهم إن لم يكرروا لم يبق لهم بقية ؛ وأن القوم يتبعونهم إلى سامراً ، فتراجعوا ، وثار بعضهم ، وأقبلت العامة تحزّ رؤوسَ مَنْ قتل ؛ وجعل محمد بن عبد الله يطوق كلَّ من جاء برأس ويصله ، حتى كثر ذلك ، وبدت الكراهة في وجوه من مع بُغا

ووصيف من الأتراك والموالي ؛ ثم ارتفعت غبرة من ريح جنوب ، وارتفع الدخان مما احترق ، وأقبلت أعلام الحسن بن الأفشين مع أعلام الأتراك يقدمها علم أحمر ، قد استله غلام لشاهك ، فensi أن ينكّسه ؛ فلما رأى الناسُ العلم الأحمر ومن خلفه ، توهموا أن الأتراك قد رجعوا عليهم وانهزموا ؛ وأراد بعضٌ مَنْ وقف أن يقتل غلام شاهك ، ففهمه ، فنكّس العلم ، والناس قد ازدحموا منهزمين ؛ وتراجع الأتراك إلى معسكرهم ولم يعلموا بهزيمة أهل بغداد ، فتحمّلوا عليهم ؛ فانصرف الفريقان بعضهم عن بعض .

* * *

[خبر وقعة أبي السلاسل مع المغاربة]

وفيها كانت وقعة لأبي السلاسل وكيل وصيف بناحية الجبل مع المغاربة ، وكان سبب ذلك - فيما ذكر - أنَّ رجلاً من المغاربة يقال له نصر سلهب ، صار بمجموعة من المغاربة إلى عمل بعض ما إلى أبي الساج من الأرض ، وانتهب هو وأصحابه ما هنالك من القوى ؛ فكتب أبو السلاسل إلى أبي الساج يعلمه ذلك ، فوجّه أبو الساج إليه - فيما ذكر - بنحو من مئة نفس بين فارس ورجل ؛ فلما صاروا إليه كبس أولئك المغاربة ، فقتل منهم تسعة ، وأسر عشرين ، وأفلت نصر سلهب سارياً .

* * *

[ذكر خبر وقوع الصلح بين الموالي وابن طاهر]

ووضعت الحربُ أوزارها بعد هذه الواقعة بين الموالي وابن طاهر ؛ فلم يعودوا لها ، وكان السبب في ذلك - فيما ذكر - أنَّ ابن الطاهر قد كان كاتب المعترض قبل ذلك في الصلح ؛ فلما كانت هذه الواقعة أثكَرَتْ عليه ؛ فكتب إليه ؛ فذكر أنه لا يعود بعدها لشيء يكرهه ؛ ثم أغلقت بعد ذلك على أهل بغداد أبوابها ؛ فاشتدَّ عليهم الحصار ، فصاحوا في أول ذي القعدة من هذه السنة في يوم الجمعة : الجوع ! ومضوا إلى الجزيرة التي هي تلقاء دار ابن طاهر ؛ فأرسل إليهم ابن طاهر : وجّهوا إلى منكم خمسة مشايخ ، فوجّهوا بهم ، فأدخلوا عليه ؛ فقال

ولتسع بقين من ذي القعدة خرج أَحْمَدُ بْنُ إِسْرَائِيلَ إِلَى عَسْكَرِ أَبِي أَحْمَدِ مَعَ حَمَادَ وَأَحْمَدَ بْنَ إِسْحَاقَ وَكَيْلَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَحْيَى بِإِذْنِ ابْنِ طَاهِرٍ لِّمُنَاظِرَةِ أَبِي أَحْمَدِ فِي الصلَحِ.

ولسبع بقين من ذي القعدة أمر ابن طاهر بإطلاق جميع من في الحبوس ممن كان حبس بسبب ما كان بينه وبين أبي أحمد من الحروب وتعاونته إياه عليه فأطلقه ، ومن غد هذا اليوم اجتمع قوم من رجاله الجنديين وكثير من العامة ، فطلب الجندي أرزاقهم ، وشكت العامة سوء الحال التي هم بها من الضيق وغلاء السعر وشدة الحصار ، وقالوا: إما خرجت فقاتلتك؛ وإما تركتنا؛ فوعدهم أيضاً الخروج أو فتح الباب للصلح ، و منهاهم ، فانصرفوا.

فلما كان بعد ذلك ، وذلك لخمس بقين من ذي القعدة شَحَن السجون والجسر وباب داره والجزيرة بالجند والرجال ، فحضر الجزيرة بَشَّرُ كثير ، فطردوا منْ كان ابن طاهر صِيرَهم فيها ، ثم صاروا إلى الجسر من الجانب الشرقي ، ففتحوا سجن النساء ، وأخرجوا مَنْ فيه ، ومنعهم علي بن جهشيار ومنْ معه من الطبرية من سجن الرجال ، ومانعهم أبو مالك الموكل بالجسر الشرقي ، فشجوه وجرحوا دابتين لأصحابه ؟ فدخل داره وخلاّهم ، فانتهبو ما في مجلسه ، وشدّ عليهم الطبرية فنحوهم حتى أخرجوهم من الأبواب ، وأغلقوها دونهم ، وخرج منهم جماعة ، ثم عبر إليهم محمد بن أبي عون ، فضَّمِّن للجند

رزق أربعة أشهر؛ فانصرفوا على ذلك ، وأمر ابن طاهر بإعطاء أصحاب ابن جهشيار أرزاقهم لشهرين من يومهم فأعطوا.

* * *

[ذكر بدء عزم ابن طاهر على خلع المستعين والبيعة للمعتز]

ووجه أبو أحمد خمس سفائن من دقيق وحنطة وشعير وقت وتبن إلى ابن طاهر في هذه الأيام ، فوصلت إليه ، ولما كان يوم الخميس لأربع خلؤن من ذي الحجة علم الناس ما عليه ابن طاهر من خلعه المستعين وبيعته للمعتز ، ووجه ابن طاهر قواده إلى أبي أحمد حتى بايعوه للمعتز ، فخلع على كل واحد منهم أربع خلع ، وظنت العامة أن الصلح جرى بإذن الخليفة المستعين ، وأن المعتز ولّى عهده.

* * *

[خروج العامة ونصرة المستعين على ابن طاهر]

ولما كان يوم الأربعاء خرج رشيد بن كاوس - وكان موكلًا بباب السلام - مع قائده يقال له نهشل بن صخر بن خزيمة بن خازم وعبد الله بن محمود ، ووجه إلى الأتراك بأنه على المصير إليهم ليكون معهم ، فوافاه من الأتراك زهاء ألف فارس ؛ فخرج إليهم على سبيل التسليم عليهم ؛ على أن الصلح قد وقع ، فسلم عليهم ، وعائق مَنْ عرف منهم ، وأخذوا بلجام دابته ، ومضوا به وبابنه في أثره ؛ فلما كان يوم الإثنين صار رشيد إلى باب الشمامية فكلم الناس ، وقال: إن أمير المؤمنين وأبا جعفر يقرآن عليكم السلام ، ويقولان لكم: مَنْ دخل في طاعتنا قربناه ووصلناه ، ومن أثر غير ذلك فهو أعلم ؛ فشتتمه العامة ، ثم طاف على جميع أبواب الشرقية بمثل ذلك ، وهو يُشتم في كل باب ، ويُشتم المعتز فلما فعل رشيد ذلك علمت العامة ما عليه ابن طاهر ، فمضت إلى الجزيرة التي بحذاء دار ابن طاهر ؛ فصاحوا به وشتموه أقبح شتم ؛ ثم صاروا إلى بابه ، ففعلوا مثل ذلك ، فخرج إليهم راغب الخادم ، فحضرهم على ما فعلوا ، وسائلهم الزيادة فيما هم فيه من نصرة المستعين ، ثم مضى إلى الحظيرة التي فيها الجيش ، فمضى بهم وجماعة آخر غيرهم وهم زهاء ثلاثة في السلاح ، فصاروا إلى باب ابن طاهر ،

فكشفوا من عليه وردهم ، فلم يرحو يقاتلونهم ؛ حتى صاروا إلى دهليز الدار ، وأرادوا إحراق الباب الداخل فلم يجدوا ناراً ، وقد كانوا باتوا بالجزيرة الليل كله يشتمونه ويتناثلونه بالقبيح .

وذكر عن ابن شجاع البليخي أنه قال: كنت عند الأمير وهو يحدّثني ويسمع ما يُقذف به من كل إنسان؛ حتى ذكروا اسم أمّه ، فضحك وقال: يا أبا عبد الله ، ما أدرى كيف عرفوا اسم أمي ! ولقد كان كثير من جواري أبي العباس عبد الله بن طاهر لا يعرفون اسمها ، فقلت له: أيها الأمير ، ما رأيت أوسع من حلمك ، فقال لي: يا أبا عبد الله ، ما رأيت أوافق من الصبر عليهم ؛ ولا بدّ من ذلك ، فلما أصبحوا وافوا الباب ، فصاحوا: فصار ابن طاهر إلى المستعين يسأله أن يطلع إليهم ويسكنهم ويعلمهم ما هو عليه لهم؛ فأشرف عليهم من أعلى الباب وعليه البُرْدَة ، والطَّوْلِة ، وابن طاهر إلى جانبه ، فحلف لهم بالله ما اتّهمه ؛ وإنّي لفي عافية ما علىّ منه بأس ؛ وإنّه لم يخلع ، ووعدهم أنه يخرج في غد يوم الجمعة ليصلّي بهم ، ويظهر لهم . فانصرف عامتهم بعد قتلى وقعت .

ولما كان يوم الجمعة بـكَر الناس بالصياغ يطلبون المستعين ، وانتهُوا دوابٌ
عليّ بن جهشيار - وكانت في الخراب ، على باب الجسر الشرقي - وانتهَب جميع
ما كان في منزله وهرب؛ وما زال الناس وقوفاً على ما هم عليه إلى ارتفاع
النهار ، فوافى وصيف وبُغا وأولادهما ومواليهما وقُوادهما وأخوال المستعين ؛
فصار الناس جميعاً إلى الباب ، فدخل وصيف وبُغا في خاصتهما ودخل أخوال
المستعين معهم إلى الدهلiz ، ووقفوا على دوابِهم ، وأعلم ابن طاهر بمكان
الأخوال ؛ فأذن لهم بالنزول فأبُوا ، وقالوا: ليس هذا يوم نزولنا عن ظهور دوابِنا
حتى نعلم نحن وال العامة ما نحن عليه ؛ ولم تزل الرسُل تختلف إليهم ، وهم
يأبُون ، فخرج إليهم محمد بن عبد الله نفسه ، فسألهم النزول والدخول إلى
المستعين ، فأعلمواه أن العامة قد ضجّت مما بلغها وصحّ عندها ما أنت عليه من
خلع المستعين والبيعة للمعترّ ، وتوجيهك القواد بعد القواد للبيعة للمعترّ ،
 وإرادتك التهويل ليصير الأمّ إليه ، وإدخاله الأتراك والمغاربة بـبغداد ، فيحكموا
فيهم بحکمهم فيمن ظهروا عليه من أهل المدائن والقرى ، واستراب بك أهل
بغداد .

وأتهموك على خليفتهم وأموالهم وأولادهم وأنفسهم؛ وسألوا إخراج الخليفة إليهم ليروه ويكتذبوا ما يبلغهم عنه ، فلما تبين محمد بن عبد الله صحة قولهم ، ونظر إلى كثرة اجتماع الناس وضجيجهم سأله المستعين الخروج إليهم ، فخرج إلى دار العامة التي كان يدخلها جميع الناس ، فنصب له فيها كرسيًّا وأدخل إليه جماعة من الناس فنظروا إليه ، ثم خرجوا إلى من وراءهم؛ فأعلمواهم صحة أمره ، فلم يقنعوا بذلك؛ فلما تبيّن لهم أنهم لا يسكنون دون أن يخرج إليهم - وقد كان عرف كثرة الناس - أمر بإغلاق الباب الحديد الخارج فأغلق ، وصار المستعين وأخواه ومحمد بن موسى المنجم ومحمد بن عبد الله إلى الدرجة التي تفضي إلى سطوح دار العامة وخزائن السلاح ، ثم نصب لهم سلاليم على سطح المجلس الذي يجلس فيه محمد بن عبد الله والفتح بن سهل ، فأشرف المستعين على الناس وعليه سواد ، وفوق السواد بزدة النبي ﷺ ، ومعه القصيب؛ فكلّم الناس وناشدهم ، وسألهم بحق صاحب البردة إلا انصرفوا؛ فإنه في أمن وسلامة ، وإنه لا يأس عليه من محمد بن عبد الله ، فسألوه الرُّكوب معهم والخروج من دار عمه أَم حبيب ابنة الرَّشيد؟ بعد أن يصلاح له ما ينبغي أن يسكن فيه ، وبعد أن يحول أمواله وخزائنه وسلاحه وفرشه وجميع ماله في دار محمد بن عبد الله؛ فانصرف أكثر الناس وسكن أهل بغداد.

ولما فعل أهل بغداد ما فعلوا من اجتماعهم على ابن طاهر مرّة بعد مرّة وإسماعهم إيه المكرور ، تقدّم إلى أصحاب المعاون ببغداد بتخدير ما قدّروا عليه من الإبل والبغال والحمير ليتقل عنها .

وذكروا أنه أراد أن يقصد المدائن ، واجتمع على بابه جماعة من مشايخ الحرية والأرباض جمِيعاً؛ يعتذرون إليه ، ويسألونه الصَّفح عما كان منهم ، ويذكرون أنَّ الذي فعل ذلك الغوغاء والسفهاء لسوء الحال التي كانوا بها والفاقة التي نالتهم ، فرد عليهم - فيما ذكر - ردًا جميلاً ، وقال لهم قوله حسناً ، وأثنى عليهم ، وصفح عما كان منهم ، وتقدّم إليهم بالتقدّم إلى شبابهم وسفهائهم في الأخذ على أيديهم وأجابهم إلى ترك النقلة ، وكتب إلى أصحاب المعاون بترك السخرة .

[ذكر خبر انتقال المستعين إلى دار رزق الخادم بالرصافة]

ولأيام خَلُونَ من ذِي الحجَّة انتقل المستعين من دار محمد بن عبد الله ، وركب منها ، فصار إلى دار رزق الخادم في الرصافة ، ومر بدار علي بن المعتصم ، فخرج إليه علي ، فسألَه التزوُّل عنده؛ فأمره بالرُّكوب ، فلما صار إلى دار رزق الخادم نزلها ، فوصل إليها - فيما ذكر - مساء ، فأمر للفرسان من الجند حين صار إليها بعشرة دنانير لكل فارس منهم ، وبخمسة دنانير لكل راجل ، وركب بركوب المستعين ابن طاهر ، وبيده الحربة يسير بها بين يديه ، والقواد خلفه ، وأقام - فيما ذكر - مع المستعين ليلة انتقل إلى دار رزق محمد بن عبد الله إلى ثلث الليل؛ ثم انصرف ، وبات عنده وصيف وبُغا حتى السَّحر ، ثم انصرف إلى منازلهم .

ولمَا كان صبيحة الليلة التي انتقل المستعين فيها من دار ابن طاهر اجتمع الناس في الرصافة ، وأمر القواد وبُنُو هاشم بالمصير إلى ابن طاهر والسلام عليه ، وأن يسيروا معه إذا ركب إلى الرصافة ، فصاروا إليه؛ فلما كان الضحى الأكبر من ذلك اليوم؛ ركب ابن طاهر وجميع قواده في تبعية وحوله ناشبة رجاله؛ فلما خرج من داره وقف للناس ، فعاتبهم وحلف أنه ما أضرم لأمير المؤمنين - أعزه الله - ولا لولي له ولا لأحدٍ من الناس سوءاً ، وأنه ما يريد إلا إصلاح أحوالهم ، وما تدوم به النعمة عليهم ، وأنهم قد توهموا عليه ما لا يعرفه ، حتى أبكى الناس ، فدعاه منْ حضر ، وعبر الجسر ، وصار إلى المستعين ، وبعث فأحضر جيرانه ، ووجوه أهل الأراضي من الجانب الغربي ، فخاطبهم بكلام عاتبهم فيه ، واعتذر إليهم مما بلغهم ، ووجه وصيف وبُغا منْ طاف على أبواب بغداد ، ووَكَلا صالح بن وصيف بباب الشّماسية .

وذكر: أنَّ المستعين كان كارهاً لنقله عن دار محمد؛ ولكنَّه انتقل عنها من أجل الناس ركبوا الزواريق بالتفاطين ليضربوا روشن بن طاهر بالنار لما صَعُبَ عليهم فتح بابه يوم الجمعة .

وذكر: أنّ قوماً منهم كنجرور ، وقفوا بباب الشّماسية من قيل أبي أحمد ، فطلبوه ابن طاهر ليكلّموه ، فكتب إلى وصيف يعلمه خبر القوم ، ويسأله أن يعلم المستعين ذلك ليأمر فيه بما يرى ؛ فردد المستعين الأمر في ذلك إليه ؛ وأن التدبير في جميع ذلك مردود إليه ، فيتقدّم في ذلك بما رأى .

وذكر أنّ عليّ بن يحيى بن أبي منصور المنجم كلام محمد بن عبد الله في ذلك بكلام غليظ ، فوثب عليه محمد بن أبي عون فأسمعه وتناوله .

وذكر عن سعيد بن حميد: أنّ أحمـد بن إسراـئـيل والحسنـ بن مـخلـد وعـيـدـ اللهـ بنـ يـحـيـيـ خـلـوـاـ بـابـ طـاهـرـ؛ فـماـ زـالـواـ يـفـتـلـونـهـ فـيـ الذـرـوةـ وـالـغـارـبـ، وـيـشـيرـونـ عـلـيـهـ بـالـصـلـحـ، وـأـنـ رـبـمـاـ كـانـ عـنـدـهـ قـوـمـ فـاجـرـواـ الـكـلـامـ فـيـ خـلـافـ الـصـلـحـ، فـيـكـشـرـ فـيـ وـجـوهـهـمـ، وـيـعـرـضـ عـنـهـمـ؛ فـإـذـاـ حـضـرـ هـؤـلـاءـ الـثـلـاثـةـ أـقـبـلـ عـلـيـهـمـ وـحـادـثـهـمـ وـشـاوـرـهـمـ.

وذكر عن بعضهم: أنه قال: قلت لسعيد بن حميد يوماً: ما ينبغي إلا أن يكون قد كان انطوى على المداهنة في أول أمره؛ قال: وددت أنه كان كذلك؛ لا والله ما هو إلا أن هزم أصحابه من المدائن والأبار حتى كاتب القوم ، وأجابهم بعد أن كان قد جادهم .

وحدثني أحمـدـ بنـ يـحـيـيـ النـحـوـيـ - وـكـانـ يـؤـدـبـ ولـدـ ابنـ طـاهـرـ - أنّ محمدـ بنـ عبدـ اللهـ لمـ يـزـلـ جـادـاـ فـيـ نـصـرـةـ الـمـسـتـعـينـ حـتـىـ أـحـفـظـهـ عـيـدـ اللهـ بنـ يـحـيـيـ بنـ خـاقـانـ، فـقـالـ لـهـ: أـطـالـ اللـهـ بـقـاءـكـ! إـنـ هـذـاـ الـذـيـ تـنـصـرـهـ وـتـجـدـ فـيـ أـمـرـهـ مـنـ أـشـدـ النـاسـ نـفـاقـاـ، وـأـخـبـثـهـمـ دـيـنـاـ؛ وـالـلـهـ لـقـدـ أـمـرـ وـصـيـفـاـ وـبـغـاـ بـقـتـلـكـ، فـاستـعـظـمـاـ ذـلـكـ وـلـمـ يـفـعـلـاهـ، وـإـنـ كـنـتـ شـاكـاـ فـيـمـاـ وـصـفـتـ مـنـ أـمـرـهـ، فـسـلـ تـخـبـرـهـ؛ وـإـنـ مـنـ ظـاهـرـ نـفـاقـهـ أـنـ كـانـ وـهـ بـسـامـرـاـ لـاـ يـجـهـرـ فـيـ صـلـاتـهـ بـبـسـمـ اللـهـ الرـحـمـنـ الرـحـيمـ؛ فـلـمـ صـارـ إـلـىـ مـاـ قـبـلـكـ، جـهـرـ بـهـ مـرـاءـاـ لـكـ؛ وـتـرـكـ نـصـرـةـ وـلـيـكـ، وـصـهـرـكـ وـتـرـيـتـكـ؛ وـنـحـوـ ذـلـكـ مـنـ كـلـمـهـ بـهـ؛ فـقـالـ مـحـمـدـ بنـ عـبـدـ اللهـ: أـخـزـىـ اللـهـ هـذـاـ، لـاـ يـصـلـحـ لـدـينـ وـلـاـ دـنـيـاـ، قـالـ: وـكـانـ أـوـلـ مـنـ تـقـدـمـ عـلـىـ صـرـفـ مـحـمـدـ بنـ عـبـدـ اللهـ عـنـ الـجـدـ فـيـ أـمـرـ الـمـسـتـعـينـ عـبـدـ اللهـ بنـ يـحـيـيـ فـيـ هـذـاـ الـمـجـلـسـ، ثـمـ ظـاهـرـ عـبـدـ اللهـ بنـ يـحـيـيـ عـلـىـ

ذلك أَحْمَدُ بْنُ إِسْرَائِيلَ وَالْحَسْنُ بْنُ مَخْلُدٍ؛ فَلَمْ يَزَّالُوا بِهِ حَتَّى صَرْفُوهُ عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ مِنِ الرَّأْيِ فِي نَصْرَةِ الْمُسْتَعِينَ.

* * *

وَفِي يَوْمِ الأَضْحَى مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ صَلَّى بِالنَّاسِ الْمُسْتَعِينَ صَلَاةً الْأَضْحَى فِي الْجَزِيرَةِ الَّتِي بَحْذَاءِ دَارِ ابْنِ طَاهِرٍ، وَرَكِبَ وَبَيْنَ يَدِيهِ عَبِيدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، مَعَهُ الْحَرْبَةِ الَّتِي لِسَلِيمَانَ، وَبَيْدُ الْحَسْنِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ حَرْبَةِ السُّلْطَانِ، وَبُعْغاً وَصَيْفَ يَكْنُفَانَهُ؛ وَلَمْ يَرْكِبْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ، وَصَلَّى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِسْحَاقَ فِي الرُّصَافَةِ.

* * *

[ذكر بدء المفاوضة في أمر خلع المستعين]

وَفِي يَوْمِ الْخَمِيسِ رَكَبَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ إِلَى الْمُسْتَعِينَ، وَحَضَرَهُ عَدَّةٌ مِنَ الْفَقِهَاءِ وَالْقَضَاءِ، فَذَكَرَ أَنَّهُ قَالَ لِلْمُسْتَعِينِ: قَدْ كُنْتَ فَارِقَتِنِي عَلَى أَنْ تَنْفَذَ فِي كُلِّ مَا أَعْزَمْتُ عَلَيْهِ؛ وَلَكَ عِنْدِي بِخَطْكِ رِقْعَةٍ بِذَلِكَ، فَقَالَ الْمُسْتَعِينُ: أَحْضِرْ الرِّقْعَةَ، فَأَحْضَرَهَا؛ فَإِذَا فِيهَا ذَكْرُ الصلْحِ؛ وَلَيْسَ فِيهَا ذَكْرُ الْخَلْعِ، فَقَالَ: نَعَمْ، أَنْفَذْ أَنْ تَخْلُعَ قَمِيصَ الصلْحِ، فَقَامَ الْخَلْنجَيُّ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! إِنَّهُ يَسْأَلُكَ أَنْ تَخْلُعَ قَمِيصًا قَمِصَكَ بِهِ اللَّهُ، وَتَكَلَّمَ عَلَيَّ بْنَ يَحْيَى الْمَنْجَمَ فَأَغْلَظَ لِمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ.

ثُمَّ رَكَبَ بَعْدَ ذَلِكَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ - وَذَلِكَ لِلنَّصْفِ مِنْ ذِي الْحِجَةِ - إِلَى الْمُسْتَعِينِ بِالرُّصَافَةِ، ثُمَّ انْتَرَفَ وَمَعَهُ وَصَيْفَ وَبُعْغاً، فَمَضَبُونَ جَمِيعًا حَتَّى صَارُوا إِلَى بَابِ الشَّمَاسِيَّةِ، فَوَقَفَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَلَى دَابِتِهِ، وَمَضَى وَصَيْفَ وَبُعْغاً إِلَى دَارِ الْحَسْنِ بْنِ الْأَفْشَينِ، وَانْحَدَرَتِ الْمَبِيَّضَةُ وَالْغَوَاغَةُ مِنَ السُّورِ، وَلَمْ يَطْلُقْ لَأَحَدٍ فَتْحَ الْأَبْوَابِ، وَقَدْ كَانَ خَرَجَ قَبْلَ ذَلِكَ جَمِيعًا كَثِيرًا إِلَى عَسْكَرِ أَبِي أَحْمَدِ، فَاشْتَرَوْا مَا أَرَادُوا، فَلَمَّا خَرَجَ مِنْ ذَكْرِنَا إِلَى بَابِ الشَّمَاسِيَّةِ نَوْدِي فِي أَصْحَابِ أَبِي أَحْمَدِ أَلَا يَبْاعَ مِنْ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ بَغْدَادِ شَيْئًا، فَمُنْعِنُوا مِنَ الشَّرَاءِ، وَكَانَ قَدْ ضَرَبَ لِمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بِبَابِ الشَّمَاسِيَّةِ مَضْرِبَ كَبِيرٍ أَحْمَرَ؛ وَكَانَ مَعَ ابْنِ طَاهِرٍ بَنِدَارِ الطَّبَرِيِّ وَأَبُو السَّنَا وَنَحْوِهِ مِنْ مَئِتَيِّ فَارِسٍ وَمَئِتَيِّ رَاجِلٍ، وَجَاءَ أَبُو أَحْمَدَ فِي

زَلَالْ حَتَى قَرَبَ مِنَ الْمُضَرَّبِ ، ثُمَّ خَرَجَ وَدَخَلَ الْمُضَرَّبَ مَعَ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ ، وَوَقَفَ الَّذِينَ مَعَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِنَ الْجُنْدِ نَاحِيَةً ، فَتَنَاطَرَ ابْنُ طَاهَرَ وَأَبُو أَحْمَدَ طَوِيلًا ، ثُمَّ خَرَجَا مِنَ الْمُضَرَّبِ ، وَانْصَرَفَ ابْنُ طَاهَرَ مِنْ مُضَرَّبِهِ إِلَى دَارِهِ فِي زَلَالْ ؛ فَلَمَّا صَارَ إِلَيْهَا خَرَجَ مِنَ الزَّلَالْ ، فَرَكِبَ وَمَضَى إِلَى الْمُسْتَعِنِ لِيَخْبُرَهُ بِمَا دَارَ بَيْنِهِ وَبَيْنِ أَبِيهِ أَحْمَدَ ، وَأَقَامَ عَنْهُ إِلَى الْعَصْرِ ، ثُمَّ انْصَرَفَ ؛ فَذُكْرُ أَنَّهُ فَارَقَهُ عَلَى أَنْ يَعْطِيْ خَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارًا ، وَيُقْطَعَ غَلَةً ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارًا فِي السَّنَةِ ؛ وَأَنَّهُ يَكُونُ مَقَامَهُ بَغْدَادًا حَتَى يَجْتَمِعَ لَهُمْ مَالًا يُعْطَوْنَ الْجَنْدَ ، وَعَلَى أَنْ يَوْلَى بُغَا مَكَةَ وَالْمَدِينَةَ وَالْحَجَازَ ، وَوَصِيفَ الْجَبَلِ وَمَا وَالَّاهِ ، وَيَكُونُ ثَلَثُ مَا يَجِيءُ مِنَ الْمَالِ لِمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، وَجُنْدِ بَغْدَادِ وَالثَّلَاثَانِ لِلْمُوَالِيِّ وَالْأَتَرَاكِ .

وَذُكْرُ أَنَّ أَحْمَدَ بْنَ إِسْرَائِيلَ لَمَّا صَارَ إِلَى الْمَعْتَزِ وَلَاهُ دِيوَانَ الْبَرِيدِ ، وَفَارَقَهُ عَلَى أَنْ يَكُونَ هُوَ الْوَزِيرُ وَعِيسَى بْنُ فَرَخَانْشَاهَ عَلَى دِيوَانِ الْخَرَاجِ وَأَبُو نُوحَ عَلَى الْخَاتِمِ وَالتَّوْقِيعِ ؛ فَاقْتَسَمُوا الْأَعْمَالَ ، فَوَرَدَتْ خَرِيطَةُ الْمَوْسِمِ إِلَى بَغْدَادَ بِالسَّلَامَةِ ، فَبَعَثَ بَهَا إِلَى أَبِيهِ أَحْمَدَ ، ثُمَّ رَكِبَ ابْنُ طَاهَرَ - فِيمَا قِيلَ - لِأَرْبَعِ عَشَرَةَ بَقِيَّتِ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ إِلَى الْمُسْتَعِنِ ، لِمَنَاظِرَتِهِ فِي الْخَلْمِ ، فَنَاظَرَهُ فَامْتَنَعَ عَلَيْهِ الْمُسْتَعِنُ ، وَظَنَّ الْمُسْتَعِنُ أَنَّ بُغَا وَوَصِيفًا مَعَهُ ، فَكَاشَفَاهُ فَقَالَ الْمُسْتَعِنُ : هَذَا عُنْقِي وَالسِّيفُ وَالنَّطْعُ ؛ فَلَمَّا رَأَى امْتِنَاعَهُ انْصَرَفَ عَنْهُ ، فَبَعَثَ الْمُسْتَعِنُ إِلَى ابْنِ طَاهَرَ بِعَلَيَّ بْنِ يَحْيَى الْمَنْجَمِ وَقَوْمَ مِنْ ثَقَاتِهِ ، وَقَالَ : قَوْلُوا لَهُ : اتَّقُ اللَّهَ ، إِنَّمَا جَئْتُكَ لِتَدْفَعَ عَنِّي ؛ إِنَّمَا لَمْ تَدْفَعْ عَنِّي فَكُفَّ عَنِّي ، فَرَدَ عَلَيْهِ ؛ أَمَّا أَنَا فَأَقْعُدُ فِي بَيْتِي ؛ وَلَكُنْ لَابْدَ لَكَ مِنْ خَلْعِهَا طَائِعًا أَوْ مَكْرَهًا .

وَذُكْرُ عَنْ عَلَيَّ بْنِ يَحْيَى أَنَّهُ قَالَ لَهُ : قَلْ لَهُ : إِنْ خَلَعْتَهَا فَلَا بَأْسُ ؛ فَوَاللَّهِ لَقَدْ تَمَرَّقَ لَا يُرْقَعُ ؛ وَمَا تَرَكْتَ فِيهَا فَضْلًا ، فَلَمَّا رَأَى الْمُسْتَعِنَ ضَعْفَ أَمْرِهِ وَخَذْلَانَ نَاصِريِّهِ أَجَابَ إِلَى الْخَلْمِ ؛ فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْخَمِيسِ لَا شَتِيْ عَشَرَةَ لَيْلَةَ بَقِيَّتُ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ وَجَهَ ابْنُ طَاهَرَ ابْنَ الْكَرْدِيَّةِ وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنُ جَعْفَرِ الْأَصْغَرِ بْنِ الْمُنْصُورِ وَالْخَلْنَجِيِّ وَمُوسَى بْنِ صَالِحِ بْنِ شِيخِ وَأَبَا سَعِيدِ الْأَنْصَارِيِّ وَأَحْمَدَ بْنِ إِسْرَائِيلِ وَمُحَمَّدَ بْنِ مُوسَى الْمَنْجَمِ إِلَى عَسْكَرِ أَبِيهِ أَحْمَدَ لِيَوْصِلُوا كِتَابَ مُحَمَّدٍ إِلَيْهِ بِأَشْيَاءِ سَأَلَهَا الْمُسْتَعِنُ مِنْ حِينِ نُدِبَ إِلَى أَنْ يَخْلُعَ نَفْسَهُ ، فَأَوْصَلُوا الْكِتَابَ ، فَأَجَابَ إِلَى مَا سُأْلَ ، وَكَتَبَ الْجَوابَ بِأَنْ يُقْطَعَ وَيَنْزَلَ مَدِينَةَ

الرسول ﷺ ، وأن يكون مضطربه من مكة إلى المدينة ، ومن المدينة إلى مكة ، فأجابه إلى ذلك ؛ فلم يقنع المستعين إلا بخروج ابن الكردية بما سأله إلى المعترض ، حتى يكتب بإجابته بذلك بخطه بعد مشافهة ابن الكردية المعترض بذلك ، فتوّجه ابن الكردية بها .

وكان سبب إجابة المستعين إلى الخلع - فيما ذكر - أن وصيفاً وبُغاً وابن طاهر ناظروه في ذلك وأشاروا عليه ؛ فأغلظ لهم فقال له وصيف : أنت أمرتنا بقتل باغر ؟ فصرنا إلى ما نحن فيه ؛ وأنت عرضتنا لقتل أوتامش ، وقلت : إنَّ مُحَمَّداً ليس بناصح ؛ وما زالوا يفزعونه ويختالون له ، فقال محمد بن عبد الله : وقد قلت لي إنَّ أمرنا لا يصطلح إلا باستراحة من هذين ؛ فلما اجتمعت كلمتهم أذعن لهم بالخلع وكتب بما اشترط لنفسه عليهم ؛ وذلك لإحدى عشرة ليلة بقيت من ذي الحجة .

ولما كان يوم السبت لعشر بقين من ذي الحجة ؛ ركب محمد بن عبد الله إلى الرصافة وجميع القضاة والفقهاء ، وأدخلهم على المستعين فوجأ فوجأ ، وأشهدهم عليه أنه قد صرَّ أمره إلى محمد بن عبد الله بن طاهر ؛ ثم دخل عليه البوابين والخدم ، وأخذ منه جوهر الخلافة ، وأقام عنده حتى مضى هُويَ من الليل ، وأصبح الناس يرجفون بألوان الأراجيف ، وبعث ابن طاهر إلى قواده في موافاته ؛ مع كل قائد منهم عشرة نفر من وجوه أصحابه ، فوافوه ، فأدخلهم ومناهم ، وقال لهم : إنما أردت بما فعلت صلاحكم وسلامتكم وحقن الدماء ، وأعد للخروج إلى المعترض في الشروط التي اشترطها للمستعين ولنفسه ولقواده قوماً ليوقع المعترض في ذلك بخطه ، ثم أخرجهم إلى المعترض ، فمضوا إليه حتى وقع في ذلك بخطه إمساء كل ما سأله المستعين وابن طاهر لأنفسهما من الشروط ، وشهدوا عليه بإقراره بذلك كله ، وخلع المعترض على الرسول ، وقلدهم سيفاً ، وانصرفوا بغير جائزة ولا نظر في حاجة لهم ، ووجه معهم لأخذ البيعة له على المستعين جماعة من عنده ؛ ولم يأمر للجندي بشيء .

وُحمل إلى المستعين أمه وابنته وعياله ، وأخذ منهم فتش عياله ، وأخذ منهم بعض ما كان معهم مع سعيد بن صالح ؛ فكان دخول الرسول ببغداد منصرفهم من عند المعترض يوم الخميس لثلاث خلون من المحرم سنة اثنين وخمسين ومئتين .

وذكر أن رسل المعترض لما صاروا بالشماسيّة ، قال ابن سجّادة: أنا أخاف من أهل بغداد؛ فإما أن يحمل المستعين إلى الشماسيّة أو إلى دار محمد بن عبد الله لبياعي المعترض ، ويخلع نفسه ويؤخذ منه القضيب والبُرْدة^(١).

وفي شهر ربيع الأول من هذه السنة كان ظهور المعروف بالكوكبي بقزوين وزنجان وغلبتُه عليها وطرده عنها آل طاهر؛ واسم الكوكبي الحسين بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل الأرقط بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

* * *

وفيها قطع بنو عقيل طريق جدّة ، فحاربهم جعفر بشاشات ، فُقتل من أهل

(١) هذه التفاصيل الطويلة ابتداءً من (٩/٢٨٢).

وانتهاءً بهذه الصفحة (٣٤٥) علقنا على بعضها آنفًا وقلنا بأننا لم نجد ما يؤيدتها من مصادر موثوقة أخرى وقد ذكرها ابن الجوزي مختصرًا (٤٩ - ٤٣/١٢). وكذلك ابن كثير وقال ثم جرت بينهما حروب طويلة وفتنه مهولة جداً قد ذكرها ابن جرير مطولة [البداية والنهاية ٨/٢١٩].

ولا تستطيع الجزم بصحة كل هذه التفاصيل أو عدم صحتها وفي بعض أجزائها نكارة واضحة والله تعالى أعلم.

وقد اختصر الحافظ السيوطي رحمة الله هذه الأحداث قائلاً:

ولما تنكر له (أي للمستعين) الأتراك خاف وانحدر من سامراء إلى بغداد فأرسلوا إليه يعتذرون ويحضرون له ويسألونه الرجوع فامتنع فقصدوا الحبس وأخرجوه المعترض بالله وبإيعوه وخلعوا المستعين ، ثم جهز المعترض جيشاً كثيفاً لمحاربة المستعين واستعد أهل بغداد للقتال مع المستعين فوقع بينهما وقعت ، ودام القتال أشهراً وكثير القتل وغلت الأسعار وعظم البلاء وانحل أمر المستعين فسعوا في الصلح على خلع المستعين وقام في ذلك إسماعيل القاضي وغيره بشروط مؤكدة [تاریخ الخلفاء ٤٠٦/].

وقد وصف السيوطي الخليفة المستعين بقوله: وكان خيراً فاضلاً بليغاً أديباً.

ولم نر ذكراً لخلافة المستعين عند غير الطبرى من المؤرخين الثقات والأختاريين المتقدمين سوى ما قاله ابن قتيبة الدينوري متوجزاً كل هذه التفاصيل مقتضاً على ثلاثة عنوانين (البيعة ثم الخلع ثم القتل) فقال: ثم بويع أحمد المستعين بالله بن محمد بن أبي إسحاق المعتصم بعده وخلع في آخر سنة إحدى وخمسين ومتين وقتل سنة اثنين وخمسين ومئتين [المعارف ٢٠٠/].

مكّة نحوً من ثلثمئة رجل ، وبعض بني عقيل القائل :

عليك ثوبان وأمي عاريَة فألقي لي ثوبك يا بن الزانية

فلما فعل بنو عقيل ما فعلوا غلت بمكّة الأسعار ، وأغارت الأعراب على القرى .

[ذكر خبر خروج إسماعيل بن يوسف بمكّة]^(١)

وفيها ظهر إسماعيل بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب بمكّة ، فهرب جعفر بن الفضل بن عيسى بن موسى العامل على مكّة ، فانته布 إسماعيل بن يوسف منزل جعفر ونزل أصحاب السلطان ، وقتل الجناد وجماعة من أهل مكّة ، وأخذ ما كان حمل لإصلاح العين من المال وما كان في الكعبة من الذهب ، وما في خزائنه من الذهب والفضة ، والطيب وكسوة الكعبة ، وأخذ من الناس نحوً من مئتي ألف دينار ، وأنه布 مكّة ، وأحرق بعضها في شهر ربيع الأول منها ، ثم خرج منها بعد خمسين يوماً ، ثم صار إلى المدينة ، فتوارى عليّ بن الحسين بن إسماعيل العامل عليها ، ثم رجع إسماعيل إلى مكّة في رجب ، فحصراًهم حتى تماوت أهلها جوعاً وعطشاً ، وبلغ الخبز ثلات أوّاق بدرهم ، واللحم رطل بأربعة دراهم ، وشربة ماء ثلاثة دراهم؛ ولقي أهل مكّة منه كلّ بلاء ، ثم رحل بعد مقام سبعة وخمسين يوماً إلى جدّة ، فحبس عن الناس الطعام ، وأخذ أموال التجار وأصحاب المراكب ، فحمل إلى مكّة الحنطة والذرة من اليمن ، ثم وافت المراكب من القُلزم ، ثم وافى إسماعيل بن يوسف الموقف؛ وذلك يوم عرفة ، وبه محمد بن أحمد بن عيسى بن المنصور الملقب كعب البقر ، وعيسى بن محمد المخزومي صاحب جيش مكّة - وكان المعترّ وجّههما إليها - فقاتلهم ، فقتل نحو من ألف ومئة من الحاج ، وسلب الناس ، وهربوا إلى مكّة ، ولم يقفوا بعرفة ليلاً ولا نهاراً ، ووقف إسماعيل وأصحابه ، ثم رجع إلى جدّة فأفني أموالها .

(١) انظر المتنظم (٥٠/١٢).

ثم دخلت سنة اثنتين وخمسين ومئتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

[ذكر خبر المستعين وبيعة المعترّ^(١)]

فمن ذلك ما كان من خلع المستعين أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ الْمُعْتَصِمِ نَفْسَهُ مِنَ الْخَلَافَةِ . وَبِيَعْتَهُ لِلْمُعْتَزِ مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ الْمُتَوَكِّلِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمُعْتَصِمِ ، وَالدُّعَاءُ لِلْمُعْتَزِ عَلَى مِنْبَرِيْ بَغْدَادٍ وَمَسْجِدِيْ جَانِبِيْهَا الشَّرْقِيْ مِنْهَا وَالْغَرْبِيْ ، يَوْمَ الْجَمْعَةِ ، لِأَرْبَعِ خَلْوَنَ منَ الْمُحْرَمِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ ، وَأَخْذَ الْبِيَعَةَ لَهُ بَهَا عَلَى مَنْ كَانَ يَوْمَذِ بَهَا مِنَ الْجُنُدِ .

وَذَكْرُ أَنَّ ابْنَ طَاهَرَ دَخَلَ عَلَى الْمُسْتَعِنِ وَمَعَهُ سَعِيدَ بْنَ حَمِيدَ حِينَ كَتَبَ لَهُ بِشَرْطِ الْأَمَانِ ، فَقَالَ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قَدْ كَتَبَ سَعِيدٌ كَتَبَ الشُّرُوطَ وَأَكَّدَ غَایَةَ التَّأْكِيدِ ، فَنَقَرَوْهُ عَلَيْكَ فَتَسْمَعَهُ ؟ فَقَالَ لَهُ الْمُسْتَعِنُ : لَا عَلَيْكَ ! أَلَا تَرْكَتَهَا يَا أَبَا الْعَبَاسِ ؟ فَمَا الْقَوْمُ بِأَعْلَمِ بِاللهِ مِنْكَ ؟ قَدْ أَكَدْتَ عَلَى نَفْسِكَ قَبْلَهُمْ فَكَانَ مَا قَدْ عَلِمْتَ ، فَمَارَدَ عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ شَيْئًا .

وَلَمَّا بَاَيَعَ الْمُسْتَعِنَ الْمُعْتَزَ ، وَأَخْذَ عَلَيْهِ الْبِيَعَةَ بَغْدَادٍ ، وَأَشْهَدَ عَلَيْهِ الشَّهُودَ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ وَالْقَضَايَا وَالْفَقَهَاءِ وَالْقَوَادِ نَقْلًا مِنَ الْمَوْضِعِ الَّذِي كَانَ بِهِ مِنَ الرُّصَافَةِ إِلَى قَصْرِ الْحَسَنِ بْنِ سَهْلِ الْمُخْرَمِ ، هُوَ وَعِيَالُهُ وَوَلْدُهُ وَجُوَارِيْهِ ، فَأَنْزَلُوهُمْ فِيهِ جَمِيعًا ، وَوَكَّلُ بَهُمْ سَعِيدَ بْنَ رَجَاءَ الْحِضَارِيَّ فِي أَصْحَابِهِ ، وَأَخْذَ الْمُسْتَعِنَ الْبُرْزَدَةَ وَالْقَضِيبَ وَالْخَاتَمَ ، وَوَجَّهَ مَعَ عَبِيدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ طَاهَرَ ، وَكَتَبَ مَعَهُ : أَمَّا بَعْدُ : فَالْحَمْدُ لِللهِ مَتَّمَ النَّعْمَ بِرَحْمَتِهِ ، وَالْهَادِي إِلَى شَكْرِهِ بِفَضْلِهِ ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ ؛ الَّذِي جَمَعَ لَهُ مَا فَرَقَ مِنَ الْفَضْلِ فِي الرَّسُولِ ، قَبَّلَهُ ، وَجَعَلَ تِرَاثَهُ رَاجِعًا إِلَى مَنْ خَصَّهُ بِخَلَافَتِهِ ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا ، كَتَابَيَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَقَدْ تَمَّ اللَّهُ لَهُ أَمْرَهُ ، وَتَسَلَّمَتْ تُرَاثُ رَسُولِ اللهِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ كَانَ عِنْدَهُ ،

(١) انظر المتنظم (٥٥ / ١٢) فقد ذكر الخبر مختصرًا ، أما القصائد والأبيات الشعرية فلم يذكرها ابن الجوزي وقد ذكر ابن كثير طرفاً منها وقال وقد ذكر ابن الجوزي مداعع الشعراء في المعترّ وتشفيهم بخلع المستعين فأكثر من ذلك جداً [البداية والنهاية / ٨ / ٢٢٢].

وأنفذته إلى أمير المؤمنين مع عبيد الله بن عبد الله مولى أمير المؤمنين وعده . ومنع المستعين الخروج إلى مكة ، واختار أن ينزل البصرة ، فذكر عن سعيد بن حميد أن محمد بن موسى بن شاكر ، قال : البصرة وبية ، فكيف اخترت أن تنزلها ! فقال المستعين : هي أوبى ، أو ترك الخلافة !

وذكر : أن قُرب جارية قبيحة جاءت برسالة إلى المستعين من المعترض ، يسأله أن ينزل عن ثلاثة جواري كان المستعين تزوجهن من جواري المتكفل ، فنزل عنهن ، وجعل أمرهن إليهن ؛ وكان احتبس عنده من الجوهر خاتمين يقال لأحدهما البُرْج ولآخر الجَبَل ، فوجه إليه محمد بن عبد الله بقرب خاصية المعترض وجماعة ، فدفعهما إليهم ، وانصرفوا بذلك إلى محمد بن عبد الله ، فوجه به إلى المعترض .

ولست خلون من المحرّم دخل - فيما قيل - بغداد أكثر من مئتي سفينة ، فيها من صنوف التجارة وغنم كثير ، وأشخاص المستعين مع محمد بن مظفر بن سيسيل وابن أبي حفصة إلى واسط في نحو من أربعين فرسان ورجال ، وقدم بعد ذلك على ابن طاهر عيسى بن فوخانشاه وقرب ، فأخبراه أن ياقوتة من جوهر الخلافة قد حبسها أحمد بن محمد عنده ؛ فوجه ابن طاهر الحسين بن إسماعيل فأخرجهما فإذا ياقوتة بهبة ، أربع أصابع طولاً في عرض مثل ذلك ، وإذا هو قد كتب عليها اسمه ، فدفعت إلى قرب ، فبعثت بها إلى المعترض .

واستوزر المعترض أحمد بن إسرائيل ، وخلع عليه ، ووضع تاجاً على رأسه ، وشخص أبو أحمد إلى سامرا يوم السبت لاثنتي عشرة خلت من المحرّم منها ، وشيعه محمد بن عبد الله والحسن بن مخلد ، فخلع على محمد بن عبد الله خمس خلع وسيفاً ، ورجع من الرّوذباز .

وقال بعض الشعراء في خلع المستعين :

خُلِعَ الْخِلَافَةُ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ
وَسُيُقْتَلُ التَّالِيُّ لَهُ أَوْ يُخْلَعُ
أَحَدُ تَمَلُّكَ مِنْهُمْ يَسْتَمْتَعُ
فِي قَتْلِ أَعْبُدُكُمْ طَرِيقٌ مَهْيَعٌ
بِكُمُ الْحَيَاةُ تَمْرُقاً لَا يُرْقَعُ

وَيَزُولُ مُلْكُ بْنِي أَبِيهِ وَلَا يُرْى
إِيَّاهَا بْنِي الْعَبَاسِ إِنَّ سَيِّلَكُمْ
رَقَعْتُمْ دُنِيَاكُمْ فَتَمَرَّقْتُ

وقال بعض البغداديين :

إِنَّي أَرَاكَ مِنَ الْفِرَاقِ جَزْوَعًا
أَضْحَى الْإِمَامُ مَسَيَّرًا مَخْلُوعًا

وهو الريّيْعُ لمن أَرَادَ ربيعاً
إِنَّ الزَّمَانَ يُفَرِّقُ الْمَجْمُوعَ
يَقْضِي أُمُورَ الْمُسْلِمِينَ جَمِيعاً
حَرْبَاً وَكَانَ عَنِ الْحُرُوبِ شَسُوعاً
أَضْحَى وَكَانَ وَلَا يُرَاءُ مَرْوِعاً
أَيْدِي الْكَمَاءِ مِنَ الرَّؤُوسِ نَجِيعاً
شَوَّى بِوَاسِطَةِ لَا يُحْسِنُ رُجُوعاً
لَزِمَ الْفَرَاشَ وَحَالَفَ التَّضْجِيعَا
قَدْ ذَلَّلُوا مَا كَانَ قَبْلُ مَيِّعَا
مَتَّلِّيَا لِلْقَائِهِنَّ دُرُوعَا
فِي كُونِ مِنْ قَصْدَ الْحُرُوبِ صَرِيعَا
وَلَكَانَ إِذْ عَدَرَ اللَّئَامُ مَيِّعَا
وَعَدَا لِأَمْرِ النَّاكِثِينَ مُطِيعَا
مَنْ كَانَ لِلرَّأْيِ السَّدِيدِ مُضِيعَا
حَتَّى عَدَا عَنْ مَلْكِهِ مَخْلُوعَا
أَمْسَى بِهَا مُلْكُ الْإِمَامِ مَيِّعَا
مِنْ دِينِ رَبِّ مُحَمَّدٍ مَخْلُوعَا
وَلِيُلْفِيَنَّ لِتَابِعِيهِ تَبِيعَا

وقال محمد بن مروان بن أبي الجنوب ، وصار

وَالْمُسْتَعِنَ إِلَى حَالَاتِهِ رَجَعَا
وَأَنَّهُ لَكَ لَكُنْ نَفْسَهُ خَدَعَا
آتَاهُ مُلْكًا وَمِنْهُ الْمُلْكُ قَدْ نَزَعَا
كَانَ كَذَاتِ حَلِيلٍ زُوْجَتْ مُتَعَا^١
وَكَانَ أَحْسَنَ قَوْلَ النَّاسِ قَدْ خَلَعَا
نَفْسِي الْفِدَاءِ لِمَلَاحَ بَهْ دَفَعَا
لَوْ كَانَ حُمَّلَ مَا حُمِّلَهُ ظَلَّعَا

كَانَتْ بِهِ الْآفَاقُ تَضَحَّكٌ بِهَجَةَ
لَا تُنَكِّرِي حَدَثَ الزَّمَانِ وَرِيَّهَ
لِيُسَّ الْخِلَافَةَ وَاسْتَجَدَّ مَحْبَةَ
فَجَنَّتْ عَلَيْهِ يَدُ الزَّمَانِ بَصَرِفِهِ
وَتَجَانَفَ الْأَتْرَاكَ عَنْهُ تَمَرُّداً
فَنَزَّا بِهِمْ ، فَنَزَّوَا بِهِ وَتَعَاوَرْتَ
فَأَزَالَهُ الْمَقْدَارُ عَنْ رُتبِ الْعَلَا
عَدَرُوا بِهِ ، مَكْرُوا بِهِ ، خَانُوا بِهِ
وَتَكَفَّفُوا بِغَدَادَ مِنْ أَقْطَارِهَا
وَلَوْ أَنَّهُ سَعَرَ الْحُرُوبَ بِنَفْسِهِ
حَتَّى يُصَادِمَ بِالْكَمَاءِ كَمَاتَهُ
لَغَدَا عَلَى رَيْبِ الزَّمَانِ مُحَرَّماً
لَكِنْ عَصَى رَأْيَ الشَّفِيقِ وَعَذْلَهُ
وَالْمُلْكُ لِيُسَّ بِمَا لِكِ سُلْطَانَهُ
مَا زَالَ يَخْدُعُ نَفْسَهُ عَنْ نَفْسِهِ
بَاعَ ابْنُ طَاهِرِ دِينِهِ عَنْ بَيْعَةِ
خَلْعِ الْخِلَافَةِ وَالرَّعِيَّةِ فَاغْتَدَى
فَلَيْجَرَعَنَّ بِذَاكَ كَأسَا مُرَّةَ

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ مُرْوَانَ بْنَ أَبِي الْجَنَوبِ ، وَصَارَ

إِلَى وَاسِطَ :
إِنَّ الْأُمُورَ إِلَى الْمُعْتَزَ قَدْ رَجَعَتْ
وَكَانَ يَعْلَمُ أَنَّ الْمُلْكَ لِيُسَّ لَهُ
وَمَا لِكُ الْمُلْكُ مُؤْتَمِهِ وَنَازَعُهُ
إِنَّ الْخِلَافَةَ كَانَتْ لَا تُلَائِمُهُ
مَا كَانَ أَقْبَحَ عَنْدَ النَّاسِ بَيْعَهُ
لِيَتَ السَّفِينَ إِلَى قَافِ دَفَعْنَ بِهِ
كَمْ سَاسَ قَبْلَكَ أَمَّرَ النَّاسَ مِنْ مَلْكِ

وَاللَّهُ يَجْعَلُ بَعْدَ الضَّيْقِ مُشَسِّعًا
فَإِنَّهُ بِكَ عَنَّا السُّوءَ قَدْ دَفَعَا
وَقَدْ وَجَدْتُ بِحَمْدِ اللَّهِ مُضْطَبِعًا
فَإِنَّ مِثْكَ مُثْلِي يُقْطِعُ الضَّيْقَ
فَاللَّهُ أَنْفَ حُسَادِي بِهِ جَدَعَا

أَمْسَى بِكَ النَّاسُ بَعْدَ الضَّيْقِ فِي سَعَةٍ
وَاللَّهُ يَدْفَعُ عَنِكَ السُّوءَ مِنْ مَلِكٍ
مَا ضَاعَ مَدْحِيٌّ وَلَا ضَاعَ اصْطَنَاعُكَ لِي
فَارْدُدْ عَلَيَّ بِنَجْدٍ ضَيْعَةً قِبَضْتُ
فَإِنَّ رَدَدْتَ إِمَامَ الْعَدْلِ غَلَّتْهَا

وقال يمدح المعترّ بعد خلع المستعين :

وَسَرَّنَا اللَّهُ بِإِقْبَالِهِ
مَا كَانَ مِنْ شِلَّةَ أَهْوَالِهِ
لَا تَصْلُحُ الدُّنْيَا لِجُهْلِهِ
فَكُنْتَ مِفْتَاحًا لِأَقْفَالِهِ
عَادَتْ إِلَى أَحْسَنِ أَحْوَالِهِ
فَضَلَّكَ اللَّهُ بِسِرْبِالِهِ
وَرَدَهَا اللَّهُ إِلَى حَالِهِ
رُدَّتْ عَلَى رَغْمِ إِلَى آلِهِ
مَا كَانَ يُجْزِي بَعْضَ أَعْمَالِهِ
أَخْرَجَهَا مِنْ بَعْدِ إِدْخَالِهِ
أَسْكَنَ دُنْيَا بَعْدَ زَلْزَالِهِ
كَأَنَّهَا فِي وَقْتِ دَجَالِهِ
وَقَامَ بِالْحَرْبِ وَأَقْتَالِهِ
رَمِيْكَ بِالْخَيْلِ وَأَبْطَالِهِ
مَا عَمِلْتُ خَيْلٌ كَأَعْمَالِهِ

قَدْ عَادَتِ الدُّنْيَا إِلَى حَالِهَا
دُنْيَا بِكَ اللَّهُ كَفِي أَهْلِهَا
وَكَانَ قَدْ مَلَكَهَا جَاهِلٌ
قَدْ كَانَتِ الدُّنْيَا بِهِ قُفَّلَتْ
إِنَّ الَّتِي فُزِّتَ بِهَا دُونَهُ
خَلَافَةً كَنْتَ حَقِيقًا بِهَا
فَرَدَهَا اللَّهُ إِلَى حَالِهِ
وَلَمْ تَكُنْ أَوَّلَ عَارِيَةَ
وَاللَّهِ لَوْ كَانَ عَلَى قَرِيبَةِ
أَدْخَلَ فِي الْمَلِكِ يَدًا رَعِدَةَ
بَذَلَّنَا اللَّهُ بِهِ سِيَّدًا
بُذَلَّتِ الْأُمَّةُ هَذَا بِذَا
وَقَامَ بِالْمُلْكِ وَأَثْقَالِهِ
أَبْطَلَ مَا كَانَ عِدَّا أَمْلَوْا
تُعِمِّلُ خَيْلًا طَالَمَا نَجَحْتُ

وقال الوليد بن عبيد البحري في خلع المستعين ومدح المعترّ :
تَجَلَّتْ وَأَنَّ الْعِيشَ سُهْلَ جَانِبُهُ
عَلَى أَهْلِهِ وَاسْتَأْنَفَ الْحَقَ صَاحِبُهُ
وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا صِرْفُهُ وَعَجَابُهُ
عُرَى التَّاجَ أَوْ يُئْنِي عَلَيْهِ عَصَائِبُهُ
حَوَى دُونَهِ إِرْثَ النَّبِيِّ أَقَارُبُهُ

أَلَا هَلْ أَتَاهَا أَنَّ مُظْلِمَةَ الدُّجَى
وَأَنَّا رَدَدْنَا الْمُسْتَعَارَ مُذَمَّمًا
عَجَبْتُ لِهَذَا الدَّهْرَ أَعْيَثْ صُرُوفُهُ
مَتَى أَمَّلَ الدَّيَّاكَ أَنْ يُصْطَفِي لَهُ
وَكَيْفَ ادَعَى حَقَّ الْخَلَافَةِ غَاصِبُ

على الناس ثور قد تَدَلَّتْ غَبَاغِبُه
لشخصِ الْخَوَانِيَّ يَبَدِّي فِيَوَابِيَّهُ
أَضَاءَ شَهَابُ الْمُلْكِ أَمْ كُلَّ ثَاقِبِهُ
تَضَاءُلُ مُطْرِيَّهُ وَأَطْنَبُ عَائِبِهُ
فَطُورَا يُسَايِّغِهِ وَطُورَا يُشَاعِبِهُ
وَكَيْفَ رَأَيَتَ الظُّلْمَ زَالَتْ عَوَاقِبُهُ
لِيُعِجِّزَ وَالْمُعْتَرُ بِاللهِ طَالِبُهُ
وَعُرَيَّ منْ بُرْدِ النَّبِيِّ مَنَاكِبُهُ
إِلَى الشَّرْقِ تُحْدَى سُفُنُهُ وَرَكَابُهُ
لِتُشَبَّهَ إِلَّا فِي الدَّجَاجِ مَخَالِبُهُ
بِجَالِبَةِ خَيْرًا عَلَى مَنْ يَنَاسِبُهُ
وَيُضْحِي سُجَاعَهُ وَهُوَ لِلْجَهَلِ كَاتِبُهُ
أَبَاطُحُهُ مِنْ مَحْرَمٍ وَأَخَاشِبُهُ
عَلَى سَنِّ يَسِّيِّ إلى الْحَقِّ لَاجِبُهُ
مَعَالِمُهُ فِينَا وَغَارَتْ كَوَاكِبُهُ
مَشَارِقُهُ مَوْفُورَةً وَمَغَارِبُهُ

* * *

بَكِيَ الْمِنْبَرُ الشَّرْقِيُّ إِذْ خَارَ فَوْقَهُ
ثَقِيلٌ عَلَى جَنْبِ التَّرِيدِ مُراقبٌ
إِذَا مَا احْتَشَى مِنْ حَاضِرِ الزَّادِ لَمْ يَبْلُ
إِذَا بَكَرَ الْفَرَّاشُ يَنْشُو حَدِيثَهُ
تَخَطَّى إِلَى الْأَمْرِ الَّذِي لَيْسَ أَهْلَهُ
فَكَيْفَ رَأَيَتَ الْحَقَّ قَرَرَ قَرَارُهُ
وَلَمْ يَكُنْ الْمُغْتَرُ بِاللهِ إِذْ سَرَى
رَمَى بِالْقَضِيبِ عُنْوَةً وَهُوَ صَاغِرٌ
وَقَدْ سَرَنِي أَنْ قَبِيلَ وُجُوهَ مَسْرَعاً
إِلَى كَسْكَرِ خَلْفِ الدَّجَاجِ وَلَمْ يَكُنْ
وَمَا لِحَيَّةِ الْقَصَارِ حِيثَ تَنْفَسَتْ
يَحْوَزُ ابْنَ خَلَلَادٍ عَلَى الشَّعْرِ عَنْهُ
فَأَقْسَمْتُ بِالْوَادِيِّ الْحَرَامِ وَمَا حَوَّتْ
لَقَدْ حَمَلَ الْمُعْتَرُ أُمَّةَ أَحْمَدٍ
تَدَارَكَ دِينَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مَا عَفَتْ
وَضَمَّ شَعَاعَ الْمُلْكِ حَتَّى تَجَمَّعَتْ

وانصرف أبو الساج ديوداد بن ديودست إلى بغداد لسبعين بقين من المحرم من هذه السنة ، فقللده محمد بن عبد الله معاون ما سقى الفرات من السواد ، فوجه أبو الساج خليفة له يقال له كربة إلى الأنبار ، وجَهَ قوماً من أصحابه إلى قصر ابن هبيرة مع خليفة له ، ووجه الحارث بن أسد في خمسة فارس ورجال ، يستقرىء أعماله ، ويطرد الأتراك والمغاربة عنها ، وقد كانوا عاثوا في النواحي وتلتصصوا ، ثم شخص أبو الساج من بغداد لثلاث خلوٰن من ربيع الأول ، ففرق أصحابه في طساصيج الفرات ، ونزل قصر ابن هبيرة؛ ثم صار إلى الكوفة ، ووافى أبو أحمد ساماً منتصراً من معسكره إليها لإحدى عشرة بقيت من المحرم ، فخلع المعتر عليه ستة أثواب وسيفاً ، وتُوَجَّحَ تاج ذهب بقلنسوة مجواهرة ، ووُسْحَ وشاحني ذهب بجوهر ، وقلد سيفاً آخر مرصضاً بالجوهر ، وأجلس على كرسي ، وخلع على الوجه من القواد.

[ذكر خبر قتل شريح الحبشي]

وفيها قتل شريح الحبشي ، وكان سبب ذلك أنه حين وقع الصلح ، هرب في عدّة من الحبشة ، فقطع الطريق فيما بين واسط وناحية الجبل والأهواز ، ونزل قريةً من قُرى أم المتكَل يقال لها ديري ، فنزل في خانها في خمسة عشر رجلاً ، فشربوا وسکروا ، فوثب عليهم أهل القرية فكتّفوه ، وحملوهم إلى واسط ، إلى منصور بن نصر ، فحملهم منصور إلى بغداد ، فأنفذهم محمد بن عبد الله إلى العسكر ، فلما وصلوا قام بايكباك إلى شريح ، فوسّطه بالسيف وصُليب على خشبة بابك ، وضرب أصحابه بالسياط ما بين الخمسة إلى الألف .

* * *

وفي شهر ربيع الآخر منها توفي عبيد الله بن يحيى بن خاقان في مدينة أبي جعفر .

* * *

[ذكر حال بغا ووصيف]

وفيها كتب المعتر إلى محمد بن عبد الله في إسقاط اسم بغا ووصيف ومن كان في رسمهما من الدواوين .

ذكر أن محمد بن أبي عون أحد قواد محمد بن عبد الله ناظره لـما صار أبو أحمد إلى سامراً في قتل بغا ووصيف ، فوعده أن يقتلهما؛ فبعث المعتر إلى محمد بن عبد الله بلواء ، وعقد لمحمد بن أبي عون لواء على البصرة واليمامنة والبحرين ، فكتب قومٌ من أصحاب بغا ووصيف إليهما بذلك ، وحضرهما محمد بن عبد الله؛ فركب وصيف وبغا إليه يوم الثلاثاء لخمس بقين من ربيع الأول ، فقال له بغا: بلغنا أيها الأمير ما ضمنه ابن أبي عون من قتلنا؛ والقوم قد غدروا وخالفوا ما فارقونا عليه؛ والله لو أرادوا أن يقتلونا ما قدروا عليه ، فحلف لهمما أنه ما علم بشيء من ذلك؛ وتكلم بغا بكلام شديد ، ووصيف يكُفه ، وقال

وصيف : أيها الأمير ، قد غدر القوم ونحن نُمسك ونَقْعِد في منازلنا حتى يجيء مَنْ يقتلنا ! وكانا دخلا مع جماعة ، ثم رجعا إلى منازلهم ، فجمعوا جندهما ومواليهِما ، وأخذنا في الاستعداد وشَرَى السلاح وتفريق الأموال في جيرانهما إلى سلغ ربيع ، وكان وصيف وبُغا عند قدوة قُرب وجه إلينهما محمد بن عبد الله كاتبه محمد بن عيسى ، فأقبلَا معه حتى صارا عند دار محمد بن عبد الله بقرب الجسر ، فلقيهما جعفر الكروبي وابن خالد البرمكي ؛ فتعلق كل واحد منهما بلجام واحد منهما ، وقال لهما : إنما دُعيتما لتحملنا إلى العسكر ؛ وقد أعد لكم لذلك قوم أو لقتلا ، فرجعوا وجمعا جمعاً ، وأجريا على كلّ رجل كلّ يوم درهمين ؛ فأقاما في منازلهم .

وكان وصيف وجه أخته سعاد إلى المؤيد ، وكان المؤيد في حِجْرِها ، فأخرجت من قصر وصيف ألف ألف دينار كانت مدفونة فيه ؛ فدفعتها إلى المؤيد ؛ فكلَّم المؤيد المعتز في الرضا عن وصيف ؛ فكتب إليه بالرضا عنه ؛ فضرب مضاربه بباب الشماسية على أن يخرج ، وتكلَّم أبو أحمد بن المتوكل في الرضا عن بغا ، فكتب إليه بالرضا ، واضطرب أمرهما وهما مقيمان ببغداد .

ثم اجتمع على المعتز الأتراك فسألوه الأمر بإحضارهما ، وقالوا : هما كبارانا ورؤسانا ؛ فكتب إليهما بذلك ، ف جاء بالكتاب بایكباك في نحو من ثلاثة رجال ؛ فأقام بالبردان ، ووجه إليهما الكتاب لسبعين يوماً من شهر رمضان من هذه السنة ؛ فكتب إلى محمد بن عبد الله يمنعهما ؛ فوجَّهَا بكتابيهما أبو أحمد بن صالح ودُليل بن يعقوب إلى محمد بن عبد الله ليسأذنه ؛ فأتاهمَا جيش من الأتراك ، فنزلوا بالمصلى ، وخرج وصيف وبُغا وأولادهما وفرسانهما في نحو من أربعين إنسان ، وخلفا في دورهما الثقل والعيال ، ودعى أهل بغداد لهما ودعوا لهم .

وقد كان ابن طاهر وجه محمد بن يحيى الواثقي وبندار الطبرى إلى باب الشماسية وباب البردان ليمنعوهما ، ومضيا من باب خراسان ، ونفذوا ولم يعلم كاتباهما حتى قال محمد بن عبد الله لأحمد ودُليل : ما صنع أصحابكم ؟ فقال أحمد بن صالح : خلَّفت وصيفاً في منزله ، قال : فإنه قد شخص الساعة ، قال : ما علمت ؟ فلما صار إلى سامراً بكر أحمد بن إسرائيل يوم الأحد لسبعين يوماً ، ثم انصرف إلى بُغا شوّال من هذه السنة في السَّحَر إلى وصيف ، وأقام عنده ملياً ، ثم انصرف إلى بُغا

فأقام عنده مليّاً ، ثم صار إلى الدّار ، فاجتمع الموالى وسألوه ردهما إلى مراتبهم ، فأجيبوا إلى ذلك ، وبعث إليّهما ، فحضرها ورتبًا في مرتبتهما التي كانت قبل مصيرهما إلى بغداد ، وأمر برد ضياعهما ، وخلع عليهما خلع المرتبة ، ثم ركب المعتر إلى دار العامة ، وعقد لبغا ووصيف على أعمالهما وردة ديوان البريد كما كان قبل إلى موسى بن بغا الكبير ، فقبل موسى ذلك .

* * *

[ذكر الفتنة بين جند بغداد وأصحاب محمد بن عبد الله بن طاهر]

وفي شهر رمضان من هذه السنة كانت وقعة بين جند بغداد وأصحاب محمد بن عبد الله بن طاهر ، ورئيس الجندي يومئذ ابن الخليل ، وكان السبب في ذلك - فيما ذكر - أن المعتر كتب إلى محمد بن عبد الله في بيع غلة طasakiج ضياع بادرويا وقطربيل ومسكين وغيرها ، كل كرين بالمعدل بخمسة وثلاثين ديناراً من غلة سنة اثنين وخمسين ومئتين ، وكان المعتر ولـي بريد بغداد رجلاً يقال له صالح بن الهيثم ، وكان أخوه منقطعاً إلى أتماش أيام المتوكـل ، فارتفع أمر صالح هذا أيام المستعين؛ وكان من أقام بسامراً؛ وهو من أهل المخرـم ، وكان أبوه حائـكاً ثم صار يبيع الغـزل؛ ثم انتقل أخوه إليه لما ارتفـع ، فلما أقدم ببغداد كـتب إليه يـؤـمر أن يـقرأ الكتاب على قـوـاد أـهـلـ بـغـدـادـ كـعـتـابـ بـنـ عـتـابـ وـمـحـمـدـ بـنـ يـحـيـيـ الـوـاثـقـيـ وـمـحـمـدـ بـنـ هـرـثـمـ وـمـحـمـدـ بـنـ رـجـاءـ وـشـعـيـبـ بـنـ عـجـيـبـ وـنـظـرـائـهـمـ ، فـقـرـأـهـ عـلـيـهـمـ ، فـصـارـوـاـ إـلـيـ مـحـمـدـ بـنـ عـبـدـ اللهـ ، فـأـخـبـرـوـهـ؛ فـأـمـرـ مـحـمـدـ بـنـ عـبـدـ اللهـ فـأـحـضـرـ صالحـ بـنـ الهـيـثـمـ ، وـقـالـ: مـاـ حـمـلـكـ عـلـىـ هـذـاـ بـغـيرـ عـلـمـيـ! وـتـهـدـدـهـ وـأـسـمـعـهـ ، وـقـالـ لـلـقـوـادـ: اـنـتـظـرـوـاـ حـتـىـ أـرـىـ رـأـيـ ، وـأـمـرـكـ بـمـاـ أـعـزـمـ عـلـيـهـ ، فـانـصـرـفـوـاـ مـنـ عـنـدـهـ عـلـىـ ذـلـكـ ، وـشـخـصـ بـعـدـ ذـلـكـ ، وـاجـتـمـعـ الـفـرـوضـ وـالـشـاكـرـيـةـ وـالـنـائـبـ إـلـيـ بـابـ مـحـمـدـ بـنـ عـبـدـ اللهـ يـطـلـبـونـ أـرـزـاقـهـمـ لـعـشـرـ خـلـوـنـ مـنـ شـهـرـ رـمـضـانـ؛ فـأـخـبـرـهـمـ أـنـ كـتـابـ الـخـلـيـفـةـ وـرـدـ عـلـيـهـ ، جـوـابـ كـتـابـ لـهـ كـانـ كـتـبـ بـمـسـأـلـةـ أـرـزـاقـ جـنـدـ بـغـدـادـ ، إـنـ كـنـتـ فـرـضـتـ الـفـرـوضـ لـنـفـسـكـ ، فـأـعـطـهـمـ أـرـزـاقـهـمـ؛ وـإـنـ كـنـتـ فـرـضـتـ لـنـاـ فـلـاـ حـاجـةـ لـنـاـ فـيـهـمـ ، فـلـمـاـ وـرـدـ الـكـتـابـ عـلـيـهـ أـخـرـجـ لـهـمـ بـعـدـ شـغـبـهـمـ بـيـوـمـ أـلـفـيـ دـيـنـارـ ، فـوـضـعـتـ لـهـمـ ثـمـ سـكـنـوـاـ.

ثم اجتمعوا لإحدى عشرة خلت من شهر رمضان؛ ومعهم الأعلام والطبلول، وضرموا المضارب والخيام على باب حزب وباب الشماسية وغيرهما، وبنوا بيوتاً من بواري وقصب، وباتوا ليتهم فلما أصبحوا كثُر جمعهم، وبَيْت ابن طاهر قوماً من خاصته في داره، وأعطاهم درهماً درهماً، فلما أصبحوا ماضوا من داره إلى المشغبة؛ فصاروا معهم فجمع ابن طاهر جنده القادمين معه من خراسان، وأعطاهم لشهرين، وأعطى جند بغداد القدماء؛ الفارس دينارين والراجل ديناراً، وشحّن داره بالرجال؛ فلما كان يوم الجمعة اجتمع من المشغبة خلق كثير بباب حرب بالسلاح والأعلام والطبلول، ورئيسهم رجل يقال له عبдан بن الموفق، ويكنى أبا القاسم وكان من أثبتات عبيد الله بن يحيى بن خاقان، وكان ديوان عبдан في ديوان وصيف، فقدم بغداد، فباع داراً له بمئة ألف دينار، فشخص إلى سامرًا؛ فلما ثبت الشاكرية بباب العامة كان معهم، فضربه سعيد الحاجب خمسة سوط، وحبسه حبسًا طويلاً، ثم أطلق، فلما كان فتنة المستعين صار إلى بغداد، وانضم إليه هؤلاء المشتبه، فحضرهم على الطلب بأرزاقهم، وفائدتهم، وضمن لهم أن يكون لهم رأساً يدبر أمرهم فأجابوه إلى ذلك؛ فأنفق عليهم يوم الأربعاء ويوم الخميس ويوم الجمعة نحواً من ثلاثين ديناراً فيما أقام لهم من الطعام، ومن كانت لهم كفاية لم يحتاج إلى نفقته؛ فكان ينصرف إلى منزله، فلما كان يوم الجمعة اجتمعوا منهم جماعة كبيرة، وعزموا على المصير إلى المدينة ليمضوا إلى الإمام فيمنعوه من الصلاة والدعاء للمعتز، فساروا على تعبية في شارع باب حزب؛ حتى انتهوا إلى باب المدينة في شارع باب الشأم، وجعل أبو القاسم هذا على كلّ درب يمرّ به قوماً من المشتبه من بين رامع وصاحب سيف ليحفظوا الدروب؛ كيلا يخرج منها أحد لقتالهم.

ولما انتهى إلى باب المدينة دخل معهم المدينة جماعة كبيرة، فصاروا بين البابين وبين الطاقات فأقاموا هناك ساعة، ثم وجهوا جماعة منهم يكونون نحواً من ثلثة رجال بالسلاح إلى رحبة الجامع بالمدينة؛ ودخل معهم من العامة خلق كبير، فأقاموا في الرحبة، وصاروا إلى جعفر بن العباس الإمام، فأعلمهوا أنهم لا يمنعونه من الصلاة، وأنهم يمنعونه من الدعاء للمعتز، فأعلمههم جعفر أنه مريض لا يقدر على الخروج إلى الصلاة، فانصرفو عنده، وصاروا إلى درب

أسد بن مربزان ، فشحنا الشارع النافذ إلى درب الرقيق ، ووكلوا بباب درب سليمان بن أبي جعفر جماعة ، ثم مضوا يريدون الجسر في شارع الحدادين ، فوجّه إليهم ابن طاهر عدّة من قواده فيهم الحسين بن إسماعيل والعباس بن قارن وعليّ بن جهشيار وعبد الله بن الأفشين في جماعة من الفرسان ، فناظر وهم ودفعوهم دفعاً رفياً ، وحمل عليهم الجندي الشاكرية حملة جرحاً فيها جماعة من قواد ابن طاهر ، وأخذوا دابة ابن فلان وابن جهشيار ورجل من فرض عبيد الله بن يحيى من الشاميين يقال له سعد الضبابي ، وجرحوا المعروف بأبي السنّا ، ودفعوهم عن الجسر حتى صieroهم إلى باب عمرو بن مسدة .

فلما رأى الذين بالجانب الشرقي منهم أن أصحابهم قد أزالوا أصحاب ابن طاهر عن الجسر كبروا ، وحملوا يريدون العبور إلى أصحابهم؛ وكان ابن طاهر قد أعد سفينتين فيها شوك وقضب ليضرم فيها النار ، ويرسلها إلى الجسر الأعلى ؛ ففعل ذلك ، فأحرقت عامة سفنه وقطعته؛ وصارت إلى الآخر ، فأدركها أهل الجانب الغربي ، ففرقواها وأطقووا النار التي تعلقت بسفن الجسر ، وعبر من الجانب الشرقي إلى الجانب الغربي خلق كثير ، ودفعوا أصحاب ابن طاهر عن سباط عمرو بن مسدة ، وصاروا إلى باب ابن طاهر ، وصار الشاكرية والجندي إلى سباط عمرو بن مسدة ، وقتل من الفريقين إلى الظهر نحو من عشرة نفر ، وصار جماعة من الغوغاء والعامة إلى المجلس الذي يعرف بمجلس الشرطة في الجسر من الجانب الغربي إلى بيت الرفوع ، فكسرروا الباب ، وانتهبا ما فيه ؛ وكان فيه أصناف من المتع ، فاقتتلوا عليه فلم يتراكوا فيه شيئاً ، وكان كثيراً جليلاً ، وأحرق ابن طاهر الجسرين لما رأى الجندي قد ظهروا على أصحابه ، وأمر بالحوانيت التي على باب الجسر التي تتصل بدرب سليمان أن تحرق يمنة ويسرة ، ففعل فاحتراق فيها للتجار متاع كثير ، وتهدم حيطان مجلس صاحب الشرطة ؛ فلما ضربت الحوانيت بالنار حالت النار بين الفريقين ، وكبرت الجندي عند ذلك تكبيره شديدة؛ ثم انصرفوا إلى معسكرهم بباب حرب ، وصار الحسين بن إسماعيل مع جماعة من القواد والشاكرية إلى باب الشأم ، فوقف على التجار والعامة فوبخهم على معونتهم الجندي ، وقال: هؤلاء قاتلوا على خبزهم وهم معدورون؛ وأنتم جيران الأمير ومن يجب عليه نصرته ، فلِمَ فعلتم

ما فعلتم ، وأعنتم الشاكرية عليه ورميتم بالحجارة ، والأمير مت Howell عنكم ! ثم صار محمد بن أبي عون إليهم ، فقال لهم مثل ذلك ؛ وانصرف إلى ابن طاهر ؛ فمكث الجُند المشتَغِبون في مواضعهم ومعس克ِرهم ، وانضم إلى ابن طاهر جماعة من الأثبات وجَمَع جميع أصحابه ، فجعل بعضهم في داره ، وبعضهم في الشارع النافذ من الجسر إلى داره ، قد عبَّأْهم تعبية الحرب ، حذاراً من كَرَّة الجندي عليه أياماً ؛ فلم يكن لهم عودة ؛ فصار في بعض الأيام التي كان من عودتهم ابن طاهر على وَجْلٍ - فيما ذكر - رجلان من المشغبة استأمنا إليه ، فأخبراه بعورة أصحابهما ، فأمر لهما بمئتي دينار ، ثم أمر الشاه بن ميكال والحسين بن إسماعيل بعد العشاء الآخرة بالمصير في جماعة من أصحابهما إلى باب حَرْب ، فتلطّفَا لأبي القاسم رئيس القوم وابن الخليل - وكان من أصحاب محمد بن أبي عون - فصاروا إلى ما هناك ؛ وكان أبو القاسم وابن الخليل قد صار كلُّ واحد منهما عند مفارقة الرَّجَلِين اللذَّيْن صارا إلى ابن طاهر ورجل آخر يقال له القُمَّي ؛ وتفرق الشاكرية عنهما إلى ناحية خوفاً على أنفسهم ، فمضى الشاه والحسين في طلبِهما حتى خرجا من باب الأنبار ، وتوجّها نحو جسر بطاطيا ، فذُكر أن ابن الخليل استقبلهما قبل أن يصيرا إلى جسر بطاطيا ، فصاح بهما ابن الخليل وبِمَنْ معهما من هؤلاء ، وصاحوا به ؛ فلما عرفهم حمل عليهم ، فجرح منهم عدّة ، فأحدقوه به ، وصار في وسط القوم ، فطعنَه رجل من أصحاب الشاه ، فرمى به إلى الأرض ، فبعجه عليّ بن جهشيار بالسيف وهو في الأرض ، ثم حُمل على بغل وبه رَمق ، فلم يصلوا به إلى ابن طاهر حتى قَضَى ، وأمر الشاه بطرحه في كَنِيف في دهليز الدَّار إلى أن حُمل إلى الجانب الشرقي ؛ وأما عبدان بن الموفق فإنه كان قد صار إلى منزله وإلى موضع اختفى فيه ، فدُلُّ عليه ، وأخذ وحُمل إلى ابن طاهر ، وتفرق الشاكرية الذين كانوا بباب حَرْب ، وصاروا إلى منازلهم ، وقُيد عبدان بن الموفق بقيدين فيهما ثلاثون رطلًا ، ثم صار الحسين بن إسماعيل إلى الحبس الذي هو فيه في دار العامة ، وقد علَى كرسيٍّ ، ودعا به ؛ فسألَه : هل هو دسيس لأحد ، أو فعل ما فعل من قَبْل نفسه ؟ فأخبره أنه لم يدْسَه أحد ؛ وإنما هو رجل من الشاكرية طلب بخزنه ، فرجع الحسين إلى ابن طاهر فأعلمه ذلك ، فخرج طاهر بن محمد وأخوه إلى دار العامة الداخلية ، فقعدا وأحضرَا مَنْ بات في الدار من القواد والحسين بن إسماعيل والشاه بن ميكال ، وأحضرَا عبدان ،

فحمله رجلان ، فكان المخاطب له الحسين ، فقال: أنت رئيس القوم؟ فقال: لا؛ إنما أنا رجل منهم؛ طلبت ما طلبوا ، فشتمنه الحسين ، وقال حرب بن محمد بن عبد الله بن حرب: كذبت ، بل أنت رئيس القوم؛ وقد رأيناك تعبيهم بباب حرب وفي المدينة وباب الشأم ، فقال: ما كنت لهم برأس؟ وإنما أنا رجل منهم؛ طلبت ما طلبوا فأعاد عليه الحسين الشتم ، وأمر بصفعه فصفع ، وأمر بسحبه فسحب بقيوده إلى أن أخرج من الدار ، وشتمه كل من لحقه ، ودخل طاهر بن محمد إلى أبيه فأخبره خبره ، وحمل عبادان على بغل؛ ومُضي به إلى الحبس ، وحمل ابن الخليل في زورق عَبِرَ به إلى الجانب الشرقي ، وصلب؛ وأمر بعدان فجرّد وضرب مئة سوط بشارها ، وأراد الحسين قتله ، فقال لمحمد بن نصر: ما ترى في ضربه خمسين سوطاً على خاصرته؟ فقال له محمد: هذا شهر عظيم؛ ولا يحل لك أن تصنع به هذا؛ فأمر به فصلب حياً ، وحمل على سلم حتى صليب على الجسر ، وربط بالحبال ، فاستسقى بعد ما صُلب ، فمنعه الحسين فقيل له: إن شرب الماء مات ، قال: فاسقوه إذاً؛ فسقوه ، فترك مصلوباً إلى وقت العصر ، ثم حُسِنَ؛ فلم يزل في الحبس يومين ثم مات اليوم الثالث مع الظهر؛ وأمر بصلبه على الخشبة التي كان صليب عليها ابن الخليل ، ودفع ابن الخليل إلى أوليائه فدُفن.

* * *

[ذكر الخبر عن خلع المؤيد ثم موته]

وفي رجب من هذه السنة خَلَعَ المُعْتَزَ المؤيدَ أخاه من ولاية العهد بعهده^(١).

* ذكر الخبر عن سبب خلعه إياه:

كان السبب في ذلك - فيما بلغنا - أنَّ العلاء بن أحمد عامل إرميَّة بعث إلى إبراهيم المؤيد بخمسة آلاف دينار ليصلاح بها أمره ، فبعث ابن فرخانشاه إليه ، فأخذها فأغرى المؤيد الأتراك بعيسي بن فرخانشاه ، وخالفهم المغاربة ، فبعث المُعْتَز إلى أخيه: المؤيد وأبي أحمد؛ فحبسهما في الجُوْسق ، وقيد المؤيد

(١) انظر المتنظم (٥٥/١٢).

وصيّره في حجرة ضيقة ، وأدّر العطاء للأتراك والمغاربة ، وحبس كنجور حاجب المؤيد ، وضربه خمسين مقرعة ، وضرب خليفته أبا الهول خمسين سوطاً وطُوّف به على جمل ، ثم رضي عنه وعن كنجور ، فصرف إلى منزله .

وقد ذكر أنه ضرب أخاه المؤيد أربعين مقرعة ، ثم خلع بسامراً يوم الجمعة لسبع خلون من رجب ، وخُلع بيغداد يوم الأحد لـ أحدى عشرة خلْت من رجب ، وأخذت رقعة بخطه بخلع نفسه .

ولست بقين من رجب من هذه السنة - وقيل لشمان بقين منه - كانت وفاة إبراهيم بن جعفر المعروف بالمؤيد .

* ذكر الخبر عن سبب وفاته :

ذكر أنّ امرأة من نساء الأتراك جاءت محمد بن راشد المغربيّ ، فأخبرته أنّ الأتراك يريدون إخراج إبراهيم المؤيد من الحبس؛ وركب محمد بن راشد إلى المعتزّ ، فأعلمه ذلك ، فدعى بموسى بن بُغا ، فسألَه فأنكر ، وقال: يا أمير المؤمنين ، إنما أرادوا أن يخرجوا أباً أحمد بن المتوكّل لأنفسهم به كان في الحرب التي كانت ، وأما المؤيد فلا ، فلما كان يوم الخميس لشمان بقين من رجب دعا بالقضاء والفقاء والشهود والوجوه ، فأنخرج إليهم إبراهيم المؤيد ميتاً لا أثر به ولا جرح؛ وحمل إلى أمه إسحاق - وهي أم أبي أحمد - على حمار ، وحمل معه كفن وحنوط وأمر بدهنه ، وحول أبو أحمد إلى الحجرة التي كان فيها المؤيد .

وذكر أنّ المؤيد أدرج في لحاف سمّور ، ثم أمسك طرافاه حتى مات .

وقيل: إنه أُقِيَّد في حَجَرٍ من ثلَجٍ ، ونَضَدَتْ عَلَيْهِ حَجَارَةٌ ثلَجٌ فَمَا تَبَرَّدَ .

* * *

[ذكر الخبر عن مقتل المستعين]

وفي شوال منها قُتِلَ أبو أحمد بن محمد المستعين^(١) .

(١) انظر لمقتله تاريخ بغداد (٨٥ / ٥) والبداية والنهاية (٨ / ٢٢) والمنتظم [٥٦ / ١٢] وقد أخرج الخطيب البغدادي (٨٥ / ٥) ومن طريقه ابن الجوزي (٥٦ / ١٢) عن ابن أبي الدنيا قال: قُتل المستعين بموضع يقال له القادسية في طريق سامراء ، في شوال سنة اثنين وخمسين ومئتين =

* ذكر الخبر عن قتله :

ذُكر أن المعتز لما هم بقتل المستعين ، ورد كتابه على محمد بن عبد الله بن طاهر بن كتبته ، وأمره بتوجيه أصحاب معاونه في الطساسيج ، ثم ورد عليه منه بعد ذلك كتاب مع خادم يدعى سينا ، يؤمر فيه بالكتاب إلى منصور بن نصر بن حمزة - وهو على واسط - بتسليم المستعين إليه؛ وكان المستعين بها مقیماً ، وكان الموكّل به ابن أبي خميصة وابن المظفر بن سيل ومنصور بن نصر بن حمزة وصاحب البريد؛ فكتب محمد في تسليم المستعين إليه ، ثم وجّه - فيما قيل - أحمد بن طولون الترکي في جيش ، فأخرج المستعين لستّ بقين من شهر رمضان ، فوافى به القاطول لثلاث خلوٌ من شوال .

وقيل إن أحمد بن طولون كان موكلًا بالمستعين ، فوجّه سعيد بن صالح إلى المستعين في حمله ، فصار إليه سعيد فحمله .

وقيل إن سعيداً إنما تسلّم المستعين من ابن طولون في القاطول بعدما صار به ابن طولون إليها ، ثم اختلف في أمرهما ، فقال بعضهم : قتله سعيد بالقاطول ؛ فلما كان غد اليوم الذي قتله فيه أحضر جواريه وقال : انظرن إلى مولاكم قد مات . وقد قال بعضهم : بل أدخله سعيد وابن طولون سامراً ، ثم صار به سعيد إلى المنزل له فعذبه حتى مات .

وقيل : بل ركب معه في زورق ومعه عدّة حتى حاذى به فم دجبل ؛ شد في رجله حجراً ، وألقاه في الماء .

وذكر عن متتبّ كأن مع المستعين نصراني يقال له فضلان ، أنه قال : كنت معه حين حمل ، وأنه أخذ به على طريق سامراً ، فلما انتهى إلى نهر نظر إلى موكب وأعلام وجماعة ، فقال لفضلان : تقدم فانظر من هذا ؟ فإن كان سعيداً فقد ذهبت نفسي ؛ قال فضلان ، فتقدّمت إلى أول الجيش ، فسألتهم فقالوا : سعيد الحاجب ، فرجعت إليه فأعلمه - وكان في قبة تعادله امرأة - فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ! ذهبت نفسي والله ! وتأخرت عنه قليلاً .

١. هـ أما ما ذكره الطبرى عن علة وفاته وكيفية ذلك فلم يصح كما هو الحال في الأخبار السابقة في كيفية وفاة بقية الخلفاء والله أعلم .

قال: فلقيه أول الجيش ، فأقاموا عليه وأنزلوه ودابته ، فضربوه ضربة بالسيف ، فصاح وصاحت دابته ، ثم قُتِلَ ؛ فلما قُتِلَ انصرف الجيش .

قال: فصرت إلى الموضع ، فإذا هو مقتول في سراويل بلا رأس ؛ وإذا المرأة مقتولة ، وبها عدّة ضربات ، فطرحنا عليهما نحن تراب النّهر حتى واريناهم ، ثم انصرفنا .

قال: وأنّي المعتز برأسه وهو يلعب بالشطرنج ؛ فقيل: هذا رأس المخلوع فقال: ضعوه هنالك ، ثم فرغ من لعبه ، ودعا به فنظر إليه ، ثم أمر بدهنه وأمر سعيد بخمسين ألف درهم وولي معونة البصرة .

وذكر عن بعض غلمان المستعين أنّ سعيداً لما استقبله أنزله ووكل به رجلاً من الأتراك يقتله ، فسأله أن يمهله حتى يصلّي ركعتين ؛ وكانت عليه جهة ، فسأل سعيد التركي الموكل بقتله أن يطلبها منه قبل قتله ، ففعل ذلك ، فلما سجد في الركعة الثانية قتله واحتز رأسه ، وأمر بدهنه ، وخفي مكانه .

وقال محمد بن مروان بن أبي الجنوب بن مروان بن أبي حفصة في أمر المؤيد

ويمدح المعتز:

يا مُمسكَ الدّينِ والدّنيا إذا اضطربتْ
ترجُو بِعْدَكَ أَنْ تَبْقَى لَهَا حَقَبَا
وكان عُودُكَ تَبَعَا لَمْ يَكُنْ غَرَبَا
والرَّأْسَ كُنْتَ وَكَانَ النَّاكُثُ الدّنَبَا
لأَصْبَحَ الْمُلْكُ وَالإِسْلَامُ قد ذَهَبَا
وَقَدْ أَرَادَ هَلَاكَ الدّينِ وَالعَطْبَا
أَمْسَى عَلَيْهِ إِمامُ الْعَدْلِ قد وَثَبَا
وَمِنْ رَمَاكَ عَلَيْهِ سَهْمَهُ انْقَلَبا
فَمَا رَعَى لَكَ إِحْسَانًا وَلَا سَيْئًا
كُنَّا لِذَاكَ شَهْوَدًا لَمْ نَكُنْ غَيْرًا
وَكَانَ يَلْعُبُ مَا كَلَّفْتَهُ تَعَبَا
وَكَنْتَ يَا ذَا النَّدَى تَعْطِيهِ مَا طَلَبَا
وَلَمْ تَكُنْ بِأَخْ فِي الْبَرِّ كُنْتَ أَبَا

أَنْتَ الَّذِي يُمْسِكُ الدُّنْيَا إِذَا اضطربَتْ
إِنَّ الرَّعِيَّةَ - أَبْقَاكَ إِلَهَ لَهَا -
لَقَدْ عَنِيتَ بِحَرْبٍ غَيْرَ هَيْنَةَ
مَا كُنْتَ أَوْلَ رَأْسِ خَانَهُ ذَنَبُ
لَوْ كَانَ تَمَّ لَهُ مَا كَانَ دَبَرَهُ
أَرَادَ يُهَلِّكُ دُنْيَا نَا وَيُعَطِّبُهَا
لَمَّا أَرَادَ وَثُوبَاً مِنْ سَفَاهَتِهِ
لَقَدْ رَمَاكَ بِسَهْمٍ لَمْ يُصِبْنَكَ بِهِ
لَقَدْ رَعَيْتَ لَهُ مَا كَانَ مِنْ سَبِّ
كَحْسُنَ فَعَلِيكَ لَمْ يَفْعَلْ أَخْ بَأْخَ
قَدْ كُنْتَ مُشْتَغِلًا بِالْحَرْبِ ذَا تَعَبُ
قَدْ كَانَ يَا ذَا النَّدَى يُعْطَى بِلَا طَلْبٍ
وَكَنْتَ أَكْثَرَ بِرًا مِنْ أَبِيهِ بِهِ

فَقَدْ تبَاعِدَ مِنْهُ بَعْدَ مَا اقْتَرَبَ
بَابُ يُزَارُ فَأَمْسَى الْيَوْمَ مُحْتَجِبًا
عَشْرِينَ أَلْفًا تَرَاهُمْ خَلْفُهُ عُصْبًا
كَمَا يَقُولُ إِذَا مَا جَاءَ أَوْ ذَهَبَا
كَالْحَوْتِ أَصْبَحَ عَنْهُ الْمَاءُ قَدْ نَضَبَا
فَلَا خَطِيبٌ لَهُ يَدْعُو إِذَا اخْتَطَبَا
وَاللهُ بَذَلَهُ بِالْإِمْرَةِ اللَّقَبَا
وَلَمْ يَصُنْهُ فَأَمْسَى عَنْهُ مُعْنَصَبَا
وَاللهُ أَخْرَجَهُ مِنْهَا بِمَا اكْتَسَبَا
فَمَا تَرَكَتْ لَهُ نُورًا وَلَا لَهَبًا
حَبْلَ الصَّفَاءِ وَحَبْلَ الْوُدُّ فَانْقَضَبَا
حَتَّى تُبَيَّنَ فِيهِ النُّكْثُ وَالرِّيَبَا
وَكَانَ مَدْحُ بَنِي العَبَاسِ لِي حَسِبَا
حَتَّى اسْتَفَادَتْ قُرَيْشٌ مِنْكُمُ الْأَدْبَا
فَلَسْتُ فِيهِ بِحَمْدِ اللهِ مُقْتَضَبَا

* * *

[أمر المعتز مع أهل بغداد]

ذُكْرُ عن أبي عبد الرحمن الفاني أنَّ فتىً من أهل سامراً أملَى عليه مما عملَه بعض أهلها عن السن الأتراءِ أنَّ المعتزَ لَمَا أفضَتْ إِلَيْهِ الْخَلَافَةَ ، وَقَلَدَهُ اللهُ الْقِيَامَ بِأَمْرِ عِبَادِهِ فِي الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ ، وَالبَرِّ وَالْبَحْرِ ، وَالْبَدْوِ وَالْحَضْرِ ، وَالسَّهْلِ وَالْجَبَلِ ، تَأَلَّمَ بِسُوءِ اخْتِيَارِ أَهْلِ بَغْدَادِ وَفَتْتَهُمْ؛ فَأَمْرَ المعتزَ بِاللهِ بِإِحْضَارِ جَمَاعَةِ مَنْ صَفَتْ أَذْهَانَهُمْ ، وَرَقَّتْ طَبَائِعَهُمْ ، وَلَطَّفَ ظَنَّهُمْ ، وَصَحَّتْ نَحَائِزَهُمْ ، وَجَادَتْ غَرَائِزَهُمْ ، وَكَمْلَتْ عَقْولَهُمْ بِالْمَشَوْرَةِ ، فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ: أَمَا تَنْظَرُونَ إِلَى هَذِهِ الْعَصَابَةِ الَّتِي ذَاعَ نَفَاقُهُمْ ، وَغَارَ شَأْوُهُمْ؛ الْهَمْجُ الطَّغَامُ ، وَالْأَوْغَادُ الَّذِينَ لَا مُسْكَنَةَ بِهِمْ ، وَلَا اخْتِيَارَ لَهُمْ ، وَلَا تَمْيِيزَ مَعْهُمْ؛ قَدْ زَيَّنَ لَهُمْ تَقْحُمُ الْخَطَا سُوءَ أَعْمَالِهِمْ ، فَهُمُ الْأَقْلُونَ وَإِنْ كَثُرُوا وَالْمَذْمُومُونَ إِنْ ذُكْرُوا؛ وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّهُ

وَكَانَ قَرْبَ سَرِيرِ الْمَلِكِ مَجْلِسُهُ
وَكَانَ فِي نِعَمٍ زَالَتْ وَكَانَ لَهُ
أَمْسَى وَحِيدًا وَقَدْ كَانَتْ مَوَاكِبُهُ
أَيْنَ الصُّفُوفُ الَّتِي كَانَتْ تَقْوُمُ لَهُ
وَذَلِّلَ بَعْدَ تَمَادِيهِ وَنَحْوَتِهِ
وَقَدْ فَسَخَّتْ عَنِ الْأَعْنَاقِ بَيْعَتَهُ
لَقَبَّتَهُ لَقَبًا مِنْ بَعْدِ إِمْرَاتِهِ
كَسَوَتَهُ ثُوبَ عَزَّ فَاسْتَهَانَ بِهِ
كَمْ نِعْمَةُ لَكَ فِيهَا كَنْتَ تَشْرِكَهُ
شَبَهَتَهُ بِسَرَاجٍ كَانَ ذَا لَهَبِ
أَمْسَى قَطِيعَةُ إِبْرَاهِيمَ قَدْ قَطَعَتْ
وَمَا تَؤَاخِذُ بِاِحْلِفَ النَّدَى أَحَدًا
إِنِّي بِمَدْحُ بَنِي العَبَاسِ دُوْ حَسِبِ
إِنَّ الْقَوْى يَا بَنِي العَبَاسِ أَدَبَكُمْ
مَنْ كَانَ مُقْتَضَبًا فِي حَوْلِ مَدْحُكُمْ

لا يصلح لقود الجيش وسدّ التغور وإبرام الأمور وتدبير الأقاليم إلاّ رجل قد تكاملت فيه خلالٌ أربع : حَرْمٌ يُقْبِيْف به عند موارد الأمور حقائق مصادرها ، وعلم يحجزه عن التهور والتغیر في الأشياء إلا مع إمكان فرستها ، وشجاعة لا ينقصها الملمات مع توادر حوايجها ، وجودٌ يهون به تبدير جلائل الأموال عند سؤالها ، وأما الثالث ، فسرعة مكافأة الإحسان إلى صالح الأعون ، وثقل الوطأة على أهل الزّيغ والعدوان ، والاستعداد للحوادث ؛ إذ لا تؤمن من نواب الرمان ، وأما الاثنين ؛ فإن سقوط الحاجب عن الرعية ، والحكم بين القوي والضعيف بالسوية ، وأما الواحدة فالتيقظ في الأمور مع عدم تأخير عمل اليوم لغد؛ فما ترون ؟ وقد اخترت رجالاً لهم من موالي ، أحدهم شديد الشكيمة ، ماضي العزيمة ، لا تبطره السراء ، ولا تدهشه الضراء ، لا يهاب ما وراءه ، ولا يهوله ما تلقاهه ، وهو كالحرirsch في أصل السلام ؛ إن حرك حمل ، وإن نهش قتل ؛ عدته عتيدة ، ونقمته شديدة ، يلقى الجيش في النفر القليل العدد بقلب أشد من الحديد ، طالب للثار ، لا يفله العساكر ، باسلٌ البأس ، مقتضب الأنفاس لا يعزوه ما طلب ، ولا يفوته من هرب ؛ واري الزناد ، مطلع العماد ، لا تُشرهه الرغائب ، ولا تُعجزه النوابئ ؛ إن ولـي كفى ، وإن وعد وفى ، وإن نازل فبطل ، وإن قال فعل ، ظـلـله لـولـيـه ظـلـلـلـ ، وبـأـسـهـ فيـهـيـاجـ عـلـيـهـ دـلـيلـ ؛ يـفـوـقـ مـنـ سـاماـهـ ، وـيـعـجـزـ مـنـ نـاوـاهـ ، وـيـعـبـ مـنـ جـارـاهـ ، وـيـنـعـشـ مـنـ وـالـاهـ .

فقام إليه رجل من القوم ، فقال : قد جمع الله فيك يا أمير المؤمنين فضائل الأدب ، وخصك بإرث النبوة ، وألقى إليك أزمة الحكمة ، ووفر نصيبك من حباء الكرامة ؛ وفسح لك في الفهم ، ونور قلبك بأنفس العلوم وصفاء الذهن ؛ فأفصح عن القلب البيان ، وأدرك فهمك يا أمير المؤمنين ما والله خبيء على من لم يحب بما حبب من المتن العظام ، والأيدي الجسم ، والفضائل المحمودة ، وشرف الطياع ، فنطقت الحكمة على لسانك ، فما ظنته فهو صواب ، وما فهمته فهو الحق الذي لا يعاب ، وأنت والله يا أمير المؤمنين نسيجٌ وحديه ، وقريع دهره ، لا يبلغ كلية فضله الوصف ، ولا يحصر أجزاء شرف فضله النعمت .

ثم أمر أمير المؤمنين بالعقد لأنصاره على النواحي ، وأطلقهم في أشعار

أعدائهم وأبشارهم ودمائهم ، فلما بلغ محمد بن عبد الله ما أمر به في النواحي أنشأ كتاباً نسخته :

أما بعد فإن زين الهوى صدف بكم عن حزم الرأي ، فأقحمكم حبائل الخطأ ، ولو ملكتم الحق عليكم ، وحكمتم به فيكم لأوردم البصيرة ، ونفي عنكم غيابة الحجارة ، والآن فإن تجنحوا للسلم تحقو دماءكم ، وترغدوا عيشكم ، ويصفح أمير المؤمنين عن جريمة جارِكم؛ وأخلَّ لكم ذروة سُبُوغ النعمة عليكم ، وإن مضيتم على غلوائهم ، وسؤال لكم الأمل أسوأ أعمالكم ، فائذنوا بحرب من الله ورسوله ، بعد نبذ المعدنة إليكم ، وإقامة الحجة عليكم ، ولئن شئت الغارات ، وثبت ضرام الحرب ، ودارت رحاحها على قطبهما ، وحسنت الصواريخ أوصال حُماتها واستجررت العوالي منْ نهضها ، ودعى نزال ، والتحم الأبطال ، وكلحت الحرب عن أيابها أشداقها ، وألقت للتجرد عنها قناعها ، واحتلت أعناق الخيل ، وزحف أهل النجدة إلى أهل البغي ، لتعلمنَّ أي الفريقين أسمح بالموت نفساً ، وأشدَّ عند اللقاء بطشاً ، ولات حين معدنة ، ولا قبول فدية ! وقد أذر منْ أنذر ؛ وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون !

فبلغ كتاب محمد بن عبد الله الأتراك ، فكتبوا جواب كتابه :

إن شخص الباطل تصور لك في صورة الحق ، فتخيل لك الغيّ رشدًا كسراب بقيقة يحسبه الظمان ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ، ولو راجعت عزوب عقلك أنار لك برهان البصيرة ، وحسن عنك مواد الشبهة؛ ولكن حضرت عن ستةحقيقة ، ونكصت على عقبيك لما ملك طباعك منْ دواعي الحيرة؛ فكنت في الإصلاح لهنافه والتجرد إلى وروده كالذي استهونه الشياطين في الأرض حيران ، ولعمرك يا محمد؛ لقد وَرَدَ وعدك لنا ووعيده إيانا ، فلم يُدْنِيَ منك ، ولم يُشَنِّ عنك ، إذ كان فحصُ اليقين قد كشف عن مكنون ضميرك ، وألفاك كالمنتفي بالبرق نهجاً؛ إذا أضاء له مَشَى فيه ، وإذا أظلم عليه قام ، ولعمرك لئن اشتَدَ في البغي شاؤك ، ومتعبت بضبابية من الأمل ليكونن أمرك عليك غمة؛ ولنأتينك بجند لا قبل لك بها ، ولنُخْرِجَنَّك منها ذليلاً ، وأنت من الصاغرين ، ولولا انتظارنا كتابَ أمير المؤمنين بإعلامنا ما نعمل في شاكلته ، بلغنا بالسياط النياط ، وغمدنا السيف وهي كالة ، وجعلنا عاليها سافلها ، وجعلناها مأوى الظلمان

والحيات والبوم؛ وقد ناديناك من كَب ، وأسمعناك إن كنت حيّاً ، فإن تجب تُلْحُم ، وإن تأب إِلا غيّاً نخزك به ، وعما قليل لتصبُّحْ نادمين .

* * *

[وقوع الفتنة بين الأتراك والمغاربة]

وفي أَوَّل يَوْمٍ من رجب من هذه السنة كانت بين المغاربة والأتراك ملحمة؛ وذلك أن المغاربة اجتمعوا فيه مع محمد بن راشد ونصر بن سعيد؛ فغلبوا الأتراك على الجوْسَق ، وأخرجوهم منه ، وقالوا لهم: في كُلّ يَوْمٍ تقتلون خليفة ، وتخلعون آخر ، وتقتلون وزيرًا! وكانوا قد وثبوا على عيسى بن فرخانشاه؛ فتناولوه بالصَّرْب ، وأخذوا دوابه ، ولما أخرجت المغاربة الأتراك من الجوْسَق ، وغلبوا عليهم على بيت المال ، أخذوا خمسين دابة مما كان الأتراك يركبونها؛ فاجتمع الأتراك ، وأرسلوا إلى مَنْ بالكرخ والدُّور منهم ، فتلاقوا هم والمغاربة ، فقتل من المغاربة رجُلٌ ، فأخذت المغاربة قاتله ، وأعانت المغاربة الغوغاء والشاكريَّة ، فضعف الأتراك ، وانقادوا للمغاربة ، فأصلاح جعفر بن عبد الواحد بين الفريقين ، فاصطلحوا على ألا يُحدِّثوا شيئاً ، ويكون في كُلّ موضع يكون فيه رجل من قِبَل أحد الفريقين يكون فيه آخر من الفريق الآخر؛ فمكثوا على ذلك مُدَيْدة.

وبلغ الأتراك اجتماع المغاربة إلى محمد بن راشد ونصر بن سعيد ، واجتمع الأتراك إلى بايكباك ، فقالوا: نطلب هذين الرأسين؛ فإن ظفرنا بهما فلا أحد ينطق؛ وكان محمد بن راشد ونصر بن سعيد قد اجتمعوا في صدر اليوم الذي عَزَّم الأتراك فيه على الوثوب بهما ، ثم انصرفوا إلى منازلهما ، فبلغهما أن بايكباك قد صار إلى منزل ابن راشد ، فعدل محمد بن راشد ونصر بن سعيد إلى منزل محمد بن عَزَّون ليكونا عنده حتى يسكن الأتراك ، ثم يرجعوا إلى جمعهما ، فغمز إلى بايكباك رجُلٌ ، ودله عليهما ، وقيل إن ابن عَزَّون هو الذي دسَّ من دلّ بايكباك والأتراك عليهما؛ فأخذهما الأتراك فقتلواهما؛ بلغ ذلك المعتزّ ، فأراد قتل ابن عَزَّون ، فكلَّم فيه فنفاه إلى بغداد.

* * *

[ذكر خبر حمل الطالبيين من بغداد إلى سامرا]

وفيها حُمل محمد بن عليٍّ بن خلف العطار وجماعة من الطالبيين من بغداد إلى سامراً ، فيهم أبو أحمد محمد بن جعفر بن حسن بن جعفر بن حسن بن حسن بن عليٍّ بن أبي طالب ، وحمل معهم أبو هاشم داود بن القاسم الجعفري وذلك لثمانٍ خلون من شعبان منها.

* ذكر السبب في حملهم :

وكان السبب - فيما ذكر - أنَّ رجلاً من الطالبيين شخص من بغداد في جماعة من الجيشية والشاكيرية إلى ناحية الكوفة ، وكانت الكوفة وسواتها من عمل أبي الساج في تلك الأيام؛ وكان مقيماً ببغداد لمناظرة ابن طاهر إياه في الخروج إلى الريٰ ، فلما بلغ ابن طاهر خبرُ الطالبيِّ الشاخص من بغداد إلى ناحية الكوفة ، أمر أبا الساج بالشخص إلى عمله بالكوفة ، فقدم أبو الساج خليفته عبد الرحمن إلى الكوفة ، فلقيَ أبا الساج أبو هاشم الجعفري مع جماعة معه من الطالبيين ببغداد ، فكلموه في أمر الطالبيِّ الشاخص إلى الكوفة ، فقال لهم أبو الساج: قولوا له يتنحَّى عنِّي ، ولا أراه ، فلما صار عبد الرحمن خليفة أبي الساج إلى الكوفة ودخلها رُميَ بالحجارة حتى صار إلى المسجد ، فظُلُّوا أنه جاء لحرب العلويٰ ، فقال لهم: إنِّي لست بعامل؛ إنما أنا رجل وجْهُ لحرب الأعراب ، فكفوا عنه؛ وأقام بالكوفة ، وكان أبو أحمد محمد بن جعفر الطالبيُّ الذي ذكرت أنه حمل من الطالبيين إلى سامراً كان المعتزَّ ولاه الكوفة بعدما هزم مزاحمُ بن خاقان العلويٰ الذي كان وُجْهُ لقتاله بها الذي قد مضى ذكره قبل في موضعه فعاد - فيما ذكر - أبو أحمد هذا في نواحي الكوفة وأذى الناس ، وأخذ أموالهم وضياعهم ، فلما أقام خليفة أبي الساج بالكوفة لطف لأبي أحمد العلويٰ هذا وآنسه حتى خالطه في المؤاكلة والمشاربة ، ودخله. ثم خرج متترهاً معه إلى بستان من بساتين الكوفة ، فأمسى وقد عَيَّ له عبد الرحمن أصحابه ، فقيده وحمله مقيداً بالليل على بغال الدخول؛ حتى ورد به بغداد في أول شهر ربيع الآخر ، فلما أتى به محمد بن عبد الله حَبْسَه عنده ، ثم أخذ منه كفياً وأطلقه ، ووُجِدَت مع ابن أخيه محمد بن عليٍّ بن خلف العطار كُتبٌ من الحسن بن زيد؟

فكتب بخبره إلى المعترّ ، فورد الكتاب بحمله مع عتاب بن عتاب ، وحمل هؤلاء الطالبيين ، فحملوا جميعاً مع خمسين فارساً ، وحمل أبو أحمد هذا وأبو هاشم الجعفري ، وعليّ بن عبيد الله بن عبد الله بن حسن بن جعفر بن حسن بن حسن بن عليّ بن أبي طالب.

وتحدث الناس في عليّ بن عبيد الله أنه إنما استأذن في المصير إلى منزله بسامراً ، فأذن له ووصله - فيما قيل - محمد بن عبد الله بألف درهم؛ لأنّه شكا إليه ضيقه ، ووَدَعْ أبو هاشم أهله.

وقيل إن سبب حمل أبي هاشم ، إنما كان ابن الكردية وعبد الله بن داود بن عيسى بن موسى قالاً للمعترّ: إنك إن كتبت إلى محمد بن عبد الله في حمل داود بن القاسم لم يحمله ، فاكتبه إليه وأعلمه أنك ت يريد توجيهه إلى طبرستان لصلاح أمرها ، فإذا صار إليك رأيت فيه رأيك؛ فتحمل على هذا السبيل ولم يُعرض له بمكروه.

* * *

وفيها ولّي الحسن بن أبي الشوارب قضاة القضاة؛ وكان محمد بن عمران الضبي مؤدب المعترّ قد سمي رجالاً للمعترّ للقضاء نحو ثمانية رجال؛ فيهم الخلنجي والخصف ، وكتب كتابهم ، فوقع فيه شفيع الخادم ومحمد بن إبراهيم بن الكردية وعبد السميع بن هارون بن سليمان بن أبي جعفر ، قالوا: إنهم من أصحاب ابن أبي داود ، وهم رافضة وقدرية وزيدية وجهمية.

فأمر المعترّ بطردهم وإخراجهم إلى بغداد ، ووثب العامة بالخصف ، وخرج الآخرون إلى بغداد ، وعزل الضبي إلا عن المظالم^(١).

وذكر أن أرزاق الأتراك والمغاربة والشاكريّة قُدرت في هذه السنة ، فكان مبلغ ما يحتاجون إليه في السنة مئتي ألف دينار ، وذلك خراج المملكة كلها لستين .

* * *

(١) انظر المتنظم (٥٦/١٢).

وفيها توجه أبو الساج إلى طريق مكة وكان سبب ذلك - فيما ذكر - أن وصيفاً لما صلح أمره ، ودفع المعترٌ إليه خاتمه كتب إلى أبي الساج يأمره بالخروج إلى طريق مكة ليصلحه ، ووجه إليه من المال ما يحتاج إليه؛ فأخذ في الجهاز؛ فكتب محمد بن عبد الله يسأل أن يصير طريق مكة إليه؛ فأجيب إلى ذلك ، فوجّه أبو الساج مِنْ قِيله .

وفي أول ذي الحجة عقد لعيسى بن الشيخ بن السليل على الرَّمْلَة ، فأنفذ خليفته أبو المغراط إليها ، فقيل: إنه أعطى بُغاً أربعين ألف دينار على ذلك ، أو ضمِّنها إليه .

وفيها كتب وصيفٌ إلى عبد العزيز بن أبي دُلف بتوليه الجبل ، وبعث إليه بخلع ، فتولى ذلك من قِيله .

وفيها قُتل محمد بن عمرو الشاري بديار ربيعة؛ قتله خليفة لأيوب بن أحمد في ذي القعدة .

وفيها سخط على كنגור ، وأمر بحبسه في الجوْسق ، ثم حُمِّل إلى بغداد مقيداً ، ثم وجه به إلى اليمامة فحبس هنالك .

وفيها أغار ابن جُستان صاحب الدِّيلَم مع أحمد بن عيسى العلوى والحسين بن أحمد الكوكبى على الرَّى فقتلوا وسبوا ، وكان ما بها حين قصدوها عبد الله بن عزيز ، فهرب منها؛ فصالحهم أهل الرَّى على ألفي درهم ، فأدَّوها ، وارتحل عنها ابن جُستان ، وعاد إليها ابن عزيز ، فأسر أحمد بن عيسى وبعث به إلى نيسابور .

وفيها مات إسماعيل بن يوسف الطالبى الذى كان فعل بمكة ما فعل^(١).

وحجّ فيها بالناس محمد بن أحمد بن عيسى بن المنصور من قبل المعتر^(٢).

* * *

(١) انظر المتنظم (٥٦/١٢).

(٢) انظر المتنظم (٥٦/١٢).

ثم دخلت سنة ثلاثة وخمسين ومئتين
ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من عَقد المعتَز في اليوم الرابع من رجب لموسى بن بُغا الكبير على الجبل ، ومعه من الجيش يومئذ من الأتراك ومنْ يجري مجراهم ألفان وأربعمئة وثلاثة وأربعون رجلاً ، منهم مع مُفلح ألف ومئة وثلاثون رجلاً^(١) .

* * *

[ذكر خبر أخذ الكرج من ابن أبي دلف]

وفيها أوقع مُفلح وهو على مقدمة موسى بن بُغا بعد العزيز بن أبي دُلف لثمان ليالٍ يَقين من رجب من هذه السنة وعبد العزيز في زُهاء عشرين ألفاً من الصعاليك وغيرهم؛ وكانت الواقعة بينهما - فيما قيل - خارج هَمَدان على نحو من ميل ، فهزمه مُفلح ثلاثة فراسخ يقتلون ويسرون ، ثم رجع مُفلح ومن معه سالمين؛ وكتب بالفتح في ذلك اليوم ، فلما كان في شهر رمضان عِبَّا مُفلح خيله نحو الكَرَج ، وجعل لهم كَمِين ، ووجه عبد العزيز عسكراً فيه أربعة آلاف فقاتلهم مُفلح ، وخرج كمین مُفلح على أصحاب عبد العزيز فانهزموا ، ووضع أصحاب مُفلح فيهم السَّيْف ، فقتلوا وأسرموا وأقبل عبد العزيز معيناً لأصحابه؛ فانهزم بانهزام أصحابه ، وترك الكَرَج ، ومضى إلى قلعة له في الكَرَج يقال لها زَز ، متخصصاً بها ، ودخل مُفلح الكَرَج ، فأخذ جماعة من آل أبي دُلف أسرأ ، وأخذ نساءً من نسائهم؛ يقال إنه كان فيهم أم عبد العزيز؛ فأوثقهم.

* * *

وذكر أنه وجّه سبعين حملأً من الرؤوس إلى سامرًا وأعلاماً كثيرة.

وشخص فيها موسى بن بُغا من سامرًا إلى هَمَدان فنزلها.

وفيها خَلَع المعتَز على بُغا الشَّرَابي في شهر رمضان ، وألبسه الناج

والوشاحين ، فخرج فيهما إلى منزله^(١) .

* * *

[ذكر الخبر عن قتل وصيف]

وفيها قُتل وصيف التركي؛ وذلك لثلاث بَقِين من شوّال منها؛ وكان السبب في ذلك - فيما ذكر - أنّ الأتراك والفراغنة والأشروسنية شغبوا وطلبو أرزاقهم لأربعة أشهر؛ فخرج إليهم بُغا ووصيف وسيما الشرابي في نحو من مئة إنسان من أصحابهم؛ فكلّمهم وصيف، وقال: ما تريدون؟ قالوا: أرزاقنا ، فقال: خذوا تراباً؛ وهل عندنا مال! وقال بغا: نعم ، نسأل أمير المؤمنين في ذلك؛ ونتناظر في دار أشناس ، وينصرف عنكم مَنْ ليس منكم ، فدخلوا دار أشناس ، ومضى سيما الشرابي منتصراً إلى سامرا ثم تبعه بُغا لاستئمار الخليفة في إعطائهم؛ وكان وصيف في أيديهم؛ فوثب عليه بعضاً ، فضربه بالسيف ضربتين ، ووجه آخر بسكين ، فاحتمله نُوشري بن طاجبك - وهو أحد قواده - إلى منزله؛ فلما أبطأ عليهم بُغا ظنوا أنهم في التعبيبة عليهم؛ فاستخرجوه من منزل نوشري؛ فضربوه بالطبرزيّات حتى كسروا عضديه ، ثم ضربوا عنقه ، ونصبوا رأسه على محراك تَور ، وقصدت العامة بسامرا الانتهاب لمنازل وصيف وولده ، فرجع بنو وصيف ، فمنعوا منازلهم ، ثم جعل المعتز ما كان إلى وصيف من الأمور إلى بُغا الشرابي .

* * *

[ذكر الخبر عن قتل بندار الطبرى]

وفي يوم الفطر من هذه السنة قُتل بندار الطبرى .

* ذكر سبب قتله :

فكان سبب ذلك أنه حكم بالبوازير محاكم يدعى مساور بن عبد الحميد في رجب من هذه السنة ، فوجّه المعتز إليه في شهر رمضان ساتكين ، فمال إلى ناحية طريق خراسان ، فوجّه محمد بن عبد الله إليه؛ وذلك أنّ طريق خراسان كان

(١) انظر المنتظم (١٢/٧٠).

إليه بندار ومظفر بن سيسيل مسلحة ، فلما صارا بدسّكرا الملك أقاما؛ فذُكر أنَّ بندار خرج في آخر يوم من شهر رمضان متصدِّداً ، فبَعْدَ في طلب الصيد حتى جاوزَ دُور الدسّكرا بنحو فراسخ؛ فيينا هو كذلك؛ إذ نظر إلى عَلمين مقبلين معهما جماعة مُقبلة نحو الدسّكرا ، فوجَّه بعض أصحابه لينظر ما الأعلام؛ فأخبره صاحب الجماعة أنه عامل كرْخ جُدَان ، وأنه انتهى إليه أنَّ رجلاً يقال له مساور بن عبد الحميد من الدهاقين من أهل البواريج شَرَى ، وأنه بلغه أنه يصير إلى كرْخ جُدَان؛ فلما بلغه ذلك خرج هارباً إلى الدسّكرا ليأنس بقرب بندار ومظفر؛ فانصرف بندار من ساعته إلى المظفر فقال له: إن الشاري يقصد كرْخ جُدَان ، ويريدنا؛ فامض بنا نتلقاه ، فقال له المظفر: قد أمسينا ونريد أن نصلِّي الجمعة ، وغداً العيد؛ فإذا انقضى العيد قصدهناه ، فأبكي بندار ، ومضى من ساعته طمعاً بالمظفر الشاري وحده دون مظفر؛ فأقام مظفر ولم يبح من الدسّكرا - وبين الدسّكرا وتلّ عُكْباء ثمانية فراسخ ، وبين تلّ عُكْباء وموضع الواقعة أربعة فراسخ - فصار بندار إلى تلّ عُكْباء ، فوافاها عند العتمة ليلة الفطر ، فعلف دوابه شيئاً ، ثم ركب ، فسار حتى أشرف على عسكر الشاري ليلاً وهم يصلون ويقرؤون القرآن؛ فأشار عليه بعض أصحابه وخاصةه أن يبيتهم وهم غارون ، فأبكي وقال: لا؛ حتى أنظر إليهم وينظروا إليَّ ، فوجَّه فارسيْن أو ثلاثة ليأتوه بخبرهم؛ فلما قربوا من عسكريهم نذروا بهم ، فصاحوا: السلاح! وركبوا فتواقوفا إلى أن أصبحوا ، ثم اقتتلوا فلم يمكن أصحاب بندار أن يرموا بهم واحد ، وكانوا زهاء ثلاثمائة فارس وراجل فعتاهم ميمنة وميسرة وساقفة ، وأقام هو في القلب ، فحمل عليهم مساور وأصحابه ، فثبت لهم بندار وأصحابه؛ ثم انحدر لهم الشّرارة عن موضع عسكريهم ومبئthem؛ ليطمع بندار وأصحابه في التهْب ، فلم يعرض بندار وأصحابه لعسكريهم ، ثم كر الشّرارة عليهم بالسيوف والرماح ، وهم زهاء سبعمئة؛ فصبر الفريقان ، فصار الشّرارة إلى السيوف دون الرماح فقتل من الشّرارة نحو من خمسمائة رجلاً ، ومن أصحاب بندار مثلهم ، ثم حمل الشّرارة حملة ، فاقتطعوا من أصحاب بندار نحو من مائة رجل ، فصبر لهم المائة ساعة ، ثم قُتِلوا جميعاً ، وانهزم بندار وأصحابه ، فجعلوا يقتطعونهم قطعة بعد قطعة فيقتلونهم ، وأمعن بندار في الهرب ، فطلبوه فلحقوه بقرب تلّ عُكْباء على قدر أربعة فراسخ من موضع الواقعة؛ فقتلوا ونصبوا رأسه ، ونجا منْ

أصحاب بُندار نحو من خمسين رجلاً - وقيل مئة رجل - انحازوا عن الواقعة عند اشتغال الخوارج بمن كانوا يقطعون منهم ، وانتهى خبره إلى مظفر وهو مقيم بالدّسّكرة ، فتنحى من الدّسّكرة إلى ما قرب من بغداد ، ووصل خبر مقتله إلى محمد بن عبد الله بعده الفطر ، فذُكر أنه لم يشرب ولم يلْهُ - كما كان يفعل - غمّاً بما ورد عليه من مقتله ، ثم مضى مُساور من فوره إلى حلوان؛ فخرج إليه أهلها فقاتلوه ، فقتل منهم أربعين إنسان ، وقتلوا جماعة من أصحاب الشاري ، وقتل عدّة من حجاج خراسان كانوا بحلوان ، فأغانوا أهل حلوان ، ثم انصرفوا عنهم.

* * *

[ذكر خبر موت محمد بن عبد الله بن طاهر^(١)]

وليلة أربع عشرة من ذي القعدة منها ، انكسف القمر؛ فغرق كله أو غاب أكثره؛ ومات محمد بن عبد الله بن طاهر مع انتهاء خسوفه - فيما ذكر - وكانت علتة التي مات فيها قروحاً أصابته في حلقه ورأسه فذبحته ، وذكر أن القروح التي كانت في حلقه ورأسه كانت تدخل فيها الفتائل؛ فلما مات تنازع الصلاة عليه أخوه عبيد الله وابنه طاهر؛ فصلّى عليه ابنه ، وكان أوصى بذلك - فيما قيل .

ثم وقع بين عبيد الله بن عبد الله أخي محمد بن عبد الله وبين حشم محمد بن عبد الله تنازع حتى سلوا السيف عليه ، ورمي بالحجارة ، ومالت الغوغاء وال العامة وموالي إسحاق بن إبراهيم مع طاهر بن محمد بن عبد الله بن طاهر ، ثم صاحوا: طاهر يا منصور؛ فعبر عبيده الله إلى ناحية الشرقية إلى داره ، ومال معه القواد لاستخلاف محمد بن عبد الله كان إياه على أعماله ووصيته بذلك ، وكتابه بذلك إلى عماله ، ثم وجّه المعترّ الخلع وولاية بغداد إلى عبيد الله ، وأمر عبيد الله للذى أتاه بالخلع من قبل المعترّ فيما قيل بخمسين ألف درهم .

* * *

نسخة الكتاب الذي كتبه محمد بن عبد الله إلى عماله باستخلافه أخاه عبيد الله
بعده:

أما بعد فإن الله عزّ وجلّ جعل الموت حثّماً مقضياً جارياً على الباقي من

(١) انظر المتنظم (٦٨/١٢) وتاريخ بغداد (٤٢٢/٥).

خلقه ، حسبما جرى على الماضين ؛ وحقيقة على من أعطي حظاً من توفيق الله ، أن يكون على استعداد لحلول ما لا بد منه ولا محيس عنه في كل الأحوال ، وكتابي هذا وأنا في علة قد اشتد الإشراق منها ، وكاد الإياس يغلب على الرجاء فيها ؛ فإن يليل الله ويدفع بقدرته وكرمه عادته ؛ وإن يحدُث بي الحدث الذي هو سبيل الأولين والآخرين ؛ فقد استخلفت عبيد الله بن عبد الله مولى أمير المؤمنين أخي الموثوق بافتائه أثري ، وأخذه بسَد ما أنا بسبيله من سلطان أمير المؤمنين إلى أن يأتيه من أمره ما يعمل بحسبه ؛ فاعلم ذلك واتمِّر فيما تتولا به بما يرد به كتب عبيد الله وأمره إن شاء الله .

وكتب يوم الخميس لثلاث عشرة خلت من ذي القعدة سنة ثلاثة وخمسين
وستين .

* * *

وفيها نفي المعترٌ أباً أحمد بن الم توكل إلى واسط ، ثم إلى البصرة ، ثم رُدَّ إلى بغداد ، وأنزل إلى الجانب الشرقي في قصر دينار بن عبد الله^(١) .
وفيها نفي أيضاً عليّ بن المعتصم إلى واسط ثم رُدَّ إلى بغداد فيها^(٢) .

وفيها مات مزاحم بن خاقان بمصر في ذي الحجة .

وحجّ بالناس في هذه السنة عبد الله بن محمد بن سليمان الزيني^(٣) .

وفيها غزا محمد بن معاذ بال المسلمين في ذي القعدة من ناحية مَلَطِيَة ، فهُزِّموا وأسر محمد بن معاذ .

وفيها التقى موسى بن بُغا والكوكبي الطالبي على فرسخ من قَزوين يوم الإثنين سَلْخ ذي القعدة منها ، فهزَم موسى الكوكبي ، فلحق بالديلم ، ودخل موسى بن بُغا قَزوين .

(١) انظر المنتظم (٦٤/١٢) .

(٢) انظر المنتظم (٦٤/١٢) .

(٣) انظر البداية والنهاية (٢٢٣/٨) .

وذكر لي بعض مَنْ شهد الواقعة ، أنَّ أصحاب الكوكبيَّ من الدليل لما التقوُّا بمُوسى وأصحابه صفوافاً ، وأقاموا تِرَستهم في وجوههم يتَّقون بذلك سهام أصحاب موسى؛ فلما رأى موسى أنَّ سهام أصحابه لا تصل إليهم مع ما قد فعلوا ، أمر بما معه من النَّفَط أن يُصَبَّ في الأرض التي التقى هو وهم فيها؛ ثم أمر أصحابه بالاستطراد لهم ، وإظهار هزيمة منهم؛ ففعل ذلك أصحابه؛ فلما فعلوا ذلك ظَنَّ الكوكبيَّ وأصحابه أنَّهم انهزموا؛ فتبعوهم ، فلما علم موسى أنَّ أصحاب الكوكبيَّ قد توَسَّطوا النَّفَط أمر بالنَّار فأشعلت فيه ، فأخذت فيه النار ، وخرجت من تحت أصحاب الكوكبيَّ ، فجعلت تحرقهم؛ وهرب الآخرون ، وكان هزيمة القوم عند ذلك ودخول موسى قَرْوين^(١).

وفيها لقي خطارمش مساور الشاري بناحية جلولاء في ذي الحجة ، فهزمه مساور .

ثم دخلت سنة أربع وخمسين ومئتين ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من مقتل بغا الشرابي^(٢) .

* ذكر الخبر عن سبب مقتله :

[ذكر خبر مقتل بغا الشرابي]

ذُكِرَ أنَّ السبب في ذلك كان أنه كان يحضر المعتز على المصير إلى بغداد ، والمعتز يأبى ذلك عليه ، ثم إنَّ بُغَا اشتغل مع صالح بن وصيف في خاصته بعرس جمعة بنت بُغَا؛ كان صالح بن وصيف تزوجها للنصف من ذي القعدة؛ فركب

(١) هذه الرواية أخرى لها الطيري بإسناد عاليٍ فليس بينه وبين الواقع إلا راوٍ واحد هو شاهد عيان (ذكر لي بعض من شهد الواقعة) ورحم الله الطيري لمْ يذكر اسم الراوي حتى يتمكن النقاد من الحكم على الإسناد؟!

(٢) ذكر ابن الجوزي مقتل بغا الشرابي ضمن وقائع ووفيات سنة (٢٥٤ هـ) وقال كان قد طغى وخالف أمر المعتز واستبد بالأموال والأمر [المتنظم ١٢ / ٧٣].

المعتَز ليلًا ، ومعه أَحْمَدُ بْنُ إِسْرَائِيلَ إِلَى كُرْخَ سَامُرًا يَرِيدُ بَايْكَبَاكَ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ عَلَى مِثْلِ مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ انْجِرافَةِ عَنْ بُغَا ، وَكَانَ سَبُّ انجِرافَةِ عَنْهُ - فِيمَا ذَكَرَ - أَنَّهُمَا كَانَا فِي شَرَابٍ لَهُمَا يَشْرَبَانِهِ ، فَعَرَبَ أَحَدُهُمَا عَلَى صَاحِبِهِ ؛ فَتَهَاجِرَا ذَلِكُمْ ؛ وَكَانَ بَايْكَبَاكَ بِسَبِّبِ ذَلِكَ هَارِبًا مِنْ بُغَا مُسْتَخْفِيًّا مِنْهُ ؛ فَلَمَّا وَافَى الْمُعْتَزَ بِمَنْ كَانَ مَعَهُ الْكُرْخَ اجْتَمَعَ مِنْ بَايْكَبَاكَ أَهْلُ الْكُرْخَ وَأَهْلُ الدُّورِ ، ثُمَّ أَقْبَلُوا مَعَ الْمُعْتَزِ إِلَى الْجَوْسَقِ بِسَامُرًا ؛ وَبَلَغَ ذَلِكَ بُغَا ، فَخَرَجَ فِي غَلْمَانِهِ وَهُمْ زُهَاءُ خَمْسِمِئَةٍ وَمِثْلُهُمْ مِنْ وَلَدِهِ وَأَصْحَابِهِ وَقَوَادِهِ ، وَصَارَ إِلَى نَهْرِ نَيْزِكَ ، ثُمَّ اتَّنْقَلَ إِلَى مَوَاضِعِهِ ، ثُمَّ صَارَ إِلَى السَّنْنِ ، وَمَعَهُ مِنْ الْعَيْنِ تِسْعَ عَشَرَةَ بَدْرَةَ دَنَانِيرَ وَمِئَةَ بَدْرَةَ دَرَاهِمَ ؛ أَخْذَهَا مِنْ بَيْتِ مَالِهِ وَبَيْوَتِ أَمْوَالِ السُّلْطَانِ ؛ فَأَنْفَقَ مِنْهَا شَيْئًا يَسِيرًا حَتَّى قُتِلَ .

وَذَكَرَ أَنَّهُ لَمَّا بَلَغَهُ أَنَّ الْمُعْتَزَ قَدْ صَارَ إِلَى مَوْضِعِ الْكُرْخِ مَعَ أَحْمَدَ بْنَ إِسْرَائِيلَ خَرَجَ فِي خَاصَّةِ قَوَادِهِ حَتَّى صَارَ إِلَى تَلَّ عُكْبَرَاءَ ، ثُمَّ مَضَى فَصَارَ إِلَى السَّنْنِ ؛ فَشَكَّا أَصْحَابُهُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ مَا هُمْ فِيهِ مِنْ الْعَسْفِ ، وَأَنَّهُمْ لَمْ يَخْرُجُوا مَعَهُمْ بِمُضَارِبٍ ، وَلَا مَا يَتَدَفَّعُونَ بِهِ مِنْ الْبَرْدِ ، وَأَنَّهُمْ فِي شَتَاءٍ ، وَكَانَ بُغَا فِي مَضَرِبِهِ صَغِيرٌ عَلَى دِجْلَةِ ، كَانَ يَكُونُ فِيهِ ، فَأَتَاهُ سَاتِكِينَ ، فَقَالَ : أَصْلَحْ اللَّهُ الْأَمْرِ ! قَدْ تَكَلَّمَ أَهْلُ الْعَسْكَرِ ، وَخَاضُوا فِي كَذَا وَأَنَا رَسُولُهُمْ إِلَيْكَ ، فَقَالَ : كُلُّهُمْ يَقُولُ مِثْلَ قَوْلِكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ؛ وَإِنْ شَئْتَ فَابْعُثْ إِلَيْهِمْ حَتَّى يَقُولُوا مِثْلَ قَوْلِيِّ ، قَالَ : دُعْنِي الْلَّيْلَةَ حَتَّى أَنْظُرَ ، وَيَخْرُجُ إِلَيْكُمْ أَمْرِي بِالْغَدَاءِ ، فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ الْلَّيْلَ دَعَا بِزَوْرَقَ ، فَرَكَبَهُ مَعَ خَادِمِيهِ مَعَهُ ، وَحَمَلَ مَعَهُ شَيْئًا مِنَ الْمَالِ ، وَلَمْ يَحْمِلْ مَعَهُ سَلاحًا وَلَا سِكِّينًا وَلَا عَمُودًا ، وَلَا يَعْلَمُ أَهْلُ عَسْكَرِهِ بِذَلِكَ مِنْ أَمْرِهِ ، وَالْمُعْتَزُ فِي غَيْيَةِ بُغَا لَا يَنْامُ إِلَّا فِي ثِيَابِهِ ، وَعَلَيْهِ السَّلَاحُ ، وَلَا يَشْرُبُ نَبِيَّدًا ، وَجَمِيعُ جُوَارِيهِ عَلَى رَجُلٍ ، فَصَارَ بُغَا إِلَى الْجَسْرِ فِي الثَّلَاثِ الْأَوَّلِ مِنَ الْلَّيْلِ ؛ فَلَمَّا قَارَبَ الزَّوْرَقُ الْجَسْرِ بَعْثَ المُوَكِّلُونَ بِهِ مَنْ فِي الزَّوْرَقِ ، فَصَاحَ بِالْغَلَامِ ، فَرَجَعَ إِلَيْهِمْ ، وَخَرَجَ بُغَا فِي الْبَسْتَانِ الْخَاقَانِيِّ ، فَلَحِقَهُ عَدَّةٌ مِنْهُمْ ؛ فَوَقَفَ لَهُمْ وَقَالَ : أَنَا بُغَا ، وَلَحِقَهُ وَلِيدُ الْمَغْرِبِيِّ ، فَقَالَ لَهُ : مَا لَكَ جَعَلْتَ فَدَاكَ ! فَقَالَ : إِمَا أَنْ تَذَهَّبَ بِي إِلَى مَنْزِلِ صَالِحِ بْنِ وَصِيفِ ، إِمَا أَنْ تَصِيرُوا مَعِي إِلَى مَنْزِلِي ؟ حَتَّى أَحْسِنَ إِلَيْكُمْ ، فَوَكَّلَ بِهِ وَلِيدُ الْمَغْرِبِيِّ ، وَمَرَّ يَرْكَضُ إِلَى الْجَوْسَقِ ، فَاسْتَأْذَنَ عَلَى الْمُعْتَزِ فَأَذْنَنَ لَهُ ، فَقَالَ : يَا سَيِّدِي هَذَا بُغَا قَدْ أَخْذَتَهُ وَوَكَّلْتَ بِهِ ، قَالَ : وَيْلَكَ ! جَئْنِي بِرَأْسِهِ ؛ فَرَجَعَ

وليد ، فقال للموكلين به : تنهّوا عنه حتى أبلغه الرسالة ، فتنهّوا عنه ، فضربه ضربة على جبهته ورأسه ؛ ثم تناهى على يديه فقطعهما ، ثم ضربه حتى صرّعه وذبحه ، وحمل رأسه في زينة قبائه ، وأتى به المعتز ؛ فوهب له عشرة آلاف دينار ، وخلع عليه خلعة ، ونصب رأسه بسامرا ، ثم ببغداد ، ووثبت المغاربة على جثّته ، فأحرقوه بالنار ، وبعث المعتز من ساعته إلى أحمد بن إسرائيل والحسن بن مخلد وأبي نوح ، فأحضرهم وأخبرهم ، وتبع عبيد الله بن طاهر بنيه ببغداد ؛ وكانوا صاروا إليها هرّاباً مع قوم يثقون بهم ؛ فاستروا عندهم فذكر أنه حُبس في قصر الذهب من ولده وأصحابه ، خمسة عشر إنساناً وفي المطبق عشرة .

وقيل : إنّ بغا لاما انحدر إلى سامرا ليلة أخذ شاور أصحابه في الانحدار إليها مكتماً ، فيصير إلى منزل صالح بن وصيف ، وإذا قرب العيد دخل أهل العسكر ، وخرج هو وصالح بن وصيف وأصحابه ، فوثبوا بالمغاربة ، فوثبوا بالمعتز .

وفيها عقد صالح بن وصيف لديوداد على ديار مُضر وقُنترین والعواصم فوثبوا بالمعتز في ربيع الأول منها .

وفيها عقد بايكباك لأحمد بن طولون على مصر^(١) .

وفيها أوقع مفلح وباجور بأهل قم ، فقتلا منهم مقتلة عظيمة ؛ وذلك في شهر ربيع الأول منها .

وفيها مات علي بن محمد بن علي بن موسى الرضا يوم الإثنين لأربع بقين من جمادى الآخرة ، وصلّى عليه أبو أحمد بن المتوكل في الشارع المنسوب إلى أبي أحمد ، ودفن في داره^(٢) .

وفيها في جمادى الآخرة وافى الأهواز دُلف بن عبد العزيز بن أبي دُلف

(١) انظر المتظم (٧٣ / ١٢).

(٢) انظر وفاة أبي الحسن (العسكرى الهاشمى رضى الله تعالى عنه).
تأريخ بغداد (٥٦ / ١٢) والمتنظم (٧٤ / ١٢).

بتوجيهه والده عبد العزيز إِيَّاهُ إِلَيْهَا وَجْنَدَيْ سَابُورْ وَتُسْتَرْ ، فَجَبَاهَا مَئِيْ أَلْفِ دِينَارٍ ثُمَّ اَنْصَرَفَ .

وَفِي شَهْرِ رَمَضَانَ مِنْهَا شَخْصٌ نُوشَرِي إِلَى مُسَاوِرِ الشَّارِي فَلَقَيْهِ وَهَزَمَهُ ، وَقُتِلَ مِنْ أَصْحَابِهِ جَمَاعَةً كَثِيرَةً .

وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عَلَيْيَ بنَ الْحَسِينِ بنَ إِسْمَاعِيلِ بنَ الْعَبَاسِ بنَ مُحَمَّدٍ^(١) .

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ خَمْسٍ وَّخَمْسِينَ وَمَئَيْنَ

ذَكْرُ الْخَبَرِ عَمَّا كَانَ فِيهَا مِنَ الْأَحْدَاثِ

فَمِنْ ذَلِكَ مَا كَانَ مِنْ دُخُولِ مُفْلِحٍ طَبَرِسْتَانَ وَوَقْعَةَ كَانَتْ بَيْنِهِ وَبَيْنِ الْحَسَنِ بْنِ زَيْدِ الطَّالِبِيِّ ، هَزَمَ فِيهَا مُفْلِحَ الْحَسَنَ بْنَ زَيْدٍ فَلَحِقَ بِالْدِيْلِمَ ، ثُمَّ دَخَلَ مُفْلِحَ آمَلَ ، وَأَحْرَقَ مَنَازِلَ الْحَسَنِ بْنِ زَيْدٍ ، ثُمَّ تَوَجَّهَ نَحْوَ الدِّيْلِمِ فِي طَلَبِ الْحَسَنِ بْنِ زَيْدٍ^(٢) .

* * *

[ذكر خبر استيلاء يعقوب بن الليث على كرمان]^(٣)

وَفِيهَا كَانَتْ وَقْعَةُ بَيْنِ يَعْقُوبِ بْنِ الْلَّيْثِ وَطَوْقَ بْنِ الْمَغْلِسِ خَارِجَ كِرْمَانَ أَسْرَرَ فِيهَا يَعْقُوبَ طَوْقاً ، وَكَانَ السَّبِبُ فِي ذَلِكَ - فِيمَا ذَكَرَ - أَنَّ عَلَيَّ بْنَ الْحَسِينِ بْنَ قُرَيْشٍ بْنَ شِبْلٍ كَتَبَ إِلَى السُّلْطَانِ يَخْطُبُ كِرْمَانَ - وَكَانَ قَبْلُ مِنْ عَمَالِ آلِ طَاهِرِ - وَكَتَبَ يَذْكُرُ ضَعْفَ آلِ طَاهِرِ وَقَلَةَ ضَبْطِهِمْ ، بِمَا إِلَيْهِمْ مِنَ الْبَلَادِ ، وَأَنَّ يَعْقُوبَ بْنَ الْلَّيْثِ قَدْ غَلَبُهُمْ عَلَى سِجَسْتَانَ ، وَتَبَاطَأَ عَلَى السُّلْطَانِ بِتَوْجِيهِ خَرَاجَ فَارَسْ؛ فَكَتَبَ السُّلْطَانُ إِلَيْهِ بِوَلَايَةِ كِرْمَانَ ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ يَعْقُوبَ بِوَلَايَتِهِ يَلْتَمِسُ بِذَلِكَ إِغْرَاءً كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِصَاحِبِهِ لِيَسْقُطَ مَؤْنَةُ الْهَالِكِ مِنْهُمَا عَنْهُ وَيَتَفَرَّدُ بِمَؤْنَةِ الْآخِرِ؛ إِذَا كَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَنْهُ حَرْبًا لَهُ وَفِي غَيْرِ طَاعَتِهِ؛ فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ بِهِمَا زَحْفَ يَعْقُوبَ بْنَ الْلَّيْثِ مِنْ سِجَسْتَانِ يَرِيدُ كِرْمَانَ ، وَوَجَّهَ عَلَيَّ بْنَ الْحَسِينِ طَوْقَ بْنَ

(١) انظر البداية والنهاية [٢٢٤/٨].

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) المصدر السابق نفسه.

المغلس وقد بلغه خبر يعقوب وقصده كِرْمان في جيش عظيم من فارس ، فصار طوق بِكِرْمان ، وسبق يعقوب إليها فدخلها ، وأقبل يعقوب من سِجستان ، فصار من كِرْمان على مرحلة .

فحدثني مَنْ ذكر أنه كان شاهداً أُمرهما ، أن يعقوب بَقَى مقيماً في الموضع الذي أقام به من كِرْمان على مرحلة لا يرتحل عنه شهراً أو شهرين ، يتجمس أخبار طُوق ؛ ويسأل عن أمره كلّ من مَرَّ به خارجاً من كِرْمان إلى ناحيته ، ولا يَدَع أحداً يجوز عسكره من ناحيته إلى كِرْمان ، ولا يزحف طُوقُ إليه ولا هو إلى طُوق ، فلما طال ذلك من أُمرهما كذلك أظهر يعقوب الارتحال عن معسكره إلى ناحية سِجستان ، فارتحل عنه مرحلة ، وبلغ طُوقاً ارتحاله ، فظنَّ أنه قد بدأ له في حربه ، وترك عليه كِرْمان وعلى عليّ بن الحسين ؛ فوضع آلة الحرب وقعد للشرب ، ودعا بالملاهي ، ويعقوب في كلّ ذلك لا يغفل عن البحث عن أخباره ؛ فاتصل به ووضع طُوق آلة الحرب وإقباله على الشراب واللهو بارتحاله ؛ فكر راجعاً ، فطوى المرحلتين إليه في يوم واحد ، فلم يشعر طُوق وهو في لهوه وشربه في آخر نهاره إلا بغَرَبة قد ارتفعت من خارج المدينة التي هو فيها من كِرْمان ، فقال لأهل القرية : ما هذه الغَرَبة ؟ فقيل له : غَرَبة مواشي أهل القرية منصرفه إلى أهلها ، ثم لم يكن إلا كلا ولا ؛ حتى وافاه يعقوب في أصحابه ، فأحاط به وب أصحابه ؛ فذهب أصحاب طوق لما أحيط بهم يريدون المدافعة عن أنفسهم ، فقال يعقوب لأصحابه : أفرِجوا للقوم ، فأفرِجوا لهم ، فمُرِّروا هاربين على وجوههم ، وخلُوا كلّ شيء لهم مما كان معهم في معسكرهم ، وأسر يعقوب طُوقاً^(١) .

فحدثني ابنُ حماد البربري أن عليّ بن الحسين لما وَجَه طُوقاً حمله صناديق في بعضها أطواقه وأسورة ليطوق ويُسَوِّر من أبلٍ معه من أصحابه ، وفي بعضها أموال ليجيز من استحقّ الجائزه منهم ، وفي بعضها قيود وأغلال ليقيّد بها مَنْ أخذ من أصحاب يعقوب ؛ فلما أسرَ يعقوب طُوقاً ورؤساء الجيش الذين كانوا معه أمر بحيازة كلّ ما كان مع طُوق وأصحابه من المال والأثاث والكُراع والسلاح ، فحيزَ

(١) هذان خبران يرويهما الطبرى بإسناد عال جداً إلا أن أحدهم اسم الراوى الأول (من ذكر أنه كان شاهداً أُمرهما) والثانى (ابن حماد البربرى) دون ذكره لاسم هذا الابن .

ذلك كله ، وجمع إليه؛ فلما أتى بالصناديق أتى بها مقلة ، فأمر ببعضها أن يفتح ، ففتح فإذا فيه القيود والأغلال فقال لطوق: يا طوق؛ ما هذه القيود والأغلال؟ قال: حملنها علىي بن الحسين لأقيد بها الأسرى وأغلهم بها ، فقال: يا فلان ، انظر أكبرها وأنقلها فاجعله في رجلي طوق وغله بغل ، ثم جعل يفعل مثل ذلك بمن أسر من أصحاب طوق ، قال: ثم أمر بصناديق آخر ففتحت؛ فإذا فيها أطواق وأسورة ، فقال: يا طوق ، ما هذه؟ قال: حملنها علىي لأطواق بها وأسور أهل البلاء من أصحابي ، قال: يا فلان؛ خذ من ذلك طوق كذا وسوار كذا ، فطوق فلاناً وسوره ، ثم جعل يفعل ذلك بأصحاب نفسه حتى طوقيهم سورهم ، ثم جعل يفعل كذلك بالصناديق ، قال: ولما أمر يعقوب بمدّ يد طوق ليضعها في الغل ، إذا على ذراعه عصابة ، فقال له: ما هذا يا طوق؟ قال: أصلح الله الأمير! إني وجدت حرارة فقصتها ، فدعا بعضٍ من معه فأمر بمدّ خفه من رجله ففعل ذلك ، فلما نزعه من رجله تناثر من خفه كسر خبز يابسة ، فقال: يا طوق هذا خفي لم أنزعه من رجلي منذ شهرين ، وخبزي في خفي منه آكل لا أطا فراشاً ، وأنت جالس في الشرب والملاهي! بهذا التدبير أردت حربي وقتالي!

فلما فرغ يعقوب بن الليث من أمر طوق دخل كرمان ، وحاوزها وصارت مع سجستان من عمله^(١).

* * *

[ذكر خبر دخول يعقوب بن الليث فارس]^(١)

وفيها دخل يعقوب بن الليث فارس وأسر علىي بن الحسين بن قريش.

* ذكر الخبر عن سبب أسره وإيه وكيف وصل إليه:

حدّثني ابن حمّاد البربري ، قال: كنت يومئذ بفارس عند علىي بن الحسين بن قريش ، فورد عليه خبر وقعة يعقوب بن الليث بصاحبه طوق بن المغلس ودخول

(١) هذه أخبار في ذكر دخول يعقوب بن الليث فارس وما رافقه انفرد بهما الطبرى من بين المؤرخين المتقدمين الثقات عن شاهد عيان (ابن حمّاد الرواى) ولم تتبين من هو والله أعلم.

يعقوب كرمان واستيلائه عليها ، ورجع إليه الفَلّ ، فأيقن بإقباله يعقوب إلى فارس ؛ وعلى يومئذ بشيراز من أرض فارس ، فضم إليه جيشه ورجاله الفَلّ من عند طُوق وغيرهم ، وأعطاهم السلاح ، ثم برب من شيراز ، فصار إلى كُرّ خارج شيراز بين آخر طرفه عرضاً مما يلي أرض شيراز ، وبين عرض جبل بها من الفضاء قدر ممرّ رجل أو دابة ، لا يمكن من ضيقه أن يمرّ فيه أكثر من رجل واحد ، فأقام في ذلك الموضع ، وضرب عسكره على شطّ ذلك الكُرّ مما يلي شيراز ، وأخرج معه المتسوقة والتجار من مدينة شيراز إلى مُعسكره ، وقال : إن جاء يعقوب لم يجد موضعاً يجوز الفلاة إلينا ؛ لأنّه لا طريق له إلا الفضاء الذي بين الجبل والكُرّ ؛ وإنما هو قدر ممرّ رجل ؛ إذا أقام عليه رجل واحد منع من يريد أن يجوزه ، وإن لم يقدر أن يجوز إلينا بقي في البرّ بحيث لا طعام له ولا أصحابه ولا علف لدوا بهم .

قال ابن حماد : فأقبل يعقوب حتى قَرُب من الكُرّ ، فأمر أصحابه بالنزول أول يوم على نحو من ميل من الكُرّ مما يلي كرمان ، ثم أقبل هو وحده وبيه رمح عشاري ؛ يقول ابن حماد : كأني أنظر إليه حين أقبل وحده على دابته ، ما معه إلا رجل واحد ، فنظر إلى الكُرّ والجبل والطريق ، وقرب من الكُرّ ، وتأمل عسكر عليّ بن الحسين ، فجعل أصحابه على يشتمونه ؛ ويقولون : لنردتك إلى شعب المراجل والقماقم ، يا صفار - وهو ساكت لا يرد عليهم شيئاً - قال : فلما تأمل ما أراد من ذلك ورآه ، انصرف راجعاً إلى أصحابه : قال : فلما كان من الغد عند الظهر أقبل بأصحابه ورجاله حتى صار على شطّ كُرّ مما يلي بَرِّ كرمان ، فأمر أصحابه فنزلوا عن دوابهم ، وحطوا أثقالهم ، قال : ثم فتح صندوقاً كان معه .

قال ابن حماد : كأني أنظر إليهم وقد أخرجوا كلباً ذئبياً ، ثم ركبوا دوابهم أعزاء ، وأخذوا رماحهم بأيديهم ، قال : وقبل ذلك كان قد عبّا عليّ بن الحسين أصحابه ، فأقامهم صفوفاً على الممرّ الذي بين الجبل والكُرّ ؛ وهم يرون أنه لا سبيل ليعقوب ، ولا طريق له يمكنه أن يجوزه غيره . قال : ثم جاؤوا بالكلب ، فرموا به في الكُرّ ، ونحن وأصحاب عليّ ينظرون إليهم يضحكون منهم ومنه ، قال : فلما رموا بالكلب فيه ، جعل الكلب يسبح في الماء إلى جانب عسكر عليّ بن الحسين ، وأقحم أصحاب يعقوب دوابهم خلف الكلب ، وبأيديهم

رمأهُمْ ، يسيرون في أثر الكلب ، فلما رأى عليّ بن الحسين أن يعقوب قد قطع عامة الكُرّ إليه وإلى أصحابه ، انتقض عليه تدبيره ، وتحير في أمره ؛ ولم يلبث أصحاب يعقوب إلا أيسر ذلك حتى خرجوا من الكُرّ من وراء أصحاب عليّ بن الحسين ؛ فلم يكن بأسرع من أن خرج أوائلهم منه حتى هرب أصحاب عليّ يطلبون مدينة شيراز ، لأنهم كانوا يصيرون إذا خرج أصحاب يعقوب من الكُرّ بين جيش يعقوب وبين الكُرّ ، ولا يجدون ملجاً إن هُزموا ، وانهزم عليّ بن الحسين بانهزام أصحابه ؛ وقد خرج أصحاب يعقوب من الكُرّ ، فكبث به دابته ، فسقط إلى الأرض ولحقه بعض السُّجْزِيَّةَ فهمَ عليه بسيفه ليضرَّ به ؛ فبلغ إليه خادم له ، فقال : الأمير . فنزل إليه السجزيّ ، فوضع في عنقه عمانته ، ثم جرَّه إلى يعقوب ، فلما أتى به أمر بتقييده ، وأمر بما كان في عسكره من آلة الحرب من السلاح والكُرّاع وغير ذلك ، فجُمع إليه ، ثم أقام بموضعه حتى أمسى ، وهجم عليه الليل ، ثم رحل من موضعه ، ودخل مدينة شيراز ليلاً وأصحابه يضربون بالطبل ، فلم يتحرك في المدينة أحد ، فلما أصبح أنهب أصحابه دار عليّ بن الحسين دور أصحابه ؛ ثم نظر إلى ما اجتمع في بيت المال من مال الخراج والضياع ، فاحتمله ووضع الخراج ، فجباه ، ثم شخص منها متوجهاً إلى سِجستان ، وحمل معه ابن قريش ومنْ أيسر معه .

* * *

وفيها وجه يعقوب بن الليث إلى المعترّ بدوابٍ وبُراة ومسنّك هديةً .

وفيها ولـي سليمان بن طاهر شرطة بغداد والسوداد ، وذلك لستّ خلون من شهر ربيع الآخر ، وكانت موافاته سامراً من خُراسان - فيما ذكر - يوم الخميس لثمان خلون من شهر ربيع الأول ، وصار إلى الإيتاخية ، ثم دخل على المعترّ يوم السبت ، فخلع عليه وانصرف .

وفيها كانت وقعة بين مساور الشاري ويارجوخ ، فهزمه الشاري وانصرف إلى سامراً مفلولاً .

ومات المعلّي بن أيوب في شهر ربيع الآخر منها .

* * *

[ذكر فعل صالح بن وصيف مع أحمد بن إسرائيل ورفيقيه]^(١)

وفيها أخذ صالح بن وصيف أحمد بن إسرائيل والحسن بن مخلد وأبا نوح عيسى بن إبراهيم فقيدهم ، وطالبهم بأموال؛ وكان سبب ذلك - فيما ذكر - أن هؤلاء الكتاب الذين ذكرت كانوا اجتمعوا يوم الأربعاء لليلتين خلطا من جمادى الآخرة من هذه السنة على شراب لهم يشربونه ، فلما كان يوم الخميس غد ذلك اليوم ، ركب ابن إسرائيل في جمْع عظيم إلى دار السلطان التي يَقْعُد فيها ، وركب ابن مخلد إلى دار قبيحة أم المعتز - وهو كاتبها - وحضر أبو نوح الدار ، والمعتز نائم؛ فانتبه قريباً من انتصاف النهار ، فأذن لهم ، فحمل صالح بن وصيف على أحمد بن إسرائيل ، وقال للمعتز: يا أمير المؤمنين؛ ليس للأتراك عطاء ولا في بيت المال مال ، وقد ذهب إلى إسرائيل وأصحابه بأموال الدنيا ، فقال له أحمد: يا عاصي يا بن العاصي! ثم لم يزالا يتراجعان الكلام حتى سقط صالح مغشياً عليه ، فرُشِّن على وجهه الماء ، وبلغ ذلك أصحابه وهم على الباب ، فصاحوا صيحة واحدة ، واخترطوا سيفهم ، ودخلوا على المعتز مُصلتين؛ فلما رأى ذلك المعتز دخل وتركهم ، وأخذ صالح بن وصيف ابن إسرائيل وابن مخلد وعيسى بن إبراهيم فقيدهم ، وأنقلهم بالحديد ، وحملهم إلى داره ، فقال المعتز لصالح قبل أن يحملهم: هب لي أحمد؛ فإنه كاتبي؛ وقد رباني؛ فلم يفعل ذلك صالح ، ثم ضرب ابن إسرائيل؛ حتى كسرت أسنانه ، وبطح ابن مخلد فضرب مئة سوط؛ وكان عيسى بن إبراهيم محتجماً فلم يزل يُصفع حتى جرت الدماء من محاجمه؛ ثم لم يُتركوا حتى أخذت رقاعهم بمالٍ جليل قُسْط عليهم.

وتوجه قوم من الأتراك إلى إسکاف ليأتوا بجعفر بن محمود ، فقال المعتز: أمّا جعفر فلا أربَّ لي فيه ولا يعمل لي ، فمضوا ، فبعث المعتز إلى أبي صالح عبد الله بن محمد بن يزاد المروزي ، فحمل ليصيّره وزيرًا ، وبعث إلى إسحاق بن منصور ، فأشخص وبعث قبيحة إلى صالح بن وصيف في ابن إسرائيل: إمّا حملته إلى المعتز وإمّا ركبتُ إليك فيه .

(١) انظر المستنظم (٧٩/١٢) فقد ذكر ابن الجوزي الخبر مختصرًا جداً.

وقد ذُكر أنَّ السبب في ذلك كان أنَّ الأتراك طلبوا أرزاً لهم ، وأنهم جعلوا ذلك سبباً لما كان من أمرهم ، وأنَّ الرسَلَ لم تزل تختلف بينهم وبين هؤلاء الكتاب؛ إلى أن قال أبو نوح صالح بن وصيف: هذا تدبيرك على الخليفة ، فغُشِيَ على صالح حينئذ مما دخله من الحرد والغينظ حتى رُشِوا على وجهه الماء ، فلما أفاق جرى بين يدي المعتز كلام كثير ، ثم خرجوا إلى الصلاة ، وخلا صالح بالمعتز ، ثم دُعيَ بالقوم فلم يلبثوا إلا قليلاً ، حتى أخرجوه إلى قبة في الصحن؛ ثم دُعيَ بأبي نوح وابن مخلد فأخذت سيفهما وقلانسهما ومُرْقت ثيابهما ، ولحقهما ابن إسرائيل فألقى نفسه عليهما؛ فُثُلِّثَ به؛ ثم أخرجوه إلى الدهليز وحُملوا على الدواب والبغال ، وارتدى خلف كلَّ واحد منهم تركيَّ ، وبعث بهم إلى دار صالح على طريق الحير ، وانصرف صالح بعد ساعة ، وتفرق الأتراك ، فانصرفوا ، فلما كان بعد ذلك بأيام جُعل في رجل كلَّ واحد منهم ثلاثون رطلاً ، وفي عنق كل واحد منهم عشرون رطلاً من حديد ، وطولبوا بالأموال ، فلم يُجْبَ واحد منهم إلى شيء؛ ولم ينقطع أمرُهم إلى أن دخل رجب؛ فوجّهوا في قبض ضياعهم ودورهم وضياع أسبابهم وأموالهم ، وسُمِّوا الكتاب الخونة ، فقدم جعفر بن محمود يوم الخميس لعشرين خلون من جمادى الآخرة فوليَ الأمر والنهي .

* * *

وللليلتين خلتا من رجب ظهر بالكوفة عيسى بن جعفر وعليّ بن زيد الحسنيان ، فقتلا بها عبد الله بن محمد بن داود بن عيسى^(١) .

* * *

[ذكر الخبر عن خلع المعتز ثم موته]^(٢)

ولثلاث بقين من رجب منها خُلع المعتز ، وللليلتين خلتا من شعبان أظهر

(١) انظر المتنظم (٧٩/١٢).

(٢) المصدر السابق (٨٠/١٢).

موته؛ وكان سبب خلعه - فيما ذكر - أن الكتاب الذي ذكرناه أمرهم ، لمَا فعل بهم الأتراك ما فعلوا ، ولم يقرؤوا لهم شيء ، صاروا إلى المعتز يطلبون أرزاقهم ، وقالوا له : أعطينا أرزاقنا حتى نقتل لك صالح بن وصيف ، فأرسل المعتز إلى أمه يسألها أن تعطيه مالاً ليعطيه ، فأرسلت إليه : ما عندي شيء ، فلما رأى الأتراك ومنْ بسامراً من الجناد أن قد امتنع الكتاب من أن يعطوه شيئاً ، ولم يجدوا في بيت المال شيئاً ، والمعتز وأمه قد امتنعا من أن يسمحا لهم بشيء ؛ صارت كلمة الأتراك والفراغنة والمغاربة واحدة ، فاجتمعوا على خلع المعتز ، فصاروا إليه لثلاث بقين من رجب ؛ فذكر بعض أسباب السلطان أنه كان في اليوم الذي صاروا إليه عند نحرير الخادم في دار المعتز ، فلم يرّعه إلا صياح القوم من أهل الكرخ والدور ، وإذا صالح بن وصيف وبائكاك ومحمد بن بغاالمعروف بأبي نصر ، قد دخلوا في السلاح ، فجلسوا على باب المنزل الذي ينزله المعتز ، ثم بعثوا إليه : اخرج إلينا ، فبعث إليهم : إنني أخذت الدواء أمس ، وقد أجهلني اشتت عشرة مرة ؛ ولا أقدر على الكلام من الضعف ؛ فإن كان أمراً لابد منه ، فليدخل إلى بعضكم فليعلموني وهو يرى أن أمره واقف على حاله ، فدخل إليه جماعة من أهل الكرخ والدور من خلفاء القواد ، فجرروا برجله إلى باب الحجرة ؛ قال : وأحس بهم كانوا قد تناولوه بالضرب بالدبابيس ، فخرج وقمصه محترق في موضع ، وأثار الدم على منكبه ، فأقاموه في الشمس في الدار في وقت شديد الحرّ ، قال : فجعلت أنظر إليه يرفع قدمه ساعة بعد ساعة من حرارة الموضع الذي قد أقيمت فيه ، قال : فرأيت بعضهم يلطميه وهو يتقي بيده ، وجعلوا يقولون : اخلعها ، فأدخلوه حجرة على باب حجرة المعتز كان موسى بن بغا يسكنها حين كان حاضراً ، ثم بعثوا إلى ابن أبي الشوارب ، فأحضروه مع جماعة من أصحابه ؛ فقال له صالح وأصحابه : اكتب عليه كتاب خلع ، فقال : لا أحسنها ؛ وكان معه رجل أصبهاني ، فقال : أنا أكتب ، فكتب وشهدوا عليه وخرجوا ، وقال ابن أبي الشوارب لصالح : قد شهدوا أن له ولأخته وابنه وأمه الأمان ، فقال صالح بكته : أي نعم ؟ ووكلوا بذلك المجلس وبأمّه نساء يحفظنها .

فذكر أن قبيحة كانت اتخذت في الدار التي كانت فيها سرّباً ، وأنها احتالت هي وقُرب وأخت المعتر ، فخرجو من السرّب ، وكانوا أخذوا عليها الطُّرق ، ومنعوا الناس أن يجوزوا من يوم فعلوا بالمعتر ما فعلوا؛ وذلك يوم الإثنين إلى يوم الأربعاء للليلة بقيت من رجب.

فذكر أنه لما خُلع دفع إلى من يعذبه ومُنِع الطعام والشراب ثلاثة أيام ، فطلب حسنة من ماء البئر ، فمنعوه ثم جصصوا سردايا بالجصّ الشixin ، ثم أدخلوه فيه ، وأطبقوا عليه بابه ، فأصبح ميتاً.

وكانت وفاته لليلتين خلتان من شعبان من هذه السنة ، فلما مات أشهد على موته بنو هاشم والقواد؛ وأنه صحيح لا أثر فيه ، فدُفِن مع المنتصر في ناحية قصر الصوامع؛ فكانت خلافته من يوم بويع له بسامراً إلى أن خُلع أربع سنين وستة أشهر وثلاثة وعشرين يوماً ، وكان عمره كله أربعاً وعشرين سنة^(١) وكان أبيض أسود الشعر كثيفه ، حسن العينين والوجه ، ضيق الجبين ، أحمر الوجنتين ، حسن الجسم ، طويلاً.

وكان مولده بسامراً.

* * *

(١) والذي اختاره الحافظ ابن كثير ما يلي: (ولثلاث بقين من رجب من هذه السنة خلع الخليفة المعتر بالله وللليلتين مضتا من شعبان أظهر موته) [البداية والنهاية ٢٢٥/٨].

وقال أيضاً: وكان ذلك في اليوم الثاني من شعبان (أي اليوم الذي أشهدوا فيه جماعة من الأعيان على موته). من هذه السنة (أي ٢٥٥ هـ) وكان يوم السبت وصلى عليه المهتمي بالله ودفن مع أخيه المنتصر إلى جانب قصر الصوامع عن أربع وعشرين سنة.

وكانت خلافته أربع سنين وستة أشهر وثلاثة وعشرين يوماً [البداية والنهاية ٢٢٥/٨]. وانظر سير أعلام النبلاء (١٢/٥٣٢) وتاريخ بغداد (٢/١٢٥).

وقد ذكر اثنان من الأئمة الثقات من أهل الحديث كلاماً جرى بينهما وبين المعتر بالله وطروفاً من أخباره وهو الزبير بن بكار وعلى بن حرب [وانظر تاريخ بغداد (٢/١٢٥) وتاريخ دمشق (١٨/٣١٧) وتاريخ بغداد (٢/١٢٤) وتاريخ الخلفاء (٤٠٦)].

خلافة ابن الواثق المهتدي بآية الله

وفي يوم الأربعاء لليلة بقيت من رجب من هذه السنة ، بويع محمد بن الواثق؛ فسمى بالمهتدي بآية الله؛ وكان يكنى أبا عبد الله؛ وأمه رومية؛ وكانت تسمى قُرْب^(١).

وذكر عن بعض من كان شاهداً أمرهم ، أنَّ محمد بن الواثق لم يقبل بيعة أحد؛ حتى أتَى بالمعتر فخلع نفسه؛ وأخبر عن عجزه عن القيام بما أُسِنَدَ إليه ، ورغبته في تسليمها إلى محمد بن الواثق؛ وأنَّ المعتر مدعياً بفياح الواثق؛ فسموه بالمهتدي ، ثم تناهى وبایع خاصَّةً الموالي .

وكانت نسخة الرقعة بخلع المعتر نفسه :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: هَذَا مَا أَشَهَدُ عَلَيْهِ الشَّهُودُ الْمَسْمُونُونَ فِي هَذَا الْكِتَابِ؛ شَهَدُوا أَنَّ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ بْنَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَوَكِّلِ عَلَى اللَّهِ أَقْرَأَ عَنْهُمْ ، وَأَشَهَدُوهُمْ عَلَى نَفْسِهِ فِي صَحَّةِ مِنْ عَقْلِهِ ، وَجَوَازِ مِنْ أَمْرِهِ؛ طَائِعاً غَيْرَ مُكْرِهٍ ، أَنَّهُ نَظَرَ فِيمَا كَانَ تَقْلِيَّدَهُ مِنْ أَمْرِ الْخَلَافَةِ وَالْقِيَامِ بِأَمْرِ الْمُسْلِمِينَ؛ فَرَأَى أَنَّهُ لَا يَصْلُحُ لِذَلِكَ ، وَلَا يَكُمُلُ لَهُ؛ وَأَنَّهُ عَاجِزٌ عَنِ الْقِيَامِ بِمَا يَجْبُ عَلَيْهِ مِنْهَا ، ضَعِيفٌ عَنِ ذَلِكَ؛ فَأَخْرَجَ نَفْسَهُ ، وَتَبَرَّأَ مِنْهَا ، وَخَلَعَهَا مِنْ رَقْبَتِهِ ، وَخَلَعَ نَفْسَهُ مِنْهَا ، وَبَرَأَ كُلَّ مَنْ كَانَ لَهُ فِي عَنْقِهِ بَيْعَةً مِنْ جَمِيعِ أُولَائِهِ وَسَائِرِ النَّاسِ مَا كَانَ لَهُ فِي رِقَابِهِمْ مِنِ الْبَيْعَةِ وَالْعَهْدِ وَالْمَوَاثِيقِ وَالْأَيْمَانِ بِالْطَّلاقِ وَالْعِتَاقِ وَالصَّدَقَةِ وَالْحَجَّ وَسَائِرِ الْأَيْمَانِ ، وَحَلَّلَهُمْ مِنْ جَمِيعِ ذَلِكَ وَجَعَلَهُمْ فِي سَعَةِ مِنْهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، بَعْدَ أَنْ تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّ الصَّلَاحَ لَهُ وَلِلْمُسْلِمِينَ فِي خَرْوَجِهِ عَنِ الْخَلَافَةِ وَالتَّبَرُّ مِنْهَا ، وَأَشَهَدُ عَلَى نَفْسِهِ بِجَمِيعِ مَا سَمِيَّ ، وَوَصَّفَ فِي هَذَا الْكِتَابِ جَمِيعَ الشَّهُودِ

(١) انظر المتظم (١٢/١٨) وتاريخ بغداد (٣٤٨/٣).

المسميين فيه ، وجميع مَنْ حضر؛ بعد أن قرئ عليه حرفاً حرفاً ، فأقرّ بفهمه ومعرفته جميع ما فيه طائعاً غير مكره؛ وذلك يوم الإثنين لثلاث بقين من رجب سنة خمس وخمسين ومئتين .

فوق المعتر في ذلك: «أقرّ أبو عبد الله بجميع ما في هذا الكتاب ، وكتب بخطه» .

وكتب الشهود شهادتهم: شهد الحسن بن محمد ، ومحمد بن يحيى ، وأحمد بن جناب ، ويحيى بن زكرياء بن أبي يعقوب الأصبهانيّ ، وعبد الله بن محمد العامريّ ، وأحمد بن الفضل بن يحيى ، وحماد بن إسحاق ، وعبد الله بن محمد ، وإبراهيم بن محمد؛ وذلك يوم الإثنين لثلاث بقين من رجب سنة خمس وخمسين ومئتين .

* * *

[قيام الشغب ببغداد ووثوب العامة بسلامان بن عبد الله^(١)]

وفي سُلْخ رَجَب من هذه السنة ، كان ببغداد شَغَب وُثُوب العامة بسلامان بن عبد الله بن طاهر .

* ذكر الخبر عن سبب ذلك وإلى ما آلت الأمور إليه :

وكان السبب في ذلك ، أَنَّ الكتاب من محمد بن الواثق وَرَد يوم الخميس سُلْخ رجب على سليمان ببغداد ببيعة الناس له ، وبها أبو أحمد بن المตوك؛ وكان أخوه المعتر سيره إلى البصرة حين سخط على أخيه من أمره المؤيد؛ فلما وقعت العصبية بالبصرة نقله إلى بغداد ، فكان مقيناً بها ، فبعث سليمان بن عبد الله بن طاهر وإليه الشرطة يومئذ ببغداد ، فأحضره داره ، وسمع مَنْ ببغداد من الجن والغوغاء بأمر المعتر وابن الواثق ، فاجتمعوا إلى باب سليمان ، وضجوا هنالك ، ثم انصرفوا على أنه قيل لهم: لم يَرِد علينا من الخبر ما نعلم به ما عمل به القوم ، فغدو يوم الجمعة على ذلك من الصياح والقول الذي كان قيل لهم يوم الخميس ، وصلى الناس في المسجدين ، وُدُعِيَّ فيهما للمعتر ، فلما

(١) انظر المستنظم [٨٥/١٢].

كان يوم السبت غداً القوم ، فهجموا على دار سليمان ، وهاجموا باسم أبي أحمد ، ودعوا إلى بيته ، وخلصوا إلى سليمان في داره ، وسألوه أن يريهم أبي أحمد بن المتوكل ، فأظهره لهم ، ووعدهم المصير إلى محبتهم إن تأخر عنهم ما يحبون ، فانصرفو عنده بعد أن أكدوا عليه في حفظه .

وقدم يارجوخ فنزل البَرَدان ومعه ثلاثة ألف دينار لاعطاء الجندي ممن بمدينته السلام ، ثم صار إلى الشّماسية ، ثم غدا ليدخل بغداد؛ فبلغ الناس الخبر ، فضجوا وتبادروا بالخروج إليه ، وبلغ يارجوخ الخبر ، فرجع إلى البَرَدان ، فأقام بها ، وكتب إلى السلطان ، واختلفت الكتب حتى وجه إلى أهل بغداد بمال رضوا بها ، ووُقعت بيعة الخاصة ببغداد للمهتمي يوم الخميس لسبعين ليل خلون من شعبان ، ودعي له يوم الجمعة لثمان خلون من شعبان بعد أن كانت بيغداد فتنة ، قتل فيها وغرق في دجلة قوم ، وجرح آخرون لأن سليمان كان يحفظ داره قوم من الطّبرية بالسلاح ، فحاربهم أهل بغداد في شارع دجلة وعلى الجسر؛ ثم استقام الأمر بعد ذلك وسكنوا .

* * *

[ذكر خبر ظهور قبيحة أم المعتز^(١)]

وفي شهر رمضان من هذه السنة ظهرت قبيحة للأتراء ، ودلّتهم على الأموال التي عندها والذخائر والجوهر؛ وذلك أنها - فيما ذكر - قد قدرت الفتى بصالح ، وواطأت على ذلك النّفر من الكتاب الذين أوقع بهم صالح؛ فلما أوقع بهم صالح ، وعلمت أنهم لم يطورو عن صالح شيئاً من الخبر بسبب ما نالهم من العذاب؛ أيقنت بالهلاك؛ فعملت في التخلص ، فأنخرجت ما في الخزائن داخل الجوسق من الأموال والجواهر وفاخر المتع ، فأودعت ذلك كله مع ما كانت أودعت قبل ذلك مما هو في هذا المعنى ، ثم لم تأمن المعاجلة إلى ما نزل بها

(١) هذا الخبر انفرد به الطيري من بين المؤرخين المتقدمين الثقات ولم يذكر له إسناداً بل تساهل كثيراً عند ذكر جزءاً منه مسندًا فقال [فذكر عن من سمعها] (٣٩٤/٩) فلا ذكر اسم الواسطة بينه وبين الشاهد ولم يذكر اسم الشاهد بل تركه مبهماً (عنـ) وفي المتن مبالغة ونکارة والله أعلم .

وبابنها ، فاحتالت للهرب وجهاً ، فحفرت سرّاً من داخل القصر من حجرة لها خاصة ينفذ إلى موضع يفوت التفتيش ، فلما علمت بالحادثة بادرت من غير تلبث ولا تلوم؛ حتى صارت في ذلك السرّب ، ثم خرجت من القصر؛ فلما فرغ الذين شغبوا في أمر ابنتها مما أرادوا إحكامه؛ فصاروا إلى طلبها غير شاكين في القدرة عليها ، وجدوا القصر منها خالياً ، وأمْرَها عنهم مستترأً؛ لا يقفون منه على شيء؛ ولا ما يؤديهم إلى معرفته؛ حتى وقفوا على السرّب ، فعلموا حينئذ أنهم منه أوتوا فسلكتوه؛ وانتهوا إلى موضع لا يُوقف منه على خبر ولا أثر ، فأيقنوا بالفُوت ، ثم رجموا الظُّلُون؛ فلم يجدوا لها معقلاً أعزّ ولا أمنع إن هي لجأت إليه من حبيب حرّة موسى بن بغا التي تزوجها من جواري المتوكل ، فأحالوا على تلك الناحية ، وكرهوا التعرّض لشيء من أسبابها ، ووضعوا العيون والأرصاد عليها ، وأظهروا التوعّد لمن وقفوا على معرفة بأمرها؛ ثم لم يُظهرُهم عليها؛ فلم يزل الأمر منطويّاً عنهم؛ حتى ظهرت في شهر رمضان؛ وصارت إلى صالح بن وصيف ، ووَسَّطَت بينها وبين صالح العطارة؛ وكانت تشقّ بها؛ وكانت لها أموال ببغداد ، فكتبت في حَمْلِها ، فاستخرج وحُمِّل منها إلى سامراً.

فُذِّكِرَ أنه وافى سامراً يوم الثلاثاء لإحدى عشرة ليلة خلت من شهر رمضان من هذه السنة قدر خمسين ألف دينار ، ووَقَعُوا لها على خزائن ببغداد ، فوجّه في حملها ، فاستخرج وحمل منها ، فحمل إلى السلطان من ذلك متاعًّ كثير ، وأحيل من ببغداد من الجند والشاكيّة المرتزقة بمال عظيم عليه ولم تزل تُبَاع تلك الخزائن متصلًا ببغداد وسامراً عدّة شهور؛ حتى نفذت.

ولم تزل قبيحة مقيمة إلى أن شخص الناس إلى مكة في هذه السنة ، فسُيّرت إليها مع رجاء الريادي ووحش مولى المهتمي؛ فذِكِرَ عَمَّنْ سمعها في طريقها وهي تدعوا الله على صالح بن وصيف بصوتٍ عاليٍ وتقول: اللهم أخز صالح ابن وصيف؛ كما هتك سترِي ، وقتل ولدي ، وبدد شملي ، وأخذ مالي ، وغربني عن بلدي ، وركب الفاحشة مني! فانصرف الناس عن الموسم واحتبس بمكة.

وذكر أنّ الأتراك لما تحرّكوا ، وثاروا بالمعتَز أرسلوا إليه يطلبون منه خمسين ألف دينار؛ على أن يقتلوه صالحًا؛ ويستوي لهم الأمر ، فأرسل إلى أمّه يعلمهها

اضطربا بهم عليه ، وأنه خائف على نفسه منهم ، فقالت : ما عندي مال ، وقد وردت لنا سفاتيج ؛ فلنيتظروا حتى نقبض ونعطيهم ؛ فلما قُتل المعتز ، أرسل صالح إلى رجل جوهري ، قال الرجل : فدخلت إليه وعنده أحمد بن خاقان ؛ فقال : ويحك ! هو ذا ترى ما أنا فيه ! وكان صالح قد أخافوه وطالبوه بالمال ؛ ولم يكن عنده شيء ، فقال لي : قد بلغني أنّ لقبيحة خزانةً في موضع يرشدك إليه هذا الرجل - وإذا رجلٌ بين يديه - فامض و معك أحمد بن خاقان ؛ فإن أصببتم شيئاً فأثبته عندك ، وسلمته إلى أحمد بن خاقان ، وصِرْ إلى معه ، قال : فمضيت إلى الصُّفوف بحضورة المسجد الجامع ؛ فجاء بنا ذلك الرَّجُل إلى دار صغيرة معمورة نظيفة ؛ فدخلنا ففتثنا كلّ موضع فيها فلم نجد شيئاً ، وجعل ذلك يغليظ على أحمد بن خاقان ، وهو يتهدّد الرجل ويتوعده ، ويغليظ له ، وأخذ الرجل فأسا ينقر به الحيطان يطلب موضعاً قد سُتر فيه المال ؛ فلم يزل كذلك حتى وقع الفأس على مكان في الحائط استدلّ بصوته على أنّ فيه شيئاً ، فهدمه وإذا من وراءه باب ، ففتحناه ودخلنا إليه ؛ فأدانا إلى سرّب ، وصرنا إلى دار تحت الدار التي دخلناها على بنائها وقسمتها ، فوجدنا من المال على رُفوف في أسفاط زهاء ألف ألف دينار ، فأخذ أحمد منها ومن كان معه قدر ثلاثة ألف دينار ، ووجدنا ثلاثة أسفاط : سَفَطاً فيه مقدار مكواكب زمرد إلا أنه من الزمرد الذي لم أر للمتوكل مثله ولا لغيره ، وسَفَطاً دونه فيه نصف مكواكب حبّ حبّ كبار ، لم أر والله للمتوكل ولا لغيره مثله ، وسَفَطاً دونه فيه مقدار كيلجة ياقوت أحمر لم أر مثله ، ولا ظنت أن مثله يكون في الدنيا ؛ فقوّمت الجميع على البيع ؛ فكانت قيمته ألفي ألف دينار ، فحملناه كله إلى صالح ؛ فلما رأه جعل لا يصدق ولا يوقن حتى أحضر بحضرته ووقف عليه ، فقال عند ذلك : فعل الله بها وفعل ؛ عرضت ابنها للقتل في مقدار خمسين ألف دينار ، وعندها مثل هذا في خزانة واحدة من خزائنه !

وكانت أم محمد بن الواثق توفّيت قبل أن يبأيَّع ؛ وكانت تحت المستعين ؛ فلما قُتل المستعين صيرها المعتز في قصر الرُّصافة الذي فيه الحرم ، فلما ولد الخليفة المهتدي قال يوماً لجماعة من الموالي : أما أنا فليس لي أم أحتج لها إلى غلّة عشرة آلاف في كل سنة لجواريها وخدمها والمتصلين بها ؛ وما أريد

لنفسِي وولدي إِلَّا القوت ، وما أُريد فضلاً إِلَّا لِإِخْرَوِي فَإِنَّ الضَّيْقَةَ قد مسَتْهُمْ .

* * *

[ذكر الخبر عن قتل أَحْمَدَ بْنَ إِسْرَائِيلَ وَأَبِي نُوحٍ]^(١)

ولثلاثة بقين من رمضان من هذه السنة قُتِلَ أَحْمَدَ بْنَ إِسْرَائِيلَ وَأَبُو نُوحٍ .

* ذكر الخبر عن صفة القِتْلَةِ التي قتلا بها :

فأما السبب الذي أَدَاهُمَا إِلَى القتل؛ فقد ذكرناه قبْلُ ، وأما القِتْلَةُ التي قتِلَتْ بها ، فإنه ذكر أن صالح بن وصيف لما استصفى أموالهما ، ومال الحسن بن مخلد ، وعذبهما بالضرب والقيد وقرب كوانين الفحش في شدة الحرّ منهم ، ومنعهم كلّ راحة ، وهم في يده على حالهم ، ونسبهم إلى أمور عظام من الخيانة ، والقصد لذلِّ السلطان والحرْص على دوام الفتنة والسعى في شقّ عصا المسلمين ، فلم يعارضه المهاجِر في شيءٍ من أمورهم ، ولم يواافقه على شيءٍ أنكره من فعله بهم ، ثُمَّ وجَهَ إِلَيْهِمْ الحسن بن سليمان الدوشابي في شهر رمضان ، ليتوَلَّ استخراج شيءٍ إن كان زُوِيَّ عنه من أموالهم .

قال : فأخَرَجَ إِلَيَّ أَحْمَدَ بْنَ إِسْرَائِيلَ ، فقلت له : يا فاجر ، تظنَّ أَنَّ الله يُمْهِلُكَ ، وَأَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَا يَسْتَحِلُّ قتْلَكَ ؛ وَأَنْتَ السببُ في الفتنة ، والشريك في الدماء مع عظيم الخيانة وفساد النية والطوية ! إنَّ فِي أَقْلَ من هذا ما تستوجب به المُثْلَةِ كما استوجب من كان قبلك ، والقتل في العاجلة والعذاب والخزي في الآجلة ، إنَّ لِمَ تَسْعَدَ مِنَ الله بعفو ، وإمهال ، ومن إمامك بصفح واحتمال ؟ فاستر نفسك من نزول ما تستحق بالصدق عما عندك من المال ؛ فإنك إن تفعل ويوقف على صدقك تسلم بنفسك ، قال : فذكر أنه لا شيءٌ عنده ، ولا تُرك له إلى هذا الوقت مال ولا عُقدة ، قال : فدعوتُ بالمقارع وأمرت أن يقام في الشمس ، وأرعدتُ وأبرقتُ وإن كان ليفوتنِي الظفر منه بشيءٍ من صرامة ورُجلة حتى أوَمَى إِلَى قدر تسعه عشر ألف دينار ؛ فأخذت رقعته بها .

قال : ثُمَّ أحضرت أبا نوح عيسى بن إبراهيم فقلت له مثل الذي قلت لأَحْمَدَ أو

(١) لم يذكر ابن الجوزي هذا الخبر وإنما ذكره ابن كثير [البداية والنهاية ٨ / ٢٢٦].

نحوه ، وزدت في ذلك بأن قلت : وأنت مع هذا مقيم على دينك النصرانية ، مرتكب فروج المسلمات تشفيأً من الإسلام وأهله ! ولا دلالة أدلّ على ذلك ممن لم يزل في منزلتك على حال النصرانية من أهلي وولدي ، ومن كان ذا عَقْدَةٌ فقد أباح الله دمه .

قال : فلم يُجب إلى شيء ، وأظهر ضعفاً وفقرأ .

قال : وأما الحسن بن مَخْلَدَ فَأَخْرَجْتُه ؛ فلما خاطبته خاطبت رجلاً موضعاً رخواً ، قال : فبِكَثْرَةِ بِمَا ظَهَرَ مِنْهُ ، وقلت : مَنْ كَانَ لَهُ الرَّاضِهَةَ بَيْنَ يَدِيهِ إِذَا سَارَ عَلَى الشَّهَارِيِّ وَقَدْرَ مَا قَدَرْتَ ، وَأَرَادَ مَا أَرَدْتَ ، لَمْ يَكُنْ مَوْضِعًا رَطْبًا وَلَا مَخْتَلَفًا رخواً ، قال : وَلَمْ أَزَلْ بِهِ حَتَّى كَتَبَ رِقَّةً بِجُوهرِ قِيمَتِهِ تَيْفَ وَثَلَاثُونَ أَلْفَ دِينَارٍ ؛ قال : وَرَدَّوَا جَمِيعًا إِلَى مَوْضِعِهِمْ ؛ وَانْصَرَفُتْ . فَكَانَتْ مَنَاظِرَةُ الْحَسَنِ بْنِ سَلِيمَانَ الدُّوْشَابِيِّ لَهُمْ آخِرَ مَنَاظِرَةٍ كَانَتْ مَعَهُمْ ؛ وَلَمْ يَنَظُرُوا أَيَّامَ الْمَهْتَدِيِّ فِيمَا بَلَغَنِي مَنَاظِرَةُ غَيْرِهَا .

فلما كان يوم الخميس لثلاث بقين من شهر رمضان أخرج أَحْمَدُ بْنُ إِسْرَائِيلَ وأبو نوح عيسى بن إبراهيم إلى باب العامة ، فقعد صالح بن وصيف في الدار ، ووكل بضربيهما حمَّادُ بْنُ حَمَّادَ بْنُ دَنْقَشَ ، فاقامَ أَحْمَدُ بْنُ إِسْرَائِيلَ وابن دَنْقَشَ يقول : أوجع ، وكان كل جلاد يضربه سوطين ويتنحى حتى وفوه خمسمئة سوط ، ثم أقاموا أبا نوح أيضاً فضرب خمسمئة سوط ضرب التلف ، ثم حُمِّلا على بغلين من بغال السقائين على بطونهما ، منكسة رؤوسهما ، ظاهرة ظهورهما للناس ، فأما أَحْمَدُ فحين بلغ خشبة بابك مات ، وحين وصلوا بأبي نوح مات ؛ فدفن أَحْمَدُ بين الحائطين ، ويقال إن أبا نوح مات من يومه في حبس السرخسي خليفة طلمجور على شرط الخاصة ، وبقي الحسن بن مَخْلَدَ في الحبس .

وَدُكِّرَ عَنْ بَعْضِهِ مِنْ حَضْرَتِهِ أَنَّهُ قَالَ : لَقَدْ رَأَيْتَ حَمَّادَ بْنَ حَمَّادَ بْنَ دَنْقَشَ وَهُوَ يَقُولُ لِلْجَلَادِينَ : أَنْفَسَكُمْ يَا بْنِي الْفَاعِلَةِ - لَا يَكْنِي - وَيَقُولُ : أَوْجَعُوكُمْ وَغَيْرُوكُمْ السِّيَاطِ ، وَبَدَّلُوكُمُ الرِّجَالَ ، وَأَحْمَدُ بْنُ إِسْرَائِيلَ وَعِيسَى يَسْتَعْيِثُانَ ؛ فَذَكَرَ أَنَّ الْمَهْتَدِيَ لِمَا بَلَغَهُ ذَلِكَ قَالَ : أَمَا عَقْوَبَةُ إِلَّا السُّوطُ أَوْ الْقَتْلُ ! أَمَا يَقُولُ مَقَامُ هَذَا شَيْءٍ ! أَمَا يَكْفِيَ ! إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، يَقُولُ ذَلِكَ وَيَسْتَرْجِعُ مَرَارًا .

وذكر عن الحسن بن مَخلَد أنه قال: لم يكن الأمر فينا عند صالح إذا لم يحضره عبد الله بن محمد بن يَرْدَاد على ما كان يكون عليه من الغلظة إذا حضر ، قال: وكان يقول لصالح: اضرب وعذب فإنَّ الأصلح من وراء ذلك القتل؛ فإنهم إن أفلتوا لم تؤمِّن بوائقهم في الأعقاب؛ فضلاً عن الواترين؛ ويدركه قبيح ما بلغه عنهم ، وكان يسرّ بذلك.

قال: وكاد داود بن [أبي] العباس الطوسي يحضرنا عند صالح فيقول: وما هؤلاء أعزك الله ، فبلغ منك الغضب بسببهم هذا المبلغ! فظنه يرققه علينا حتى يقول: على إني والله أعلم إن تخلصوا انتشر منهم شرٌّ كبير وفساد في الإسلام عظيم؛ فينصرف وقد أفتاه بقتلنا ، وأشار عليه بإهلاكتنا؛ فيزداد برأيه وما قال له علينا غيظاً ، وإلى الإساءة بنا أنساً ، فسئل بعض من كان يخبر أمرهم: كيف نجا الحسن بن مَخلَد مما صَلَيَ به أصحابه؟ فقال: بخصلتين؛ إحداهما أنه صدقه عن الخبر في أول وهلة وأوجد الدلائل على ما قاله له إنه حقٌّ؛ وقد كان وعده العفو إن صدقة ، وخلف له على ذلك ، والأخرى أنَّ أمير المؤمنين كلمه فيه وأعلمه حرمة أهله به ، وأوْمأ إلى محبته لإصلاح شأنه ، فرده عن عظيم المكرور فيه ، وقد كنت أرى أنه لو طالت لصالح مدة وهو في يده ، أطلقه واصطنه ، ولم يكن صالح بن وصيف اقتصر في أمر الكتاب علىأخذ أموالهم وأموال أولادهم ، حتى أخاف أسبابهم وقرباتهم بأخذ أموالهم ، وتخطى إلى المتصلين بهم .

* * *

[شغب الجندي والعامية ببغداد وولاية

سليمان بن عبد الله بن طاهر عليها]

ولثلاث عشرة خلت من شهر رمضان منها فتح السجن ببغداد ، ووثبت الشاكريه والنائية ببغداد من جندها بمحمد بن أوس البُلْخِي :

* ذكر الخبر عن سبب ذلك وما آل الأمر إليه فيه :

ذكر أنَّ السبب في ذلك كان أنَّ محمد بن أوس ، قدم بغداد مع سليمان بن عبد الله بن طاهر وهو على الجيش القادمين من خراسان مع سليمان والصعاليك

الذين تألفهم سليمان بالرّيّ ، ولم تكن أسماؤهم في ديوان السلطان بالعراق ، ولا أمر سليمان فيهم شيء؛ وكانت السنة فيهم أن يقام لمن قدم معه من خراسان بالعراق حسب ما يقام بخراسان لنظرائهم من مال ضياع ورثة ذي اليمينين ويكتب بذلك إلى خراسان ليعارض الورثة هناك من مال العامة» بدل ما كان دفع من مالهم بالعراق ، فلما قدم سليمان بن عبد الله العراق ، وجد بيت مال الورثة فارغاً وعيّد الله بن عبد الله بن طاهر قد تقدّم عندما صاح عنده من الخبر بتصرير الأمر فيما كان يتولاه إلى أخيه سليمان بن عبد الله ؛ فأخذ ما كان حاصلاً لورثة أبيه وجده في بيت مالهم ، واستسلف على ما لم يرتفع ، وتعجل من المتقدّلين أموال نجوم لم تحل حتى استنفدت ذلك أجمع ، وشخص فأقام بالجويث في شرقية دجلة ، ثم عَبَر حتى صار في غريتها ، فضاقت بسليمان الدنيا ، وتحرّك الشاكرية والجند في طلب الأرزاق ، وكتب سليمان إلى أبي عبد الله المعتمر بذلك وقدر أمر مالهم ، وأدخل في المال تقدّر القادمين معه؛ ووجه محمد بن عيسى بن عبد الرحمن الكاتب الخراساني كاتبه في ذلك ، فأجيب بعد مناظرات إلى أن سبب له على عمال السواد مال صودر عليه لطبع من بمدينة السلام وشحّن السواد لا يقوم بما يجب للنائبة فضلاً عن القادمين مع النائبة؛ فلم يتهيأ لسليمان الوصول إلى شيء من المال ، وقدم ابنُ أوس الصعاليك وأصحابه ، فقصر المال عنه وعمن كان يقدر وصوله إليه من النائبة ، فوقفوا على ذلك وعلى السبب المضرّ بهم فيه ، وكان القادمون مع سليمان من الصعاليك وغيرهم لما قدّموا ببغداد أساووا المجاورة لأهلها ، وجاهروا بالفاحشة وتعرّضوا للحرم والعبيد والغلمان ، وعادوهم لمكانهم من السلطان؛ حتى امتلؤوا عليهم غيطاً وحنقاً ، وقد كان سليمان بن عبد الله وحرّ على الحسين بن إسماعيل بن إبراهيم بن مصعب بن رزيق؛ لمكانه من عيّد الله بن عبد الله [بن طاهر] ونصرته له وكفايته وانصرافه عن سليمان وأسبابه ، فلما انصرف الحسين بن إسماعيل إلى بغداد بعقب ما كان يتولاه لعيّد الله من أمر الجناد والشاكرية ، فحبس كاتبه في المطبق وحاجبه في سجن باب الشأم ، ووكل بباب الحسين بن إسماعيل جنداً من قيل إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم؛ لأنّ سليمان ولّ إبراهيم ما كان الحسين بن إسماعيل يتولاه لعيّد الله من أمر جسر بغداد وطasakiج قطربلّ ومس肯 والأنبار؛ فلما حدث ما حدث من بيعة المهتدى وشَعَّب الجناد والشاكرية بمدينة

السلام ، ووقعت الحرب في تلك الأيام ، شدّ محمد بن أوس على رجل من المراواة ، كان من الشيعة ، فضربه في دار سليمان ثلاثة سوط ضرباً مبرحاً ، وحبسه بباب الشأم؛ وكان هذا الرجل من خاصة الحسين بن إسماعيل؛ فلما حدث هذا الحادث احتاج إلى الحسين بن إسماعيل ، لفضل جلده وإندامه فتحي من كان ببابه موكلًا ظهر ، فتراجع أصحابه من غير أمر؛ وقد كانوا فرقوا على القواد وضمّ منهم جمع كبير إلى محمد بن أبي عون القائد؛ فذكر أن المضمومين إلى ابن أبي عون لما صاروا إلى بابه ، فرق فيهم من مالهم؛ للراجل عشرة دراهم ، وللفارس ديناراً؛ فلما رجعوا إلى الحسين رفع ابن أبي عون بذكر ذلك؛ فلم يخرج في ذلك تعين ولا أمر؛ فلم يزل الحال على هذا والجند والشاكريّة يصيرون في طلب مال البيعة وما بقي لهم من مال الطمع المتقدّم ، وقد ردّ أمرهم في تقسيط مالهم ، وقبضهم إلى الحسين على ما كان الأمر عليه أيام عبيد الله بن عبد الله بن طاهر ، وكان الحسين لا يزال يلقى إليهم ما عليه محمد بن أوس ومنْ قدم مع سليمان من القصد لأخذ أموالهم والفوز بها دونهم؛ حتى امتلأ قلوبهم ، فلما كان يوم الجمعة لثلاث عشرة خلت من شهر رمضان ، اجتمع جماعة من الجندي والشاكريّة ، ومعهم جماعة من العامة حتى صاروا إلى سجن باب الشأم ليلاً ، فكسرروا بابه ، وأطلقوا في تلك الليلة أكثرَ منْ كان فيه ، ولم يبقَ فيه من أصحاب الجرائم أحدٌ إلا الضعيف والمريض والمثقل؛ فكان من خرج في تلك الليلة نفرٌ من أهل بيت مساور بن عبد الحميد الشاري ، وخرج معهم المرزوقي مصروب محمد بن أوس وجماعة من قد لزم السلطان إلى أن صاروا إلى قبضته زهاء خمسين ألفاً ، وأصبح الناس في يوم الجمعة وباب الحبس مفتوح؛ فمنْ قدر أن يمشي مشى ، ومنْ لم يقدر اكتفى له ما يركبه؛ وما يمنع من ذلك مانع ، ولا يدفع دافع؛ فكان ذلك من أقوى الأمور التي بعثت الخاصة والعامة على دفع الهيبة بينهم وبين سليمان بن عبد الله وسدّ باب السجن بباب الشأم بأجرٍ وطين؛ ولم يعلم أنه كان لإبراهيم بن إسحاق في هذه الليلة ولا لأحد من أصحابه حركة أصلاً؛ فتحدث الناس أن الذي جنّى على سجن باب الشأم بمكان المرزوقي الذي ضربه ابن أوس فيه حتى يخلص ، ثم لم يمض بعد ذلك خمسة أيام ، حتى نافر ابن أوس الحسين بن إسماعيل في أمر مال النائبة أراده محمد بن أوس لأصحابه ومنعه الحسين ، وتجارياً في ذلك كلاماً غلظ بينهما ،

فخرج محمد متنكراً؛ فلما كان الغد من ذلك اليوم غداً محمد بن أوس إلى دار سليمان ، وغدا الحسين بن إسماعيل والشاه بن ميكال مولى طاهر ، وحضر الناس بباب سليمان؛ وكان بين مَنْ حضر من أصحاب ابن أوس وبين النائبة محادثة ، علت فيها الأصوات؛ فتبادر أصحابُ ابن أوس والقادمون إلى الجزيرة ، وعبر إليهم ابن أوس وولده؛ وتصايع الناس بالسلاح ، وخرج الحسين بن إسماعيل والشاه بن ميكال والمظفر بن سيسيل في أصحابهم ، وصاح الناس بالعامة: مَنْ أراد التهب فليلحق بنا؛ فقيل: إنه عبر الجسررين من العامة في ذلك الوقت مئة ألف إنسان في الزواريق ، وتوافى الجندي والشاكري بالسلاح؛ فوافى أوائل الناس الجزيرة؛ فلم يكن إلا قدر اللحظة حتى حمل رجل من أهل سرّخس على الكبير من ولد محمد بن أوس ، وطعنه فأزداه عن شهريّ كان تحته؛ ثم أخذته السيف فانهزم عنه أصحابه ، فلم يعمل أحد منهم شيئاً ، وسلّب الجريح وحمل في زورق ، حتى عُبر به إلى دار سليمان بن عبد الله بن طاهر ، فألقي هناك .

فذكر بعضُ مَنْ حضر سليمان ، أنه لما رأه اغروقت عيناه من الدمع ، ومهد له ، وأحضر له الأطباء ، ومضى ابن أوس من وجهه إلى منزله؛ وكان يتزل في دار لآل أحمد بن صالح بن شيرزاد بالدور ، مما يلي قصر جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك ، وجد أهل بغداد في آثارهم والقواد معهم حتى تلقوهم ، فكانت بينهم وقعة بالدور؛ أولها في آخر الساعة الثانية وأخرها في أول الساعة السابعة؛ فلم يزالوا يتراشقون بالنشاب ، ويتطاعون بالرماح ، ويتبادلون بالسيوف ، وأغان ابن أوس جيرانه من أهل سويقة قطوطاً وأصحاب الزواريق من ملاхи الدور ، واشتدت الحرب ووجه أهل بغداد يطلبون نفاطين من دار سليمان ، فذكروا أن حاجبه دخل ، فأعلمه ذلك؛ فأمر بمنعهم منه؛ وقاتل ابن أوس قتالاً شديداً ، فناله جراحٌ من سهام وطعن ، فانهزم وأصحابه؛ وقد كان أخرج حرمته من داره؛ فلم يزل أهل بغداد يتبعونهم حتى أخرجوهم من باب الشّمساوية ، ووصل الناس إلى منزل ابن أوس؛ فانتهبوها جميعاً ما كان فيه؛ فذُكر أنه انتهب له بقيمة ألفي ألف درهم؛ والمقلل يقول: ألف ألف وخمسين ألفاً؛ وأنه انتهب له زهاء مئة سراويل مبطّن بسمور؛ سوى ما كان مبطّناً بغيره من الوبير مما يشكل ذلك؛ وانتهب له من الفرش الطيري الخام والمقصور والمدرج والمقطوع

ما يكون قيمته ألف ألف درهم؛ وانصرف الناس ، فجعل الجندي يدخلون دار سليمان ، وهم يكثرون ومعهم النهب وهم يصيرون ، وما لهم مانع ولا زاجر ، وأقام ابنُ أوس ليلته تلك بالشّماسية مع من لحق به من أصحابه ، وقد كان أهل بغداد وثروا بمنازل الصّعاليك التي كانوا فيها سكّاناً ، فنهبواها ، وتعرّضوا لمن كان تختلف منهم ، فتلاحق القوم هرّاباً ، ولم يبق منهم في اليوم الثاني ببغداد أحد ظاهراً.

فذكر أنَّ سليمان وجَّه تلك الليلة إلى ابن أوس ثياباً وفرشاً وطعاماً؛ فيقال: إنَّ محمداً قِيلَه ، وقيل: إنه ردَّه وأصبح الناس في اليوم الثاني وَعْدَا الحُسين بن إسماعيل والمظفر بن سيسيل إلى دار الشاه بن ميكال ، ولحق به وجوه الشاكريَّة والنائبة وغيرهم؛ فأقاموا هناك مُراغمين سليمان بن عبد الله بن طاهر ، وخلت دار سليمان فلم يحضرها إلا جُمِيَّة ، فبعث إليهم سليمان مع محمد بن نصر بن حمزة بن مالك الْخُزاعي وهو لا يعلم ما عليه عقد القوم يعلمهم قبح ما ركبوا من محمد بن أوس ، وما يجب لمحمد بحرمه وقدمه ، وأنهم لو أنهوا إليه ما أنكروا منه لتقديم في ذلك بما يكفيهم معه الحال التي ركبواها ، فضحَّ الشاكريَّة الذين حضروا دار الشاه جميعاً وقالوا: لا نرضى بمجاورة ابن أوس ولا بمجاورة أحدٍ من أصحابه ولا من الصعاليك المنضمين إليه؛ وإنهم إن أكرهوا على ذلك تعاقدوا مبaitته ، وخلع منْ يسومهم إياه ، وأحال الشاه بن ميكال والحسين بن إسماعيل والمظفر بن سيسيل على كراهة القوم ، فرجع الرَّسول بذلك إلى سليمان ، فرَدَّه إليهم بكلام دون ذلك ، ووعدهم وقال: أنا أثق بقولكم وضمانتكم دون أيمانكم وعهودكم ، ثم استوى جالساً.

وذكر أنه لم يزل مستقلاً محمد بن أوس ومنْ لحق به من الصعاليك وغيرهم ، عارفاً بسوء رغبتهم ورداة مذاهبيهم ، وبسُؤْم محمد بن أوس في نفسه خاصةً ومحبّته وشروعه في كلّ ما دعا إلى خلاف وفرقة ، وأسبغ هذا المعنى ، وكثير فيه حتى خرج به إلى الإغراق فيه؛ إلى أن قال: لقد كنت أدخل في قُنوتني في الصلاة طلب الراحة من ابن أوس ، ثم التفت إلى محمد بن عليّ بن طاهر ، فأمره بالمسير إلى ابن أوس ، والتقى إليه في العزم على الانصراف إلى خُراسان ، وأن

يعلمه أنه لا سبيل له إلى الرجوع إلى مدينة السلام؛ ولا إلى تولي شيء من الأمور التي يتولاها سليمان.

فلما تناهى الخبر إلى ابن أوس رحل من الشّماسية فصار في رقة البردان على دجلة ، فأقام بها أياماً حتى اجتمع إليه مَنْ تفرق من أصحابه ، ثم رحل فنزل النهروان؛ فلم يزل بها مقيناً ، وقد كان كتب إلى بايكباك صالح بن وصيف يعرض عليهما نفسه ، ويشكوا إليهما ما نزل به؛ فلم يجد عندهما شيئاً مما قصد؛ وقد كان محمد بن عيسى بن عبد الرحمن مقيناً بسامراً لينجز أمور سليمان ، وكان كارهاً لابن أوس ، منحرفاً عنه ، وكان ابن أوس مضطرب الأمر لسوء محضر محمد بن عيسى الكاتب؛ فلما انقطعت عن ابن أوس وأصحابه الماء ، تبعثوا بأهل القرى والسبلة ، وأكثروا الغارات والنهب ، ورحل حتى نزل النهروان.

فذكر عن بعض مَنْ قصدوه ليتهبوه ، فذكّرهم المعاد ، وخوّفهم الله: أنهم ردوا عليه أن قالوا له: إن كان النهب والقتل جائزًا في مدينة السلام؛ وهي قبة الإسلام ودار عز السلطان ، فما استنكأ ذلك في الصحاري والبراري! ثم رحل ابن أوس عن النهروان بعد أن أثر في تلك الناحية آثاراً قبيحة ، وأخذ أهل البلاد بأداء الأموال ، وحمل منها الطعام في السفن في بطن النهروان إلى إسكافبني جنيد لبيعه هناك.

وكان محمد بن المظفر بن سيسيل بالمداين ، فلما بلغه مصير ابن أوس إلى النهروان صير إقامته بالتعمانية من عمل الزوابي خوفاً على نفسه منه لحضور أبيه كان في يوم الواقعة .

فذكر عن محمد بن نصر بن منصور بن بسام - وعبرتا ضياعته -: أن وكيله اصرف عنها هارباً بعد أن أدى إلى ابن أوس تحت العذاب وخوف الموت قريباً من ألف وخمسمائة دينار؛ ولم يزل ابن أوس مقيناً هناك ، يقرب ويباعد ، ويقيض ويبسط ، ويشتد ويلين ، ويرهب؛ حتى أتاه كتاب بايكباك بولاية طريق خراسان من قبله ، فكان من وقت خروجه من مدينة السلام إلى وقت ورود الكتاب عليه بولاية شهران وخمسة عشر يوماً.

وذكر عن بعض ولد عاصم بن يونس العجمي أن أباه كان يتولى ضياعاً

للتوشري بناحية طريق خراسان ، وأنه كتب إلى التوشرى يذكر ما عاين من قُوَّة عسکر ابن أوس وظاهر عدتهم ، ويشير بأن يذكر ذلك لبایکباک ، ويصف خلاء طريق خراسان من سلطان يتولاه ويحوط أهله وأن هذا عسکر مشحون بالرجال والعدة والعتاد ، مقيم في العمل ، وأن التوشرى ذكر ذلك لبایکباک ، وأشار عليه بتوليته طريق خراسان ، وتخفيض المؤنة عن السلطان فقبل ما أشار به عليه ، وأمر بكتبه فكتبت وولي طريق خراسان في ذي القعدة من هذه السنة - وهي سنة خمس وخمسين ومئتين - وكان موسى خليفة مساور بن عبد الحميد الشاري مقيناً بالدَّسْكَرَة ونواحيها في زهاء ثلاثة رجل ، قد ولاه مُساور ما بين حلوان إلى السوس على طريق خراسان وبطن جُونخى وما قرب ذلك من طاسيسيج السواد .

* * *

وفيها أمر المهتمي بإخراج القِيَان والمغنيين والمغنيات من سامراً ونفيهم منها إلى بغداد؛ بعد أمرٍ كان قد تقدم من قبيحة في ذلك قبل أن ينزل بابتها ما نزل ، وأمر بقتل السبع التي كانت في دار السلطان وطَرَد الكلاب وإبطال الملاهي ورَدَ المظالم ، وجلس لذلك للعامة ، وكانت ولاته والدنيا كلها من أرض الإسلام مفتونة .

* * *

[ذكر خبر استيلاء مفلح على طبرستان ثم انصرافه عنها]

وفيها شخص موسى بن بغا ومن معه من الموالي وجند السلطان من الرّي وانصرف مُفلح عن طبرستان بعد أن دخلها ، وهزم الحسن بن زيد ، وأخرجه عنها إلى أرض الديلم .

* ذكر الخبر عن شخوصه عنها :

ذُكر : أنَّ السبب في ذلك أنَّ قبيحة أمَّ المعتز ، لمَّا رأت من الأتراك اضطراها ، وأنكرت أمرَّهم ، كتبت إلى موسى بن بغا تسأله القدوم إلى ما قتيلها ، وأمَّلت وروده عليها قبل حدوث ما حدث عليها وعلى ابنها المعتز ، فعزم موسى على الانصراف إليها ، وكان ورود كتابها عليه وِمُقلح بطبرستان .

فكتب موسى إلى مفلح يأمره بالانصراف إليها وهو بالرّيّ ، فحدّثني بعض أصحابنا من أهل طبرستان ، أنّ كتاب موسى ورد على مفلح بذلك ، وقد توجّه نحو أرض الدّيّلِم في طلب الحسن بن زيد الطالبيّ ، فلما ورد عليه الكتاب انصرف راجعاً إلى حيث توجّه منه ، فعظم ذلك على قوم كانوا معه من رؤسائِ أهل طبْرستان ممن كان هارباً قبل مقدم مفلح عليهم من الحسن بن زيد ، لِمَا كانوا قد رجوا من مقدمه عليهم وكفايتهم أمرَ الحسن بن زيد والرجوع إلى منازلهم وأوطانهم ، وذلك لأنّ مفلحاً كان يعدهم اتباع الحسن بن زيد حيث توجّه حتى يظفر به أو يُخترم دونه ، ويقول لهم - فيما ذكر لي - : لو رميت قلسوتني في أرض الدّيّلِم ما اجترا أحد منهم أن يدُنُّ منها ، فلما رأى القوم انصرافَه عن الوجه الذي توجّه له من غير عسكر للحسن بن زيد ولا أحد من الدّيّلِم صدّه ، سأله - فيما ذكر لي - عن السبب الذي صرَّفه عما كان يعدهم به من اتباع ابن زيد ، وجعلوا يكلمونه - فيما أخبرت - وهو كالمسبوت لا يجيئهم بشيء؛ فلما أكثروا عليه قال لهم : ورد علىي كتاب الأمير موسى بعزم منه ألاّ أضع كتابه من يدي بعد ما يصل إلى حتّى أقبل إليه .

وأنا مغموم بأمركم؛ ولكن لا سبيل إلى مخالفته الأمير ، فلم يتهيأ لموسى الشخص من الرّيّ إلى سامراً حتى وفاه الكتاب بهلاك المعتزّ وقيام المهتمي بعده بالأمر ، ففتأه ذلك عما كان عزم عليه من الشخص ، لفوته ما قدر إداركه من أمر المعتزّ.

ولمّا وردتْ عليه بيعة المهتمي ، امتنع أصحابه عليه من بيعته ، ثم بايعوا فورد خبر بيعتهم سامراً الثلاث عشرة خلت من شهر رمضان من هذه السنة .

ثم إنّ المواليَّ الذين في عسكر موسى بلغهم ما استخرج صالح بن وصيف من أموال الكتاب وأسباب المعتزّ والمتوكل ، فشحّوا بذلك على المقيمين بسامراً؛ فدعوا موسى إلى الانصراف بهم إلى سامراً .

وقدم مفلح على موسى بالرّيّ تاركاً طبرستان على الحسن بن زيد ، فذكر عن القاشانيّ أنه قال : كتب إليّ ابن أخي من الرّيّ يذكر أنه لقي مفلحاً بالرّيّ ، فسألَه عن سبب انصرافه فذكر أنّ الموالي قد أبوا أن يقيموا ، وأنّهم إذا انصرفوا لم يُعن مقامه شيئاً .

ثم إن موسى افتتح خراج سنة ست وخمسين ومئتين يوم الأحد مستهل شهر رمضان سنة ست وخمسين ومئتين ، فاجتنى - فيما ذكر - في يوم الأحد قدر خمسمئة ألف درهم ، فاجتمع أهل الرّي ، فقالوا ، أعز الله الأمير! إنك تزعم أنَّ المولى يرجعون إلى سامراً لما يقدروننه من كثرة العطاء هناك ، وأنت وأصحابك في أكثر وأوسع مما القوم هناك فيه؛ فإن رأيت أن تسد هذا الثغر ، وتحتسب في أهله الأجر والثواب ، وتلزمنا من خراجنا في خاصٍّ أموالنا لمن معك ما ترى أن نحتمله فعلت ، فلم يُعجبهم إلى ما سألاً ف قالوا: أصلح الله الأمير! فإذا كان الأمير عزم على تركنا ، والانصراف عنا ، فما معنِّيأخذنا بالخارج لسنة لم نبتدئ بعمارتها؛ وأكثر غلة سنة خمس وخمسين ومئتين؛ التي قد أخذ الأمير خراجها في الصحاري لا يمكننا الوصول إليها إن رحل الأمير عنا! فلم يلتفت إلى شيء مما وصفوه له ، وسألوه إيه.

واتصل خبرُ انصرافه بالمهتمي ، فكتب إليه في ذلك كتاباً كثيرة ، لم تؤثر أثراً ، فلما انتهى إليه قفول موسى من الرّي ، ولم تغُنِ الكتب شيئاً وجهَ رجلين من بني هاشم ، يقال لأحدهما: عبد الصمد بن موسى ، ويعرف الآخر بأبي عيسى يحيى بن إسحاق بن موسى بن عيسى بن عليّ بن عبد الله بن عباس ، وحملَا رسالة إلى موسى وإلى من ضمَّ عسكره من المولى ، يصدقهم فيها عن الحال بالحضرمة وضيق الأموال بها ، وما يُحاذر من ذهاب ما يخلفونه وراء ظهورهم ، وغلبة المطالبين عليه واتساع آثارهم إلى ناحية الجبل ، فشخص بذلك الهاشميان في جماعة من المولى [وأتبعهم من الدليل] وأقبل موسى ومن معه ، صالح بن وصيف في ذلك يعظم على المهتمي انصرافه ، وينسبه إلى المعصية والخلاف ، ويبيه عليه في أكثر ذلك ، ويرأ إلى الله من فعله .

فذكر : أنَّ كتاب صاحب البريد بهمذان لما ورد على المهتمي بفصول موسى عنها ، رفع المهتمي يديه إلى السماء ، ثم قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه: اللهم إني أبدأ إليك من فعل موسى بن بُغا وإنخلاله بالشّغر وإن باحته العدو؛ فإني قد أعتذر إليه فيما بيني وبينه ، اللهم تولّ كيد منْ كايد المسلمين ، اللهم انصر جيوش المسلمين حيث كانوا ، اللهم إني شاخص بنبيتي و اختياري إلى حيث نكب

ال المسلمين فيه ، ناصراً لهم ودافعاً عنهم ، فآجزنيبني إذ عدمت صالح الأعوان ! ثم انحدرت دموعه يبكي .

وذكر عن بعض من حضر المهتدى في بعض مجالسه التي يقول فيها هذا القول ، وحضره سليمان بن وهب ، فقال : أيأمرني أمير المؤمنين أن أكتب إلى موسى بما أسمع منه ؟ فقال له : نعم ، اكتب بما تسمع مني ؛ وإن أمكنك أن تنقشه في الصخر فافعل . فلقيه الهاشميان في الطريق ولم يُغُنِّيا شيئاً ، وضيق الموالى ، وكادوا يثنون بالرّسل ، ورد موسى في جواب الرّسالة ، يعتذر بتخلفه من معه عن الرجوع إلى قوله دون ورود باب أمير المؤمنين ، وأنه إن رام التخلف عنهم لم يأمنهم على نفسه ، ويحتاج بما عاين الرّسل الموجهون إليه . فورد الرّسل بذلك ، وأوفد مع الرّسل موسى وفداً من عسكنه ، فوافوا سامراً لأربع خلوٰن من المحرّم سنة ست وخمسين ومئتين .

* * *

[ذكر الخبر عن مفارقة كنجور علي بن الحسين بن قريش]

وفي هذه السنة فارق كنجور علي بن الحسين بن قريش ، وكان قد نُفيَ أيام المعز إلى فارس ، فوكل به علي بن الحسين ، وحبسه؛ فلما أراد علي بن الحسين محاربة يعقوب بن الليث أخرجه من الحبس ، وضمَّ إليه خيلاً ورجالاً ، فلما انهزم الناس عن علي بن الحسين لحق كنجور بناحية الأهواز ، فأثار في ناحية رامهرمز أثراً ، ثم لحق بابن أبي دلف ، فوافاه بهمَزان ، وأساء السيرة في أسباب وصيف وضياعه ووكلاه في تلك الناحية ، ثم لحق بعد ذلك بعسكر موسى ، فلما أقبل موسى فيمنْ ضمه العسكر ، بلغ ذلك صالحًا ، فكتب عن المهتدى في حمل كنجور إلى الباب مقيداً ، فأبى ذلك الموالى ، ثم لم تزل الكتب تختلف فيه إلى أن نزل العسكر القاطلوا ، ثم ظهر أن صالحًا قعد لمراغمته ، وأن موسى ترَّحل إلى سامراً على المباينة لصالح ومن مال إليه ، ولحق بـايـكـبـاكـ بـعـسـكـرـ مـوسـىـ ، وأقام موسى هناك يومين ووجه المهتدى إليه أخاه إبراهيم لأمه في أمر كنجور يعلمه أن الموالى بـسامـراـ قد أبـواـ أن يقارـواـ على دخـولـ كـنجـورـ ، ويـأـمـرـهـ بـتقـيـيـدـهـ وـحـمـلـهـ إـلـىـ مـديـنـةـ السـلـامـ؛ فـلـمـ يـتـهـيـأـ فـيـ ذـلـكـ ماـ قـدـرـهـ صـالـحـ ، وـكـانـ جـوـابـهـ

أن قالوا: إذا دخلنا سامراً امثّلنا ما أمر به أمير المؤمنين في كنجرور وغيره.

* * *

خروج أول علوى بالبصرة

وللنصف من شوّال من هذه السنة ، ظهر في فرات البصرة رجل زعم أنه عليّ بن محمد بن أحمد بن عليّ بن عيسى بن زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب ، وجمع إليه الزّنج الذين كانوا يكسحون السّيّاخ ، ثم عبر دجلة ، فنزل الدّيناريّ^(١).

* ذكر الخبر عن أمره والسبب الذي بعثه على الخروج هنالك :

وكان اسمه ونسبه - فيما ذُكر - عليّ بن محمد بن عبد الرحيم ، ونسبه في عبد القيس ، وأمه قرة ابنة عليّ بن رحيب بن محمد بن حكيم ، منبني أسد بن خزيمة ، من ساكني قرية من قرى الرّي ، يقال لها وَرْزَنِين ، بها مولده ومنشئه؛ فذكر عنه أنه كان يقول: جدّي محمد بن حكيم من أهل الكوفة أحد الخارجين على هشام بن عبد الملك مع زيد بن عليّ بن الحسين ، فلما قُتل زيد هرب فلحق بالرّي ، فلجأ إلى وَرْزَنِين ، فأقام بها ، وإن أبا أبيه عبد الرحيم رجل من عبد القيس ، كان مولده بالطّلاقان ، وأنه قدم العراق فأقام بها ، واشتري جارية سندية ، فأولادها محمداً أباها؛ فهو عليّ بن محمد هذا ، وأنه كان متصلًا قبل بجماعة من آل المتتصّر؛ منهم غانم الشطرنجي وسعيد الصغير ويُسر الخادم؛ وكان منهم معاشه ، ومن قوم من أصحاب السلطان وكتابه يمدحهم ويستميحهم بشعره^(٢).

ثم إنّه شخص - فيما ذُكر - من سامراً سنة تسع وأربعين ومئتين إلى البحرين ، فادعى بها أنه عليّ بن محمد بن الفضل بن حسن بن عبيد الله بن العباس بن عليّ بن أبي طالب ، ودعا الناس بهجر إلى طاعته ، واتّبعه جماعة كبيرة من أهلهما ، وأبنته جماعة آخر؛ فكانت بسببه بين الذين اتبعوه والذين أبؤه عصبية

(١) انظر المتنظم (٨٥ / ١٢).

(٢) المصدر السابق نفسه.

قتلت بينهم جماعة فانتقل عنهم لما حدث ذلك إلى الأحساء ، وضوى إلى حي من بني تميم ثم من بني سعد ، يقال لهم: بنو الشّماس؛ فكان بينهم مقامه ، وقد كان أهل البحرين أحلوه من أنفسهم محل النبي - فيما ذكر - حتى جُبِيَ له الخراج هنالك ونفذ حكمه بينهم ، وقاتلوا أسباب السلطان بسببه ووتر منهم جماعة كثيرة ، فتنكروا له ، فتحول عنهم إلى البدية^(١).

ولما انتقل إلى البدية صحبه جماعة من أهل البحرين ، منهم رجل كيال من أهل الأحساء ، يقال له: يحيى بن محمد الأزرق المعروف بالبخاري ، مولى لبني دارم ويحيى بن أبي ثعلب ، وكان تاجراً من أهل هَجَر ، وبعض مواليبني حنظلة أسود يقال له: سليمان بن جامع؛ وهو قائد جيشه ، ثم كان ينتقل في البدية من حي إلى حي.

فذكر عنه أنه كان يقول: أوتيت في تلك الأيام آيات من آيات إمامتي ظاهرة للناس؛ ومنها فيما ذكر عنه: أنه قال: إِنِّي لُقِيْتُ سُورًا من القرآن لا أحفظها فجري بها لسانِي في ساعة واحدة ، منها: سبحان والكهف وص.

قال: ومن ذلك: أني لقيت نفسي على فراشي ، فجعلت أفكِر في الموضوع الذي أقصد له ، وأجعل مقامي به؛ إذ تَبَثَ بي البدية ، وضفت بسوء طاعة أهلها ، فأظللني سحابة ، فبرقت ورعدت ، واتصل صوت الرعد منها بسمعي ، فخُوطبْتُ فيه ، فقيل: أقصد البصرة ، فقلت لأصحابي وهم يكتفونني: إنِّي أمرت بصوت هذا الرعد بالمصير إلى البصرة^(٢).

وذكر أنه عند مصيره إلى البدية أُوهِمَ أهلها: أنه يحيى بن عمر أبو الحسين المقتول بناحية الكوفة ، فاختدعاً بذلك قوماً منهم؛ حتى اجتمع بها منهم جماعة كثيرة ، فزحف بهم إلى موضع البحرين يقال له الرَّذْم ، فكانت بينهم وقعة عظيمة ، كانت الدائرة فيها عليه وعلى أصحابه ، قُتلوا فيها قتلاً ذريعاً ، فنفرت عنه العرب وكرهته ، وتجنّبت صحبته ، فلما تفرّقت عنه العرب ، ونبت به البدية ، شخص عنها إلى البصرة ، فنزل بها في بني ضبيعة ، فاتّبعه بها جماعة؛

(١) انظر المتنظم (١٢/٨٥) و(١٢/٨٦).

(٢) المصدر السابق (٩/٨٦).

منهم عليّ بن أبان المعروف بالمهليّ ، وأخواه محمد والخليل وغيرهم .

وكان قدومه البصرة في سنة أربع وخمسين ومئتين ، ومحمد بن رجاء الحضاري عامل السلطان بها ، ووافق ذلك فتنة أهل البصرة بالبلالية والسعدية ، فطمع في أحد الفريقين أن يميل إليه ، فأمر أربعة نفر من أصحابه ، فخرجوا بمسجد عباد ، أحدهم يسمى محمد بن سلم القصاب الهجري ، والآخر بريش القريري ، والثالث عليّ الضراب ، والرابع الحسين الصيدناني ؛ وهم الذين كانوا صحبوه بالبحرين ، فدعوا إليه ، فلم يجده من أهل البلد أحد ، وثاب إليهم الجند ، فتفرقوا ولم يظفر بأحد منهم ، فخرج من البصرة هارباً ، فطلبه ابن رجاء فلم يقدر عليه ، وأخبر ابن رجاء بميل جماعة من أهل البصرة إليه ، فأخذهم فحبسهم ؛ فكان فيمن حبس يحيى بن أبي ثعلب ومحمد بن الحسن الأيادي وابن صاحب الزنج عليّ بن محمد الأكبر وزوجته أمّ ابنته ومعها ابنته له وجارية حامل ، فحبسهم ومضى هو لوجهه يريد بغداد ، ومعه من أصحابه محمد بن سلم ويحيى بن محمد وسليمان بن جامع وبريش القريري ، فلما صاروا بالبطيحة ندر بهم بعض موالي الباهليين ، كان يلي أمر البطيحة ، يقال له: عمير بن عمار ، فأخذهم وحملهم إلى محمد بن أبي عون ، وهو عامل السلطان بواسط ، فاحتال لابن أبي عون حتى تخلص هو وأصحابه من يده ، ثم صار إلى مدينة السلام ، فأقام بها حوالاً ، وانتسب فيها إلى أحمد بن عيسى بن زيد؛ وكان يزعم أنه ظهر له أيام مقامه بها آيات ، وعرف ما في ضمائر أصحابه ، وما يفعله كل واحد منهم؛ وأنه سأله ربها بها آيةً أن يعلمحقيقة أمره ، فرأى كتاباً يكتب له ، وهو ينظر إليه على حائط ، ولا يرى شخص كاتبه^(١) .

وذكر عن بعض تبعاه: أنه بمقامه بمدينة السلام استمال جماعة ، منهم: جعفر بن محمد الصوحاني - كان ينتسب إلى زيد بن صوحان - ومحمد بن القاسم وغلاماً يحيى بن عبد الرحمن بن خاقان: مشرق ورفيق؛ فسمى مشرقاً حمزة وكناه أبو أحمد ، وسمى رفيقاً جعفراً وكناه أبو الفضل ، ثم لم يزل عامه ذلك بمدينة السلام حتى عزل محمد بن رجاء عن البصرة ، فخرج عنها ، فوثب رؤساء

(١) انظر المتنظم (٩/٨٦).

القتنة من البلالية والسعديه ، ففتحوا المحاس ، وأطلقوا منْ كان فيها ؛ فتخلّصوا فيمن تخلّص فلما بلغه خلاص أهله ، شخص إلى البصرة ، فكان رجوعه إليها في شهر رمضان سنة خمس وخمسين ومئتين ، ومعه عليّ بن أبيان - وقد كان لحق به وهو بمدينة السلام - ويحيى بن محمد ، ومحمد بن سلم ، وسلامان بن جامع ، وغلاماً يحيى بن عبد الرحمن : مشرق ورفيق ؛ وكان يحضر هؤلاء الستة رجلٌ من الجند يكفي أباً يعقوب ، ولقب نفسه بعد ذلك بُجرْبان ، فساروا جميعاً حتى وافوا برنخل ، فنزلوا قسراً هنالك يعرف بقصر القرشي ، على نهر يعرف بعمود ابن المنجم ؛ كان بنو موسى بن المنجم احتفروه ؛ وأظهر : أنه وكيل لولد الواثق في بيع السباح ، وأمر أصحابه أن يتّحلوه ذلك ، فأقام هنالك .

فذكر عن ريحان بن صالح أحد غلمان الشورجييـن - وهو أول من صحبه منهم - أنه قال : كنت موكلًا بغلمان مولاي ، أنقل الدقيق إليهم من البصرة ، وأفرقه فيهم ، فحملت ذلك إليهم كما كنت أفعل ، فمررت به وهو مقيم ببرنخل في قصر القرشي ، فأخذني أصحابه ، فصاروا بي إليه ، وأمروني بالتسليم عليه بالإمرة ، ففعلت ذلك ، فسألني عن الموضع الذي جئت منه ، فأخبرته أني أقبلت من البصرة ، فقال : هل سمعت لنا بالبصرة خبراً؟ قلت : لا ، قال : فما خبر الزيني؟ قلت : لا علم لي به ، قال : فخبر البلالية والسعديه؟ قلت : ولا أعرف أخبارهم أيضاً ، فسألني عن أخبار غلمان الشورجيـن وما يجري لكل غلام منهم من الدقيق والسوـيق والتـمر وعـمـن يـعـلـمـ في الشـورـجـ من الأحرار والعـيـدـ ، فأعلـمـته ذلك ، فدعـانـي إـلـى ما هو عـلـيـه ، فأجـبـته ، فقال لي : احتـلـ فيـنـ قـدـرـتـ عـلـيـهـ مـنـ الغـلـمـانـ ، فـأـقـبـلـ بـهـمـ إـلـيـيـ ، وـوـعـدـنـيـ أـنـ يـقـوـدـنـيـ عـلـىـ مـنـ آـتـيـهـ بـهـ مـنـهـ ، وـأـنـ يـحـسـنـ إـلـيـيـ ، وـاستـحـلـفـنـيـ أـلـآـ أـعـلـمـ أـحـدـ بـمـوـضـعـهـ ، وـأـنـ أـرـجـعـ إـلـيـهـ ، فـخـلـىـ سـبـيليـ ، فـأـتـيـتـ بـالـدـقـيقـ الذـيـ مـعـيـ المـوـضـعـ الذـيـ كـنـتـ قـصـدـتـهـ بـهـ ، وـأـقـمـتـ عـنـدـ يـوـمـيـ ، ثـمـ رـجـعـتـ إـلـيـهـ مـنـ غـدـ ، فـوـافـيـتـهـ وـقـدـ قـدـمـ عـلـيـهـ رـفـيقـ غـلامـ يـحـيـيـ بـنـ سـالـمـ ، وـكـانـ وـُـجـهـ إـلـىـ الـبـصـرـةـ فـيـ حـوـائـجـ مـنـ حـوـائـجـهـ ، وـوـافـاهـ بشـيلـ بـنـ سـالـمـ - وـكـانـ مـنـ غـلـمـانـ الدـبـابـيـنـ - وـبـحـرـيرـةـ كـانـ أـمـرـهـ بـاـتـيـاعـهـ لـيـتـخـذـهـ لـوـاءـ ؛ فـكـتـبـ فـيـهاـ بـحـرـمةـ وـخـضـرـةـ : ﴿إِنَّ اللَّهَ أَشَرَّى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ يَا أَيُّهُمْ أَجَنَّةٌ يُقْتَلُونَ فِي سَيِّلِ اللَّهِ﴾ ، إـلـىـ آخرـ الـآـيـةـ ، وـكـتـبـ اـسـمـهـ

واسم أبيه ، وعلقها في رأس مُزدَّي وخرج في السحر من ليلة السبت لليلتين بقيتا من شهر رمضان^(١) .

فلما صار إلى مؤخر القصر الذي كان فيه ، لقيه غلمان رجل من الشورجيين يعرف بالعطار ، متوجّهين إلى أعمالهم ، فأمر بأخذهم فأخذوا ، وكُفّ وكيّلهم ، وأخذ معهم ، وكانوا خمسين غلاماً ، ثم صار إلى الموضع الذي يعمل فيه السنائي ، فأخذ منه خمسة غلام ، فيهم المعروف بأبي حَدِيد ، وأمر بوكيلهم فأخذ معهم مكتوفاً ، وكانوا في نهر يعرف بنهر المكاثر ، ثم مضى إلى موضع السيرافي ، فأخذ منه خمسين ومئة غلام ، فيهم زُريق وأبو الخنجر . ثم صار إلى موضع ابن عطاء ، فأخذ طريقاً وصبيحاً الأعسر وراشدًا المغربي وراشداً القرماتي ، وأخذ معهم ثمانين غلاماً ، ثم أتى موضع إسماعيل المعروف بغلام سهل الطحان ، ثم لم يزل يفعل ذلك كذلك في يومه ، حتى اجتمع إليه بشر كثير من غلمان الشورجيين ، ثم جمعهم وقام فيهم خطيباً ، فمنّاهم ووعدهم أن يقودهم ويرأسهم ، ويملكهم الأموال ، وخلف لهم الأيمان الغلاظ لا يغدر بهم ، ولا يخذلكم ، ولا يدع شيئاً من الإحسان إلا أتى إليهم ، ثم دعا موالיהם ، فقال : قد أردت ضرب أعناقكم لما كتتم تأتون إلى هؤلاء الغلمان الذين استضعفتموهم وقهّرتموهم ، وفعلتم بهم ما حرم الله عليكم أن تفعلوه بهم ، وجعلتم عليهم ما لا يطيقون ، فكلّمني أصحابي فيكم ، فرأيت إطلاقكم ، فقالوا : إن هؤلاء الغلمان أباق ، وهم يهربون منك فلا يُيقون عليك ولا علينا ، فخذ مما مالاً وأطلّقهم لنا ، فأمر غلمانهم فأحضروا شطباً ثم بَطَحَ كلّ قوم مولاهم ووكيلهم ، فضرب كلّ رجل منهم خمسة شطبة ، وأحلّفهم بطلاق نسائهم لا يعلموا أحداً بموضعه ، ولا بعدد أصحابه ، وأطلّقهم ، فمضوا نحو البصرة^(٢) .

ومضى رجل منهم يقال له : عبد الله ، ويعرف بكريراً ، حتى عبر دُجِيلاً ، فأنذر الشورجيين ليحرزوا غلمانهم ، وكان هناك خمسة عشر ألف غلام .

ثم سار بعدما صلّى العصر حتى وافى دُجِيلاً ، فوجد سفن سَمَاد تدخل في

(١) انظر المتنظم (٩/٨٦).

(٢) انظر المتنظم (٩/٨٧).

المد ، فقدمها ، فركب فيها ، وركب أصحابه حتى عبروا دجلة ، وصاروا إلى نهر ميمون ، فنزل المسجد الذي في وسط الشارع على نهر ميمون ، وأقام هناك ، ولم يزل ذلك دأبه ، يجتمع إليه السودان إلى يوم الفطر ، فلما أصبح نادى في أصحابه بالاجتماع لصلاة الفطر فاجتمعوا ، وركز المردي الذي عليه لواؤه ، وصلى بهم وخطب خطبة ذكر فيها ما كانوا عليه من سوء الحال ، وأن الله قد استنقذهم به من ذلك ، وأنه يريد أن يرفع أقدارهم ، ويملكهم العبيد والأموال والمنازل ، ويبلغ بهم أعلى الأمور ، ثم حلف لهم على ذلك ، فلما فرغ من صلاته وخطبته ، أمر الذين فهموا عنه قوله أن يفهموه من لافهم له من عجمهم ، لتطيب بذلك أنفسهم ، فعلوا ذلك ، ودخل القصر ، فلما كان بعد يوم قصد نهر بور ، فوافى جماعة من أصحابه هناك الحميري في جماعة ، فدفعوهم حتى أخرجوهم إلى الصحراء ، فلحقهم صاحب الزنج فيمن معه ، فأوقع بالحميري وأصحابه ، فانهزموا حتى صاروا إلى بطن دجلة ، واستأمن إليه رجل من رؤساء الزنج يكىء بأبي صالح ، يعرف بالقصير في ثلثة من الزنج ، فمناهم وعدهم^(١).

فلما كثر من اجتمع إليه من الزنج قرّ قواده ، وقال لهم: كل منْ أتى منكم برجل فهو مضموم إليه ، وقيل إنه لم يقرّ قواده إلاّ بعد مواجهة الخول ببيان ومصيره إلى سبخة القنديل.

وكان ابن أبي عون نقل عن ولاية واسط إلى ولاية الأبلة وكور دجلة ، فذكر أنه انتهى إليه في اليوم الذي قرّ فيه قواده: أن الحميري وعانياً مع خليفة ابن أبي عون المقيم كان بالأبلة ، قد أقبلوا نحوه ، ونزلوا نهر طين ، فأمر أصحابه بالمصير إلى الرزيقية وهي في مؤخر الباذاوزد ، فصار إليها في وقت صلاة الظهر ، فصلوا بها ، واستعدوا للقتال ، وليس في عسكره يومئذ إلا ثلاثة أسياف: سيف وسيف علي بن أبان ، وسيف محمد بن سلم ، ونهض بأصحابه فيما بين الظهر والعصر راجعاً نحو المحمدية ، وجعل علي بن أبان في آخر أصحابه ، وأمره أن يعرف خبر من يأتيه من ورائه ، وتقدم في أوائل الناس حتى

(١) انظر المتنظم (٩/٨٧).

وافي المحمدية ، فقعد على النهر ، وأمر الناس فشربوا منه ، وتواتر إلى أصحابه ، فقال له عليّ بن أبان: قد كنا نرى من ورائنا بارقةً ونسمع حسّنَ قوم يتبعوننا ، فلستنا ندري: أرجعوا عن أم هم قاصدون إلينا؟ فلم يستتمّ كلامه حتى لحق القوم ، وتنادى الزنج السلاح ، فبدر مفروج النبي المكنى بأبي صالح ، ودبرهان بن صالح ، وفتح الحجام - وكان فتح يأكل - فلما نهض تناول طبقاً كان بين يديه ، وتقدم أصحابه فلقيه رجل من الشورجيّين ، يقال له: ببل ، فلما رأه فتح حمل عليه وحذفه بالطبق الذي كان في يده ، فرمى ببل بسلاحه ، وولى هارباً ، وانهزم أصحابه ، وكانوا أربعة آلاف رجل ، فذهبوا على وجوههم ، وقتل من قُتل منهم ، ومات بعضهم عطشاً وأسرّ منهم قوم فأتي بهم صاحب الزنج ، فأمر بضرب أعناقهم فضربت ، وحملت الرؤوس على بغال كان أخذها من الشورجيّين ، كانت تنقل الشورج؛ ومضى حتى وافي القادسيّة ، وذلك وقت المغرب ، فخرج من القرية رجل من موالي بعض الهاشميّين على أصحابه ، فقتل رجلاً من السودان ، فأتاه الخبر ، فقال له أصحابه: ائذن لنا في انتهاب القرية وطلب قاتل صاحبنا ، فقال: لا سبيل إلى ذلك دون أن نعرف ما عند القوم ، وهل فعل القاتل ما فعل عن رأيهم ، ونسألهم أن يدفعوه إلينا؛ فإن فعلوا وإن ساغ لنا قتالهم .

وأجلهم المسير ، فصاروا إلى نهر ميمون راجعين ، فأقام في المسجد الذي كان أقام فيه في بدأته وأمر بالرؤوس المحمولة معه فنصبت ، وأمر بالأذان أبا صالح النبي فأذن ، وسلم عليه بالإمرة ، فقام فصلى بأصحابه العشاء الآخرة ، وبات ليلته بها ، ثم مضى من الغد حتى مر بالكرخ فطواها ، وأتى قرية تعرف بجبي ، في وقت صلاة الظهر ، فعبر دجيلاً من مخاضة دلّ عليها ، ولم يدخل القرية ، وأقام خارجاً منها ، وأرسل إلى مَن فيها ، فأتاه كبراؤهم وكبراء أهل الكرخ ، فأمرهم بإقامة الأنزال له ولأصحابه فأقيم له ما أراد ، وبات عندهم ليلته تلك ، فلما أصبح أهدى له رجل من أهل جبي فرساً كُميتاً ، فلم يجد سرجاً ، ولا لجاماً ، فركبه بحبل وسَنَّه بليف ، وسار حتى انتهى إلى المعروف بالعباسي العتيق ، فأخذ منه دليلاً إلى السّيّب ، وهو نهر القرية المعروفة بالجعفريّة ، ونذر به أهل القرية ، فهربوا عنها ، ودخلها فنزل دار جعفر بن

سليمان وهي في السوق وتفرق أصحابه في القرية ، فأتوه برجل وجده ، فسأله عن وكلاء الهاشميين ، فأخبره أنهم في الأجمة ، فوجّه الملقب بجربان ، فأناه برئسهم وهو يحيى بن يحيى المعروف بالزبيري أحد موالي الزبيديين ، فسأله عن المال ، فقال: لا مال عندي ، فأمر بضرب عنقه ، فلما خاف القتل أقر بشيء قد كان أخفاه ، فوجّه معه ، فأناه بمئتي دينار وخمسين ديناراً وألف درهم؛ فكان هذا أول ما صار إليه ، ثم سأله عن دواب وكلاء الهاشميين فدله على ثلاثة براذين: كُميت وأشقر ، وأشهب؛ فدفع أحدهما إلى ابن سلم ، والآخر إلى يحيى بن محمد ، وأعطى مُشرقاً غلام يحيى بن عبد الرحمن الثالث^(١).

وكان رفيق يركب بغلًا كان يحمل عليه الثقل ، ووجد بعض السودان داراً بعض بنى هاشم فيها سلاح ، فانتبهوه ، فجاء النبي الصغير بسيف ، فأخذه صاحب الزنج ، فدفعه إلى يحيى بن محمد ، فصار في أيدي الزنج سيف وبالات وزقيات وتراس ، وبات ليلته تلك بالسيب؛ فلما أصبح أتاهم الخبر: أن رميساً والحميري وعَقِيلًا الأُبْلِي قد وافوا السيب ، فوجّه يحيى بن محمد في خمسة رجل ، فيهم سليمان وريحان بن صالح وأبو صالح النبي الصغير ، فلقوا القوم فهزموهم ، وأخذوا سميرية وسلاحاً ، وهرب من كان هناك ورجع يحيى بن محمد فأخبره الخبر ، فأقام يومه ، وسار من غد يريد المدار ، بعد أن اتخذ على أهل الجعفرية ألا يقاتلوه ، ولا يعنوا عليه أحداً ، ولا يسترموا عنه ، فلما عبر السيب صار إلى قرية تعرف بقرية اليهود شارعة على دجلة ، فوافق هناك رميساً في جمْع ، فلم يزل يقاتلهم يومه ذلك ، وأسر من أصحابه عدة ، وعقر منهم جماعة بالثتاب ، وقتل غلام لمحمد بن أبي عون كان مع رميس ، وغرقت سميرية كان فيها ملاحها ، فأخذ وضربت عنقه ، وسار من ذلك الموضع يريد المدار ، فلما صار إلى النهر المعروف بباب مداد جاوزه حتى أصحر ، فرأى بستانًا ، وتلاً يعرف بجبل الشياطين ، فقصد للتل فقد علية ، وأثبت أصحابه في الصحراء ، وجعل لنفسه طليعة.

فذكر عن شبل أنه قال: أنا كنت طليعته على دجلة ، فأرسلت إليه أخبره أن

(١) انظر المتنظم (٩/٨٨).

رُمِيساً بساطي دجلة يطلب رجلاً يؤدي عنه رسالة ، فوجه إليه عليّ بن أبيان و محمد بن سلم و سليمان بن جامع ، فلما أتوه قال لهم : اقرؤوا على صاحبكم السلام ، و قولوا له : أنت آمن على نفسك حيث سلكت من الأرض ؛ لا يعرض لك أحد ، واردد هؤلاء العبيد على موالיהם ، وأخذ لك عن كل رأس خمسة دنانير ، فأتوه فأعلموه ما قال لهم رميس ، فغضب من ذلك ، وآل ليرجعن فليبقرن بطنه امرأة رميس ، وليحرقن داره ، وليخوضن الدماء هنالك ، فانصرفوا إليه ، فأجابوه بما أمرُوا به ، فانصرف إلى مقابل الموضع الذي هو به من دجلة ، فأقام به ، فوافاه في ذلك اليوم إبراهيم بن جعفر المعروف بالهمدانى ؛ ولم يكن لحق به إلا في ذلك الوقت ، وأتاه يكتب فقرأها ، فلما صلى العشاء الآخرة ، أتاه إبراهيم ، فقال له : ليس الرأي لك إتيان المدار ، قال : فما الرأي ؟ قال : ترجع ، فقد بایع لك أهل عبادان و میان رودان و سليمان ، و خلفت جمعاً من البلالية بفوهة القندل وأبرسان يتظرونك ، فلما سمع السودان ذلك من قول إبراهيم مع ما كان رميس عرض عليه في ذلك اليوم خافوا أن يكون احتال عليهم ليردّهم إلى موالיהם ، فهرب بعضهم ، و اضطرب الباكون ، فجاءه محمد بن سلم فأعلمه اضطرابهم ، و هرب من هرب منهم ، فأمر بجمعهم في ليلته تلك ، و دعا مصلحاً ، و ميّز الزنج من الفراتية ، ثم أمر مصلحاً أن يعلمهم أنه لا يردّهم ولا أحداً منهم إلى موالיהם ، و حلف لهم على ذلك بالأيمان الغلاظ ، وقال : ليحطّ بي منكم جماعة ، فإن أحسّوا مني غدرًا فتکوا بي^(١) ثم جمع الباقيين ؛ وهم الفراتية والقرمطيون والنوبة وغيرهم من يفصح بلسان العرب ، فحلف لهم على مثل ذلك ، وضمن ووثق من نفسه ، وأعلمه أنه لم يخرج لعرض من أعراض الدنيا ، وما خرج إلا غضباً لله ، ولما رأى ما عليه الناس من الفساد في الدين ، وقال : ها أنا ذا معكم في كل حرب ، أشرككم فيها بيدي ، و أخاطر معكم فيها بنفسى ، فرضوا ودعوا له بخير ، فلما أسحر أمر غلاماً من الشورجيّين يكتنى أبا منارة ، ففتح في بوق لهم كانوا يجتمعون بصوته ، وسار حتى أتى السّيّب راجعاً ، فألفى هناك الحميري و رميساً و صاحب ابن أبي عون ، فوجه إليهم مشرقاً بر رسالة أخفاها ، فرجع إليه بجوابها ، فصار صاحب الزنج إلى النهر ، فتقدّم

(١) انظر المتنظم (٨٨/٩).

صاحب محمد بن أبي عون ، فسلم عليه ، وقال له : لم يكن جزاء صاحبنا منك أن تفسد عليه عمله ، وقد كان منه إليك ما قد علمت بواسطه ، فقال : لم آت لقتالكم ، فقل لأصحابك يوسعون لي في الطريق ، حتى أجوازكم .

فخرج من النهر إلى دجلة ، ولم يلبث أن جاء الجندي ومعهم أهل الجعفرية في السلاح الشاك ؛ فتقدّم المكتنّي بأبي يعقوب المعروف بجربان ، فقال لهم : يا أهل الجعفرية ، أما علمتم ما أعطينا من الأيمان المغلظة ألا تقاتلونا ولا تعينوا علينا أحداً ، وأن تعينونا متى اجتاز بكم أحد منا ! فارتفعت أصواتهم بالتعير والضجيج ، ورموه بالحجارة والشتاب ، وكان هناك موضع فيه رُهاء ثلاثمائة زرنيق ، فأمر بأخذها فأخذت ، وقرن بعضها بعض حتى صارت كالشاشات ، وطرحت إلى الماء ، وركبها المقاتلة فلحقوا القوم ، فقال بعضهم : عبر عليّ بن أبيان يومئذ قبل أخذ الرزآنق سباحة ، ثم جمعت الرزآنق ، وعبر الزنج ، وقد زالوا عن شاطئ النهر فوضعوا فيهم السيف ، فقتل منهم خلق كثير ، وأتي منهم بأسرى ، فوبخهم وخلي سبيلهم ، ووجه غالماً من غلمان الشورجيّين يقال له : سالم يعرف بالزعاوي ، إلى منْ كان دخل الجعفرية من أصحابه ، فردهم ، ونادي : ألا برئت الذمة من انتهب شيئاً من هذه القرية ، أو سبى منها أحداً ، فمن فعل ذلك فقد حلّت به العقوبة الموجعة .

ثم عبر من غربيّ السَّيِّب إلى شرقه ، واجتمع أصحابه الرؤساء حتى إذا جاوز القرية بمقدار غلُوة سمع النعير من ورائه في بطن النهر ، فتراجع الزنج ، فإذا رميس والحميري وصاحب ابن أبي عون قد وافوه لما بلغهم حال أهل الجعفرية ، فألقى السودان أنفسهم عليهم ، فأخذوا منهم أربع سميريات بملأ حيّها ومقاتلتها ، فأخرجوا السميريات بمن فيها ، ودعا بالمقاتلة فسألهم ، فأخبروه أن رميساً وصاحب ابن أبي عون لم يدعاهم حتى حملاهم على المصير إليه ، وأن أهل القرى حرّضوا رميساً وضمّنوا له ولصاحب ابن أبي عون مالاً جليلاً ، وضمن له الشورجيّون على ردّ غلمانهم ؛ لكلّ غلام خمسة دنانير ، فسألهم عن الغلام المعروف بالنميري المأسور والمعرف بالحجام ، فقالوا : أما النميري فأسير في أيديهم ، وأما الحجام فإنّ أهل الناحية ذكروا أنه كان يتلصّص في ناحيتهم ، ويسفك الدماء ، فضررت عنقه ، وصلب على نهر أبي الأسد ، فلما عرف خبرَهم

أمر بضرب أعناقهم ، فضررت إلا رجلاً يقال له : محمد بن الحسن البغدادي ، فإنه حلف له أنه جاء في الأمان ، لم يُشهر عليه سيفاً ، ولا نصب له حرباً ، فأطلقه ، وحمل الرؤوس والأعلام على البغال ، وأمر بإحراق سفنهم فأحرقت.

وسار حتى أتى نهر فريد ، فانتهى إلى نهر يعرف بالحسن بن محمد القاضي وعليه مسناة تعرّض بين الجعفريّة ورُستاق القُفص ، فجاءه قوم من أهل القرية منبني عجل ، فعرضوا عليه أنفسهم ، وبذلوا له ما لديهم ، فجزاهم خيراً ، وأمر بترك العرض لهم.

وسر حتى أتى نهراً يعرف بياقنا ، فنزل خارجاً من القرية التي على النهر وهي قرية تشرع على دُجَيل ، فأتاه أهل الكوخ ، فسلّموا عليه ، ودعوا له بخير ، وأمدوه من الإنزال بما أراد ، وجاءه رجل يهودي خيري يقال له ماندوبيه فقبل يده ، وسجد له - زعم - شكرأ لرؤيته إيه ، ثم سأله عن مسائل كثيرة فأجابه عنها ، فزعم أنه يجد صفتة في التوراة ، وأنه يرى القتال معه ، وسأله عن علامات في بدن ذكر أنه عرفها فيه ، فأقام معه ليلته تلك يحادثه^(١).

وكان إذا نزل اعزّل عسكره بأصحابه الستة ، ولم يكن يومئذ يُذكر النبيذ على أحد من أصحابه ، وكان يتقدّم إلى محمد بن سلم في حفظ عسكره ؛ فلما كان في تلك الليلة أتاه في آخر الليل رجلٌ من أهل الكوخ ، فأعلمه أن رميساً وأهل المفتح والقوى التي تتصل بها وعانياً وأهل الأبلة قد أتواه ومعه الدبّيلا بالسلاح الشاك ، وأن الحميري في جمع من أهل الفرات ، وقد صاروا في تلك الليلة إلى قنطرة نهر ميمون ، فقطعوها لمنعه العبور ، فلما أصبح أمر ، فصيح بالزنج ، فعبروا دُجِيلاً ، وأخذ في مؤخر الكوخ حتى وافى نهر ميمون ، فوجد القنطرة مقطوعة ، والناس في شرق النهر والسميريات في بطنه ، والدبّيلا في السميريات ، وأهل القرى في الجريبات والمجونحات ؛ فأمر أصحابه بالإمساك عنهم ، وأن يرحلوا عن النهر توقياً للنّشّاب ، ورجع فقد على مئة ذراع من القرية ؛ فلما لم يروا أحداً يقاتلهم خرج منهم قوم ليعرفوا الخبر ، وقد كان أمر جماعة من أصحابه ، فأتوا القرية ، فكمنوا فيها مخفين لأشخاصهم ؛ فلما أحسوا خروج من خرج منهم ،

شدوا عليهم ، فأسرروا اثنين وعشرين رجلاً ، وسعوا نحو الباقين ، فقتلوا منهم جماعة على شاطئ النهر ، ورجعوا إليه بالرؤوس والأسرى ، فأمر بضرب أعنقهم بعد مناظرة جرت بينه وبينهم ، وأمر بالاحتفاظ بالرؤوس ، وأقام إلى نصف النهار ؛ وهو يسمع أصواتهم ، فأتاه رجل من أهل الbadية مستأمناً ، فسأله عن غور النهر ؛ فأعلمه أنه يعرف موضعاً منه يُخاض ، وأعلمه أن القوم على معاودته بجمعهم يقاتلونه ؛ فنهض مع الرجل حتى أتى به موضعًا على مقدار ميل من المحمدية ، فخاض النهر بين يديه ، وخاض الناس خلفه ، وحمله ناصح المعروف بالرمليّ ، وعبر بالدواب ؛ فلما صار في شرق النهر كرّ راجعًا نحو نهر ميمون ؛ حتى أتى المسجد فنزل فيه ، وأمر بالرؤوس فنصبت ، وأقام يومه ، وانحدر جيش رميس بجمعه في بطن دُجَيل ، فأقاموا بموضع يعرف بأقصى يازاء النهر المعروف ببرد الخيار ، ووجه طليعة فرجع إليه ، فأخبره بمقام القوم هناك ، فوجّه من ساعته ألفَ رجل ، فأقاموا بسبحة هناك على فوهة هذا النهر ، وقال لهم : إن أتوكم إلى المغرب ؟ وإنما فأعلموني ، وكتب كتاباً إلى عقيل ، يذكره فيه أنه قد بايعه في جماعة من أهل الأبلة ، وكتب إلى رميس يذكّره حليفه له بالسّبب أنه لا يقاتلها ؛ وأنه يُنهي أخبار السلطان إليه ، ووجه بالكتابين إليهما مع بعض الأكرة بعد أن أحلفه أن يوصلهما .

وسار من نهر ميمون يريد السبحة التي كان هيأ فيها طليعة ؛ فلما صار إلى القادسية والشيفيا ، سمع هناك نعيراً ، ورأى رمياً ؛ وكان إذا سار يتنكب القرى ؛ فلم يدخلها ، وأمر محمد بن سلم أن يصير إلى الشيفيا في جماعة ؛ فيسأل أهلها أن يسلّموا إليه قاتل الرجل من أصحابه في ممرّه كان بهم ؛ فرجع إليه ، فأخبره أنهم زعموا : أنه لا طاقة لهم بذلك الرجل لولائه من الهاشميين ، ومنعهم له ؛ فصاح بالغلمان ، وأمرهم بانتهاب القرىتين ، فاتهبهنّا مالاً عظيماً ؛ عيناً وورقاً وجوهاً وحليتاً وأواني ذهب وفضة ، وسبى منها يومئذ غلماناً ونسوة ؛ وذلك أول سبي سبي ، ووقفوا على دار فيها أربعة عشر غلاماً من غلمان الشورج ، قد سدّ عليهم باب ؛ فأخذهم وأتى بمولى الهاشميين القاتل صاحبه فأمر محمد بن سلم بضرب عنقه ، ففعل ذلك ، وخرج من القرىتين في وقت العصر ، فنزل السبحة المعروفة ببرد الخيار .

فلما كان في وقت المغرب أتاه أحد أصحابه الستة ، فأعلمه أن أصحابه ، قد

شغلو بخمور وأنبذة وجدوها في القادسية؛ فصار و معه محمد بن سلم ويحيى بن محمد إليهم ، فأعلمهم أن ذلك مما لا يجوز لهم ، وحرّم النبي في ذلك اليوم عليهم ، وقال لهم : إنكم تلاقون جيوشاً تقاتلونهم ، فدعوا شرب النبيذ والتشاغل به ، فأجابوه إلى ذلك ؛ فلما أصبح جاءه غلام من السودان ، يقال له : قاقویه ، فأخبره أن أصحاب رُمیس قد صاروا إلى شرقی دُجیل ، وخرجوا إلى الشطّ ، فدعا عليّ بن أبیان ، فتقدم إليه أن يمضي بالزنج ، فيوقع بهم ؛ ودعا مشرقاً ، فأخذ منه إصطرلاباً ، فقسّ به الشمس ، ونظر في الوقت ، ثم عبر وعبر الناس خلفه القنطرة التي على النهر المعروف بيراد الخيار ؛ فلما صاروا في شرقیه ، تلاحق الناس بعليّ بن أبیان ، فوجدوا أصحاب رُمیس وأصحاب عَقِيل على الشطّ ، والدَّبِيلا في السفن يرمون بالثواب ، فحملوا عليهم ؛ فقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، وهبّت ريح من غربی دُجیل ، فحملت السفن ، فأدنتها من الشطّ ، فنزل السودان إليها ، فقتلوا مَنْ وجدوا فيها ، وانحاز رُمیس ومنْ كان معه إلى نهر الدير على طريق أقشی ، وترك سفنه لم يحرّكها ليظنّ أنه مقيم ، وخرج عَقِيل وصاحب ابن أبي عون إلى دجلة مبادرین ؛ لا يلويان على شيء.

وأمر صاحب الزنج بإخراج ما في السفن التي فيها الدَّبِيلا ؛ وكانت مقرونةً بعضها ببعض ، فنزل فيها قاقویه ليفتشها ، فوجد رجلاً من الدَّبِيلا ، فحاول إخراجه فامتنع عليه ، وأهوى إليه بسرّي كان معه ؛ فضربه ضربة على ساعد ، فقطع بها عرقاً من عروقه ، وضربه ضربة على رجله ، فقطعت عصبة من عصبه ، وأهوى له قاقویه ، فضربه ضربة على هامته فسقط ، فأخذ بشعره ، واحتز رأسه ؛ فأتى به صاحب الزنج ، فأمر له بدينار خفيف ، وأمر يحيى بن محمد أن يقوّده على مئة من السودان ، ثم سار صاحب الزنج إلى قرية تعرف بالمهليّ تقابل قيّاران ، ورجع السودان الذين كانوا اتبعوا عَقِيلًا وخليفة ابن أبي عون ، وقد أخذ سميرية فيها ملاحان ؛ فسألهم عن الخبر ، فقالوا : اتبعناهم فطرحوا أنفسهم إلى الشطّ ، وتركوا هذه السميرية ، فجئنا بها.

فسأل الملاّحين ، فأخبراه أن عَقِيلًا حملهما على اتباعه قهراً ، وحبس نساءهما حتى اتبعاه ، وفعل ذلك بجميع مَنْ تبعه من الملاّحين ؛ فسألهما عن سبب مجيء الدَّبِيلا ، فقالا : إن عَقِيلًا وعدهم مالاً ؛ فتبعلوه ؛ فسألهما عن السفن

الواقفة بأقصى ، فقلالا : هذه سفن رُميس وقد تركها ، وهرب في أول النهار ، فرجع حتى إذا حاذها؛ أمر السودان فعبروا فأتوا بها؛ فأنهبهم ما كان فيها ، وأمر بها فأحرقت ، ثم صار إلى القرية المعروفة بالمهلّبية اسمها تنغت ، فنزل قريباً منها ، وأمر بانتهابها وإحراقها؛ فانتهبت وأحرقت ، وسار على نهر الماديان ، فوجد فيها تموراً ، فأمر بإحراقها.

وكان لصاحب الزنج بعد ذلك أمور من عيشه هو وأصحابه في تلك الناحية تركنا ذكرها ، إذ لم تكن عظيمة ؛ وإن كان كلّ أموره كانت عظيمة.

ثم كان من عظيم ما كان له من الواقع مع أصحاب السلطان وقعة كانت مع رجل من الأتراك يكى أبا هلال في سوق الرّيان؛ ذكر عن قائد من قواده يقال له ريحان ، أن هذا التركي وافاهم في هذا السوق ، ومعه زهاء أربعة آلاف رجل أو يزيدون ، وفي مقدمته قوم عليهم ثياب مشهرة وأعلام وطبول ، وأن السودان حملوا عليه حملة صادقة ، وأن بعض السودان ألقى صاحب علم القوم فضريه بخشبين كانتا معه في يده فصرعه ، وانهزم القوم ، وتلاحق السودان ، فقتلوا من أصحاب أبي هلال زهاء ألف وخمسين ، وإن بعضهم اتبع أبي هلال فمات بنفسه على دابة عُرْيَى ، وحال بينهم وبين من أفلت ظلمة الليل ؛ وأنه لما أصبح ؛ أمر بتتبعهم ، ففعلوا ذلك فجاؤوا بأسرى ورؤوس فقتل الأسرى كلهم . ثم كانت له وقعة أخرى بعد هذه الواقعة مع أصحاب السلطان؛ هزمهم فيها ، وظفر بهم ، وكان مبدأ الأمر في ذلك - فيما ذكر عن قائد لصاحب الزنج من السودان يقال له ريحان - أنه قال : لما كان في بعض الليل من ليالي هذه السنة التي ذكرنا أنه ظهر فيها ، سمع نباح كلب في أبواب تعرف بعمرو بن مسدة ، فأمر بتعرف الموضع الذي يأتي منه النباح ، فوجّه لذلك رجلاً من أصحابه ، ثم رجع فأخبره أنه لم ير شيئاً؛ وعاد النباح ، قال ريحان : فدعاني ، فقال لي : صر إلى موضع هذا الكلب النابح ، فإنه إنما نبح شخصاً يراه ، فصرت فإذا أنا بالكلب على المستأة ، ولم أر شيئاً ، فأشرفت فإذا أنا برجل قاعد في درجات هنالك ، فكلّمته ، فلما سمعني أفصح بالعربية ، كلامي ، فقال : أنا سيران بن عفو الله ، أتيت أصحابكم بكتاب من شيعته بالبصرة ، وكان سيران هذا أحد منْ صحب صاحب الزنج أيام مقامه بالبصرة ، فأخذته فأتيته به ، فقرأ الكتب التي كانت معه ، وسأل عن الزيني وعن

عَدَّةٌ مَنْ كَانَ مَعَهُ ، فَقَالَ: إِنَّ الرَّبِينِيَّ قَدْ أَعْدَّ لَكَ الْخَوْلَ وَالْمَطْرُوْعَةَ وَالْبَلَالِيَّةَ وَالسَّعْدِيَّةَ؛ وَهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ ، وَهُوَ عَلَى لَقَائِكَ بِهِمْ بَيَانٌ ، فَقَالَ لَهُ: إِخْفُضْ صَوْتَكَ ، لَثَلَا يَرْتَاعُ الْغَلْمَانُ بِخُبْرِكَ ، وَسَأَلَهُ عَنِ الدِّيْنِ يَقُولُ هَذَا الْجَيْشُ ، فَقَالَ: قَدْ نُدِبَ لِذَلِكَ الْمَعْرُوفَ بِأَبِي مَنْصُورٍ ، وَهُوَ أَحَدُ مَوَالِي الْهَاشَمِيِّينَ ، قَالَ لَهُ: أَفَرَأَيْتَ جَمِيعَهُمْ؟ قَالَ: نَعَمْ؛ وَقَدْ أَعْدُوا الشُّرُطَ لِكَتْفِ مَنْ ظَفَرَوْا بِهِ مِنْ السُّودَانَ ، فَأَمْرَهُ بِالْاِنْصَارَفِ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي يَكُونُ فِيهِ مُقَامَهُ ، فَانْصَرَفَ سِيرَانٌ إِلَى عَلَيَّ بْنِ أَبَيْنَ وَمُحَمَّدَ بْنِ سَلَمَ وَيَحْيَى بْنِ مُحَمَّدٍ ، فَجَعَلَ يَحْدِثُهُمْ إِلَى أَنْ أَسْفَرَ الصُّبُحَ ، ثُمَّ سَارَ صَاحِبُ الرَّزْنَجِ إِلَى أَنْ أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ ، فَلَمَّا انتَهَى إِلَى مُؤَخَّرِ تُرْسَى وَبِرْسُونَا وَسِنَدَادَانَ بَيَانٌ ، عَرَضَ لَهُ قَوْمٌ بِرِيدُونَ قَتَالَهُ ، فَأَمْرَهُ بْنِ أَبَيْنَ فَأَتَاهُمْ فَهَزَمُوهُمْ ، وَكَانُ مَعَهُمْ مِئَةُ أَسْوَدٍ ، فَظَفَرُ بِهِمْ ، قَالَ رِيحَانٌ: فَسِمعَتُهُ يَقُولُ لِأَصْحَابِهِ: مِنْ أَمَارَاتِ تَمَامِ أَمْرَكُمْ مَا تَرَوْنَ مِنْ إِتِيَانِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ بِعَيْدِهِمْ فَيُسَلِّمُونَهُمْ إِلَيْكُمْ ، فَيُزِيدُ اللَّهُ فِي عَدْدِكُمْ ثُمَّ سَارَ حَتَّى صَارَ إِلَى بَيَانٍ.

قَالَ رِيحَانٌ: فَوْجَهْنِي وَجَمَاعَةُ مِنْ أَصْحَابِهِ إِلَى الْحَجَرِ لِتَطْلُبِ الْكَارَوَانِ وَعُسْكَرِهِمْ فِي طَرْفِ النَّخْلِ فِي الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ مِنْ بَيَانٍ ، فَتَوْجَهَنَا إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي أَمْرَنَا بِالْمَصْبِرِ إِلَيْهِ ، فَأَفْلَغَنَا هُنَاكَ أَلْفَانِيَّ وَتَسْعِمَةً سَفِينَةً ، وَمَعَهَا قَوْمٌ مِنَ الْمَطْرَوْعَةِ قَدْ احْتَبَسُوهَا ، فَلَمَّا رَأَوْنَا خَلْوَةَ السُّفَنِ ، وَعَبَرَوْا سُلْبَانَ عَرَايَا مَاضِينَ نَحْوَ جُوبِكَ ، وَسَقَنَا السُّفَنَ حَتَّى وَافَيْنَا بِهَا ، فَلَمَّا أَتَيْنَا بِهَا أَمْرَ فُبِسْطَ لَهُ عَلَى نَشْرَنِ منَ الْأَرْضِ وَقَدَّ ، وَكَانَ فِي السُّفَنِ قَوْمٌ حَجَاجٌ أَرَادُوا سُلُوكَ طَرِيقِ الْبَصَرَةِ؛ فَنَاظَرُهُمْ بِقَيْمَةِ يَوْمِهِ إِلَى وَقْتِ غَرَوبِ الشَّمْسِ ، فَجَعَلُوْا يَصْدُقُونَهُ فِي جَمِيعِ قَوْلِهِ ، وَقَالُوا: لَوْ كَانَ مَعَنَا فَضْلٌ نَفْقَةٌ لِأَقْمَنَا مَعَكَ ، فَرَدَهُمْ إِلَى سَفَنِهِمْ؛ فَلَمَّا أَصْبَحُوا أَخْرَجُهُمْ ، فَأَحَلَفُهُمْ أَلَّا يُخْبِرُوا أَحَدًا بَعْدَ أَصْحَابِهِ ، وَأَنْ يَقْلِلُوا أَمْرَهُ عَنْدَ مَنْ سَأَلُوهُمْ عَنْهُ ، وَعَرَضُوا عَلَيْهِ بِسَاطًا كَانَ مَعَهُمْ ، فَأَبْدَلَهُ بِبِسَاطٍ كَانَ مَعَهُ ، وَاسْتَحْلَفُهُمْ أَنَّهُ لَا مَالَ لِلْسُّلْطَانِ مَعَهُمْ وَلَا تَجَارَةَ ، فَقَالُوا: مَعَنَا رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ السُّلْطَانِ ، فَأَمْرَ بِإِحْضَارِهِ ، فَأَحْضَرَ ، فَحَلَفَ الرَّجُلُ أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَصْحَابِ السُّلْطَانِ ، وَأَنَّهُ رَجُلٌ مَعْنَى نُقْلُ أَرَادَ بِهِ الْبَصَرَةَ ، فَأَحْضَرَ صَاحِبَ السَّفِينَةِ الَّتِي وُجِدَ فِيهَا ، فَحَلَفَ لَهُ أَنَّهُ إِنَّمَا اتَّجَرَ فِيهِ ، فَحَمَلَهُ فَخَلَى سَبِيلِهِ ، وَأَطْلَقَ الْحَجَاجَ فَذَهَبُوا ، وَشَرَعَ أَهْلُ سَلِيمَانَانَ عَلَى بَيَانِ بَيَانٍ فِي شَرْقِيَّ النَّهَرِ؛ فَكَلَمُهُمْ أَصْحَابُهُ

وكان فيهم حسين الصيدناني الذي كان صحبه بالبصرة؛ وهو أحد الأربعة الذين ظهروا بمسجد عباد ، فلحق به يومئذ؛ فقال له: لِمَ أبطأْتَ عنِي إِلَى هَذِهِ الْغَايَةِ؟ قال: كنتُ مختفياً ، فلما خرج هذا الجيش دخلتُ فِي سواده ، قال: فَأَخْبِرْنِي عَنِ هَذَا الْجَيْشِ ، مَا هُمْ؟ وَمَا عَدَّهُ أَصْحَابُهِ؟ قال: خَرَجَ مِنَ الْخَوَلِ بِحُضُورِي أَلْفَ وَمِئَتَيْ مُقَاتِلٍ ، وَمِنْ أَصْحَابِ الرِّزْنِيَّيِّ أَلْفَ ، وَمِنَ الْبَلَالِيَّةِ وَالسَّعْدِيَّةِ زَهَاءَ أَلْفَينِ ، وَالْفَرَسَانَ مائَةَ فَارِسٍ ، وَلَمَا صَارُوا بِالْأُبْلَةِ وَقَعَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَهْلِهَا اخْتِلَافٌ؛ حَتَّى تَلَاقَنَا ، وَشَتَّمَ الْخَوَلُ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَوْنَ ، وَخَلْفُهُمْ بِشَاطِئِ عُثْمَانَ وَأَحْسَبَهُمْ مَصْبِحِيكَ فِي غَدٍ ، قال: فَكَيْفَ يَرِيدُونَ أَنْ يَفْعُلُوا إِذَا أَتَوْنَا؟ قال: هُمْ عَلَى إِدْخَالِ مِنْ سَنَدَادَانَ بَيَانَ ، وَيَأْتِيَكَ رَجَالُهُمْ مِنْ جَنْبِ النَّهَرِ .

فَلَمَّا أَصْبَحَ وَجْهُ طَلِيعَةَ لِيَعْرِفَ الْخَبَرَ ، وَاخْتَارَهُ شِيخًا ضَعِيفًا زَمِنًا لَتَلَا يُعْرَضُ لَهُ؛ فَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيْهِ طَلِيعَتُهُ ، فَلَمَّا أَبْطَأَ عَنْهُ وَجْهَ فَتْحَ الْحِجَامَ وَمَعَهُ ثَلَاثَةِ رَجُلٍ ، وَوَجْهَ يَحْيَى بْنِ مُحَمَّدٍ سَنَدَادَانَ ، وَأَمْرَهُ أَنْ يَخْرُجَ فِي سُوَيَّانَ ، فَجَاءَهُ فَتْحٌ فَأَخْبَرَهُ أَنَّ الْقَوْمَ مُقْبِلُونَ إِلَيْهِ فِي جَمْعٍ كَثِيرٍ ، وَأَنَّهُمْ قَدْ أَخْذُوا جَنِيَ النَّهَرِ؛ فَسَأَلَ عَنِ الْمَدَّ ، فَقَيْلٌ: لَمْ يَأْتِ بَعْدُ ، فَقَالَ: لَمْ تَدْخُلْ خَيْلَهُمْ بَعْدُ ، وَأَمْرَ مُحَمَّدَ بْنَ سَلْمَ وَعَلَيَّ بْنَ أَبَيَّ أَنْ يَقْعُدُو لَهُمْ فِي النَّخْلِ ، وَقَعْدَهُ هُوَ عَلَى جَبَلٍ مَشْرُفٍ عَلَيْهِمْ؛ فَلَمْ يَلْبِسْ أَنْ طَلَعَتِ الْأَعْلَامُ وَالرِّجَالُ حَتَّى صَارُوا إِلَى الْأَرْضِ الْمَعْرُوفَةِ بِأَبَيِ الْعَلَاءِ الْبَلْخِيِّ؛ وَهِيَ عَطْفَةُ عَلَى دُبَيْرَانَ؛ فَأَمْرَ الزَّنْجَ فَكَبَرُوا ثُمَّ حَمَلُوا عَلَيْهِمْ فَوَافَوْهُمْ دُبَيْرَانَ ، ثُمَّ حَمَلُوا الْخَوَلَ يَقْدُمُهُمْ أَبُو الْعَبَاسِ بْنَ أَيْمَنَ الْمَعْرُوفَ بِأَبَيِ الْكَبَاشِ وَبِشِيرِ الْقَيْسِيِّ ، فَتَرَاجَعَ الزَّنْجُ حَتَّى بَلَغُوا الْجَبَلَ الَّذِي هُوَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ رَجَعُوا عَلَيْهِمْ؛ فَثَبَّتُو لَهُمْ ، وَحَمَلَ أَبُو الْكَبَاشَ عَلَى فَتْحِ الْحِجَامِ فَقَتَلَهُ ، وَأَدْرَكَ غَلَامًا يُقالُ لَهُ دِينَارٌ مِنَ السُّودَانِ فَضَرَبَهُ ضَرِبَاتٍ ، ثُمَّ حَمَلَ السُّودَانَ عَلَيْهِمْ ، فَوَافَوْهُمْ شَاطِئَ بَيَانَ ، وَأَخْدَتُهُمْ السَّيْفَ .

قَالَ رِيحَانٌ: فَعَهْدِي بِمُحَمَّدٍ بْنِ سَلْمٍ وَقَدْ ضَرَبَ أَبَا الْكَبَاشِ ، فَأَلْقَى نَفْسَهُ فِي الطِّينِ ، فَلَحِقَهُ بَعْضُ الزَّنْجِ ، فَاحْتَرَرَ رَأْسَهُ ، وَأَمَّا عَلَيَّ بْنُ أَبَيَّ؛ فَإِنَّهُ كَانَ يَنْتَحِلُ قَتْلَ أَبِي الْكَبَاشِ وَبِشِيرِ الْقَيْسِيِّ ، وَكَانَ يَتَحَدَّثُ عَنِ ذَلِكَ الْيَوْمِ فَيَقُولُ: كَانَ أَوَّلَ مَنْ لَقِينِي بِشِيرِ الْقَيْسِيِّ ، فَضَرَبَنِي وَضَرَبَتُهُ ، فَوَقَعَتْ ضَرِبَتِهِ فِي تُرْسِيِّ ، وَوَقَعَتْ ضَرِبَتِي فِي صَدْرِهِ وَبِطْنِهِ؛ فَانْتَظَمْتُ جَوَانِحَ صَدْرِهِ ، وَفَرِيَتُ بَطْنَهُ ، وَسَقَطَ

فأتيه ، فاحتزرت رأسه ، ولقيني أبو الكباش ، فشُغل بي ، وأتاه بعض السودان من ورائه فضربه بعصاً كانت في يده على ساقيه؛ فكسرهما فسقط ، فأتيته ولا امتناع به ، فقتله واحتزرت رأسه؛ فأتيت بالرأسين صاحب الزَّنج.

قال محمد بن الحسن بن سهل: سمعت صاحب الزَّنج يخبر أن علياً أتاها برأس أبي الكباش ورأس بشير القيسي - قال: ولا أعرفهما - فقال: كان هذان يقدمان القوم ، فقتلتهما فانهزم أصحابهما لما رأوا مصرعهما.

قال ريحان - فيما ذكر عنه: وانهزم الناس فذهبوا كلّ مذهب ، واتّباعهم السودان إلى نهر بيان ، وقد جَرَ النهر ، فلما وافوه انغمسو في الوحل ، فقتل أكثرهم ، قال: وجعل السودان يمرون بصالحِهم ديار الأسود الذي كان أبو الكباش ضربه ، وهو جريح ملقى في حسبيونه من الخول فيضربونه بالمناجل حتى أثخن ، ومَرَّ به من عرفة ، فحمل إلى صاحب الزَّنج ، فأمر بمداواة كلّه.

قال ريحان: فلما صار القوم إلى فُوهة نهر بيان ، وغرق مَنْ غرق ، وأخذت السفن التي كانت فيها الدواب ، إذا ملَّح يلوح من سفينة ، فأتيناه فقال: ادخلوا النهر المعروف بشريكان ، فإنّ لهم كميناً هناك ، فدخل يحيى بن محمد وعلي بن بيان ، فأخذ يحيى في غربى النهر ، وسلك عليّ بن أبيان في شرقية؛ فإذا كمين في زهاء ألف من المغاربة ، ومعهم حسين الصَّيدانى أسيراً قال: فلما رأينا شدوا على الحسين؛ فقطعوه قطعاً ، ثم أقبلوا علينا ، ومدوا رماحهم ، فقاتلوا إلى صلاة الظهر ، ثم أكب السودان عليهم فقتلواهم أجمعين ، وحروفاً سلاحهم؛ ورجع السودان إلى عسكرهم؛ فوجدوا صاحبهم قاعداً على شاطئ بيان ، وقد أتى بنتيف وثلاثين علماً وزهاء ألف رأس ، فيها رؤوس أنجاد الخَوَل وأبطالهم؛ ولم يلبث أن أتَوه بزهير يومئذ.

قال ريحان: فلم أعرفه ، فأتى يحيى وهو بين يديه ، فعرفه فقال لي: هذا زهير الخَوَل؛ فما استبقاؤك إياه! فأمر به فضُربت عنقه ، وأقام صاحب الزَّنج يومه وليلته ، فلما أصبح وجه طليعة إلى شاطئ دجلة ، فأتاه طليعته ، فأعلمه أن بدجلة شَذَّاتَين لاصقتين بالجزيرة ، والجزيرة يومئذ على فُوهة القنَدل ، فردّ الطليعة بعد العصر إلى دجلة ليعرف الخبر؛ فلما كان وقت المغرب أتاه المعروف بأبي العباس خال ابنه الأكبر ، ومعه رجل من الجندي قال له عمران ، وهو زَوْج أم

أبى العباس هذا ، فصفّ لهما أصحابه ، ودعا بهما؛ فأدّى إليه عمران رسالة ابن أبي عون ، وسأله أن يعبر بياناً ليفارق عمله ، وأعلمته أنه قد نحى الشذا عن طريقه ، فأمر بأخذ السفن التي تخترق بياناً من جبّى ، فصار أصحابه إلى الحجر ، فوجدوا في سُلْبان مئي سفينة ، فيها أعدال دقيق ، فأخذت ، ووُجد فيها أكسية وبركانات ، وفيها عشرة من الزَّنج ، وأمر الناس بركوب السفن ، فلما جاء المدّ وذلك في وقت المغرب - عبر وعبر أصحابه حيال فوهة القنديل ، واشتدّت الريح ، فانقطع عنه من أصحابه المكثي بأبي دلف ، وكان معه السفن التي فيها الدقيق؛ فلما أصبح وفاه أبو دلف فأخبره أن الريح حملته إلى حسک عمران ، وأن أهل القرية همّوا به؛ وبما كان معه ، فدفعهم عن ذلك ، وأتاه من السودان خمسون رجلاً ، فسار عند موافاة السفن والسودان إياه حتى دخل القنديل ، فصار إلى قرية للمعلّى بن أيوب ، فنزلها ، وانبث أصحابه إلى دبّا ، فوجدوا هناك ثلثمئة رجل من الزَّنج ، فأتوه بهم ، ووجدوا وكيلًا للمعلّى بن أيوب ، فطالبه بمال ، فقال: اعبر إلى برسان ، فآتاك بالمال ، فأطلقه ، فذهب ولم يُعُدْ إليه؛ فلما أبطأ عليه أمر بانتهاب القرية فانهبت.

قال ريحان - فيما ذكر عنه: فلقد رأيت صاحب الزَّنج يومئذ ينتهب معنا ، ولقد وقعت يدي ويده على جبة صوف مُضَربة؛ فصار بعضها في يده وبعضها في يدي ، وجعل يجاذبني عليها حتى تركتها له ، ثم سار حتى صار إلى مسلحة الزيني على شاطئ القنديل في غربي النهر ، فثبت له القوم الذين كانوا في المسلحة: وهم يردون أنهم يطيقونه ، فعجزوا عنه؛ فقتلوا أجمعين؛ وكانت زهاء مئتين ، وبات ليلته في القصر ، ثم غدا في وقت المدّ قاصداً إلى سبخة القنديل ، واكتنف أصحابه حافتي النهر ، حتى وافوا مُنْدُران ، فدخل أصحابه القرية فانهبوها ، ووجدوا فيها جمّاً من الزَّنج ، فأتوه بهم ، ففرقهم على قواده ، ثم صار إلى مؤخر القنديل ، فأدخل السفن النهر المعروف بالحسني النافذ إلى النهر المعروف بالصالحي؛ وهو نهر يؤدي إلى دبّا ، فأقام بسبخة هناك.

فذكر عن بعض أصحابه أنه قال: هاهنا قود القواد؛ وأنكر أن يكون قود قبل ذلك ، وتفرق أصحابه في الأنهر حتى صاروا إلى مربعة دبّا ، فوجدوا رجالاً من التمارين من أهل كلاه البصرة ، يقال له: محمد بن جعفر المُريدي ، فأتوه به ،

فسلم عليه وعرفه ، وسأله عن البلالية ، فقال: إنما أتيتك برسالتهم ، فلقيني السودان ، فأتوك بي ، وهم يسألونك شرطًا إذا أعطيتهم إياها سمعوا لك وأطاعوا ، فأعطاه ما سأله لهم ، وضمن القيام له بأمرهم؛ حتى يصيروا في حيّره ، ثم خلّى سبيله ، ووجه معه منْ صيره إلى الفياض ، ورجع عنه ، فأقام أربعة أيام ينتظره؛ فلم يأته ، فسار في اليوم الخامس وقد سرّح السفن التي كانت معه في النهر ، وأخذ هو على الظهر فيما بين نهر يقال له: الداوزداني والنهر المعروف بالحسني والنهر المعروف بالصالحي ، فلم يتعذّر حتى رأى خيلاً مقبلة من نحو نهر الأمير زهاء ستمئة فارس ، فأسرع أصحابه إلى النهر الداوزداني ، وكان الخيل في غربة ، فكلّموهم طويلاً ، وإذا هم قوم من الأعراب فيهم عترة بن حجنا ، وثمال ، فوجّه إليهم محمد بن سلم ، فكلّم ثمالاً وعترة ، وسألًا عن صاحب الزَّنج ، فقال: ها هو ذا ، فقال: نريد كلامه ، فأتاه فأخبره بقولهما ، وقال له: لو كلّمتَهما! فرجره ، وقال: إنّ هذا مكيدة ، وأمر السودان بقتالهم ، فعبرُوا النهر ، فعدلت الخيل عن السودان ، ورفعوا علمًا أسود ، وظهر سليمان أخو الزينبي - وكان معهم - ورجع أصحاب صاحب الزَّنج ، وانصرف القوم ، فقال لمحمد بن سلم: ألم أعلمك أنّهم إنما أرادوا كيدنا!

وسار حتى صار إلى دُبَا ، وانبث أصحابه في النخل ، فجاؤوا بالغنم والبقر ، فجعلوا يذبحون ويأكلون ، وأقام ليته هناك؛ فلما أصبح سار حتى دخل الأرخنج المعروف بالمطهري ، وهو أرخنج ينفذ إلى نهر الأمير المقابل للفياض من جانبيه ، فوجدوا هناك شهاب بن العلاء العنبري ، ومعه قوم من الحَوْل ، فأوقعوا به ، وأفلت شهاب في تُفِيرٍ من كان معه ، وقتل من أصحابه جماعة ، ولحق شهاب بالمنصف من الفياض ، ووجد أصحاب صاحب الزَّنج ستمئة غلام من غلمان الشورجيّين هناك ، فأخذوهم ، وقتلوا وكلاءهم ، وأتوه بهم ، ومضى حتى انتهى إلى قصر يعرف بالجوهري على السَّبَخَة المعروفة بالبرامكة ، فأقام فيه ليته تلك؛ ثم سار حيث أصبح حتى وافى السَّبَخَة التي تُشَرِّع على النهر المعروف بالديناري ، ومؤخرها يُفضي إلى النهر المعروف بالمحدث ، فأقام بها ، وجمع أصحابه ، وأمرهم ألا يعجلوا بالذهاب إلى البصرة حتى يأمرهم وتفرق أصحابه في انتهاب كلّ ما وجدوا وبات هناك ليته تلك.

ذكر الخبر عن مسیر صاحب الزنج بزنجه وجبيشه فيها إلى البصرة^(١)

ذكر: أنه سار من السَّبَخَة التي تشرع على النهر المعروف بالديناري ، ومؤخرها يفضي إلى النهر المعروف بالحدث ، بعدهما جمع بها أصحابه يريد البصرة؛ حتى إذا قابل النهر المعروف بالرياحي أتاه قوم من السودان ، فأعلمهوا: أنهم رأوا في الرياحي بارقة ، فلم يلبث إلا يسيراً حتى تناهى الزنج السلاح ، فأمر علي بن أبيان بالعبور إليهم ، وكان القوم في شرقى النهر المعروف بالديناري ، فعبر في زهاء ثلاثة آلاف ، وحبش صاحب الزنج عنده أصحابه ، وقال لعلي: إن احتجت إلى مزيد في الرجال فاستمدّني ، فلما مضى ، صاح الزنج: السلاح! لحركة رأوها من غير الجهة التي صار إليها علي ، فسأل عن الخبر ، فأخبر أنه قد أتاه قوم من ناحية القرية الشارعة ، على نهر حرب المعروفة بالجعفرية ، فوجّه محمد بن سلم إلى تلك الناحية.

فذكر عن صاحبه المعروف بريحان ، أنه قال: كنت فيمن توجه مع محمد ، وذلك في وقت صلاة الظهر ، فوافينا القوم بالجعفرية ، فشبّ القتال بيننا وبينهم إلى آخر وقت العصر ، ثم حمل السودان عليهم حملة صادقة ، فولوا منهزمين وقتل من الجنود والأعراب وأهل البصرة البلالية والسعدية خمسة رجال ، وكان فتح المعروف بغلام أبي شيث معهم يومئذ ، فولى هارباً ، فاتّبعه فیروز الكبير؛ فلما رأه جاداً في طلبه رماه بيضة كانت على رأسه؛ فلم يرجع عنه؛ فرماه بترسه فلم يرجع عنه ، فرماه بتنة حديد كان عليه فلم يرجع عنه؛ ووافي به نهر حرب ، فالقى فتح نفسه فيه ، فأفلت ورجل فیروز ، ومعه ما كان فتح ألقاه من سلاحه؛ حتى أتى به صاحب الزنج .

(١) هذه الأخبار استغرقت الصفحات (٤٣١ - ٤٣٧).

وفيها تفاصيل دقيقة عن سير المعارك التي خاضها صاحب الزنج وجيشه ضد قوات الخليفة العباسى حوالي مدينة البصرة ، وقد روى بعضها عن أصحابه وبعضها الآخر عن شهود عيان آخرين وانظر تعليقنا في نهاية أخبار صاحب الزنج ضمن أحداث سنة (٢٧٠ هـ) (٦٦٣/٦٠٤ خ).

قال محمد بن الحسن : قال شِبْلُ : حُكِيَ لَنَا : أَنَّ فَتْحًا طَرَفَ يَوْمَئِذٍ نَهَرَ حَرْبَ ،
قال : فَحَدَثَتْ هَذَا الْحَدِيثُ الْفَضْلُ بْنُ عَدَى الدَّارْمِيُّ ، فَقَالَ : أَنَا يَوْمَئِذٍ مَعَ السَّعْدِيَّةِ ، وَلَمْ يَكُنْ عَلَى فَتْحٍ تَّنُورَ حَدِيدَ ، وَمَا كَانَ عَلَيْهِ إِلَّا صُدْرَةً حَرِيرَ صَفَرَاءَ ،
وَلَقَدْ قَاتَلَ يَوْمَئِذٍ حَتَّى لَمْ يَبْقَ أَحَدٌ يَقَاتَلَ ، وَأَتَى نَهَرَ حَرْبَ ، فَوَثَبَهُ ، حَتَّى صَارَ إِلَى الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ مِنْهُ ، وَلَمْ يُعْرَفْ مَا حَكِيَ رِيحَانَ مِنْ خَبَرِ فِرَوْزَ.

قال : وَقَالَ رِيحَانَ : لَقِيْتُ فِرَوْزَ قَبْلَ اِنْتِهَائِهِ إِلَى صَاحِبِ الزَّنجِ ، فَاقْتَصَّ عَلَيْهِ قَصْتَهُ وَقَصْتَهُ فَتْحَ ، وَأَرَانِي السِّلاحَ ، وَأَقْبَلَ الزَّنجَ عَلَى أَخْذِ الْأَسْلَابَ ، وَأَخْذَتْ عَلَى النَّهَرِ الْمَعْرُوفِ بِالْدَّيْنَارِيِّ ؛ فَإِذَا أَنَا بِرَجْلِ تَحْتِ نَخْلَةٍ عَلَيْهِ قَلْنَسُوَةُ خَرَّ ، وَخُفَّ أَحْمَرَ وَدَرَاعَةَ ، فَأَخْذَتُهُ فَأَرَانِي كِتَابًا مَعَهُ ، وَقَالَ لِي : هَذِهِ كِتَابُ قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْبَصَرَةِ ، وَجَهَوْنِيَ بِهَا ، فَأَلْقَيْتُ فِي عَنْقِهِ عَمَامَةً ، وَقَدَتْهُ إِلَيْهِ ، وَأَعْلَمْتَهُ خَبْرَهُ ، فَسَأَلَهُ عَنْ اسْمِهِ فَقَالَ : أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، وَأَكَّنَّ بَأْبَيِ الْلَّيْثِ ، مِنْ أَهْلِ أَصْبَهَانَ ، وَإِنَّمَا أَتَيْتُكَ راغِبًا فِي صَحْبَتِكَ ، فَقِيلَ لَهُ ، وَلَمْ يَلْبِثْ أَنْ سَمِعَ تَكْبِيرًا ؛ فَإِذَا عَلَيَّ بْنُ أَبِانَ قَدْ وَافَاهُ وَمَعَهُ رَأْسُ الْبَلَالِيِّ الْمَعْرُوفُ بِأَبَيِ الْلَّيْثِ الْقَوَارِيرِيِّ .

قال : وَقَالَ شِبْلُ : الَّذِي قُتِلَ أَبَا الْلَّيْثِ الْقَوَارِيرِيِّ وَصَيْفُ الْمَعْرُوفِ بِالْزَّهْرِيِّ وَهُوَ مِنْ مَذْكُورِي الْبَلَالِيَّةِ ، وَرَأْسُ الْمَعْرُوفِ بِعَبْدَانِ الْكَسْبِيِّ ، وَكَانَ لَهُ فِي الْبَلَالِيَّةِ صَوْتٌ فِي رُؤُوسِ جَمَاعَةِ مِنْهُمْ ، فَسَأَلَهُ عَنِ الْخَبْرِ فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِيمَنْ قَاتَلَهُ أَشَدَّ قَتَالًا مِنْ هَذِينَ - يَعْنِي أَبَا الْلَّيْثِ وَعَبْدَانَ - وَأَنَّهُ هَزَمَهُمْ حَتَّى أَقْلَاهُمْ فِي نَهَرِ نَافِذٍ ؛ وَكَانَتْ مَعَهُمْ شَذَا فَغَرَّقُوهَا ، ثُمَّ جَاءَهُ مُحَمَّدُ بْنُ سَلْمٍ وَمَعَهُ رَجُلٌ مِنِ الْبَلَالِيَّةِ أَسِيرًا ، أَسْرَهُ شِبْلٌ يَقَالُ لَهُ مُحَمَّدُ الْأَزْرَقُ الْقَوَارِيرِيُّ ، وَمَعَهُ رُؤُوسُ كَثِيرَةٍ ، فَدَعَا الْأَسِيرَ فَسَأَلَهُ عَنِ أَصْحَابِ هَذِينِ الْجِيشَيْنِ ، فَقَالَ لَهُ : أَمَا الَّذِينَ كَانُوا فِي الرِّيَاحِيِّ فَإِنَّ قَائِدَهُمْ كَانَ أَبَا مُنْصُورَ الزَّينِيِّ ، وَأَمَا الَّذِينَ كَانُوا مَمَّا يَلِي نَهَرَ حَرْبَ ، فَإِنَّ قَائِدَهُمْ كَانَ سَلِيمَانَ أَخَا الزَّينِيِّ مِنْ وَرَائِهِمْ مُضْحَرًا ، فَسَأَلَهُ عَنِ عَدُدِهِمْ فَقَالَ لَهُ : لَا أَحْصِيهِمْ ، إِلَّا أَنِّي أَعْلَمُ أَنَّهُمْ كَثِيرُ عَدُدِهِمْ ، فَأَطْلَقَ مُحَمَّدُ الْقَوَارِيرِيُّ ، وَضَمَّهُ إِلَى شِبْلٍ ، وَسَارَ حَتَّى وَافَى سَبَخَةَ الْجَعْفَرِيَّةِ ، فَأَقَامَ لِيَلَّتَهُ بَيْنَ الْقَتْلَى ؛ فَلَمَّا أَصْبَحَ جَمْعُ أَصْحَابِهِ فَحَذَرُوهُ أَنَّ يَدْخُلَ أَحَدُهُمْ الْبَصَرَةَ ، وَسَارَ فَتَسَرَّعَ مِنْهُمْ أَنْكَلُوِيَّهُ وَزُرِيقُ وَأَبُو الْخَنْجَرِ - وَلَمْ يَكُنْ قُوَّدُ يَوْمَئِذٍ - وَسَلِيمُ وَصَيْفُ الْكَوْفِيِّ ، فَوَافَوْا النَّهَرَ الْمَعْرُوفَ بِالشَّادَانِيِّ ، وَأَتَاهُمْ أَهْلُ الْبَصَرَةَ ، وَكَثُرُوا عَلَيْهِمْ ؛ وَانْتَهَى الْخَبْرُ إِلَيْهِ ،

فوجّه محمد بن سلم وعليّ بن أبان ومسرفاً غلام يحيى في خلق كثير ، وجاء هو يسايرهم ؛ ومعه السفن التي فيها الدواب المحمولة ونساء الغلمان حتى أقام بقسطنطية نهر كثير .

قال ريحان : فأتيه وقد رُميت بحجر ، فأصاب ساقي ، فسألني عن الخبر فأخبرته أنّ الحرب قائمة ، فأمرني بالرجوع ، وأقبل معي حتى أشرف على نهر السياجنة ، ثم قال لي : امض إلى أصحابنا ، فقل لهم يستأذروا عنهم ، فقلت له : بعد عن هذا الموضع فإني لست آمناً عليك الحول ، ففتحي ، ومضيت فأخبرت القواد بما أمر به ، فتراجعوا ، وأكبّ أهل البصرة عليهم ، وكانت هزيمة ، وذلك عند العصر ، ووقع الناس في النهرین : نهر كثير ونهر شيطان ، فجعل يهتف بهم ويردّهم فلا يرجعون ، وغرق جماعة من أصحابه في نهر كثير ، وقتل منهم جماعة على شطّ النهر وفي الشاذاني ؛ فكان ممن غرق يومئذ من قواده أبو الجون وبارك البحرياني وعطاء البربرى وسلام الشامي ، ولحقه غلام أبي شيث وحارث القيسى وسحيل ، فعلوا القنطرة ، فرجع إليهم وانهزموا عنه حتى صاروا إلى الأرض ، وهو يومئذ في ذرّاعة عمامة نعل وسيف ، وترسه في يده ؛ ونزل عن القنطرة وصعدها البصريون يطلبونه ، فرجع فقتل منهم بيده رجالاً على خمس مراق من القنطرة ، وجعل يهتف بأصحابه ويعرفهم مكانه ، ولم يكن بقي معه في ذلك الموضع من أصحابه إلا أبو الشوك ومصلح ورفيق غلام يحيى .

قال ريحان : فكنت معه فرجه ؛ حتى صار إلى المعلى ، فنزل في غربى نهر شيطان .

قال محمد بن الحسن : فسمعت صاحب الرَّنج يحدّث ، قال : لقد رأيتني في بعض نهار هذا اليوم ؛ وقد ضللني عن أصحابي ، وضلوا عنّي ، فلم يبق معي إلا مصلح ورفيق ، وفي رجلي نعل سندى ، وعلى عمامة قد انحلّ كور منها فأنا أسحبها من ورائي ، ويعجلني المشي عن رفعها ، ومعي سيفي وترسي ، وأسرع مصلح ورفيق في المشي وقصرت ، فغابا عنّي ، ورأيت في أثر رجلين من أهل البصرة ؛ في يد أحدهما سيف ، وفي يد الآخر حجارة ، فلما رأياني عَرَفَاني ، فجداً في طلبي ، فرجعت إليهما فانصرفا عنّي ، ومضيت حتى خرجت إلى

الموضع الذي فيه مجمع أصحابي؛ وكانوا قد تحيّروا لفقدي؛ فلما رأوني سكناً إلى رؤيتي .

قال ريحان: فرجع بأصحابه إلى موضع يعرف بالمعلى في غربي نهر شيطان ، فنزل به ، وسأل عن الرجال؛ فإذا قد هرب كثير منهم ، ونظر فإذا هو من جميع أصحابه في مقدار خمسة رجال ، فأمر بالنفح في البوق الذي كانوا يجتمعون لصوته ، فلم يرجع إليه أحد ، وبات ليلته ، فلما كان في بعض الليل جاء الملقب بعْرِبان ، وقد كان هرباً فيمن هرب ، ومعه ثلاثون غلاماً فسألها: أين كانت غيبته؟ فقال: ذهبت إلى الزوارقة طليعةً .

قال ريحان: ووجهني لأتعرف له منْ في قنطرة نهر حَرْب ، فلم أجده هناك أحداً ، وقد كان أهل البصرة انتبهُوا السفن التي كانت معه ، وأخذوا الدواب التي كانت فيها في هذا اليوم ، وظفروا بمتعة من متاعه ، وكتب من كتبه ، وإصطرابات كانت معه؛ فلما أصبح من غد هذا اليوم نظر في عدة أصحابه ، فإذا هم ألف رجل قد كانوا ثابوا إليه في ليلتهم تلك .

قال ريحان: فكان فيمن هرب شبل ، وكان ناصح الرّملاني ينكر هرب شبل ، قال ريحان: فرجع شبل من غد ، ومعه عشرة غلمان ، فلامه وعنه وسأل عن غلام كان يقال له نادر يكفي بأبي نعجة ، وعن عنبر البربري؛ فأخبر أنهما هرباً فيمن هرب ، فاقام في موضعه ، وأمر محمد بن سلم أن يصير إلى قنطرة نهر كثير ، فيعظ الناس ويعلمهم ما الذي دعاهم إلى الخروج ، فصار محمد بن سلم وسليمان بن جامع ويحيى بن محمد ، فوقف سليمان ويحيى ، وعبر محمد بن سلم حتى توَسَّطَ أهل البصرة ، وجعل يكلّمهم ، ورأوا منه غرّة فانتظروا عليه؛ فقتلواه .

قال الفضل بن عدي: عَبَرَ محمد بن سلم إلى أهل البصرة ليعظهم وهم مجتمعون في أرض تعرف بالفضل بن ميمون؛ فكان أول من بدر إليه وضربه بالسيف فتح غلام أبي شيث ، وأتاه ابن التومني السعدي ، فاحتزَّ رأسه ، فرجع سليمان ويحيى إليه ، فأخبراه الخبر ، فأمرهما بطريق ذلك عن الناس حتى يكون هو الذي يقوله لهم ، فلما صلّى العصر نعى محمد بن سلم لأصحابه ، وعرف خبره من لم يكن عرفه ، فقال لهم: إنكم تقتلون به في غد عشرة آلاف من أهل البصرة ، ووجه زُريقاً وغلاماً له يقال له: سقلبيوتيا ، وأمرهما بمنع الناس من

العبور؛ وذلك في يوم الأحد لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة خمس وخمسين ومئتين .

قال محمد بن الحسن: فحدّثني محمد بن سمعان الكاتب ، قال: لما كان في يوم الإثنين لأربع عشرة ليلة خلت من ذي القعدة جمع له أهل البصرة ، وحشدوا له لما رأوا من ظهورهم عليه في يوم الأحد ، وانتدب لذلك رجل من أهل البصرة يعرف بحماد الساجي - وكان من غزاة البحر - في الشّذا ، وله علم بركرتها وال Herb فيها ، فجمع المطوعة ورماة الأهداف ، وأهل المسجد الجامع ومنْ خفت معه من حزبي البلالية والسعديّة ، ومنْ أحبت النّظر من غير هذه الأصناف من الهاشميّين والقرشيّين وسائر أصناف الناس ، فشحن ثلاثة مراكب من الشّذا من الرّماة ، وجعلوا يزدحمنون في الشّذا حرصاً على حضور ذلك المشهد ، ومضى جمهور الناس رجالة ، منهم من معه السلاح ، ومنهم نظارة لا سلاح معهم ، فدخلت الشّذا والسفن النّهر المعروفة بأم حبيب بعد زوال الشمس من ذلك اليوم في المدّ ومررت الرجال والنظارة على شاطئ النّهر ، قد سدوا ما ينفذ فيه البصر تكالفاً وكثرة ، وكان صاحب الزنج مقیماً بموضعه من النّهر المعروف بشیطان .

قال محمد بن الحسن: فأخبرنا صاحبُ الزنج أنه لما أحسَّ بمصير الجمع إليه ، وأنته طلائعه بذلك وجّه زريقاً وأبا الليث الأصبهاني في جماعة معهما في الجانب الشرقي من النّهر كميناً وشبلاً وحسيناً الحمامي في جماعة من أصحابه في الجانب الغربي بمثل ذلك ، وأمر عليّ بن أبيان ومنْ بقي معه من جمّعه بتلقيِ القوم ، وأن يجثوا لهم فيمن معه ، ويستتروا بتراسهم فلا يثور إليهم منهم ثائر حتى يوافيهم القوم ويُؤمِّوا إليهم بأسيافهم؛ فإذا فعلوا ذلك ثاروا إليهم ، وتقدّم إلى الكمينين: إذا جاوزهما الجمع وأحسّا بثورة أصحابهم إليهم أن يخرجوا من جنبي النّهر ، ويصيحا بالناس ، وأمر نساء الزنج بجمع الأجر وإمداد الرجال به .

قال: وكان يقول لأصحابه بعد ذلك: لما أقبل إلى الجمع يومئذ وعايته رأيت أمراً هائلاً راعني ، وملأ صدرِي رهبة وجزاً ، وفرعت إلى الدّعاء ، وليس معي من أصحابي إلا نفر يسير؛ منهم مصلح؛ وليس منا أحد إلا وقد خليل له مصرعه في ذلك ، فجعل مصلح يعجبني من كثرة ذلك الجمع ، وجعلت أومئ إليه أن يمسك فلما قرب القوم مني قلت: اللهم إن هذه ساعة العسرة ، فأعني ، فرأيت

طيوراً بِيضاً تلقت ذلك الجمع ، فلم أستتم كلامي حتى بصرت بسميرية قد انقلبَتْ بمن فيها ، فغرقوا ثم تلتها الشذا ، وثار أصحابي إلى القوم الذين قصدوا لهم فصاخوا بهم ، وخرج الكمينان عن جنبي النهر من وراء السفن والرجال ، وبخطوا مَنْ ولَى من الرجال والنّظارة الذين كانوا على شاطئ النهر المعروف ، فغرقت طائفة ، وقتلت طائفة ، وهربت طائفة نحو الشط طمعاً في النجاة ، فأدركها السيف ؟ فمن ثبت قُيل ، ومن رجع إلى الماء غرق ، ولوجاً من كان على شاطئ النهر من الرجال إلى النهر فغرقوا وقتلوا ، حتى أبى أكثر ذلك الجمع ، ولم ينج منهم إلا الشريد ، وكثير المفقودون بالبصرة ، وعلا العويل من نسائهم ، وهذا يوم الشذا الذي ذكره الناس ، وأعظموا ما كان فيه من القتل ، وكان فيما قتل منبني هاشم جماعة من ولد جعفر بن سليمان وأربعون رجلاً من الرّماة المشهورين ؟ في خلق كثير لا يحصى عددهم وانصرف الخبيث وجُمعت له الرؤوس ، فذهب إليه جماعة من أولياء القتلى ، فعرضها عليهم ، فأخذوا ما عرفوا منها ، وعيتاً ما بقى عنده من الرؤوس التي لم يأت لها طالب في جريبية ملأها منها ، وأخرجها من النهر المعروف بأم حبيب في الجزر ، وأطلقها ، فوافت البصرة ، فوقفت في مشرعة تعرف بمشرعة القيار ، فجعل الناس يأتون تلك الرؤوس ، فياخذن رأس كل رجل أولياؤه ، وقوى عدو الله بعد هذا اليوم ، وتتمكن الرعب في قلوب أهل البصرة منه ، وأمسكوا عن حربه ، وكتب إلى السلطان بخبر ما كان منه ، فوجه جعلان التركي مددأ لأهل البصرة ، وأمر أبا الأحوص الباهلي بالمصير إلى الأبلة واليا ، وأمده برجل من الأتراك يقال له : جُريخ .

فزعم الخبيث أن أصحابه قالوا له بعقب هذه الواقعة : إننا قد قاتلنا مقاتلة أهل البصرة ، ولم يبق فيها إلا ضعفاً لهم ومن لا حراك به ، فائذن لنا في تقطّعها . فزَّبرَهم وهجَّنَ آراءهم ، وقال لهم : لا بل ابعدوا عنها ؛ فقد أرعنناهم وأخفتناهم وأمنتكم جانبهم ؛ فالرأي الآن أن تدعوا حربَهم حتى يكونوا هم الذين يطلبونكم ، ثم انصرف بأصحابه إلى سبخة بما خير أنهارهم إربد يقارب النهر المعروف بالحجر ، قال شبل : هي سبخة أبي قرّة وقعها بين النهرين : نهر أبي قرّة والنهر المعروف بالحجر .

فأقام هناك ، وأمر أصحابه باتخاذ الأكواخ ، وهذه السبخة متوسطة النخل والقرى والمعمارات ، وبث أصحابه يميناً وشمالاً يغير بهم على القرى ، ويقتل بهم الأكراة وينهب أموالهم ، ويسوق مواشيهم .

فهذا ما كان من خبره وخبر الناس الذين قربوا من موضع مخرجه في هذه السنة .

* * *

وللليلتين بقيتا من ذي القعدة منها حبس الحسن بن محمد بن أبي الشوارب القاضي ، وولى عبد الرحمن بن نائل البصري قضاء سامرا في ذي الحجة منها^(١) .

وحج بالناس فيها علي بن الحسن بن إسماعيل بن العباس بن محمد بن علي^(٢) .

* * *

ثم دخلت سنة ست وخمسين ومئتين ذكر الخبر بما كان فيها من الأحداث الجليلة

[ذكر الخبر عن وصول موسى بن بغا إلى سامرا وارتفاعه صالح]

فمن ذلك ما كان من موافاة موسى بن بغا سامرا وارتفاعه صالح بن وصيف لمقدمه ، وحمل من كان مع موسى من قواد المهتمي من الجوسوق إلى دار ياجور^(٣) .

ذكر أن دخول موسى بن بغا سامرا بمن معه كان يوم الإثنين لإحدى عشرة ليلة خلت من المحرم من هذه السنة ؛ فلما دخلها أخذ في الحير ، وعبأ أصحابه ميمنة ويسرة وقلباً في السلاح ، حتى صار إلى باب الحير مما يلي الجوسوق والقصر

(١) انظر أخبار قضاة بـ «سرّ من رأى وبغداد» [أخبار القضاة للقاضي وكيع / ٦٨٣].

(٢) انظر المتنظم (١٢/٨٩).

(٣) انظر المتنظم (١٢/١٠٠).

الأحمر؛ وكان ذلك يوماً جلس فيه المهتمي للناس للمظالم؛ فكان منمن أحضره في ذلك اليوم بسبب المظالم أحمد بن المتوكل بن فتیان؛ فكان في الدار إلى أن دخل الموالي، فحملوا المهتمي إلى دار ياجور، واتبعه أحمد بن المتوكل إلى ما هناك، فلم يزل موكلًا به في مضرب مفلح إلى أن انقطع الأمر، وردد المهتمي إلى الجوست، ثم أطلق، وكان القيم يأمر دار الخلافة بايكباك، فصيّرها إلى ساتكين قبل ذلك بأيام، فظن الناس أنه إنما فعل ذلك لثقيه بساتكين، وأنه على أن يغلب على الدار والخليفة وقت قدوم موسى، فلما كان في ذلك اليوم لزم متزله، وترك الدار خالية، وصار موسى في جيشه إلى الدار، والمهتمي جالس للمظالم؛ فأعلم بمكانه، فأمسك ساعة عن الإذن، ثم أذن لهم، فدخلوا فجرى من الكلام نحو ما جرى يوم قدم الوفد والرسل، فلما طال الكلام تراطروا فيما بينهم بالتركية، وأقاموه من مجلسه، وحملوه على دابة من دواب الشاكرية، وانتبهوا ما كان في الجوست من دواب الخاصة، ومضوا يريدون الكرخ، فلما صاروا عند باب الحير في القطائع عند دار ياجور أدخلوه دار ياجور.

فذكر عن بعض الموالي من حضرهم ذلك اليوم، أن سبب أخذهم المهتمي ذلك اليوم كان أن بعضهم قال لبعض: إن هذه المطاولة إنما هي حيلة عليكم حتى يكسكم صالح بن وصيف بجيشه، فخافوا ذلك، فحملوه وذهبوا به إلى الموضع الآخر؛ فذكر عمن سمع المهتمي يقول لموسى: ما تريد ويحك! أت الله وحده؛ فإنك تركب أمراً عظيماً، قال: فرد عليه موسى: إننا ما نريد إلا خيراً، ولا وترية المتوكل لا نالك منها شرُّ البتة.

قال الذي ذكر ذلك: فقلت في نفسي: لو أراد خيراً لحلف بتربة المعتصم أو الواثق.

ولما صاروا به إلى دار ياجور أخذوا عليه العهود والمواثيق لا يمالي صالحًا عليهم، ولا يضرم لهم إلا مثل ما يظهر؛ ففعل ذلك، فجددوا له البيعة ليلة الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة خلت من المحرم، وأصبحوا يوم الثلاثاء، فوجّهوا إلى صالح أن يحضرهم للمناظرة، فوعدهم أن يصير إليهم.

فذكر عن بعض رؤساء الفراغنة، أنه قيل له: ما الذي تطالبون به صالح بن وصيف؟ فقال: دماء الكتاب وأموالهم ودم المعتز وأمواله وأسبابه. ثم أقبل القوم

على إبرام الأمور وعسكرهم خارج باب الحير عند باب ياجور؛ فلما كانت ليلة الأربعاء استتر صالح؛ فذكر عن طلمجور أنه قال: لما كانت ليلة الأربعاء اجتمعنا عند صالح، وقد أمر أن يفرق أرزاق أصحاب النوبة عليهم، فقال بعض من حضره: اخرج فأعرض مَنْ حضر من الناس، فكأنوا بالغداعة زُهاء خمسة آلاف، قال: فعاد إليه، وقال: يكونون ثمانمائة رجل، أكثرهم غلمانك ومواليك، فأطرق ملياً، ثم قام وتركنا، ولم يأمر بشيء وكان آخر العهد.

وذكر عَمَّن سمع بِخْتِيشُون يقول وهو يعرض بصالح قبل قدوم موسى، حَرَكْنَا هذا الجيش الخشن، وأرغمناه، حتى إذا أقبل إلينا تشغلنا بالنرد والشرب، كأننا بنا وقد اختفينا إذا ورد القاطول! فكان الأمر كذلك.

وغدا طُفتا إلى باب ياجور سَحَر يوم الأربعاء فلقيه مفلح، فضربه بطبرزين، فشجه في جانب جيشه الأيمن، فكان الذين أقاموا مع صالح الليلة التي استتر فيها من القواد الكبار طُفتا بن الصياغون وطلمجور صاحب المؤيد ومحمد بن تركش وخموش والنورسي، ومن الكتاب الكبار أبو صالح عبد الله بن محمد بن يزداد وعبد الله بن منصور وأبو الفرج، وأصبح الناس يوم الأربعاء لثلاث عشرة خلت من المحرّم وقد استتر صالح، وغدا أبو صالح إلى دار ياجور، وجاء عبد الله بن منصور، فدخل الدار مع سليمان بن وهب، وتنصح إليهم أن عنده سفاتج بخمسة آلاف دينار.

وذكر أن صالح أراده على حملها، فأبى أن يقرّ الأمر قراره.

وخلع في هذا اليوم على كنجور ليتوّلى أمر دار صالح وتفيشهما، ومضى ياجور صاحب موسى فأتى بالحسن بن مَحْلَد من الموضع الذي كان فيه محبوساً من دار صالح.

* * *

وفي هذا اليوم من هذا الشهر وُلِيَ سليمان بن عبد الله بن طاهر مدينة السلام

والسوداً ، ووجه إليه بخلع ، وزيد على ما كان يخلع على عبيد الله بن عبد الله بن طاهر^(١) .

وفي رُد المهتدي إلى الجوسق ، ودفع عبد الله بن محمد بن يزداد إلى الحسن بن مُخلد .

و فيه أظهر النداء على صالح .

* * *

[ذكر الخبر عن قتل صالح بن وصيف]

ولشمان بقين من صفر من هذه السنة قُتِل صالح بن وصيف^(٢) .

* ذكر الخبر عن سبب قتله وسبب الوصول إليه بعد اختفائه :

ذكر أن سبب ذلك كان أن المهتدي لما كان يوم الأربعاء لثلاث بقين من المحرّم سنة ست وخمسين ومئتين أظهر كتاباً ، ذكر أن سيما الشرابي زعم أن امرأة جاءت به مما يلي القصر الأحمر ، ودفعته إلى كافور الخادم الموكّل بالحرام ، وقالت له: إن فيه نصيحة ، وإن منزلتي في موضعكذا فإن أردتمنوني فاضطّلعني هناك ، فأوصل الكتاب إلى المهتدي ، فلما طُلبت في الموضع الذي وصفت حين احتاج إلى بحثها عن الكتاب لم توجد ، ولم يعرف لها خبر.

وقد ذُكر أن المهتدي أصاب ذلك الكتاب ، ولم يدر من رمى به ، فذُكر أن المهتدي دعا سليمان بن وهب بحضور جماعة من الموالي فيهم موسى بن بغة ومفلح وبائكباك وياجور وبكالبا وغيرهم؛ فدفع الكتاب إلى سليمان ، وقال له: تعرف هذا الخط؟ قال: نعم ، هذا خط صالح بن وصيف ، فأمره أن يقرأ عليهم ، فإذا صالح يذكر فيه أنه مستخفٍ بسامراً ، وأنه إنما استتر متخيراً للسلامة وإبقاء على الموالي ، وخوفاً من إيصال الفتنة بحرب إن حدثت بينهم ، وقصد لأن بيته على الموالي ، ويكون ما يأتيونه بعد بصيرة مما ذكر في هذا الباب .

(١) انظر المنتظم (١٢/١٠٠ - ١٠١).

(٢) انظر المنتظم (١٢/١٠٠).

ثم ذكر ما صار إليه من أموال الكتاب ، وقال : إن علّم ذلك عند الحسن بن مخلد ، وهو أحدهم ، وهو في أيديكم ، ثم ذكر من وصل إليه ذلك المال وتولى تفريقه ، وذكر ما صار إليه من أمر قبيحة ، وأشار إلى أن علم ذلك عند أبي صالح بن يزداد صالح العطار ، ثم ذكر أشياء في هذا المعنى ، بعضها يعتذر به وبعضها يحتاج به ، ومخرج القول في ذلك يدل على قوّة في نفسه .

فلما فرغ سليمان من قراءة الكتاب وصله المهتمي بقول منه يحث على الصلح والهدنة والألفة والاتفاق ، ويكره إليهم الفرقة والتغافل والتباغض ، فدعا ذلك القوم إلى تهمته ، وأنه يعلم بمكان صالح ، وأنه يتقدّمهم عنده ، فكان بينهم في ذلك كلام كثير ومناظرات طويلة ، ثم أصبحوا يوم الخميس لليلتين بقيتا من المحرم سنة ست وخمسين ومئتين ، فصاروا جميعاً إلى دار موسى بن بغا في داخل الجوسق يتراطون ويتكلمون ، واتصل الخبر بالمهتمي .

فذكر عن أحمد بن خاقان الواثقي أنه قال : من ناحيتي انتهى الخبر إلى المهتمي ؛ وذلك أنني سمعت بعض من كان حاضر المجلس وهو يقول : جمع القوم على خلع الرجل .

قال : فصرت إلى أخيه إبراهيم ، فأعلمه بذلك ، فدخل عليه فأعلمه ذلك ، وحکاه عنـي ؛ فلم أزل خائفاً أن يعجل أمير المؤمنين فيخبرـهم عنـي بالخبر ، فرزق الله السلامـة .

وذكر أن أخـاـيـكـبـاكـ قال لهمـ فيـ هـذـاـ المـجـلسـ لـمـ أـطـلـعـوهـ عـلـىـ مـاـ كـانـواـ عـزـمـواـ عـلـيـهـ : إنـكـمـ قـتـلـتـمـ اـبـنـ المـتـوـكـلـ ، وـهـوـ حـسـنـ الـوـجـهـ ، سـخـيـ الـكـفـ ، فـاضـلـ النـفـسـ ، وـتـرـيـدـوـنـ أـنـ تـقـتـلـوـاـ هـذـاـ وـهـوـ مـسـلـمـ يـصـومـ وـلـاـ يـشـرـبـ التـبـيـذـ مـنـ غـيـرـ ذـنـبـ ! وـالـلـهـ لـئـنـ قـتـلـتـ هـذـاـ لـأـلـحـقـنـ بـخـرـاسـانـ ، وـلـأـشـيـعـنـ أـمـرـكـمـ هـنـاكـ .

فلما اتصل الخبر بالمهتمي خرج إلى مجلسه متقدلاً سيفاً ، وقد لبس ثياباً نظافاً ، وتطيب ، ثم أمر بإدخالهم إليه ، فأبوا ذلك ملياً ، ثم دخلوا عليه ، فقال لهم : إنه قد بلغني ما أنتم عليه من أمري ؛ ولست كمن تقدّمني مثل أحمد بن محمد المستعين ، ولا مثل ابن قبيحة ؛ والله ما خرجت إليكم إلا وأنا متحنط ، وقد أوصيتك إلى أخي بولدي ، وهذا سيفي ؛ والله لأضربي به ما استمسك قائمه

بيدي ؛ والله لئن سقط من شعرى شرة ليهلكن أو ليذهبن بها أكثركم ، أما دين ! أما حياء ! أما رِعة ! كم يكون هذا الخلاف على الخلفاء والإقدام والجرأة على الله ! سواء عليكم منْ قصد الإبقاء عليكم ومن كان إذا بلغه مثل هذا عنكم دعا بأرطال الشراب فشربها مسروراً بمكر وهم وحباً لباركم ! خبّروني عنكم ؛ هل تعلمون أنه وصل إلى من دنياكم هذه شيء ! أما إنك تعلم يا بايكباك أن بعض المتصلين بك أيسر من جماعة إخوتي وولدي ؛ وإن أحبيبَتْ أن تعرف ذلك فانظر : هل ترى في منازلهم فرشاً أو وصائف أو خدماً أو جواري ! أو لهم ضياع أو غلات ! سوءة لكم ! ثم تقولون : إني أعلم علم صالح ، وهل صالح إلا رجل من الموالي ، وكواحد منكم ! فكيف الإقامة معه إذا ساء رأيكم فيه ! فإن آثرتم الصلح كان ذلك ما أهوى لجمعكم ، وإن أبيتم إلا الإقامة على ما أنتم عليه فشأنكم ؛ فاطلبوا صالحًا ، ثم ابلغوا شفاء أنفسكم ؛ وأما أنا فما أعلم علمه . قالوا : فاحلف لنا على ذلك ، قال : أما اليمين فإني أبذلها لكم ؛ ولكنني أؤخرها حتى تكون بحضورة الهاشميين والقضاة والمدعّلين وأصحاب المراتب غداً إذا صليت الجمعة ، فكانهم لأنوا قليلاً ، ووجه في إحضار الهاشميين فحضروا في عشيّتهم ، فاذن لهم ، فسلموا ولم يذكّر لهم شيئاً ، وأمرّوا بالمصير إلى الدار لصلاة الجمعة ، فانصرفوا وغدا الناس يوم الجمعة ولم يحدثوا شيئاً ، وصلّى المهدي ، وسكن الناس وانصرفوا هادنين .

وذكر عن بعض منْ سمع الكلام في يوم الأربعاء يقول : إن المهدي لما حُوّن صالح قال : إن بايكباك قد كان حاضراً ما عمل به صالح في أمر الكتاب وما ابن قبيحة ، فإن كان صالح قد أخذ من ذلك شيئاً فقد أخذ مثل ذلك بايكباك ؛ فكان ذلك الذي أحفظ بايكباك .

وقال آخر : إنه سمع هذا القول ، وإنه ذكر محمد بن بغا ، وقال : قد كان حاضراً وعالماً بما أجرّوا عليه الأمر ، والشريك في ذلك أجمع ، فأحفظ ذلك أبا نصر .

وقد قيل : إن القوم من لدن قدم موسى كانوا مضمرين هذا المعنى ، منطويين على الغلّ ؛ وإنما كان يمنعهم منه خوف الإضطراب وقلة الأموال ؛ فلما ورد عليهم مال فارس والأهواز تحرّكوا ، وكان ورود ذلك عليهم يوم الأربعاء لثلاث

بقيـن من المـحرـم ، وـمـبلغـه سـبـعة عـشـر أـلـف درـهـم وـخـمـسـيـة أـلـف درـهـم .

* * *

[ذكر الخبر عن خروج العامة على المهتدي]^(١)

فـلـمـا كـان يـوـم السـبـت اـنـتـشـر الـخـبـر فـي الـعـامـة أـنَّ الـقـوم عـلـى أـن يـخـلـعـوا الـمـهـتـدـي ، وـيـفـتـكـوـا بـه ، وـأـنـهـم أـرـادـوـه عـلـى ذـلـك ، وـأـرـهـقـوـه ، وـكـتـبـوـا الرـقـاعـ وـأـلـقـوـهـا فـي الـمـسـجـد الـجـامـع وـالـطـرـقـات؛ فـذـكـر بـعـضـهـم مـن زـعـمـهـا أـنـه قـرـأ رـقـعـةـمـنـهـا فـيـهـا :

بـسـم اللهـ الرـحـمـن الرـحـيم

يـا مـعـشـرـ الـمـسـلـمـين ، اـدـعـوا اللهـ لـخـلـيـفـتـكـمـ العـدـلـ الرـضـيـ المـضـاهـيـ لـعـمـرـ بـنـ الـخـطـابـ أـنـ يـنـصـرـهـ عـلـى عـدـوـهـ ، وـيـكـفـيـهـ مـؤـنـةـ ظـالـمـهـ ، وـيـتـمـ النـعـمـةـ عـلـيـهـ وـعـلـىـهـ هـذـهـ الـأـمـةـ بـقـائـهـ؛ فـإـنـ الـمـوـالـيـ قدـ أـخـذـوـهـ بـأـنـ يـخـلـعـ نـفـسـهـ وـهـوـ يـعـذـبـ مـنـذـ أـيـامـ ، وـالـمـدـبـرـ لـذـلـكـ أـحـمـدـ بـنـ مـحـمـدـ بـنـ ثـوـابـةـ وـالـحـسـنـ بـنـ مـعـلـدـ ، رـحـمـ اللهـ مـنـ أـخـلـصـ الـتـيـ وـدـعـاـ وـصـلـىـ عـلـىـ مـحـمـدـ صـلـيـلـهـ !

فـلـمـا كـان يـوـم الأـرـبـعـاء لـأـرـبـعـ خـلـونـ مـنـ صـفـرـ مـنـ هـذـهـ السـنـةـ ، تـحـركـ الـمـوـالـيـ بالـكـرـنـ وـالـدـورـ ، وـوـجـهـوـا إـلـىـ الـمـهـتـدـيـ عـلـىـ لـسـانـ رـجـلـ مـنـهـمـ يـقـالـ لـهـ عـيـسـىـ: إـنـاـ نـحـتـاجـ أـنـ نـلـقـيـ إـلـىـ أـمـيـرـ الـمـؤـمـنـيـنـ شـيـئـاـ ، وـسـأـلـوـاـ أـنـ يـوـجـهـ أـمـيـرـ الـمـؤـمـنـيـنـ إـلـيـهـمـ أـحـدـ إـخـوـتـهـ ، فـوـجـهـ إـلـيـهـمـ أـخـاـهـ عـبـدـ اللهـ أـبـاـ القـاسـمـ ، وـهـوـ أـكـبـرـ إـخـوـتـهـ ، وـوـجـهـ مـعـهـ مـحـمـدـ بـنـ مـبـاشـرـ الـمـعـرـفـ بـالـكـرـنـيـ ، فـمـضـيـاـ إـلـيـهـمـ ، فـسـلـاـهـمـ عـنـ شـأنـهـمـ ، فـذـكـرـوـاـ أـنـهـمـ سـامـعـوـنـ مـطـيـعـوـنـ لـأـمـيـرـ الـمـؤـمـنـيـنـ ، وـأـنـهـ بـلـغـهـمـ أـنـ مـوـسـىـ بـنـ بـغـاـ وـبـايـكـبـاكـ وـجـمـاعـةـ مـنـ قـوـادـهـمـ يـرـيدـوـنـهـ عـلـىـ الـخـلـعـ ، وـأـنـهـمـ يـيـذـلـونـ دـمـاءـهـمـ دـوـنـ ذـلـكـ ، وـأـنـهـمـ قـدـ قـرـرـوـاـ بـذـلـكـ رـقـاعـاـ أـلـقـيـثـ فـيـ الـمـسـجـدـ وـالـطـرـقـاتـ ، وـشـكـوـاـ مـعـ ذـلـكـ ، وـأـنـهـمـ قـدـ أـرـجـعـوـاـ بـذـلـكـ رـقـاعـاـ أـلـقـيـثـ فـيـ الـمـسـجـدـ وـالـطـرـقـاتـ ، وـشـكـوـاـ مـعـ ذـلـكـ سـوـءـ حـالـهـمـ ، وـتـأـخـرـ أـرـزـاقـهـمـ ، وـمـاـ صـارـ مـنـ الإـقـطـاعـاتـ إـلـىـ قـوـادـهـمـ الـتـيـ قـدـ أـجـحـفـتـ بـالـضـيـاعـ وـالـخـرـاجـ ، وـمـاـ صـارـ لـكـبـرـائـهـمـ مـنـ الـمـعـاوـنـ وـالـزـيـادـاتـ مـنـ الرـسـوـمـ الـقـدـيمـةـ مـعـ أـرـزـاقـ النـسـاءـ وـالـدـخـلـاءـ الـذـيـنـ قـدـ اـسـتـغـرـقـوـاـ أـكـثـرـ أـمـوـالـ

(١) انظر المتنظم (١٢/١٠١) وانظر تعليقنا الآتي.

الخرج ، وكثير كلامهم في ذلك ، فقال لهم أبو القاسم عبد الله بن الواثق: اكتبوا هذا في كتاب إلى أمير المؤمنين ، أتولى إيصاله لكم؟ فكتبوا ذلك ، وكاتبهم في الذي يكتبون محمد بن ثقيف الأسود؟ وكان يكتب لعيسى صاحب الكرخ أحياناً ، وانصرف أبو القاسم ومحمد بن مباشر ، فأوصلا الكتاب إلى المهدى ، فكتب جوابه بخطه ، وختمه بخاتمه ، وغدا أبو القاسم إلى الكرخ ، فوافاهم فصاروا به إلى دار أشناس وقد صبروها مسجداً جاماً لهم ، فوقف ووقفوا له في الرحبة ، واجتمع منهم زهاء مئة وخمسين فارساً ونحو من خمسة راحل ، فأقرأهم من المهدى السلام ، وقال: يقول لكم أمير المؤمنين: هذا كتابي إليكم بخطي وخاتمي ، فاسمعوه وتذربوه ، ثم دفع الكتاب إلى كاتبهم فقرأه ، فإذا فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله ، وصلى الله على محمد النبي وعلى آله وسلم تسلیماً كثيراً ، أرشدنا الله وإياكم ، وكان لنا ولكم ولينا وحافظاً ، فهمت كتابكم ، وسرني ما ذكرتم من طاعتكما وما أنتم عليه؟ فأحسن الله جزاءكم ، وتولى حياطكم؟ فأما ما ذكرتم من خلّتكم وحاجتكم ، فعزيز عليّ ذلك فيكم ، ولو ددت والله أن صلاحكم يهياً بآكل ولا أطعم ولدي وأهلي إلا القوت الذي لا شبع دونه ، ولا أليس أحداً من ولدي إلا ما ستر العورة ، ولا والله - حاطكم الله - ما صار إلى متى تقلدت أمركم لنفسي وأهلي وولدي ومتقدمي غلماني وحشمي إلا خمسة عشر ألف دينار ، وأنتم تقرون على ما ورد ويرد ، كل ذلك مصروف إليكم ، غير مدخل عنكم ، وأما ما ذكرتم مما بلغكم ، وقرأتكم به الرّقّاع التي أثبتت في المساجد والطرق ، وما بذلتكم من أنفسكم؟ فأنتم أهل ذلك ، وأين تعتذرون مما ذكرتم ونحن وأنتم نفس واحدة! فجزاكم الله عن أنفسكم وعهودكم وأماناتكم خيراً ، وليس الأمر كما بلغكم ، فعلى ذلك فليكن عملكم إن شاء الله ، وأما ما ذكرتم من الإقطاعات والمعاون وغيرها ، فأنا أنظر في ذلك وأصير منه إلى محبتكم إن شاء الله والسلام عليكم ، أرشدنا الله وإياكم ، وكان لنا ولكم حافظاً ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد النبي وآل وسلم تسلیماً كثيراً.

فلما بلغ القارئ من الكتاب إلى الموضع الذي قال: «ولم يصل إلى إلا قدر خمسة عشر ألف دينار» ، وأشار أبو القاسم إلى القارئ ، فسكت ثم قال: وهذا

ما قدر ، هذا قد كان أمير المؤمنين في أيام إمارته يستحق في أقل من هذه المدة ما هو أكثر منه بأرزاقه وإنزاله ومعونته ، وقد تعلمون ما كان من تقدمه يصرفة في صلات المختفين والمعندين وأصحاب الملاهي وبناء القصور وغير ذلك ، فادعوا الله لأمير المؤمنين ، ثم قرأ الكتاب حتى أتى على الكتاب .

فلما فرغ كثُر الكلام وقالوا قوله ، فقال لهم أبي القاسم : اكتبوا بذلك كتاباً صدّروه على مجارى الكتاب إلى الخلفاء ، واكتبوه عن القواد وخلفائهم والعرفاء بالكرخ والدور وسامراً فكتبوا - بعد أن دعوا الله فيه لأمير المؤمنين : إن الذي يسألون أن ترد الأمور إلى أمير المؤمنين في الخاصّ والعام ، ولا يعترض عليه معترض ، وأن ترد رسومهم إلى ما كانت عليه أيام المستعين بالله ؛ وهو أن يكون على كلّ تسعة منهم عريف ، وعلى كلّ خمسين خليفة ، وعلى كلّ مئة قائد ، وأن تسقط النساء والزيادات والمعاون ، ولا يدخل مولى في قبالة ولا غيرها ، وأن يوضع لهم العطاء في كلّ شهرين على ما لم يزل ، وأن تبطل الإقطاعات ، وأن يكون أمير المؤمنين يزيد من شاء ويرفع منْ شاء ، وذكروا أنهم صائرون في أثر كتابهم إلى باب أمير المؤمنين ، ومقيمون هناك إلى أن تقضى حوائجُهم ، وإنَّه إن بلغهم أن أحداً اعترض أمير المؤمنين في شيء من الأمور أخذوا رأسه ، وإن سقط من رأس أمير المؤمنين شرة قتلوا به موسى بن بغا وبأيتكاك ومفلحاً وياجر وبكالبا وغيرها .

ودعوا الله لأمير المؤمنين ودفعوا الكتاب إلى أبي القاسم ، فانصرف به حتى أوصله ، وتحرك الموالى بسامراً ، واضطرب القواد جداً ، وقد كان المهدي قد للملظالم وأدخل الفقهاء والقضاة ، وأخذوا مجالسهم ، وقام القواد في مراتبهم ، وسبق دخول أبي القاسم دخول المتظلمين .

فقرأ المهدي الكتاب قراءة ظاهرة ، وخلا بموسى بن بغا ، ثم أمر سليمان بن وهب أن يوقع في رقعتهم بإجابتهم إلى ما سألوا ، فلما فعل ذلك في فصل من الكتاب أو فصلين ، قال أبو القاسم : يا أمير المؤمنين ، لا يقنعهم إلا خطأ أمير المؤمنين وتوقيعه ، فأخذ المهدي كتابهم فضرب على ما كان سليمان وقع في ذلك ، ووقع في كل باب بإجابتهم إلى ما سألوا ، وبأن يفعل ذلك ، ثم كتب كتاباً مفرداً بخطه وختمه بخاتمه ، ودفعه إلى أبي القاسم ، فقال أبو القاسم لموسى

وبايكم و محمد بن بغا: وجها إليهم معي رسلاً يعتذرون إليهم مما بلغهم عنكم ، فوجه كل واحد منهم رجلاً ، وصار أبو القاسم إليهم وهم في مواضعهم ، وقد صاروا زهاء ألف فارس وثلاثة آلاف راجل؛ وذلك في وقت الظهر من يوم الخميس لخمس ليال خلوٌ من صفر من هذه السنة ، فأقرأهم من أمير المؤمنين السلام ، وقال لهم: إن أمير المؤمنين ، قد أجابكم إلى كل ما سألتم ، فادعوا الله لأمير المؤمنين ، ثم دفع كتابهم إلى كاتبهم ، فقرأه عليهم بما فيه من التوقعات؛ ثم قرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين؛ فإذا فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده ، وصلى الله على محمد النبي وآله وسلم؛ أرشدكم الله وحاطكم ، وأمتع بكم ، وأصلح أموركم وأمور المسلمين بكم؛ وعلى أيديكم. فهمت كتابكم ، وقرأته على رؤسائكم ، فذكروا مثل الذي ذكرتم ، وسألوا مثل الذي سألتم ، وقد أجبتكم إلى جميع ما سألتم محبةً لصلاحكم وأفتككم واجتماع كلمتكم ، وقد أمرت بتقرير أرزاقكم ، وأن تصير دائرة عليكم ، فليست لكم حاجة إلى حركة ، فطيبوا نفساً ، والسلام. أرشدكم الله وحاطكم وأمتع بكم ، وأصلح أموركم وأمور المسلمين بكم ، وعلى أيديكم!

فلما فرغ القارئ من الكتاب ، قال لهم أبو القاسم: وهؤلاء رسول رؤسائكم يعتذرون إليكم من شيء إن كان بلغكم عنهم ، وهم يقولون: إنما أنتم إخوة؟ وأنتم منا وإلينا.

وتكلم الرسل بمثل ذلك ، فتكلّموا أيضاً كلاماً كثيراً ، ثم كتبوا كتاباً يعتذرون فيه بمثل العذر الأول إلى أمير المؤمنين ، وذكروا فيه خصالاً مما ذكروه في الكتاب الذي قبله ، ووصفوا أنه لا يقنعهم إلا أن ينفذ إليهم خمس توقعات ، توقعياً بحط الزيادات ، وتوقعياً برد الإقطاعات ، وتوقعياً بخارج الموالي البوابين من الخاصة إلى عداد البرantين ، وتوقعياً برد الرسوم إلى ما كانت عليه أيام المستعين ، وتوقعياً برد التلاجي حتى يدفعوها إلى رجل يضمون إليه خمسين رجلاً من أهل الدور ، وخمسين رجلاً من أهل سامراً ينتجزون من الدواوين ، ثم يصيّر أمير المؤمنين الجيش إلى أحد إخوته أو غيرهم ، ومن يرى ليسفر بينه

وبيتهم بأمورهم ، ولا يكون رجلاً من الموالي ، وأن يؤمر صالح بن وصيف فيحاسب هو وموسى بن بغا على ما عندهم من الأموال ، وأنه لا يرضيهم دون ما سألوا في كتبهم كلها مع تعجيل العطاء ، وإدرار أرزاقهم عليهم في كل شهرين ، وأنهم قد كتبوا إلى أهل سامرا والمغاربة في موافاتهم ، وأنهم صائرون إلى باب أمير المؤمنين لينجز ذلك لهم ، ودفعوا الكتاب إلى أبي القاسم أخي أمير المؤمنين ، وكتبوا كتاباً آخر إلى موسى بن بغا وبائكباك ومحمد بن بغا ومفلح وياجور وبكالبا وغيرهم من القواد الذين ذكروا أنهم كتبوا كتاباً ، ذكروا فيه أنهم قد كتبوا إلى أمير المؤمنين بما كتبوا ، وأن أمير المؤمنين لا يمنعهم ما سألوا إلا أن يعترضوا عليه ، وأنهم إن فعلوا ذلك وخالفوهم لم يوافقوهم على شيء ، وأن أمير المؤمنين إن شاكته شوكة أو أخذ من رأسه شعرة ، أخذوا رؤوسهم جميعاً ، وأنه ليس يقنعهم إلا أن يظهر صالح بن وصيف حتى يجمع بينه وبين موسى بن بغا ، حتى ينظر أين موضع الأموال؛ فإن صالحًا قد كان وعدهم قبل استثاره أن يعطيهم أرزاق ستة أشهر .

ثم دفعوا هذا الكتاب إلى رسول موسى ، ووجهوا مع أبي القاسم عدة نفر منهم؛ ليوصلوا إلى أمير المؤمنين كتابهم ، وليستمعوا كلامه .

فلما رجع أبو القاسم وجّه موسى زهاء خمسة فارس ، فوقفوا على باب الحِير بين الجوسق والكُرْخ ، فمال إليهم أبو القاسم ورسل القوم ورسل أنفسهم ، فدفع رسول موسى إلى أبو القاسم كتاب القوم إليه وإلى أصحابه - وفي الجماعة سليمان بن وهب وولده وأحمد بن محمد بن ثوابه وغيرهم من الكتاب - فلما قرأ الكتاب عليهم أعلمهم أبو القاسم أنَّ معه كتاباً من القوم إلى أمير المؤمنين ، ولم يدفعه إليهم ، فركبوا جميعاً وانصرفوا إلى المهتدى ، فوجدوه في الشمس قاعداً على ليد ، قد صلى المكتوبة؛ وكسر جميع ما كان في القصر من الملاهي والآلات للعب والهَزْل ، فدخلوا فأوصلوا إليه الكتب ، وخلوا ملياً ، ثم أمر المهتدى سليمان بن وهب بإنشاء الكتب على ما سألوا في خمس رقاع ، فأنفذها المهتدى في درج كتاب منه بخطه ، ودفعه إلى أخيه ، وكتب القواد إليهم جواب كتابهم ، ودفعوه إلى صاحب موسى ، فصار إليهم أبو القاسم في وقت المغرب ، فأقرأهم من المهتدى السلام ، وقرأ عليهم كتابه ، فإذا فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم

وَقَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ لطاعتَهُ وَمَا يرْضِيهِ ، فَهَمْتَ كَتَابَكُمْ ، حَاطَّكُمُ اللَّهُ ، وَقَدْ أَنْفَذْتُ إِلَيْكُم التَّوْقِيعَاتِ الْخَمْسَ عَلَى مَا سَأَلْتُمْ ، فَوَكَّلْتُكُمْ مِنْ يَتَنَجَّزُهَا مِنَ الدَّوَّاَبِينَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَأَمَّا مَا سَأَلْتُمْ مِنْ تَصْيِيرِ أَمْرِكُمْ إِلَى أَحَدٍ إِخْوَتِي لِيُوصِلَ إِلَيَّ أَخْبَارَكُمْ ، وَيُؤْدِي إِلَيَّ حَوَائِجَكُمْ ؛ فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَحْبَبُ أَنْ أَنْفَقَدَ ذَلِكَ بِنَفْسِي ، وَأَنْ أَطْلَعَ عَلَى كُلِّ أَمْرِكُمْ وَمَا فِيهِ مَصْلِحَتُكُمْ ، وَأَنَا مُخْتَارُكُمُ الرَّجُلُ الَّذِي سَأَلْتُمْ ، مِنْ إِخْوَتِي أَوْ غَيْرِهِمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ؛ فَاَكْتَبُوا إِلَيَّ بِحَوَائِجِكُمْ وَمَا تَعْلَمُونَ أَنْ فِيهِ صَلَاحَكُمْ ؛ فَإِنِّي صَائِرٌ مِنْ ذَلِكَ إِلَى مَا تَحْبَبُونَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَقَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ لطاعتَهُ وَمَا يرْضِيهِ .

وَأَوْصَلَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ مُوسَى كِتَابَ مُوسَى وَأَصْحَابَهُ ؛ فَإِذَا فِيهِ :

بسم الله الرحمن الرحيم

أَبْقَاكُمُ اللَّهُ وَحْفَظَكُمْ ، وَأَتَمْ نَعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ ، فَهُمْنَا كَتَابَكُمْ ؛ وَإِنَّمَا أَنْتُمْ إِخْرَانَا وَبْنُو عَنْنَا ، وَنَحْنُ صَائِرُونَ إِلَى مَا تَحْبَبُونَ ، وَقَدْ أَمْرَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَعْزَهُ اللَّهُ فِي كُلِّ مَا سَأَلْتُمْ بِمَا تَحْبَبُونَ وَأَنْفَذَ التَّوْقِيعَاتِ بِهِ إِلَيْكُمْ ، وَأَمَّا ذَكْرُتُمْ مِنْ أَمْرٍ صَالِحٍ مَوْلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَغْيِيرِنَا لَهُ فَهُوَ الْأَخْ وَابْنُ الْعُمَّ ، وَمَا أَرْدَنَا مِنْ ذَلِكَ مَا تَكْرِهُونَ ؛ فَإِنْ وَعْدُكُمْ أَنْ يَعْطِيَكُمْ أَرْزاقَ سَتَةِ أَشْهُرٍ فَقَدْ رَفَعْنَا إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ رِقَاعًا ، نَسَأَلُهُ مِثْلَ الَّذِي سَأَلْتُمْ ، وَأَمَّا مَا قَلْتُمْ مِنْ تَرْكِ الْاعْتَرَاضِ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَفْوِيسِ الْأَمْرِ إِلَيْهِ ، فَنَحْنُ سَامِعُونَ مَطِيعُونَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَالْأُمُورُ مَفْوَضَةٌ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مَوْلَانَا وَنَحْنُ عَبْدُهُ ، وَمَا نَعْتَرِضُ عَلَيْهِ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأُمُورِ أَصْلًا ، وَأَمَّا مَا ذَكْرُتُمْ أَنَا نَرِيدُ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ سُوءًا ، فَمَنْ أَرَادَ ذَلِكَ فَجَعَلَ اللَّهُ دَائِرَةَ السُّوءِ عَلَيْهِ ، وَأَخْزَاهُ فِي دُنْيَا وَآخِرَتِهِ ، أَبْقَاكُمُ اللَّهُ وَحْفَظَكُمْ ، وَأَتَمْ نَعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ !

فَلَمَّا قَرَأَ الْكِتَابَاتِ عَلَيْهِمْ ، قَالُوا لَأَبِي القَاسِمِ : هَذَا الْمَسَاءُ قَدْ أَقْبَلَ ، نَنْظَرُ فِي أَمْرِنَا الْلَّيْلَةِ ، وَنَعُودُ بِالغَدَةِ لِنَعْرَفَكَ رَأِينَا ، فَافْتَرَقُوا وَانْصَرَفُوا أَبُو القَاسِمِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ .

ثُمَّ أَصْبَحَ الْقَوْمُ مِنْ غَدَةِ يَوْمِ الْجَمْعَةِ ، فَلَمَّا كَانَ فِي آخِرِ السَّاعَةِ الْأُولَى ،

ركب موسى بن بغا من دار أمير المؤمنين ، وركب الناس معه وهم قدر ألف وخمسمئة رجل؛ حتى خرج من باب الحير الذي يلي القطائع من الجوّسق والكرخ ، فعسكر هناك ، وخرج أبو القاسم أخو المهتدى ، ومعه الكرخي ، حتى صار إلى القوم ، وهم زهاء خمسمئة فارس وثلاثة آلاف راجل؛ وقد كان أبو القاسم انصرف في الليل ومعه التوقيعات؛ فلما صار بينهم أخرج كتاباً من المهتدى نسخته شبيه بالكتاب الذي في درجه التوقيعات ، فلما قرأ الكتاب ضجّوا ، واختلفت أقاويلهم ، وكثُرَ مَنْ يلحقُ بهم من رجال الموالى من ناحية سامراً في الحير؛ فلم يزل أبو القاسم يتضرّر أن ينصرف من عندهم بجواب يحصله يؤديه إلى أمير المؤمنين ، فلم يتهيأ ذلك إلى الساعة الرابعة ، وانصرفوا ، فطائفة يقولون: نريد أن يعزّ الله أمير المؤمنين ، ويوفّر علينا أرزاقنا؛ فإنما قد هلكنا بتأخيرها عنا ، وطائفة يقولون: لا نرضى حتى يولّي علينا أمير المؤمنين إخواته ، فيكون واحدٌ بالكرخ ، وأخر بالدّور ، وأخر بسامراً ، ولا نريد أحداً من الموالى يكون علينا رأساً ، وطائفة تقول: نريد أن يظهر صالح بن وصيف - وهي الأقل.

فلما طال الكلام بهذا منهم ، انصرف أبو القاسم إلى المهتدى بجملة من الخبر ، وبدأ بموسى في الموضع الذي هو معسكر فيه ، فانصرف بانصرافه ، فلما صلّى المهتدى الجمعة صير الجيش إلى محمد بن بغا ، وأمره بالمصير إلى القوم مع أخيه أبي القاسم ، فركب معه محمد بن بغا في زهاء خمسمئة فارس ، ورجع موسى إلى الموضع الذي كان فيه بالغداة ، ومضى أبو القاسم ومحمد بن بغا حتى خالطا القوم ، وأحاط الجميع بهم ، فقال أبو القاسم لهم: إن أمير المؤمنين يقول: قد أخرجت التوقيعات لكم بجميع ما سألتم ، ولم يبق لكم مما تحبون شيء إلا وأمير المؤمنين يبلغ فيه الغاية ، وهذا أمان لصالح بن وصيف بالظهور ، وقرأ عليهم أماناً لصالح ، بأنّ موسى وبايتكاك سألاً أمير المؤمنين أعزه الله ذلك ، فأجابهما إليه ، وأكده بغاية التأكيد ، ثم قال: فعلام اجتماعكم! فأكثروا الكلام؛ فكان الذي حصله عند انصرافه أن قالوا: نريد أن يكون موسى في مرتبة بغا الكبير ، وصالح في مرتبة وصيف أيام بغا ، وبايتكاك في مرتبته الأولى ، ويكون الجيش في يد مَنْ هو في يده؛ إلى أن يظهر صالح بن وصيف ، فيوضع لهم العطاء ، وتتنجز لهم الأرزاق بما في التوقيعات ، فقال: نعم.

فانصرف القوم ، فلما صاروا على قدر خمسة ذراع اختلفوا ، فقال قوم : قد رضينا ، وقال قوم : لم نرض ، وانصرف رسول المهتدى إليه : إنَّ القوم قد تفرقوا ؛ وهم على أن ينصرفوا ، فانصرف موسى عند ذلك ، وتفرق الناس إلى مواضعهم من الْكُرْخ والدُّور وسامرا ، فلما كان غداة يوم السبت ، ركب ولد وصيف وجماعة من مواليهم وغلمانهم ، وتنادى الناس : السلاح ! وانتهب دواب العامة الرّجاله ؟ رجالة أصحاب صالح بن وصيف ومضوا فعسکروا بسامرا في طرف وادي إسحاق بن إبراهيم ، عند مسجد لجئن أم ولد المتكفل ، وركب أبو القاسم عند ذلك يريد دار المهتدى ، فمرّ بهم في طريقه ، فتعلّقوا به وبمن كان معه من حشمه وغلمانه ، فقالوا له : تؤدي إلى أمير المؤمنين عنا رسالة ؟ فقال لهم : قولوا ، فخلطوا ولم يتحصل من قولهم شيئاً إلا : إننا نريد صالحًا ، فمضى حتى أدى إلى أمير المؤمنين ذلك وإلى موسى ، وجماعة القواد حضور .

فذكر عمن حضر المجلس أنَّ موسى بن بغا ، قال : يطلبون صالحًا مني ؟ كأنني أنا أخفّيُه وهو عندي ! فإن كان عندهم فينبغي لهم أن يظهروه ، وتأكد عندهم الخبر بجتماع القوم ، وتحلّب الناس إليهم ، وتهاججو من دار أمير المؤمنين ؛ فركبوا في السلاح ، وأخذدوا في الحير حتى اجتمعوا ما بين الدكة وظهر المسجد الجامع ؛ فاتصل الخبر بالأتراء ومنْ كان ضَوَى إليهم ، فانصرفوا ركضاً وعدواً لا يلوى فارس على راجل ، ولا كبير على صغير حتى دخلوا الدروب والأزقة ، ولحقوا بمنازلهم ، وزحف موسى وأصحابه جمِيعاً ، فلم يبق بسامراً قائداً يركب إلى دار أمير المؤمنين إلا ركب معه ، ولزموا الحير حتى خرجوا مما يلي الحائطين ، ثم خرجوا ؛ فأما مفلح وواجن ومن انضم إليهما فسلكوا شارع بغداد حتى بلغوا سوق الغنم ، ثم عطفوا إلى شارع أبي أحمد ، حتى لحقوا بجيش موسى ، وأما موسى وجماعة القواد الذين كانوا معه مثل ياجور وساتكين ويأزر جوخ وعيسي الكرخي ، فإنهم سلكوا على سُمْت شارع أبي أحمد ، حتى صاروا إلى الوادي ، وانصرفوا إلى الجوستق ؛ فكان تقدير الجيش الذين كانوا مع موسى في هذا اليوم - وهو يوم السبت - أربعة آلاف فارس في السلاح والقسيّ الموترة والدروع والجواشن والرماح والطبرزيّات ، وكان أكثر القواد الذين كانوا بالكرخ يطلبون صالحًا مع موسى في هذا الجيش يريدون محاربة منْ يطلب صالحًا .

وقد ذكر عن بعض من تخيّر أمرهم؛ أنَّ أكثرَ مَنْ كان راكِبًا مع موسى كان هواء مع صالح ، ولم يكن للكرخيين والدوريين في هذا اليوم حركة؛ فلما وصل القوم إلى الجosoq كان أول ما ظهر منهم النداء بأنَّ لم يحضر دار أمير المؤمنين في غداة يوم الأحد من قُواد صالح وأهله وغلمانه وأصحابه أسقط اسمه ، وخرّب منزله ، وضرب وقِيدَ وحُذرَ إلى المطبق؛ ومن وُجد بعد ثالثة من هذه الطبقة ظاهراً بعد استثار ، فقد حلَّ به مثل ذلك ، ومن أخذ دابة لعامي أو تعرض له في طريق؛ فقد حلَّت به العقوبة الموجعة .

وبات الناس ليلة الأحد لثمان خلون من صَفَر على ذلك؛ فلما كان غداة يوم الإثنين انتهى إلى المهتدى أن مساوراً الشاري صار إلى بلد ، فقتل بها وحرق ، فنادي في مجلسه بالنفير ، وأمر موسى ومفلحاً وبايكباك بالخروج ، وأخرج موسى مضاربه؛ فلما كان يوم الأربعاء لإحدى عشرة مضت من صَفَر بطل أمر موسى ومحمد بن بغا ومُفلح في الخروج ، وقالوا: لا يربح أحدٌ منا حتى ينقطع أمرنا وأمر صالح؛ وهم مجتمعون على ذلك ، يخافون من صالح أن يخلفهم بمكروه .

وذكر عن بعض الموالي أنه قال: رأيت بعض بنى وصيف - وهو الذي كان جمع تلك الجموع - يلعب مع موسى وبايكباك بالصوالحة في ميدان بغا الصغير يوم الأربعاء لإحدى عشرة ليلة خلت من صَفَر ، ثم جد هؤلاء في طلب صالح بن وصيف ، فهُجِّم بسببه على جماعة ممن كان متصلًا به قبل ذلك ، ومتمن اتهموه أنه آواه ، منهم إبراهيم بن سعدان التحوي وإبراهيم الطالبي وهارون بن عبد الرحمن بن الأزهر الشيعي وأبو الأحوص بن أحمد بن سعيد بن سلم بن قُتيبة وأبو بكر خَتن أبي حَرْملة الحجاج وشارية المغنية والسرخسي صاحب شُرطة الخاصة وجماعة غيرهم .

فذكر عن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مصعب بن زريق ، قال: حدثني صاحب رُبع القبة - وهو ربع تلقاء دار صالح بن وصيف - قال: بينما نحن قعود يوم الأحد ، إذا غلام قد خرج من زُقاق ، وأراه مذعوراً ، فأنكرناه ، فأردنا مسأله عن شأنه؛ ففاثنا؛ فلم نلبث أن أقبل عيَّار من موالي صالح بن وصيف يعرف بروزبة ، ومعه ثلاثة نفر أو أربعة ، فدخلوا الزقاق ، فأنكرناهم ، فلم يلبثوا أن

خرجوا وأخرجوه صالح بن وصيف ، فسألنا عن الخبر ، فإذا الغلام قد دخل داراً في الرزاق يطلب ماء لشربه ، قال: فسمع قائلاً يقول بالفارسية: أيها الأمير تنح ، فإن غلاماً قد جاء يطلب ماء؛ فسمع الغلام ذلك ، وكان بينه وبين هذا العيار معرفة ، فجاء فأخبره فجمع العيار ثلاثة أناسي ، وهجم عليه فأخرجه.

وذكر عن العيار الذي هجم عليه ، أنه قال: قال لي الغلام ما قال ، فأقبلت ومعي ثلاثة نفر ، فإذا بصالح بن وصيف بيده مرآة ومشط ، وهو يسرح لحيته ، فلما رأني بادر فدخل بيتي ، فخفت أن يكون قصد لأخذ سيف أو سلاح ، فتلومت ثم نظرت إليه؛ فإذا هو قد لجا إلى زاوية ، فدخلت إليه فاستخرجته فلم يزدني على التصرّع شيئاً ، قال: فلما تضرع إلي قلت: ليس إلى تركك سبيل؛ ولكنني أمرتك على أبواب إخوتكم وأصحابكم وقوادكم وصنائعكم؛ فإن اعترض لي منهم اثنان أطلقتك في أيديهم ، قال: فأخرجته فما لقيت إلا من هو عوني على مكروره.

فذكر أنه لما أخذ مضى به نحو ميلين ، ليس معه إلا أقل من خمسة نفر من أصحاب السلطان ، وذكر أنه أخذ حين أخذ ، وعليه قميص وبطنه ملحم وسرويل ، وليس على رأسه شيء وهو حاف.

وقيل إنه حمل على بزدوزن صنابي وال العامة تعدو خلفه وخمسة من الخاصة يمنعون منه؛ حتى انتهوا به إلى دار موسى بن بغا؛ فلما صاروا به إلى دار موسى بن بغا أتاه بايكباك ومفلح وياجور وساتكين وغيرهم من القواد ، ثم أخرجوه من باب الحير الذي يلي قبالة المسجد الجامع؛ ليذهبوا به إلى الجوست ، وهو على بغل بإكاف ، فلما صاروا به إلى حدّ المنارة ، ضربه رجل من أصحاب مفلح ضربة من ورائه على عاتقه كاد يقذفه منها ، ثم احترقوا رأسه وتركوا جيفته هناك ، وصاروا به إلى المهدى؛ فوافوه به قبيل المغرب وهو في بركة قباء رجل من غلمان مفلح يقطر دماً ، فوصلوا به إليه ، وقد قام لصلاة المغرب ، فلم يره ، فأخرجوه ليصلح ، فلما قضى المهدى صلاته ، وخبروه أنهم قتلوا صالحًا ، وجاؤوا برأسه لم يزدهم على أن قال: واروه؛ وأخذ في تسبيحه ، ووصل الخبر إلى منزله ، فارتفعت الوعاية وباتوا ليتلهم.

فلما كان يوم الإثنين لسبعين من صفر حُمل رأس صالح بن وصيف على قناه ، وطِيف به ، ونودي عليه: هذا جزاء من قتل مولا ، ونصب بباب العامة

ساعة ثم نُحْيِي ، وفُعِلَ به ذلك ثلاثة أيام تتابعاً ، وأخرج رأس بغا الصغير في وقت صلب رأس صالح يوم الإثنين ، فدُفع إلى أهله ليدفنه.

فذكر عن بعض الموالى أنه قال: رأيت مفلحاً وقد نظر إلى رأس بغا ، فبكى وقال: قتلتني الله إن لم أقتل قاتلك؟ فلما كان يوم الخميس لأربعين من صفر ، وجّه موسى بالرأس إلى أم الفضل ابنة وصيف ، وهي امرأة النوشرىي ، وكانت قبله عند سلمة بن خاقان.

ذُكِرَ عن بعض بنى هاشم أنه قال: هنَّا موسى بن بغا بقتل صالح فقال: كان عدوُّ أمير المؤمنين استحقَ القتل ، قال: وهنَّا يا ياكباك بذلك؟ فقال: مالي أنا وهذا! إنما كان صالح أخي ، فقال السَّلولي لموسى إذ قتل صالح بن وصيف: وَنَلْتَ وَتَرَكَ مِنْ فَرْعَوْنَ حِينَ طَغَى وَجَئْتَ إِذْ جَئْتَ يَا مُوسَى عَلَى قَدْرِ ثَلَاثَةٌ كُلُّهُمْ بَاغٌ أَخْوَهُ حَسَدٌ يَرْمِيكَ بِالظُّلْمِ وَالْعُدُوانِ عَنْ وَتَرٍ وَصِيفٌ بِالْكَرْخِ مُمْثُولٌ بِهِ وَيُغَا وَصَالِحٌ بْنُ وَصِيفٍ بَعْدُ مُنْفَرٍ فِي الْحَيْرِ جِيفَتُهُ وَالرُّوحُ فِي سَقَرٍ

* * *

وفي مستهل جُمادى الأولى من هذه السنة رحل موسى بن بغا وبياكباك إلى مساور ، وشيعهم محمد بن الواثق.

وفي جُمادى الأولى أيضاً منها التقى مساور بن عبد الحميد وعبيدة العمروسي الشاري بالكُحيل ، وكانا مختلفي الآراء ، فظفر مساور بعيدة فقتله.

وفي هذا الشهر من هذه السنة التقى مساور الشاري ومفلح ، فحُدِّثَتْ عن مساور ، أنه انصرف من الكُحيل بعد قتله العمروسي ، وقد كُلِّمَ كثير من أصحابه فلم تندمل كُلُّوهم ، ولغبوا من الحرب التي كانت جرت بين الفريقين إلى عسكر موسى ومن ضمته ذلك العسُّكر وهم حامون ، فأوقع بهم؛ فلما لم يصل إلى ما أراد منهم من الظفر بهم ، وكان التقاوئهم بجبل زيني تعلق هو وأصحابه بالجبل فصاروا إلى ذِرْوَتَه ، ثم أودعوا النيران ، وركزوا رماحهم ، وعسُّكر موسى بسفح الجبل ثم هبط مساور وأصحابه من الجبل ، من غير الوجه الذي عسُّكر به موسى ، فمضى موسى وأصحابه يحسبون أنهم فوق الجبل ففاتهُم .

* * *

[ذكر الخبر عن خلع المهدي ثم موته]

وفي رجب من هذه السنة لأربع عشرة ليلة خلت منه خُلُعُ المهدي ، وتوفى يوم الخميس لاثنتي عشرة ليلة بقيت من رجب^(١) .

* ذكر الخبر عن سبب خلعه ووفاته :

ذكر أن ساكني الكرخ بسامرا والدور تحركوا ليلاً من رجب من هذه السنة ، يطلبون أرزاقهم ، فوجّه إليهم المهدي طباغو الرئيس عليهم وعبد الله أخا المهدي ، فكلّمهم فلم يقبلوا منها ، وقالوا: نحن نريد أن نكلّم أمير المؤمنين مشفاهةً ، وخرج أبو نصر بن بُغا تحت ليلته إلى عسکر أخيه ، وهو بالسّن بالقرب من الشاري ، ودخل دار الجوسق جماعة منهم؛ وذلك يوم الأربعاء ، فكلّمهم المهدي بكلام كثير ، وقطع العطاء عن الناس يوم الأربعاء والخميس والناس متوقفون حتى يعرفوا ما صنع موسى بن بُغا ، وكان موسى وضع العطاء في عسکره لشهر ، وكان على مناجزة الشاري إذا استوى أصحابه ، فوقع الاختلاف ، ومضى موسى يريد طريق خراسان.

واختلف في سبب الاختلاف الذي جرى ، فصار من أجله موسى إلى طريق خراسان ، والسبب الذي من أجله خرج المهدي لحرب من حاربه من الأتراك ، فقال بعضهم: كان السبب الذي من أجله تناهى موسى عن وجه الشاري وترك حربه وصار إلى طريق خراسان: أنّ المهدي استمال بايكباك ، وهو مع موسى مقيم في وجه الشاري مساور ، وكتب إليه يأمره أن يضمّ العسکر الذي مع موسى إلى نفسه ، وأن يكون هو الأمير عليهم ، وأن يقتل موسى بن بُغا ومُفلحاً ، أو يحملهما إليه مقيدين ، فلما وصل الكتاب إلى بايكباك ، أخذه ومضى به إلى موسى بن بُغا ، فقال: إني لست أفرح بهذا؛ وإنما هذا تدبير علينا جميعاً ، وإذا فعل بك اليوم شيء فعل بي غداً مثله ، فما ترى؟

(١) وقال ابن الجوزي وفي هذه السنة (٢٥٦ هـ) خلع المهدي بالله لأربع عشرة خلت من رجب وقتل وفي سبب خلعه قوله... إلخ [المتنظم ١٢/١٠٢].

قال: أرى أن تصير إلى سامرا ، فتخبره أنك في طاعته ، وناصره على موسى ومفلح؛ فإنه يطمئن إليك ، ثم ندبر في قتلها.

فقدم بايكباك فدخل على المهدي ، وقد مضوا إلى منازلهم كما قدموا من عند الشاري؛ فأظهر له المهدي الغضب ، وقال: تركت العسكر ، وقد أمرتُك أن تقتل موسى ومفلحاً ، ودافت في أمرهما! قال: يا أمير المؤمنين ، وكيف لي بهما ، وكيف يتهدأ لي قتلهما؟ وهما أعظم جيشاً مني ، وأعزر مني! ولقد جرى بيني وبين مفلح شيء في بعض الأمر؛ فما انتصفتْ منه؛ ولكنني قد قدمت بجيشه وأصحابي ومن أطاعني لأنصرك عليهم ، وأقوى أمرك؛ وقد بقي موسى في أقل العدد ، قال: ضع سلاحك ، وأمر بإدخاله داراً ، فقال: يا أمير المؤمنين ، ليس هذا سبيل مثلي إذا قدم من مثل هذا الوجه؛ حتى أصير إلى متزلي ، وأمر أصحابي وأهلي بأمري ، قال: ليس إلى ذلك سبيل ، أحتاج إلى مناظرك ، فأخذ سلاحه ، فلما أبطأ خبره على أصحابه سعى فيهم أحمد بن خاقان حاجب بايكباك ، فقال: اطلبو صاحبكم قبل أن يحدث به حدث؛ فجاشت الترك ، وأحاطوا بالسوق ، فلما رأى ذلك المهدي وعنده صالح بن عليّ بن يعقوب بن أبي جعفر المنصور شاوره ، وقال: ما ترى؟ قال: يا أمير المؤمنين؛ إنه لم يبلغ أحد من آبائك ما بلغته من الشجاعة والإقدام ، وقد كان أبو مسلم أعظم شأنًا عند أهل خراسان من هذا التركي عند أصحابه؛ فما كان إلا أن طرح رأسه إليهم حتى سكنوا ، وقد كان فيهم من يعبده ويتخذه ربًا ، فلو فعلت مثل ذلك سكنوا؛ فأنت أشد من المنصور إقداماً ، وأشجع قلباً ، فأمر المهدي الكرخي - واسمه محمد بن المباشر ، وكان حداداً بالكرخ يطرق المسامير ، فانقطع إلى المهدي ببغداد فوثق به ولزمه - فأمره بضرب عنق بايكباك ، فضرب عنقه ، والأتراء مصطفون في السوق في السلاح ، يطلبون بايكباك؛ فأمر المهدي عتاب بن عتاب القائد أن يرميهم برأسه فأخذ عتاب الرأس؛ فرمى به إليهم ، فتأخرروا وجاشوا ، ثم شد رجل منهم على عتاب ، فقتله ، فوجّه المهدي إلى الفراغة والمغاربة والأوكشبة والأشرونسية والأتراء الذين بايعوه على الدرهمين والسوق ، فجاؤوا ، فكانت بينهم قتلى كثيرة ، كثُر فيها الناس ، فقيل: قُتل من الأتراء الذين قاتلوا نحو من أربعة آلاف ، وقيل ألفان وقيل ألف؛ وذلك يوم

السبت لثلاث عشرة خللت من رجب من هذه السنة .

ثم تناول القوم يوم الأحد ، فاجتمع جميع الأتراك ، فصار أمرهم واحداً ، فجاء منهم زهاء عشرة آلاف رجل ، وجاء طوغينا أخو بابكاك وأحمد بن خاقان حاجب بابكاك في نحو من خمسينه؛ مع من جاء مع طوغينا من الأتراك والعمجم ، وخرج المهدي ومعه صالح بن علي والمصحف في عنقه ، يدعو الناس إلى أن ينصروا خليفتهم ، فلما التحش الشر مال الأتراك الذين مع المهدي إلى أصحابهم الذين مع أخي بابكاك ، وبقي المهدي في الفراغنة والمغاربة ومن خفت معه من العامة ، فحمل عليهم طوغينا أخو بابكاك حملة ثائر حران موتور ، فقضى تعبيتهم ، وهزمهم وأكثر فيهم القتل وولوا منهزمين ، ومضى المهدي يركض منهاماً ، والسيف في يده مشهور ، وهو ينادي : يا معاشر الناس ، انصرعوا خليفتكم ، حتى صار إلى دار أبي صالح عبد الله بن محمد بن يزداد وهي بعد خشبة بابك ؛ وفيها أحمد بن جميل صاحب المعونة ، فدخلها ووضع سلاحه ، ولبس البياض ليعلو داراً وينزل أخرى ويهرب ، فطلب فلم يوجد ، وجاء أحمد بن خاقان في ثلاثين فارساً يسأل عنه حتى وقف على خبره في دار ابن جميل ، فبادرهم ليصعد ، فرمي بهم وبعير بالسيف ، ثم حمله أحمد بن خاقان على دابة أو بغل ، وأرداه خلفه سائساً حتى صار به إلى داره ، فدخلوا عليه ، فجعلوا يصفونه ويبزرون في وجهه ، وسألوه عن ثمن ما باع من المتع والخرثي ، فأقر لهم بستمائة ألف قد أودعها الكرخي الناس ببغداد ، وأصابوا عنده خسفة الواضحة مُغنية فأخذوا رقعته بستمائة ألف دينار ؛ ودفعوه إلى رجل ، فوطئ على خصيئه حتى قتله .

وقال بعضهم : كان السبت وأول الخلاف ، أن اللاحقين من أولاد الأتراك اجتمعوا ، وقالوا : لا نرضى أن يكون علينا رئيس غير أمير المؤمنين ، وكتبوا إلى موسى بن بُغا وبابكاك ، وهم في وجه الشاري ، فوافى موسى في رجاله حتى صار إلى قنطرة في ناحية الوزيرية يوم الجمعة ، وعسكر المهدي في الحير ، وقرب منهم ، ثم خرج إلى الجوشق ، وعليه السلاح ؛ فلما كان يوم السبت لثلاث عشرة خللت من رجب ، دخل بابكاك طائعاً ، ومضى موسى إلى ناحية طريق خراسان في نحو ألفي رجل ، وجاء المهدي رجل من الموالي ؛ فقال له : إن

بایکباك قد وعد موسى أن يفتك بك في الجosoق ، فأخذ المهدي بایکباك ، وأمر بنزع سلاحه وحبسه ، فجُبس يوم السبت إلى وقت العصر ، ثم خرج أهل الكرخ وأهل الدور يطلبونه ، وانصرفوا وبكرروا يوم الأحد ، فلم يختلف منهم أحد إلا حضر راكباً وراجلاً في السلاح ، فلما صاروا إلى الجosoق ، صلى المهدي الظهر ، وخرج إليهم في الفراغنة والمغاربة ، فطارد لهم الأتراك ، فحملوا عليهم ، فلما تبعوهم خرج كمين لهم ، فقتل من الفراغنة والمغاربة جماعة كبيرة ، وهرب المهدي ، ومرّ على باب أبي الوزير غلام له يصيغ : يا معشر الناس ، هذا خليفتكم ؛ وترافق الأتراك خلفه ، فدخل دار أحمد بن جميل ، وتسلق المهدي من دار إلى دار ، وأحدق الأتراك بتلك الناحية كلها ، فأخرجه من دار غلام لعبد الله بن عمر البازيار ، وحملوه وبه طعنة في خاصرته على بذون أعجف ، في قميص وسراويل ، وانتهوا دار الكرخيّ ودوربني ثوابة وجماعة من الناس ؛ فلما كان يوم الإثنين حمل أحمد بن المتوكل المعروف بابن فتيان إلى دار يازجوخ ، والأتراك يدورون في الشوارع ، ويحمدون العامة إذ لم يتعرضوا لهم .

وقال آخرون : بل كان السبب في ذلك ؛ أنّ أهل دور سامراً والكرخ تحرّكوا في يوم الإثنين لليلة خلث من رجب من هذه السنة ، واجتمعوا بالكرخ وفوقها ، فوجه المهدي إليهم كيَّلغَنْ وطبيغو بن صول أرتكتين وعبد الله أخا نفسه ، فلِم يزالوا بهم حتى سكعوا ورجعوا إلى الدار ، وبلغ أبو نصر محمد بن بغا الكبير أن المهدي قد تكلّم فيه وفي أخيه موسى ، وقال للموالي : إن الأموال عندهم ، فتخوّفه وإياهم ، فهرب في ليلة الأربعاء لثلاث خلوٌون من رجب ، فكتب إليه المهدي أربعة كتب يعطيه فيها الأمان على نفسه ومن معه ، ووصل كتابان إليه وهو بالمحمديّة مع أرتكتين بن برنمكتين ، ووصل الآخران إليه مع فرج الصغير ، فوثق بذلك ، فرجع حتى دخل الدار هو وأخوه حبشون وبكالبا ، فحسوا وحسوا معهم كيَّلغَنْ ، فأفرد أبو نصر عنهم ؛ فطلب منه المال ، فقبض من وكيله خمسة عشر ألف دينار ، وقتل يوم الثلاثاء لثلاث خلوٌون من رجب ، ورمي به في بئر من آبار القناة ، وأخرج من البئر يوم الإثنين للنصف من رجب ، ومضى به إلى منزله وقد أراح ، فاشتري له ثلثمائة مثقال مسك وستمائة مثقال كافور ، وصُرّ عليه فلم تنقطع الرائحة ، وصلّى عليه الحسن بن المأمون ،

وكتب المهتدي إلى موسى بن بُغا عند حبسه أبا نصر يأمره بتسليم العسكر إلى بايكباك والإقبال إلى سامراً في مواليه ، وكتب إلى بايكباك في تسلّم العسكر والقيام بقتال الشاري ، فصار بايكباك بالكتاب إلى موسى فقرأه ، فاجتمعوا على الانصراف إلى سامراً ، وبلغ المهتدي ذلك ، وأنهم على خلافه ، فجمع الموالى ، فحضرهم على الطاعة ، وأمرهم بلزومه في الدار وترك الإخلال به ، وأجرى على كلّ رجل من الأتراك ومنْ يجري مجراهم في كلّ يوم درهمين ، وعلى كلّ رجل من المغاربة درهماً ، فاجتمع له من الفريقين وأخذانهم زهاء خمسة عشر ألف إنسان ، منهم من الأتراك المعروف بالكاملي في الجوسق وغيره من المقاصير ، وكان الق testim بأمر الدار بعد حبس كيَّلَعَ مسورو البلخي والرئيس من القواد طباعقو والقِيم بحبس من حُبس من هؤلاء عبد الله بن تكين . وبلغ موسى ومفلحاً وبائكباك حبس أبي نصر وحبشون ومنْ حُبس ، فأخذوا حذرهم .

وجرت الرسل والكتب بينهم وبين المهتدي يوم الخميس وخرج المهتدي يوم الخميس لإحدى عشرة ليلة خلت من رجب بجمعه متوقعاً ورود القوم عليه؛ فلم يأت أحد ، فلما كان يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة خلت من رجب صاح الخبر بأن موسى قد عَرَجَ عن طريق سامراً إلى ناحية الجبل مع مفلح ، ودخل يوم السبت بائكمباك ويأرجونه وأساتكين وعلي بن بارس وسيما الطويل وخطارمش إلى الدار ، فحبس بائكمباك وأحمد بن خاقان خليفته ، وصُرُفَ الباقيون ، فاجتمع أصحاب بائكمباك وغيره من الأتراك ، وقالوا: لم يُحبس قائدنا؟ ولم قُتل أبو نصر؟ فخرج إليهم المهتدي يوم السبت - ولم يكن بينهم حرب - فرجع ، وخرج يوم الأحد وقد اجتمعوا له ، وجمع هو المغاربة والأتراك البرانيين والفراغنة فصیر على الميمنة مسورو البلخي ، وعلى الميسرة يأرجونه ، والمهتدي في القلب مع أساتكين وطباعقو وغيرهما من القواد .

فلما حِمِّت الشمس ، قرب القوم بعضهم من بعض ، وهاجت الحرب ، وطلعوا بائكمباك ، فرمى إليهم المهتدي برأسه - وكان عتاب بن عتاب أخرجه من بركة قبائه - فلما رأوا شدّ أخيه طغوتيا في جماعة من خاصته على جمع المهتدي وعطفت الميمنة والميسرة من عسكر المهتدي فصاروا معهم ، وانهزم الباقيون عن المهتدي ، وقتل جماعة من الفريقين .

فذكر عن حَبْشُونَ بْنَ بَغَا ، أَنَّهُ قَالَ: قُتِلَ سِبْعَمْةً وَثَمَانُونَ إِنْسَانًا ، وَتَفَرَّقَ النَّاسُ ، وَدَخَلَ الْمَهْتَدِيُ الدَّارَ ، فَأَغْلَقَ الْبَابَ الَّذِي دَخَلَ فِيهِ ، وَخَرَجَ مِنْ بَابِ الْمَصَافَ حَتَّى خَرَجَ مِنْ الْبَابِ الْمَعْرُوفِ بِإِيمَانِهِ ، ثُمَّ إِلَى سُوِيقَةِ مَسْرُورٍ ، ثُمَّ دَرَبَ الْوَاقِفَ؛ حَتَّى خَرَجَ إِلَى بَابِ الْعَامَةِ ، وَهُوَ يَنْادِي: يَا مَعْشَرَ النَّاسِ ، أَنَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ؛ قَاتَلُوا عَنْ خَلِيفَتِكُمْ ، فَلَمْ تَجْبَهِ الْعَامَةُ إِلَيْ ذَلِكَ ، وَهُوَ يَمْرَرُ فِي الشَّارِعِ وَيَنْادِي ، فَلَمْ يَرْهُمْ يَنْصُرُونَهُ ، فَصَارَ إِلَى بَابِ السَّجْنِ ، فَأَطْلَقَ مَنْ فِيهِ ، وَهُوَ يَظْنَ أَنَّهُمْ يَعِينُونَهُ؛ فَلَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ إِلَّا الْهَرَبُ ، وَلَمْ يَجْبَهْ أَحَدٌ ، فَلَمَّا لَمْ يَجْبِيَهُ ، صَارَ إِلَى دَارِ أَبِي صَالِحٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ يَزِيدَ ، وَفِيهَا أَحْمَدُ بْنُ جَمِيلَ صَاحِبُ الْشُّرْطَةِ نَازِلٌ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ ، فَأَخْرَجَ مِنْ نَاحِيَةِ دِيوَانِ الْضِيَاعِ ، ثُمَّ صَرَرَهُ إِلَى الْجَوْسَقِ ، فَحُبِسَ فِيهِ عَنْدَ أَحْمَدَ بْنِ خَاقَانَ ، وَانتَهَ دَارُ أَحْمَدَ بْنِ جَمِيلَ.

وَكَانَ مِنْ قُتْلَ فِي الْمَعرِكَةِ مِنْ قَوَادِ الْمَغَارِبَةِ نَصَرُ بْنُ أَحْمَدَ الزَّبِيرِيَّ ، وَمِنْ قَوَادِ الشَّاكِرِيَّةِ عَتَابُ بْنُ عَتَابٍ حِينَ جَاءَ بِرَأْسِ بَايِكَبَاكَ إِلَيْهِمْ ، وَقُتِلَ الْمَهْتَدِيُ - فِيمَا قِيلَ - فِي الْوَقْعَةِ عَدَةً كَثِيرَةً بِيَدِهِ ، ثُمَّ جَرِيَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ بَعْدَ أَنْ حُسْنَ كَلامَ شَدِيدٍ ، وَأَرَادُوهُ عَلَى الْخَلْعِ فَأَبَى ، وَاسْتَسْلَمَ لِلْقُتْلِ ، فَقَالُوا: إِنَّهُ كَانَ كَتَبَ رُقْعَةً بِيَدِهِ لِمُوسَى بْنِ بَغَا وَبَايِكَبَاكَ وَجَمَاعَةَ مِنَ الْقَوَادِ؛ أَنَّهُ لَا يَغْدِرُ بَهُمْ وَلَا يَغْتَالُهُمْ ، وَلَا يَفْتَكُ بَهُمْ وَلَا يَهْمِمُ بِذَلِكَ ، وَأَنَّهُ مَتَّ فَعْلَ ذَلِكَ بَهُمْ أَوْ بِأَحَدٍ مِنْهُمْ وَوَقَفُوا عَلَيْهِ فَهُمْ فِي حَلَّ مِنْ بَيْعَتِهِ ، وَالْأَمْرُ إِلَيْهِمْ يَقْعُدُونَ مِنْ شَأْوَوْا ، فَاسْتَحْلَوْا بِذَلِكَ نَقْضَ أَمْرِهِ .

وَقَدْ كَانَ يَارْجُونَ بَعْدَ اِنْهِزَامِ النَّاسِ صَارَ إِلَى الدَّارِ ، فَأَخْرَجَ مِنْ وَلَدِ الْمَتَوَكِّلِ جَمَاعَةً ، فَصَارَ بَهُمْ إِلَى دَارِهِ ، فَبَايَعُوا أَحْمَدَ بْنَ الْمَتَوَكِّلِ الْمَعْرُوفَ بِابْنِ فِتْيَانِ يَوْمِ الْثَّلَاثَاءِ لِثَلَاثَ عَشَرَةَ خَلْتَ مِنْ رَجَبٍ ، وَسُئِّمَ الْمَعْتَمِدُ عَلَى اللَّهِ ، وَأَشْهَدَ يَوْمَ الْخَمِيسِ لِاثْنَتِي عَشَرَةَ لِيَلَةً بَقِيتَ مِنْ رَجَبٍ عَلَى وَفَاتَةِ الْمَهْتَدِيِّ مُحَمَّدِ بْنِ الْوَاقِفِ ، وَأَنَّهُ سَلِيمٌ لَيْسَ بِهِ إِلَّا الْجَرَاحَتَانِ الْلَّتَانِ نَالَتَاهُ يَوْمُ الْأَحَدِ فِي الْوَقْعَةِ؛ إِحْدَاهُمَا مِنْ سَهْمٍ وَالْأَخَرُ مِنْ ضَرْبَةٍ ، وَصَلَى عَلَيْهِ جَعْفُرُ بْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ وَعَدَّهُ مِنْ إِخْرَوَهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَدُفِنَ فِي مَقْبَرَةِ الْمُنْتَصِرِ ، وَدَخَلَ مُوسَى بْنَ بَغَا وَمَفْلِحُ سَامِرَا يَوْمَ السَّبْتِ لِعَشْرَ بَقِينَ مِنْ رَجَبٍ ، فَسَلَّمَ عَلَى الْمَعْتَمِدِ فَخَلَعَ عَلَيْهِ ، وَصَارَ إِلَى مَتْرَلَهُ وَسَكَنَ النَّاسَ .

وقال بعضهم - وذكر أنه كان شاهداً أمرهم : لما كان ليلة الإثنين للليلة خلت من رجب ثار أهل الكرخ والدور جميعاً ، فاجتمعوا ، وكان المهدي يوجه إليهم إذا تحرّكوا أخاه عبد الله ، فوجه إليهم في هذا اليوم عبد الله أخاه كما كان يوجهه ، فصار إليهم؛ فوجدهم قد أقبلوا يريدون الجوسق ، فكلّهم ، وضمن لهم القيام بحوائجهم ، فأبوا وقالوا : لا نرجع حتى نصيّر إلى أمير المؤمنين ونشكُّ إليه قصتنا ، فانصرف عنهم عبد الله ، وفي الدار في هذا الوقت أبو نصر محمد بن بغا وحشّون وكيلنْغ ومسرور البلخي وجماعة؛ فلما أدى عبد الله إلى المهدي ما دار بينه وبينهم ، أمره بالرجوع إليهم ، وأن يأتي بجماعة منهم فيوصلهم إليه؛ فخرج فتلقاهم قريباً من الجوسق ، فأردّاهم على أن يقفوا بموضعهم ، ويوجّهوا معه جماعة منهم فأبوا ، فلما تناهى الخبر إلى أبي نصر ومن كان معه في الدار بأن جمعهم قد أقبل ، خرجوا جميعاً من الدار مما يلي باب التزالّة ، فلم يبق في الدار إلا مسرور البلخي وألطون خليفة كيلنْغ ، ومن الكتاب عيسى بن فؤاد خانشاه ، ودخل الموالى مما يلي بباب القصر الأحمر ، فملأوا الدار زهاء أربعة آلاف ، فصاروا إلى المهدي ، فشكّوا إليه حالهم .

وكان اعتمادهم في مسألهم أن يعزل عنهم أمراءهم ، ويضمّ أمرهم إلى إخوة أمير المؤمنين ، وأن يؤخذ الأمراء والكتاب بالخروج مما اختانوه من أموال السلطان؛ وذكروا أن قدره خمسون ومئة ألف ألف ، فوعدهم النظر في أمرهم وإجابتهم إلى ما سألوها ، فأقاموا يومهم ذلك في الدار ، فوجّه المهدي محمد بن مباشر الكرخي ، فاشترى لهم الأسواق ، ومضى أبو نصر بن بغا من فوره ذلك؛ حتى عسكر في الحيّر بالقرب من موضع الحلبة ، فلحق به زهاء خمسينه رجل ، ثم تفرقوا عنه في ليتهم؛ فلم يبق إلا في أقلّ من مئة ، ومضى فصار إلى المحمدية ، وأصبح الموالى في غدّة يوم الأربعاء يطالبون بما كانوا يطالبون به أولاً ، فقيل لهم : إن هذا الأمر الذي تريدونه أمر صعب ، وإخراج الأمر عن أيدي هؤلاء الأمراء ليس بسهل عليكم ، فكيف إذا جمع إلى ذلك أخذهم بالأموال ! فانتظروا في أمركم؛ فإن كنتم تظنون أنكم تصبرون على هذا الأمر حتى يصلّع منه غايتها أجابكم إليه أمير المؤمنين ، وإن تكون الأخرى فإن أمير المؤمنين يحسن لكم النظر ، فأبوا إلا ما سألوه أولاً ، فدعوا إلى أيمان البيعة على أن يقيموا على هذا

القول ، ولا يرجعوا عنه ، وأن يقاتلوا من قاتلهم فيه ، وينصحوا لأمير المؤمنين وي bowelه ، فأجابوه إلى ذلك ، فأخذت عليهم أيمان البيعة ، فبایع في ذلك اليوم زهاء ألف رجل وعيسى بن فرخا نشاذه الذي تجري على يده الأمور ، ومقامه مقام الوزير ، ثم كتبوا إلى أبي نصر كتاباً عن أنفسهم؛ كتب لهم عيسى بن فرخا نشاذه ، يذكرون فيه إنكارهم خروجه من الدار عن غير سبب ، وأنهم إنما قصدوا أمير المؤمنين ليشكوا إليه حاجتهم ، وأنهم لما وجدوا الدار فارغة أقاموا فيها ، وأنهم إذا عاد ردوه إلى حاله ، ولم يهيجوه ، وكتب عيسى عن الخليفة بمثل ذلك إليه ، فأقبل من المحمدية بين العصر والعشاء ، فدخل الدار ، ومعه أخوه حبسون وكيفل وبكالبا وجماعة منهم ، فقام الموالي في وجوههم معهم السلاح ، وقد المهدى ، فوصل إليه أبو نصر ومن معه ، فسلم عليه ، ودنا فقبل يد المهدى ورجله والبساط ، وتأنّر فخاطبه المهدى بأن قال له: يا محمد ، ما عندك فيما يقول الموالي؟ قال: وما يقولون؟ قال: يذكرون أنكم احتجبتم الأموال ، واستبددتكم بالأعمال ، مما تنتظرون في شيء من أمورهم ، ولا فيما عاد لمصلحتهم ، فقال محمد: يا أمير المؤمنين؛ وما أنا والأموال! ما كنت كاتب ديوان ، ولا جرت على يدي أعمال. فقال له: فأين هي الأموال؟ وهل هي إلا عندك وعند أخيك ، وكتابكم وأصحابكم! ودنا الموالي ، فتقدّم عبد الله بن تكين وجماعة منهم ، فأخذوا بيد أبي نصر وقالوا: هذا عدو أمير المؤمنين ، يقوم بين يديه بسيف ، فأخذوا سيفه ، ودخل غلام لأبي نصر كان حاضراً يقال له ثيل ، فسلّ سيفه ، وخطا ليمعنهم من أبي نصر ، وكانت خطوطه تلي الخليفة ، فسبقه عبد الله بن تكين ، فضرب رأسه بالسيف ، فما يقى في الدار أحد إلا سلّ سيفه ، وقام المهدى ، فدخل بيته كان بقربه ، وأخذ محمد بن بغا ، فأدخل حجرة في الدار ، وحبس أصحابه الباقيون ، وأراد القوم قتل الغلام فمنعهم المهدى ، وقال: إنّ لي في هذا نظراً ثم أمر فأعطي قميصاً من الخزانة ، وأمر بغسل رأسه من الدم ، وحبس.

فأصبح الناس يوم الأربعاء وقد كثروا ، والبيعة تؤخذ ، ثم أمر عبد الله بن الواثق بالخروج إلى الريف في ألف رجل من الشاكرية والفراغنة وغيرهم؛ وكان من أمر بالخروج من قواد خراسان محمد بن يحيى الواثقى وعتاب بن عتاب

وهارون بن عبد الرحمن بن الأزهري وإبراهيم أخو أبي عون ويحيى بن محمد بن داود وولد نصر بن شيث وعبد الرحمن بن دينار وأحمد بن فريدون وغيرهم.

ثم إن عبد الله بن الواثق بلغه عن هؤلاء القواد أنهم يقولون: إنه ليس بصواب شخصهم إلى تلك الناحية ، فترك الخروج إليها.

ثم إنهم أرادوا أن يكتبوا إلى موسى ومفلح بالانصراف وتسليم العسكر إلى من فيه من القواد ، فأجمعوا على أن يكتبوا إليهما بذلك كتاباً ، وكتباً إلى بعض القواد في تسلم العسكر منها ، وكتبوا إلى الصغار بما سأله أصحابهم بسامراً ، وما أجيبيوا إليه ، وأمر بنسخ الكتب التي كتبت إلى القواد ، وأن ينظروا؛ فإن سارع موسى ومفلح إلى ما أمرا به من الإقبال إلى الباب في غلمانهم وتسليم العسكر إلى من أمرا بتسليمه إليه؛ وإلا شدّوهما وثاقاً ، وحملوهما إلى الباب ، ووجهوا هذه الكتب مع ثلاثة رجالاً منهم ، فشخصوا عن سامراً ليلة الجمعة لخمس خلون من رجب من هذه السنة ، وأجري على من أخذت عليه البيعة في الدار على كلّ رجل منهم في اليوم درهمان ، فكان المتولى لتفرقة ذلك عليهم عبد الله بن تكين ، وهو خال ولد كنجور.

ولما تناهى الخبر إلى موسى وأصحابه آتهم كنجور ، وأمر بحبسه بعد أن ناله بالضرب ، وموسى حينئذ بالسنّ ، ولما انتهى الخبر إلى بايكباك وهو بالحديثة أقبل إلى السنّ ، فاستخرج كنجور من الحبس ، واجتمع العسكر بالسنّ ، ووصل إليهم الرسل ، وأوصلوا الكتب ، وقرؤوا بعضها على أهل العسكر ، وأخذوا عليهم البيعة بالنصرة لهم ، فارتاحوا حتى نزلوا قنطرة الرفيف يوم الخميس لإحدى عشرة ليلة خلت من رجب؛ وخرج المهدي في هذا اليوم إلى الحير ، وعرض الناس ، وسار قليلاً ، ثم عاد وأمر أن تخرج الخيام والمضارب فتضرب في الحير ، وأصبح الناس يوم الجمعة ، وقد انصرف من عسكر موسى زهاء ألف رجل؛ منهم كوتكين وحشنج.

ثم خرج المهدي إلى الحير ، ثم صرّ ميّنته عليها كوتكين ، ومسرته عليها حشنج ، وصار هو في القلب ، ثم رجع الرسل تختلف بين العسكريين ، والذي يريد موسى بن بغا أن يُولّى ناحية ينصرف إليها ، والذي يريد القوم من موسى أن يُقبل في غلمانه ليناظرهم؛ فلم يتهيأ بينهم في ذلك اليوم شيء.

فلما كان ليلة السبت ، انصرف منْ أراد الانصراف عن موسى ، ورجع موسى ومفلح يريдан طريق خراسان في زهاء ألف رجل ، ومضى بايكباك وجماعة من قواده في ليتهم مع عيسى الكرخي ، فباتوا معه ، ثم أصبحوا يوم السبت ، وأقبل بايكباك ومنْ معه حتى دخلوا الدار ، فأخذت سيفهم بايكباك ويارجوخ وأساتكين وأحمد بن خاقان وخطارمش وغيرهم ، فوصلوا جميعاً إلى المهتدي فسلموا فأمروا بالانصراف إلا بايكباك؛ فإنّ المهتدي أمر أن يوقف بين يديه ، ثم أقبل يعُدّ عليه ذنبه ، وما ركب من أمر المسلمين والإسلام.

ثم إنّ الموالي اعترضوه ، فأدخلوه حجرة في الدار ، وأغلقوا عليه الباب ، ثم لم يلبث إلا قدر خمس ساعات حتى قُتِل يوم السبت من الزوال ، واستوى الأمر ، فلم تكن حركة ، ولا تكلم أحد إلا نفر يسير أنكروا أمر بايكباك ، ولم يُظهرروا وكل الجزء ، فلما كان يوم الأحد ، أنكر الأتراك مساواة الفراغنة لهم في الدار ودخولهم معهم ، وَوَضَحَّ عندهم أن التدبير إنما جرى في قتل رؤسائهم حتى يقدّم عليهم الفراغنة والمغاربة ، فخرجو من الدار بجمعهم ، وبقيت الدار على الفراغنة والمغاربة ، وأنكر الأتراك بناحية الكرخ ذلك ، وأضافوا إليه طلب بايكباك لاجتماع أصحاب بايكباك معهم ، فأدخل المهتدي إليه جماعة من الفراغنة ، وأخبرهم بما أنكره الأتراك ، وقال لهم: إن كنتم تعلمون أنكم تقومون بهم؛ فما يكره أمير المؤمنين قربكم؛ وإن كنتم بأنفسكم تظلون عجزاً عنهم أرضيابهم بالمصير إلى محبتهم من قبل تفاصيـلـ الأمر ، فذكر الفراغنة أنهم يقومون بهم ويقهرونـهمـ ، إذا اجتمعـتـ كلمـتهمـ وكلمة المغاربة ، وعـدـدواـ أشيـاءـ كثـيرـةـ من تقديمـهمـ عليهمـ ، وأرادـواـ المهـتـديـ علىـ الخـروـجـ إـلـيـهـ؛ فـلـمـ يـزـلـ كذلكـ إـلـىـ الـظـهـرـ ، ثـمـ رـكـبـ وأـكـثـرـ الفـرـسـانـ الفـرـاغـنـةـ وـأـكـثـرـ الرـجـالـةـ المـغـارـبـةـ ، وـوـجـهـ إـلـيـهـ وـهـمـ بـيـنـ الـكـرـخـ وـالـقـطـائـعـ وـالـأـتـرـاكـ زـهـاءـ عـشـرـةـ آـلـافـ ، وـهـمـ فـيـ سـتـةـ آـلـافـ لـمـ يـكـنـ معـهـمـ مـنـ الـأـتـرـاكـ إـلـاـ أـقـلـ مـنـ أـلـفـ وـهـمـ أـصـحـابـ صالحـ بنـ وـصـيفـ وـجـمـاعـةـ معـ يـارـجـوخـ ، فـلـمـ التـقـىـ الزـحـفـانـ ، انـحـازـ يـارـجـوخـ بـمـنـ معـهـ مـنـ الـأـتـرـاكـ ، وـانـهـزـمـ أـصـحـابـ صالحـ بنـ وـصـيفـ ، فـرـجـعـواـ إـلـىـ مـنـازـلـهـمـ وـخـرـجـ طـاشـتـمـرـ مـنـ خـلـفـ الدـكـةـ ، وـكـانـواـ جـعـلـواـ كـمـيـاـ ، وـتـصـادـمـ الـقـوـمـ ، فـكـانـتـ الـحـربـ بـيـنـهـمـ سـاعـةـ مـنـ النـهـارـ ، ضـرـبـاـ وـطـعـنـاـ وـرـمـيـاـ.

ثم وقعت الهزيمة على أصحاب المهتمي ، فثبتت وأقبل يدعوه إلى نفسه ، ويقاتل حتى يئس من رجوعهم ؛ ثم انهزم وبيده سيف مشطّب ، وعليه دُرْع وقباء ؛ ظاهر به حرير أبيض معين ، فمضى حتى صار إلى موضع خشبة بابك ، وهو يبحث الناس على مجاهدة القوم ونصرته ؛ فلم يتبعه أحد إلا جماعة من العيارين ؛ فلما صاروا إلى باب السجن تعلقوا بلجامه ، وسألوه إطلاق من في السجن ، فانصرف بوجهه عنهم ، فلم يتركوه حتى أمر بإطلاقهم ، فانصرفوا عنه ، واشتغلوا بباب السجن ، وبقي وحده ، فمرّ حتى صار إلى موضع دار أبي صالح بن يَرْداد ، وفيها أحمد بن جُمِيل ، فدخل الدار وأغلقت الأبواب ، فنزع ثيابه وسلامه ؛ وكانت به طعنة في وركه ، فطلب قميصاً وسرويل ، فأعطاه أحمد بن جُمِيل ، وغسل الدم عن نفسه ، وشرب ماء وصلّى ، فأقبل جماعة من الأتراك ، مع يازجوخ نحو من ثلاثة رجالاً ؛ حتى صاروا إلى دار أبي صالح ، فضربوا الباب حتى دخلوها ؛ فلما أحسنّ بهم أخذ السيف وسعى ، فصعد على درجة في الدار ، ودخل القوم ؛ وقد علا السطح ، فأراد بعضهم الصعود لأخذه ، فضربه بالسيف فأخطأه ، وسقط الرجل عن الدرجة ، فرمي بالنشاب ، فوّقعت نسابة في صدره ، فجرحته جراحة خفيفة ، وعلم أنه الموت ؛ فأعطي بيده ، ونزل فرمي بيده فأخذوه ، فجعلوه على دابة بين يدي أحدهم ، وسلكوا الطريق الذي جاء منه ، حتى صرّوا إلى دار يازجوخ في القطاع، وأنهبا الجوّسق ؛ فلم يبق فيه شيء ، وأخرجوا أحمد بن المتكّل المعروف بابن فتیان - وكان محبوساً في الجوّسق - وكتبوا إلى موسى بن بغا وسألوه الانصراف إليهم ، فأقام المهتمي عندهم لم يُحدثوا في أمره شيئاً ؛ فلما كان يوم الثلاثاء بايعوا أحمد بن المتكّل في القطاع ، وصاروا به يوم الأربعاء إلى الجوّسق فباعه الهاشميون والخاصة ، وأرادوا المهتمي على الخلع في هذه الأيام ، فأبى ولم يجدهم ، ومات يوم الأربعاء ، وأظهروا يوم الخميس لجماعة الهاشميين والخاصة ، فكشفوا عن وجهه وغسلوه ، وصلّى عليه جعفر بن عبد الواحد يوم الخميس لاثنتي عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ست وخمسين ومئتين .

وقدم موسى بن بغا يوم السبت لعشرين من رجب ، وركب أحمد بن فتیان إلى دار العامة يوم الإثنين لثمان بقين من رجب ، فباعوه بيعة العامة .

فذكر عن محمد بن عيسى القرشي ، أنه قال : لما صار المهتدي في أيديهم أبى أن يخلع نفسه ، فخلعوا أصابع يديه ورجليه من كفيه وقدميه ، حتى ورمت كفاه وقدماه ، وفعلوا به غير شيء حتى مات .

وقد ذكر في سبب قتل أبي نصر محمد بن بغا أنه كان خرج من سامراً يريد أخيه موسى ، فوجّه إليه المهتدي أخاه عبد الله في جماعة من المغاربة والفراغنة ، فلتحقوه بالرفيف ، فجيء به فحبس وكان قد دخل على المهتدي مسلماً قبل خلافهم ، فقال له : يا محمد ؟ إنما قدم أخوك موسى في جيشه وعيده حتى يقتل صالح بن وصيف وينصرف ، قال : يا أمير المؤمنين ؟ أعيذك بالله ؛ موسى عبدك وفي طاعتك ؛ وهو مع هذا في وجه عدو كلب ، قال : قد كان صالح أفعى لنا منه ، وأحسن سياسة للملك ، وهذا العلوي قد رجع إلى الرئي ، قال : وما حيلته يا أمير المؤمنين ؟ قد هزمه وقتل أصحابه وشرد به كل مشerd ، فلما انصرف عاد ، وهذا فعله أبداً ؛ اللهم إلا أن تأمره بالمقام بالرئي دهره ، قال : دع هذا عنك ، فإن أخاك ما صنع شيئاً أكثر من أخذ الأموال واحتاجانها^(١) لنفسه ، فأغلظ له أبو نصر ، وقال : يُنظر فيما صار إليه وإلى أهل بيته منذ وليت الخليفة فيرد ، ويُنظر ما صار إليك وإلى إخوتوك فيرد فأمر به فأخذ وضرب وحبس ، وانتهيت داره ودار ابن ثوابه ، ثم أباح دم الحسن بن مخلد وابن ثوابه وسلامان بن وهب القطان كاتب مُفلح ، فهربوا فانتهيت دورهم ، ثم جاء المهتدي بالفراغنة والأشروسنية والطبرية والديالمة والإشتاخنية ومنْ بقي من أتراك الكرخ وولد وصيف ، فسألهم النصرة على موسى ومفلح ، وضرب بينهم ، وقال : قد أخذوا الأموال واستأثروا بالبيء ، وأنا أخاف أن يقتلوني ، وإن نصرتموني أعطيتكم جميعاً ما فاتكم ، وزدتكم في أرزاقكم ، فأجابوه إلى نصره والخلاف على موسى وأصحابه ، ولزموا الجُوْسق وبايعلوه بيعة جديدة وأمر بالسوق والسكر فاشترى لهم ، وأجرى على كلّ رجل منهم في كلّ يوم درهماً ، وأطعموا في بعض أيامهم الخبز واللحم ، وتولى أمّ جيشه أحمد بن وصيف وعبد الله بن بغا الشرابي والتفت ، معهم بنو هاشم ، وجعل يركب فيبني هاشم ، ويدور في الأسواق ، ويسائل

(١) قال في المعجم : احتاجن المال : جمعه ، وأحتواه ، واحتضن نفسه به .

الناس النصرة ، ويقول : هؤلاء الفساق يقتلون الخلفاء ، ويُثيّبون على موالיהם ، وقد استأثروا بالفيء ، فأعينوا أمير المؤمنين وانصروه ، وتكلّم صالح بن يعقوب بن المنصور وغيره من بني هاشم ، ثم كتب بعد إلّى بايكباك يأمره أن يضمّ الجيش كله إلّيه ، وأنه الأمير على الجيش أجمع ، ويأمره بأخذ موسى ومفلح .

ولما هلك المهدي طلبوا أبا نصر بن بغا ، وهم يظُنون أنه حيّ ، فدُلوا على موضعه ، فُتِّيش فوجدوه مذبوحاً ، فحمل إلى أهله ، وحملت جثة بايكباك فدُفنت ، وكسرت الأتراك على قبر محمد بن بغا ألف سيف ، وكذلك يفعلون بالسيد منهم إذا مات ، وقيل إنّ المهدي لما أبى أن يخلعها ، أمروا من عَصَر خصيته حتى مات ؛ وقيل : إنّ المهدي لما احتضر قال :

أَهْمَّ بِأَمْرِ الْحَزْمِ لَوْ أَسْتَطِعْهُ وَقَدْ حَيَّلَ بَيْنَ الْعِيرِ وَالنَّزَوَانِ
وقيل إنّ محمد بن بغا لم يحدثوا في أمره يوم حُبس شيئاً ، وطالبوه بالأموال ، فدفع إليهم تيّفأً وعشرين ألف دينار ، ثم قتلوه بعد ؛ بعجاوا بطنه ، وعصروا حلقه ، وألقي في بئر من القناة ، فلم يزل هنالك حتى أخرجه المولي بعد أسرهم المهدي بيوم ، فدفن .

وكانت خلافة المهدي كلها إلى أن انقضى أمره أحد عشر شهراً وخمسة وعشرين يوماً ، وعمره كله ثمان وثلاثون سنة ، وكان رحب الجبهة ، أجلح ، جهم الوجه ، أشهَلَ ، عظيم البطن ، عريض المنكبين ، قصيراً ، طويل اللحية ، وكان ولد بالقاطول^(١) .

(١) وهذا القول هو الذي اختاره الحافظ ابن كثير فقال بصيغة الجزم : وكانت خلافته أقلّ من سنة بخمسة أيام [البداية والنهاية ٢٢٩/٨] .

وقال الخطيب وكان (أي : المهدي) من أحسن الخلفاء مذهبًا (أي من بين الخلفاء العباسيين) وأجملهم طريقة وأظهرهم ورعاً وأكثرهم عبادة وإنما روى حديثاً واحداً [تاريخ بغداد ٣/ ٣٤٨] .

وأخرج الخطيب البغدادي [٣٤٩/٣] ومن طريقة ابن الجوزي [المتنظم ١٢/٨٤] ، عن عبد الله بن إبراهيم الإسکافي (عم محمد بن أحمد القراريطي) قال : حضرت مجلس المهدي بالله وقد جلس للمظالم فاستعداه رجلٌ على ابن له ، فأمر بإحضاره ، فأحضر وأقامه إلى جنب الرجل فسأله عمّا ادعاه عليه فأقرّ به فأمره بالخروج إليه من حقه فكتب له بذلك كتاباً فلما فرغ قال له الرجل : والله يا أمير المؤمنين ما أنت إلا كما قال الشاعر :

[ذكر أخبار صاحب الزنج مع جعلان]

* وفي هذه السنة وافى جعلان البصرة لحرب صاحب الزنج .

* ذكر الخبر عما كان من أمرهما هنالك :

ذكر أن جعلان لما صار إلى البصرة زحف بعسكته منها ، حتى صار بينه وبين عسكت صاحب الزنج فرسخ ، فخندق على نفسه ومن معه ، فأقام ستة أشهر في خندقه ، فوجّه الزينبيُّ وبريه وبني هاشم ومن خفت لحرب الخبيث ، من أهل البصرة في اليوم الذي تواعدهم جعلان للقائه ، فلما التقوا لم يكن بينهم إلا الرمي بالحجارة والنشاب ، ولم يجد جعلان إلى لقائه سبيلاً لضيق الموضع بما فيه من النخل والدغل عن مجال الخيل ، وأصحابه أكثرهم فرسان^(١) .

فذكر عن محمد بن الحسن أنَّ صاحب الزنج قال : لما طال مقام جعلان في خندقه ، رأيت أن أخفِّي له من أصحابي جماعة يأخذون عليه مسالك الخندق ، ويبتئونه فيه ، ففعل ذلك ، وبيته في خندقه ، فُقتل جماعة من رجاله ، وريع الباقيون رؤعاً شديداً ، فترك جعلان عسكته ذلك ، وانصرف إلى البصرة؛ وقد كان الزينبي قبل بيات الخبيث جعلان جمع مقاتلة البلاطية والسعدية ، ثم وجّه لهم من ناحية نهر نافذ وناحية هزاردر ، فوقعوه من وجهين ، ولقيهم الزنج ، فلم يثبتوا لهم ، وقهّرهم الزنج ، فقتلوا منهم مقتلةً عظيمة ، وانصرفوا مفلولين ، وانحاز جعلان إلى البصرة ، فأقام بها وظهر عجزه للسلطان .

* * *

حكمت— و فقضى بينك— أبلج مثل القمر الزاهر
لا يقبل الرشوة في حكمه— ولا يالي غبن الخاسر
قال له المهتمي: أما أنت أيها الرجل فجزاك الله خيراً وأما أنا فما جلس هذا المجلس حتى
قرأت في المصحف ﴿وَضَعَ الْمَوْزِنَ الْقَسْطَ لِوَيْلَةِ الْقِسْمَةِ فَلَا ظُلْمَ نَقَشَ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ يُنْكَالَ
بِحَكْمَةٍ مِّنْ خَرَدٍ أَئْنَاهَا وَكَفَ بِتَحْسِينِكَانَ^(١)﴾ فما رأيت باكيًا أكثر من بكائه ذلك اليوم . اـهـ .

(١) انظر المنتظم (١٠١/١٢) فقد ذكر الخبر كما عند الطيري .

وفيها صرف جعلان عن حرب الخبيث ، وأمر سعيد الحاجب بالشخص من إليها لحربه .

وفيها تحول صاحب الرنج من السيدة التي كان ينزلها إلى الجانب الغربي من النهر المعروف بأبي الخصيب .

وفيها أخذ صاحب الرنج - فيما ذكر - أربعة وعشرين مراكباً من مراكب البحر ، كانت اجتمعت ترید البصرة ، فلما انتهی إلى أصحابها خبره وخبر من معه من الرنج وقطعهم السبيل ، اجتمعت آراؤهم على أن يشدُّوا مراكبهم بعضها إلى بعض ؛ حتى تصير كالجزيرة ، يتصل أولها بأخرها ، ثم يسيراً بها في دجلة ، فاتصل به خبرها ، فندب إليها أصحابه ، وحرّضهم عليها ، وقال لهم : هذه الغنية الباردة .

قال أبو الحسن : فسمعت صاحب الرنج يقول : لما بلغني قرب المراكب مني نهضت للصلاة ، وأخذت في الدعاء والتضرع ، فخوطبَتْ بأن قيل لي : قد أظلَكْ فتح عظيم ، والتفتَ فلم ألبث أن طلعت المراكب ، فنهض أصحابي إليها في الجريبيات ؛ فلم يلبثوا أن حروُوها وقتلو مقاتلتها ، وسبوا ما فيها من الرقيق ، وغنموا منها أموالاً عظاماً لا تُحصى ولا يعرف قدرها ، فأنْهَب ذلك أصحابه ثلاثة أيام ، ثم أمر بما بقي فحيَّز له .

* * *

[ذكر الخبر عن دخول الزنج الأبلة]^(١)

ولخمس بقين من رجب من هذه السنة ، دخل الرنج الأبلة ، فقتلوا بها خلقاً كثيراً وأحرقوها .

* ذكر الخبر عنها وعن سبب الوصول إليها :

ذكر أن صاحب الرنج لما تنحى جعلان عن خندقه بشاطئ عثمان الذي كان فيه ، وانحاز إلى البصرة ألح بالسرايا على أهل الأبلة ، فجعل يحاربهم من ناحية

(١) انظر المنتظم (١٠٨/١٢).

شاطئ عثمان بالرجاله ، وبما خفّ له من السفن من ناحية دجلة ، وجعلت سراياه تضرب إلى ناحية نهر معقّل .

فذكر عن صاحب الزنج ، أنه قال: ميلت بين عبادان والأبلة ، فملت إلى التوجه إلى عبادان ، وندب الرجاله لذلك ، فقيل لي: إن أقرب العدو داراً ، وأولاده بala تتشاغل بغيره عنه أهل الأبلة ، فرددت الجيش الذي كنت سيرت نحو عبادان إلى الأبلة . فلم يزالوا يحاربون أهل الأبلة إلى ليلة الأربعاء لخمس بقين من رجب سنة ست وخمسين ومئتين ، فلما كان في هذه الليلة اقتحمتها الزنج مما يلي دجلة ونهر الأبلة ، فقتل بها أبو الأحوص وابنه ، وأضرمت ناراً ، وكانت مبنية بالساج محفوفة بناء متکاثفاً ، فأسرعت فيها النار ، ونشأت ريح عاصف ، فأطارت شر ذلك الحريق حتى وصلت بشاطئ عثمان ، فاحتراقَ وقتل بالأبلة خلق كثير ، وغرق خلق كثير ، وحوت الأسلاب ، فكان ما احترق من الأمتعة أكثر مما انطبع .

وقتل في هذه الليلة عبد الله بن حميد الطوسي وابن له؛ كانوا في شذاعة بنهر معقّل مع نصير المعروف بأبي حمزة .

* * *

[ذكر خبر استياء صاحب الزنج على عبادان]^(١)

وفيها استسلم أهل عبادان لصاحب الزنج فسلموا إليه حصنهم .

* ذكر الخبر عن السبب الذي دعاهم إلى ذلك :

ذكر أنّ السبب في ذلك أنّ الخبيث لما فعل أصحابه من الزنج بأهل الأبلة ما فعلوا ، ضعفت قلوبهم ، وخافوهم على أنفسهم وحرّمهم ، فأعطوا بأيديهم ، وسلموا إليه بلدتهم ، فدخلها أصحابه ، فأخذوا منْ كان فيها من العبيد ، وحملوا ما كان فيها من السلاح إليه ، ففرقه عليهم .

* * *

[ذكر خبر دخول أصحاب الزنج الأهواز]

وفيها دخل أصحابه الأهواز وأسروا إبراهيم بن المدبر.

* ذكر الخبر عن سبب ذلك:

وكان الخبيث لما أوقع أصحابه بالآلة ، وفعلوا بها ما فعلوا ، واستسلم له أهل عيادان ، فأخذ مماليكهم ، فضمّهم إلى أصحابه من الزنج ، وفرق بينهم ما أخذ من السلاح الذي كان بها ، طمع في الأهواز ، فاستنهض أصحابه نحو جبّي ، فلم يثبت لهم أهلها ، وهردوا منهم ، فدخلوا فقتلوا وأحرقوا ، ونهبوا وأخربوا ما وراءها؛ حتى وافوا الأهواز ، وبها يومئذ سعيد بن يكسين والـ إلـيـهـ حـرـبـهاـ ، وإبراهيم بن محمد بن المدبر ، وإـلـيـهـ الـخـرـاجـ وـالـضـيـاعـ؛ فـهـرـبـ النـاسـ منـهـمـ أـيـضاـ فـلـمـ يـقـاتـلـهـمـ كـثـيرـ أـحـدـ ، وـانـحـازـ سـعـيدـ بـنـ تـكـسـينـ فـيـمـ كـانـ مـعـهـ مـنـ الجـنـدـ ، وـثـبـتـ إـبـرـاهـيمـ بـنـ الـمـدـبـرـ فـيـمـ كـانـ مـعـهـ مـنـ غـلـمـانـهـ وـخـدـمـهـ ، فـدـخـلـوـاـ الـمـدـيـنـةـ ، فـاحـتـوـءـهـاـ ، وـأـسـرـواـ إـبـرـاهـيمـ بـنـ مـحـمـدـ بـعـدـ أـنـ ضـرـبـ ضـرـبـةـ عـلـىـ وـجـهـهـ ، وـحـوـرـواـ كـلـ مـاـ كـانـ يـمـلـكـ مـنـ مـالـ وـأـثـاثـ وـرـقـيقـ؛ وـذـلـكـ يـوـمـ الـإـثـنـيـنـ لـاـشـتـيـ عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة ست وخمسين ومئتين.

ولما كان من أمره ما كان بالأهواز بعد الذي كان منه بالآلة؛ رعب أهل البصرة رعباً شديداً ، فانتقل كثير من أهلها عنها ، وتفرقوا في بلدان شتى ، وكثرت الأراجيف من عوامها.

* * *

وفي ذي الحجة من هذه السنة وجّه صاحب الرّنج إلى شاهين بن بسطام جيشاً عليهم يحيى بن محمد البحرياني لحربه؛ فلم يتألّم يحيى من شاهين ما أمل وانصرف عنه. وفي رجب من هذه السنة وفى البصرة سعيد بن صالح المعروف بالحاجب من قبيل السلطان لحرب صاحب الرّنج.

وفيها كانت بين موسى بن بُغا والذين كانوا توجّهوا معه إلى ناحية الجبل مخالفين لمحمد بن الواثق وبين مساور بن عبد الحميد الشاري وقعة بناحية خافقين ، ومساور في جمع كثير وموسى وأصحابه في مئتين ، فهزموا مساوراً ، وقتلوها من أصحابه جماعة كثيرة.

خلافة المعتمد على الله

وفيها بوييع أَحْمَدُ بْنُ أَبِي جَعْفَرِ الْمَعْرُوفِ بَابِنِ فِتْيَانِ، وَسُمِّيَّ الْمَعْتَمِدُ عَلَى اللهِ، وَذَلِكَ يَوْمُ الْثَلَاثَاءِ لِأَرْبَعِ عَشَرَةَ بَقِيتَ مِنْ رَجَبٍ^(١).

* * *

وفيها بعث إلى موسى بن بغا وهو بخانقين بموت محمد بن الواثق وبيعة المعتمد ، فوافى سامرا العشر بقين من رجب .

وللليلتين خَلَتا من شعبان وللي الوزارة عبيد الله بن يحيى بن خاقان .

وفيها ظهر بالكوفة عليّ بن زيد الطالبيّ ، فوجّه إِلَيْهِ الشَّاهُ بْنُ مِيكَالَ فِي عَسْكَرِ كِيفِ ، فَلَقِيَهُ عَلِيّ بْنُ زَيْدٍ فِي أَصْحَابِهِ ، فَهُزِمَ وَقُتُلَ جَمَاعَةً كَثِيرَةً مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَنَجَّا الشَّاهُ^(٢) .

وفيها وَثَبَ مُحَمَّدُ بْنُ وَاصْلَ بْنُ إِبْرَاهِيمَ التَّمِيمِيَّ؛ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ فَارِسِ ، وَرَجُلٌ مِنْ أَكْرَادِهَا يُقَالُ لَهُ: أَحْمَدُ بْنُ الْلَّبِيثِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ سِيمَا الشَّرَابِيِّ عَامِلُ فَارِسِ ، فَحَارِبَاهُ ، فُقِتِلَ الْحَارِثُ ، وَغَلَبَ مُحَمَّدُ بْنُ وَاصْلَ عَلَى فَارِسِ.

وفيها وَجَهَ مَفْلِحُ لِحَرْبِ مَسَاوِرِ الشَّارِيِّ وَكَنْجُورُ لِحَرْبِ عَلِيّ بْنِ زَيْدِ الطَّالبِيِّ بِالْكَوْفَةِ .

وفيها غَلَبَ جَيْشُ الْحَسَنِ بْنِ زَيْدِ الطَّالبِيِّ عَلَى الرَّئِيْسِ ، فِي شَهْرِ رَمَضَانِ مِنْهَا.

(١) وقال ابن قتيبة الدينوري ثم استخلف أَحْمَدُ بْنُ أَبِي جَعْفَرِ الْمَعْتَمِدِ عَلَى اللهِ وَيُكَنُّ أَبا العباسِ وَبَوَيِعَ يَوْمَ الْثَلَاثَاءِ لِأَرْبَعِ عَشَرَةَ لَيْلَةَ بَقِيتَ مِنْ رَجَبِ سَنَةِ سِتٍّ وَخَمْسِينَ وَمِتْيَنَ [المعارف/٢٠١] أي أنه اتفق تماماً مع الطبرى في هذا التاريخ والله أعلم .

انظر المنتظم (١٤٨/١٢).

وفيها شخص موسى بن بغا لإحدى عشرة ليلة خلت من شَوَّال منها من سامراً إلى الرّي ، وشّيّعه المعتمد^(١).

وفيها كانت بين أماجور وابن عيسى بن الشيخ على باب دمشق وقعة ، فسمعتُ منْ ذكر أنه حضر أماجور ، وقد خرج في اليوم الذي كانت فيه هذه الواقعة من مدينة دمشق مرتاباً لنفسه عسكراً وابنُ عيسى بن الشيخ وقائد لعيسى يقال له: أبو الصهباء في عسكر لهما بالقرب من مدينة دمشق ، فاتصل بهما خبرُ خروج أماجور ، وأنه خرج في نفر من أصحابه يسير ، فطمعاً فيه ، فزحفاً بمَنْ معهما إليه ، ولا يعلم أماجور بزُحوفهما إليه حتى لقياه ، والتحمّت الحرب بين الفريقين ، فقتل أبو الصهباء ، وهُزم الجمع الذي كان معه ومع ابن عيسى؛ ولقد سمعتُ منْ يذكر أنَّ عيسى وأبا الصهباء كانوا يومئذ في زُهاء عشرين ألفاً من رجالهما ، وأن أماجور في مقدار مئتين إلى أربعين.

وفي يوم الأربعاء لثلاث عشرة خلت من ذي الحجة منها قدم أبو أحمد بن المتكّل من مكة إلى سامراً.

وفيها وجَّه إلى عيسى بن الشيخ إسماعيل بن عبد الله المروزي المعروف بأبي النصر ومحمد بن عبيد الله الكريزي القاضي والحسين الخادم المعروف بعرق الموت بولاية أرمينية ، على أن يصرف عن الشأم آمناً؛ فقبل ذلك وشخص عن الشأم إليها .

وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنُ عِيسَى بْنُ أَبِي جَعْفَرِ الْمُنْصُورِ^(٢).

ثم دخلت سنة سبع وخمسين ومئتين ذكر الخبر بما كان فيها من الأمور الجليلة

[ذكر خبر مسير يعقوب بن الليث إلى فارس وانصرافه عنها]^(٣)

فمن ذلك ما كان من مصير يعقوب بن الليث إلى فارس ، وبعثة المعتمد إليه

(١) انظر المتنظم (١٠٨/١٢).

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) المصدر السابق (١٢٣/١٢).

طُغْتَا وإِسْمَاعِيلُ بْنُ إِسْحَاقَ وَأَبَا سَعِيدَ الْأَنْصَارِيَّ فِي شَعْبَانَ مِنْهَا ، وَكِتَابُ أَبِي أَحْمَدِ بْنِ الْمُتَوَكِّلِ إِلَيْهِ بُولَى يَةَ بَلْخَ وَطَخَارْسَتَانَ إِلَى مَا يَلِي ذَلِكَ مِنْ كَرْمَانَ وَسَجَسْتَانَ وَالسَّنْدَ وَغَيْرَهَا ، وَمَا جَعَلَ لَهُ مِنَ الْمَالِ فِي كُلِّ سَنَةٍ ، وَقَبُولُهُ ذَلِكَ وَانْصَارَفَهُ .

وَفِي رَبِيعِ الْآخِرِ مِنْهَا قَدِمَ رَسُولُ يَعْقُوبَ بْنَ الْلَّيْثَ بِأَصْنَامِ ذَكْرِ أَنَّهُ أَخْذَهَا مِنْ كَابِلَ .

وَلَا شَتِي عَشْرَةَ خَلْتُ مِنْ صَفَرٍ عَقْدَ الْمُعْتَمِدِ لِأَخِيهِ أَبِي أَحْمَدِ عَلَى الْكُوفَةِ وَطَرِيقِ مَكَةِ وَالْحَرْمَنِ وَالْيَمِنِ ، ثُمَّ عَقَدَ لَهُ أَيْضًا بَعْدَ ذَلِكَ لِسَبْعِ خَلْوَنَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ عَلَى بَغْدَادَ وَالسَّوَادِ وَوَاسْطَ وَكُورِ دِجلَةِ وَالْبَصَرَةِ وَالْأَهْوَازِ وَفَارَسَ ، وَأَمْرَ أَنْ يُؤَلِّي صَاحِبَ بَغْدَادَ أَعْمَالَهُ ، وَأَنْ يُعْقَدَ لِيَازْجُوخَ عَلَى الْبَصَرَةِ وَكُورِ دِجلَةِ وَالْيَمَامَةِ وَالْبَحْرَيْنِ مَكَانَ سَعِيدِ بْنِ صَالِحٍ ، فَوْلَى يَارْجُوخَ مُنْصُورَ بْنَ جَعْفَرٍ بْنَ دِينَارِ الْبَصَرَةِ وَكُورِ دِجلَةِ إِلَى مَا يَلِي الْأَهْوَازَ .

* * *

[ذكر خبر انهزام الزنج أمام سعيد بن الحاجب^(١)]

وَفِيهَا أَمْرٌ بُغْرَاجٍ بِاستِحْثَاثِ سَعِيدِ الْحَاجِبِ فِي الْمَصِيرِ إِلَى دِجلَةِ وَالْإِنَاخَةِ بِإِزَاءِ عَسْكَرِ صَاحِبِ الزَّنجِ ، فَفَعَلَ ذَلِكَ بُغْرَاجٍ - فِيمَا قِيلَ - وَمَضَى سَعِيدُ الْحَاجِبَ لِمَا أُمْرِبَهُ مِنْ ذَلِكَ فِي رَجَبِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ .

فَذُكْرُ أَنْ سَعِيدًا لَمَّا صَارَ إِلَى نَهْرِ مَعْقِلٍ وَجَدَ هَنَالِكَ جِيشًا لِصَاحِبِ الزَّنجِ بِالنَّهْرِ الْمُعْرُوفِ بِالْمُرْغَابِ - وَهُوَ أَحَدُ الْأَنْهَارِ الْمُعْتَرَضَةِ فِي نَهْرِ مَعْقِلٍ - فَأَوْقَعَ بِهِمْ فَهْزَمَهُمْ ، وَاسْتَنقَذَ مَافِي أَيْدِيهِمْ مِنَ النِّسَاءِ وَالنَّهْبِ ، وَأَصَابَتْ سَعِيدًا فِي تِلْكَ الْوَقْعَةِ جَرَاحَاتٍ ، مِنْهَا جَرَاحَةٌ فِي فِيهِ ، ثُمَّ سَارَ سَعِيدٌ حَتَّى صَارَ إِلَى الْمَوْضِعِ الْمُعْرُوفِ بِعَسْكَرِ أَبِي جَعْفَرِ الْمُنْصُورِ ، فَأَقَامَ بِهِ لَيْلَةً ، ثُمَّ سَارَ حَتَّى أَنَّا خَ بِمَوْضِعِ يَقَالُ لَهُ: هَطْمَةَ مِنْ أَرْضِ الْفَرَاتِ ، فَأَقَامَ هَنَالِكَ أَيَامًا يَعْبَّيِ أَصْحَابَهُ ، وَيَسْتَعْدَدُ لِلقاءِ صَاحِبِ الزَّنجِ ، وَبِلْغَهُ فِي أَيَامِ مَقَامِهِ هَنَالِكَ: أَنْ جِيشًا لِصَاحِبِ الزَّنجِ

(١) انظر المتنظم (١٢٣/١٢).

بالفُرات ، فقصد لهم بجماعة من أصحابه ، فهزّهم ، وكان فيهم عمران زَوْج جدّة ابن صاحب الزنج المعروف بإنكلاي ، فاستأمن عمران هذا إلى بُغراج ، وتفرق ذلك الجمع ، قال محمد بن الحسن : فلقد رأيت المرأة من سكان الفرات تجد الزنجيًّا مستترًا بتلك الأدغال ، فتقبض عليه حتى تأتي به عسکر سعيد ما به منها امتناع ، ثم قصد سعيد حرب الخبيث فعبر إلى غربيّ دجلة ، فأوقع به وقفات في أيام متواالية ، ثم انصرف سعيد إلى معسکر بهطمَّة ، فأقام به يحاربه باقي رجب وعامة شعبان .

* * *

[خلاص ابن المدبر من صاحب الزنج]

وفيها تخلص إبراهيم بن محمد بن المدبر من حسـنـ الخـبـيـثـ ، وكان سبب تخلصـهـ منهـ - فيما ذكرـ - أنهـ كانـ مـحـبـوسـاـ فيـ غـرـفـةـ فيـ مـنـزـلـ يـحـيـيـ بـنـ مـحـمـدـ الـبـحـرـانـيـ ، فـضـاقـ مـكـانـهـ عـلـىـ الـبـحـرـانـيـ ، فـأـنـزلـهـ إـلـىـ بـيـتـ مـنـ أـبـيـاتـ دـارـهـ ، فـجـبـسـهـ فـيـهـ ، وـكـانـ مـوـكـلـاـ بـهـ رـجـلـانـ ، مـلـاـصـقـ مـسـكـنـهـماـ المـتـزـلـ الذـيـ فـيـهـ إـبـرـاهـيمـ ، فـبـذـلـ لـهـماـ ، وـرـغـبـهـماـ فـسـرـبـاـ لـهـ سـرـبـاـ إـلـىـ المـوـضـعـ الذـيـ فـيـهـ إـبـرـاهـيمـ مـنـ نـاحـيـتـهـماـ ، فـخـرـجـ هـوـ وـابـنـ أـخـ لـهـ يـعـرـفـ بـأـبـيـ غـالـبـ وـرـجـلـ مـنـ بـنـيـ هـاشـمـ كـانـ مـحـبـوسـاـ مـعـهـماـ .

* * *

[ذكر خبر إيقاع صاحب الزنج بسعيد وأصحابه]

وفيها أوقع أصحاب الخبيث بسعيد وأصحابه فقتلواه ومن معه .

* ذكر الخبر عن هذه الواقعة :

ذكر أن الخبيث وجّه إلى يحيى بن محمد البحريني وهو مقيم بنهر مَعْقِل في جيش كثيف يأمره بالتوجه بألف رجل من أصحابه ، يرئس عليهم سليمان بن جامع وأبا الليث ، ويأمرهما بالقصد لعسکر سعيد ليلاً حتى يقععا به في وقت طلوع الفجر ، ففعل ذلك ، فصارا إلى عسکر سعيد ، فصادفا منهم غرّةً وغفلة ، فأوقعوا بهم وقعةً ، فقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، وأحرق الزنج يومئذ عسکر سعيد ، فضعف سعيد ومن معه ، ودخل أمرهم خلل للبيات الذي تهيأ عليهم ،

ولا حباس الأرزاق عنهم ، وكانت سببٍ لهم من مال الأهواز ؛ فأبطأ بها عليهم منصور بن جعفر الخياط ، وكان إليه يومئذ حرب الأهواز ، وله من ذلك يدٌ في الخراج .

ولما كان من أمر سعيد بن صالح ما كان ، أمر بالانصراف إلى باب السلطان وتسليم الجيش الذي معه وما إليه من العمل هنالك إلى منصور بن جعفر ؛ وذلك أن سعيداً ترك بعدهما كان من بيّات الزنج أصحابه وإحراقهم عسكره ؛ فلم يكن له حركة إلى أن صُرِفَ عمّا كان إليه من العمل هنالك .

* * *

[خبر الواقعة بين منصور بن جعفر وصاحب الزنج]

وفيها كانت وقعة بين منصور بن جعفر الخياط وبين صاحب الزنج ، قُتل فيها من أصحاب منصور جماعة كثيرة .

* ذكر الخبر عن صفة هذه الواقعة :

ذكر أن سعيداً الحاجب لما صُرِفَ عن البصرة ، أقام بُغْرَاج بها يحمي أهلها ، وجعل منصور يجتمع السفن التي تأتي بالميرية ، ثم يُبَذِّرُها في الشَّدَا إلى البصرة ، فضاق بالزنج الميرة ، ثم عَبَّا منصور أصحابه ، وجمع إلى الشَّدَا التي كانت معه الشَّدَا الجنابيات والسفن ، وقد صاحبَ الزنج في عسكره ، فصعد قصراً على دجلة ، فأحرقه وما حوله ، ودخل عسكر الخبيث من ذلك الوجه ، ووافاه الزنج ، وكمنوا له كميناً ، فقتلوا من أصحابه مقتلة عظيمة ، وألجموا الباقيون إلى الماء ، فغرق منهم خلق كثير وحمل من الرؤوس يومئذ - فيما ذكر - زهاء خمسين رأس إلى عسكر يحيى بن محمد البحرياني بنهر معقل ، وأمر بنصبها هنالك .

وفيها ظهر من بغداد بموضع يقال له : بِرْكَةُ زلزلٍ على خنّاق ، وقد قتل خلقاً كثيراً من النساء ودفنهن في دار كان فيها ساكناً ، فحمل إلى المعتمد؛ فبلغني : أنه أمر بضربه ، فضرِبَ ألفي سوط وأربعينه أرزن فلم يتم حتى ضرب الجنادون أنسٍيه بخشب العقابين ، فمات ، فرُدَّ إلى بغداد فُصلِّب بها ثم أحرقت جثته .

* * *

[خبر مقتل شاهين بن بسطام وهزيمة إبراهيم بن سيمما]

وفيها قتل شاهين بن بسطام وهزم إبراهيم بن سيمما .

* ذُكر الخبر عن سبب مقتل شاهين وانهزام إبراهيم :

ذكر : أن البحرياني كان كتب إلى الخبيث يُشير عليه بتوجيهه جيش إلى الأهواز للمقام بها ، ويرغبه في ذلك ، وأن يبدأ بقطع قنطرة أربك ؛ لئلا يصلَّ الخيل إلى الجيش ، وأن الخبيث وجّه عليّ بن أبان لقطع القنطرة ، فلقيه إبراهيم بن سيمما منصرفاً من فارس ؛ وكان بها مع الحارث بن سيمما في الصحراء المعروفة بدَّست أربك ، وهي صحراء بين الأهواز والقنطرة ، فلما انتهى عليّ بن أبان إلى القنطرة أقام مُخْفِياً نفسه ومنْ معه ، فلما أصحرت الخيل ، خرجمت عليه من جهات ، فقتلت من الرُّنج خلْقاً كثيراً ، وانهزم عليّ ، وتبعته الخيل إلى الفندم ، وأصابته طعنة في أخمصِيه ، فأمسك عن التوجّه إلى الأهواز ، وانصرف على وجهه إلى جبّي وصُرُف سعيد بن يكسين ووليّ إبراهيم بن سيمما ، وكانته شاهين ، فاقبلا جمِيعاً : إبراهيم بن سيمما على طريق الفرات قاصداً للذُّنابة نهر جبّي ، وعلىّ بن أبان بالخيزانية ؛ فاقبَل شاهين بن بسطام على طريق نهر موسى ، يقدّر لقاء إبراهيم في الموضع الذي قصد إليه ، وقد اتّعدا لمواقعة عليّ بن أبان ، فسبق شاهين ، وأتى عليّ بن أبان رجلٌ من نهر موسى فأخبره باقبال شاهين إليه ؛ فوجّه عليّ نحوه ، فالتقى في وقت العصر على نهر يعرف بأبي العباس - وهو نهر بين نهر موسى ونهر جبّي - ونشبت الحرب بينهما ، وثبت أصحاب شاهين ، وقاتلوا قتالاً شديداً ، ثم صدمتهم الرُّنج صدمة صادقة ، فولّوا منهزمين ؛ فكان أول من قُتل يومئذ شاهين وابن عمّ له يقال له حيان ، وذلك أنه كان في مقدمة القوم ، وقتل معه من أصحابه بشر كثير ، وأتى عليّ بن أبان مخبر فأخبره بورود إبراهيم بن سيمما ؛ وذلك بعد فراغه من أمر شاهين ، فسار من فوره إلى نهر جبّي ، وإبراهيم بن سيمما معسكر هنالك لا يعلم خبر شاهين ، فوافاه عليّ في وقت العشاء الآخرة ، فأوقع بهم وقعة غليظة قتل فيها جمِيعاً كثيراً ؛ وكان قتلُ شاهين والإيقاع بإبراهيم فيما بين العصر والعشاء الآخرة .

قال محمد بن الحسن : فسمعت عليّ بن أبان يحدث عن ذلك ، قال : لقد

رأيُتني يومئذ ، وقد ركبني حُمّى نافض كانت تعتدني ، وقد كان أصحابي حين نالوا ما نالوا من شاهين تفرقوا عنِي ، فلم يصر إلى عسکر إبراهيم بن سيماء معي إلا نحو من خمسين رجلاً ، فوصلت إلى العسکر ، فألقيت نفسِي قريباً منه ، وجعلت أسمع ضجيج أهل العسکر وكلامَهم؛ فلما سكتْ حركتهُم ، نهضت فأوقيتُ بهم.

ثم انصرف عليّ بن أبَان عن جُبَيْ لِمَا قُتِلَ شاهين ، وهُزم إبراهيم بن سيماء ، لورود كتاب الخبيث عليه بالمصير إلى البصرة لحرب أهلها.

* * *

[ذكر خبر دخول الزنج البصرة هذا العام]^(١)

وفيها دخل أصحاب الخبيث البصرة.

* ذكر الخبر عن سبب وصولهم إلى ذلك وما عملوا بها حين دخلوها:

ذكر: أن سعيد بن صالح لما شخص من البصرة ضم السلطان عمله إلى منصور بن جعفر الخياط؛ وكان من أمرِ منصور وأمرِ أصحاب الخبيث ما قد ذكرناه قبلُ ، وضعف أمرِ منصور ، ولم يُعدْ لقتال الخبيث في عسکره ، واقتصر على بذرقة القيروانات ، واتسع أهلُ البصرة لوصول الميرائهم؛ وكان انقطاع ذلك عنهم قد أضرَ بهم ، وانتهى إلى الخبيث الخبر بذلك ، واتساعُ أهل البصرة ، فعظم ذلك على الخبيث ، فوجَهَ عليّ بن أبَان إلى نواحي جُبَيْ ، فعسکر

(١) انظر المنتظم (١٢٤/١٢) وقد أخرج الخطيب البغدادي ومن طريقه ابن الجوزي بالسندي الموصول عن علي بن أبي أمية قال: (شاهد عيان قال: لما كان من دخول الزنج البصرة ما كان وقتلو بها من قتلوا وذلك في شوال سنة سبع وخمسين ومئتين بلغنا أنهم دخلوا على الرياشي المسجد بأسيافهم والرياشي قائم يصلي الضحى فضربوه بالأسياف... إلخ وفيه: حتى مات فلما خرج الزنج عن البصرة دخلناها فمررنا بيني مازن وهناك كان يتزل الرياشي فدخلنا مسجده... إلخ. تاريخ بغداد (١٤٠/١٢) والمتنظم (١٣٤/١٢).

قلت وهذا يعني أن الطبرى كان دقِيقاً عندما ذكر أنه (أي صاحب الزنج) خاض معركة البصرة في شهر شوال من سنة (٢٥٧ هـ) فقد أخرجه الخطيب مستنداً عن رجل عاصر تلك الأحداث ودخل البصرة بعد خروج الزنج منها ، والله أعلم.

بالخِيَرَاتِيَّةِ ، وشُغِلَ مُنْصُورُ بْنُ جَعْفَرَ عَنْ بَدْرَقَةِ الْقَيْرَوَانَاتِ إِلَى الْبَصَرَةِ ، فَعَادَ حَالَ أَهْلِ الْبَصَرَةِ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الضِيقِ ، وَأَلْحَقَ أَصْحَابَ الْخَيْبَتِ عَلَى أَهْلِ الْبَصَرَةِ بِالْحَرْبِ صَبَاحًاً وَمَسَاءً .

فَلَمَّا كَانَ فِي شَوَّالٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ أَزْمَعَ الْخَيْبَتِ عَلَى جَمْعِ أَصْحَابِهِ لِلْهُجُومِ عَلَى أَهْلِ الْبَصَرَةِ ، وَالْجَدَّ فِي خَرَابِهَا ، وَذَلِكَ لِعِلْمِهِ بِضَعْفِ أَهْلِهَا وَتَفْرِقَتِهِمْ ، وَإِضَارَ الرَّحْصَارَ بِهِمْ ، وَخَرَابَ مَا حَوْلَهَا مِنَ الْقَرَى؛ وَكَانَ قَدْ نَظَرَ فِي حِسَابِ النَّجُومِ ، وَوَقَفَ عَلَى انْكِسَافِ الْقَمَرِ لِيَلَةَ الْثَلَاثَاءِ لَأَرْبَعِ عَشَرَ لِيَلَةَ تَخْلُوُ مِنَ الشَّهْرِ .

فَذَكَرَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسْنِ بْنِ سَهْلٍ أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: اجْتَهَدْتُ فِي الدُّعَاءِ عَلَى أَهْلِ الْبَصَرَةِ ، وَابْتَهَلْتُ إِلَى اللَّهِ فِي تَعْجِيلِ خَرَابِهَا ، فَخَوْطَبْتُ ، فَقَيْلَ لِي: إِنَّمَا الْبَصَرَةُ خُبْزٌ لَكَ تَأْكِلُهَا مِنْ جَوَانِبِهَا؛ فَإِذَا انْكَسَرَ نَصْفُ الرَّغِيفِ خَرَبَتِ الْبَصَرَةُ؛ فَأَوْلَتُ انْكِسَارَ نَصْفِ الرَّغِيفِ انْكِسَافَ الْقَمَرِ الْمُتَوَقَّعِ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ ، وَمَا أَخْلَقَ أَمْرَ الْبَصَرَةِ أَنْ يَكُونَ بَعْدَهُ .

قَالَ: فَكَانَ يَحْدُثُ بِهَذَا حَتَّى أَفَاضَ فِيهِ أَصْحَابُهُ ، وَكَثُرَ تَرْدُدهُ فِي أَسْمَاعِهِمْ وَإِحْالَتِهِ إِيَاهُ بَيْنَهُمْ .

ثُمَّ نَدَبَ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ الدَّارَمِيُّ؛ وَهُوَ أَحَدُ مَنْ كَانَ صَاحِبَهُ بِالْبَحْرَيْنِ لِلْخُرُوجِ إِلَى الْأَعْرَابِ ، وَأَنْفَذَهُ فَأَتَاهُ مِنْهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ ، فَأَنْاخَوْهُ بِالْقَنْدَلِ ، وَوَجَّهَ إِلَيْهِمُ الْخَيْبَتِ سَلِيمَانُ بْنُ مُوسَى الشَّعْرَانِيُّ ، وَأَمْرَهُمْ بِتَطْرُقِ الْبَصَرَةِ ، وَالْإِيْقَاعِ بِهَا ، وَتَقْدِمَ إِلَى سَلِيمَانَ بْنَ مُوسَى فِي تَمْرِينِ الْأَعْرَابِ عَلَى ذَلِكَ؛ فَلَمَّا وَقَعَ الْكَسْوَفُ أَنْهَضَ عَلَيْهِ بْنُ أَبْيَانَ ، وَضَمَّ إِلَيْهِ طَائِفَةً مِنَ الْأَعْرَابِ ، وَأَمْرَهُ بِإِتِيَانِ الْبَصَرَةِ مِمَّا يَلِي بْنِي سَعْدَ ، وَكَتَبَ إِلَى يَحْيَى بْنِ مُحَمَّدِ الْبَحْرَانِيِّ - وَهُوَ يَوْمَئِذٍ مُحَاصِرُ أَهْلِ الْبَصَرَةِ - فِي إِتِيَانِهَا مِمَّا يَلِي نَهْرَ عَدَيِّ ، وَضَمَّ سَائرَ الْأَعْرَابِ إِلَيْهِ ، قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسْنِ: قَالَ شَبِيلٌ: فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ وَاقَعَ أَهْلَ الْبَصَرَةِ عَلَيْهِ بْنُ أَبْيَانَ ، وَبُغْرَاجٌ يَوْمَئِذٍ بِالْبَصَرَةِ فِي جَمَاعَةِ مِنَ الْجُنُدِ ، فَأَقَامَ يَقَاتِلُهُمْ يَوْمَيْنِ ، وَمَالَ النَّاسُ نَحْوَهُ .

وَأَقْبَلَ يَحْيَى بِمَنْ مَعَهُ مِمَّا يَلِي قَصْرَ أَنْسَ قَاصِدًا نَحْوَ الْجَسَرِ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ بْنَ أَبْيَانَ الْمَهْلَبِيَّ وَقَتَ صَلَاةَ الْجَمَعَةِ لِثَلَاثِ عَشَرَ لِيَلَةَ بَقِيتِ مِنْ شَوَّالٍ ، فَأَقَامَ يَقْتَلُ وَيَحْرَقُ يَوْمَ الْجَمَعَةِ وَلِيَلَةَ السَّبْتِ وَيَوْمَ السَّبْتِ ، وَغَادَ يَحْيَى الْبَصَرَةَ يَوْمَ

الأحد ، فتلقاءه بغراج وبُرْيَةٍ في جَمْع فرَّادَه ، فرجع فأقام يومه ذلك ، ثم غاداهم يوم الإثنين ، فدخل وقد تفرق الجند ، وهرب بُرْيَه ، وانحاز بغراج بمن معه ، فلم يكن في وجهه أحد يدافعه ، ولقيه إبراهيم بن يحيى المهلبي ، فاستأمه لأهل البصرة فأمنهم ، ونادى منادي إبراهيم بن يحيى : مَنْ أراد الأمان فليحضر دار إبراهيم ، فحضر أهل البصرة قاطبةً حتى ملأوا الرِّحَاب ، فلما رأى اجتماعهم انتهز الفرصة في ذلك منهم ، فأمر بأخذ السكك والطرق والدُّرُوب لئلا يتفرقوا ، وغَدر بهم ، وأمر أصحابه بقتلهم ، فقتل كلَّ مَنْ شهد ذلك المشهد إِلَّا الشاذ ، ثم انصرف يومه ذلك ، فأقام بقصر عيسى بن جعفر بالخرية.

قال محمد: وحدّثني الفضل بن عدي الدارمي ، قال: أنا حين وجه الخائن لحرب أهل البصرة في حَيْزِ أهل البصرة مُقِيمٌ في بني سعد ، قال: فأتأنا آت في الليل ؛ فذكر أنه رأى خيلاً مجتازة تؤم قصر عيسى بالخرية ، فقال لي أصحابي: اخرج فتعرّف لنا خَبَر هذه الخيل ، فخرجت فإذا جماعة من بني تميم وبني أسد ، فسألتهم عن حالهم ، فزعموا أنهم أصحاب العَلَوَى المضمومون إلى علي بن أبان ، وأن علياً يوافي البصرة في غِدِّ تلك الليلة ، وأن قصده لناحية بني سعد ، وأن يحيى بن محمد بجماعه قاصد لناحية آل المهلب . فقالوا: قل لأصحابك من بني سعد: إن كنتم تريدون تحصين حُرْمَكُم ، فبادروا بإخراجهم قبل إحاطة الجيش بكم .

قال الفضل: فرجعت إلى أصحابي ، فأعلمُهم خبر الأعراب فاستعدوا ، فوجهوا إلى بُرْيَه يعلِّمونه الخبر ، فوافاهم فيمن كان بقِيَ من الخول وجماعة من الجند وقت طلوع الفجر ، فساروا حتى انتهوا إلى خندق يعرف ببني حِمَّان ، ووافاهم بني تميم ومقاتلة السعدية ، فلم يلبثوا أن طلع عليهم علي بن أبان في جماعة الرَّزْنج والأعراب على مُتوْنِ الخلي ، فذهل بُرْيَه قبل لقاء القوم ، فرجع إلى منزله ؛ فكانت هزيمة ، وتفرق مَنْ كان اجتمع من بني تميم ، ووافى عليَّ فلم يدافعه أحد ، ومرّ قاصداً إلى المِرْبِد ، ووجه بُرْيَه إلى بني تميم يستصرخهم ، فنهض إليه منهم جماعة ، فكان القتال بالمرْبِد بحضور دار بُرْيَه ، ثم انهزم بُرْيَه عن داره ، وتفرق الناس لانهزامه ، فأحرقت الزنج داره ، وانتهبو ما كان فيها ، فأقام الناس يقتلون هنالك ، وقد ضَعُفَ أهل البصرة ، وقوى عليهم الرَّزْنج ،

ووصلت الحرب بينهم إلى آخر ذلك اليوم ، ودخل على المسجد الجامع فأحرقه ، وأدركه فتح غلام أبي شيث في جماعة من البصريين ، فانكشف على أصحابه عنهم ، وقتل من الزنج قوم ، ورجع على فعسكر في الموضع المعروف بمقدمة بنى شيبان ، فطلب الناس سلطاناً يقاتلون معه فلم يجدوه ، وطلبوها بريها ، فوجدوه قد هرب ، وأصبح أهل البصرة يوم السبت ، فلم يأتهم على بن أبان ، وغاداهم يوم الأحد ، فلم يقف له أحد ، وظفر بالبصرة .

قال محمد بن الحسن : وحدثني محمد بن سمعان ، قال : كنت مقيناً بالبصرة في الوقت الذي دخلها الزنج ، وكنت أحضر مجلس إبراهيم بن محمد بن إسماعيل المعروف بريه ، فحضرته وحضر يوم الجمعة لعشرين ليال خلون من شوال سنة سبع وخمسين ومئتين وعنه شهاب بن العلاء العنبري ، فسمعت شهاباً يحذثه أن الخائن قد وجّه بالأموال إلى البدية ليعرض بها رجال العرب ، وأنه قد جمع جمعاً كثيراً من الخيل ، وهو يريد تورّد البصرة بهم وبرجالته من الزنج ، وليس بالبصرة يومئذ من جند السلطان إلا نصف وخمسون فارساً مع بُراج ، فقال بريه لشهاب : إن العرب لا تقدم على بمساءة ؛ وكان بريه مطاعاً في العرب ، محبباً إليهم .

قال ابن سمعان : فانصرفت من مجلس بريه ، فلقيت أحمد بن أيوب الكاتب ، فسمعته يحكى عن هارون بن عبد الرحيم الشيعي ؛ وهو يومئذ يلي بريد البصرة ، آتاه صاحب عنده أن الخائن جمع لثلاث خلون من شوال في تسعه أيام ؛ فكان وجوه أهل البصرة وسلطانها المقيم بها من الغنائم عن حقيقة خبر الخائن على ما وصفت ، وقد كان الحصار عض أهل البصرة ، وكثير الوباء بها ، واستعرت الحرب فيها بين الحزبين المعروفين بالبلالية والسعدية .

فلما كان يوم الجمعة لثلاث عشرة بقيت من شوال من هذه السنة ، أغارت خيل الخائن على البصرة صباحاً في هذا اليوم ؛ من ثلاثة أوّجه من ناحية بنى سعد والمربد والخربيّة ؛ فكان يقود الجيش الذي سار إلى المربد على بن أبان ، وقد جعل أصحابه فرقتين ؛ فرقة ولّى عليها رفيقاً غلام يحيى بن عبد الرحمن بن خاقان ، وأمرهم بالمقصير إلى بنى سعد ، والفرقة الأخرى سار هو فيها إلى المربد ؛ وكان يقود الخيل التي أتت من ناحية الخربة يحيى بن محمد الأزرق

البحرياني ، وقد جمع أصحابه من جهة واحدة؛ وهو فيهم؛ فخرج إلى كلّ فرقة من هؤلاء من خفّ من ضعفاء أهل البصرة ، وقد جَهَدُهم الجوع والمحاصرة ، وتفرقـتـ الخيلـ التيـ كانتـ معـ بـعـراـجـ فـرـقـتـينـ: فـرـقةـ صـارـتـ إـلـىـ نـاحـيـةـ المـرـبـدـ ، وـفـرـقةـ صـارـتـ إـلـىـ نـاحـيـةـ الـخـرـبـيـةـ ، وـقـاتـلـ مـنـ وـرـدـ نـاحـيـةـ بـنـيـ سـعـدـ جـمـاعـةـ مـنـ مـقـاتـلـةـ السـعـدـيـةـ فـتـحـ غـلامـ أـبـيـ شـيـثـ وـصـحـبـهـ ، فـلـمـ يـغـنـ قـلـيلـ مـنـ أـهـلـ الـبـصـرـ إـلـىـ جـمـوعـ الـخـبـيـثـ شـيـئـاـ ، وـهـجـمـ الـقـوـمـ بـخـيـلـهـمـ وـرـجـلـهـمـ .

قال ابن سمعان : فإني يومئذ لفي المسجد الجامع ؛ إذ ارتفعت نيران ثلاثة من ثلاثة أوجه : زهران والمربد وبني حمّان في وقت واحد ؛ لأنّ موقديهما كانوا على ميعاد ؛ وذلك صدر يوم الجمعة ، وجّل الخطب ، وأيقن أهل البصرة بالهلاك ، وسعى منْ كان في المسجد الجامع إلى منازلهم ، ومضيّت مبادراً إلى منزله ؛ وهو يومئذ في سكة المربد ، فلقيني منهزمون أهل البصرة في السكة راجعين نحو المسجد الجامع ، وفي آخرهم القاسم بن جعفر بن سليمان الهاشمي ؛ وهو على بغل متقلّد سيفاً يصيح بالناس : ويحكم ! أسلمون بلدكم وحرمكم ! هذا عدوكم قد دخل البلد ، فلم يلووا عليه ، ولم يسمعوا منه ، فمضى وانكشفت سكة المربد ؛ فصار بين المنزمين والزنج فيها فضاء يسافر فيه البصر .

قال محمد : فلما رأيت ذلك دخلت منزله ، وأغلقت بابي ، وأشرفت فإذا خيل من الأعراب ورجالـةـ الزنجـ ، تقدّمـهمـ رجلـ علىـ حصـانـ كـمـيـتـ ، بيـدـهـ رـمـحـ ، عـلـيـهـ عـذـبةـ صـفـراءـ ؛ فـسـأـلـتـ بـعـدـ أـنـ صـيـرـ بـيـ إـلـىـ مـدـيـنـةـ الـخـائـنـ عنـ ذـلـكـ الرـجـلـ ، فـادـعـيـ عـلـيـ بنـ أـبـانـ أـنـ ذـلـكـ الرـجـلـ ، وـأـنـ الرـاـيـةـ الصـفـراءـ رـايـهـ ، وـدـخـلـ الـقـوـمـ ، فـغـابـوـاـ فـيـ سـكـةـ المـرـبـدـ إـلـىـ أـنـ بـلـغـوـاـ بـابـ عـثـمـانـ ؛ وـذـلـكـ بـعـدـ الزـوـالـ ثـمـ اـنـصـرـفـوـاـ ، فـظـنـ النـاسـ مـنـ رـعـاعـ أـهـلـ الـبـصـرـ وـجـهـالـهـمـ أـنـ الـقـوـمـ قـدـ مـضـواـ لـصـلـةـ الـجـمـعـةـ ، وـكـانـ الـذـيـ صـرـفـهـمـ أـنـهـمـ خـشـواـ أـنـ يـخـرـجـ عـلـيـهـمـ جـمـعـ السـعـدـيـةـ وـالـبـلـالـيـةـ مـنـ الـمـرـبـدةـ ، وـخـافـوـ الـكـنـاءـ هـنـاكـ فـاـنـصـرـفـوـاـ وـانـصـرـفـ مـنـ كـانـ بـنـاحـيـةـ زـهـرـانـ وـبـنـيـ حـصـنـ ؛ وـذـلـكـ بـعـدـ أـنـ أـحـرـقـوـاـ وـأـنـهـبـوـاـ وـاقـتـدـرـوـاـ عـلـىـ الـبـلـدـ ، وـعـلـمـوـاـ أـنـ لـمـ يـجـدـوـ عـنـهـاـ مـدـافـعـاـ ، وـجـمـعـ النـاسـ إـلـىـ بـابـ إـبـرـاهـيمـ بـنـ يـحـيـيـ الـمـهـلـيـ وـأـعـطـوـاـ الـأـمـانـ .

قال محمد بن سمعان : فـحـدـثـيـ الحـسـنـ بـنـ عـثـمـانـ الـمـهـلـيـ الـمـلـقـبـ بـمـنـدـلـقـةـ

- وكان من أصحاب يحيى بن محمد - قال: أمرني يحيى في تلك الغدة بال Mitsir إلى مقبرةبني يشكرا ، وحمل ما كان هناك من التنانير ، فصرت إليها ، فحملت يئقاً وعشرين تنوراً على رؤوس الرجال ، حتى أتيت بها دار إبراهيم بن يحيى ، والناس يظنون أنها تعد لاتخاذ طعام لهم؛ وهم من الجوع وشدة الحصار والجهد على أمر عظيم ، وكثير الجمع بباب إبراهيم بن يحيى ، وجعلوا ينوبون ويزدادون؛ حتى أصبحوا وارتقت الشمس.

قال ابن سمعان: وأنا يومئذ قد انتقلت من سكة المربد من متولي إلى دار جد أمي هشام المعروف بالداف ، وكانت فيبني تميم ، وذلك للذي استفاض في الناس من دخول بني تميم في سلم الخائن؛ فإني لهناك إذأتى المخبرون بخبر الواقعة بحضورة دار إبراهيم بن يحيى ، فذكروا أن يحيى بن محمد بن البحرياني أمر الزنج ، فأحاطوا بذلك الجمع ، ثم قال: مَنْ كان من آل المهلب فليدخل دار إبراهيم بن يحيى ، فدخلت جماعة قليلة ، وأغلقوا الباب دونهم ، ثم قيل للننج: دونكم الناس فاقتلوهم ، ولا تُبقوا منهم أحداً ، فخرج إليهم محمد بن عبد الله المعروف بأبي الليث الأصبهاني ، فقال للزننج: كيلوا - وهي العلامة التي كانوا يعرفونها فيمن يؤمرون بقتله - فأخذ الناس السيف.

قال الحسن بن عثمان: فإني لأسمع تشهدهم وضجيجهم ، وهم يقتلون ، ولقد ارتفعت أصواتهم بالتشهيد؛ حتى لقد سمعت بالطفاوحة ، وهم على بعد من الموضع الذي كانوا به ، قال: ولما أتى على الجمع الذي ذكرنا أقبل الزنج على قتل مَنْ أصابوا ، ودخل على بن أبان يومئذ ، فأحرق المسجد الجامع ، وراح إلى الكلاء ، فأحرقه من الجبل إلى الجسر ، والنار في كل ذلك تأخذ في كل شيء مررت به من إنسان وبهيمة وأثاث ومتاع ، ثم ألحوا بالغدو والروح على مَنْ وجدوا يسوقونهم إلى يحيى بن محمد؛ وهو يومئذ نازل بسيحان؛ فمن كان ذا مال فرّه حتى يستخرج ماله ويقتله ، ومن كان مُملاقاً قتله .

وذكر عن شبل أنه قال: باكر يحيى البصرة يوم الثلاثاء بعد قتل مَنْ قتل بباب إبراهيم بن يحيى ، فجعل ينادي بالأمان في الناس ليظهروا ، فلم يظهر له أحد ، وانتهى الخبر إلى الخبيث ، فصرف عليّ بن أبان عن البصرة ، وأفرد يحيى بها لموافقة ما كان أتى يحيى من القتل إياه ووقوعه لمحبته ، وأنه استنصر ما كان من

عليّ بن أبان المهلبيّ من الإمساك عن العيّث بناحية بني سعد .

وقد كان عليّ بن أبان أوفد إلى الخبيث من بني سعد وفداً ، فصاروا إليه ، فلم يجدوا عنده خيراً ، فخرجوا إلى عبادان ، وأقام يحيى بالبصرة ، فكتب إليه الخبيث يأمره بإظهار استخلاف شبل على البصرة ليسكن الناس ، ويظهر المستخفى ، ومن قد عُرِفَ بكثرة المال ، فإذا ظهروا أخذوا بالدلالة على ما دفونا وأخفينا من أموالهم ، ففعل ذلك يحيى ؛ فكان لا يخلو في يوم من الأيام من جماعة يؤتى بهم ، فمنْ عُرِفَ منهم باليسار استنطف ما عنده وقتلها ، ومن ظهرت له خلته عاجله بالقتل ؛ حتى لم يدع أحداً ظهر له إلا أتى عليه ، وهرب الناس على وجوههم ، وصرف الخبيث جيشه عن البصرة .

قال محمد بن الحسن : ولما أخرب الخائن البصرة ، وانتهى إليه عظيم ما فعل أصحابه فيها ، سمعته يقول : دعوت على أهل البصرة في غادة اليوم الذي دخلها أصحابي ، واجتهدت في الدعاء ، وسجّدت ، وجعلت أدعوا في سجودي ، فُرِعِتْ إلى البصرة ، فرأيتها ورأيت أصحابي يقاتلون فيها ، ورأيت بين السماء والأرض رجالاً واقفاً في الهواء في صورة جعفر المعلوم المتولي كان للاستخراج في ديوان الخراج بسامراً ، وهو قائم قد خفض يده اليسرى ، ورفع يده اليمنى ، يزيد قلب البصرة بأهلها ، فعلمت أن الملائكة تولّت إخراها دون أصحابي ولو كان أصحابي تولّوا ذلك لما بلغوا هذا الأمر العظيم الذي يحكى عنها ، وإن الملائكة لتنصرنـي وتؤيدنـي في حربـي ، وتثبتـنـ من ضعـف قلـبـهـ من أصحابـيـ .

قال محمد بن الحسن : وانتسب الخبيث إلى يحيى بن زيد بن عليّ بعد إخراجه بالبصرة ، وذلك لمصير جماعة من العلوية الذين كانوا بالبصرة إليه ، وأنه كان فيما أتاهم عليّ بن أحمد بن عيسى بن زيد ، وعبد الله بن عليّ في جماعة من نسائهم وحرّمـهمـ ، فلما جاؤوه تركـ الـ اـنـتـسـابـ إـلـىـ أـحـمـدـ بـنـ عـيـسـىـ ، وانتسب إلى يحيى بن زيد .

قال محمد بن الحسن : سمعتُ الخبيث وقد حضره جماعة من النوفليين ، فقال القاسم بن الحسن النوفيـ: إنه قد كان انتهى إلينا أنك من ولدـ أـحـمـدـ بـنـ عـيـسـىـ بنـ زـيـدـ ، فقالـ: لـسـتـ مـنـ وـلـدـ عـيـسـىـ ، أـنـاـ مـنـ وـلـدـ يـحـيـىـ بنـ زـيـدـ . وـهـوـ فـيـ ذـلـكـ كـاذـبـ ، لـأـنـ الإـجـمـاعـ فـيـ يـحـيـىـ أـنـهـ لـمـ يـعـقـبـ إـلـاـ بـنـتـاـ مـاتـ وـهـيـ تـرـضـعـ .

[ذكر الخبر عن الحرب بين محمد المولد والزنج]^(١)

وفيها أشخاص السلطان محمدًا المولد إلى البصرة لحرب صاحب الرنج ، فشخص من سامُرًا يوم الجمعة لليلة خلت من ذي القعدة .

* ذكر الخبر عما كان من أمر المولد هناك :

ذكر أن محمدًا المعروف بالمولد لما صار إلى ما هنالك نزل الأبلة ، وجاء بُريه ، فنزل البصرة ، واجتمع إلى بُريه من أهل البصرة خلق كثير من كان هرب ، وكان يحيى حين انصرف عن البصرة أقام بالنهر المعروف بالغوثي .

قال محمد: قال شِبل: فلما قدم محمد المولد كتب الخبيث إلى يحيى يأمره بالمجيء إلى نهر أُوا ، فصار إليه بالجيش ، وأقام يحارب المولد عشرة أيام ، ثم أوطن المولد المقام ، واستقرّ وفتر عن الحرب ، فكتب الخبيث إلى يحيى يأمره بتبييته ، ووجه إليه الشذا مع المعروف بأبي الليث الأصبهاني ، فيتّه ونهض المولد بأصحابه ، فقاتلهم بقية ليلته ومن غد إلى العصر ، ثم ولّ منتصراً ، ودخل الرنج عسکره ، فغمموا ما فيه ، فكتب يحيى إلى الخبيث بخبره ، فكتب إليه يأمره باتباعه ، فاتبعه إلى الحوانيت ، وانصرف ، فمر بالجامدة ، فأوقع بأهلها ، وانتهَب كلَّ ما كان في تلك القرى ، وسفَك ما قدر على سفكه من الدماء ، ثم عسکر بالجالة ، فأقام هناك مدة ، ثم عاد إلى نهر معقل .

وفيها أخذ محمد المولد سعيد بن أحمد بن سعيد بن سلم الباهلي ، وكان قد تغلّب على البطائح ، هو وأصحابه من باهله وأفسدوا الطريق .

وفيها خالف محمد بن واصل السلطان بفارس ، وغلب عليها .

وهجّ الناس في هذه السنة الفضل بن إسحاق بن الحسن بن إسماعيل بن العباس بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن العباس^(٢) .

(١) انظر المنتظم (١٢/١٢٥).

(٢) انظر المنتظم (١٢/١٢٥).

وفيها وثب بسيل المعروف بالصقلبي - وقيل له الصقلبي وهو من أهل بيت المملكة ، لأن أمه صقلبيَّة - على ميخائيل بن توفيل ملك الروم فقتله ، وكان ميخائيل منفرداً بالمملكة أربعاً وعشرين سنة ، وتملّك الصقلبيَّ بعده على الروم^(١) .

* * *

ثم دخلت سنة ثمان وخمسين ومئتين ذكر الخبر عما كان فيها من الأمور الجليلة

فمن ذلك ما كان من الموافاة بسعيد بن أحمد بن سلم الباهليَّ بباب السلطان ، وأمر السلطان بضربه بالسياط ، فضرب سبعمة سوط - فيما قيل - في شهر ربيع الآخر منها ، فمات فصيل^(٢) .

وفيها ضُرب عنق قاضٍ لصاحب الزنج ، كان يقضى له بعبادان ، وأعناق أربعة عشر رجلاً من الزنج بباب العامة بسامراً؛ كانوا أسرُوا من ناحية البصرة^(٣) .

وفيها أوقع مُفلح بأعراب بتكريت ، ذكر أنهم كانوا مایلوا الشاري مساوراً.

وفيها أوقع مسرون البلخي بالأكراد اليعقوبية فهزّهم ، وأصاب فيهم.

وفيها دخل محمد بن واصل في طاعة السلطان ، وسلم الخراج والضياع بفارس إلى محمد بن الحسين بن الفياض.

وعقد المعتمد يوم الإثنين لعشر بقين من شهر ربيع الأول لأبي أحمد أخيه على ديار مضر وقنسرين والعواصم ، وجلس يوم الخميس مستهلًّ شهر ربيع الآخر ، فخلع عليه وعلى مُفلح ، فشخصا نحو البصرة ، وركب ركوباً عاماً ، وشيع أبي أحمد إلى بَرْكُوار ، وانصرف^(٤) .

* * *

(١) المصدر السابق (١٢٦/١٢).

(٢) المصدر السابق (١٢٧/١٢).

(٣) المصدر السابق (١٣٦/١٢).

(٤) لعقد المعتمد لأخيه أبي أحمد على ديار مضر انظر المتنظم (١٣٦/١٢).

[ذكر الخبر عن قتل منصور بن جعفر الخياط]

وفيها قُتِلَ منصور بن جعفر بن دينار الخياط .

* ذكر الخبر عن سبب مقتله وكيف كان أمره :

ذكر : أنَّ الْخَيْبَيْثَ لَمَّا فَرَغَ أَصْحَابَهُ مِنْ أَمْرِ البَصْرَةِ؛ أَمْرَ عَلَيَّ بْنَ أَبْنَ الْمَهْلَبِيِّ بِالْمَصِيرِ إِلَى جُبَيِّ لِحَرْبِ مَنْصُورِ بْنِ جَعْفَرٍ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ بِالْأَهْوَازِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ فَأَقَامَ بِإِبْرَاهِيمَ شَهْرًا، وَجَعَلَ مَنْصُورَ يَأْتِي عَسْكَرَ عَلَيَّ وَهُوَ مُقِيمٌ بِالْخَيْرَانِيَّةِ، وَمَنْصُورٌ إِذَا ذَاكَ فِي خَفَّ مِنَ الرِّجَالِ، فَوَجَّهَ الْخَيْبَيْثَ إِلَى عَلَيَّ بْنَ أَبْنَ بَاشْتَيْنِ عَشْرَةَ شَدَّادَةً مَشْحُونَةً بِجُلْدٍ أَصْحَابِهِ، وَوَلَّ أَمْرَهَا الْمَعْرُوفَ بِأَبَيِ الْلَّيْثِ الْأَصْبَهَانِيِّ، وَأَمْرَهُ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لِعَلَيَّ بْنَ أَبْنَ فَصَارَ الْمَعْرُوفَ بِأَبَيِ الْلَّيْثِ إِلَى عَلَيَّ، فَأَقَامَ مُخَالِفًا لَهُ، مُسْتَبْدًا بِالرَّأْيِ عَلَيْهِ، وَجَاءَ مَنْصُورٌ كَمَا كَانَ يَجِيءُ لِلْحَرْبِ، وَمَعَهُ شَذُّوَاتٍ، فَبَدَرَ إِلَيْهِ أَبُو الْلَّيْثِ عَنِ الْمُؤْمَرَةِ مِنْهُ لِعَلَيَّ بْنَ أَبْنَ، فَظَفَرَ مَنْصُورُ بِالشَّذُّوَاتِ الَّتِي كَانَتْ مَعَهُ، وَقُتِلَ فِيهَا مِنَ الْبَيْضَانِ وَالرَّزْنَجِ خَلْقًا كَثِيرًا، وَأَفْلَتْ أَبُو الْلَّيْثُ، فَانْصَرَفَ إِلَى الْخَيْبَيْثَ، فَانْصَرَفَ عَلَيَّ بْنَ أَبْنَ وَجَمِيعُ مَنْ كَانَ مَعَهُ، فَأَقَامُوا شَهْرًا، ثُمَّ رَجَعَ عَلَيَّ لِمُحَارَبَةِ مَنْصُورٍ فِي رِجَالِهِ، فَلَمَّا اسْتَقَرَّ عَلَيَّ وَجْهُ طَلَائِعِ يَأْتُونَهُ بِأَخْبَارِ مَنْصُورٍ، وَعَسَكِرِهِ، وَكَانَ لِمَنْصُورٍ وَالْمُقِيمِ يَكْرَبُنَا، فَبَيْتَ عَلَيَّ بْنَ أَبْنَ ذَلِكَ الْقَائِدَ، فَقُتِلَهُ وَقُتِلَ عَامَّةً مَنْ كَانَ مَعَهُ، وَغُنْمَ مَا كَانَ فِي عَسَكِرِهِ، وَأَصَابَ أَفْرَاسًا، وَأَحْرَقَ الْعَسْكَرَ، وَانْصَرَفَ مِنْ لَيلَتِهِ حَتَّى صَارَ فِي ذُنُوبَةِ نَهْرِ جُبَيِّ، وَبَلَغَ الْخَيْرَ بِمَنْصُورًا، فَسَارَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى الْخَيْرَانِيَّةِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ عَلَيَّ فِي تُفَيْرِ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَكَانَ الْحَرْبُ بَيْنَهُمَا مِنْذُ ضَحَى ذَلِكَ الْيَوْمِ إِلَى وَقْتِ الظَّهَرِ، ثُمَّ انْهَزَمَ مَنْصُورٌ، وَتَفَرَّقَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ، وَانْقَطَعَ عَنْهُمْ، وَأَدْرَكَهُ طَائِفَةٌ مِنَ الرَّزْنَجِ اتَّبَعُوهُ أَثْرَهُ إِلَى نَهْرٍ يَعْرَفُ بِعُمَرِ بْنِ مَهْرَانَ، فَلَمْ يَزُلْ يَكْرَبُ عَلَيْهِ حَتَّى تَقَصَّفَ رِمَاحَهُ، وَنَفَدَتْ سَهَامَهُ، وَلَمْ يَبْقَ مَعَهُ سَلاحٌ، ثُمَّ حَمَلَ نَفْسَهُ عَلَى النَّهْرِ لِيَعْبُرَ، فَصَاحَ بِحَصَانِهِ كَانَ تَحْتَهُ؛ فَوَثَبَ وَقَصَرَتْ رِجَالَهُ، فَانْعَمَسَ فِي المَاءِ .

قال شبل : كان سبب تقصير الفرس عن عبور النهر بمنصور : أنَّ رجلاً من الزنج كان ألقى نفسه لمَّا رأى منصوراً فاقصدأ نحو النهر يريد عبوره فسبقه سباحةً ،

فلما وثب الفرس تلقاء الأسود ، فنكص به ، فغاضا معاً ، ثم أطلع منصور رأسه ، فنزل إليه غلام من السودان من عُرفاء مصلح يقال له: أبرون ، فاحترأ رأسه وأخذ سلبه ، وقتل من من كان معه جماعة كثيرة ، وقتل مع منصور آخره خلف بن جعفر ، فولى يارجوك ما كان إلى منصور من العمل أصغجون.

* * *

[ذكر الخبر عن قتل مفلح]

ولاثنتي عشرة بقيت من جُمامي الأولى منها ، قُتِلَ مُفلح بسهم أصابه بغير نصل في صُدغه يوم الثلاثاء ، فأصبح ميتاً يوم الأربعاء في غد ذلك اليوم ، وحُملت جثته إلى سامراً ، دفون بها.

* ذكر الخبر عن سبب مقتله وكيف كان الوصول إليه:

قد مضى ذكري شخص أبي أحمد بن المتكىل من سامراً إلى البصرة لحرب اللعين لـما تناهى إليه وإلى المعتمد ما كان من فطيع ما ركب من المسلمين بالبصرة ، وما قرب منها من سائر أرض الإسلام ، فعاينت أنا الجيش الذي شخص فيه أبو أحمد ومفلح ببغداد ، وقد اجتازوا بباب الطاق ، وأننا يومئذ نازل هنالك ، فسمعت جماعة من مشايخ أهل بغداد يقولون: قد رأينا جيوشاً كثيرة من الخلفاء ، مما رأينا مثل هذا الجيش أحسن عدّة ، وأكمل سلاحاً وعتاداً ، وأكثر عدداً وجمعاً ، وأتبع ذلك الجيش من متسوقة أهل بغداد خلق كثير.

وذكر عن محمد بن الحسن أن يحيى بن محمد البحرياني كان مقیماً بنهر معقل قبل موافاة أبي أحمد موضع الخبيث ، فاستأذنه في المصير إلى نهر العباس ، فكره ذلك وخاف أن يوانبه جيشُ السلطان ، وأصحابه متفرقون ، فألح عليه يحيى حتى أذن له ، فخرج واتبعه أكثر أهله عسكر الخبيث.

وكان عليّ بن أبان مقیماً بجُنّي في جمع كثير من الزّنج ، والبصرة قد صارت مغنمًا لأهل عسكر الخبيث؛ فهم يغادونها ويراوحونها لنقل ما نالته أيديهم منها ، فليس بعسكر الخبيث يومئذ من أصحابه إلا القليل؛ فهو على ذلك من حاله حتى وافى أبو أحمد في الجيش الذي كان معه فيه مفلح ، فوافى جيشٌ عظيم هائل لم يرد على الخبيث مثله؛ فلمّا انتهى إلى نهر معقل هرب منْ كان هناك من جيش

الخبيث ، فلحقوا به مرعوبين ، فراع ذلك الخبيث ، فدعى برئيسين من رؤساء جيشه الذي كان هناك ، فسألهما عن السبب الذي له تركاً موضعهما ؛ فأخبراه بما عاينا من عظم أمر الجيش الوارد ، وكثرة عدد أهله وإحكام عدتهم ؛ وأن الذي عاينا من ذلك لم يكن في قوتهم الوقف له في العدة التي كانا فيها ، فسألهما هل علماً منْ يقود الجيش ؟ فقالا : لا قد اجتهدنا في علم ذلك ، فلم نجد من يصدقنا عنه ، فوجّه الخبيث طلائعه في سميريات لتعرف الخبر ، فرجعت رسالته إليه بتعظيم أمر الجيش وتفخيمه ؛ ولم يقف أحدُ منهم على منْ يقوده ويرأسه ، فزاد ذلك في جزعه وارتياعه ، فبادر بالإرسال إلى علي بن أبيان ، يعلمه خبر الجيش الوارد ، ويأمره بالمصير إليه فيمن معه ، ووافي الجيش ، فأناخ بإزائه ؛ فلما كان اليوم الذي كانت فيه الواقعة وهو يوم الأربعاء ، خرج الخبيث ليطوف في عسکره ماشياً ، ويتأمل الحال فيمن هو مقيم معه من حزبه ومنْ هو مقيم بإزائه ، من أهل حربه ، وقد كانت السماء مطرة في ذلك اليوم مطراً خفيفاً والأرض ثرية تزل عنها الأقدام ، فطوف ساعة من أول النهار ، ثم رجع فدعا بدواه وقرطاس لينفذ كتاباً إلى علي بن أبيان ، يعلمه ما قد أظلله من الجيش ويأمره بتقاديم منْ قدر على تقديميه من الرجال ، فإنه لفِي ذلك إذ أتاه المكتنِي أبو دلف - وهو أحد قواد السودان - فقال له : إن القوم قد صعدوا وانهزم عنهم الرَّنج ، وليس في وجوههم منْ يرددُهم حتى انتهوا إلى الجبل الرابع . فصاح به وانتهره ، وقال : أغرب عنني فإنك كاذب فيما حكَيْت ؛ وإنما ذلك جزع دخلك لكثرة ما رأيت من الجمع ، فانخلع قلبك ، ولست تدرِّي ما تقول .

فخرج أبو دلف من يديه ، وأقبل على كاتبه ، وقد كان أمر جعفر بن إبراهيم السجان بالنداء في الرَّنج وتحريكم للخروج إلى موضع الحرب ؛ فأناه السجان ، فأخبره أنه قد ندب الرَّنج ، فخرجا ، وإن أصحابه قد ظفروا بسميريتين ، فأمره بالرجوع لتحريك الرجال ، فرجع ولم يلبث بعد ذلك إلا يسيراً ، حتى أصيب مفلح بسهم غَرَبٍ لا يُعرف الرامي به ، ووَقَعَ الهزيمة ، وقوَيَ الرَّنج على أهل حربهم ، فنانوهم بما نالوه من القتل ، ووافي الخبيث زوجه بالرؤوس قابضين عليها بأسنانهم حتى أقوها بين يديه ، فكثرت الرؤوس يومئذ حتى ملأت كل شيء ، وجعل الرَّنج يقتسمون لحوم القتلى ويتهادونها بينهم .

وأتى الخائن بأسير من أبناء الفراغنة ، فسأله عن رأس الجيش ، فأعلمه بمكان أبي أحمد ومفلح ، فارتاع لذكر أبي أحمد - وكان إذا راوه أمر كذب به - فقال: ليس في الجيش غير مفلح! لأنني لست أسمع الذكر إلا له؛ ولو كان في الجيش من ذكر هذا الأسير لكان صوته أبعد ، ولما كان مفلح إلاً تابعاً له ، ومضافاً إلى صحبته .

وقد كان أهل عسكر الخبيث لمّا خرج عليهم أصحاب أبي أحمد ، جزعوا جزاً شديداً ، وهردوا من منازلهم ، ولجؤوا إلى النهر المعروف بنهر أبي الخصيب ولا جسر يوصل إليه ، ففرق فيه يومئذ خلق كثير من النساء والصبيان ، ولم يلبث الخبيث بعد الواقعة إلا يسيراً ، حتى وفاه عليّ بن أبيان في جمع من أصحابه ، فوفاه وقد استغنى عنه ، ولم يلبث مُفلح أن مات ، وتحيز أبو أحمد إلى الأُبَلَة ، ليجمع ما فرقت الهزيمة منه ، ويجدد الاستعداد ، ثم صار إلى نهر أبي الأسد فأقام به .

قال محمد بن الحسن: فكان الخبيث لا يدرى كيف قُتل مُفلح ، فلما بلغه أنه أصيب بسهم ، ولم ير أحداً ينتحل رميَّه ادعى: أنه كان الرامي له .

قال: فسمعته يقول: سقط بين يدي سهم ، فأتناني به واح خادمي ، فدفعه إلى ، فرميت به فأصبت مفلحاً .

قال محمد: وكذب في ذلك ، لأنني كنت حاضراً ذلك المشهد ، وما زال عن فرسه ، حتى أتاه المخبر بخبر الهزيمة ، وأتي بالرؤوس وانقضت الحرب .

* * *

وفي هذه السنة وقع الوباء في الناس في كور دجلة ، فهلك فيها خلق كثير في مدينة السلام وسامراً وواسط وغيرها .

وفيها قُتل خرسخارس ببلاد الروم في جماعة من أصحابه .

* * *

[ذكر خبر أسر يحيى بن محمد البحرياني ثم قتله]^(١)

وفيها أسر يحيى بن محمد البحرياني صاحب قائد الزنج ، وفيها قُتِلَ .

* ذكر الخبر عن أسره وقتله وكيف كان ذلك :

ذكر عن محمد بن سمعان الكاتب أنه قال : لما وافى يحيى بن محمد نهر العباس ، لقيه بفوهه النهر ثلاثة وسبعين فارساً من أصحاب أصعجون العامل - كان عامل الأهواز في ذلك الوقت ، كانوا مرتبين في تلك الناحية - فلما بصر بهم يحيى استقلّهم ، ورأى كثرة مَنْ معه من الجمع مما لا خوف عليه معهم ، فلقيتهم أصحابه غير مستجدين بشيء يردد عنهم عاديتهم ، ورشقتهم أصحاب أصعجون بالسهام ، فأكثروا الجراح فيهم ، فلما رأى ذلك يحيى عبر إليهم عشرون ومئة فارس كانت معه ، وضم إليهم من الرجال جمعاً كثيراً ، وانحاز أصحاب أصعجون عنهم ، وولج البحرياني ومن معه نهر العباس ؛ وذلك وقت قلة الماء في النهر ، وسفُنُ القَيْروانات جانحة على الطين .

فلما أبصر أصحاب تلك السفن بالزنج تركوا سفينتهم ، وحازها الزنج ، وغنموا ما كان فيها غنائم عظيمة جليلة ، ومضوا بها متوجهين نحو بطيخة المعروفة بطيخة الصحناء ، وتركوا الطريق التهيج ، وذلك للتحاسد الذي كان بين البحرياني وعليّ بن أبي المهلبي ، وإن أصحاب يحيى أشاروا عليه ألا يسلك الطريق الذي يمرّ فيها بعسكر عليّ ، فأصفعى إلى مشورتهم ، فشرعوا له الطريق المؤدي إلى بطيخة التي ذكرنا ، فسلكها حتى ولج بطيخة ، وسرّح الخيل التي كانت معه ، وجعل معها أبا الليث الأصفهاني ، وأمره بالمصير بها إلى عسكر قائد الزنج ، وكان الخبيث وجّه إلى يحيى البحرياني يعلمه ورود الجيش الذي ورد عليه ، ويأمره بالتحرّز في منصرفه من أن يلقاه أحدُ منهم ، فوجّه البحرياني الطلائع إلى دجلة فانصرفت طلائعه وجيشه أبي أحمد منصرف من الأبلة إلى نهر أبي الأسد ، وكان السبب في رجوع الجيش إلى نهر أبي الأسد : أن رافع بن إسحاق وغيره من مجاوري نهر العباس وبطيخة الصحناء كتبوا إلى أبي أحمد

يعرّفونه خبر البحراني وكثرة جمّعه ، وأنه يقدّر أن يخرج من نهر العباس إلى دجلة فيسبق إلى نهر أبي الأسد ويعسّر به ، ويمنعه الميرة ، ويحولُ بينه وبين من يأتيه أو يصدر عنه ؛ فرجعت إليه طلائعه بخبره ، وعظم أمر الجيش عنده ، وهبّته منه ؛ فرجع في الطريق الذي كان سلكه بمشقة شديدة ناله ونالت أصحابه ، وأصحابهم وباء من ترددتهم في تلك البطيحة ، فكثر المرض فيهم ، فلما قربوا من نهر العباس جعل يحيى بن محمد سليمان بن جامع على مقدمته ، فمضى يقود أولئك الزَّنج ، وهم يجرّون سفنهم ، يريدون الخروج من نهر العباس ، وفي النهر للسلطان شذوات وسميريات تحمي فوّهته من قبل أصحابه ، ومعها جمْعٌ من الفُرسان والرجال ، فراغه أصحابه ذلك ، فخلّوا سفنهم ، وألقوا أنفسهم في غربي نهر العباس ، وأخذوا على طريق الزيدان ماضين نحو عسّر الخبيث ، ويحيى غارّ بما أصحابهم ، لم يأتِه علم شيء من خبرهم ، وهو متّوسط عسّر ، قد وقف على قنطرة قُورَج العباس في موضع ضيق تشتّد فيه جريّة الماء ، فهو مشرف على أصحابه الزَّنج وهم في جزء تلك السفن التي كانت معهم ، فمنها ما يغرق ، ومنها ما يسلم .

قال محمد بن سمعان : وأنا في تلك الحال معه واقف ، فأقبل على متّعجبًا من شدة جريّة الماء وشدة ما يلقى أصحابه من تلقيه بالسفن ، فقال لي : أرأيت لو هجم علينا عدوّنا في هذه الحال ، مَنْ كان أسوأ حالاً منا ! فما انقضى كلامه حتى وافاه طاشترم التركي في الجيش الذي أنفذه إليهم أبو أحمد عند رجوعه من الأبلة إلى نهر أبي الأسد ، ووقعت الضّجة في عسّره .

قال محمد : فنهضت مُتشوقًا للنظر ؛ فإذا الأعلام الحمر قد أقبلت في الجانب الغربي من نهر العباس ويحيى به ، ولم يرّأها الزَّنج ألقوا أنفسهم في الماء جملة ، فعبروا إلى الجانب الشرقي ، وعرى الموضع الذي كان فيه يحيى ، فلم يبق معه إلا بضعة عشر رجلاً ، فنهض يحيى عند ذلك ، فأخذ درنته وسيفه ، واحترم بمنديل ، وتلقي القوم الذين أتوه في النفر الذين معه ، فرشقهم أصحاب طاشترم بالسهام ، وأسرع فيهم الجراح ، وجرح البحراني بأسمهم ثلاثة في عضديه وساقه اليسرى ، فلما رأه أصحابه جريحاً تفرقوا عنه ، فلم يعرّف فيقصد له ، فرجع حتى دخل بعض تلك السفن ، وعبر به إلى الجانب الشرقي من النهر ؛ وذلك وقت

الضحى من ذلك اليوم ، وأثقلت يحيى الجراحات التي أصابته ، فلما رأى الزَّنج ما نزل به اشتدَّ جزعهم ، وضعف قلوبهم ، فتركوا القتال ، وكانت همّتهم النجاة بأنفسهم ، وحاز أصحاب السلطان الغائم التي كانت في السفن بالجانب الغربي من النهر ؛ فلما حَوْهَا أقعدوا في بعض تلك السفن النَّفَاطِين وعَبَرُوهُم إلى شرقِ النهر ، فأحرقوا ما كان هناك من السفن التي كانت في أيدي الزَّنج ، وانقضَّ الزَّنج عن يحيى ، فجعلوا يتسللون بقية نهارهم بعد قتل فيهم ذريع ، وأسر كثير ؛ فلِمَّا أمسوا وأسفل الليل طاروا على وجوههم ، فلما رأى يحيى تفرق أصحابه ، ركب سُمَيْرَة كانت لرجل من المقاتلة البيضان ، وأقعده معه فيها متطبِّياً يقال له عباد يعرف بأبي جيش ؛ وذلك لِمَا كان به من الجراح ، وطمع في التخلص إلى عسكر الخبيث ، فسار حتى قرب من فُوهَة النهر ، فبصر ملاحو السُّمَيْرَة بالشذا والسميريات واعتراضها في النهر ، فجزعوا من المرور بهم ، وأيقنوا أنهم مدركون ، فعبروا إلى الجانب الغربي ، فألقواه ومن معه على الأرض في زرع كان هناك ، فخرج يمشي وهو مثقل ؛ حتى ألقى نفسه ؛ فأقام بموضعه ليلاًه تلك ، فلما أصبح بموضعه ذلك نهض عباد المتطلب الذي كان معه ، فجعل يمشي متشوقاً لأن يرى إنساناً فرأى بعض أصحاب السلطان ، فأشار إليهم فأخبرهم بمكان يحيى ، وأتاه بهم حتى سلمه إليهم.

وقد زعم قوم : أنَّ قوماً مُؤْوا به ، فرأوه فدلّوا عليه ، فأخذ ، فانتهى خبره إلى الخبيث صاحب الزَّنج فاشتدَّ لذلك جزعه ، وعظم عليه توجّهه .

ثم حمل يحيى بن محمد الأزرق البحرياني إلى أبي أحمد ، فحمله أبو أحمد إلى المعتمد بسامراً ، فأمر ببناء دكة بالحِير ، بحضور مجرى الحلبة فبنيت ، ثم رفع للناس حتى أبصروه ، فضرب بالسياط .

وذكر : أنه دخل سامراً يوم الأربعاء لتسع خلوٌ من رجب على جمل ، وجلس المعتمد من غِدِ ذلك اليوم - وذلك يوم الخميس - فضرب بين يديه مئتي سوط بشارها ، ثم قُطعت يداه ورجلاه من خلاف ، ثم خُبِط بالسيوف ، ثم ذُبح ثم أحرق .

قال محمد بن الحسن : لما قُتِلَ يحيى البحرياني ، وانتهى خبره إلى صاحب الزَّنج ؛ قال : عَظُمَ عَلَيَّ قتله ، واشتدَّ اهتمامي به ، فخوطبْتُ فقيل لي : قتله خير

لك ، إنه كان شرهاً ، ثم أقبل على جماعة كنت أنا فيهم ، قال : ومن شره أنا غمنا غنيمة من بعض ما كنّا نصيبه ؛ فكان فيه عقدان ، فوقع في يد يحيى ، فأخفى عني أعظمهما خطراً ، وعرض علىي أخسهما ، واستو هبنيه فوهبته له ، فرفع لي العقد الذي أخفاه ، فدعوته فقلت : أحضرني العقد الذي أخفيته ، فأتأني بالعقد الذي وهبته له ، وجحد أن يكون أخذ غيره ، فرفع لي العقد ، فجعلت أصفه وأنا أراه ، فبُهت ، وذهب فأتأني به ، واستو هبنيه فوهبته له ، وأمره بالاستغفار .

وذكر عن محمد بن الحسن : أنَّ محمد بن سمعان حدثه : أنَّ قائد الزنج قال لي في بعض أيامه : لقد عرضتْ عليَّ النبوة فأبىتها ، فقلتُ : ولمَ ذاك؟ قال : لأنَّ لها أعباء خفتُ ألا أطيق حملها !

* * *

[ذكر خبر انحياز أبي أحمد بن الم توكل إلى واسط]

وفي هذه السنة انحاز أبو أحمد بن الم توكل من الموضع الذي كان به من قرب من قائد الزنج إلى واسط^(١) .

* ذكر الخبر عن سبب انحيازه ذلك إليها :

ذُكر : أنَّ السبب في ذلك كان أنَّ أباً أَحمد لَمَّا صار إلى نهر أبي الأسد ، فأقام به ؛ كثُر العلل فيمن معه من جنده وغيرهم ، وفشا فيهم الموت ، فلم يزل مقيناً هناك حتى أبلَّ مَنْ نجا منهم من الموت من عِلْمه ، ثم انصرف راجعاً إلى باذوازد ، فعسكر به ، وأمر بتجديد الآلات وإعطاء مَنْ معه من الجند أرزاقهم وإصلاح الشذوذات والسميريات والمعابر ، وشحذها بالقوادِ مِنْ مواليه وغلمانه ، ونهض نحو عسكر الخبيث ، وأمر جماعة من قُوَاده بقصد مواضع سماها لهم من نهر أبي الخصيب وغيره ، وأمر جماعة منهم بلزمته والمحاربة معه في الموضع الذي يكون فيه ، فمال أكثر القوم حين وقعت الحرب ، والتلقى الفريقيان إلى نهر أبي الخصيب ، وبقي أبو أَحمد في قلة من أصحابه ، فلم يرُلْ عن موضعه إشفاقاً

(١) لم يتحدث ابن الجوزي عن هذه المسألة وانظر البداية والنهاية [٨ / ٢٣٤] .

من أن يطبع فيه الزَّنج وفيمن يلزّهم من أصحابه وهم بسبحة نهر منكى ، وتأمل
الزَّنج تفرق أصحاب أبي أحمد عنه ، وعرفوا موضعه ، فكثروا عليه ، واستعرت
الحرب ، وكثُر القتل والجرح بين الفريقين وأحرق أصحاب أبي أحمد قصوراً
ومنازل من منازل الزَّنج ، واستنقذوا من النساء جمعاً كثيراً ، وصرف الزَّنج
جمعهم إلى الموضع الذي كان فيه أبو أحمد ظهر الموقّع على الشَّدَا ، وتتوسّط
الحرب محّضًا أصحابه حتى أتاه مِنْ جمع الزَّنج ما عَلِمَ أنه لا يقاوم بمثل العدة
اليسيرة التي كان فيها ، فرأى أنَّ الحزم في محاجزتهم ، فأمر أصحابه عند ذلك
بالرجوع إلى سفنهم على تؤدة ومَهَلَ ، فصار أبو أحمد إلى الشَّدَا التي كان فيها
بعد أن استقرَّ أكثر الناس في سفنهم ، وبقيت طائفة من الناس ، ولجوءاً إلى تلك
الأدغال والمضائق ، فانقطعوا عن أصحابهم ، فخرج عليهم كُماناء الزَّنج ،
فاقتطعواهم ووقعوا بهم ، فحاوُوا عن أنفسهم ، وقاتلوا قتالاً شديداً ، وقتلوا عدداً
كثيراً من الزَّنج ، وأدركهم المنايا فقتلوا وحملوا إلى قائد الزَّنج مئة رأس وعشرة
أرؤس ، فزاد ذلك في عتوه ، ثم انصرف أبو أحمد إلى الباذاورَد في الجيش ،
وأقام يعي أصحابه للرجوع إلى الزَّنج ، فوُقعت نار في طرف من أطراف عسکره؛
وذلك في أيام عصوف الريح ، فاحتراق العسكر ، ورحل أبو أحمد منصرفًا ،
وذلك في شعبان من هذه السنة إلى واسط ، فلما صار إلى واسط تفرق عنه عامة
من كان معه من أصحابه .

* * *

ولعشر خلون من شعبان كانت هَذَّة صعبة هائلة بالصَّيْمَرَة ، ثم سُمع من غد
ذلك اليوم - وذلك يوم أحد - هَذَّة هي أعظم من التي كانت في اليوم الأول ،
فتهدَّم من ذلك أكثر المدينة ، وتساقطت الحيطان وهلك من أهلها - فيما قيل -
زهاء عشرين ألفاً .

وضرب بباب العامة بسامراً رجل يعرف بأبي فَقْعَس ، قامت عليه البينة - فيما
قيل - بثتم السلف ألف سوط وعشرين سوطاً ، فمات وذلك يوم الخميس لسبعين
خلون من شهر رمضان^(١) .

مات يازجُوخ يوم الجمعة لثمان خلون من شهر رمضان ، فصلى عليه أبو عيسى بن المتكّل ، وحضر جعفر بن المعتمد.

وفيها كانت وقعة بين موسى بن بُغا وأصحاب الحسن بن زيد ، فهزم موسى أصحاب الحسن .

وفيها انصرف مسرور البلخي عن مساور الشاري إلى سامراً ، ومعه أسراء من الشراء ، واستخلف على عسكنه بالحديثة جعلان ، ثم شخص أيضاً مسرور البلخي إلى ناحية البواريج ، فلقي مساوراً بها ، فكانت بينهما وقعة بها أسر مسرور من أصحابه جماعة ، ثم انصرف لليال بقيت من ذي الحجة^(١).

وفي هذه السنة حدث في الناس ببغداد داء كان أهلهما يسمونه القفعان .

وفيها رجع أكثر الحاج من القراءاء خوف العطش ، وسلم من سار منهم إلى مكة .

وحيث بالناس فيها الفضل بن إسحاق بن الحسن^(٢).

* * *

ثم دخلت سنة تسع وخمسين ومئتين

ذكر الخبر بما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك منصرف أبي أحمد بن المتكّل من واسط ، وقدومه سامراً يوم الجمعة لأربعين من شهر ربيع الأول ، واستخلافه على واسط وحرب الخبيث بتلك الناحية محمداً المولى^(٣).

* * *

(١) انظر البداية والنهاية (٨/٢٣٤).

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) انظر المنتظم (١٢/١٥٢).

[ذكر الخبر عن مقتل كنجور]

ومن ذلك مقتل كنجور^(١).

* ذكر الخبر عن سبب مقتله:

وكان سبب ذلك أنه كان والي الكوفة ، فانصرف عنها يريد سامراً بغير إذن ، فأمر بالرجوع فأبى ، فحمل إليه - فيما ذكر - مالٌ ليفرق في أصحابه أرزاقهم منه ، فلم يقنع ذلك ، ومضى حتى ورد عُكَبَرَاء في ربيع الأول ، فتوجّه إليه من سامراً عدّة من القواد ، فيهم: ساتكين وتكين وعبد الرحمن بن مفلح وموسى بن أتامش وغيره؛ فذبحوه ذبحاً ، وحمل رأسه إلى سامراً ، للليلة بقيت من شهر ربيع الأول ، وأصيب معه تيف وأربعون ألف دينار ، وألزم كاتب له نصراني مالاً ، ثم ضرب هذا الكاتب في شهر ربيع الآخر بباب العامة ألف سوط ، فمات.

* * *

وفيها غالب شركب الجمال على مزو وناحيتها ، وأنهابها^(٢).

وفيها انصرف يعقوب بن الليث عن بلخ ، فأقام بقُهِستان ، وولى عماله هرآة وبُوشنج وباذغيش ، وانصرف إلى سجستان.

وفيها فارق عبد الله السجزي يعقوب بن الليث مخالفًا له ، وحاصر نيسابور ، فوجّه محمد بن طاهر إليه الرّسل والفقهاء ، فاختلفوا بينهما ، ثم واه الطّبسين وقُهِستان.

* * *

[ذكر خبر دخول المهلبي ويحيى بن خلف سوق الأهواز]^(٣)

ولست خلؤن من رجب منها ، دخل المهلبي ويحيى بن خلف التهريطي سوق

(١) انظر البداية والنهاية (٨/٢٣٥).

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) انظر المستظم (١٢/١٥٢) فقد ذكر أصل الخبر فقط.

الأهواز ، فقتلوا بها خلقاً كثيراً وقتلوا صاحب المعونة بها .

* ذكر الخبر عن سبب هذه الواقعة وكيف كان هلاك صاحب الحرب من قبل السلطان فيها :

ذكر : أنَّ قائد الزنوج خفيَّ عليه أمرُ الحريق الذي كان في عسكر أبي أحمد بالبازارِ، فلم يعلم خبرُه إلا بعد ثلاثة أيام ، ورد به عليه رجالٌ من أهل عبادان ، فأخبراه فعاد للعيث ، وانقطعت عنه الميرة ، فأنهض عليَّ بن أبان المهلبيّ ، وضمَّ إليه أكثر الجيش ، وسار معه سليمان بن جامع ، وقد ضمَّ إليه الجيش الذي كان مع يحيى بن محمد البحرياني وسليمان بن موسى الشعرايَّ ، وقد ضمَّت إليه الخيل وسائر الناس مع عليَّ بن أبان المهلبي والمتولي للأهواز يومئذ رجلٌ يقال له أصعجون ، ومعه نيزك في جماعة من القواد ، فسار إليهم عليَّ بن أبان في جمعه من الزنوج ، ونذر به أصعجون ، فنهض نحوه في أصحابه ، فالتقى العسكران بصحراء تُعرف بـدستماران ، فكانت الدبرة يومئذ على أصعجون ، فقتل نيزك في جموع كثير من أصحابه ، وغرق أصعجون ، وأسر الحسن بن هرثمة المعروف بالشار يومئذ ، والحسن بن جعفر المعروف براوشار .

قال محمد بن الحسن : فحدثني الحسن بن الشار ، قال : خرجنا يومئذ مع أصعجون للقاء الرَّنْج ؛ فلم يثبت أصحابنا ، وانهزموا ، وقتل نيزك ، وقد أصعجون فلما رأيت ذلك نزلت عن فرس محدوف كان تحتي ، وقدرتُ أن أتناول بذنب جنَيَّة كانت معي ، وأقحمها النهر ، فأنجو بها ، فسبقي إلى ذلك غلامي ، فنجا وتركني ، فأتيت موسى بن جعفر لأتخلص معه ، فركب سفينته ، ومضى فيها ، ولم يقمْ عليَّ ، وبصرت بزورق فأتيته فركبته ، فكثر الناس عليَّ وجعلوا يطلبون الركوب معي فيتعلقون بالزورق حتى غرقوه ، فانقلب ، وعلوٌ ظهره ، وذهب الناس عنِّي ، وأدركتني الرَّنْج ، فجعلوا يرمونني بالشَّاب ، فلما خفت التَّلف قلت : أمسكوا عن رميي ، وألقوا إليَّ شيئاً أتعلق به ، وأصير إليكم ، فمدوا إليَّ رمحًا ، فتناولته بيديٍّ وصرت إليهم .

وأما الحسن بن جعفر ، فإنَّ أخيه حمله على فرس ، وأعدَّه ليسفر بينه وبين أمير الجيش ، فلما وقعت الهزيمة بادر في طلب النجاة ، فعثر به فرسُه فأخذ .

فكتب عليّ بن أبان إلى الخبيث بأمر الواقعة ، وحمل إليه رؤوساً وأعلاماً كثيرة ، ووجه الحسن بن الشار والحسن بن جعفر وأحمد بن روح ، فأمر بالأسرى إلى السجن ، ودخل عليّ بن أبان الأهواز ، فأقام يعيث بها إلى أن ندب السلطان موسى بن بغا لحرب الخبيث .

* * *

[شخوص موسى بن بغا لحرب صاحب الزنج]^(١)

وفيها شخص موسى بن بغا عن سامرا لحربه ، وذلك لثلاث عشر بقيت من ذي القعدة ، وشيّعه المعتمد إلى خلف الحائطين ، وخلع عليه هناك .

وفيها وافي عبد الرحمن بن مفلح الأهواز وإسحاق بن كندةاج البصرة وإبراهيم بن سيمما باذارود لحرب قائد الزنج من قبل موسى بن بغا .

* ذكر الخبر عما كان من أمر هؤلاء في التواحي التي ضمت إليهم مع أصحاب قائد الزنج في هذه السنة :

ذكر أن ابن مُفلح لما وافي الأهواز ، أقام بقنة أربُك عشرة أيام ، ثم مضى إلى المهلبي ، فوادعه ، فهزمه المهلبي ، وانصرف ، واستعد ثم عاد لمحاربته ، فأوقع به وقعة غليظة ، وقتل من الزنج قتلاً ذريعاً ، وأسر أسرى كثيرة ، وانهزم عليّ بن أبان ، وأفلت ومن معه من الزنج ، حتى وافوا بياناً ، فأراد الخبيث ردّهم ، فلم يرجعوا للذعر الذي خالط قلوبهم ، فلما رأى ذلك أذن لهم في دخول عسكره ، فدخلوا جميعاً ، فأقاموا بمدينته ، ووافي عبد الرحمن حصن المهدى ليعسكر به ، فوجه إليه الخبيث عليّ بن أبان ، فوادعه فلم يقدر عليه ، ومضى عليّ يريد الموضع المعروف بالذكر ، وإبراهيم بن سيمما يومئذ بالباذارود ، فوادعه إبراهيم ، فهُزم عليّ بن أبان ، وعاوده فهزمه أيضاً إبراهيم ، فمضى في الليل ، وأخذ معه أدلة؛ فسلكوا به الآجام والأدغال؛ حتى وافى نهر يحيى ، وانتهى خبره إلى عبد الرحمن ، فوجه إليه طاشتمر في جمع من الموالي ، فلم يصل إلى عليّ ومن معه لوعرة الموضع الذي كانوا فيه ،

وامتناعه بالقصب والحلافي ، فأضرمه عليهم ناراً ، فخرجوا منه هاربين ، فأسر منهم أسرى ، وانصرف إلى عبد الرحمن بن مفلح بالأسرى والظفر ، ومضى عليّ بن أبيان حتى وافى نسوكاً ، فأقام هناك فيمن معه من أصحابه ، وانتهى الخبر بذلك إلى عبد الرحمن بن مفلح ، فصرف وجهه نحو العمود ، فوافاه وأقام به .

وصار عليّ بن أبيان إلى نهر السدرة ، وكتب إلى الخبيث يستمدّه ويسأله التوجيه إليه بالشذاءات ، فوجه إليه ثلاثة عشرة شذاءة ، فيها جمع كثير من أصحابه فسار عليّ ومعه الشذاء حتى وافى عبد الرحمن ، وخرج إليه عبد الرحمن بمن معه ، فلم يكن بينهما قتال ، وتوافق الجيشان يومهما ذلك ؛ فلما كان الليل ، انتخب عليّ بن أبيان من أصحابه جماعة يثق بجلدهم وصبرهم ، ومضى فيهم ومعه سليمان بن موسى المعروف بالشعراني وترك سائر عسكره ، مكانه ليخفى أمره ، فصار من وراء عبد الرحمن ، ثم بيته في عسكنه ، فنان منه ومن أصحابه نيلاً ، وانحاز عبد الرحمن عنه ، وخلى عن أربع شذوات من شذواته ، فأخذها عليّ وانصرف ، ومضى عبد الرحمن لوجهه حتى وافى الدولاب فأقام به ، وأعدّ رجالاً من رجاله ، وولى عليهم طاشتمر ، وأنفذهم إلى عليّ بن أبيان ، فوافوه بنواحي بباب آزر ، فأوقعوا به وقعة ، انهزم منها إلى نهر السدرة ، وكتب طاشتمر إلى عبد الرحمن بانهزام عليّ عنه ، فأقبل عبد الرحمن بجيشه حتى وافى العمود ، فأقام به ، واستعدّ أصحابه للحرب ، وهيا شذواته ، وولى عليها طاشتمر ، فسار إلى قوهه نهر السدرة ، فواقع عليّ بن أبيان وقعة عظيمة ، انهزم منها عليّ ، وأخذ منه عشر شذوات ، ورجع عليّ إلى الخبيث مفلولاً مهزوماً ، وسار عبد الرحمن من فوره ، فعسكر ببيان ، فكان عبد الرحمن بن مفلح وإبراهيم بن سيماء يتناوبان المصير إلى عسكر الخبيث ، فيوقعان به ، ويُخيفان من فيه ، وإسحاق بن كندة يجتمع أصحابه في اليوم الذي يخاف فيه موافاة عبد الرحمن بن مفلح وإبراهيم بن سيماء مقيم بالبصرة ، قد قطع الميرة عن عسكر الخبيث ؛ فكان الخبيث يجتمع أصحابه في اليوم الذي يخاف فيه موافاة عبد الرحمن بن مفلح وإبراهيم بن سيماء حتى ينقضي الحرب ، ثم يصرف فريقاً منهم إلى ناحية البصرة ، في الواقع بهم إسحاق بن كندة ، فأقاموا في ذلك بضعة عشر شهراً إلى أن صرّف موسى بن بغا عن حرب الخبيث ، وولّها مسرور

البلخيّ ، وانتهى الخبر بذلك إلى الخبيث^(١).

* * *

وفيها غلب الحسن بن زيد على قومس ، ودخلها أصحابه.

وفيها كانت وقعة بين محمد بن الفضل بن سنان القزويني و وهسودان بن جُستَان الديلميّ ، فهُزم محمد بن الفضل وهوذان.

وفيها ولّى موسى بن بغا الصَّلَابِيَّ الرَّى حين وُثِبَ كَيْنَالْغَ على تكين ، فقتله فسار إليها.

وفيها غلب صاحب الروم على سُمِّيَاط ، ثم نزل على مَلَطِية ، وحاصر أهلها ، فحاربه أهل مَلَطِية فهزمه ، وقتل أَحْمَدُ بن محمد القابوس نصراً بالإقريطيشى بطريق البطارقة^(٢).

وفيها وُجّه من الأهواز جماعة من الزَّنج أسروا إلى سامراً ، فوثبت العامة بهم سامراً ، فقتلوا أكثرهم وسلبوهم.

* * *

[ذكر الخبر عن دخول يعقوب بن الليث نيسابور]^(٣)

وفيها دخل يعقوب بن الليث نيسابور.

* ذكر الخبر عن الكائن الذي كان منه هناك :

ذكر : أن يعقوب بن الليث صار إلى هرآة ، ثم قصد نيسابور ، فلما قرب منها وأراد دخولها ، وجّه محمد بن طاهر يستأذنه في تلقّيه ، فلم يأذن له ، فبعث بعمومته وأهل بيته ، فتلقوه ، ثم دخل نيسابور لأربع خَلْوَنْ من شوال بالعشىّ ، فنزل طرفاً من أطرافها يعرف بداول دباد ، فركب إليه محمد بن طاهر ، فدخل عليه في مضربه ، فسائله ، ثم أقبل على تأنيبه وتوبيقه على تفريطه في عمله ، ثم

(١) انظر البداية وال نهاية (٨/٢٣٤).

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

انصرف وأمر عَزِيرَ بن السري بالتوكيل به ، وصرف محمد بن طاهر وولى عزيزاً نيسابور ، ثم حبس محمد بن طاهر وأهل بيته ، وورد الخبر بذلك على السلطان ، فوجّه إليه حاتم بن زيرك بن سلام ، ووردت كتب يعقوب على السلطان لعشر بقين من ذي القعدة ، فقعد - فيما ذكر - جعفر بن المعتمد وأبو أحمد بن المتكيل في إيوان الجوسم ، وحضر القواد ، وأذن لرسل يعقوب فذكر رسُلُه ما تناهَى إلى يعقوب من حال أهل خراسان ، وأن الشراة والمخالفين قد غلبوا عليها ، وضعف محمد بن طاهر ، وذكروا مكاتبة أهل خراسان يعقوب ومسئالتهم إياه قدوة عليهم واستعانتهم ، وأنه صار إليها ، فلما كان على عشرة فراسخ من نيسابور ، سار إليه أهلها ، فدفعوها إليه فدخلها ، فتكلّم أبو أحمد وعيَّد الله بن يحيى ، وقالا للرسل: إنَّ أمير المؤمنين لا يقارِب يعقوب على ما فعل ، وأنه يأمره بالانصراف إلى العمل الذي ولاه إياه ، وأنه لم يكن له إلا يفعل ذلك بغير أمره فليرجع ، فإنه إن فعل كان من الأولياء ، وإن لم يكن له إلا ما للمخالفين ، وصرف إليه رسله بذلك ووصلوا ، وخلع على كلّ واحد منهم خلعة فيها ثلاثة أثواب؛ وكانوا أحضروا رأساً على قناعة فيه رقة فيها: هذا رأس عدو الله عبد الرحمن الْخَارِجِي بهراء ، يت Helm الخلافة منذ ثلاثين سنة ، قتله يعقوب بن الليث .

* * *

وحجَّ بالناس في هذه السنة إبراهيم بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن سليمان بن عليّ بن عبد الله بن عباس المعروف بـ^(١) بُرْيَه .

* * *

ثم دخلت سنة ستين ومائتين

ذكر الخبر بما كان فيها من الأحداث

فمما كان فيها من ذلك قتلُ رجلٍ من أكراد مساور الشاري محمد بن هارون بن المعمر ، وجده في زورق ي يريد سامراً ، فقتله وحمل رأسه إلى مساور ، فطلبت

(١) انظر المتنظم (١٤٢/١٥٢).

خبر الواقعة بين يعقوب بن الليث والحسن بن زيد الطائي

ربيعة بدمه في جمادى الآخرة ، فندب مسror البلخيّ وجماعة من القواد إلىأخذ الطريق على مساور .

وفيها قُتل قائد الزنج عليّ بن زيد العلوّي صاحب الكوفة^(١) .

* * *

[خبر الواقعة بين يعقوب بن الليث والحسن بن زيد الطائي]

وفيها واقع يعقوب بن الليث الحسن بن زيد الطالبيّ ، فهزمه ودخل طبرستان .

* ذكر الخبر عن هذه الواقعة وعن سبب مصير يعقوب إلى طبرستان :
أخبرني جماعة من أهل الخبرة بيعقوب : أن عبد الله السجزي كان يتنافس الرياسة بسجستان ، فقهره يعقوب ، فتخلص منه عبد الله ، فلحق بمحمد بن طاهر بنисابور ، فلما صار يعقوب إلى نيسابور وهرب عبد الله ، فلحق بالحسن بن زيد ، فشخص يعقوب في أثره بعد ما كان من أمره وأمر محمد بن طاهر ما قد ذكرت قبل ، فمر في طريقه إلى طبرستان بأسفرائيم ونواحيها ، وبها رجل كنت أعرفه يطلب الحديث ، يقال له : بديل الكشّي ، يظهر التطوع والأمر بالمعروف ، وقد استجاب له عامة أهل تلك الناحية ، فلما نزلها يعقوب راسلَه ، وأخبره أنه مثله في التطوع وأنه معه ، فلم يزل يرافق به حتى صار إليه بديل ، فلما تمكن منه قيده ، ومضى به معه إلى طبرستان ، فلما صار إلى قرب سارية لقيه الحسن بن زيد .

فقليل لي : إن يعقوب بعث إلى الحسن بن زيد يسأله أن يبعث إليه بعد الله السجزي حتى ينصرف عنه ؛ فإنه إنما قصد طبرستان من أجله لا لحربه ، فأبى الحسن بن زيد تسليمَه إليه ، فآذنه يعقوب بالحرب ، فالنتي عسکراهما فلم تكن

(١) لعل خطأ مطبعياً قد وقع فلفظ الخبر هنا بصيغة المبني للمجهول (قتل قائد الزنج عليّ بن زيد) .

والصواب (وفيها قُتل قائد الزنج صاحب الكوفة عليّ بن زيد الصاوي) وانظر المتنظم والبداية والنهاية (٨/٢٣٥) .

إلا كَلَّا ولا ، حتى هزم الحسن بن زيد ، ومضى نحو الشَّرْزِ وأرض الديلم ، ودخل يعقوب سارية ، ثم تقدم منها إلى آمُل ، فجبي أهلها خراج سنة ، ثم شخص من آمُل نحو الشَّرْزِ في طلب الحسن بن زيد حتى صار إلى بعض جبال طَبَرِستان ، فأدركته فيه الأمطار ، وتتابعت عليه - فيما ذكر لي - نحوًا من أربعين يوماً ، فلم يتخلص من موضعه ذلك إلا بمشقة شديدة ، وكان - فيما قيل لي - قد صعد جبلاً ، لِمَا رام النزول عنه لم يمكنه ذلك إلا محمولاً على ظهور الرجال ، وهلك عامة ما كان معه من الظهر .

ثم رام الدخول خلف الحسن بن زيد إلى الشَّرْزِ؛ فحدثني بعض أهل تلك الناحية: أنه انتهى إلى الطريق الذي أراد سلوكه إليه ، فوقف عليه ، وأمر أصحابه بالوقوف ، ثم تقدم أمامهم يتأمل الطريق ، ثم رجع إلى أصحابه ، فأمرهم بالانصراف ، وقال لهم: إن لم يكن إليه طريق غير هذا فلا طريق إليه .

فأخبرني الذي ذكر لي ذلك: أن نساء أهل تلك الناحية قلن لرجالهن: دعوه يدخل هذا الطريق؛ فإنه إن دخل كفيناكم أمره ، وعلينا أخذُه وأسره لكم ، فلما انصرف راجعاً ، وشخص عن حدود طَبَرِستان ، عرض رجاله ، فقد منهم - فيما قيل لي - أربعين ألفاً ، وانصرف عنها ، وقد ذهب معظم ما كان معه من الخيل والإبل والأثقال .

وذكر: أنه كتب إلى السلطان كتاباً يذكر فيه مسيره إلى الحسن بن زيد ، وأنه سار من جُرجان ، إلى طَمِيس ، فافتتحها ، ثم سار إلى سارية وقد أخرب الحسن بن زيد القناطر ، ورفع المعابر ، وعور الطريق ، وعسكر الحسن بن زيد على باب سارية متحصيناً بأودية عظام ، وقد ماله خُرشاد بن جيلاو ، صاحب الدَّيْلِم ، فزحف باقتدار فيمن جمع إليه من الطبرية والديالمة والخراسانية والقُمية والجليلية والشامية والجزيرية ، فهزمه وقتل عدّة لم يبلغها بعهدي عدّة ، وأسرت سبعين من الطالبيين؛ وذلك في رجب ، وسار الحسن بن زيد إلى الشَّرْزِ ومعه الديلم .

* * *

وفي هذه السنة اشتتد الغلاء في عامة بلاد الإسلام ، فانجلى - فيما ذكر - عن

مكة من شدة الغلاء مَنْ كان بها مجاوراً إلى المدينة وغيرها من البلدان ، ورحل عنها العامل الذي كان بها مقيناً وهو بُريه ، وارتفع السعر ببغداد ، فبلغ الگر الشعير عشرين ومئة دينار ، والحنطة خمسين ومئة ، ودام ذلك شهوراً^(١).

وفيها قتلت الأعراب منجور والي حمص ، فاستعمل عليها بُكتمر.

وفيها صار يعقوب بن الليث حين انصرف عن طبرستان إلى ناحية الريّ ، وكان السبب في مصيره إليها - فيما ذكر لي - مصير عبد الله السجزي إلى الصلابي مستجيراً به من يعقوب ، لما هزم يعقوب الحسن بن زيد ، فلما صار يعقوب إلى خوار الريّ كتب إلى الصلابي يخriء بين تسليم عبد الله السجزي إليه حتى ينصرف عنه ، ويرتحل عن عمله ، وبين أن يأذن بحربه ، فاختار الصلابي - فيما قيل لي - تسليم عبد الله ، فسلمه إليه ، فقتله يعقوب ، وانصرف عن عمل الصلابي .

* * *

[ذكر خبر مقتل العلاء بن أحمد الأزدي]

وفيها قتل العلاء بن أحمد الأزدي .

* ذكر الخبر عن سبب مقتله :

ذكر: أن العلاء بن أحمد فُليج وتعطل ، فكتب السلطان إلى أبي الرِّدِيني عمر بن عليّ بن مُرّ بولية أذربيجان ، وكانت قبل إلى العلاء ، فصار أبو الرِّدِيني إليها ليسلامها من العلاء ، فخرج العلاء في قبة في شهر رمضان لحرب أبي الرِّدِيني ، ومع أبي الرِّدِيني جماعة من الشّرّاة وغيرهم ، فقتل العلاء .

فذكر أنه وجّه عدة من الرجال في حمل ما خلف العلاء ، فحمل من قلعته ما بلغت قيمته ألفين وسبعمائة ألف درهم .

* * *

وفيها أخذت الروم لؤلؤة من المسلمين .

(١) انظر المستنظم (١٤/١٥٦).

وحجّ بالناس فيها إبراهيم بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن سليمان بن علي المعروف ببُرئَةٍ^(١).

ثم دخلت سنة إحدى وستين ومئتين ذكر الخبر بما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من انصراف الحسن بن زيد من أرض الذيلم إلى طبرستان وإحراقه شالوس لما كان من مماليتهم يعقوب وإقطاعه ضياعهم الديلمية^(٢).

ومن ذلك ما كان من أمر السلطان عبيد الله بن عبد الله بن طاهر بجمع من كان بيغداد من حاج خراسان والري وطبرستان وجرجان ، فجمعهم في صفر منهم ، ثم قرئ عليهم كتاب يعلمون فيه أنّ السلطان لم يولّ يعقوب بن الليث خراسان ، ويأمرهم بالبراءة منه لإنكاره دخوله خراسان وأسره محمد بن طاهر.

* * *

وفي هذه السنة تُوفِي عبد الله بن الواثق في عسكر الصفار يعقوب . وفيها قُتل مساور الشاري يحيى بن حفص الذي كان يلي خراسان بكَرْخ جُدَان في جمادى الآخرة ، فشخص مسرور البختي في طلبه ، ثم تبعه أبو أحمد بن المتوكل ، وتتحَّى مساور فلم يلحق^(٣).

وفي جمادى الأولى منها هلك أبو هاشم داود بن القاسم الجعفري .

* * *

[ذكر خبر وقعة كانت برامهرمز في هذا العام]^(٤)

وفيها كانت بين محمد بن واصل وعبد الله بن مُفلح وطاشتر وقعة

(١) انظر المتنظم (١٢/١٥٦).

(٢) انظر البداية والنهاية (٨/٢٣٥).

(٣) المصدر السابق .

(٤) المصدر السابق .

برامهرمز ، فقتل ابنُ واصل طاشتمر ، وأسر ابن مُفلح.

* ذكر الخبر عن هذه الواقعة والسبب فيها :

كان السبب في ذلك - فيما ذكر لي - أنَّ ابن واصل قتل الحارث بن سيماء وهو عامل السلطان بفارس وتغلَّب عليها ، فضُمِّت إلى موسى بن بُغا فارس والأهواز والبصرة والبحرين واليمامنة ؛ مع ما كان إليه من عمل المشرق ؛ فوجَّه موسى بن بغا عبد الرحمن بن مُفلح إلى الأهواز ، وولَّه إياها وفارس ، وضمَّ إليه طاشتمر ، فاتصل بابن واصل ذلك من فعل موسى ، وأنَّ ابن مُفلح قد توجَّه إلى فارس يريده ، وكان قبلُ مقيماً بالأهواز على حرب الخارجي بناحية البصرة ، فزحف إليه ابنُ واصل ، فالتحقيا برامهرمز ، وانضمَّ أبو داود الصعلوك إلى ابن واصل معيناً له على ابن مُفلح ، فظفر ابن واصل بابن مُفلح ، فأسره وقتل طاشتمر ، واصطلم عسكراً ابن مُفلح ، ثمَّ لم يزل ابن مُفلح في يده حتى قتله ، فلم يجبه إلى ذلك ابنُ واصل ، ولما فرغ ابنُ واصل من ابن مُفلح أقبل مظهراً: أنه يريد واسطاً لحرب موسى بن بغا حتى انتهى إلى الأهواز ، وبها إبراهيم بن سيماء في جمع كثير ، فلما رأى موسى بن بغا شدةَ الأمر وكثرةَ المتغلَّبين على نواحي المشرق ، وأنَّه لا قوام له بهم ، سأله أن يُعْفَى من أعمال المشرق ، فأعْفِيَ منها ، وضمَّ ذلك إلى أبي أحمد ، وولَّه أبو أحمد بن المتكَّل ، فانصرف موسى بن بغا من واسط إلى باب السلطان مع عُماله عن أعمال المشرق .

* * *

وفيها ولَّي أبو الساج الأهواز وحرب قائد الزَّنج ، فصار إليها أبو الساج بعد شخص عبد الرحمن بن مُفلح إلى ناحية فارس^(١) .

وفيها كانت بين عبد الرحمن صهر أبي الساج وعليّ بن أبان المهلبي وقعة بناحية الدواب ، قُتِلَ فيها عبد الرحمن ، وانحاز أبو الساج إلى عسكر مكرَّم ، ودخل الزَّنج الأهواز ، فقتلوا أهلهَا ، وسبُّوا وانتهبو وأحرقو دورَهَا ، ثمَّ صُرِّفَ أبو الساج عما كان إليه من عمل الأهواز وحرب الزَّنج ، وولَّي ذلك إبراهيم بن

(١) انظر البداية والنهاية (٨/٢٣٦).

سيما ، فلم يزل مقیماً في عمله ذلك حتى انصرف عنه بانصراف موسى بن بغا ، عما كان إليه من عمل المشرق .

وفيها ولّيَ محمد بن أوس البُلخِي طریقَ خراسان .

ولما ضمَّ عمل المشرق إلى أبي أحمد ولّيَ مسروراً البُلخِي الأهواز والبصرة وکُورِ دجلة واليمامه والبحرين في شعبان من هذه السنة ، وحرب قائد الزنج .

وفيها ولّيَ نصر بن أحمد بن أسد الساماني ما وراء نهر بلخ ، وذلك في شهر رمضان منها ، وكتب إليه بولايته ذلك .

وفي شوّال منها زحف يعقوب بن الليث إلى فارس ، وابنُ واصل مقيم بالأهواز ، فانصرف منها إلى فارس ، فالتقى هو ويعقوب بن الليث في ذي القعدة ، فهزمه يعقوب وفلَّ عسکره ، وبعث إلى خُرَّمة إلى قلعة ابن واصل ، فأخذ ما كان فيها ، فذُكر أنه بلغت قيمة ما أخذ يعقوب منها أربعين ألف درهم ، وأسر مرداساً خال ابن واصل .

* * *

وفيها أوقع أصحابُ يعقوب بن الليث بأهل زَمْ موسى بن مهران الكرديّ ؛ لما كان من مماليتهم محمد بن واصل ، فقتلوهم ، وانهزم موسى بن مهران .

وفيها لاثنتي عشرة مضت من شوّال منها ، جلس المعتمد في دار العامة ، فولّى ابنه جعفراً العهد ، وسماه المفوّض إلى الله ، وولاّه المغرب ، وضمَّ إليه موسى بن بغا ، وولاّه إفريقية ومصر والشام والجزيره والموصى وإرميّة وطريق خراسان ومهرجاً نقندق وحلوان ، وولى أخاه أباً أحمد العهد بعد جعفر ، وولاّه المشرق ، وضمَّ إليه مسروراً البُلخِي ، وولاّه بغداد والسودان والكوفة وطريق مكة والمدينة واليمن وكسكرون وکورِ دجلة والأهواز وفارس وأصبهان وقمَّ والكرج والدينور والريّ وزنجان وقزوين وخراسان وطبرستان وجُرجان وکرمان وسِجستان والسندي ، وعقد لكلَّ واحد منها لواءين : أسود وأبيض ، وشرط إن حدث به حدث الموت وجعفر لم يكمل للأمر ؛ أن يكون الأمر لأبي أحمد ، ثم لجعفر ، وأخذت البيعة على الناس بذلك ، وفرقَت نسخ الكتاب ، وبعث بنسخة مع الحسين بن محمد بن أبي الشوارب ، ليعلّقها في الكعبة ، فعقد جعفر

المفروض لموسى بن بغا على المغرب في شوال وبعث إليه بالعقد مع محمد المولَد^(١).

وفيها فارق محمد بن زَيْدوِيه يعقوبَ بن الليث ، فاعتزل عسکره في آلف من أصحابه ، فصار إلى أبي الساج فقيله ، وأقام معه بالأهواز ، وبعث إليه من سامراً بخلعة ، ثم سُأله ابن زيدويه السلطان توجيه الحسين بن طاهر بن عبد الله معه إلى حراسان.

وسار مسرور البلاخي مقدمة لأبي أحمد من سامراً ، لسبعين خلؤن من ذي الحجة ، وخلع عليه وعلى أربعة وثلاثين من قواده - فيما ذكر - وشيعه ولئاً العهد ، واتبعه الموفق شاكحاً من سامراً لسع بقين من ذي الحجة^(٢).

وحجَّ بالناس فيها الفضل بن إسحاق بن الحسن بن إسماعيل بن العباس بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن عباس^(٣).

ومات الحسن بن محمد بن أبي الشوارب فيها بمكّة بعد ما حجَّ^(٤).

* * *

ثم دخلت سنة اثنين وستين ومئتين

ذكر الخبر بما كان فيها من الأحداث

[ذكر خبر دخول يعقوب بن الليث راهمزم]^(٥)

فمما كان فيها من ذلك موافاة يعقوب بن الليث راهمزم في المحرّم وتوجيه السلطان إليه إسماعيل بن إسحاق وبُغراج ، وإخراج السلطان مَنْ كان محبوساً من

(١) انظر المتنظم (١٢/١٦٣).

(٢) انظر المتنظم (١٢/١٦٤).

(٣) المصدر السابق نفسه (١٢/١٩٤).

(٤) فيما يتعلّق بموت القاضي الحسن بن محمد بن أبي الشوارب أخرج ابن الجوزي عن محمد بن العباس قال: قرئ على ابن المنادي وأنا أسمع: قال دخل إلى مدينة السلام الحسن بن محمد بن أبي الشوارب قاضي القضاة للمعتمد فتوفى بمدينة السلام لثمان عشرة خلت من ذي الحجة سنة إحدى وستين [المتنظم ١٢/١٦٥].

(٥) انظر تعليقنا (٩/٥٤٤).

أسباب يعقوب بن الليث من السجن؛ لأنه لما كان من أمره ما كان في أمر محمد بن طاهر ، حبس السلطان غلامه وصيفاً ومنْ كان قِبَلَه من أسبابه ، فأطلق عنهم بعدهما وافى يعقوب رامهرمز؛ وذلك لخمس خلُونٍ من شهر ربيع الأول ، ثم قدم إسماعيل بن إسحاق من عند يعقوب ، وخرج إلى سامراً برسالة من عنده ، فجلس أبو أحمد ببغداد ، ودعا بجماعة من التجار ، وأعلمهم : أنَّ أمير المؤمنين أمر بتولية يعقوب بن الليث خراسان وطبرستان وجرجان والرَّي وفارس والشَّرطة بمدينة السلام؛ وذلك بمحضر من درهم بن نصر صاحب يعقوب .

وكان المعتمد قد صرف درهماً هذا من سامراً إلى يعقوب بجواب ما كان يعقوب أرسله ، يسأله لنفسه ، فأرسل معه إليه عمر بن سينا و Mohammad bin Turksh ، ووافى فيها رسل ابن زيدويه بغداد في شهر ربيع الأول منها برسالة من عنده ، فخلع عليه أبو أحمد ، ثم انصرف في هذه السنة الذين توجّهوا إلى يعقوب بن الليث إلى السلطان ، فأعلمهوا أنه يقول : إنه لا يرضيه ما كتب إليه دون أن يصير إلى باب السلطان ، وارتحل يعقوب من عسكر مَكْرَم فصار أبو الساج إليه ، فقبله وأكرمه ووصله .

ولما رجعت الرسل بما كان من جواب يعقوب عسكر المعتمد يوم السبت ثلاثة خلُونٍ من جمادى الآخرة بالقائم بسامراً ، واستخلف على سامراً ابنه جعفراً ، وضمَّ إليه محمداً المولد ، ثم سار منها يوم الثلاثاء لستَّ خلُونٍ من جمادى الآخرة ، ووافى بغداد يوم الأربعاء لأربع عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة ، فاشتقها حتى جازها ، وصار إلى الزعفرانية فنزلها ، وقدم أخاه أباً أحمد من الزعفرانية ، فصار يعقوب بجيشه من عسكر مَكْرَم؛ حتى صار من واسط على فرسخ ، فصادف هنالك بِثْقاً قد بشقه مسروor البلخي من دجلة لئلا يقدر على جوازه ، فقام عليه حتى سَدَّه ، وعبره؛ وذلك لست بقين من جمادى الآخرة ، وصار إلى باذين ، ثم وافى محمد بن كثير من قِبَل يعقوب عسكر مسروور البلخي ، فصار بإزائه ، فصار مسروور بعسكره إلى النعمانية ، ووافى يعقوب واسطاً ، فدخلها لستَّ بقين من جمادى الآخرة ، وارتحل المعتمد من الزغفرانية يوم الخميس لليلة بقيت من جمادى الآخرة حتى صار إلى سيببني كُوما ، فوافاه هنالك مسروور البلخي؛ وكان مسيِّرُ مسروور البلخي إليه في الجانب

الغربي من دجلة ، فعبر إلى الجانب الذي فيه العسكر ، فأقام المعتمد بسيببني كوما أياماً ، حتى اجتمع إليه عساكره ، وزحف يعقوب من واسط إلى دير العاقول ، ثم زحف من دير العاقول نحو عسكر السلطان ، فأقام المعتمد بالسيّب ، ومعه عبيد الله بن يحيى ، وأنهض أخاه أبا أحمد لحرب يعقوب ، فجعل أبو أحمد موسى بن بغا على ميمنته ، ومسروراً البلخي على ميسره ، وصار هو في خاصته ، ونخبة رجاله في القلب ، والتقوى العسكريان يوم الأحد لليلات خلؤن من رجب بموضع يقال له: اضطربد بين سبببني كوما ودير العاقول ، فشدّت ميسرة يعقوب على ميمنة أبي أحمد فهزّتها ، وقتلت منها جماعة كثيرة منهم من قوادهم إبراهيم بن سيماء التركي وطباغوا التركي ومحمد طغنا التركي والمعروف بالمبرقع المغربي وغيرهم ، ثم ثاب المنهزمون وسائر عسكر أبي أحمد ثابت ، فحملوا على يعقوب وأصحابه ، فثبتوا وحاربوا حرباً شديداً ، وقتيل من أصحاب يعقوب جماعة من أهل البأس؛ منهم الحسن الدرهمي ومحمد بن كثير وكان على مقدمة يعقوب - والمعروف بلباده - فأصابت يعقوب ثلاثة أسمهم في حلقة ويديه ، ولم تزل الحرب بين الفريقين - فيما قيل - إلى آخر وقت صلاة العصر .

ثم وافى أبا أحمد الدّيراني ومحمد بن أوس ، واجتمع جميع من في عسكر أبي أحمد ، وقد ظهر من كثير من مع يعقوب كراهة القتال معه إذ رأوا السلطان قد حضر لقتاله ، فحملوا على يعقوب ومن قد ثبت معه للقتال ، فانهزم أصحاب يعقوب ، وثبت يعقوب في خاصة أصحابه؛ حتى مضوا وفارقوا موضع الحرب .

فذكر: أنه أخذ من عسكنه من الدّواب والبغال أكثر من عشرة آلاف رأس ، ومن الدنانير والدرّاهم ما يكمل عن حمله ، ومن جرب المسك أمر عظيم ، وتخلص محمد بن طاهر بن عبد الله ، وكان مثقلًا بالحديد؛ خلصه الذي كان موكلًا به .

ثم أحضر محمد بن طاهر ، فخلع عليه على مرتبته ، وقرئ على الناس كتاب في :

ولم يزل الملعون المارق المسمى يعقوب بن الليث الصفار يتتحل الطاعة ، حتى أحدث الأحداث المنكرة؛ من مصيره إلى صاحب خراسان ، وغلبته إياه عليها ، وتقليده الصلاة والإحداث بها ، ومصيره إلى فارس مرة بعد مرة ،

واستيلائه على أموالها ، وإنقاذه إلى باب أمير المؤمنين مُظهراً المسألة في أمور أجابه أمير المؤمنين منها ما لم يكن يستحقه ، استصلاحاً له ، ودفعاً بالتي هي أحسن ؛ فولاه خراسان والرّي وفارس وقزوين وزنجان والشّرطة بمدينة السلام ، وأمر بتكتينته في كتبه ، وأقطعه الضياع التفيسة ؛ فما زاده ذلك إلا طغياناً وبغياناً ، فأمره بالرجوع فأبى ، فنهض أمير المؤمنين لدفع الملعون حين توسيط الطريق بين مدينة السلام وواسط ، وأظهر يعقوب أعلاماً على بعضها الصّلبان ، فقدم أمير المؤمنين أخاه أباً أحمد الموفق بالله ولبي عهد المسلمين في القلب ، ومعه أبو عمران موسى بن بغا في الميمنة وفي جناح الميمونة إبراهيم بن سينا ، وفي الميسرة أبو هاشم مسرور البلخي ، وفي جناح الميسرة الديراني ، فتسرب وأشياعه في المحاربة ، فحاربه حتى أثخن بالجراح ، وحتى انتزع أبو عبد الله محمد بن طاهر سالماً من أيديهم ، وولوا منهزمين مجروين مسلوبين ، وسلم الملعون كلّ ما حواه ملكه .

كتاباً مؤرخاً بيوم الثلاثاء لإحدى عشرة خلت من رجب .

ثم رجع المعتمد إلى معسكره وكتب إلى ابن واصل بتولية فارس ، وقد كان صار إليها وجمع جماعة .

ثم رجع المعتمد إلى المدائن ، ومضى أبو أحمد ومعه مسرور وساتكين وجماعة من القواد ، وقبض على ما لأبي الساج من الضياع والمنازل ، وأقطعها مسروراً البلخي ، وقدم محمد بن طاهر بن عبد الله بغداد يوم الإثنين لأربع عشرة بقيت من رجب ، وقد رُدَّ إليه العمل ، فخلع عليه في الرصافة ، فنزل دار عبد الله بن طاهر ، فلم يعزل أحداً ، ولم يولِّ وأمر له بخمسة ألف درهم .

وكانَ الْوَقْعَةُ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَ السُّلْطَانِ وَالصَّفَّارِ يَوْمَ الشَّعَانِ^(١) .

وقال محمد بن علي بن فيد الطائي يمدح أباً أحمد ويذكر أمر الصفار :

(١) هذا الخبر استغرق الصفحات (٥١٩ - ٥١٦) جاء فيه الطبرى على ذكر خروج يعقوب بن الليث ثم استعداد الخليفة بنفسه لحربه وخروجه مع قواده لذلك ثم رجوع المعتمد إلى المدائن بعد تلك المعركة وقد ذكره ابن الجوزي مختصراً (المتنظم ١٢ / ١٧٣).
وانظر البداية والنهاية (٨/ ٢٣٨).

وَصَبَا فَوْادِي لَادْكَارِ حَبَابِي
 لَزِيالِ أَرْحُلِهِم بِدَمْعِ سَاكِبِ
 مُثْلِ الْمَهَافِقِ الْبُطُونِ كَواعِبِ
 بَسَوَالِفِ وَقَوَائِمِ وَحَوَاجِبِ
 شَرُفَتْ وَأَشَرَقَ نُورُهَا بِمَنَاصِبِ
 أَكْرَمْ بِهَا مِنْ ذِرَوةِ وَمَرَاتِبِ
 حُسْنُ فَوَافَتْهُنَّ نَكْبَةُ نَاكِبِ
 سَقِيَاً وَرَعِيَاً لِلْقَضَاءِ الْجَالِبِ
 وَاغْتَرَهُ مِنْهُ بِوَعْدِ كَاذِبِ
 قَدْ عَرَّ بَيْنَ عَسَاكِرِ وَكَتَائِبِ
 يَلْقَوْنَ زَحْفًا بِاللَّوَاءِ الْغَالِبِ
 مِنْ دَارِعٍ أَوْ رَامِحٍ أَوْ نَاثِبِ
 لِمُحَمَّدِ سَيِّفِ الإِلَهِ الْقَاضِبِ
 بِاللَّهِ أَمْضَى مِنْ شَهَابِ ثَاقِبِ
 مَتَهَلَّلٌ بِالنُّورِ بَيْنَ كَوَاكِبِ
 ضَرِبَاً وَطَعْنَ مُحَارِبٍ لِمُحَارِبِ
 غَرَاءً تَسْكُبُ وَبَلَ صَوْبِ صَائِبِ
 مِنْهُ وَأَفْرَدَ صَاحِبًا عَنْ صَاحِبِ
 ثَبَّتِ الْمَقَامَ لِدَيِ الْهَيَاجِ مَوَاثِبِ
 فِي النَّاسِ يُعْرَفُ آخَرُ لَنَوَائِبِ
 جَيْشٍ لِذِي غَدْرِ خَوْؤُنِ غَاصِبِ

نَعَبَ الْغَرَابُ عَدِمْتُهُ مِنْ نَاعِبِ
 نَادِي بَيْنُهُمْ فَجَادَتْ مُقْلَتَيِ
 بَانَوا بِأَتَرَابِ أَوَانِسَ كَالَّدَمَى
 فَأُلْئِكَنَّ غَرَائِرُ تَيَمَّنِيِ
 لَوْلَيِ عَهْدِ الْمُسْلِمِينَ مَنَاسِبُ
 وَمَرَاتِبُ فِي ذِرَوةِ لَا تُرْتَقَى
 وَلَقَدْ أَتَى الصَّفَارُ فِي عُدُدِ لَهَا
 جَلَبَ الْقَضَاءِ إِلَيْهِ حَتْفًا عَاجِلًا
 أَغْوَاهُ إِبْلِيسُ اللَّعِينُ بَكَيْدِهِ
 حَتَّى إِذَا اخْتَلَفُوا وَظَنَّ بَأْنَهُ
 دَلَفَتْ إِلَيْهِ عَسَاكِرُ مَيْمَونَةُ
 فِي جَحْفَلٍ لِجِبِ تُرِي أَبْطَالُهُ
 وَبِدَا الْإِمَامُ بِرَايَةٍ مَنْصُورَةٍ
 وَوَلَيِ عَهْدِ الْمُسْلِمِينَ مَوْفُقُ
 وَكَانَهُ فِي النَّاسِ بَدْرُ طَالِعٍ
 لَمَّا التَّقَوْا بِالْمَشْرِقَيْهِ وَالْقَنَاءِ
 ثَازَ الْعَجَاجُ وَفَوْقَ ذَاكَ غَمَامَهُ
 فَلَلَّ جَمْوَعَ بَحَزْمٍ رَأَيِ ثَاقِبَ
 اللَّهِ دَرْ مُسَوْفَقَ ذِي بَهْجَةِ
 يَا فَارِسَ الْعَرَبِ الَّذِي مَا مَثَلَهُ
 مِنْ فَادِحِ الرَّزَمِنِ الْعَضُوضِ وَمَنْ لُقا

* * *

[ذكر خبر توجه رجال الزنج إلى البطيحة ودست ميسان]

وفيها وجه قائد الزنج جيوشه إلى ناحية البطيحة ودست ميسان.

* ذكر الخبر عن سبب توجيهه إياهم إليها:

ذُكر: أن سبب ذلك كان أن المعتمد لمّا صرف موسى بن بغا عن أعمال

المشرق وما كان متصلًا بها ، وضمّها إلى أخيه أبي أحمد ، وضمّ أبو أحمد عمل كُور دجلة إلى مسرون البلخيّ ، وأقبل يعقوب بن الليث مریداً أباً أحمد ، وصار إلى واسط ، خلت كُور دجلة من أسباب السلطان ، خلا المداين وما فوق ذلك ، وكان مسرون قد وجّه قبل ذلك إلى الباذاوَرْد مكان موسى بن أتماش جعلان التركيّ ، وكان بإزاء موسى بن أتماش ، من قِبَل قائد الزنج سليمان بن جامع ، وقد كان سليمان قبل أن يصرف ابن أتماش عن الباذاوَرْد قد نال من عسكره ، فلما صُرِفَ ابن أتماش وجُعل موضعه جعلان ، وجّه سليمان من قِبَلِه رجلاً من البحراتين يقال له ثعلب بن حفص ، فأوقع به ، وأخذ منه خيلاً ورجلاً ، ووجّه قائد الزنج من قِبَلِه رجلاً من أهل جبّي يقال له أحمَد بن مهديٍ في سميريات ، فيها رماة من أصحابه ، فأنفقه إلى نهر المرأة ، فجعل الجبائيّ يوقع بالقرى التي بنواحي المدار - فيما ذكر - فيعيث فيها ، ويعود إلى نهر المرأة فيقيم به .

فكتب هذا الجبائيّ ، إلى قائد الزنج يخبره بأنّ البطيحة خالية من رجال السلطان لأنصراف مسرون وعساكره عند ورود يعقوب بن الليث واسطاً ، فأمر قائد الزنج سليمان بن جامع وجماعة من قُواده بالمصير إلى الحوانيت ، وأمر رجلاً من الباهليّين يقال له عمير بن عمار ، كان عالماً بطرق البطيحة ومسالكها ، أن يسير مع الجبائيّ حتى يستقر بالحوانيت .

ذكر محمد بن الحسن : أنّ محمد بن عثمان العباداني قال : لما عزم صاحب الزنج على توجيه الجيوش إلى ناحية البطيحة ودستُميسان أمر سليمان بن جامع أن يعسكر بالمطوعة وسلامان بن موسى أن يعسكر على فوهة النهر المعروف باليهوديّ ، ففعلا ذلك ، واقاما إلى أن أتاهمما إذنه ، فنهضَا ، فكان مسیر سليمان بن موسى إلى القرية المعروفة بالقادسية ، ومسير سليمان بن جامع إلى الحوانيت والجبائيّ في سميريات أمام جيش سليمان بن جامع ، ووافي أبا التركى دجلة في ثلاثة شَذَّة ، فانحدر يريد عسكر قائد الزنج ، فمرّ بالقرية التي كانت داخلة في سُلْمِ الخبيث فناهَا ، وأحرق؛ فكتب الخبيث إلى سليمان بن موسى في منعه الرجوع ، وأخذ عليه سليمان الطريق ، فأقام شهراً يقاتل حتى تخلّص فصار إلى البطيحة .

وذكر محمد بن عثمان : أن جَبَائِشاً الخادم زعم أن أبا التركى لم يكن صار إلى

دجلة في هذا الوقت ، وأنّ المقيم كان هناك نصیر المعروف بأبي حمزة .

وذكر : أن سليمان بن جامع لما فصل متوجهاً إلى الحوانيت ، انتهى إلى موضع يعرف بنهر العتيق ، وقد كان الجبائي سار في طريق الماديان فتلقاء رميس ، فواقعه الجبائي ، فهزمه ، وأخذ منه أربعاً وعشرين سميرية ونيفاً وثلاثين صلغة ، وأفلت رميس ، فاعتتصم بأجمة لجأ إليها ، فأتاها قوم من الجوخانيين ، فأخرجوه منها فنجا ، ووافق المنهزمين من أصحاب رميس خروج سليمان من النهر العتيق ، فتلقاءهم فأوقع بهم ، ونانل منهم نيلاً ، ومضى رميس حتى لحق بالموضع المعروف بيرمساور ، وانحاز إلى سليمان جماعة من مذكوري البلالين وأجادهم في خمسين ومئة سميرية ، فاستخبرهم عما أمامه ، فقالوا : ليس بينك وبين واسط أحدٌ من عمال السلطان وولاته ، فاغتر سليمان بذلك ، وركن إليه ، فسار حتى انتهى إلى الموضع الذي يعرف بالجازرة ، فتلقاء رجل يقال له أبو معاذ القرشي ، فواقعه ، فانهزم سليمان عنه ، وقتل أبو معاذ جماعة من أصحابه ، وأسر قائداً من قواد الرَّنْج ، يقال له : رياح القندلي ، فانصرف سليمان إلى الموضع الذي كان معسراً به ، فأتاها رجالان من البلالية ، فقالا له : ليس بواسط أحد يدفع عنها غير أبي معاذ في الشَّدَّوات الخمس التي لقيك بها ، فاستعد سليمان وجمع أصحابه وكتب إلى الخليط كتاباً مع البلالية الذين كانوا استأمنوا إليه وأنقذهم إلا جمِيَّعة يسيرة في عشر سميريات ، انتخبهم للمقام معه ، واحتبس الإثنين معه اللذين أخباره عن واسط بما أخبراه به ، وصار قاصداً لنهر أبان ، فاعتراض له أبو معاذ ، في طريقه ، وثبت الحرب بينهما ، وعصفت الريح ، فاضطربت شذا أبي معاذ ، وقوى عليه سليمان وأصحابه ، فأدبر عنهم معرداً ومضى سليمان حتى انتهى إلى نهر أبان فاقتصر ، وأحرق وأنهَّ وسبى النساء والصبيان ، فانتهى الخبر بذلك إلى كلاه كانوا لأبي أحمد في ضياع من ضياعه مُقيمين بنهر سِنَداد ، فساروا إلى سليمان في جماعة ، فأوقعوا به وقعة ، قتلوا فيها جمَاً كثيراً من الرَّنْج ، وانهزم سليمان وأحمد بن مهدي ومن معهما إلى معسكرهما.

قال محمد بن الحسن : قال محمد بن عثمان : لما استقر سليمان بن جامع بالحوانيت ، ونزل بنهر يعرف بيعقوب بن النضر ، وجّه رجالاً ليعرف خبر واسط ومن فيها من أصحاب السلطان ؛ وذلك بعد خروج مسحور البلخي وأصحابه

عنها ، لورود يعقوب إليها ، فرجع إليها فأخبره بمسير يعقوب نحو السلطان ، وقد كان مسror قبل سخوصه عن واسط إلى السّيّب وجّه إلى سليمان رجلاً يقال له وصيف الرّحال في شَذَّوات؟ فوأقעה سليمان فقتله ، وأخذ منه سبع شَذَّوات ، وقتل مَنْ ظفر به ، وألقى القتلى بالحوانيت ليُدخل الرّهبة في قلوب المجازين بهم من أصحاب السلطان.

فلما ورد على سليمان خبرُ مسir مسror عن واسط ، دعا سليمان عُمير بن عمار خليفة ورجلًا من رؤساء الباهليّين يقال له أَحمد بن شريك ، فشاورهما في التّنحّي عن الموضع الذي تصل إليه الخيل والشَّذَّوات ، وأن يلتّمس موضعًا يتصل بطريق متى أراد الهرب منه إلى عسكر الخبيث سلكه ، فأشارا عليه بالمصير إلى عقر ماور ، والتحصن بطيئًا والأدغال التي فيها ، وكروه الباهليون خروج سليمان بن جامع من بين أظهرهم لغمسمهم أيديهم معه ، وما خافوا من تعقب السلطان إياهم ، فحمل سليمان بأصحابه ماضياً في نهر البرور إلى طهيشاً ، وأنفذ الجُبائِيَّ إلى النهر المعروف بالعتيق في السُّمّيريات ، وأمره بالبدار إليه بما يعرف من خبر الشذا ، ومن يأتي فيها ومن أصحاب السلطان ، وخلف جماعة من السودان لإشخاص مَنْ تختلف من أصحابه ، وسار حتى وافي عقر ماور ، فنزل القرية المعروفة بقرية مروان بالجانب الشرقي من نهر طهيشاً في جزيرة هناك.

وجمع إليه رؤساء الباهليّين وأهل الطفوف ، وكتب إلى الخبيث يعلمه ما صنع ، فكتب إليه يصوّب رأيه ، ويأمره بإنفاذ ما قبله من ميرَة ونَعْمَ وغنم ، فأنفذ ذلك إليه ، وسار مسror إلى موضع معسكر سليمان الأول ، فلم يوجد هناك كثير شيء ، ووجد القوم قد سبقوه إلى نقل ما كان في معسكرهم ، وانحدر أباً التركى إلى البطائح في طلب سليمان؛ وهو يظنّ أنه قد ترك الناحية ، وتوجه نحو مدينة الخبيث فمضى ، فلم يقف لسليمان على أثر ، وكرّ راجعاً ، فوجد سليمان قد أنفذ جيشه إلى الحوانيت ليطُرق من شدّ من عسكر مسror ، فخالف الطريق الذي خاف أن يؤديه إليهم ، ومضى في طريق آخر؛ حتى انتهى إلى مسror ، فأخبره أنه لم يعرف لسليمان خبراً.

وانصرف جيش سليمان إليه بما امتازوا ، وأقام سليمان ، فوجّه الجُبائِيَّ في السُّمّيريات للوقوف على مواضع الطعام والمِير والاختيال في حملتها. فكان

الجبائي لا ينتهي إلى ناحية فيجد فيها شيئاً من الميرة إلا أحرقه ، فسأء ذلك سليمان ، فنهاه عنه فلم ينته ، وكان يقول: إن هذه الميرة مادة لعدونا ، فليس الرأي ترك شيء منها.

فكتب سليمان إلى الخبيث يشكو ما كان من الجبائي في ذلك ، فورد كتاب الخبيث على الجبائي يأمره بالسمع والطاعة لسليمان ، والاتتمار له فيما يأمره به.

وورد على سليمان أن أغرتمنش وخشيشاً قد أقبلَا قاصدين إليه في الخيل والرجال والشدا والسميريات ، يريدان موقعته ، فجزع جرعاً شديداً ، وأنفذ الجبائي ليعرف أخبارهما ، وأخذ في الاستعداد للقائهم ، فلم يلبث أن عاد إليه الجبائي مهزوماً ، فأخبره أنهما قد وافيا بباب طنج؛ وذلك على نصف فرسخ من عسكر سليمان حيثئذ ، فأمره بالرجوع والوقوف في وجه الجيش ، وشغله عن المصير إلى العسكر إلى أن يلحق به؛ فلما أنفذ الجبائي لما وُجه له صعد سليمان سطحاً ، فأشرف منه ، فرأى الجيش مقبلاً ، فنزل مسرعاً ، فعبر نهر طهيشاً ، ومضى راجلاً ، وتبعه جمْعٌ من قواد السودان حتى وافوا بباب طنج ، فاستدبر أغرتمنش ، وتركهم حتى جدوا في المسير إلى عسکره ، وقد كان أمر الذي استخلفه على جيشه ألا يدع أحداً من السودان يظهر لأحد من أهل جيش أغرتمنش ، وأن يخفوا أشخاصهم ما قدرُوا ، ويَدُعوا القوم حتى يتغلّوا النهر إلى أن يسمعوا أصوات طبوله؛ فإذا سمعوها خرجوا عليهم ، وقصدوا أغرتمنش.

فجاء أغرتمنش بجيشه حتى لم يكن بينه وبين العسكر إلا نهر يأخذ من طهيشاً يقال له جارورة بني مروان ، فانهزم الجبائي في السميريات حتى وافى طهيشاً ، فخلف سميرياته بها ، وعاد راجلاً إلى جيش سليمان ، واشتد جزع أهلعسكر سليمان منه ، فتفرقوا أيادي سبا ، ونهضت منهم شرذمة فيها قائد من قواد السودان يقال له أبو النداء ، فتلقوهم فوقعوا عليهم ، وشغلواهم عن دخول العسكر ، وشد سليمان من وراء القوم ، وضرب الرنج بطبولهم ، وألقوا أنفسهم في الماء للعبور إليهم؛ فانهزم أصحاب أغرتمنش وشد عليهم من كان بطهيشاً من السودان ، ووضعوا السيوف فيهم ، وأقبل خشيش على أشهب كان تحته يريد الرجوع إلى عسکره ، فتلقاء السودان ، فصرعوه وأخذته سيفهم ، فقتل وحمل رأسه إلى سليمان ، وقد كان خشيش حين انتزعوا إليه ، قال لهم: أنا خشيش؛ فلا

تقتلوني ، وامضوا بي إلى صاحبكم ، فلم يسمعوا القوله وانهزم أغرتمنش ، وكان في آخر أصحابه ، ومضى حتى ألقى نفسه إلى الأرض فركب دابة ومضى ، وتبعهم الزنج حتى وصلوا إلى عسكرهم ؛ فنالوا حاجتهم منه ، وظفروا بشذوات كانت مع خُشيش ، وظفر الذين اتبعوا الجيش المولى بشذوات كانت مع أغرتمنش فيها مال ، فلما انتهى الخبر إلى أغرتمنش ، كرّ راجعاً حتى انتزعها من أيديهم ، ورجع سليمان إلى عسكنه ، وقد ظفر بأسلاب ودوابٍ ، وكتب بخبر الواقعة إلى قائد الزنج ؛ وما كان منه فيها ، وحمل إليه رأس خُشيش وخاتمه ، وأقر الشذوات التي أخذها في عسكنه فلما وافى كتاب سليمان ورأس خُشيش ، أمر فطيف به في عسكنه ، ونصب يوماً ؛ ثم حمله إلى علي بن أبي ، وهو يومئذ مقيم بنواحي الأهواز ، وأمر ببنصبه هناك ؛ وخرج سليمان والجُبائي معه وجماعة من قُواد السودان إلى ناحية الحوانيت متطرفين ، فتوافقوا هناك ثلاث عشرة شذاء مع المعروف بأبي تميم أخي المعروف بأبي عون صاحب وصيف التركي ، فأوقعوا به ، فقتل وغرق ، وظفروا من شذواته بإحدى عشرة شذاء .

قال محمد بن الحسن : هذا خبر محمد بن عثمان العباداني ؛ فأما جَبَاش ؟ فزعم : أن الشذا التي كانت مع أبي تميم كانت ثمانية ، فأفلت منهم شذاتان كانتا متآخرتين ، فمضتا بمن فيهما وأصحاب سلاحاً ونهباً ، وأتى على أكثر منْ كان في تلك الشذوات من الجيش ، ورجع سليمان إلى عسكنه ، وكتب إلى الخبيث بما كان منه منْ قتل المعروف بأبي تميم ؛ ومن كان معه ، واحتبس الشذوات في عسكنه .

* * *

وفيها كبس ابن زيدويه الطيّب ، فأنه بها .

وفيها ولّي القضاء عليّ بن محمد بن أبي الشوارب^(١) .

وفيها خرج الحسين بن طاهر بن عبد الله بن طاهر من بغداد لليل بقين منه ، فصار إلى الجبل .

(١) انظر المتنظم (١٢/١٧٤).

وفيها مات الصّلابيّ ، ووُلِيَ الرئيْس كيَغْلُغَ .

ومات صالح بن عليّ بن يعقوب بن المنصور في ربيع الآخر منها .

ووُلِيَ إسماعيل بن إسحاق قضاة الجانب الشرقيّ من بغداد ، فجمع له قضاة الجانبيّن .

وفيها قُتِلَ محمد بن عتاب بن عتاب ، وكان وليَ السَّيِّدين فصار إليها ، فقتلته الأعراب .

وللنصف من شهر رمضان صار موسى بن بغا إلى الأنبار متوجّهاً إلى الرقة .
وفيها قُتِلَ أيضاً القطان صاحب مفلح ، وكان عاملاً بالموصل على الخراج ، فانصرف منها ، فُقْتَلَ في الطريق .

وعقد فيها لكتّم عليّ بن الحسين بن داود ، كاتب أَحمدُ بن سهل اللطفيّ على طريق مكة في شهر رمضان .

وفيها وقع بين الحنّاطين والجزارين بمكة قتال قبل يوم التّروية بيوم ، حتى خاف الناس أن يبطل الحجّ ، ثم تجاوزوا إلى أن يحجّ الناس ، وقد قتل منهم سبعة عشر رجلاً^(١) .

وفيها غالب يعقوب بن الليث على فارس وهرب ابن واصل^(٢) .

* * *

[ذكر خبر الواقعة بين الزنج وأحمد بن ليثويه]

وفيها كانت وقعة بين الزنج وأحمد بن ليثويه ، فقتل منهم خلقاً كثيراً ، وأسر أبا داود الصعلوك وقد كان صار معهم^(٣) .

* ذكر الخبر عن هذه الواقعة وسبب أسر الصعلوك :

ذكر أن مسروراً البلخيّ وجه أحمد بن ليثويه إلى ناحية كور الأهواز ، فلما

(١) انظر البداية والنهاية (٨/ ٢٣٨).

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) المصدر السابق نفسه.

وصل إليها نزل السوس ، وكان الصفار قد قلد محمد بن عبيد الله بن أزاذ مزد الكردي كور الأهواز ، فكتب محمد بن عبيد الله إلى قائده الزنج يطمعه في الميل إليه ، وقد كانت العادة جرت بمقاتلة محمد إياه من أول مخرجه ، وأوهمه أنه يتولى له كور الأهواز ويداري الصفار حتى يستوي له الأمر فيها ، فأجابه الخبيث إلى ذلك على أن يكون عليّ بن أبان المتولي لها ، ويكون محمد بن عبيد الله يخلفه عليها ، فقبل محمد بن عبيد الله ذلك ، فوجّه عليّ بن أبان أخاه الخليل بن أبان ، في جمع كثير من السودان وغيرهم ، وأيدهم محمد بن عبيد الله بأبي داود الصُّعلوك ، فمضوا نحو السوس؛ فلم يصلوا إليها ، ودفعهم ابن ليثويه ومن كان معه من أصحاب السلطان عنها ، فانصرفوا مفلولين ، وقد قتل منهم مقتلة عظيمة ، وأسر منهم جماعة ، وسار أحمد بن ليثويه حتى نزل جندي سبور.

وسار عليّ بن أبان من الأهواز منجداً محمد بن عبيد الله على أحمد بن ليثويه ، فتلقاه محمد بن عبيد الله في جمْع من الأكراد والصعاليك؛ فلما قرب منه محمد بن عبيد الله سارا جميعاً ، وجعلا بينهما المسْرُقان؛ فكانا يسيران عن جانبيه؛ ووجه محمد بن عبيد الله رجلاً من أصحابه في ثلثة فارس ، فانضم إلى عليّ بن أبان ، فسار عليّ بن أبان ومحمد بن عبيد الله إلى أن وافيا عسَكْر مُكْرم ، فصار محمد بن عبيد الله إلى عليّ بن أبان وحده ، فالتقى وتحادثاً ، وانصرف محمد إلى عسَكْر ، ووجه إلى عليّ بن أبان القاسم بن عليّ ورجلاً من رؤساء الأكراد ، يقال له حازم ، وشيخاً من أصحاب الصفار يعرف بالطالباني ، وأتوا عليّاً ، فسلموا عليه ، ولم يزل محمد وعلىّ على ألفة ، إلى أن وافى عليّ قنطرة فارس ، ودخل محمد بن عبيد الله تُسْتَر ، وانتهى إلى أحمد بن ليثويه تضافر عليّ بن أبان ومحمد بن عبيد الله على قتاله ، فخرج عن جندي سبور ، وصار إلى السوس ، وكانت موافاة عليّ قنطرة فارس في يوم الجمعة ، وقد وعده محمد بن عبيد الله أن يخطب الخطيب يومئذ ، فيدعوه لقائد الزنج ، وله على منبر تُسْتَر ، فأقام عليّ متظراً ذلك ، ووجه بهبود بن عبد الوهاب لحضور الجمعة وإيتائه بالخبر؛ فلما حضرت الصلاة قام الخطيب ، فدعا للمعتمد والصفار ومحمد بن عبيد الله ، فرجع بهبود إلى عليّ بالخبر ، فنهض عليّ من ساعته ، فركب دوابه ، وأمر أصحابه بالانصراف إلى الأهواز ، وقدّمهم أمامه ، وقدّم

معهم ابن أخيه محمد بن صالح ومحمد بن يحيى الكرمانى وكاتبه وأقام حتى إذا جاوزوا كسر قنطرة كانت هناك لئلا يتبعه الخيل .

قال محمد بن الحسن : و كنت فيمن انصرف مع المتقدّمين من أصحاب عليٍ و مرّ الجيش في ليتهم تلك مسراً عين ، فانتهوا إلى عسکر مكرم في وقت طلوع الفجر ؛ وكانت داخلة في سلم الخبيث ، فنكث أصحابه ، وأوقعوا بعسکر مكرم ، و نالوا نهباً ، و وافى عليٍ بن أبان في أثر أصحابه ، فوقف على ما أحدثوا فلم يقدر على تغييره ، فمضى حتى صار إلى الأهواز ولما انتهى إلى أحمد بن ليثويه انصرافُ عليٍ ، كرّ راجعاً حتى وافى تُسْتَر ، فأوقع بـ محمد بن عبيد الله ومنْ معه ، فأفلت محمد ، و وقع في يده المعروف بأبي داود الصعلوك ، فحمله إلى باب السلطان المعتمد ، وأقام أحمد بن ليثويه بـ تُسْتَر .

قال محمد بن الحسن : فحدثني الفضل بن عديٍ الدارمي - وهو أحد منْ كان من أصحاب قائد الزنج انصم إلى محمد بن أبان أخي عليٍ بن أبان قال : لما استقرَّ أحمد بن ليثويه بـ تُسْتَر ، خرج إليه عليٍ بن أبان بجيشه ، فنزل قرية يقال لها : برنجان ، و وجّه طلائع يأتونه بأخباره ، فرجعوا إليه ، فأخبروه أنَّ ابن ليثويه ، قد أقبل نحوه ، وأنَّ أوائل خيله قد وافت قرية تعرف بالباهليين ، فزحف عليٍ بن أبان إليه ، وهو يبشر أصحابه ، و يعدُّم الظفر ، و يحكي لهم ذلك عن الخبيث ، فلما وافى الباهليين تلقاء ابن ليثويه في خيله ، وهي زهاء أربعين فارس ؛ فلم يلبشو أنَّ أتاهم مدد خيل ، فكثرت خيل أصحاب السلطان واستأمن جماعة من الأعراب الذي كانوا مع عليٍ بن أبان إلى ابن ليثويه ، و انهزم باقي خيل عليٍ بن أبان ، و ثبت جمِيّعة من الرجال ، و تفرق عنه أكثرهم ، و اشتد القتال بين الفريقين ، ترجل عليٍ بن أبان ، و باشر القتال بنفسه راجلاً ، و بين يديه غلام من أصحابه يقال له فتح ، يعرف بـ غلام أبي الحديد ، فجعل يقاتل معه ، و بصر عليٍ أبو نصر ، سلَّهُب و بدر الرومي المعروف بالشعراوي فعرفاه ، فأندر الناس به ، فانصرف هارباً حتى لجأ إلى المسْرُقَان ، فالقى بنفسه فيه ، و تلاه فتح ، فالقى نفسه معه ، فغرق فتح ، و لحق عليٍ بن أبان نصر المعروف ، بالرومي ، فتخلصه من الماء ، فالقاه في سُمَيرية و رُوميٍ علىٍ بـ سهم ، وأصيب به في ساقه ، و انصرف مفلولاً ، و قتل من أنجاد السودان وأبطالهم جماعة كثيرة .

ووحج بالناس فيها الفضل بن إسحاق بن الحسن بن العباس بن محمد^(١).

* * *

ثم دخلت سنة ثلاثة وستين ومئتين
ذكر الخبر بما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من ظفر عزيز بن السريي صاحب يعقوب بن الليث بمحمد بن
واصل وأخذه أسيراً.

وفيها كانت بين موسى دالجوبي والأعراب بناحية الأنبار وقعة ، فهزموه
وفلّوه ، فوجّه أبو أحمد ابنه أحمد في جماعة من قواده في طلب الأعراب الذين
فلّوا موسى دالجوبي .

وفيها وثبت الديرياني بابن أوس في بيته ليلاً ، وفرق جمعه ، ونهب عسکره ،
وأفلت ابن أوس ، ومضى نحو واسط .

وفيها خرج في طريق الموصل رجلٌ من الفراغنة ، فقطع الطريق ، فظُفِرَ به
فقيل .

* * *

[ذكر الواقعة بين ابن ليثويه مع أخي علي بن أبان]^(٢)

وفيها أقبل يعقوب بن الليث من فارس ، فلما صار إلى التوبندجان انصرف
أحمد بن ليثويه عن تُسْتَرَ ، وصار فيها يعقوب إلى الأهواز ، وقد كان لابن ليثويه

(١) انظر البداية والنهاية (٨/٢٣٨).

(٢) لم يُشر ابن الجوزي إلى هذا الخبر ولكن ذكره ابن كثير ضمن إشارته إلى وقائع أخرى إذ قال :

فيها جرت حروب كثيرة منتشرة في بلدان شتى فمن ذلك مقتلة عظيمة في الزنج قبّهم الله
حصرهم في بعض المواقف بعض الأمراء من جهة الخلفية فقتل الموجودين عندهم عن
آخرهم والله الحمد والمنة [البداية والنهاية ٨/٢٣٨].

قبل ارتحاله عن تُستر وقعة مع أخي علي بن أبان ، ظفر فيها بجماعة كثيرة من زنوجه .

* ذكر الخبر عن هذه الواقعة :

ذكر عن علي بن أبان : أن ابن ليثويه لما هزمه في الواقعة التي كانت بينهما في الباهليين ، فأصابه ما أصابه فيها ، ووافى الأهواز ، لم يقم بها ، ومضى إلى عسکر صاحبه قائد الزَّنج ، فعالج ما قد أصابه من الجراح حتى برأ ، ثم كرَّ راجعاً إلى الأهواز ، ووجه أخاه الخليل بن أبان وابن أخيه محمد بن صالح المعروف بأبي سهل ، في جيش كثيف إلى ابن ليثويه ؛ وهو يومئذ مقيم بعسکر مكرم ، فصارا فيمن معهما ، فلقيهما ابن ليثويه على فرسخ من عسکر مكرم ، قاصداً إليهما ، فالتقى الجمعان ، وقد كمن ابن ليثويه كميناً ، فلما استحرَّ القتال تطارد ابن ليثويه ، فطمع الزَّنج فيه ، فتبعوه حتى جاوزوا الكمين ، فخرج من ورائهم ؛ فانهزموا وتفرقوا ، وكرَّ عليهم ابن ليثويه ، فنان حاجته منهم ، ورجعوا مفلولين ، فانصرف ابن ليثويه بما أصاب من الرؤوس إلى تُستر ، ووجه علي بن أبان أنكلويه مسلحة إلى المسرُّقان إلى أحمد بن ليثويه ، فوجه إليه ثلاثة فارساً من جُلد أصحابه ، وانتهى إلى الخليل بن أبان مسيِّر أصحاب ابن ليثويه إلى المسلحة ، فكمن لهم فيمن معه ، فلما وافوه خرج إليهم ، فلم يفِّلْ منهن أحد ، وقتلوا عن آخرهم ، وحُمِلت رؤوسهم إلى علي بن أبان ، وهو بالأهواز ، فوجهها إلى الخبيث ، وحينئذ أتى الصفار الأهواز ، وهرب عنها ابن ليثويه .

* ذكر الخبر عما كان من أمر الصفار هنالك في هذه السنة :

ذكر أنَّ يعقوب بن الليث لما صار إلى جندي سابور ، نزلها وارتحل عن تلك الناحية كلَّ منْ كان بها مِنْ قبل السلطان ، ووجه إلى الأهواز رجلاً من قبله يقال له : الحصن بن العنبر ، فلما قاربها خرج عنها علي بن أبان صاحب قائد الزَّنج ، فنزل نهر السدرة ، ودخل حصن الأهواز ، فأقام بها ، وجعل أصحابه وأصحاب علي بن أبان يُغيِّر بعضهم على بعض ، فيصيِّب كلَّ فريق منهم مِنْ صاحبه ، إلى أن استعدَّ علي بن أبان ، وسار إلى الأهواز ، فأوقع بالحصن ومنْ معه وقعة غليظة ، قتل فيها من أصحاب يعقوب خلقاً كثيراً ، وأصحاب خيلاً ، وغنم غنائم كثيرة ، وهرب الحصن ومنْ معه إلى عسکر مكرم ، وأقام علي بالآهواز حتى

استباح ما كان فيها ، ثم رجع عنها إلى نهر السدرة ، وكتب إلى بهبود يأمره بالإيقاع برجل من الأكراد من أصحاب الصفار كان مقيماً بدُورق ، فأوقع به بهبود ، فقتل رجاله وأسره ، فمن عليه وأطلقه ؛ فكان عليّ بعد ذلك يتوقع مسیر يعقوب إليه فلم يَسِرْ ، وأمد الحصن بن العنبر أخيه الفضل بن العنبر ، وأمرهما بالكف عن قتال أصحاب الخبيث ، والاقتصار على المقام بالأهواز ، وكتب إلى عليّ بن أبان يسأله المهادنة ، وأن يقر أصحابه بالأهواز ، فأبى ذلك عليّ دون نقل طعام كان هناك ، فتجأف له الصفار عن نقل ذلك الطعام ، وتتجافى عليّ للصغار عن علف كان بالأهواز ، فنقل عليّ الطعام ، وترك العلف ، وتكافف الفريقان ، أصحاب عليّ وأصحاب الصفار .

* * *

وفيها توفّي مساور بن عبد الحميد الشاري^(١) :

وفيها مات عبيد الله بن يحيى بن خاقان ، سقط عن دابته في الميدان من صدمة خادم له ، يقال له : رشيق ، يوم الجمعة لعشرين خلؤن من ذي القعدة ، فسأل من منخره وأذنه دم ، فمات بعد أن سقط بثلاث ساعات ، وصلى عليه أبو أحمد بن المتكول ، ومشى في جنازته ، واستوزر من الغد الحسن بن مخلد .

ثم قدم موسى بن بغا ساماً لثلاث بقين من ذي القعدة ، فهرب الحسن بن مخلد إلى بغداد ، واستوزر مكانه سليمان بن وهب ، لست ليل خلؤن من ذي الحجة ، ثم ولّي عبيد الله بن سليمان كتبة المفوّض والموفق إلى ما كان يلي من كتبة موسى بن بغا ، ودفعت دار عبيد الله بن يحيى إلى كيغلغ^(٢) .

وفيها أخرج أخو شركب الحسين بن طاهر عن نيسابور ، وغلب عليها ، وأخذ أهلها بإعطائه ثلث أموالهم ، وصار الحسين إلى مزو ، وبها أخو خوارزم شاه يدعوه لمحمد بن طاهر^(٣) .

(١) انظر البداية والنهاية (٨/٢٣٨).

(٢) لوفاة الوزير عبيد الله بن يحيى بن خاقان وترجمته انظر سير أعلام النبلاء (٩/١٣) وتاريخ دمشق (٤٤٧/٤٤).

(٣) انظر البداية والنهاية (٨/٢٣٨).

وفي هذه السنة سلمت الصقالبة لؤلؤة إلى الطاغية^(١).

وحج بالناس فيها الفضل بن إسحاق بن الحسن بن إسماعيل^(٢).

ثم دخلت سنة أربع وستين ومئتين ذكر الخبر بما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك توجيه يعقوب الصفار جيشاً إلى الضيمرة ، فتقدّموا إليها ، وأخذوا ضيغون ، ومضي به إليه أسيراً ، فمات عنده.

ولإحدى عشرة خلت من المحرّم ، عسكر أبو أحمد ومعه موسى بن بغَا بالقائم ، وشيّعهما المعتمد ، ثم شخصا من سامراً لليلتين خلتا من صفر ، فلما صارا ببغداد ، مات بها موسى بن بغَا ، وحمل إلى سامراً ، فدفن بها^(٣).

وفيها في شهر ربيع الأول ماتت قبيحة أمّ المعتز^(٤).

وفيها صار ابن الديرياني إلى الدينور ، وتعاون ابن عياض ودلّف بن عبد العزيز بن أبي دلف عليه ، فهزمه ، وأخذا أمواله وضياعه ، ورجع إلى حلوان مفلولاً^(٥).

* * *

[خبر أسر الروم لعبد الله بن رشيد]

وفيها أسرت الروم عبد الله بن رشيد بن كاووس.

* ذكر الخبر عن سبب أسرهم إياه:

ذكر أنّ سبب ذلك كان: أنه دخل أرض الروم في أربعة آلاف من أهل التغور

(١) انظر البداية والنهاية (٨/ ٢٣٨).

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) المصدر السابق نفسه.

(٤) المصدر السابق نفسه ، والمنتظم (٢/ ١٩٦).

(٥) المصدر السابق نفسه .

الشامية ، فصار إلى حصين ، والمسكين ، فغنم المسلمون ، وقتل ، فلما رحل عن البدنون ، خرج عليه بطريق سلوقية وبطريق قديذية وبطريق قرة وكوكب وخريشة ، فأحدقوا بهم ، فنزل المسلمون فعرقوها دوابهم ، وقاتلا ، فقتلوا إلا خمسة أو ستة ، وضعوا السياط في خواص دوابهم وخرجوا ، فقتل الرّوم من قتلوا ، وأسر عبد الله بن رشيد بعد ضربات أصابته ، وحمل إلى لؤلة ، ثم حمل إلى الطاغية على البريد .

* * *

[ذكر خبر الواقعة بين محمد المولد وقائد الزنج]

وفيها ولّي محمد المولد واسطا ، فحاربه سليمان بن جامع ، وهو عامل على ما يلي تلك الناحية من قبل قائد الزنج ، فهزمه وأخرجه عن واسط فدخلها .

* ذكر الخبر عن هذه الواقعة وسببها :

ذكر : أنّ السبب في ذلك كان أنّ سليمان بن جامع الموجه كان من قبل قائد الزنج إلى ناحية الحوانيت والبطائح لما هزم جعلان التركي عامل السلطان ، وأوقع بأغرتيمش ، فقتل عسکره ، وقتل خشيشاً ، ونهب ما كان معهم كتب إلى صاحبه قائد الزنج يستأذنه في المصير إليه ، ليحدث به عهداً ، ويصلح أموراً من أمور منزله ؛ فلما أنفذ الكتاب بذلك ، أشار عليه أحمد بن مهدي الجبائي بتطرق عسکر البخاري ، وهو يومئذ مقيم بيردودا ، فقبل ذلك ، وسار إلى بردودا ، فوافى موضعاً يقال له : أكرمهر ؛ وذلك على خمسة فراسخ من عسکر تكين ، فلما وافى ذلك الموضع ، قال الجبائي لسليمان : إن الرأي أن تقيم أنت هاهنا ، وأمضى أنا في السميريات ، فأجر القوم إليك ، وأتعهم فیأتوك وقد لغبوا ، فتناول حاجتك منهم ، ففعل سليمان ذلك ، فعبي خيله ، ورجاته في موضعه ذلك ، ومضى أحمد بن مهدي في السميريات مُسحراً ، فوافى عسکر تكين ، فقاتلته ساعة ، وأعدّ تكين خيله ورجاله وتطارد الجبائي له ، وأنفذ غلاماً إلى سليمان ، يعلمه أنّ أصحاب تكين واردون عليه بخيتهم ، فلقي الرسول سليمان ، وقد أقبل يقفوا أثر الجبائي لما أبطأ عليه خبره ، فرده إلى عسکره ، ووافى رسول آخر للجبائي بمثل الخبر الأول ، فلما رجع سليمان إلى عسکره ، أنفذ ثعلب بن

حفظ البحرياني وقائداً من قواد الزنج ، يقال له ميناً في جماعة من الرّجُل فجعلهما كميناً في الصحراء مما يلي ميسرة خيل تكين ، وأمرهما إذا جاوزهم خيل تكين أن يخرجوا من ورائهم ، فلما علم الجبائي أن سليمان قد أحكم لهم خيله وأمر الكمين رفع صوته ، ليسمع أصحاب تكين ؛ يقول لأصحابه: غررتوني وأهلكتوني ، وقد كنت أمرتكم ألا تدخلوا هذا المدخل فأبitem إلا إلقاءي وأنفسكم هذا الملقي الذي لا أرانا ننجو منه ، فطمع أصحاب تكين لما سمعوا قوله ، وجدوا في طلبه ، وجعلوا ينادون: بلبل في قفص ، وسار الجبائي سيراً حثيثاً ، وأتبعوه يرشقونه بالسهام ، حتى جاوزوا موضع الكمين ، وقاربوا عسكر سليمان ، وهو كامن من وراء الجدر في خيله وأصحابه ، فزحف سليمان ، فتلقى الجيش ، وخرج الكمين من وراء الخيل ، وثنى الجبائي صدور سميرياته إلى مَنْ في النهر ، فاستحکمت الهزيمة عليهم من الوجه كلها ، وركبهم الزنج يقتلونهم ويسلبونهم ؛ حتى قطعوا نحواً من ثلاثة فراسخ.

ثم وقف سليمان وقال للجبائي: نرجع فقد غنمنا وسلمتنا ، والسلامة أفضل من كل شيء ، فقال الجبائي: كلا ؛ قد نخربنا قلوبهم ، ونفذت حيلتنا فيهم ، والرأي أن نكسبهم في ليتنا هذه ، فلعلنا أن نزيدهم عن عسكرهم ، ونفضّل جمعهم ، فأتبع سليمان رأي الجبائي ، وصار إلى عسكر تكين ، فواه في وقت المغرب ، فأوقع به ، ونهض تكين فيمن معه ، فقاتل قتالاً شديداً ، فانكشف عنه سليمان وأصحابه ، ثم وقف سليمان وعيّاً أصحابه ، فوجّه شبالاً في خيل من خيله ، وضم إليه جمعاً من الرجال إلى الصحراء ، وأمر الجبائي ، فسار في السميريات في بطن النهر ، وسار هو فيمن معه من أصحابه الخيالة والرجال ، فتقدّم أصحابه حتى وافى تكين ، فلم يقف له أحد ، وانكشفوا جميعاً وتركوا عسكرهم ، فغنموا وجد فيه ، وأحرق العسكر ، وانصرف إلى معسكره بما أصاب من الغنية ، ووافي عسكره ، فألقى كتاب الخبيث قد ورد بالإذن له في المصير إلى منزله ، فاستخلف الجبائي ، وحمل الأعلام التي أصابها من عسكر تكين والشذوذات التي أخذها من المعروف بأبي تميم ومن خُشيش ومن تكين ، وأقبل حتى ورد عسكر الخبيث ، وذلك في جمادى الأولى من سنة أربع وستين ومئتين .

* ذكر الخبر عن السبب الذي من أجله تهألاً للزنج دخول واسط ، وذكر الخبر عن الأحداث الجليلة في سنة أربع وستين ومئتين ^(١) :

ذكر : أن الجبائي يحيى بن خلف لما شخص سليمان بن جامع من معسكره بعد الوعقة التي أوقعها بتakin إلى صاحب الزنج ؛ خرج في السميريات بالعسكر الذي خلفه سليمان معه إلى ما زروان لطلب الميرة ، ومعه جماعة من السودان ، فاعتبره أصحاب جعلان ، فأخذوا سفناً كانت معه ، وهزموه ، فرجع مفلولاً حتى وافى طهياً ، ووافته كتب أهل القرية ، يخبرونه أن منجور مولى أمير المؤمنين ومحمد بن عليّ بن حبيب اليشكري لما اتصل بهما خبر غيبة سليمان بن جامع عن طهياً؛ اجتمعا وجمعوا أصحابهما ، وقصدوا القرية ، فقتلا فيها وأحرقا وانصرفا ، وجلأ من أفلت من كان فيها ، فصاروا إلى القرية المعروفة بالحجاجية ، فأقاموا بها ، فكتب الجبائي إلى سليمان بخبر ما وردت به كتب أهل القرية ، مع ما ناله من أصحاب جعلان ، فأنهض قائد الزنج سليمان إلى طهياً معجلأً ، فوافاها ، فأظهر أنه يقصد لقتال جعلان ، وعيّا جيشه ، وقدم الجبائي أمامه في السميريات ، وجعل معه خيلاً ورجلاً ، وأمره بموافقة مازروان والوقوف بإزاء عسكر جعلان ، وأن يظهر الخيل ويرعاها بحيث يراها أصحاب جعلان ، ولا يُوقع بهم ، وركب هو في جيشه أجمع إلا نفراً يسيراً خلفهم في عسكره ، ومضى في الأهواز حتى خرج على الهواريين المعروفين بالرثة والعمرة ، ثم مضى نحو محمد بن عليّ بن حبيب ، وهو يومئذ بموضع يقال له تلّفخار ، فوافاه فأوقع به وقعة غليظة ، قتل فيها قتلى كثيرة ، وأخذ خيلاً كثيرة وحاز غنائم جزيلة ، وقتل أخاً لمحمد بن عليّ ، وأفلت محمد ، ورجع سليمان ، فلما صار في صحراء بين البزاق والقرية وافتته خيلبني شيبان ، وقد كان فيمن أصحاب سليمان بتلّفخار سيد من ساداتبني شيبان ، فقتله وأسر ابنًا له صغيراً ، وأخذ حجرًا كانت تحته ، فانتهت خبره إلى عشيرته ، فعارضوا سليمان بهذه الصحراء في أربعينية فارس ، وقد كان سليمان وجّه إلى عمير بن عمار خليفته بالطفّ حين توجّه إلى ابن حبيب ، فصار إليه ، فجعله دليلاً لعلمه بتلك الطريق ، فلما رأى

(١) انظر المتنظم (١٩١٢) فقد ذكر هذه الأحداث مختصرًا جدًا.

سليمان خيلبني شيبان قدم أصحابه أجمعين إلا عمير بن عمار فإنه انفرد ، فظفرت به بنو شيبان فقتلوه ، وحملوا رأسه ، وانصرفوا .

وانتهى الخبر إلى الخبيث ، فعظم عليه قتل عمير ، وحمل سليمان إلى الخبيث ما كان أصاب من بلد محمد بن علي بن حبيب؛ وذلك في آخر رجب من هذه السنة ، فلما كان في شعبان نهض سليمان في جمْع من أصحابه؛ حتى وافى قرية حسان ، وبها يومئذ قائد من قواد السلطان يقال له: جيش ابن حمرتكين ، فأوقع به ، فأجفل عنه ، وظفر بالقرية فانتبهما ، وأحرق فيها وأخذ خيلاً ، وعاد إلى عسكره ، ثم خرج لعشر خلون من شعبان إلى الحوانية وأصعد الجبائي في السميريات إلى برساورة؛ فوجد هنالك صلاغاً فيها خيل من خيل جعلان ، كان أراد أن يوافي بها نهر أبان ، وقد كان خرج إلى ما هناك متصدراً ، فأوقع الجبائي بتلك الصلاع ، فقتل مَنْ فيها ، وأخذ الخيل - وكانت اثنى عشر فرساً - وعاد إلى طهيشا ، ثم نهض سليمان إلى تل رمانا ، لثلاث بقين من شعبان فأوقع بها ، وجلأ عنها أهلها ، وحاز ما كان فيها ، ثم رجع إلى عسكره ، ونهض لعشر ليال خلون من شهر رمضان إلى الموضع المعروف بالجازرة ، وأبا يومئذ هناك ، وجعلان بمازروان .

وقد كان سليمان كتب إلى الخبيث في التوجيه إليه بالشدا ، فوجهه إليه عشر شذوات ، مع رجل من أهل عبادان يقال له الصقر بن الحسين ، فلما وافى سليمان الصقر بالشدا أظهر أنه يريد جعلان وبادرت الأخبار إلى جعلان بأن سليمان يريد موافاته؛ فكانت همته ضبط عسكره ، فلما قرب سليمان من موضع أبي مال إليه ، فأوقع به ، وألفاه غاراً بمجيئه ، فنال حاجته ، وأصاب ست شذوات .

قال محمد بن الحسن: قال جباس: كانت الشذوات ثمانية ، وجدتها في عسكره ، وأحرق شذاتين كانوا على الشطّ ، وأصاب خيلاً وسلاحاً وأسلاماً ، وانصرف إلى عسكره ، ثم أظهر أنه يريد قصد تكين البخاري ، وأعدّ مع الجبائي وجعفر بن أحمد خال ابن الخبيث الملعون المعروف بأنكلاي سفناً ، فلما وافت السفن عسكر جعلان؟ نهض إليها ، فأوقع بها ، وحازها وأوقع سليمان من جهة البر ، فهزمه إلى الرصافة ، واسترجع سفنه ، وحاز سبعة وعشرين فرساً ومهرين من خيل جعلان وثلاثة أبغل ، وأصاب نهباً كثيراً وسلاحاً ، ورجع إلى طهيشا .

قال محمد: أنكر جبّاش أن يكون لتكين في هذا الموضع ذكر ، ولم يعرف خبر العباداني في تكين ، وزعم أن القصد لم يكن إلا إلى جعلان ، وقد كان خبره خفي على أهل عسكره حتى أرجفوا بأنه قد قتل وقتل الجبائي معه ، فجزعوا أشد الجزع ، ثم ظهر خبره وما كان منه من الإيقاع بجعلان ، فسكنوا وقرروا إلى أن وافى سليمان ، وكتب بما كان منه إلى الخبيث ، وحمل أعلاماً وسلاحاً ، ثم صار سليمان إلى الرصافة في ذي القعدة ، فأوقع بمطر بن جامع ، وهو يومئذ مقيم بها ، فغنم غنائم كثيرة ، وأحرق الرصافة ، واستباحها ، وحمل أعلاماً إلى الخبيث ، وانحدر لخمس ليالٍ خلون من ذي الحجة سنة أربع وستين ومئتين إلى مدينة الخبيث ، فأقام ليعيد هناك ويقيم في منزله ، ووافي مطر بن جامع القرية المعروفة بالحجامية ، فأوقع بها ، وأسر جماعة من أهلها . وكان القاضي بها من قبل سليمان رجلاً من أهلها يقال له: سعيد بن السيد العدوبي ، فأسر وحُمل إلى واسط هو وثعلب بن حفص وأربعة قواد كانوا معه ، فصاروا إلى الحرجلية على فرسخين ، ونصف من طهيشا ، ومضى الجبائي في الخيل والرجل لمعارضة مطر ، فوافى الناحية وقد نال مطر ما نال منها ، فانصرف عنها ، وكتب إلى سليمان بالخبر ، فوافى سليمان يوم الثلاثاء للليلتين بقيتا من ذي الحجة من هذه السنة ، ثم صرف جعلان ، ووافي أحمد بن ليثويه ، فأقام بالشديدة ، ومضى سليمان إلى موضع يقال له: نهر أبان ، فوجد هناك قائداً من قواد ابن ليثويه يقال له: طُرِنَاج ، فأوقع به وقتله .

قال محمد: قال جبّاش: المقتول بهذا الموضع بينك ، فأما طُرِنَاج فإنه قُتِل بمازروان ، ثم وافى الرصافة ، وبها يومئذ عسكر مطر بن جامع ، فأوقع به ، فاستباح عسكره ، وأخذ منه سبع شدّوات ، وأحرق شدّاتين ، وذلك في شهر ربيع الآخر سنة أربع وستين ومئتين .

قال محمد: قال جبّاش: كانت هذه الوعة بالشديدة ، والذي أخذ يومئذ سبعة شدّوات ، ثم مضى سليمان في خمس شدّوات ، ورتب فيها صناديد قواده وأصحابه ، فواقعه تكين البخاري بالشديدة ، وقد كان ابن ليثويه حينئذ صار إلى ناحية الكوفة وجنبلاء ، فظهر تكين على سليمان ، وأخذ منه الشدّوات التي كانت معه بالتها وسلاحها ، ومقاتلتها ، وقتل في هذه الوعة جلة قواد سليمان .

ثم زحف ابن ليثويه إلى الشديدة ، وضبط تلك النواحي إلى أن ولّى أبو أحمد محمداً المولّد واسطاً.

قال محمد: قال جباش: لما وافى ابن ليثويه الشديدة سار إليه سليمان ، فأقام يومين يقاتلها ، ثم تطارد له سليمان في اليوم الثالث ، وتبعه ابن ليثويه فيمضي تسريع معه ، فرجع إليه سليمان ، فألقاه في فوهة بردودا ، فتخلص بعد أن أشفى على الغرق ، وأصاب سليمان سبع عشرة دابة من دواب ابن ليثويه.

قال: وكتب سليمان إلى الخبيث يستمدّه ، فوجّه إليه الخليل بن أبان في زهاء ألف وخمسين فارس ، ومعه المذوب ، فقصد عند موافاة هذا المدد إيهام محاربة محمد المولّد ، فأوقع به فهرب المولّد ، ودخل الزنج واسطاً ، فقتل بها حلق كثير ، وانتهت وأحرقت ، وكان بها إذ ذاك كنجر البخاري ، فحامى يومه ذلك إلى وقت العصر ، ثم قُتل ، وكان الذي يقود الخيل يومئذ في عسكر سليمان بن جامع الخليل بن أبان وعبد الله المعروف بالمذوب ، وكان الجبائي في السميريات ، وكان الزنجي بن مهربان في الشَّذوات ، وكان سليمان بن جامع في قواده من السودان ورجالته منهم ، وكان سليمان بن موسى الشعراوي وأخوه في خيله ورجله مع سليمان بن جامع؛ فكان القوم جميعاً يداً واحدةً ، ثم انصرف سليمان بن جامع عن واسط ، ومضى بجميع الجيش إلى جُبُلاء ليbeth ويخرج ، وقع بينه وبين الخليل بن أبان اختلافاً ، فكتب الخليل بذلك إلى أخيه عليّ بن أبان ، فاستعن له قائد الزنج من المُقام مع سليمان ، وأذن للخليل بالرجوع إلى مدينة الخبيث مع أصحاب عليّ بن أبان وغلمانه ، وتخلف المذوب في الأعراب مع سليمان ، وأقام بمعسكره أياماً ، ثم مضى إلى نهر الأمير ، فعسكر به ، ووجّه الجبائي والمذوب إلى جُبُلاء ، فأقاما هنالك تسعين ليلة ، وسليمان معسكر بنهر الأمير.

قال محمد: قال جباش: كان سليمان معسكراً بالشديدة.

* * *

[ذكر خبر خروج سليمان بن وهب من بغداد إلى سامرا]

وفي هذه السنة خرج سليمان بن وهب من بغداد إلى سامراً ، ومعه الحسن بن وهب ، وشيعه أحمد بن الموقق ومسرور البلخي وعامة القواد؛ فلما صار بسامراً

غضب عليه المعتمد وحبسه وقيده ، وانتهت داره ودار ابنيه وهب وإبراهيم ، واستوزر الحسن بن مخلد لثلاث بقين من ذي القعدة ، فشخص الموقّى من بغداد ومعه عبيد الله بن سليمان ، فلما قرب أبو أحمد من سامراً تحول المعتمد إلى الجانب الغربيّ ، فعسّكر به ، ونزل أبو أحمد ومن معه جزيرة المؤيد ، واختلفت الرسل بينهما ، فلما كان بعد أيام خلّون من ذي الحجة ، صار المعتمد إلى حرّاقه في دجلة ، وصار إليه أخوه أبو أحمد في زلالٍ؛ فخلع على أبي أحمد وعلى مسرور البلاخيّ وكيلُغَلْغَلْ وأحمد بن موسى بن بغا ، فلما كان يوم الثلاثاء لثمان خلّون من ذي الحجة يوم التروية عَبَرَ أهْلُ عَسْكَرِ أَبِي أَحْمَدَ إِلَى عَسْكَرِ الْمُعْتَمِدِ ، وأطلق سليمان بن وهب ، ورجع المعتمد إلى الجوْسق ، وهرب الحسن بن مخلد وأحمد بن صالح بن شيرزاد ، وكتب في قبض أموالهما وأموال أسبابهما ، وحبس أحمد بن أبي الأصبع ، وهرب القواد المقيمون الذين كانوا باسمراً إلى تكريت ، وتغيّب أبو موسى بن المتوكل ، ثم ظهر ، ثم شخص القواد الذين كانوا صاروا إلى تكريت إلى المؤصل ، ووضعوا أيديهم في الجبائية .

* * *

وحجّ بالناس في هذه السنة هارون بن محمد بن إسحاق بن موسى بن عيسى الهاشمي الكوفي^(١) .

* * *

ثم دخلت سنة خمس وستين ومئتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

[ذكر الواقعة بين أحمد بن ليثويه وسليمان قائد الزنج]^(٢)

فمن ذلك ما كان من وقعة كانت بين أحمد بن ليثويه وسليمان بن جامع قائد صاحب الزنج بناحية جنبلاء.

* ذكر الخبر عن هذه الواقعة وسيبيها :

ذُكر: أن سليمان بن جامع كتب إلى صاحب الزنج ، يخبره بحال نهر يعرف

(١) انظر المنتظم (١٩١/١٢).

(٢) انظر البداية والنهاية (٨/٢٣٨).

بالزهيري ، ويسأله الإذن له في النفقة على إنفاذ كرمه إلى سواد الكوفة والبرار ، ويعلمه : أن المسافة في ذلك قريبة ، وأنه متى أنفذه تهيأ له بذلك حمل كل ما بنواحي جنبلاء وسواد الكوفة من الميرة فوجّه الخبيث بذلك رجلاً يقال له : محمد بن يزيد البصري ، وكتب إلى سليمان بإزاحة علله في المال والإقامة معه في جيشه إلى وقت فراغه ، مما وُجه له ، فمضى سليمان بجميع جيشه حتى أقام بالشريطية نحواً من شهر ، وألقى الفعلة في النهر ؛ وخلال ذلك ما كان سليمان يتطرق ما حوله من أهل خسرو سابور ؛ وكانت الميرة تتصل به من ناحية الصين وما والاها إلى أن واقعه ابن لوثيؤه عامل أبي أحمد على جنبلاء ، فقتل له أربعة عشر قائداً.

قال محمد بن الحسن : قتل سبعة وأربعين قائداً وخليقاً من الخلق لا يحصى كثرة ، واستبيح عسكره ، وأحرقت سفنه ، وكانت مقيمه في هذا النهر الذي كان مقيناً على إنفاذه ، فمضى مفلولاً حتى وافى طهيشا ، فأقام بها ، ووافي الجبائني في عقب ذلك ، ثم أصعد بالموضع المعروف ببرّتمرنا ، واستختلف على الشذوذات الاشتيام الذي يقال له الزنجي بن مهربان ، وقد كان السلطان وجّه نصيراً لتقييد شامرج ، وحمله إلى الباب ، وتقلّد ما كان يتقلّده ، فوافي نصير الزنجي بن مهربان بعد حمله شامرج مقيداً بنهر برّتمرنا ، وأخذ منه تسعة شذوذات ، واستردّ الزنجي منها ستّاً.

قال محمد بن الحسن : أنكر جباش أن يكون الزنجي بن مهربان استرداً من الشذوذات شيئاً ، وزعم أن نصيراً ذهب بالشذوذات أجمع ، وانصرف إلى طهيشا ، وبادر بالكتاب إلى سليمان ، ووافاه ، فأقام سليمان بطهيشا إلى أن اتصل به خبر إقبال الموقف .

وفيها أوقع أحمد بن طولون بسيما الطويل بأنطاكيه ، فحصره بها ، وذلك في المحرم منها ، فلم يزل ابن طولون مقيناً عليها حتى افتحها ، وقتل سهما^(١).

وفيها وثبت القاسم بن ممأه بدُلف بن عبد العزيز بن أبي دُلف بأصبهان ،

(١) انظر البداية والنهاية (٢٣٩/٨).

فقتله ، ثم وثب جماعة من أصحاب دُلف على القاسم ، فقتلوه ورأسوا عليهم أحمد بن عبد العزيز .

وفيها لحق محمد المولَّد بيعقوب بن الليث ، فصار إليه ، وذلك في المحرَّم منها ، فأمر السلطان بقبض أمواله وعقاراته^(١) .

وفيها قتلت الأعراب جعلان المعروف بالعيارِيَّة ، وكان خرج لبذرقة قافلة ، فقتلوه؛ وذلك في جمادى الأولى؛ فوجَّه السلطان في طلب الذين قتلوا جماعةً من الموالي ، فهرب الأعراب ، وبلغ الذين شخصوا في طلبهِم عين التَّمَر ، ثم رجعوا إلى بغداد ، وقد مات منهم من البرد جماعة؛ وذلك لأنَّ البرد اشتَدَّ في ذلك الأيام ودام أيامًا ، وسقط الثلج ببغداد .

وفيها أمر أبو أحمد بحبس سليمان بن وهب وابنه عبيد الله ، فحبسَا وعدة من أسبابهم في دار أبي أحمد ، وانتهت دور عدة من أسبابه ، ووكل بحفظ داري سليمان وابنه عبيد الله ، وأمر بقبض ضياعهما وأموالهما وأموال أسبابهما وضياعهم خلاً أحمد بن سليمان ، ثم صولح سليمان وابنه عبيد الله على تسعين ألف دينار ، وصِيرًا في موضع يصل إليهما من أحبابنا .

وفيها عسكر موسى بن أتماش وإسحاق بن كُنْداجيق وينجور بن أرخوز والفضل بن موسى بن بغا بباب الشماسية ، ثم عبروا جسر بغداد ، فصاروا إلى السفيتين ، وتبعهم أحمد بن الموفق ، فلم يرجعوا ، ونزلوا صَرْصَرَ .

وفيها استكتب أبو أحمد صاعد بن مخلد؛ وذلك لاثنتي عشرة بقيت من جمادى الآخرة ، وخليع عليه ، فمضى صاعد إلى القواد بصرَصَرَ ، ثم بعث أبو أحمد ابنه أحمد إليه ، فناظرهم فانصرفوا معه فخلع عليهم .

وفيها خرج - فيما ذكر - خمسة من بطارقة الروم في ثلاثين ألفاً من الروم إلى أذنة ، فصاروا إلى المصلى .

وأسروا أرخوز - وكان والي الشغور - ثم عُزل ، فرابط هناك فأسر ، وأسر معه نحوُ من أربعينَةَ رجل ، وقتلوا ممَّن نفر إليهم نحوًا من ألف وأربعينَةَ رجل ،

(١) انظر البداية والنهاية (٢٣٩/٨).

وانصرفوا اليوم الرابع ، وذلك في جُمادى الأولى منها .

وفي رجب منها عسكر موسى بن أتماش وإسحاق بن كُنْداجيق وبنجبور بن أرخوز بنهر دِيَالى .

وفيها غالب أَحمد بن عبد الله الْخُجُستاني على نيسابور ، وصار الحسين بن طاهر عامل محمد بن طاهر إلى مَرْو ، فأقام بها وأخوه شرك الجمال بين الحسين والْخُجُستاني أَحمد بن عبد الله .

وفيها أُخْرِبْت طوس .

وفيها استورز إسماعيل بن بلبل .

وفيها مات يعقوب بن الليث بالأهواز وخلفه أخوه عمرو بن الليث ؛ وكتب عمره إلى السلطان بأنه سامع له ومطيع ؛ فوجّه إليه أَحمد بن أبي الأصبع في ذي القعدة منها ^(١) .

وفيها قتلت جماعة من أعراب بني أسد عليّ بن مسرور البلخي بطريق مكة قبل مصيره إلى المُغْيَثة ، وكان أبو أَحمد ولّيًّاً محمد بن مسرور البلخي طريق مكة ، فولاه أخيه عليّ بن مسرور .

وفيها بعث ملك الروم بعد الله بن رشيد بن كاووس الذي كان عامل الشغور فأُسِرَ إلى أَحمد بن طولون مع عِدَّة من أسراء المسلمين وعدّة مصاحف هدية منه له ^(٢) .

وفيها صارت جماعة من الزنج في ثلاثين سُمَيرية إلى جَبْل ، فأخذوا أربع سفن فيها طعام ، ثم انصرفوا ^(٣) .

وفيها لحق العباس بن أَحمد بن طولون مع مَنْ تبعه ببرقة ، مخالفًا لأبيه أَحمد ، وكان أبوه أَحمد استخلفه - فيما ذكر - على عمله بمصر لما توجه إلى الشام ؛ فلما انصرف أَحمد عن الشام راجعًا إلى مصر حمل العباس ما في بيت مال

(١) لوفاة يعقوب بن الليث انظر وفيات الأعيان (٦/٤٠٢) وسير أعلام النبلاء (١٢/٥٣).

(٢) انظر البداية والنهاية (٨/٢٣٩).

(٣) انظر المنتظم (١٢/١٩٧).

مصر من الأموال ، وما كان لأبيه هناك من الأثاث وغير ذلك ، ثم مضى إلى بُرقة ، فوجّه إليه أحمد جيشاً ، فظفروا به وردوه إلى أبيه أحمد ، فحبسه عنده ، وقتل لسبب ما كان منه جماعة كانوا شايعوا ابنه على ذلك.

وفيها دخل الزَّنج النَّعْمانية ، فأحرقوا سوقَها ، وأكثر منازل أهلها ، وسبوا ، وصاروا إلى حَرْجَرَايا ، ودخل أهل السواد بغداد^(١).

وفيها ولَّى أبو أحمد عمرو بن الليث خُراسان وفارس وأصبهان وسِجستان وكُرمان والسندي ، وأشهد له بذلك ، ووجه بكتابه إليه بتوليه ذلك مع أحمد بن أبي الأصبغ ، ووجه إليه مع ذلك العهد والعقد والخلع^(٢).

وفي ذي الحجة منها صار مسورو البلخي إلى النيل ، فتنحى عنها عبد الله بن ليثويه في أصحاب أخيه ، وقد أظهر الخلاف على السلطان ، فصار ومن معه إلى أحمد أباذ ، فتبعهم مسورو البلخي يريد محاربتهم ؛ فبدر عبد الله بن ليثويه ومن كان معه ، فترجلوا لمسورو وانقادوا له بالسمع والطاعة ، وعبد الله بن ليثويه نزع سيفه ومنطقته فعلقهما في ثُقْه ، يعتذر إليه ، ويحلف أنه حمل على ما فعل ، فقبل منه ، وأمر فخلع عليه وعلى عدة من القواد معه .

* * *

[ذكر خبر شخص تكين البخاري إلى الأهواز]

وفيها شخص تكين البخاري إلى الأهواز مقدمة لمسورو البلخي^(٣).

* ذكر الخبر عمما كان من أمر تكين بالأهواز حين صار إليها :

ذكر محمد بن الحسن أن تكين البخاري ولاه مسورو البلخي كور الأهواز حين ولاه أبو أحمد عليها ، فتوّجه تكين إليها ، فوافاها وقد صار إليها علي بن أبيان المهليبي ، فقصد تُسْرَر ، فأحاط بها في جمْع كثير من أصحابه الزَّنج وغيرهم ؛ فراع ذلك أهلها ، وكادوا أن يُسلموها ، فوافاها تكين في تلك الحال ، فلم يضع

(١) انظر المتنظم (١٩٧/١٢).

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) انظر البداية والنهاية (٨/٢٣٩).

عنه ثياب السَّفَرِ؛ حتى واقع علىّ بن أبَان وأصحابه؛ فكانت الدَّبَرَةُ على الزَّنْجَ، فقتلوا وهزموا وتفرقوا، وانصرف علىّ فيمن بقي معه مفلولاً مدحراً، وهذه وقعة باب كُوَدَك المشهورة.

ورجع تكين البخاري ، فنزل ثُسْتَرَ ، وانضم إليه جمُعٌ كثير من الصعاليك وغيرهم ، ورحل إليه علىّ بن أبَان في جمعٍ كثير من أصحابه ، فنزل شرقى المسْرُقَانَ ، وجعل أخاه في الجانب الغربي في جماعة من الخيل ، وجعل رجاله الزَّنْجَ معه ، وقدم جماعة من قواد الزَّنْجَ؛ منهم أنكلويه وحسين المعروف بالحمامى وجماعة غيرهما ، فأمرهم بالمقام بقنطرة فارس .

وانتهى الخبر بما ذكره علىّ بن أبَان إلى تكين ، وكان الذي نقل إليه الخبر غلاماً يقال له وصيف الرومي ، وهرب إليه من عسكر علىّ بن أبَان ، فأخبره بمقام هؤلاء القوم بقنطرة فارس ، وأعلمه تشاغلهم بشرب النبيذ وتفرق أصحابهم في جمع الطعام ، فسار إليهم تكين في الليل في جمع من أصحابه ، فأوقع بهم؛ فقتل من قواد الزَّنْجَ أنكلويه ، والحسين المعروف بالحمامى ومفرج المكنى أبا صالح وأندرون ، وانهزم الباقيون ، فلحقوا بالخليل بن أبَان ، فأعلمه ما نزل بهم؛ وسار تكين على شرقى المسْرُقَانَ حتى لقي علىّ بن أبَان في جموعه ، فلم يقف له علىّ وانهزم عنه ، وأسر غلام لعلىّ من الخيالة يعرف بجعفرويه ، ورجع علىّ والخليل في جمعهما إلى الأهواز ، ورجع تكين إلى ثُسْتَرَ ، وكتب علىّ بن أبَان إلى تكين يسأله الكفَّ عن قتل جعفرويه ، فحبسه ، وجرت بين تكين وعلىّ بن أبَان مراسلات وملاطفات ، وانتهى الخبر بها إلى مسروor ، فأنكرها ، وانتهى إلى مسروور أن تكين قد ساءت طاعته ، وركن إلى علىّ بن أبَان ومايله .

قال محمد بن الحسن: فحدّثني محمد بن دينار ، قال: حدّثني محمد بن عبد الله بن الحسن بن علىّ المأموني الباذغيسى - وكان من أصحاب تكين البخاري - قال: لما انتهى إلى مسروور الخبر باليات تكين عليه توقف حتى عرف صحة أمره ، ثم سار يريد كُور الأهواز وهو مظہر الرضا عن تكين والإحماد لأمره ، فجعل طريقه على شابرزان ، ثم سار منها حتى وافى السوس ، وتكين قد عرف ما انتهى إلى مسروور من خبره ، فهو مستوحش من ذلك ومن جماعة كانت تبعته عند مسروور من قواده ، فجرت بين مسروور وتكين رسائل حتى أمنَ تكين ،

فصار مسror إلى وادي تُسْتَر ، وبعث إلى تكين ، فعبر إليه مسلّماً ، فأمر به فأخذ سيفه ، ووَلَّ به؛ فلما رأى ذلك جيش تكين انفضوا من ساعتهم ، ففرقة منهم صارت إلى ناحية صاحب الزنج ، وفرقة صارت إلى محمد بن عبيد الله الكردي ، وانتهى الخبر إلى مسror ، فبسط الأمان لمن بقى من جيش تكين ، فلحقوا به.

قال محمد بن عبد الله بن الحسن المأموني: فكنت أحد الصائرين إلى عسكر مسror ، ودفع مسror تكين إلى إبراهيم بن جعلان ، فأقام في يده محبوساً ، حتى وافاه أجله فتوفي^(١).

وكان بعض أمر مسror وتكين الذي ذكرناه في سنة خمس وستين ، وبعضه في سنة ست وستين.

وحجّ بالناس في هذه السنة هارون بن محمد بن إسحاق بن موسى بن عيسى الهاشمي^(٢).

وفيها كانت موافاة المعروف بأبي المغيرة بن عيسى بن محمد المخزومي متغلباً بزنج معه على مكة.

* * *

ثم دخلت سنة ست وستين ومئتين ذكر الخبر بما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من تولية عمرو بن الليث عبيد الله بن عبد الله بن طاهر خلافته على الشرطة ببغداد وسامراً في صفر ، وخلع أبي أحمد عليه ، ثم مصير عبيد الله بن عبد الله إلى منزله ، فخلع عليه فيه خلعة عمرو بن الليث ، وبعث إليه عمرو بعمود من ذهب^(٢).

وفي صفر منها غالب أساتكين على الرّي ، وأخرج عنها طَلَمَجُور العامل الذي كان عليها ، ثم مضى هو وابنه أذكوتكين إلى قزوين ، وعليها أبرون أخو كيَلغَلَغَ ، فصالحاه ودخلوا قزوين ، وأخذنا محمد بن الفضل بن سنان العجلاني ، فأخذنا

(١) انظر المتنظم (١٢/١٩٧).

(٢) المصدر السابق نفسه (١٢/٢٠٧).

أمواله وضياعه ، وقتله أسانكين ، ثم رجع إلى الرّيّ ، فقاتلها أهلها فغلبهم ودخلها^(١) .

وفيها وردت سرية من سرايا الروم تلّ بسْمَى من ديار ربيعة ، فقتلت من المسلمين ، وأسرت نحواً من متئين وخمسين إنساناً ، فنفر أهلُ نصِيبين وأهل الموصل ، فرجعت الروم^(٢) .

وفيها مات أبو الساج بجندُسابور ، في شهر ربيع الآخر ، منصرفاً عن عسكر عمرو بن الليث إلى بغداد ، ومات قبله في المحرّم منها سليمان بن عبد الله بن طاهر^(٣) .

وولى عمرو بن الليث فيها أحمـد بن عبد العزيـز بن أبي دلف أصبهـان .
وولـى فيها محمدـ بن أبي الساجـ الحـرمـيـنـ وطـرـيقـ مـكـةـ .

وفيها ولـيـ أغـرـتـمـشـ ماـ كـانـ تـكـيـنـ الـبـخـارـيـ يـلـيـهـ منـ عـمـالـ الـأـهـواـزـ ، فـسـارـ أغـرـتـمـشـ إـلـيـهـ ، وـدـخـلـهـ فـيـ شـهـرـ رـمـضـانـ ، فـذـكـرـ مـحـمـدـ بـنـ الـحـسـنـ أـنـ مـسـرـوـرـاـ وـجـهـ أـغـرـتـمـشـ ، وـأـبـاـ وـمـطـرـ بـنـ جـامـعـ لـقـتـالـ عـلـيـ بـنـ أـبـانـ ، فـسـارـوـاـ حـتـىـ اـنـتـهـىـ إـلـىـ تـسـتـرـ ، فـأـقـامـوـاـ بـهـاـ ، وـاسـتـخـرـجـوـاـ مـنـ كـانـ فـيـ حـبـسـ تـكـيـنـ ، وـكـانـ فـيـهـ جـعـفـرـوـيـهـ فـيـ جـمـاعـةـ مـنـ أـصـحـابـ قـائـدـ الرـَّنـجـ ، فـقـتـلـوـاـ جـمـيعـاـ ، وـكـانـ مـطـرـ بـنـ جـامـعـ الـمـتـولـيـ قـتـلـهـمـ ، ثـمـ سـارـوـاـ حـتـىـ وـافـواـ عـسـكـرـ مـكـرـمـ ، وـرـحـلـ إـلـيـهـمـ عـلـيـ بـنـ أـبـانـ ، وـقـدـمـ أـمـامـهـ إـلـيـهـمـ الـخـلـيلـ أـخـاهـ ، فـصـارـ إـلـيـهـمـ الـخـلـيلـ ، فـوـاقـفـهـمـ وـتـلـاهـ عـلـيـ ، فـلـمـاـ كـثـرـ عـلـيـهـمـ جـمـعـ الرـَّنـجـ ، قـطـعـوـاـ جـسـرـ وـتـحـاجـزـوـاـ ، وـجـنـهـمـ الـلـيلـ ، فـانـصـرـفـ عـلـيـ بـنـ أـبـانـ فـيـ جـمـيعـ أـصـحـابـهـ ، فـصـارـ إـلـىـ الـأـهـواـزـ ، وـأـقـامـ الـخـلـيلـ فـيـمـنـ مـعـهـ بـالـمـسـرـقـانـ ، وـأـتـاهـ الـخـبـرـ بـأـنـ أـغـرـتـمـشـ ، وـأـبـاـ وـمـطـرـ بـنـ جـامـعـ قـدـ أـقـبـلـوـاـ نـحـوهـ ، وـنـزـلـوـاـ الـجـانـبـ الـشـرـقـيـ مـنـ قـنـطرـةـ أـرـبـكـ لـيـعـبـرـوـاـ إـلـيـهـ ، فـكـتـبـ الـخـلـيلـ بـذـلـكـ إـلـىـ أـخـيـهـ عـلـيـ بـنـ أـبـانـ ، فـرـحـلـ عـلـيـ إـلـيـهـمـ حـتـىـ وـفـاهـمـ بـالـقـنـطرـةـ ، وـوـجـهـ إـلـىـ الـخـلـيلـ يـأـمـرـهـ بـالـمـصـيـرـ إـلـيـهـ ، فـوـافـاهـ وـارـتـاعـ مـنـ كـانـ بـالـأـهـواـزـ مـنـ أـصـحـابـ عـلـيـ ، فـقـلـعـواـ

(١) انظر البداية والنهاية (٨ / ٢٤٠).

(٢) انظر المتظم (١٢ / ٢٠٧).

(٣) المصدر السابق نفسه.

عسكره ، ومصوّا إلى نهر السّدّرة ، ونشبت الحرب بين عليّ بن أبّان وقواد السلطان هناك ؛ وكان ذلك يومهم ، ثم تراجزوا.

وانصرف عليّ بن أبّان إلى الأهواز ، فلم يجد بها أحداً ، ووجد أصحابه أجمعين قد لحقوا بنهر السّدّرة ، فوجّه إليهم مَنْ يرَدُّهم ، فعسر ذلك عليه فتبعهم ، فأقام بنهر السّدّرة ورجع قواد السلطان حتى نزلوا عسّكر مكرم ؛ وأخذ عليّ بن أبّان في الاستعداد لقتالهم ، وأرسل إلى بهبود بن عبد الوهاب ، فأتاه فيمن معه من أصحابه ، وبلغ أغرتمش وأصحابه ما أجمع عليه من المسير إليهم علىّ ، فساروا نحوه ، وقد جعل عليّ بن أبّان أخاه على مقدّمته ، وضمّ إليه بهبود وأحمد بن الزّرنجي ، فالتحقى الفريقان بالدولاب ، فأمر عليّ الخليل بن أبّان أن يجعل بهبود كميّاً ، فجعله وسار الخليل حتى لقي القوم ، ونشب القتال بينهم ، فكان أول نهار ذلك اليوم لأصحاب السلطان ، ثم جالوا جولة وخرج عليهم الكمين ، وأكبّ الزّنج إكبابة ، فهزّ موهم ، وأسر مطر بن جامع ، صُرِعَ عن فرس كان تحته ، فأخذه بهبود فأتى به عليّاً ، وقتل سيماء المعروف بصغراج في جماعة من القواد^(١).

ولما وافى بهبود عليّاً ، بمطر ؛ سأله مطر استبقاءه ، فأبى ذلك عليّ ، وقال : لو كنت أبقيت على جعفرويه ، لأبقينا عليك ، وأمر به فأذني إليه ، فضرب عنقه بيده .

ودخل عليّ بن أبّان الأهواز ، وانصرف أغرتمش وأبّا فيمن أفلت معهما ، حتى وافيا سُتّر ، ووجّه عليّ بن أبّان بالرؤوس إلى الخبيث ، فأمر بنصبها على سور مدینته .

قال : وكان عليّ بن أبّان بعد ذلك يأتي أغرتمش ، وأصحابه ، فتكون الحرب بينهم سجالاً عليه وله ، وصرف الخبيث أكثر جنوده إلى ناحية عليّ بن أبّان ، فكثروا على أغرتمش ، فركن إلى المواجهة ، وأحبّ عليّ بن أبّان مثل ذلك ، فتهاهنا ، وجعل عليّ بن أبّان يُغَيِّر على التواحي ، فمن غاراته مصيره إلى القرية المعروفة ببيرود ، فظهر عليها ، ونان منها غنائم كثيرة ، فكتب بما كان منه من ذلك إلى الخبيث ، ووجّه بالغنائم التي أصابها وأقام .

* * *

(١) انظر البداية والنهاية (٨/٢٤٠).

وفيها فارق إسحاق بن كُنْداجيق عسكر أَحْمَدُ بْنُ مُوسَى بْنُ بَغَا؛ وذلك أنَّ أَحْمَدَ بْنَ مُوسَى بْنَ بَغَا لَمَّا شَخَصَ إِلَى الْجَزِيرَةِ وَلَيْ مُوسَى بْنَ أَتَامِشَ دِيَارَ رِبِيعَةَ، فَأَنْكَرَ ذَلِكَ إِسْحَاقَ، وَفَارَقَ عَسْكَرَهُ لِسَبِبِ ذَلِكَ، وَصَارَ إِلَى بَلَدَ، فَأَوْقَعَ بِالْأَكْرَادِ الْيَعْقُوبِيَّةِ فَهَزَّ مُهُمَّمَهُ، وَأَخْذَ أَمْوَالَهُمْ فَقَوَىَ بِذَلِكَ، ثُمَّ لَقِيَ ابْنَ مَسَاوِرَ الشَّارِيَّ فَقُتِلَهُ.

وفي شَوَّالٍ مِنْهَا قُتِلَ أَهْلُ حِمْصَ عَامَلَهُمْ عَيْسَى الْكَرْخِيَّ.

وفيها أُسْرَ لَؤْلَؤَ غَلَامَ أَحْمَدَ بْنَ طَوْلُونَ مُوسَى بْنَ أَتَامِشَ؛ وذلك أنَّ لَؤْلَؤًا كَانَ مَقِيمًا بِرَابِيَّةِ بَنِي تَمِيمَ، وَكَانَ مُوسَى بْنَ أَتَامِشَ مَقِيمًا بِرَأْسِ الْعَيْنِ، فَخَرَجَ لِيَلَّا سَكَرَانَ لِيَكِسِّهِمْ، فَكَمْنَوْهُ، فَأَخْذَوْهُ أَسِيرًا، وَبَعْثَوْهُ إِلَى الرَّقَّةِ، ثُمَّ لَقِيَ لَؤْلَؤَ أَحْمَدَ بْنَ مُوسَى وَقَوَادَهُ وَمَنْ مَعَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ فِي شَوَّالٍ، فَهَزَمَ لَؤْلَؤَ، وَقُتِلَ مِنْ أَصْحَابِهِ جَمِيعَةً كَثِيرَةً، وَرَجَعَ ابْنَ صَفْوَانَ الْعَقَبَلِيَّ، وَالْأَعْرَابُ إِلَى ثَقْلِ عَسْكَرِ أَحْمَدَ بْنَ مُوسَى لِيَنْتَهِبُوهُ، وَأَكَبَّ عَلَيْهِمْ أَصْحَابُ لَؤْلَؤَ، فَبَلَغَتْ هَزِيمَةُ الْمُنْفَلِتِ مِنْهُمْ قَرَقِيسِيَا، ثُمَّ صَارُوا إِلَى بَغْدَادَ وَسَامِرَا، فَوَافَوْهَا فِي ذِي الْقَعْدَةِ، وَهَرَبَ ابْنُ صَفْوَانَ إِلَى الْبَادِيَّةِ.

وفيها كانت بين أَحْمَدَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنَ أَبِي دُلْفِ وَبِكَتْمَرِ وَقَعَةَ، وَذَلِكَ فِي شَوَّالٍ مِنْهَا، فَهَزَمَ أَحْمَدَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ بِكَتْمَرِ فَصَارَ إِلَى بَغْدَادَ.

وفيها أَوْقَعَ الْخُجْسَتَانِيَّ بِالْحَسَنِ بْنِ زَيْدِ بِجُرْجَانِ عَلَى غِرَّةِ الْحَسَنِ، فَهَرَبَ مِنْهُ الْحَسَنُ، فَلَحَقَ بِأَمْلَ، وَغَلَبَ الْخُجْسَتَانِيَّ عَلَى جُرْجَانَ وَبَعْضِ أَطْرَافِ طَبَرِسْتَانِ؛ وَذَلِكَ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ مِنْهَا وَرَجَبَ.

وفيها دعا الْحَسَنُ بْنَ مُحَمَّدٍ بْنَ جَعْفَرٍ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنَ حَسَنٍ الْأَصْغَرِ الْعَقِيقِيِّ أَهْلَ طَبَرِسْتَانِ إِلَى الْبَيْعَةِ لَهُ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْحَسَنَ بْنَ زَيْدَ عَنْدَ شَخْوَصِهِ إِلَى جُرْجَانَ كَانَ اسْتَخْلَفَهُ بِسَارِيَّةَ فَلَمَّا كَانَ مِنْ أَمْرِ الْخُجْسَتَانِيِّ وَأَمْرِ الْحَسَنِ مَا كَانَ بِجُرْجَانَ، وَهَرَبَ الْحَسَنُ مِنْهَا، أَظْهَرَ الْعَقِيقِيَّ بِسَارِيَّةَ أَنَّ الْحَسَنَ قَدْ أُسِرَ؛ وَدَعَا مِنْ قَبْلِهِ إِلَى بَيْعَتِهِ، فَبَايَعَهُ قَوْمٌ، وَوَافَاهُ الْحَسَنُ بْنُ زَيْدٍ فَحَارِبَهُ، ثُمَّ احْتَالَ لَهُ الْحَسَنُ حَتَّى ظَفَرَ بِهِ فَقُتِلَهُ^(١).

(١) انظر البداية والنهاية (٨/٢٤٠).

وفيها نهب **الخجستانى** أموال تجار أهل جرجان ، وأضرم النار في البلد . وفيها كانت وقعة بين **الخجستانى** وعمرو بن الليث ، علا فيها الخجستانى على عمرو وهزمه ، ودخل نيسابور ، فأخرج عامل عمرو بها عنها ، وقتل جماعة مما كان يميل إلى عمرو بها .

* * *

[ذكر الخبر عن الفتنة بين الجعفرية والعلوية]

وفيها كانت فتنة بالمدينة ونواحيها بين الجعفرية والعلوية .

* ذكر الخبر عن سبب ذلك :

وكان سبب ذلك - فيما ذُكر - أنَّ القائم بأمر المدينة ووادي القرى ونواحيها كان في هذه السنة إسحاق بن محمد بن يوسف الجعفري ، فولى وادي القرى عاملًا من قبله ، فوثب أهلُ وادي القرى على عامل إسحاق بن محمد ، فقتلوه ، وقتلوا أخوين لإسحاق ، فخرج إسحاق إلى وادي القرى ، فمرض به ومات ، فقام بأمر المدينة أخوه موسى بن محمد ، فخرج عليه الحسن بن موسى بن جعفر ، فأرضاه بثمانمائة دينار ، ثم خرج عليه أبو القاسم أحمد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد ، ابن عم الحسن بن زيد صاحب طبرستان؛ فقتل موسى ، وغلب على المدينة ، وقدمها أحمد بن محمد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد ، فقضط على المدينة؛ وقد كان غلا بها السعر ، فوجَّه إلى الجار ، وضمن للتجار أموالهم ، ورفع الجباية؛ فرُخص السعر ، وسكنت المدينة ، فولى السلطان الحسيني المدينة إلى أن قدمها ابن أبي الساج .

* * *

وفيها وثبت الأعراب على كسوة الكعبة ، فانتهبوها ، وصار بعضها إلى صاحب الزنج ، وأصاب الحاج فيها شدة شديدة^(١) .

وفيها خرجت الروم إلى ديار ربيعة ، فاستنفر الناس ، فنفروا في برد ووقت لا يمكن الناس فيه دخول الدرب .

(١) انظر المتنظم (٢٠٧/١٢).

وفيها غزا سينا خليفة أحمد بن طولون على الشغور الشامية في ثلثة رجال من أهل طرسوس ، فخرج عليهم العدو في بلاد هرقلة ، وهم نحو من أربعة آلاف ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فقتل المسلمون من العدو خلقاً كثيراً ، وأصيب من المسلمين جماعة كثيرة .

وفيها كانت بين إسحاق بن كنديجيك وإسحاق بن أيوب وقعة ، هزم فيها ابن كنديجيك إسحاق بن أيوب ، فألحقه بنصيبيين ، وأخذ ما في عسكره ، وقتل من أصحابه جماعة كثيرة ، وتبعه ابن كنديجيك ، وصار إلى نصيبيين ، فدخلها ، وهرب إسحاق بن أيوب منه ، واستنجد عليه عيسى بن الشيخ وهو بأمد وأبا المغارب بن موسى بن زراره ، وهو بأذرن ، فتظاهرها على ابن كنديجيك ، وبعث السلطان إلى ابن كنديجيك بخلع ولواء على الموصل وديار ربيعة وأرمينية مع يوسف بن يعقوب ، فخلع عليه ، فبعثوا يطلبون الصلح ، وينزلون له مالاً على أن يقرّهم على أعمالهم مئتي ألف دينار .

وفيها وافى محمد بن أبي الساج مكة ، فحاربه ابن المخزومي ، فهزمه ابن أبي الساج ، واستباح ماله؛ وذلك يوم التروية من هذه السنة^(١) .

* * *

[ذكر خبر دخول أصحاب قائد الزنج رامهرمز]

وفيها دخل أصحاب قائد الزنج رامهرمز .

* ذكر الخبر عن سبب مصيرهم إليها :

قد ذكرنا قبل ما كان من أمر محمد بن عبيد الله الكردي وعليّ بن أبان صاحب الخبيث ، حين تلاقيا على صلح منها ، فذكّر أنّ عليّاً كان قد احتاجن على محمد ضيغناً في نفسه؛ لما كان في سفره ذلك؛ وكان يرصده بشرّ ، وقد عرف ذلك منه محمد بن عبيد الله ، وكان يروم النّجاة منه؛ فكاتب ابن الخبيث المعروف بأنكلاي ، وسألته مسألة الخبيث ضمّ ناحيته إليه لتزول يد عليّ منه ، وهاداه ،

(١) انظر البداية والنهاية (٨/٢٤٠).

فزاد ذلك على بن أبيه غيظاً وحَنقاً؛ فكتب إلى الخبيث يعرّفه به ، ويصْحَح عنده أنه مصْر على غدره ، ويستأذنه في الإيقاع به ، وأن يجعل التزويعة إلى ذلك مسأله حمل خراج ناحيته إليه ، فأذن له الخبيث في ذلك ، فكتب على إلى محمد بن عبيد الله في حَمْلِ المال ، فلواه به ، ودافعه عنه ، فاستعد له على ، وسار إليه ، فأوقع براهميرُز ، ومحمد بن عبيد الله يومئذ مقِيم بها ، فلم يكن لمحمد منه امتناع ، فهرب ودخل على راهميرُز فاستباحها ، ولحق محمد بن عبد الله بأقصى معاقله من أربَقَ والبيلم ، وانصرف على غانماً ، وراغ ما كان من ذلك من على محمداً ، فكتب يطلب المسألة ، فأنهى ذلك على إلى الخبيث ، فكتب إليه يأمره بقبول ذلك ، وإرهاق محمد بحمل المال ، فحمل محمد بن عبيد الله مitti ألف درهم ، فأنفذها على إلى الخبيث ، وأمسك عن محمد بن عبيد الله وعن أعماله .

* * *

[ذكر الخبر عن وقعة أكراد داربان مع صاحب الزنج]

وفيها كانت وقعة لأكراد الداربان مع زنج الخبيث ، هُزموا فيها وفُلوا .

* ذكر الخبر عن سبب ذلك :

ذكر عن محمد بن عبيد الله بن أزارْمزد أنه كتب إلى علي بن أبيه بعد حمله إليه المال الذي ذكرنا مبلغه قبل ، وكف عنده وعن أعماله ، يسأله المعونه على جماعة من الأكراد كانوا بموضع يقال له الداربان ، على أن يجعل له ولاصحابه غنائمهم ، فكتب على إلى الخبيث يسأله الإذن له في النهوض لذلك ، فكتب إليه أن وجّه الخليل بن أبيان وبهيزون بن عبد الوهاب ، وأقم أنت ، ولا تنفذ جيشك حتى تتوّق من محمد بن عبيد الله برهاين تكون في يدك منه ، تأمن بها من غدره فقد وترته ، وهو غير مأمون على الطلب بشارة .

فكاتب على محمد بن عبيد الله بما أمره به الخبيث ، وسائله الرهائن ، فأعطاه محمد بن عبد الله الأيمان والعهود ، ودافعه على الرهائن ، فدعا عليه الحِرْصُ على الغنائم التي أطمعه فيها محمد بن عبيد الله إلى أن أنفذ الجيش ، فساروا ومعهم رجال محمد بن عبيد الله؛ حتى وافوا الموضع الذي قصدوا له ، فخرج

إليهم أهلها ، ونشبت الحرب ، فظهر الزّنج في ابتداء الأمر على الأكراد ، ثم صدّقهم الأكراد ، وخذلهم أصحاب محمد بن عبيد الله ، فتصدّعوا وانهزموا مغلولين مقهورين ؛ وقد كان محمد بن عبيد الله أعدّ لهم قوماً أمرهم بمعارضتهم إذا انهزموا ، فعارضوهم وأوقعوا بهم ، ونالوا منهم أسلاباً ، وأرجلوا طائفة منهم عن دوابهم فأخذوها ، فرجعوا بأسوأ حال ، فكتب المهلي إلى الخبيث بما نال أصحابه ، فكتب إليه يعْتَفه ، ويقول: قد كنت تقدّمت إليك ألا تركن إلى محمد بن عبيد الله ، وأن تجعل الوثيقة بينك وبين الرّهائن ، فتركَتْ أمري ، واتبعَتْ هواك ، فذاك الذي أرداك ، وأردى جيشك .

وكتب الخبيث إلى محمد بن عبيد الله ، أنه لم يخف على تدبّرك على جيش عليّ بن أبيان ، ولن تعلم الجزاء على ما كان منك .

فارتاع محمد بن عبيد الله مما ورد به عليه كتاب الخبيث ، وكتب إليه بالتضّرع والخضوع ، ووجه بما كان أصحابه أصابوا من خيل أصحاب عليّ حيث عورضوا وهم منهزمون ، فقال: إني صرّت بجميع مَنْ معي إلى هؤلاء القوم الذين أوقعوا بالخليل وبهُبُود ، فتوعدتهم وأخفتهم ، حتى ارتجعت هذه الخيل منهم ، ووجهت بها ، فأظهر الخبيث غضباً ، وكتب إليه يتهده بجيش كثيف يرميه به ، فأعاد محمد الكتاب بالتضّرع والاستكانة ، فأرسل إلى بهُبُود فضمن له مالاً ، وضمن لمحمد بن يحيى الکِرمانی مثل ذلك ، ومحمد بن يحيى يومئذ الغالب على عليّ بن أبيان ، والمصرّف له برأيه ، فصار بهُبُود إلى عليّ بن أبيان ، وظاهره محمد بن يحيى الکِرمانی على أمره حتى أصلحا رأي عليّ في محمد بن عبيد الله وسلاً ما في قلبه من العيْن والحقن عليه ، ثم مضيا إلى الخبيث ، ووافق ذلك وروُدُّ كتاب محمد بن عبيد الله عليه ، فصوّبَا وصعدا حتى أظهر لهما الخبيث قبولَ قولهما ، والرجوع لمحمد بن عبيد الله إلى ما أحبّ ، وقال: لست قابلاً منه بعد هذا إلا أن يخطب لي على منابر أعماله .

فانصرف بهُبُود والکِرمانی بما فارقهما عليه الخبيث ، وكتبا به إلى محمد بن عبيد الله ، فأصدر جوابه إلى كلّ ما أراده الخبيث ، وجعل يُراوغ عن الدّعاء له على المنابر ، وأقام على بعد هذا مدة ، ثم استعدّ لمُوتُّ ، وسار إليها؛ فرامها فلم يطقها لحصانتها وكثرة مَنْ يدافع عنها من أهلها ، فرجع خائباً فاتّخذ ساليم

وآلات ليرقى بها السور ، وجمع أصحابه واستعدّ.

وقد كان مسror البَلْخِي عرف قصداً علىٰ مَثُونَث ، وهو يومئذ مقِيمٌ بِكُورِ الأهواز ، فلما عاود المسير إلَيْها ، سار إلَيْهِ مسror ، فوافاه قبيل غروب الشمس ، وهو مقِيمٌ علىٰها؛ فلما عاين أصحابَ عَلَيِّي أوائل خيل مسror ، انهزموا أَفْبَحَ هزيمة ، وتركوا جميع آلاتِهم التي كانوا حملوها ، وقتل منهم جمِعٌ كثير ، وانصرف عَلَيِّي بن أَبَان مدحوراً ، ولم يلبث بعد ذلك إلَّا يسيراً حتى تتابعت الأخبار بإقبال أبي أحمد ، ثم لم يكن لعلَّي بعد رجوعه من مَثُونَث وقعة حتى فتحت سوق الخميس وطهياً علىٰ أبي أحمد ، فانصرف بكتاب ورد عليه من الخبيث يحِفِّزه فيه حفزاً شديداً بالمصير إلى عسكره.

* * *

وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِيهَا هَارُونَ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ مُوسَى بْنِ عَيْسَى الْهَاشَمِيِّ^(١) الْكُوفِيِّ^(٢).

* * *

ثم دخلت سنة سبع وستين ومئتين ذكر الخبر بما كان فيها من الأحداث

فَمَمَا كَانَ فِيهَا مِنْ ذَلِكَ حَبْسُ السُّلْطَانِ مُحَمَّدَ بْنَ طَاهَرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ وَعَدَّةٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ بِعَقْبَهُ هَزِيمَةُ أَبِي اللَّهِ الْخُجْسْتَانِيِّ عُمَرُ بْنُ الْلَّيْثِ ، وَتَهْمَةُ عُمَرُ بْنُ الْلَّيْثِ مُحَمَّدُ بْنُ طَاهَرٍ بِمَكَاتِبِ الْخُجْسْتَانِيِّ وَالْحُسَيْنِ بْنِ طَاهَرٍ ، وَدُعَا الْحُسَيْنُ وَالْخُجْسْتَانِيُّ لِمُحَمَّدِ بْنِ طَاهَرٍ عَلَىٰ مَنَابِرِ خَرَاسَانَ.

* * *

[ذكر خبر غلبة أبي العباس بن الموفق على سليمان بن جامع]^(٢)

وَفِيهَا غَلْبَ أَبْوَ العَبَّاسِ بْنِ الْمَوْفَقَ عَلَىٰ عَامَةٍ مَا كَانَ سَلِيمَانُ بْنُ جَامِعٍ صَاحِبُ قَائِدِ الزَّنْجِ غَلْبَ عَلَيْهِ مِنْ قَرِيٍّ كُورِ دَجْلَةِ كَعْبَدِسِيٍّ وَنَحْوِهَا.

(١) انظر المتنظم (٢٠٧/١٢).

(٢) هذه بداية أخبار طويلة ومتعددة هامة تتعلق بتفاصيل هذه المعارك الشرسه انفرد بها الطبرى =

* ذكر الخبر عن سبب غلبة أبي العباس على ذلك ، وما كان من أمره وأمر الزنج في تلك الناحية :

ذكر محمد بن الحسن : أنّ محمد بن حماد حدّثه أنّ الزنج لَمَا دخلوا واسطأً وكان منهم بها ما قد ذكرناه قبلُ ، واتّصل الخبر بذلك إلى أبي أحمد بن الم وكل ندب ابنه أبو العباس للشخصوص إلى ناحية واسط لحرب الزنج ، فخفّ لذلك أبو العباس ، فلما حضر خروج أبي العباس ركب أبو أحمد إلى بستان موسى الهادي في شهر ربيع الآخر سنة ست وستين ومئتين ، فعرض أصحاب أبي العباس ، ووقف على عدّتهم ؛ فكان جميع الفرسان والرجالـة عشرة آلاف رجل في أحسن زِيـّ وأجمل هيئة وأكمل عِدـة ، ومعهم الشـذا والسمـيريات والمعابر للرجـالة ؛ كل ذلك قد أحـكمـت صـنـعـته ، فنهض أبو العباس من بستان الهادي ، وركب أبو أحمد مشـيـعاً له حتى نـزـلـ الفـرـكـ ، ثم اـنـصـرـفـ ، وأقام أبو العباس بالـفـرـكـ أيامـاً ، حتى تـكـامـلـتـ عـدـدهـ ، وتـلاـحقـ أـصـحـابـهـ ، ثم رـحـلـ إـلـىـ المـدـائـنـ ، وأـقـامـ بـهـ أـيـضاًـ ، ثم رـحـلـ إـلـىـ دـيرـ العـاقـوـلـ .

قال محمد بن حمـادـ : فـحدـثـنـيـ أـخـيـ إـسـحـاقـ بـنـ حـمـادـ وـإـبـراهـيمـ بـنـ مـحـمـدـ بـنـ إـسـمـاعـيلـ الـهـاشـمـيـ الـمـعـرـوفـ بـرـيهـ ، وـمـحـمـدـ بـنـ شـعـيبـ الـإـشـتـيـامـ ، فـيـ جـمـاعـةـ كـثـيرـةـ مـنـ صـحـبـ أـبـاـ العـبـاسـ فـيـ سـفـرـهـ - دـخـلـ حـدـيـثـ بـعـضـهـ فـيـ حـدـيـثـ بـعـضـ - قـالـوـاـ لـمـاـ نـزـلـ أـبـوـ العـبـاسـ دـيرـ الـعـاقـوـلـ ؛ وـرـدـ عـلـيـهـ كـتـابـ نـصـيرـ الـمـعـرـوفـ بـأـبـيـ حـمـزةـ صـاحـبـ الشـذاـ وـالـسـمـيرـيـاتـ ، وـقـدـ كـانـ أـمـضـاهـ عـلـىـ مـقـدـمـتـهـ ، يـعـلـمـهـ فـيـ أـنـ سـلـيـمانـ بـنـ جـامـعـ قـدـ وـافـيـ فـيـ خـيـلـ وـرـجـالـةـ وـشـذـوـاتـ وـسـمـيرـيـاتـ ، وـالـجـائـيـ يـقـدـمـهـ ، حـتـىـ نـزـلـ الـجـزـيرـةـ التـيـ بـحـضـرـةـ بـرـدـوـدـاـ ، وـأـنـ سـلـيـمانـ بـنـ مـوسـىـ الـشـعـرـانـيـ قـدـ وـافـيـ نـهـرـ أـبـانـ بـرـجـالـةـ وـفـرـسـانـ وـسـمـيرـيـاتـ ، فـرـحـلـ أـبـوـ العـبـاسـ حـتـىـ وـافـيـ

= من بين غيره من المؤرخين المتقدمين الثقات ولهذه الروايات أهمية كبيرة (٥٥٧/٩ - ٦٠٠) فالطبرى مؤرخ متقدم ثقة وقد عاصر تلك الأحداث إلا أنه لم يعايشها ولم يشارك فيها بنفسه ولكنه التقى بمن شارك فيها وإن كان شهود العيان الذين التقى بهم ليسوا من رواة الحديث الذين وثقوا ووردت أسماؤهم في كتب الثقات ولا نستطيع أن نجزم بصحة كل ما ورد فيها من عدم صحتها والله أعلم - وانظر تعليقنا في آخر هذه الأخبار ضمن أحداث سنة ٢٧٠ هـ - وانظر المنظم (١٢/٢١١).

جَرْجَرَايَا ، ثُمَّ فِمَ الصلح ، ثُمَّ رَكِبَ الظَّهَرَ ، فَسَارَ حَتَّى وَافَى الصَّلْحَ وَوَجَهَ طَلَائِعَهُ لِيعرِفَ الْخَبَرَ ، فَأَتَاهُ مِنْهُمْ مَنْ أَخْبَرَهُ بِمُوافَاتِ الْقَوْمِ وَجَمْعِهِمْ وَجِيشِهِمْ ، وَأَنَّ أَوْلَاهُمْ بِالصَّلْحِ وَآخِرَهُمْ بِبَيْسَانِ مُوسَى بْنِ بَغَةَ ، أَسْفَلَ وَاسْطَ ، فَلَمَّا عَرَفَ ذَلِكَ عَدْلَ عَنْ سُنْنِ الطَّرِيقِ ، وَاعْتَرَضَ فِي مَسِيرِهِ ، وَلَقِي أَصْحَابَهُ أَوَّلَ الْقَوْمِ ، فَتَطَارَدُوا لَهُمْ حَتَّى طَمَعُوا وَاغْتَرَرُوا ، فَأَمْعَنُوا فِي اتِّبَاعِهِمْ ، وَجَعَلُوا يَقُولُونَ لَهُمْ : اطْلُبُوا أَمِيرًا لِلْحَرْبِ ؛ فَإِنَّ أَمِيرَكُمْ قَدْ شَغَلَ نَفْسَهُ بِالصَّيْدِ ، فَلَمَّا قَرُبُوا مِنْ أَبِي العَبَّاسِ بِالصَّلْحِ خَرَجُوا عَلَيْهِمْ فِيمَنْ مَعَهُ مِنَ الْخَيْلِ وَالرَّجُلِ ، وَأَمْرَ فَصِيحَ بْنَ نُصَيْرٍ : إِلَى أَيْنَ تَأْخُرُ عَنْ هَؤُلَاءِ الْأَكْلِ ! ارْجِعُ إِلَيْهِمْ ؛ فَرَجَعُ نُصَيْرٌ إِلَيْهِمْ .

وَرَكَبَ أَبُو العَبَّاسَ سُمِيرَيَّةَ ، وَمَعَهُ مُحَمَّدَ بْنَ شَعِيبَ الْإِشْتِيَامَ ، وَحَفَّ بِهِمْ أَصْحَابَهُ ، مِنْ جَمِيعِ جَهَاتِهِمْ ، فَانْهَزَمُوا ، وَمِنْحَ اللَّهِ أَبَا العَبَّاسِ وَأَصْحَابَهُ أَكْتَافَهُمْ ؛ يَقْتَلُونَهُمْ وَيَطْرُدُونَهُمْ حَتَّى وَافُوا قَرْيَةَ عَبْدِ اللَّهِ ؛ وَهِيَ عَلَى سَتَةِ فَرَاسِخٍ مِنَ الْمَوْضِعِ الَّذِي لَقُوْهُمْ فِيهِ ، وَأَخْذُوا مِنْهُمْ خَمْسَ شَذَوَاتٍ وَعِدَّةَ سُمِيرَيَّاتٍ ، وَاسْتَأْمَنُوا مِنْهُمْ قَوْمًا وَأَسِرَّ مِنْهُمْ أَسْرَى ، وَغَرَقَ مَا أَدْرَكَ مِنْ سَفَنَهُمْ ؛ فَكَانَ ذَلِكَ أَوَّلُ الْفَتْحِ عَلَى العَبَّاسِ بْنِ أَبِي أَحْمَدَ .

وَلَمَّا انْقَضَتِ الْحَرْبُ فِي هَذَا الْيَوْمِ ، أَشَارَ عَلَى أَبِي العَبَّاسِ قَوَادِهِ وَأَوْلَيَاؤِهِ ، أَنْ يَجْعَلَ مَعْسَكَرَهُ بِالْمَوْضِعِ الَّذِي كَانَ اتَّهَى إِلَيْهِ مِنَ الصَّلْحِ ؛ إِشْفَاقًا عَلَيْهِ مِنْ مَقَارِبِ الْقَوْمِ ، فَأَبَى إِلَّا نُزُولَ وَاسْطَ .

وَلَمَّا انْهَزَمْ سَلِيمَانُ بْنُ جَامِعٍ وَمَنْ مَعَهُ ، وَضَرَبَ اللَّهُ وَجْهُهُمْ ، انْهَزَمْ سَلِيمَانُ بْنُ مُوسَى الشَّعْرَانِيَّ عَنْ نَهْرِ أَبَانِ ؛ حَتَّى وَافَى سُوقَ الْخَمِيسِ ، وَلَحَقَ سَلِيمَانُ بْنُ جَامِعٍ بِنَهْرِ الْأَمِيرِ ؛ وَقَدْ كَانَ الْقَوْمُ حِينَ لَقَوْا أَبَا العَبَّاسِ أَجَالُوا الرَّأْيَ بَيْنَهُمْ ، فَقَالُوا : هَذَا فَتَّى حَدَثٌ ؛ لَمْ تَطْلُ مَارَسْتَهُ الْحَرُوبَ وَتَدْرِبْهُ بِهَا ، فَالرَّأْيُ لَنَا أَنْ نَرْمِيَهُ بِحَدَنَّا كَلَّهُ ، وَنَجْتَهَدُ فِي أَوَّلِ لَقِيَةِ نَلْقَاهُ فِي إِزَالَتِهِ ؛ فَلَعِلَّ ذَلِكَ أَنْ يَرُوعَهُ ، فَيَكُونُ سَبِيلًا لِاِنْصَرَافِهِ عَنَا ، فَفَعَلُوا ذَلِكَ ، وَحَشِدُوا وَاجْتَهَدُوا ، فَأَفْوَعَ اللَّهُ بِهِمْ بِأَسَهَ وَنَقْمَتِهِ ، وَرَكَبَ أَبُو العَبَّاسَ مِنْ غَدِ يَوْمِ الْوَقْعَةِ ، حَتَّى دَخَلَ وَاسْطَأ فِي أَحْسَنِ زَيَّ ، وَكَانَ يَوْمُ جُمُعَةَ ، فَأَقَامَ حَتَّى صَلَى بِهَا صَلَاةُ الْجَمَعَةِ ، وَاسْتَأْمَنَ إِلَيْهِ خَلْقَ كَثِيرٍ ، ثُمَّ انْحَدَرَ إِلَى الْعُمَرِ - وَهُوَ عَلَى فَرَسِخٍ مِنْ وَاسْطَ - فَقَدِمَ فِيهِ عَسْكَرٌ ، وَقَالَ : اجْعَلْ مَعْسَكَرِي أَسْفَلَ وَاسْطَ ، لِيَأْمَنَ مَنْ فَوْقَ الزَّنْجِ ، وَقَدْ كَانَ

نصير المعروف بأبي حمزة والشاه بن ميكال أشارا عليه أن يجعل مقامه فوق واسط ، فامتنع من ذلك ، وقال لهما : لست نازلاً إلا العُمر ، فانزلأ أنا تما في فُوهه بردودا ، وأعرض أبو العباس عن مشاوره أصحابه واستماع شيء من آرائهم ؛ فنزل العُمر ، وأخذ في بناء الشَّدَّوَات ، وجعل يراوح القوم القتال ويغاديهم ؛ وقد رتب خاصة غلمانه في سُمِيريات فجعل في كل سميرية اثنين منهم ، ثم إن سليمان استعد وحشد وجمع وفرق أصحابه فجعلهم في ثلاثة أوّجه : فرقة أتت من نهر أبان ، وفرقة من برترنا ، وفرقة من بردودا ، فلقاهم أبو العباس ؛ فلم يلبثوا أن انهزموا ، فخلفت طائفة منهم بسوق الخميس وطائفة بمزاروان ، وأخذ قوم منهم في برترنا وأخرون أخذوا الماديَّان ، وقوم منهم اعتمدوا للقوم الذين سلكوا الماديَّان ؛ فلم يرجع عنهم حتى وافى نهر بَرْمساور ، ثم انصرف ، فجعل يقف على القرى والمسالك ، ومعه الأدلة ؛ حتى وافى عسکره ، فأقام به مريحاً نفسه وأصحابه ، ثم أتاه مخبرٌ فأخبره أن الزَّنْج قد جمعوا واستعدوا لكتيبة عسکره ، وأنهم على إتياه عسکره من ثلاثة أوّجه ، وأنهم قالوا : إنه حدث غيرَ يغتر بنفسه ، وأجمع رأيهم على تكمين الكُمناء والمصير إليه من الجهات الثلاث التي ذكرنا ، فحضر لذلك ، واستعد له ، وأقبلوا إليه وقد كمنوا زهاء عشرة آلاف في برترنا ونحوها من هذه العدة في قُسْ هشا ، وقدموا عشرين سميرية إلى العسک ليغتر بها أهله ، ويحيزوا المواقع التي فيها كمناؤهم ؛ فمنع أبو العباس الناس من اتباعهم ؛ فلما علموا أن كيدهم لم ينفذ ، خرج الجبائي وسليمان في الشَّدَّوَات والسميريات ، وقد كان أبو العباس أحسن تعبئة أصحابه ، فأمر نصيراً المعروف بأبي حمزة أن يبرز للقوم في شدواته ، ونزل أبو العباس عن فرسه كان ركبها ، ودعا بشذاء من شدواته قد كان سماها الغزال ، وأمر إشتيماه محمد بن شعيب باختيار الجذافين لهذه الشذاء ، وركبها واختار من خاصة أصحابه وغلمانه جماعة دفع إليهم الرِّماح ، وأمر أصحاب الخيل بالمسير بإزائه على شاطئ النهر ، وقال لهم : لا تدعوا المسير ما أمكنكم إلى أن تقطعكم الأنهر ، وأمر بتعبير بعض الدواب التي كانت ببردوذا ، ونشبت الحرب بين الفريقين ؛ فكانت معركة القتال من حد قرية الرمل إلى الرصافة ؛ فكانت الهزيمة على الزَّنْج ، وحاز أصحاب أبي العباس أربع عشرة شذاء ، وأفلت سليمان والجبائي في ذلك اليوم بعد أن أشفيا على الهلak راجلين ، وأخذت دوابهما بحلها وألتها ، ومضى الجيش

أجمع لا يثنى أحد منهم حتى وافوا طهيتا ، وأسلموا ما كان معهم من أثاث واللة ، ورجع أبو العباس ، وأقام بمعسكره في العمر ، وأمر بإصلاح ما أخذ منهم من الشّذا والسميريات وترتيب الرجال فيها ، وأقام الزّنوج بعد ذلك عشرين يوماً؛ لا يظهر منهم أحد ، وكان الجبائي يجيء في الطلائع في كل ثلاثة أيام وينصرف ، وحفر آباراً فوق نهر سِنداد ، وصَرَر فيها سفافيد حديد ، وغشاها بالبواري ، وأخفى مواضعها ، وجعلها على سَنَن مسير الخيل ليتهوّر فيها المجتازون بها؛ وكان يوافي طرف العسكر متعرضاً لأهله ، فتخرج الخيل طالبة له ، فجاء في بعض أيامه ، وطلبته الخيل كما كانت تطلبه ، فقطر فرس رجل من قواد الفراغنة في بعض تلك الآبار ، فوقف أصحاب أبي العباس بما ناله من ذلك على ما دبر الجبائي ، فحدروا ذلك ، وتنكّبوا سلوك ذلك الطريق ، وألحّ الزّنوج في مغادرة العسكر في كل يوم للحرب ، وعسكروا بنهر الأمير في جمع كثير؛ فلما لم يجد ذلك عليهم أمسكوا عن الحرب قدر شهر.

وكتب سليمان إلى صاحب الزّنوج يسأله إمداده بسميريات؛ لكلّ واحدة منهم أربعون مجداً، فوافاه من ذلك في مقدار عشرين يوماً أربعون سميرية ، في كل سميرية مقاتلان ، ومع ملاحيها السيف والرماح والتراس ، وجعل الجبائي موقفه حيال عسكر أبي العباس ، وعاودوا التعرض للحرب في كل يوم؛ فإذا خرج إليهم أصحاب أبي العباس انهزموا عنهم ، ولم يثبتوا لهم؛ وخلال ذلك ما تأتي طلائعهم ، فتقطع القناطر ، وترمي ما ظهر لها من الخيل بالتشاب ، وتضرم ما وجدت في النوبة من المراكب التي مع نصير بالنار؛ فكانوا كذلك قدر شهرين.

ثم رأى أبو العباس أن يكمن لهم كميناً في قرية الرمل ، ففعل ذلك ، وقدّم لهم سميريات أمام الجيش ليطمعوا فيها ، وأمر أبو العباس فأعيدت له سميرية ولزيـرك سميرية وحمل جماعة من غلمانه الذين اختارهم ، وعرفهم بالنجدة في السميريات ، فحمل بدرأً ومؤنساً في سميرية ، ورشيقاً الحجاجي ويُمناً في سميرية وخَفِيفاً ويسراً في سميرية ، ونذيراً ووصيفاً في سميرية؛ وأعدّ خمس عشرة سميرية ، وجعل في كل سميرية مقاتلين ، وجعلها أمام الجيش.

* * *

قال محمد بن شعيب الإشتيام: وكنتُ فيمن تقدم يومئذ ، فأخذ الزّنوج من

السميريات المتقدمة عدّة ، وأسروا أسرى ، فانطلقت مسرعةً ، فناديت بصوت عال: قد أخذ القوم سميرياتنا ، فسمع أبو العباس صوتي وهو يتغدى ، فنهض إلى سميريته التي كانت أعدّت له؛ وتقدم العسكر ، ولم ينتظر لحاق أصحابه ، فتبعه منهم من خفت ذلك.

قال: فأدركتنا الزنج ، فلما رأونا قذف الله الرعب في قلوبهم ، فألقوا أنفسهم في الماء ، وانهزموا فتخلّصنا أصحابنا ، وحوينا يومئذ إحدى وثلاثين سميرية من سميريات الزنج ، وأفلت الجبائي في ثلاث سميريات ، ورمي أبو العباس يومئذ عن قوس كانت في يده حتى دميت إبهامه؛ فانصرف؛ ولو أنا جددنا في طلب الجبائي في ذلك اليوم ظنتُ أنا أدركتاه ، فمنعنا من ذلك شدة اللغوبي ، ورجم أبو العباس وأكثر أصحابه بمواضعهم من فوهه بردوها لم يرم أحد منهم؛ فلما وافى عسکره أمر لمن كان صحبه بالأطواق والخلع والأسوره وأمر بإصلاح السميريات المأخوذة من الزنج ، وأمر أبا حمزة أن يجعل مقامه بما معه من الشدا في دجلة بحذاء خسروساپور.

ثم إنَّ أبي العباس رأى أن يتوجّل في مازروان حتى يصير إلى القرية المعروفة بالحجاجية ، ويتهي إلى نهر الأمير ، ويقف على تلك الموضع ، ويتعرّف على الطرق التي تجتاز فيها سميريات الزنج ، وأمر نصيراً فقدمه بما معه من الشدا والسميريات ، فسار نصيراً لذلك؛ فترك طريق مازروان ، وقصد ناحية نهر الأمير ، فدعا أبو العباس سميريته ، فركبها ومعه محمد بن شعيب ، ودخل مازروان وهو يرى أن نصيراً أمامه ، وقال لمحمد: قدمني في النهر لأعرف خبر نصيراً ، وأمر الشدا والسميريات بالمصير خلفه.

قال محمد بن شعيب: فمضينا حتى قاربنا الحجاجية ، فعرضت لنا في النهر صلغة فيها عشرة زنوج؛ فأسرعنا إليها ، فألقى الزنوج أنفسهم في الماء ، وصارت الصلغة في أيدينا ، فإذا هي مملوءة شعيراً ، وأدركتنا فيها زنجياً فأخذناه ، فسألناه عن خبر نصيراً وشذواته فقال: ما دخل هذا النهر شيء من الشدا والسميريات ، فأصابتنا حيرة ، وذهب الزنج الذين أفلتوا من أيدينا فأعلموا أصحابهم بمكانتنا ، وعرض للملاحين الذين كانوا معنا غنم فخرجوه لانتهابها.

قال محمد بن شعيب: وبقيت مع أبي العباس وحدي ، فلم نلث أن وافانا

قائد من قوّاد الزنج ، يقال له مُنْتَاب ، في جماعة من الزنج من أحد جانبي النهر ، ووافانا من الجانب الآخر عشرة من الزنج ، فلما رأينا ذلك خرج أبو العباس ، ومعه قوسه وأسهمه ، وخرجت برمح كان في يدي ، وجعلت أحmine بالرمح وهو يرمي الزنج ، فجرح منهم زنجيين ، وجعلوا يثوبون ويكثرون ، وأدركنا زيرك في الشّذا ومعه الغلمان ؛ وقد كان أحاط بنا زهاء ألفي زنجي من جانبي مازروان ، وكفى الله أمرهم ، وردهم بذلك وصغار ، ورجع أبو العباس إلى عسکره ، وقد غنم أصحابه من الغنم والبقر والجوميس شيئاً كثيراً ، وأمر أبو العباس بثلاثة من الملّاحين الذين كانوا معه ، فتركوه لانتهاب الغنم ، فضررت أعناقهم ، وأمر لمن بقي بالأرزاق لشهر ، وأمر بالنداء في الملّاحين ألا يبرح أحدٌ من السميريات في وقت الحرب ؟ فمن فعل ذلك فقد حلّ دمه .

وانهزم الزنج أجمعون حتى لحقوا بطهيتا ، وأقام أبو العباس بمعسكته في العُمر ، وقد بث طلائعه في جميع التواحي ، فمكث بذلك حيناً ، وجمع سليمان بن جامع عسکر وأصحابه ، وتحصن بطهيتا ، وفعل الشعراني مثل ذلك بسوق الخميس ؛ وكان بالصينية لهم جيش كثيف أيضاً ، يقود أهله رجل منهم يقال له نصر السندي ، وجعلوا يخرجون كلّ ما وجدوا إلى إخراجه سبيلاً ، ويحملون ما قدروا على حمله من الغلات ، ويعمرون مواضعهم التي هم مقيمون بها ، فوجّه أبو العباس جماعة من قواده ، منهم الشاه وكمسجور والفضل بن موسى بن بغا ، وأخوه محمد على الخيل إلى ناحية الصينية ، وركب أبو العباس ومعه نصير وزيرك في الشّذا والسميريات ، وأمر بخيل فعبر بها من بزماسور إلى طريق الظهر .

وسار الجيش حتى صار إلى الهرث ، فأمر أبو العباس بتعبير الدواب إلى الهرث ، فصارت فصارت إلى الجانب الغربي من دجلة ، وأمر بأن يسلك بها طريق دير العمال ، فلما أبصر الزنج الخيل دخلتهم منها رهبة شديدة ، فلجمّوا إلى الماء والسفن ، ولم يلبثوا أن وافتهم الشّذا والسميريات ، فلم يجدوا ملجاً واستسلموا ، فقتل منهم فريق ، وأسر فريق ، وألقى بعضهم نفسه في الماء ، فأخذ أصحاب أبي العباس سفنهم ؛ وهي مملوقة أرزاً ، فصارت في أيديهم ، وأخذوا سميرية رئيسهم المعروف بنصر السندي ، وانهزم الباقيون ، فصارت

طائفة منهم إلى طهيتا وطائفة إلى سوق الخميس ، ورجع أبو العباس غانماً إلى عسكره ، وقد فتح الصينية وأجلى الرَّنج عنها.

قال محمد بن شعيب : وبيننا نحن في حرب الرَّنج بالصينية إذ عرض لأبي العباس كُزكى طائر ، فرماه بسهم ، فشكّه فسقط بين أيدي الرَّنج ، فأخذوه فلما رأوا موضع السهم منه ، وعلموا أنه سهم أبي العباس زاد ذلك في رعبهم فكان سبباً لانهزامهم يومئذ .

وقد ذُكر عنمن لا يُتهم : أن خبر السهم الذي رمى به أبو العباس الكُزكى في غير هذا اليوم ، وانتهى إلى أبي العباس أن يعبدَسي جيشاً عظيماً يرأسهم ثابت بن أبي دلف ، ولؤلؤ الزنجيان ، فصار أبو العباس إلى عَنْدَسي قاصداً للإيقاع بهما ومن معهما في خيلجريدة ، قد انتخب من جُلد غلمانه وحمة أصحابه ، فوافى الموضع الذي فيه جمعهم في السَّحر ، فأوقع بهم وقعة غليظة ، قُتل فيها من أبطالهم ، وجُلد من رجالهم خلق كثير ، وانهزموا ، وظفر أبو العباس برئاستهم ثابت بن أبي دلف ، فمنْ عليه واستبقاءه وضمه إلى بعض قواده ، وأصاب لؤلؤاً سهم فهلك منه ، واستُنقذ يومئذ من النساء اللواتي كنْ في أيدي الرَّنج خلق كثير ، فأمر أبو العباس بإطلاقهنَ وردهنَ إلى أهلهنَ ، وأخذ كلَّ ما كان الرنج جمعوه .

ثم رجع أبو العباس إلى معسكره ، فأمر أصحابه أن يُريحوا أنفسهم ليسير بهم إلى سوق الخميس ، ودعا نصيراً فأمره بتعبئة أصحابه للمسير إليها ، فقال له نصير : إنَّ نهر سوق الخميس ضيق ، فأقم أنت وائذن لي في المسير إليه حتى أعاينه ، فأبى أن يدعه حتى يعاينه ، ويقف على علم ما يحتاج إليه منه قبل موافاته أبيه أبي أحمد؛ وذلك عند ورود كتاب أبي أحمد عليه بعزمه على الانحدار .

قال محمد بن شعيب : فدعاني أبو العباس ، فقال لي : إنه لابدَ لي من دخول سوق الخميس ، فقلت : إن كنتَ لابدَ فاعلاً ما تذكر فلا تكثر عدد مَنْ تحمل معك في الشَّدَّا ، ولا تزد على ثلاثة عشر غلاماً عشرة رماة وثلاثة في أيديهم الرماح ؛ فإني أكره الكثرة في الشَّدَّا مع ضيق النهر ، فاستعدَ أبو العباس لذلك ، وسار إليه ونصير بين يديه حتى وافى فم بِرْمساور ، فقال له نصير : قدمني أمامك ، ففعل ذلك ، فدخل نصير في خمس عشرة شَدَّا ، واستأنذه رجل من قواد الموالي يقال

له موسى دالجوبيه في التقدم بين يديه ، فأذن له ، فسار وسار أبو العباس حتى انتهى به مسيره إلى بسامي ثم إلى فوهة براطق ونهر الرق النهر الذي ينفذ إلى رواطا وعندسي؛ وهذه الأنهار الثلاثة تؤدي إلى ثلاث فرق مفترقة ، فأخذ نصير في طريق نهر براطق وهو النهر المؤدي إلى مدينة سليمان بن موسى الشعراوي التي سمّاها المنية بسوق الخميس ، وأقام أبو العباس على فوهة هذا النهر ، وغاب عنه نصير حتى خفي عنه خبره ، وخرج علينا في ذلك الموضع من الزنج خلق كثير فمنعونا من دخول النهر ، وحالوا بيننا وبين الانتهاء إلى السور - وبين هذا الموضع الذي انتهينا إليه والسور المحيط بمدينة الشعراوي مقدار فرسخين - فأقاموا هناك بحاربونا ، واشتدت الحرب بيننا وبينهم وهم على الأرض؛ ونحن في السفن من أول النهار إلى وقت الظهر ، وخفى علينا خبر نصير ، وجعل الزنج يهتفون بنا: قد أخذنا نصيرأً فماذا تصنعون؟ ونحنتابعوكم حيئما ذهبتم ، فاغتنم أبو العباس لما سمع منهم هذا القول ، فاستأذنه محمد بن شعيب في المسير ليتعرف خبر نصير ، فأذن له ، فمضى في سميرية بعشرين جدafaً حتى وافى نصيرأً أبا حمزة ، وقد قرب من سكر كان الفسقة سкроه ، وووجه قد أضرم النار فيه وفي مدینتهم ، وحارب حرباً شديدةً ورزق الظفر بهم ، وكان الزنج ظفروا ببعض شذوات أبي حمزة ، فقاتل حتى انتزع ما كانوا أخذوا من أيديهم ، فرجع محمد بن شعيب إلى أبي العباس ، فبشره بسلامة نصير ومن معه ، وأخبره خبره ، فسر بذلك وأسر نصير يومئذ من الزنج جماعة كثيرة ، ورجع حتى وافى أبا العباس بالموضع الذي كان واقفاً به ، فلما رجع نصير قال أبو العباس: لست زائلاً عن موضع هذا حتى أرواحهم القتال في عشى هذا اليوم؛ ففعل ذلك ، وأمر بإظهار شدة واحدة من الشذوات التي كانت معه لهم ، وأخلف باقيها عنهم ، فطمعوا في الشدة التي رأوها ، فتبعوها ، وجعل من كان فيها يسرون سيراً ضعيفاً حتى أدركوها ، فعلقوا بسكنها ، وجعل الملاحون يسرون حتى وافقوا المكان الذي كانت فيه الشذوات المكمنة .

وقد كان أبو العباس ركب سميرية ، وجعل الشذا خلفه ، فسار نحو الشذا التي علق بها الزنج لما أبصرها ، فأدركها ، والزنج ممسكون بسكنها يحيطون بها من جوانبها ، يرمون بالنشاب والأجر ، وعلى أبي العباس كيز تحته درع .

قال محمد: فتزاينا يومئذ من كيز أبي العباس خمساً وعشرين نسابة ، ونزعنا من لباده كانت على أربعين نسابة ، ومن لباد سائر الملائكة الخمس والعشرين والثلاثين ، وأظفر الله أبا العباس بست سميريات من سميريات الزنج ، وتخلى الشذا من أيديهم ، وانهزموا ، ومال أبو العباس ، وأصحابه نحو الشط ، وخرج من الزنج المقاتلة بالسيوف والتراس ، فانهزموا لا يلوون على شيء للرهبة التي وصلت إلى قلوبهم ورجع أبو العباس سالماً غانماً ، فخلع على الملائكة ووصلهم ، ثم صار إلى معسكره بالعمر ، فأقام به إلى أن وافى الموت .

* * *

ولإحدى عشرة ليلة خلت من صفر منها ، عسكر أبو أحمد بن المتوك بالفِرْك ، وخرج من مدينة السلام يريد الشخص إلى صاحب الزنج لحربه؛ وذلك أنه - فيما ذكر - كان اتصل به أن صاحب الزنج كتب إلى صاحبه علي بن أبي المهلبي يأمره بالمصير بجميع من معه إلى ناحية سليمان بن جامع ، ليجتمعوا على حرب أبي العباس بن أبي أحمد ، وأقام أبو أحمد بالفِرْك أيامًا؛ حتى تلاحق به أصحابه ومن أراد النهوض به إليه ، وقد أعد قبل ذلك الشذا والسميريات والمعابر والسفن ، ثم رحل من الفِرْك - فيما ذكر - يوم الثلاثاء لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول في مواليه وغلمانه وفرسانه ورجالاته فصار إلى رومية المدائن ، ثم صار منها ، فنزل السُّبُب ثم دَيْر العاقول ثم جَرْجَرَايا ، ثم قَنَى ثم نزل جَبْل ، ثم نزل الصَّلَح ، ثم نزل على فرسخ من واسط ، فأقام هنالك يومه وليلته ، وتلقاه ابنه أبو العباس به في جريدة خيل فيها وجوه قواده وجنده ، فسأله أبو أحمد عن خبر أصحابه ، فوصف له بلاءهم ونصحهم ، فأمر أبو أحمد له ولهم بخلع فُخلع عليهم ، وانصرف أبو العباس إلى معسكره بالعمر ، فأقام يومه ، فلما كانت صبيحة الغد رحل أبو أحمد منحدراً في الماء ، وتلقاه ابنه أبو العباس بجميع من معه من الجندي في هيئة الحرب والزي الذي كانوا يلقون به أصحاب الخائن ، فجعل يسير أمامه حتى وافى عسكره بالنهر المعروف بشيرزاد؛ فنزل به أبو أحمد ، ثم رحل منه يوم الخميس لليلتين بقيتا من شهر ربيع الأول؛ فنزل على النهر المعروف بسِنْداد بإزاء القرية المعروفة بعد الله ، وأمر ابنه أبا العباس ، فنزل شرقى دجلة بإزاء فوهة بردوذا ، وولاه مقدمته ، ووضع العطاء فأعطى

الجيش ، ثم أمر ابنه بالمسير أمامه بما معه من آلة الحرب إلى فوهة برمساور ، فرحل أبو العباس في المختارين من قواه ورجاله ، منهم زيرك التركي صاحب مقدمته ، ونصير المعروف بأبي حمزة صاحب الشذا والسميريات .

ورحل أبو أحمد بعد ذلك في الفرسان والرجال الم منتخبين ، وخلف سواد عسكته وكثيراً من الفرسان والرجال بمعسكره؛ فتلقاه ابنه أبو العباس بأسرى ورؤوس وقتلى قتلهم من أصحاب الشعراني ؛ وذلك أنه وافى عسكته الشعراني في ذلك اليوم قبل مجيء أبي أحمد ؛ فأوقع به وأصحابه ؛ فقتل منهم مقتلة عظيمة ، وأسر منهم جماعة ؛ فأمر أبو أحمد بضرب أعناق الأسرى فضربت ، ونزل أبو أحمد فوهة برمساور ، وأقام به يومين ، ثم رحل يريد المدينة التي سماها صاحب الزنج المنيعة من سوق الخميس في يوم الثلاثاء لثمانية ليال خلون من شهر ربيع الآخر من هذه السنة بمن معه من الجيش وما معه من آلة الحرب ، وسلك في السفن في برمساور ، وجعلت الخيل تسير بإزائه شرقى برمساور ، حتى حاذى النهر المعروف ببراطق الذي يوصل إلى مدينة الشعراني .

وإنما بدأ أبو أحمد بحرب سليمان بن موسى الشعراني قبل حرب سليمان بن جامع من أجل أن الشعراني كان وراءه ، فخاف إن بدأ بابن جامع أن يأتيه الشعراني من ورائه ، ويشغله عنمن هو أمامه ؛ فقصده من أجل ذلك ؛ وأمر بتغيير الخيل وتصييرها على جانبي النهر المعروف ببراطق ، وأمر ابنه أبي العباس بالتقدم في الشذا والسميريات ، وأتبعه أبو أحمد في الشذا بعامة الجيش . فلما بصر سليمان ومن معه من الزنج وغيرهم بقصد الخيل والرجالة سائرين على جنبي النهر ومسير الشذا والسميريات في النهر ، وقد لقيهم أبو العباس قبل ذلك فحاربوه حرباً ضعيفة ، انهزموا وتفرقوا .

وعلا أصحاب أبي العباس السور ، ووضعوا السيوف فيمن لقيهم وتفرق الزنج وأتباعهم ، ودخل أصحاب أبي العباس المدينة ، فقتلوا فيها خلقاً كثيراً ، وأسروا بشرأ كثيراً ، وحوروا ما كان في المدينة ، وهرب الشعراني ومن أفلت منهم معه ، وأتبعهم أصحاب أبي أحمد حتى وافوا بهم البطائح ، ففرق منهم خلق كثير ، ونجا الباقيون إلى الأجام ، وأمر أبو أحمد أصحابه بالرجوع إلى معسكراهم قبل غروب الشمس من يوم الثلاثاء ، وانصرف وقد استنقذ من

ال المسلمات زُهاء خمسة آلاف امرأة؛ سوى مَنْ ظفر به من الزوجيات اللواتي كنَّ في سوق الخميس ، فأمر أبو أحمد بحياة النساء جميعاً ، وحملهن إلى واسط ليُدفعن إلى أوليائهن ، وبات أبو أحمد بحيل النهر المعروف ببراطق ، ثم باكر المدينة من غد ، فأذن للناس في حياة ما فيها من أمتعة الزِّنْج ، وأخذ ما كان فيها أجمع ، وأمر بهدم سورها وطمَّ خندقها وإحراق ما كان بقيَ فيها من السفن ، ورحل إلى معسكره ببرمساور بالظفر بما بالرساتيق والقرى التي كانت في يد الشعراي وأصحابه من غلات الحنطة والشعير والأرز ، فأمر ببيع ذلك ، وصرف ثمنه في أعطيات مواليه وغلمانه ، وجنده وأهل عسکره ، وانهزم سليمان الشعراي وأخواه ومنْ أفلت ، وسلب الشعراي ولده وما كان بيده من مال ، ولحق بالمدار ، فكتب إلى الخائن بخبره وما نزل به واعتراضه بالمدار.

فذكر محمد بن الحسن ، أنَّ محمد بن هشام المعروف بأبي وائلة الكرماني قال: كنتُ بين يدي الخائن وهو يتحدث ، إذ ورد عليه كتاب سليمان الشعراي بخبر الواقعة وما نزل به ، وانهزمه إلى المدار ، فما كان إلا أنْ فضَّ الكتاب ، فوُقعت عينُه على موضع الهزيمة حتى انحلَّ وكاء بطنه ، ثم نهض لحاجته ، ثم عاد ، فلما استوى به مجلسه أخذ الكتاب وعاد يقرؤه ، فلما انتهى إلى الموضع الذي أنهضه ، نهض حتى فعل ذلك مراراً ، قال: فلم أشك في عظم المصيبة ، وكرهت أن أسأله ، فلما طال الأمر تجاستُ ، فقلت: أليس هذا كتاب سليمان بن موسى؟ قال: نعم ، ورد بقاصمة الظَّهَر: أنَّ الذين أناخوا عليه أوقعوا به وقعة لم تبق منه ولم تذر؛ فكتب كتابه هذا وهو بالمدار ، ولم يسلم بشيء غير نفسه ، قال: فأكابرُ ذلك ، واللهُ يعلم مكروه ما أخفى من السرور الذي وصل إلى قلبي ، وأمسكُ مبشرًا بدنو الفرج ، وصبرَ الخائنُ على ما وصل إليه ، وجعل يظهر الجلد ، وكتب إلى سليمان بن جامع يحدّره مثل الذي نزل بالشعراي ، ويأمره بالتيقظ في أمره وحفظ ما قبله .

وذكر محمد بن الحسن: أنَّ محمد بن حماد قال: أقام الموفق بعسكره ببرمساور يومين ، لتعرف أخبار الشعراي وسلامان بن جامع والوقوف على مستقره ، فأتاه بعضُ مَنْ كان وجّهه لذلك ، فأخبره: أنه معسكر بالقرية المعروفة بالحوانيت ، فأمر عند ذلك بتعبير الخيل إلى أرض كَسْكَر في غربي دجلة ، وسار

على الظهر ، وأمر بالشذا وسفن الرجال فحدّرت إلى الكثيّة ، وخلف سواد عسکره وجمعاً كثيراً من الرجال والكراع بفوهة برماساور ، وأمر بُغراج بالمقام هناك ؛ فوافى أبو أحمد الصينية ، وأمر أبا العباس بالمصير في الشذا والسميريات إلى الحوانيت مخففاً لتعرف حقيقة خبر سليمان بن جامع في مقامه بها ، وإن وجد منه غرّة أوقع به ، فسار أبو العباس في عشي ذلك اليوم إلى الحوانيت ، فلم يلف سليمان هنالك ، وألّفى من قواد السودان المشهورين بالباس والنجدة شبلأ وأبا النداء وهما من قدماء أصحاب الفاسق الذين كان استتبعهم في بدء مخرجه . وكان سليمان بن جامع خلف هذين القائدين في موضعهما لحفظ غلات كثيرة كانت هناك ، فحاربهما أبو العباس ، وأدخل الشذا موضعًا ضيقاً من النهر ، فقتل مِن رجالهما ، وجرح بالسهام خلقاً كثيراً - وكانوا أجلد رجال سليمان بن جامع ونخبتهم الذين يعتمد عليهم - ودام الحرب بينهم إلى أن حجز الليل بين الفريقين .

قال : وقال محمد بن حماد : في هذا اليوم كان من أمر أبي العباس في الكركي الذي ذكره محمد بن شعيب في يوم الصينية ، وقد مرّ به سانحاً ، قال : واستأمن في هذا اليوم رجلاً إلى أبي العباس ، فسألته عن الموضع الذي فيه سليمان بن جامع ، فأخبره أنه مقيم بطهيشا ، فانصرف أبو العباس حينئذ إلى أبيه بحقيقة مقام سليمان بمدينته التي سماها المنصورة ، وهي في الموضع الذي يعرف بطهيشا ، وأن معه هنالك جميع أصحابه غير شبل وأبي النداء ؛ فإنّهما بموضعهما من الحوانيت لما أمروا بحفظه ، فلما عرف ذلك أبو أحمد ، أمر بالترحيل إلى بروددا ؛ إذ كان المسلك إلى طهيشا منه ؛ وتقدم أبو العباس في الشذا والسميريات ، وأمر من خلفه برماساور أن يصيروا جمياً إلى بروددا ، ورحل أبو أحمد في غد ذلك اليوم الذي أمر أبا العباس فيه بما أمره به إلى بروددا ، وسار إليها يومين ؛ فوافاها يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الآخر ستة سبع وستين ومتّين ، فأقام بها يصلح ما يحتاج إلى إصلاحه من أمر عسکره ، وأمر بوضع العطاء ، وإصلاح سفن الجسور ليحضرها معه ، واستكثر من العمال والآلات التي تسدّ بها الأنهر ، وتصلح بها الطرق للخيل ، وخلف بروددا بُغراج التركي ، وقد كان لما عزم على الرجوع إلى بروددا أرسل إلى غلام له يقال له :

جعلان وكان مخالفاً مع بغراج في عسكره ، فأمر بقلع المضارب وتقديمها مع الدواب المخلفة قبله والسلاح إلى بردودا ، فأظهر جعلان ما أمر به في وقت العشاء الآخرة ، ونادى في العسكر والناس غازون ، فألقي في قلوبهم أن ذلك لهزيمة كانت ، فخرجوا على وجوههم ، وترك الناس أسواقهم وأمتعتهم ، ظناً منهم أن العدو قد أظلهم ، ولم يلوِّ منهم أحد على أحد ، وقصدوا قصد الرجوع إلى عسكرهم ببردودا ، وساروا في سواد ليتهم تلك ، ثم ظهر لهم بعد ذلك حقيقة الخبر ، فسكنوا وأطمائنو^(١) .

وفي صفر من هذه السنة كان بين أصحاب كيَّلغُ التركي وأصحاب أَحْمَدَ بن عبد العزيز بن أبي دلف وقعة بناحية قرماسين ، فهزّهم كيَّلغُ ، وصار إلى هَمْدان ، فوافاه أَحْمَدَ بن عبد العزيز فيمن قد اجتمع من أصحابه في صفر ، فحاربه ، فانهزم كيَّلغُ ، وانحاز إلى الصَّيْمَرَةِ.

• • •

وفي هذه السنة لثلاث بقين من شهر ربيع الآخر دخل أبو أحمد وأصحابه طهيا ، وأخرجوا منها سليمان بن جامع ، وقتل بها أبو محمد بن مهدي الجبائي .

• • •

ذكر الخبر عن سبب دخول

أبي أحمد وأصحابه طهيتاً وقتل الجبائي

ذكر محمد بن الحسن: أن محمد بن حماد حدثه أن أباً أحمد لما أعطى أصحابه ببردوداً، فأصلاح ما أراد إصلاحه من عدةٍ حربٍ مَنْ قصد لحربه في مخرجها؛ سار متوجّهاً إلى طهِيَّة؛ وذلك يوم الأحد العشر بقين من شهر ربيع الآخر سنة سبع وستين ومئتين، وكان مسيرة على الظهر في خيله.

(١) لعبور الموفق إلى مدينة صاحب الزنج انظر المنتظم [٢١٢ / ١٢] فقد ذكر خلاصة الخبر الذي استغرق هنا الصفحات (٥٩٤ - ٥٩٩) وانظر البداية والنهاية [٨ / ٢٤١] فقد اختصر الحافظ ابن كثير هذه التفاصيل عن عبور أو مسیر أحمد الموفق إلى مدينة المختارة (مدينة صاحب الزنج في جنوب العراق).

وحدّرت السفن بما فيها من الرِّجالَة والسلاَح والآلات ، وحدّرت المعابر والشَّدُوات والسميريات ، إلى أن وافى بها النهر المعروف بمَهْرُوذ بحضره القرية المعروفة بقرية الجوزية ، فنزل أبو أحمد هناك ، وأمر بعقد الجسر على النهر المعروف بمَهْرُوذ ، وأقام يومه وليلته ، ثم غدا فعَبَر الفرسان والأثقال بين يديه على الجسر ، ثم عبر بعد ذلك ، وأمر القواد والناس بالمسير إلى طهيا ، فصاروا إلى الموضع الذي ارتضاه أبو أحمد لنفسه متزلاً على ميلين من مدينة سليمان بن جامع ، فأقام هنالك بإزاره أصحاب الخائن يوم الإثنين والثلاثاء لثمان بقين من شهر ربيع الآخر ، وأمطرت السماء مَطْرَأ جَوْدَا ، واشتَدَ البرد أيام مقامه هنالك ، فشغل بالمطر والبرد عن الحرب ، فلم يحارب هذه الأيام وبقية الجمعة ، فلما كان عشيَّة يوم الجمعة ركب أبو أحمد في نفر من قواده ومواليه لارتياد موضع لمجال الخيل ، فانتهى إلى قريب من سور سليمان بن جامع ، فتلقاء منهم جمع كثير ، وخرج عليه كُمناء من مواضع شتى ، ونشبت الحرب واشتَدَتْ؛ فترجل جماعة من الفرسان ، ودفعوا حتى خرجوا عن المضايق التي كانوا وغلوها ، وأسر من غلمان أبي أحمد وقواده غلام يقال له وصيف عَلْمَدار وعدة من قواد زِيرَك ، ورمي أبو العباس أحمد بن مهديّ الجبائيّ بسهم في إحدى منخريه ، فخرق كل شيء وصل إليه حتى خالط دماغه ، فخرّ صريراً ، وحمل إلى عسكر الخائن وهو لم ي Abe ، فعظّمت المصيبة به عليه؛ إذا كان أعظم أصحابه غنى عنه ، وأشدّهم بصيرةً في طاعته ، فمكث الجبائي يعالج أياماً ، ثم هلك ، فاشتد جزع الخائن عليه ، فصار إليه ، فوليَ غسله وتكتفيه والصلاحة عليه والوقوف على قبره إلى أن دفن ، ثم أقبل على أصحابه فوعظهم ، وذكر موت الجبائي ، وكانت وفاته في ليلة ذات رعد وبروق ، وقال فيما ذكر: علمتُ وقت قبض روحه قبل وصول الخبر إليه بما سمع من زَجل الملائكة بالدّعاء له والترحُّم عليه.

قال محمد بن الحسن: فانصرف إلى أبي وائلة - وكان فيمن شهد - فجعل يُعجبني مما سمع ، وجاءني محمد بن سمعان فأخبرني بمثل خبر محمد بن هشام ، وانصرف الخائن من دفن الجبائي منكسرًا ، عليه الكابة.

قال محمد بن الحسن: وحدثني محمد بن حماد أنَّ أبي أحمد انصرف من الواقعة التي كانت عشيَّة يوم الجمعة لأربع ليال بقين من شهر ربيع الآخر ، وكان

خبره قد انتهى إلى عسكره ، فنهض إليه عامه الجيش ، فتلقزوه منصراً ، فردهم إلى عسكره؛ وذلك في وقت المغرب؛ فلما اجتمع أهلُ العسكر أمروا بالتحارس ليتَّهم والتأهّب للحرب ، فأصبحوا يوم السبت لثلاث بقيّن من شهر ربيع الآخر؛ فعتاً أبو أحمد أصحابه ، وجعلهم كتائب يتلو بعضها بعضاً؛ فرساناً ورجالة ، وأمر بالشَّدَا والسميريات أن يُسْأَر بها معه في النهر الذي يشقّ مدينة طهيتا المعروفة بنهر المُنذر ، وسار نحو الزَّنج حتى انتهى إلى سور المدينة ، فرتب قواد غلمانه في المواقع التي يخاف خروج الزَّنج عليه منها ، وقدم الرجالة أمام الفرسان ، ووكل بالمواقع التي يخاف خروج الْكُمناء منها ، ونزل فصلى أربع ركعات ، وابتله إلى الله عزّ وجلّ في النصر له وللمسلمين ، ثم دعا بسلامه فلبسه ، وأمر ابنه أبي العباس بالتقدم إلى السور وتحضيض الغلمان على الحرب ، ففعل ذلك؛ وقد كان سليمان بن جامع أعدّ أمام سور مديته التي سمّاها المنصورة خندقاً ، فلما انتهى إليه الغلمان تهيبوا عبوره ، وأحجموا عنه ، فحرّضهم قوادهم وترجّلوا معهم ، فاقتحموه متّجاسرين عليه ، فعبروه ، وانتهوا إلى الزَّنج وهم مشرفون من سور مديتها ، فوضعوا السلاح فيهم ، وعبرت شِرْذمة من الفرسان الخندق خوضاً.

فلما رأى الزَّنج خبر هؤلاء القوم الذين لقوهم وكسرّهم عليهم؛ ولّوا منهزمين ، وأتبّعهم أصحاب أبي أحمد ، ودخلوا المدينة من جوانبها ، وكان الزَّنج قد حصنوها بخمسة خنادق ، وجعلوا أمام كلّ خندق منها سوراً يمتنعون به ، فجعلوا يقفون عند كلّ سور وخندق إذا انتهوا إليه ، وجعل أصحاب أبي أحمد يكتشفونهم في كلّ موقف وقوفه ، ودخلت الشَّدَا ، والسميريات مديتها من النهر المشقق لها بعد انهزامهم ، فجعلت تُغرق كلّ ما مرت لهم به من شذاعة وسميرية ، واتبعوا مَنْ بحافتي النهر ، يُقتلون ويُؤسرون ، حتى أجلوا عن المدينة وعمّا اتصل بها ، وكان زهاء ذلك فرسخاً ، فحوى أبو أحمد ذلك كله ، وأفلت سليمان بن جامع في نفر من أصحابه ، فاستحرّ القتل فيهم والأسر ، واستنقذ أبو أحمد من نساء أهل واسط وصبيانهم وما اتصل بذلك من القرى ونواحي الكوفة زهاء عشرة آلاف ، فأمر أبو أحمد بحياةتهم والإتفاق عليهم ، وحملوا إلى واسط ، ودفعوا إلى أهليهم ، واحتوى أبو أحمد وأصحابه على كلّ ما كان في تلك المدينة من

الذخائر ، والأموال والأطعمة والمواشي ، وكان ذلك شيئاً جليل القدر ، فأمر أبو أحمد ببيع ما أصاب من الغلات وغير ذلك ، وحمله إلى بيت ماله ، وصرفه في أطعيات من في عسكره من مواليه وجندوه ، فحملوا من ذلك ما تهياً لهم حمله ، وأسر من نساء سليمان وأولاده عدّة ، واستنقذ يومئذ وصيف علمدار ومنْ كان أسر معه عشية يوم الجمعة ، فأخرجوا من الحبس ، وكان الأمر أعدل الزنج عن قتلهم ، ولجأ جمع كثير ممن أفلت إلى الآجام المحيطة بالمدينة ، فأمر أبو أحمد فعقد جسراً على هذا النهر المعروف بالمنذر ، فعبر الناس إلى غريبه ، وأقام أبو أحمد بطهیثاً سبعة عشر يوماً ، وأمر بهدم سور المدينة وطمّ خنادقها ، ففعل ذلك ، وأمر بتتبع من لجأ إلى الآجام ، وجعل لكل منْ أتاهم برجل منهم جُعلاً ، فتسارع الناس إلى طلبهم ؛ فكان إذا أتى بالواحد منهم عفا عنه ، وخلع عليه وضمه إلى قواد غلمانه لما دبر من استمالتهم وصرفهم عن طاعة صاحبهم ، وندب أبو أحمد نصيراً في الشَّدَا والسميريات لطلب سليمان بن جامع والهرب معه من الزنج وغيرهم ، وأمره بالجذب في اتباعهم حتى يجاوز البطائح ، وحتى يلح دجلة المعروفة بالوراء ، وتقدم في فتح الكُور التي كان الفاسق أحدها ، ليقطع بها الشَّدَا عن دجلة فيما بينه وبين النهر المعروف بأبي الخصيب ، وتقدم إلى زيرك في المقام بطهیثاً ليتراجع إليها الذين كان الفاسق أجلاهم عنها من أهلها ، وأمره بتتبع من يَقِي في الآجام من الزنج حتى يظفر بهم .

* * *

وفي شهر ربيع الآخر منها ماتت أم حبيب بنت الرشيد ، ورحل أبو أحمد بعد إحكامه ما أراد إحكامه إلى معسكره ببردودا مزمعاً على التوجه نحو الأهواز ليصلحها ؛ وقد كان اضطراب أمر المهلبي وإيقاعه بمن أوقع عليه من الجيوش التي كانت بها وغلبته على أكثر كورها ، وقد كان أبو العباس تقدّمه في مسيره ذلك ، فلما وافى بردودا أقام أياماً ، وأمر بإعداد ما يحتاج إليه للمسير على الظهر إلى كور الأهواز ، وقدّمَ من يصلح الطريق والمنازل ويعدّ فيها المير للجيوش التي معه ، ووافاه قبل أن ترحل عن واسط زيرك منصرفًا عن طهیثاً؛ بعد أن تراجع إلى النواحي التي كان بها الزنج أهلها ، وخلفهم آمنين ، فأمره أبو أحمد بالاستعداد والانحدار في الشَّدَا والسميريات في نخبة أصحابه وأنجادهم ، ليصير بهم إلى

دِجْلَةُ الْعُورَاءِ ، فَتَجْتَمِعُ يَدُهُ وَيَدُ أَبِي حُمَزَةَ عَلَى نَفْضِ دِجْلَةِ وَاتِّبَاعِ الْمَنْهَزِ مِنْ مِنْهَزِ الرَّزْجِ وَالْإِيقَاعِ بِكُلِّ مَنْ لَقِوا مِنْ أَصْحَابِ الْفَاسِقِ ، إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ بِهِمُ السِّيرُ إِلَى مَدِينَتِهِ بِنَهْرِ أَبِي الْخَصِيبِ ، وَإِنْ رَأَوَا مَوْضِعَ حَرْبِ حَارِبَوْهُ فِي مَدِينَتِهِ ، وَكَتَبُوا بِمَا كَانُ مِنْهُمْ إِلَى أَبِي أَحْمَدِ لِيَرَدَ عَلَيْهِمْ مِنْ أَمْرِهِ مَا يَعْمَلُونَ بِحَسْبِهِ ، وَاسْتَخْلَفَ أَبُو أَحْمَدَ عَلَى مَنْ خَلَفَ فِي عَسْكَرِهِ بِوَاسْطَةِ ابْنِهِ هَارُونَ ، وَأَزْمَعَ عَلَى الشَّخْصِ فِيمَنْ خَفَّ مِنْ رِجَالِهِ وَاصْحَابِهِ ، فَفَعَلَ ذَلِكَ بَعْدَ أَنْ تَقْدَمَ إِلَى ابْنِهِ هَارُونَ فِي أَنْ يَحْدُرَ الْجَيْشُ الَّذِي خَلَفَهُ مَعَهُ فِي السُّفَنِ إِلَى مَسْتَقْرِرِهِ بِدِجْلَةٍ إِذَا وَافَى كِتَابَهُ بِذَلِكَ .

* * *

وَفِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ لِلْلَّيْلَةِ خَلَتْ مِنْ جَمَادِيِّ الْآخِرَةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ - وَهِيَ سَنَةُ سِبْعَ وَسِتِينَ وَمَئِيْنَ ، ارْتَحَلَ أَبُو أَحْمَدَ مِنْ وَاسْطَ شَاصِيَا إِلَى الْأَهْوَازِ وَكُورَهَا ، فَنَزَلَ بِاَذْبِينَ ثُمَّ جَوَحَى ثُمَّ الطَّيْبَ ثُمَّ قُرْقُوبَ ثُمَّ درِسْتَانَ ثُمَّ عَلَى وَادِيِّ السُّوسِ ، وَقَدْ كَانَ عُقْدَ لَهُ عَلَيْهِ جَسْرٌ ، فَأَقَامَ بِهِ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ إِلَى آخرِ وَقْتِ الظَّهَرِ ، حَتَّى عَبَرَ أَهْلَ عَسْكَرِهِ أَجْمَعَ ، ثُمَّ سَارَ حَتَّى وَافَى السُّوسَ ، فَنَزَلَهَا - وَقَدْ كَانَ أَمْرُ مَسْرُورَأَ وَهُوَ عَامِلُهُ عَلَى الْأَهْوَازِ - بِالْقَدْوَمِ عَلَيْهِ ، فَوَافَاهُ فِي جِيشِهِ وَقَوَادِهِ مِنْ غَدِ الْيَوْمِ الَّذِي نَزَلَ فِيهِ السُّوسُ ، فَخَلَعَ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ ، وَأَقَامَ بِالسُّوسِ ثَلَاثَةً .

وَكَانَ مِنْ أَسِرَّ بَطَهِيْثَا مِنْ أَصْحَابِ الْفَاسِقِ أَحْمَدَ بْنَ مُوسَى بْنَ سَعِيدِ الْبَصْرِيِّ الْمَعْرُوفِ بِالْقَلُوصِ ، وَكَانَ أَحَدُ عُدَّدِهِ وَقَدَمَاءِ أَصْحَابِهِ ، أَسِرَّ بَعْدَ أَنْ أَثْخَنَ جَرَاحَأَ كَانَتْ مِنْهَا مِنْتَيْهِ ؛ فَلَمَّا هَلَكَ أَمْرُ أَبِي أَحْمَدِ بِاحْتِزَارِ رَأْسِهِ وَنَصْبِهِ عَلَى جَسْرِ وَاسْطِ .

وَكَانَ مِنْ أَسِرِ يَوْمَئِذٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ هَشَامِ الْكَرْمَانِيِّ ؛ وَكَانَ الْخَبِيثُ اغْتَصَبَهُ أَبَاهُ ، فَوَجَّهَهُ إِلَى طَهِيْثَا ، وَوَلَّهُ الْقَضَاءُ وَالصَّلَاةُ بِهَا ، وَأَسِرَّ مِنْ السُّودَانِ جَمَاعَةً كَانَ يَعْتَمِدُ عَلَيْهِمْ ، أَهْلَ نَجْدَةِ وَيَأسِ وَجَلْدِهِ ؛ فَلَمَّا اتَّصَلَ بِهِ الْخَبِيرُ بِمَا نَالَ هُؤُلَاءِ انتَقَضَ عَلَيْهِ تَدْبِيرُهُ ، وَضَلَّتْ حِيلَهُ ، فَحَمَلَهُ فَرْطُ الْهَلَعِ عَلَى أَنْ كَتَبَ إِلَى الْمَهْلَبِيِّ وَهُوَ يَوْمَئِذٍ مُقِيمٌ بِالْأَهْوَازِ فِي زَهَاءِ ثَلَاثِينَ أَلْفًا مَعَ رَجُلٍ كَانَ صَاحِبَهُ ، يَأْمُرُهُ بِتَرْكِ كُلِّ مَا قِيلَهُ مِنِ الْمِيرَ وَالْأَنَاثِ ، وَالْإِقْبَالِ إِلَيْهِ ؛ فَوَصَّلَ الْكِتَابَ إِلَى الْمَهْلَبِيِّ وَقَدْ أَتَاهُ الْخَبِيرُ بِإِقْبَالِ أَبِي أَحْمَدِ إِلَى الْأَهْوَازِ وَكُورَهَا ، فَهُوَ لِذَلِكَ طَائِرُ الْعُقْلِ ، فَتَرَكَ جَمِيعَ مَا كَانَ قِيلَهُ ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَيْهِ مُحَمَّدَ بْنَ يَحْيَى بْنَ سَعِيدِ الْكَرْنَبِيِّ ، فَدَخَلَ قَلْبُ الْكَرْنَبِيِّ مِنَ الْوَجْلِ ، فَأَخْلَى مَا اسْتُخْلَفَ عَلَيْهِ ، وَتَبَعَّدَ الْمَهْلَبِيِّ ؛

وبُجَيْيَ والأهواز ونواحيها يومئذ من أصناف الحبوب والتمر والمواشي شيء عظيم ، فخرجا عن ذلك كله .

وكتب أيضاً الفاسق إلى بَهْبُوذ بن عبد الوهاب ، وإليه يومئذ عمل الفنْدَم والباسِيَان ، وما اتصل بهما من القرى التي بين الأهواز وفارس ، وهو مقيم بالفنْدَم ، يأمره بالقدوم عليه ، فترك بَهْبُوذ ما كان قبلاً من الطعام والتمر - وكان ذلك شيئاً عظيماً - فحوى جميع ذلك أبو أحمد ، فكان ذلك قوةً له على الفاسق ، وضعفاً للفاسق .

ولما فصل المهلبي عن الأهواز تفرق أصحابه في القرى التي بينها وبين عسكر الخبيث فانتهبوها ، وأجلّوا عنها أهلها ، و كانوا في سُلْمِهم ، وتختلف خلق كثير ممن كان مع المهلبي من الفرسان والرجالات عن اللحاق به ، فأقاموا بنواحي الأهواز ، وكتبوا يسألون أبو أحمد الأمان لما انتهى إليهم من عفوه عن ظفر به من أصحاب الخبيث بطهيتا ، ولحق المهلبي ومن اتبعه من أصحابه بنهر أبي الخصيب .

وكان الذي دعا الفاسق إلى أمر المهلبي وبهبوذ بسرعة المصير إليه خوفه موافاة أبي أحمد وأصحابه إيه على الحال التي كانوا عليها من الوجل وشدة الرعب مع انقطاع المهلبي وبهبوذ فيمن كان معهما عنه ، ولم يكن الأمر كما قدر .

وأقام أبو أحمد حتى أحرز ما كان المهلبي وبهبوذ خلفاه ، وفتحت السكور التي كان الخبيث أحدثها في دُجْلة ، وأصلحت له طرقه ومسالكه ورحل أبو أحمد عن السوس إلى جنديسابور ، فأقام بها ثلاثة ، وقد كانت الأعلاف ضاقت على أهل العسكر ، فوجه في طلبها ، وحملها ورحل عن جنديسابور إلى سُنْسَر ، وأمر بجباية الأموال من كُور الأهواز ، وأنفذ إلى كل كورة قائداً ليروج بذلك حمل الأموال ، ووجه أبو محمد بن أبي الأصبع إلى محمد بن عبيد الله الكردي ، وقد كان خائفاً أن يأتيه صاحب الفاسق قبل موافاة أبي أحمد كور الأهواز ، وأمره بإيابه وإعلامه ما عليه رأيه من العفو عنه ، والتغمد لزلته ، وأن يتقدم إليه في تعجيل حمل الأموال والمسير إلى سوق الأهواز ، وأمر مسوروأ البلاخي عامله بالأهواز بإحضار مَنْ معه من الموالي والعلماء والجناد ليعرضهم ، ويأمر بإعطائهم الأرزاق ، وينهضهم معه لحرب الخبيث . فأحضرهم ، وعرضوا رجالاً رجلاً ،

وأعطوا ثم رحل إلى عسكر مُكرَّم ، فجعله متزلاً اجتازه ورحل منه فوافي الأهواز ، وهو يرى أنه قد تقدّمه إليها من الميرة ما يحمل عساكره ، فغلوظ الأمر في ذلك اليوم ، واضطرب له الناس اضطراباً شديداً ، وأقام ثلاثة أيام ينتظر ورود المير؛ فلم تَرِد ، فساقت أحوال الناس ، وكاد ذلك يفرق جماعتهم ، فبحث أبو أحمد عن السبب المؤخر ورودها ، فوجد الجندي قد كانوا قطعوا قنطرة قديمة أعمجمية كانت بين سوق الأهواز ورام هرمز يقال لها: قنطرة أربُك ، فامتنع التجار ومن يحمل الميرة من تطريقه لقطع تلك القنطرة ، فركب أبو أحمد إليها وهي على فرسخين من سُوق الأهواز ، فجمع مَنْ كان بقى في العسكر من السودان ، وأمرهم بنقل الحجارة والصخر لإصلاح هذه القنطرة وبذل لهم الأموال الرغيبة ، فلم يرم حتى أصلحت في يومه ذلك ، ورُدّت إلى ما كانت عليه ، فسلكها الناس ، ووافت القوافل بالمير ، فحييَّ أهل العسكر ، وحسنت أحوالهم.

وأمر أبو أحمد بجمع السفن لعقد الجسر على دُجَيل ، فجمعت من كُور الأهواز وأخذ في عقد الجسر ، وأقام بالأهواز أياماً حتى أصلح أصحابه أمورهم ، وما احتاجوا من آلاتهم ، وحسنت أحوال دوابِّهم ، وذهب عنها ما كان نالها من الضرّ بتخلف الأعلاف ، ووافت كتب القوم الذين كانوا تخلفوا عن المهلبي ، وأقاموا بسوق الأهواز يسألونه الأمان؛ فآمنهم ، فأتاها نحو من ألف رجل ، فأحسن إليهم ، وضمهم إلى قُواد غلمانه ، وأجرى لهم الأرزاق ، وعقد الجسر على دُجَيل ، فرحل بعد أن قدم جيوشه ، فعبر الجسر ، وعسكر بالجانب الغربي من دُجَيل في الموضع المعروف بقصر المأمون ، فأقام هنالك ثلاثة ، وأصابت الناس في هذا الموضع من الليل زلزلة هائلة ، وقَى الله شرّها ، وصرف مکروهها.

وقد كان أبو أحمد قبل عبور الجسر المعقود على دُجَيل قَدْم أبي العباس ابنه إلى الموضع الذي كان عزم على نزوله من دجلة العوراء ، وهو الموضع المعروف بنهر المبارك من فرات البصرة ، وكتب إلى ابنه هارون بالانحدار في جميع الجيش المتختلف معه إلى نهر المبارك أيضاً لجتماع العسكر هناك ، فرحل أبو أحمد عن قصر المأمون ، فنزل بقرَّاج العباس ، ووافاه أبوه عبد الله بن أبي الأصبع هنالك بما صالح عليه محمد بن عبيد الله وبهدايا أهداها إليه من دوابٍ وضوارٍ

وغير ذلك ، ثم رحل عن القوراج ، فنزل بالجعفرية ، ولم يكن بهذه القرية ماء إلا من آبار كان أبو أحمد تقدم بحفرها في عسكره ، وأنفذ لذلك سعداً الأسود مولى عبيد الله بن محمد بن عمار من قوراج العباس ، فُحُفِرتْ ، فأقام بها الموضع يوماً وليلة ، وألفى هناك مِيرَاً مجموعة ، واتسع الناس بها ، وتزدَدوا منها .

ثم رحل إلى الموضع المعروف بال بشير ، وألفى فيه غديراً من المطر ، فأقام به يوماً وليلة ، ورحل في آخر الليل يريد نهر المبارك ، فوافاه بعد صلاة الظهر ، وكان متولاً بعيد المسافة ؛ وتلقاه ابنه أبو العباس وهارون في طريقه ، فسلما عليه ، وسارا بسيره حتى ورد نهر المبارك ، وذلِك يوم السبت للنصف من رجب سنة سبع وستين ومئتين .

وكان لـ زيرك ونصير في الذي كان أبو أحمد وجّه فيه زيرك من تتبع فلـ الخبيث من طهيتا أثرٌ فيما بين وصول أبي أحمد من واسط إلى حال مصيره إلى نهر المبارك ؛ وذلك ما ذكره محمد بن الحسن عن محمد بن حماد ، قال : لما اجتمع زيرك ونصير بـ دجلة العوراء ؛ انحدرا حتى وافيا الأئلة ، فاستأمن إليهما رجل من أصحاب الخبيث ، فأعلمهم أن الخبيث قد أنفذ عدداً كثيراً من السُّميريات والزواريق والصلاغ مشحونة بالرُّنج ، يرأسهم رجل من أصحابه ، يقال له : محمد بن إبراهيم ، يكُن أبا عيسى ، ومحمد بن إبراهيم هذا رجل من أهل البصرة ، كان جاء به رجل من الرُّنج عند خراب البصرة يقال له : يسار ، كان على شرطة الفاسق ، فكان يكتب ليسار على ما كان يلي حتى مات ، وارتقت حال أحمد بن مهدي الجبائي عند الخبيث ، فولأه أكثر أعماله ، وضمّ محمد بن إبراهيم هذا إليه ، فكان كاتبه إلى أن هلك الجبائي - فطمّع محمد بن إبراهيم هذا في مرتبته ، وأن يحلّه الخبيث محلّ الجبائي ، فنبذ الدواة والقلم ، ولبس آلة الحرب ، وتجزّد للقتال ، فأنهضه الخبيث في هذا الجيش ، وأمره بالاعتراض في دجلة لمدافعة من يردها من الجيوش ، فكان في دجلة أحياناً ، وأحياناً يأتي بالجمع الذي معه إلى النهر المعروف بنهر يزيد ، ومعه في ذلك الجيش سبل بن سالم وعمرو المعروف بـ غلام بوذي وأجلاد من السودان وغيرهم ، فاستأمن رجل كان في ذلك الجيش إلى زيرك ونصير ، وأخبرهما خبره ، وأعلمهم أن محمد بن إبراهيم على القصد لـ سواد عسکر نصیر ، ونصير يومئذ معسکر بنهر المرأة ،

وأنهم على أن يسلكوا الأنهار المعرضة على نهر معقل وبئق شيرين ، حتى يوافوا الموضع المعروف بالشرطة ، ليخرجوا من وراء العسكر فيكتُبوا على طرفيه ؛ فرجع نصير عند وصول هذا الخبر إليه من الأبلة مبادراً إلى معسكره ، وسار زيرك قاصداً لبئق شيرين ؛ حتى صار من مؤخرة في موضع يعرف بالميشان ؛ وذلك أنه قدّر أن محمد بن إبراهيم ومن معه يأتون عسكر نصير من ذلك الطريق ؛ فكان ذلك كما ظنَّ ، ولقيهم في طريقهم فوهب الله له العلوّ عليهم بعد صبر منهم له ومجاهدة شديدة ؛ فانهزموا ولجؤوا إلى النهر الذي كانوا وضعوا الكمائن فيه ، وهو نهر يزيد ، فدُلُّ زيرك عليهم ، فتوغلت عليهم سُميرياته وشذواته ، فقتل منهم طائفة وأسر طائفة ؛ وكان منمن ظفر به منهم محمد بن إبراهيم المكنى أبا عيسى وعمرو المعروف بعلام بودي ، وأخذ ما كان معهم من السُّميريات ، وذلك نحو من ثلاثين سُميرية ، وأفلت شبل في الذين نجوا ، فلحق بعسكر الخبيث ، وخرج زيرك من بئق شيرين ظافراً ومعه الأسرى ورؤوس مَنْ قتل مع ما حوى من السُّميريات والزوراق وسائر السفن ، فانصرف زيرك من دجلة العوراء إلى واسط ؛ وكتب إلى أبي أحمد بما كان من حربه والنصر والفتح .

وكان فيما كان من زيرك في ذلك وصول الجزء إلى كلّ مَنْ كان بِدِجلة وگورها من أتباع الفاسق ، فاستأمن إلى أبي حمزة وهو مقيم بنهر المرأة منهم زهاء ألفي رجل - فيما قيل - فكتب بخبرهم إلى أبي أحمد ، فأمره بقبولهم وإقرارهم على الأمان وإجراء الأرزاق عليهم ، وخلطهم بأصحابه ومناهضته العدوّ بهم .

وكان زيرك مقيناً بواسط إلى حين ورود كتاب أبي أحمد على ابنه هارون بالمضي بالجيش المتخلّف معه إلى نهر المبارك ، فانحدر زيرك مع هارون ، وكتب أبو أحمد إلى نصير وهو بنهر المرأة يأمره بالإقبال إليه إلى نهر المبارك ، فوافاه هنالك ؛ وكان أبو العباس عند مصيره إلى نهر المبارك انحدر إلى عسكر الفاسق في الشَّدَا والسميريات ، فأوقع به في مدینته بنهر أبي الخصيب .

وكانت الحرب بينه وبينهم من أول النهار إلى آخر وقت الظهر ، واستأمن إليه قائد من قواد الخبيث المضمومين كانوا إلى سليمان بن جامع ، يقال له: منتـاب ، ومعه جماعة من أصحابه ؛ فكان ذلك مما كسر الخبيث وأصحابه ، وانصرف أبو العباس بالظَّفر ، وخلع على منتـاب ووصله وحمله ، ولما لقيَ أبو العباس أباه

أعلمـه خـبر مـتـاب ، وذـكـر لـه خـروـجـه إـلـيـه بـالـأـمـان ، فـأـمـرـ أـبـو أـحـمـد لـمـتـاب بـخـلـعـةـ وـصـلـةـ وـحـمـلـانـ ، وـكـانـ مـتـابـ أـوـلـ مـنـ اـسـتـأـمـنـ مـنـ قـوـادـ الرـَّنـجـ .

عن أيديهم ، حتى ما يقع طرف ناظر من الشَّدَّا على موضع إِلَّا رأى فيه سهماً أو حبراً ، وثبت أبو العباس ، فرأى الخائن وأشياعه من جدّهم واجتهادهم وصَبْرُهم ما لا عهد لهم بمثله من أحد حاربهم .

فأمر أبو أحمد أبا العباس ومن معه بالرجوع إلى موافقهم ليروّحوا عن أنفسهم ويداوا جراحهم ، ففعلوا ذلك .

واستأمن إلى أبي أحمد في تلك الحال مقاتلان من مقاتلة السميريات ، فأتوه بسميريتهم وما فيها من الآلات والملائين ، فأمر للمقاتلين بخلع ديبياج ومناطق محلّاة ، ووصلهم ، وأمر للملائين بخلع لخلع الحرير الأحمر والثياب البيض بما حسن موقعه منهم وعمهم جميعاً بصلاته ، وأمر بإذنائهم من الموضع الذي يراهم فيه نظارؤهم ؛ فكان ذلك من أبغض المكاييد التي كيد بها الفاسق ، فلما رأى الباقيون ما صار إليه أصحابهم من العفو عنهم والإحسان إليهم ، رغبوا في الأمان وتنافسوا فيه ، فابتدروه مسرعين نحوه ، راغبين فيما شرع لهم منه ، فصار إلى أبي أحمد في ذلك اليوم عدد من أصحاب السميريات ، فأمر فيهم بمثل ما أمر به في أصحابهم ، فلما رأى الخبيث ركون أصحاب السميريات إلى الأمان واغتنامهم له أمر بردّ من كان منهم في دجلة إلى نهر أبي الخصيب ، ووكل بفوهة النهر مَنْ يمنعهم من الخروج ، وأمر بإظهار شذواته ، وندب لهم بَهْبُوذ بن عبد الوهاب ، وهو من أشدّ حماته بأساً ، وأكثرهم عدداً وعدة ، فانتدب ببهوذ لذلك في أصحابه ، وكان ذلك في وقت إقبال المدّ وقوته ، وقد تفرقت شذوات أبي أحمد ، ولحق أبو حمزة فيما منها بشرقي دجلة ، فأقام هنالك وهو يرى أن الحرب قد انقضت واستغنى عنه .

فلما ظهر بَهْبُوذ فيما معه من الشَّذَّوَات أمر أبو أحمد بتقديم شذواته ، وأمر أبا العباس بالحمل على بَهْبُوذ بما معه من الشَّدَّا ، وتقديم إلى قُواهه وغلمانه بالحمل معه ؛ وكان الذي صَلَّى بالحرب من الشَّذَّوَات التي مع أبي العباس وزيره من الشَّذَّوَات التي رتب فيها قواد الغلمان اثنتي عشرة شذوة ، فنشبت الحرب ، وطمع أصحاب الفاسق في أبي العباس وأصحابه لقلة عدد شذواتهم ، فلما صُدِّموا انهزموا ووجه أبو العباس ومَنْ معه في طلب بَهْبُوذ ، فألجمُوه إلى فناء قصر الخبيث ، وأصابته طعنات ، وُجُرح بالسهام جراحات ، وأوْهنت أعضائه

بالحجارة ، وخلّى ما كان عليه مع أصحابه ، فأولجوه نهر أبي الخصيب وقد أشفي على الموت ، وقتل يومئذ ممن كان مع بهبود قائد من قواده ذو بأس ونجلة وتقدم في الحرب ، يقال له : عميرة ، وظفر أصحاب أبي العباس بشذأة من شذوات بهبود ، فقتل أهلها ، وغرقوا وأخذت الشذاء ، وصار أبو العباس ومن معه بشذواتهم بعد أن أتاهم أمر أبي أحمد بذلك ، وبإلحاق الشذاء بشرقي دجلة وصرف الجيش ، فلما رأى الفاسق جيش أبي أحمد منصرفًا أمر مَنْ كان انهزم في شذواته إلى نهر أبي الخصيب بالظهور ليسكن بذلك روعة أصحابه ، ولن يكون صرفه إياهم إذا صرفهم عن غير هزيمة ، فأمر أبو أحمد جماعة من غلمانه بأن يثبتوا صدور شذواتهم إليهم؛ ويقصدوهم فلما رأوا ذلك ولّوا منهزمين مذعورين وتأخرت عنهم شذاء من شذواتهم ، فاستأمن أهلها إلى أبي أحمد ، ونكسوا على أبيض كان معهم ، فصاروا إليه في شذاتهم فأمنوا وحُبوا ووصلوا وكُسوا ، فأمر الفاسق عند ذلك برد شذواتهم إلى النهر ومنعها من الخروج ، وكان ذلك في آخر النهار ، وأمر أبو أحمد أصحابه بالرجوع إلى معسكرهم بنهر المبارك .

واستأمن إلى أبي أحمد في هذا اليوم عند منصرفه خلق كثير من الرُّنج وغيرهم ، فقبلهم ، وحملهم في الشذاء والسميريات ، وأمر أن يخلع عليهم ويوصلوا ويُحبوا ، وتكتب أسماؤهم في المضمومين إلى أبي العباس .

وسار أبو أحمد ، فوافى عسكره بعد العشاء الأخيرة ، فأقام به يوم الجمعة والسبت والأحد ، ثم عزم على نقل عسكره إلى حيث يقرب منه عليه القصد لحرب الخبيث ، فركب الشذاء في يوم الإثنين لست ليال بقين من رجب سنة سبع وستين ومئتين ، ومعه أبو العباس والقواد من مواليه وغلمانه ، فيهم زيرك ونصير حتى وافق النهر المعروف بنهر جطّي في شرق دجلة ، وهو حيال النهر المعروف باليهودي ، فوقف عليه ، وقدر فيه ما أراد وانصرف ، وخلف به أبو العباس وزيرك ونصيرًا ، وعاد إلى معسكره ، فأمر فنودي في الناس بالرحيل إلى الموضع الذي اختار من نهر جطّي ، وتقدم في قود الدواب بعد أن أصلحت لها الطرق ، وعقدت القناطر على الأنهار ، وغدا في يوم الثلاثاء لخمس بقين من رجب في جميع عساكره حتى نزل نهر جطّي ، فأقام به إلى يوم السبت لأربع عشرة ليلة خلت من شعبان سنة سبع وستين ومئتين ، ولم يحارب في شيء من هذه الأيام ، وركب

في هذا اليوم في الخيل والرجال، ومعه جميع الفرسان، وجعل الرجال والمطوعة في السفن والسميريات، على كل رجل منهم لأمهه وزيه، وسار حتى وافى الفرات، ووازى عسكر الفاسق وأبو أحمد من أصحابه وأتباعه في زهاء خمسين ألف رجل أو يزيدون، والفاسق يومئذ في زهاء ثلثمائة ألف إنسان، كلهم يقاتل أو يدافع؛ فمن ضارب بسيف، وطاعن برمح، ورام بقوس، وقادف بمقلاع، ورام بعرادة أو منجنيق؛ وأضعفهم أمر الرماة بالحجارة عن أيديهم وهم النظارة المكثرون السود، والمعتلون بالنعير^(١) والصياح، والنساء يشركنهم في ذلك.

فأقام أبو أحمد في هذا اليوم بإزاء عسكر الفاسق إلى أن أضحي، وأمر فنودي أن الأمان ميسوط للناس؛ أسودهم وأحرمهم إلا الخبيث، وأمر بسهام فعلقت فيها رقاع مكتوب فيها من الأمان مثل الذي نودي به، ووعد الناس فيها الإحسان ورمى بها إلى عسكر الخبيث، فماتت إليه قلوب أصحاب المارق بالرّهبة والطمع فيما وعدهم من إحسانه وغفوته؛ فأتاه في ذلك اليوم جمّع كثير يحملهم الشّدا إليه، فوصلهم وحباهم، ثم انصرف إلى معسكره بنهر جطّي، ولم يكن في هذا اليوم حرب.

وقدم عليه قائدان من مواليه، أحدهما بكتمر والآخر جعفر بن بغلاغز، في جمع من أصحابهما فكان ورودهما زائداً في قوّة منْ مع أبي أحمد.

ورحل أبو أحمد عن نهر جطّي إلى معسكر قد كان تقدم في إصلاحه، وعقد القناطر على أنهاره، وقطع النهر ليوسّعه بفرات البصرة بإزاء مدينة الفاسق؛ فكان نزوله هذا المعسكر في يوم الأحد للنصف من شعبان سنة سبع وستين ومئتين، وأوطن هذا المعسكر، وأقام به، ورتب قواده، ورؤساء أصحابه مراتبهم فيه، فجعل نصيراً صاحب الشّدا والسميريات في جيشه في أول العسكر وآخره بالموقع الموازي النهر المعروف بجُوى كور، وجعل زيرك التركي صاحب مقدمة أبي العباس في أصحابه موازياً ما بين نهر أبي الخصيب وهو النهر الموسوم بنهر الأتراء والنهر المعروف بالمغيرة، ثم تلاه عليّ بن جهشيار حاجبه في جيشه.

وكانت مضاربُ أبي أحمد وابنيه حيالَ الموضع المعروف بدِير جايل، وأنزل

(١) التّعير: الصّراخ والصّياح في حربٍ، أو شرّ.

راشدًا مولاً في مواليه وغلمانه الأتراك والخزر والروم والديالمة والطبرية والمغاربة والزنج على النهر المعروف بهطمة ، وجعل صاعد بن مخلد وزيره في جيشه من الموالى والغلمان فُويق عسکر راشد ، وأنزل مسروراً البلخي في جيشه على النهر المعروف بستادان ، وأنزل الفضل ومحمدًا ، ابني موسى بن بُغا في جيشهما على النهر المعروف بهالة ، وتلاهما موسى الجويه في جيشه وأصحابه وجعل بُغراج التركي على ساقته نازلاً على نهر جطى ، وأوطنه ، وأقاموا به ، ورأى أبو أحمد من حال الخبيث وحصانة موضعه وكثرة جمعه ما علم أنه لابد له من الصبر عليه ومحاصرته وتفرق أصحابه عنه؛ ببذل الأمان لهم ، والإحسان إلى من أناب منهم ، والغلظة على من أقام على غيره منهم ، واحتاج إلى الاستكثار من الشَّدَا وما يحارب به في الماء .

فأمر بإنفاذ الرِّسل في حمل المِير في البر والبحر ، وإدارتها إلى معسكته بالمدينة التي سماها الموقفية ، وكتب إلى عماله في التواحي في حمل الأموال إلى بيت ماله في هذه المدينة ، وأنفذ رسولًا إلى سيراف وجتابا في بناء الشَّدَا والاستكثار منها لما احتاج إليه من ترتيبها في المواقع التي يقطع بها المِير عن الخائن وأشياعه ، وأمر بالكتاب إلى عماله في التواحي بإنفاذ كل من يصلح للإثبات في الديوان ، ويرغب في ذلك ، وأقام يتظر شهراً أو نحوه؛ فوردت المِير متتابعة يتلو بعضها بعضاً ، وجهز التجار صنوف التجارات والأمتعة وحملوها إلى المدينة الموقفية واتخذت بها الأسواق ، وكثير بها التجار والمتجهرون من كل بلد ، ووردت بها مراكب البحر؛ وقد كانت انقطعت لقطع الفاسق وأصحابه قبل ذلك بأكثر من عشر سنين ، وبنى أبو أحمد مسجد الجامع ، وأمر الناس بالصلة فيه ، واتَّخذ دور الضرب ، فضرب فيها الدنانير والدرارهم ، فجمعت مدينة أبي أحمد جميع المرافق ، وسيق إليها صنوف المنافع حتى كان ساكنوها لا يفقدون بها شيئاً مما يوجد في الأمسكار العظيمة القديمة ، وحملت الأموال ، وأدرَّ للناس العطاء في أوقاته ، فاتسعوا وحسنوا أحوالهم ، ورحب الناس جميعاً في المصير إلى المدينة الموقفية والمقام فيها .

وكان الخبيث بعد ليلتين من نزول أبي أحمد مدنته الموقفية أمر بهبود بن عبد الوهاب ، فعبر والناس غازون في سُميريات إلى طرف عسکر أبي حمزة

فأوقع به ، وقتل جماعة من أصحابه ، وأسر جماعة ، وأحرق كوهات كانت لهم قبل أن يبني الناس هنالك ، فأمر أبو أحمد نصيراً عند ذلك بجمع أصحابه ، وألا يطلق لأحد مفارقة عسكره ، وأن يحرس أقطار عسكره بالشدا والسميريات والزّواريق فيها الرجال إلى آخر میان رُوذان والقندل وأبرسان ، للإيقاع بمن هنالك من أصحاب الفاسق .

وكان بمبان رودزان من قواده أيضاً إبراهيم بن جعفر الهمданی في أربعة آلاف من الزَّنج ، ومحمد بن أبان المعروف بأبي الحسن أخو عليّ بن أبان بالقندل في ثلاثة آلاف ، والمعروف بالدور في أبرسان في ألف وخمسينه من الزَّنج والجئتين ، فبدأ أبو العباس بالهمدانی فأوقع به ، وجرت بينهما حروب ، قُتل فيها خلق كثير من أصحاب الهمدانی ، وأسر منهم جماعة ، وأفلت الهمدانی في سُميرية قد كان أعدّها لنفسه ، فلحق فيها أخي المھلبي المکنی بأبي الحسن ، واحتوى أصحاب أبي العباس على ما كان في أيدي الزَّنج وحملوه إلى عسكراهم .

وقد كان أبو أحمد تقدم إلى ابنه أبي العباس في بذل الأمان لمن رغب فيه ، وأن يضمن لمن صار إليه الإحسان ، فصار إليه طائفة منهم في الأمان فآمنهم ، فصار بهم إلى أبيه ، فأمر لكل واحد منهم من الخلع والصلات على أقدارهم في أنفسهم ، وأن يوقفوا بإزاء نهر أبي الخصيب ليعاينهم أصحابهم . . . وأقام أبو أحمد يكايد الخائن ببذل الأمان لمن صار إليه من الزَّنج وغيرهم ، ومحاصرة الباقين والتضييق عليهم ، وقطع المیر والمนาفع عنهم؛ وكانت ميرة الأهواز وما يرد من صنوف التجارات منها ومن كورها ونواحي أعمالها يسلك به النهر المعروف ببيان ، فسرى بهبود في جلد رجاله ليلة من الليالي ، وقد نمى إليه خبر قیروان ورد بصنوف من التجارات والمیر وكمّن في التخل؛ فلما ورد القیروان خرج إلى أهله ، وهم غازون ، فقتل منهم وأسر ، وأخذ ما أحبّ أن يأخذ من الأموال .

وقد كان أبو أحمد أنفذ لبذرة ذلك القیروان رجالاً من أصحابه في جمع ، فلم يكن للموجه لذلك ببهبود طاقة ، لكثرة عدد مَنْ معه وضيق الموقع على الفرسان ، وأنه لم يكن بهم فيه غنا ، فلما انتهى ذلك إلى أبي أحمد ، غلظ عليه ما نال الناس في أموالهم وأنفسهم وتجارتهم ، وأمر بتعويضهم ، وأخلف عليهم

مثلَ الذي ذهب لهم ، ورتب الشذا على فوهة بيان وغيره من الأنهر التي لا يتهيأ للفرسان سلوكها في بنائها والإقبال بها إليه ، فورد عليه منها عددُ صالح ، فرتب فيها الرجال ، وقلد أمرها أبا العباس ابنه ، وأمره أن يوكل بكل موضع يرد إلى الفسقة منه ميرة ، فانحدر أبو العباس لذلك إلى فوهة البحر في الشذوات ، ورتب في جميع تلك المسالك القواد ، وأحکم الأمر فيه غایة الإحكام .

* * *

وفي شهر رمضان منها كانت وقعة بين كُنداح وإسحاق بن أيوب وعيسى بن الشيخ وأبي المغراة وحمدان الشاري ومن تأشبب إليهم من قبائل ربيعة وتغلب وبكر واليمن ، فهزّهم ابن كُنداح إلى نصبيين ، وتبّعهم إلى قريب من آمد ، واحتوى على أموالهم ، ونزلوا آمد ، فكانت بينه وبينهم وقعت .

* * *

[ذكر خبر مقتل صندل الزنجي]

وفي شهر رمضان منها قُتل صندل الزنجي ، وكان سبب قتله أن أصحاب الخبيث عَبَرُوا لليلتين خلتا من شهر رمضان من هذه السنة فيما ذكر - أعني سنة سبع وستين ومئتين - يريدون الإيقاع بعسكر نصير وعسكر زيرك ، فنذر بهم الناس ، فخرجوا إليهم ، فرددوه خائبين ، وظفروا بصندل هذا ، وكان - فيما ذكروا - يكشف وجوه الحرائر المسلمات ورؤوسهن ويقلبهن تقليب الإماماء ، فإن امتنعت منهن امرأة ضرب وجهها ودفعها إلى بعض علوج الزنج بيعها بأوكس الثمن ، فلما أتى به أبو أحمد ، أمر به فشّد بين يديه ، ثم رمي بالسهام ، ثم أمر به فقتل .

* * *

[ذكر خبر استئمان الزنج إلى أبي أحمد]

وفي شهر رمضان من هذه السنة استأمن إلى أبي أحمد خلق كثير من عند الزنج .

* ذكر سبب ذلك :

وكان السبب في ذلك أنه كان - فيما ذكر - استأمن إلى أبي أحمد رجلٌ من مذكورِي أصحاب الخبيث ورؤسائهم وشجعانهم ، يقال له: مهذب ، فحمل في

الشذا إلى أبي أحمد ، فأتى به في وقت إفطاره ، فأعلمه أنه جاء متنصحاً راغباً إلى الأمان ، وأن الزَّنج على العبور في ساعتهم تلك إلى عسكره للبيات ، وأن الذين ندب الفاسق لذلك أنجادهم وأبطالهم؛ فأمر أبو أحمد بتوجيهه من يحاربهم إليهم ومن يمنعهم من العبور وأن يعارضوا بالشذا ، فلما علم الزَّنج أن قد نذر بهم انصرفوا منهزمين ، فكثُر المستأمنة من الزَّنج وغيرهم وتتابعوا؛ فبلغ عدد من وافى عسكر أبي أحمد منهم إلى آخر شهر رمضان سنة سبع وستين ومئتين خمسة آلاف رجل من بين أبيض وأسود.

وفي شوال من هذه السنة ورد الخبر بدخول الخُجُستانِي نيسابور وانهزام عمرو بن الليث وأصحابه ، فأساء السيرة في أهلها ، وهدم دور آل معاذ بن سلم ، وضرب من قدر عليه منهم واقتطع ضياعهم ، وترك ذكر محمد بن طاهر ، ودعا له على منابر ما غالب عليه من مدن خراسان وللمنتصر ، وترك الدعاء لغيرهما .

* * *

[ذكر خبر الإيقاع بالزنج في هذا العام]

وفي شوال من هذه السنة كانت لأبي العباس وقعة بالزنج ، قُتل فيها منهم جمع كثير .

* ذكر سبب ذلك :

وكان السبب في ذلك - فيما بلغني - أنَّ الفاسق انتخب من كل قيادة من أصحابه أهل الجلد والباس منهم ، وأمر المهلبي بالعبور بهم ليبيت عسكر أبي أحمد ، ففعل ذلك ، وكانت عدّة منْ عبر من الزنج وغيرهم زهاء خمسة آلاف رجل أكثرهم من الزنج ، وفيهم نحو من مئتي قائد ، فعبرُوا إلى شرقِي دجلة ، وعزموا على أن يصير القواد منهم إلى آخر النخل مما يلي السَّبخة؛ فيكونوا في ظهر عسكر أبي أحمد ، ويعبر جماعة كثيرة منهم في الشذا والسميريات والمعابر قبلة عسكر أبي أحمد ، فإذا نشب الحرب بينهم انكبَّ منْ كان عبر من قواد الخبيث ، فصار إلى السَّبخة على عسكر أبي أحمد الموفق ، وهم غازون مشاغيل بحرب مَنْ بازائهم ، وقدر أن يتهدأ له في ذلك ما أحبه ،

فأقام الجيش في الفرات ليتألم ، ليغادوا الإيقاع بالعسكر . فاستأمن إلى أبي أحمد غلام كان معهم من الملائكة ، فأنهى إليه خبرهم وما اجتمعت عليه آراؤهم ، فأمر أبو أحمد أبا العباس والقواد والغلمان بالنهوض إليهم ؛ وقصد الناحية التي فيها أصحاب الخبيث ، وأنفذ جماعة من قواد غلمانه في الخيل إلى السبحة التي في مؤخر التخل بالغرات ، لقطعهم عن الخروج إليها ، وأمر أصحاب الشذا والسميريات ، فاعتربوا في دجلة ، وأمر الرجال بالزحف إليهم من التخل ، فلما رأى الفجّار ما أتاهم من التدبير الذي لم يحسبوه كروا راجعين في الطريق الذي أقبلوا منه طالبين التخلص ، فكان قصدهم لجوئه بارويه ، وانتهى خبر رجوعهم إلى الموفق ، فأمر أبا العباس وزيرك بالانحدار في الشذوذات يسبقونهم إلى النهر ؛ ليمعنوهم من عبوره . وأمر غلاماً من غلمانه ، يقال له : ثابت ، له قيادة جمْعٍ كثير من غلمانه السودان أن يحمل أصحابه في المعابر والزواريق وينحدر معهم إلى الموضع الذي فيه أعداء الله للإيقاع بهم حيث كانوا ، فأدركهم ثابت في أصحابه بجوئه بارويه ، فخرج إليهم فحاربهم محاربة طويلة ، وثبتوا له ، واستقبلوا جمعه وهو من أصحابه في رُهاء خمسة رجال ، لأنهم لم يكونوا تكاملوا وطمعوا فيه ، ثم صدقهم وأكبَّ عليهم ، فمنحه الله أكتافهم ؛ فمن مقتول وأسير وغريق وملجج في الماء بقدر اقتداره على السباحة التقطته الشذا والسميريات في دجلة والنهر ، فلم يفلت من ذلك الجيش إلا أقله ، وانصرف أبو العباس بالفتح ، ومعه ثابت وقد عُلقت الرؤوس في الشذوذات وصلب الأساري فيها ، فاعتربوا بهم مدینتهم ليرهبا بهم أشياعهم ؛ فلما رأوهم أبلسوا وأيقنوا بالبوار ، وأدخل الأساري والرؤوس إلى الموقعة ، وانتهى إلى أبي أحمد أن صاحب الزنج موء على أصحابه ، وأوهمهم أن الرؤوس المرفوعة مثل مثلك لهم ليرأعوا وأن الأساري من المستامة ، فأمر الموفق عند ذلك أبا العباس بجمع الرؤوس والمسير بها إلى إزاء قصر الفاسق والقذف بها في منجنيق منصوب في سفينة إلى عسكره ، ففعل أبو العباس ذلك ، فلما سقطت الرؤوس في مدینتهم ، عرف أولياء القتلى رؤوس أصحابهم ، فظهر بكاؤهم ، وتبيّن لهم كذب الفاجر وتمويله .

وفي شوال من هذه السنة كانت لأصحاب ابن أبي الساج وقعة بالهيسن العجلي ، قتلوا فيها مقدمته ، وغلبوا على عسكره فاحتوروه.

* * *

[ذكر خبر الواقعة مع الزنج بنهر ابن عمر]

وفي ذي القعدة منها كانت لزيرك وقعة مع جيش لصاحب الزنج بنهر ابن عمر ، قتل زيرك منهم فيها خلقاً كثيراً.

* ذكر الخبر عن سبب هذه الواقعة :

ذكر : أن صاحب الزنج كان أمر باتخاذ شذوات ، فعملت له ، فضمتها إلى ما كان يحارب به ، وقسم شذواته ثلاثة أقسام بين بهبود ونصر الرومي وأحمد بن الزرنجي ، وألزم كلّ واحد منهم غرّم ما يصنع على يديه منها ، وكانت زهاء خمسين شذة ، ورتب الرّماة وأصحاب الرماح ، واجتهدوا في إكمال عدّتهم وسلامتهم ، وأمرهم بالمسير في دجلة والعبور إلى الجانب الشرقي والتعرّض لحرب أصحاب الموفق ، وعدّة شذوات الموفق يومئذ قليلة ، لأنّه لم يكن وافاه كلّ ما كان أمر باتخاده ، وما كان عنده منها فمترافق في فوهة الأنهر التي يأتي الزنج منها المير ، فغفلظ أمر أعون الفاجر ، وتهيأ له أخذ شذة بعد شذة من شذا الموفق ، وأحجم نصير المعروف بأبي حمزة عن قتالهم والإقدام عليهم ، كما كان يفعل لقلة ما معه من الشذّا ، وأكثر شذوات الموفق يومئذ مع نصير ، وهو المتولّي لأمرها ، فارتاع لذلك أهلُ عسكر الموفق ، وخافوا أن يقدم على عسكرهم الزنج بما معهم من فضل الشذّا ، فورد عليهم في هذه الحال شذوات كان الموفق تقدّم في بنائها بجناباً ، فأمر أبا العباس بتلقيها فيما معه من الشذّا حتى يوردها العسكر ، إشفاقاً من اعتراض الزنج عليها في دجلة ، فسلمت وأتى بها حتى إذا وافت عسكر نصير ، فبصر بها الزنج طمعوا فيها ، فأمر الخبيث بإخراج شذواته ، وأمر أصحابه بمعارضتها والاجتهد في اقتطاعها ، فنهضوا لذلك ، فتسرع غلام من غلمان أبي العباس شجاع يقال له وصيف يعرف بالحجراء ، في شذوات كُنَّ معه ، فشدّ على الزنج فانكشفوا وتبعهم حتى وافى بهم نهر

أبي الخصيب ، وانقطع عن أصحابه ، فكروا عليه شذواطهم ، وانتهى إلى مضيق ، فعلقت مجاديف بعض شذواطه بمجاديف بعض شذواطهم ، فجنت وتنقصفت بالشط ، وأحاط به الآخرون واكتنفوه من جوانبه ، وانحدر عليه الزنج من السور ، فحاربهم بمَنْ كان معه حرباً شديداً حتى قتلوا.

وأخذ الزنج شذواطهم ، فأدخلوها نهر أبي الخصيب ، ووافى أبو العباس بالشذواط الجتابية سالمة بما فيها من السلاح والرجال ، فأمر أبو أحمد أبا العباس بتقلد أمر الشذواط كلها والمحاربة بها ، وقطع مواد المير عنهم من كل جهة ، ففعل ذلك ، فأصلحت الشذواط ، ورتب فيها المختارون من الناشبة والرامحة؛ حتى إذا أحكم أمرها أجمع ، ورتبها في المواقع التي كانت تقصد إليها شذواط الخبيث ، وتعيث فيها ، أقبلت شذواطه على عادتها التي كانت قد جرت عليها ، فخرج إليهم أبو العباس في شذواطه ، وأمر سائر أصحاب الشذَا أن يحملوا بحملته ، ففعلوا ذلك وخالطوهم ، وظفقو يرشقونهم بالسهام ، ويطعنونهم بالرماح ، ويقذفونهم بالحجارة؛ وضرب الله وجوههم ، فولوا منهزمين ، وتبعهم أبو العباس وأصحابه حتى أولجوا نهر أبي الخصيب ، وغرق لهم ثلاثة شذواط ، وظفر بشذتين من شذواطهم بما فيها من المقاتلة والملائين . فأمر أبو العباس بضرب أعناق مَنْ ظفر به منهم .

فلما رأى الخبيث ما نزل بأصحابه ، امتنع من إخراج الشذَا عن فناء قصره ، ومنع أصحابه أن يجاوزوا بها الشط إلا في الأوقات التي يخلو دجلة فيها من شذواط الموفق .

فلما أوقع بهم أبو العباس هذه الوعقة اشتَدَّ جزعُهم ، وطلب وجوه أصحاب الخبيث الأمان فأوْمِنوا ، فكان من استأنَّ من وجوههم - فيما ذكر - محمد بن الحارت العمي ، وكان إليه حفظ عسكر منكى والسور الذي يلي عسكر الموفق ، وكان خروجه ليلاً مع عدَّة من أصحابه ، فوصله الموفق بصلات كثيرة ، وخلع عليه ، وحمله على عدَّة دوابٍ بخليتها وألتها ، وأسنى له الرِّزق ، وكان محمد بن الحارت حاول إخراج زوجته معه ، وهي إحدى بنات عمِّه ، فعجزت المرأة عن اللحاق به ، فأخذها الزنج فردوها إلى الخبيث ، فحبسها مدة ، ثم أمر بإخراجها والنداء عليها في السوق ، فبيعت؛ ومنهم أحمد المعروف بالبرذعي .

وكان - فيما قيل - من أشجع رجال الخبيث الذين كانوا في حيّز المهلبيّ ومن قواده الزنج مدبّد وابن أنكلوويه ومنيّة ، فخلع عليهم جميعاً ، ووصلوا بصلات كثيرة ، وحملوا على الخيل ، وأحسن إلى جميع من جاؤوا به معهم من أصحابهم ، وانقطعت عن الخبيث موادّ الميرة ، وسُدّت عليه وعلى من أقام معه المذاهب ، وأمر شيلا وأبا النداء - وهما من رؤساء قواده وقدماء أصحابه الذين كان يعتمد عليهم ويثق بمناصحتهم - بالخروج في عشرة آلاف من الرّنج وغيرهم ، والقصد لنهر الدير ونهر المرأة ونهر أبي الأسد ، والخروج من هذه الأنهر إلى البطيحة للغارة على المسلمين ، وأخذوا ما وجدوا من طعام وميرة ليقطع عن عسكر الموفق ما يرده من الميرة وغيرها من مدينة السلام وواسط ونواحيها .

فندب الموفق لقصدتهم حين انتهى إليه خبر مسيرهم مولاه زيرك صاحب مقدمة أبي العباس ، وأمره بالنهوض في أصحابه إليهم ، وضمّ إليه من اختار من الرجال ، فمضى في الشَّذَّوات والسميريات ، وحمل الرجال في الزواريق والسفن الخفاف شيئاً ، حتى صار إلى نهر الدير ، فلم يعرف لهم هنالك خبراً ، فصار منه إلى بُقْ شِيرين ، ثم سلك في نهر عدي حتّى خرج إلى نهر ابن عمر ، فالتقى به جيش الرّنج في جمع راعته كثرته ، فاستخار الله في مجاهدتهم ، وحمل عليهم في ذوي البصائر والثبات من أصحابه ، فقذف الله الرعب في قلوبهم ، فانقضوا ، ووضع فيهم السلاح ، فقتل منهم مقتلةً عظيمة ، وغرق منهم مثل ذلك ، وأسر خلقاً كثيراً ، وأخذ من سفنهم ما أمكنه أخذه ، وغرق منها ما أمكن تغريقه؛ فكان ما أخذ من سفنهم نحواً من أربعين سفينة ، وأقبل بمن معه من الأسرى وبالرؤوس إلى عسكر الموفق .

* * *

[خبر عبور الموفق إلى مدينة صاحب الزنج لحربه]

وفي ذي الحجة لست بقين منه عبر الموفق بنفسه إلى مدينة الفاسق وجيشه لحربه .

* ذكر السبب الذي من أجله كان عبوره إليها :

وكان السبب في ذلك - فيما ذكر - أنَّ الرؤساء من أصحاب الفاسق ، لما رأوا

ما قد حلّ بهم من البلاء مِنْ قُتْلَ مَنْ يُظْهِرُهُمْ وشَدَّدَ الْحَصَارَ عَلَى مَنْ لَزَمَ الْمَدِينَة؛ فَلَمْ يُظْهِرُهُمْ أَحَدٌ، وَحَالَ مَنْ خَرَجَ مِنْهُمْ بِالْأَمَانِ مِنَ الْإِحْسَانِ إِلَيْهِ، وَالصَّفَحِ عَنْ جُرْمِهِ، مَالُوا إِلَى الْأَمَانِ، وَجَعَلُوا يَهْرِبُونَ فِي كُلِّ وَجْهٍ، وَيَخْرُجُونَ إِلَى أَبْيَ أَحْمَدَ فِي الْأَمَانِ كُلُّمَا وَجَدُوا إِلَيْهِ السَّبِيلَ.

فَمِلِئَ الْخَبِيثَ مِنْ ذَلِكَ رُعْبًاً، وَأَيْقَنَ الْهَلاَكَ، فَوَكَّلَ بِكُلِّ نَاحِيَةٍ كَانَ يَرَى أَنَّ فِيهَا طَرِيقًا لِلْهَرَبِ مِنْ عَسْكَرِهِ أَحْرَاسًا وَحَفَظَةً، وَأَمْرَهُمْ بِضَبْطِ تِلْكَ النَّوَاحِي، وَوَكَّلَ بِفُوْهَةِ الْأَنْهَارِ مَنْ يُمْنِعُ السُّفَنَ مِنَ الْخُرُوجِ مِنْهَا، وَاجْتَهَدَ فِي سَدِّ كُلِّ مَسْلِكٍ وَطَرِيقٍ وَثَلَمَةً؛ لَئِلَا يَطْمَعُ فِي الْخُرُوجِ عَنْ مَدِينَتِهِ.

وَأَرْسَلَ جَمَاعَةً مِنْ قُوَّادِ الْفَاجِرِ صَاحِبِ الزَّنجِ إِلَى الْمُوْفَقِ يَسْأَلُونَهُ الْأَمَانَ، وَأَنْ يَوْجِهِ لِمُحَارَبَةِ الْخَبِيثِ جِيشًا لِيَجْدُوا إِلَى الْمَصِيرِ إِلَيْهِ سَبِيلًا، فَأَمَرَ الْمُوْفَقَ أَبَا الْعَبَّاسِ بِالْمَصِيرِ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ إِلَى الْمَوْضِعِ الْمَعْرُوفِ بِنَهْرِ الْغَرْبِيِّ، وَعَلَيَّ بْنَ أَبْيَانَ حِينَئِذٍ يَحْوِطُ ذَلِكَ النَّهَرَ؛ فَنَهَضَ أَبَا الْعَبَّاسِ فِي الْمُخْتَارِينَ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَمَعْهُ الشَّدَّا وَالسُّمِيرَيَّاتِ وَالْمَعَابِرِ، فَقَصَدَ النَّهَرَ الْغَرْبِيَّ، وَانْتَدَبَ الْمَهْلِبِيُّ وَأَصْحَابِهِ لِحَرْبِهِ، فَاسْتَعْرَتِ الْحَرْبُ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ، وَعَلَا أَصْحَابُ أَبِي الْعَبَّاسِ، وَقَهَرُ الزَّنجَ، وَأَمْدَدَ الْفَاسِقَ الْمَهْلِبِيَّ بِسَلِيمَانَ بْنَ جَامِعٍ فِي جَمَعٍ مِنْ الزَّنجِ كَثِيرٍ، وَاتَّصَلَتِ الْحَرْبُ يَوْمَئِذٍ مِنْ أَوْلَى النَّهَارِ إِلَى وَقْتِ الْعَصْرِ؛ وَكَانَ الظَّفَرُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لِأَبِي الْعَبَّاسِ وَأَصْحَابِهِ، وَصَارَ إِلَيْهِ الْقَوْمُ الَّذِينَ كَانُوا طَلَبُوا الْأَمَانَ مِنْ قُوَّادِ الْخَبِيثِ، وَمَعْهُمْ جَمْعٌ كَثِيرٌ مِنَ الْفَرْسَانِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الزَّنجِ، فَأَمَرَ أَبَا الْعَبَّاسِ عَنْدَ ذَلِكَ أَصْحَابِهِ بِالرَّجُوعِ إِلَى الشَّدَّا وَالسُّفَنِ، وَانْصَرَفَ فَاجْتَازَ فِي مَنْصِرِهِ بِمَدِينَةِ الْخَبِيثِ، حَتَّى انتَهَى إِلَى الْمَوْضِعِ الْمَعْرُوفِ بِنَهْرِ الْأَتْرَاكِ، فَرَأَى أَصْحَابِهِ مِنْ قَلَةِ عَدَدِ الزَّنجِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ مِنَ النَّهَرِ مَا طَمَعُوا لَهُ فِيمَنْ كَانَ هَنَاكَ، فَقَصَدُوا نَحْوَهُمْ، وَقَدْ انْصَرَفَ أَكْثَرُ أَصْحَابِهِمْ إِلَى الْمَدِينَةِ الْمَوْقِيَّةِ، فَقَرَبُوا إِلَى الْأَرْضِ، وَصَدِعُوا وَأَمْعَنُوا فِي دُخُولِ تِلْكَ الْمَسَالِكَ، وَعَلَتْ جَمَاعَةُهُمْ مِنْهُمُ السُّورُ، وَعَلَيْهِ فَرِيقٌ مِنَ الزَّنجِ وَأَشْيَاهُمْ، فَقَتَلُوا مَنْ أَصَابُوهُمْ هَنَالِكَ، وَنَذَرُ الْفَاسِقَ بِهِمْ، فَاجْتَمَعُوا لِحَرْبِهِمْ، وَأَنْجَدُ بَعْضُهُمْ بَعْضًاً.

فَلَمَّا رَأَى أَبِي الْعَبَّاسِ اجْتِمَاعَ الْخَبَائِرِ وَتَحَاشَدَهُمْ وَكَثْرَةُ مَنْ ثَابَ إِلَى ذَلِكَ

الموضع منهم ، مع قلة عدد مَنْ هنالك من أصحابه ، كرّ راجعاً إِلَيْهِمْ فيمَنْ كانَ مَعَهُ فِي الشَّدَّا ، وأُرسَلَ إِلَى الْمُوْفَقِ يَسْتَمِدُهُ ، فَوَافَاهُ لِمَعْوَنَتِهِ مَنْ خَفَّ لِذَلِكَ مِنَ الْغَلْمَانِ فِي الشَّدَّا وَالسَّمِيرَاتِ ، فَظَهَرُوا عَلَى الرَّزْنَجِ وَهَزَّمُوهُمْ ؛ وَقَدْ كَانَ سَلِيمَانُ بْنُ جَامِعٍ لِمَا رَأَى ظَهُورَ أَصْحَابِ أَبِي الْعَبَّاسِ عَلَى الرَّزْنَجِ ، وَغَلَ فِي النَّهَرِ مَصَاعِدًا فِي جَمْعِ كَثِيرٍ ؛ فَانْتَهَى إِلَى النَّهَرِ الْمُعْرُوفِ بِعِدَّةِ اللَّهِ ، وَاسْتَدَبَرَ أَصْحَابِ أَبِي الْعَبَّاسِ وَهُمْ فِي حَرِبِهِمْ ، مَقْبِلِينَ عَلَى مَنْ بِإِيَازِهِمْ مَمْنُ يَحْارِبُهُمْ ، فَيَمْعِنُونَ فِي طَلْبِ مَنْ انْهَمَ عَنْهُمْ مِنَ الرَّزْنَجِ ، فَخَرَجُوا عَلَيْهِمْ مِنْ وَرَائِهِمْ ، وَخَفَقَتْ طَبُولَهُ ، فَانْكَشَفَ أَصْحَابُ أَبِي الْعَبَّاسِ ، وَرَجَعُوا عَلَيْهِمْ مَنْ كَانَ انْهَمَ عَنْهُمْ مِنَ الرَّزْنَجِ ، فَأَصْبَيْتَ جَمَاعَةَ مِنْ غَلْمَانِ الْمُوْفَقِ وَغَيْرِهِمْ مِنْ جُنْدِهِ ، وَصَارَ فِي أَيْدِيِ الرَّزْنَجِ عَدَّةُ أَعْلَامٍ وَمَطَارِدٍ ، وَحَامَى أَبُو الْعَبَّاسُ عَنِ الْبَاقِينَ مِنَ أَصْحَابِهِ ، فَسَلَمَ أَكْثُرُهُمْ ، فَانْصَرَفَ بِهِمْ ؛ فَأَطْمَعَتْ هَذِهِ الْوَقْعَةُ الرَّزْنَجَ وَتَبَاعِهِمْ ، وَشَدَّتْ قُلُوبُهُمْ ، فَأَجْمَعُ الْمُوْفَقَ عَلَى الْعَبُورِ بِجِيشِهِ أَجْمَعَ لِمُحَارَبَةِ الْخَبِيثِ ، وَأَمْرَ أَبُو الْعَبَّاسِ وَسَائِرِ الْقَوَادِ وَالْغَلْمَانِ بِالْتَّأْهِبِ لِلْعَبُورِ ، وَأَمْرَ بِجَمْعِ السُّفُنِ وَالْمَعَابِرِ وَتَفْرِيقِهَا عَلَيْهِمْ ، وَوَقَفَ عَلَى يَوْمِ بَعْيَنِهِ أَرَادَ الْعَبُورَ فِيهِ ، فَعَصَفَتْ رِيَاحٌ مَنْعَتْ مِنْ ذَلِكَ ، وَاتَّصلَ عَصْوَفَهَا أَيَّامًا كَثِيرَةً ؛ فَأَمْهَلَ الْمُوْفَقَ حَتَّى انْقَضَى هَبُوبُ تِلْكَ الْرِّيَاحِ ، ثُمَّ أَخْذَ فِي الْاسْتِعْدَادِ لِلْعَبُورِ وَمَنَاجِزَةِ الْفَاجِرِ .

فَلَمَّا تَهَيَّأَ لِهِ مَا أَرَادَ مِنْ ذَلِكَ عَبَرَ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءَ لِسْتَ لِيَالِي بَقِينَ مِنْ ذِي الْحِجَةِ مِنْ سَنَةِ سَبْعٍ وَسَتِينَ وَمَئِيْنَ فِي أَكْثَرِ جَمْعٍ وَأَكْمَلِ عَدَّةٍ ، وَأَمْرَ بِحَمْلِ خَيْلٍ كَثِيرَةٍ فِي السُّفُنِ ، وَتَقَدَّمَ إِلَى أَبِي الْعَبَّاسِ فِي الْمَسِيرِ فِي الْخَيْلِ وَمَعَهُ جَمِيعُ قَوَادِهِ الْفَرَسَانُ وَرَجَالُهُمْ ، لِيَأْتِيَ الْفَجْرَةُ مِنْ وَرَائِهِمْ مِنْ مَؤْخَرِ النَّهَرِ الْمُعْرُوفِ بِمَنْكِيِّ ، وَأَمْرَ مَسْرُورًا الْبَلْخِيَّ مَوْلَاهُ بِالْقَصْدِ إِلَى نَهَرِ الْغَرْبِيِّ لِيُضْطَرِّ الْخَبِيثُ بِذَلِكَ إِلَى تَفْرِيقِ أَصْحَابِهِ ، وَتَقَدَّمَ إِلَى نَصِيرِ الْمُعْرُوفِ بِأَبِي حَمْزَةَ وَرَشِيقِ غَلامِ أَبِي الْعَبَّاسِ وَهُوَ مِنْ أَصْحَابِهِ - وَشَذُواهُ فِي مَثْلِ الْعَدَّةِ الَّتِي فِيهَا نَصِيرٌ - بِالْقَصْدِ لِفَوْهَةِ نَهَرِ أَبِي الْخَصِيبِ وَالْمُحَارَبَةِ لِمَا يَظْهَرُ مِنْ شَذُواهُتِ الْخَبِيثِ ، وَقَدْ كَانَ اسْتَكْثَرُ مِنْهَا ، وَأَعْدَّ فِيهَا الْمَقَاتِلَةَ وَانْتِخَابَهُمْ ، وَقَصَدَ أَبُو أَحْمَدَ بِجَمِيعِ مَنْ مَعَهُ لِرَكِنٍ مِنْ أَرْكَانِ مَدِينَةِ الْخَبِيثِ قَدْ كَانَ حَصْنَهُ بَابَهُ الْمُعْرُوفُ بِأَنْكَلَابِيِّ ، وَكَنْفَهُ بَعْلَيِّ بْنِ أَبَانِ وَسَلِيمَانَ بْنِ جَامِعٍ وَإِبْرَاهِيمَ بْنِ جَعْفَرِ الْهَمَدَانِيِّ وَحَفَّهُ بِالْمَجَانِقِ وَالْعَرَادَاتِ

والقسيّ الناكية ، وأعدّ فيه الناشبة وجمع فيه أكثر جيشه .

فلما التقى الجمعان أمر الموفق غلمانه : الناشبة والرامحة والسودان ، بالدنة من الركن الذي فيه جمع الفسقة ، وبينه وبينهم النهر المعروف بنهر الأتراك ؛ وهو نهر عريض غزير الماء ، فلما انتهوا إليه أحجموا عنه ، فصيغ بهم ، وحضرّوا على العبور فعبروا سباحة ، والفسقة يرموهم بالمجانق والعزادات والمقاليع والحجارة عن الأيدي ، وبالسهام عن القسيّ الناكية ، وقسيّ الرجل وصنوف الآلات التي يرمي عنها ؛ فصبروا على جميع ذلك حتى جاوزوا النهر ، وانتهوا إلى السور ، ولم يكن لحقهم من الفعلة من كان أعدّ لهدمه ، فتوّل الغلمان تشعيث السور بما كان معهم من سلاحهم ويشرّ الله ذلك ، وسهلوا لأنفسهم السبيل إلى علوه ، وحضرهم بعض السلاطين التي كانت أعدّت لذلك ، فعلوا الركن ، ونصبوا هنالك علماً من أعلام الموفق ، وأسلم الفسقة سورهم ، وخلوّا عنه بعد أن حوربوا عليه أشدّ حرب ، وقتل من الفريقين خلقٌ كثير ، وأصيب غلامٌ من غلمان الموفق يقال له : ثابت بسهم في بطنه فمات ، وكان من قواد الغلمان وجّلتهم .

ولما تمكّن أصحاب الموفق من سُور الفسقة ، أحرقوا ما كان عليه من مِنجلنيق وعَرَاده وقوس ناوكيّة ، وخلوّا عن تلك الناحية وأسلموها ، وقد كان أبو العباس قد بأصحابه في الخيل النهر المعروف بمنكى ، فمضى عليّ بن أبيان المهليّ في أصحابه ، فاصداً لمعارضته ودفعه عمّا صدر له ، والتقيا ، فظهر أبو العباس عليه وهزمه ، وقتل جمّعاً كثيراً من أصحابه ، وأفلت المهليّ راجعاً ، وانتهى أبو العباس إلى الموضع الذي قدر أن يصل منه إلى مدينة الفاسق من مؤخر نهر منكى ، وهو يرى أن المدخل من ذلك الموضع سهلٌ ، فدخل إلى الخندق فوجده عريضاً ممتنعاً ، فحمل أصحابه على أن يعبروه بخيولهم ، وعبره الرجال سباحة حتى وافوا السور ، فتلّموا فيه ثلماً أتسع لهم منه الدخول فدخلوا ، فلقي أوائلهم سليمان بن جامع ، وقد أقبل للمدافعة عن تلك الناحية لما انتهى إليه انهزم المهليّ عنها ، فحاربوه ، وكان أمام القوم عشرة من غلمان الموفق ، فدافعوا سليمان وأصحابه ؛ وهم خلقٌ كثير ، وكشفوهم مراراً كثيرة ، وحاموا عن سائر أصحابهم حتى رجعوا إلى مواضعهم .

وقال محمد بن حمّاد: لما غلب أصحاب الموفق على الموضع الذي كان الفاسق حرسه بابنه والمذكورين من أصحابه وقواده ، وشعّعوا من السور الذي أفضوا إليه ما أمكنهم تشعيثه ، وفاهم الذين كانوا أعدوا للهدم بمعاولهم وألاتهم ، فثلموا في السور عدّة ثلم ، وقد كان الموفق أعد لخندق الفسقة جسراً يُمَدُّ عليه ، فمُدّ عليه ، وعبر جمهور الناس ، فلما عاين الخبطة ذلك ، ارتابوا فانهزموا عن سور لهم ثان قد كانوا اعتصموا به ، ودخل أصحاب الموفق مدينة الخائن ، فولّي الفاجر وأشياعه منهزمين ، وأصحاب الموفق يتبعونهم ويقتلون منْ انتهوا إليه منهم؛ حتى انتهوا إلى النهر المعروف بابن سمعان ، وصارت دار ابن سمعان في أيدي أصحاب الموفق ، وأحرقوا ما كان فيها وهدموها ، ووقف الفجرة على نهر ابن سمعان وقوفاً طويلاً ، ودافعوا مدافعة شديدة ، وشدّ بعض غلمان الموفق على عليّ بن أبان المهلبي ، فأدبر عنه هارباً ، فقبض على مثراه ، فخلّى عن المثراه ، ونبذه إلى الغلام ، ونجا بعد أن أشفى الهلكة ، وحمل أصحاب الموفق على الزَّنج حملةً صادقةً ، فكشفوهم عن النهر المعروف بابن سمعان ، حتى وافوا بهم طرف ميدان الفاسق ، وانتهى إليه خبرُ هزيمة أصحابه ودخول أصحاب الموفق مدینته من أقطارها ، فركب في جمع من أصحابه ، فلتقاء أصحاب الموفق ، وهم يعرفونه في طرف ميدانه ، فحملوا عليه ، فتفرق عن أصحابه ومنْ كان معه وأفردوه ، وقرب منه بعض الرجال حتى ضرب وجه فرسه بترسه؛ وكان ذلك مع مغيب الشمس ، فأمر الموفق أصحابه بالرجوع إلى سفنهم ، فرجعوا سالمين ، قد حملوا من رؤوس الخباء شيئاً كثيراً ، ونالوا كلّ الذي أحبوه منهم من قتل وجراح وتحريق منازل وأسواق ، وقد كان استأمن إلى أبي العباس في أول النهار عدد من قواد الفاجر وفرسانه ، فاحتاج إلى التوقف على حملهم في السفن ، وأظلم الليل ، وهبّت ريح شمال عاصف ، وقوى الجزر ، فلصق أكثر السفن بالطين .

وحرّض الخبيث أشياعه واستنجدهم ، فبانت منهم جماعة ، وشدّوا على السفن المختلفة ، فنالوا منها نيلًا ، وقتلوا فيها نفراً ، وقد كان بهبود بإزار مسرور البلخي وأصحابه في هذا اليوم في نهر الغريبي ، فأوقع بهم ، وقتل جماعة منهم ، وأسر أسرى ، وصارت في يده دواب من دوابهم ، فكسر ذلك نشاط أصحاب

الموفق ، وقد كان الخبيث أخرج في هذا اليوم جميع شَذِّواه إلى دجلة محاربين فيها رشيقاً ، وضرب منها رشيق على عدّة شَذِّوات ، وغرق منها وحرق ، وانهزم الباقيون إلى نهر أبي الخصيب .

وذكر : أنه نزل في هذا اليوم بالفاسق وأصحابه ما دعاهم إلى التفرق والهرب على وجوههم نحو نهر الأمير والقندل وإبرسان وعتادان وسائر القرى ، وهرب يومئذ أخوا سليمان بن موسى الشعراي : محمد وعيسي ، فمضيا يؤمّن الbadية ، حتى انتهى إليهما رجوع أصحاب الموفق ، فرجعا ، وهرب جماعة من العرب الذين كانوا في عسكر الفاسق ، وصاروا إلى البصرة ، وبعثوا يطلبون الأمان من أبي أحمد ، فآمنهم ، ووجه إليهم السفن ، فحملهم إلى الموفقية ، وأمر أن يخلع عليهم ، ويوصلوا ويجرى عليهم الأرزاق والأنزال ، ففعل ذلك بهم .

وكان فيما رغب في الأمان من جلة قواد الفاجر ريحان بن صالح المغربي ، وكانت له رياضة وقيادة ، وكان يتولى حسبة ابن الخبيث المعروف بـأنكلاي ، فكتب ريحان يطلب الأمان لنفسه ولجماعة من أصحابه ، فأجيب إلى ذلك ، وأنفذ إليه عدد كثير من الشذا والسميريات والمعابر مع زيرك القائد صاحب مقدمة أبي العباس ، فسلك النهر المعروف بـاليهودي ؛ حتى وافى الموضع المعروف بالمطوعة ، فألفى به ريحان ومن معه من أصحابه ، وقد كان الموعده تقدم في موافاة ذلك الموضع زيرك ريحان ومن معه ، فوافى بهم دار الموفق ، فأمر ريحان بخلع ، وحمل على عدّة من أفراس بـالـتها ، وأجيز بـجائزـة سنـية ، وخلع على أصحابه ، وأجيزوا على أقدارهم ، وضمّ إلى أبي العباس ، وأمر بحمله وحمل أصحابه والمصير بهم إلى إزاء دار الخبيث ، فوقفوا هنالك في الشذا ، فعرفوا خروج ريحان وأصحابه في الأمان ، وما صاروا إليه من الإحسان ، فاستأمن في ساعتهم تلك من أصحاب ريحان الذين كانوا تخلفوا وغيرهم جماعة ، فألحقوـا في البر والإحسـان بـأصحابـهم ؛ وكان خروج ريحان بعد الـوقـعة التي كانت يوم الأربعـاء في يوم الأـحد لـليلـة بـقيـت من ذـي الحـجـة سـنة سـبع وـستـين وـمـئـتين .



وفي هذه السنة أقبل أحمد بن عبد الله **الخجستانـي** يريد العراق بـزـعمـه ؛ حتى

صار إلى سِمْنَان ، وتحصّن منه أهل الرَّيِّ وحصّنوا مدِينتَهم؛ ثُمَّ انصرف من سِمْنَان راجعاً إلى خُراسَان .

وفيها انصرف خلقٌ كثير من طريق مكة في البدأة لشدة الحرّ ، ومضى خلقٌ كثير ، فمات من مضى خلُقُّه كثير من شدة الحرّ ، وكثير منهم من العطش ، وذلك كله في البدأة ، وأوّقت فزارةً فيها بالتجار ، فأخذوا - فيما ذكر - منهم سبعمئة حمل بَرَّ .

وفيها اجتمع بالموسم عامل لأحمد بن طولون في خيله وعامل لعمرو بن الليث في خيله ، فنافع كلُّ واحدٍ منهما صاحبه في ركز علمه على يمين المنبر في مسجد إبراهيم خليل الرحمن ، وادعى كلُّ واحدٍ منهما أنَّ الولاية لصاحبِه ، وسلاماً السيف ، فخرج معظم الناس من المسجد ، وأuan موالي هارون بن محمد من الرَّأْيَنْ صاحب عمرو بن الليث ، فوقف حيث أراد ، وقصر هارون - وكان عامل مكة - الخطبة وسلم الناس ، وكان المعروف بأبي المغيرة المخزوبي حيئند بحرس في جمِيعه^(١) .

وفيها نُفي الطياع عن سامُوراً .

وفيها ضرب الخُجُستانِي لنفسه دنانير ودرّاهم وزن الدينار منها عشرة دوانيق ، وزن الدرهم ثمانية دوانيق ، عليه: «الْمُلْكُ وَالْقَدْرَةُ لِلَّهِ ، وَالْحُوْلُ وَالْقُوَّةُ بِاللَّهِ؛ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ» ، وعلى جانب منه: «الْمُعْتَمِدُ عَلَى اللَّهِ بِالْيَمِينِ ، وَالسَّعَادَةِ» ، وعلى الجانب الآخر: «الْوَافِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ» .

وحجَّ بالناس فيها هارون بن محمد بن إسحاق بن موسى بن عيسى الهاشمي^(٢) .

* * *

(١) انظر المنتظم (١٢/٢١٣) ذكر نحواً من هذا.

(٢) المصدر السابق نفسه.

ثم دخلت سنة ثمان وستين ومئتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

[ذكر خبر استئمان جعفر بن إبراهيم إلى أبي أحمد الموفق]^(١)

فمن ذلك ما كان من استئمان جعفر بن إبراهيم المعروف بالسجّان إلى أبي أحمد الموفق في يوم الثلاثاء في غرة المحرم منها ، وذكر أن السبب كان في ذلك الواقعة التي كانت لأبي أحمد في آخر ذي الحجة من سنة سبع وستين ومئتين التي ذكرناها قبل ، وهرب ريحان بن صالح المغربي من عسكر الفاجر وأصحابه ولحاقه بأبي أحمد ، فتخب قلب الخبيث لذلك؛ وذلك أن السجّان كان - فيما قيل - أحد ثقاته ، فأمر أبو أحمد للسجّان هذا بخلع وجوائز وصلات وحملان وأرزاق ، وأقيمت له أزال ، وضم إلى أبي العباس ، وأمره بحمله في الشذاء إلى إزاء قصر الفاسق؛ حتى رأه وأصحابه ، وكلّمهم السجّان ، وأخبرهم أنهم في غرور من الخبيث ، وأعلمهم ما قد وقف عليه من كذبه وفجوره؛ فاستأمن في هذا اليوم الذي حُمل فيه السجّان من عسكر الخبيث خلق كثير من قواده الرنجر وغيرهم ، وأحسن إليهم ، وتتابع الناس في طلب الأمان والخروج من عند الخبيث ، ثم أقام أبو أحمد بعد الواقعة التي ذكرت أنها كانت لليلة بقيت من ذي الحجة من سنة سبع وستين ومئتين ، لا يعبر إلى الخبيث لحرب ، يُجمّد بذلك أصحابه إلى شهر ربيع الآخر.

* * *

وفي هذه السنة صار عمرو بن الليث إلى فارس لحرب عامله محمد بن الليث عليها ، فهزمه عمرو ، واستباح عسكره ، وأفلت محمد بن الليث في نفر ، ودخل عمرو إصطخر ، فانته بها أصحابه ، ووجه عمرو في طلب محمد بن الليث فظير به ، وأتي به أسيراً ، ثم صار عمرو إلى شيراز فأقام بها^(٢).

وفي شهر ربيع الأول منها زلزلت بغداد لثمان خلون منه ، وكان بعد ذلك

(١) المصدر السابق (٢١٩/١٢).

(٢) انظر البداية والنهاية (٢٤٢/٨).

ثلاثة أيام مطر شديد ، ووَقَعَتْ بها أربع صواعق .

وفيها زحف العباس بن أحمد بن طولون لحرب أبيه ، فخرج إليه أبوه أحمد إلى الإسكندرية ، فظفَرَ به ورده إلى مصر فرجع معه إليها .

* * *

[ذكر خبر عبور الموفق إلى مدينة الزنج]^(١)

ولأربع عشرة ليلة بقيت من ربيع الآخر منها عبر أبو أحمد الموفق إلى مدينة الفاجر ، بعد أن أُوهَى قوته في مقامه بمدينة الموقمية ، بالتضييق عليه والحاصر ، ومنعه وصول المير إليه؛ حتى استأمن إليه خلق كثير من أصحابه؛ فلما أراد العبور إليها أمر - فيما ذكر - ابنه أبي العباس بالقصد للموضع الذي كان قصده من ركن مدينة الخبيث الذي يحوطه بابنه وجِلَّة أصحابه وقواده ، وقصد أبو أحمد موضعًا من السور فيما بين النهر المعروف بمنكى والنهر المعروف بابن سمعان ، وأمر صاعداً وزيره بالقصد لفوهة النهر المعروف بجري كور ، وتقدم إلى زيرك في مكافنته ، وأمر مسروراً البلخي بالقصد لنهر الغربي ، وضم إلى كل واحد منهم من الفعلة جماعة لهدم ما يليهم من السُّور ، وتقدم إلى جميعهم ألا يزيدوا على هدم السور ، وألا يدخلوا مدينة الخبيث . ووَكَلَ بكل ناحية من التواحي التي وجه إليها القواد شذوذات فيها الرَّماة ، وأمرهم أن يحموا بالسهام مَنْ يهدم السور من الفعلة والرجالات الذين يخرجون للمدافعة عنهم ، فُثُلم في السور ثلم كثيرة ، ودخل أصحابُ أبي أحمد مدينة الفاجر من جميع تلك الثلم ، وجاء أصحابُ الخبيث يحاربونهم ، فهزهم أصحابُ أبي أحمد ، واتبعوهم حتى وغلوا في طلبهم ، وانختلفت بهم طرق المدينة ، وفرقت بينهم السُّكك والفتحاج ، فانتهوا إلى أبعد من الموضع الذي كانوا وصلوا إليه في المرة التي قبلها ، وحرقوا وقتلوا .

(١) هذه تفاصيل انفرد الطبرى بذكرها ولم يذكر ابن الجوزى وابن كثير وغيرهما من الحفاظ كثيراً من هذه التفاصيل لأنهم اختصروا وانظر تعليقنا على نهاية الخبر ضمن أحداث سنة ٢٧٠ هـ .

ثم تراجع أصحاب الخبيث ، فشدّوا على أصحاب أبي أحمد ، وخرج كمناؤهم من نواحٍ يهتدون لها ولا يعرفها الآخرون ، فتحيرٌ مَنْ كان داخل المدينة من أصحاب أبي أحمد ، ودافعوا عن أنفسهم ، وتراجعوا نحو دجلة حتى وافاها أكثرُهم؛ فمنهم مَنْ دخل السفينة ، ومنهم مَنْ قذف نفسه في الماء ، فأخذه أصحاب الشَّدَا ، ومنهم مَنْ قتل ، وأصحاب أصحاب الخبيث أسلحةً وأسلاباً ، وثبت جماعة من غلمان أبي أحمد بحضور دار ابن سمعان ، ومعهم راشد وموسى بن أخت مفلح ، في جماعة من قُواد الغلمان كانوا آخر مَنْ ثبت من الناس ، ثم أحاط بهم الزَّنج وكثُرُوهُمْ ، وحالوا بينهم وبين الشَّدَا ، فدافعوا عن أنفسهم وأصحابهم ، حتى وصلوا إلى الشَّدَا فركبواها ، وأقام نحو من ثلاثين غلاماً من الديالمة في وجوه الرَّجُل وغيرهم ، يحمون الناس ، ويدفعون عنهم حتى سلِّموا ، وقتل الثلاثون من الديالمة عن آخرهم ، بعد ما نالوا من الفجَّار ما أحبوا ، وعظم على الناس ما نالهم في هذه الواقعة ، وانصرف أبو أحمد بمن معه إلى مدنته الموقية ، وأمر بجمعهم وعذلهم على ما كان منهم من مخالفته أمره ، والافيتات عليه في رأيه وتدبره ، وتوعدهم بأغليظ العقوبة إن عادوا لخلاف أمره بعد ذلك ، وأمر بإحصاء المفقودين من أصحابه فأحصوا له ، فأتى بأسمائهم ، وأقرَّ ما كان جاريًّا لهم على أولادهم ، وأهاليهم ، فحسن موقع ذلك منهم ، وزاد في صحة نياتهم لما رأوا من حيّاطته خلف مَنْ أصيب في طاعته .

* * *

[ذكر وقعة أبي العباس بمن كان يمد الزنج من الأعراب]

وفيها كانت لأبي العباس وقعة بقوم من الأعراب الذين كانوا يمرون الفاسق اجتاجهم فيها .

* ذكر الخبر عن السبب الذي كانت من أجله هذه الواقعة :

ذكر : أنَّ الفاسق لما خرب البصرة ولأَهْا رجالاً من قدماء أصحابه يقال له : أحمد بن موسى بن سعيد المعروف بالقلوص؛ فكان يتولى أمرها ، وصارت فرصة لل fasq يردها الأعراب والتجار ، ويأتونها بالمير وأنواع التجارات ، ويحمل ما يردها إلى عسكر الخبيث ، حتى فتح أبو أحمد طهيا ، وأسر

القلوص ، فولى الخبيث ابن أخت القلوص - يقال له مالك بن بشران - البصرة وما يليها ، فلما نزل أبو أحمد فرات البصرة خاف الفاجر إيقاع أبي أحمد بمالك هذا ، وهو يومئذ نازل سفيحان على نهر يعرف بنهر ابن عتبة ، فكتب إلى مالك يأمره بنقل عسكره إلى النهر المعروف بالديناري ، وأن ينفذ جماعة ممن معه لصيد السمك وإدرار حمله إلى عسكره ، وأن يوجه قوماً إلى الطريق التي يأتي منها الأعراب من الbadية ، ليعرف ورودَ مَن يرد منهم بالمير ، فإذا وردت رُفقة من الأعراب خرج إليها بأصحابه ، حتى يحمل ما تأتي به إلى الخبيث؛ ففعل ذلك مالك ابن أخت القلوص ، ووجه إلى البطيحة رجلين من أهل قرية بسمى ، يعرف أحدهما بالريان والآخر الخليل ، كانا مقيمين بعسكر الخبيث ، فنهض الخليل والريان وجمعوا جماعةً من أهل الطف ، وأتيا قرية بسمى ، فأقاما بها يحملان السمك من البطيحة أولاً إلى عسكر الخبيث في الزواريق الصغار التي تسلك بها الأنهر الضيقة والأرخبان التي لا تسلكها الشَّدَا والسميريات؛ فكانت مواد سمك البطيحة متصلة إلى عسكر الخبيث بمقام هذين الرجلين بحيث ذكرنا ، واتصلت أيضاً مير الأعراب وما كانوا يأتون به من الbadية ، فاتسع أهلُ عسكره ، ودام ذلك إلى أن استأمن إلى الموقف رجلٌ من أصحاب الفاجر الذين كانوا مضمومين إلى القلوص ، يقال له: عليّ بن عمر ، ويعرف بالنّقاب ، فأخبر بخبر مالك بن بشران ومقامه بالنهر المعروف بالديناري ، وما يصل إلى عسكر الخبيث بمقامه هناك من سمك البطيحة وجبل الأعراب ، فوجه الموقف زيرك مولاه في الشَّدَا والسميريات إلى الموضع الذي به ابن أخت القلوص ، فأوقع به وبأهل عسكره ، فقتل منهم فريقاً وأسر فريقاً ، وتفرق أهلُ ذلك العسكر ، وانصرف مالك إلى الخبيث مفلولاً ، فرده الخبيث في جمع إلى مؤخر النهر المعروف باليهودي؛ فعسكر هنالك بموضع قريب من النهر المعروف بالفياض ، فكانت المير تتصل بعسكر الخبيث مما يلي سبخة الفياض ، فانتهى خبر مالك ومقامه بمؤخر نهر اليهودي ، ووُقِعَ المير من تلك الناحية إلى عسكر الفاجر إلى الموقف ، فأمر ابنه أبي العباس بالمصير إلى نهر الأمير ، والنهر المعروف بالفياض لتعرف حقيقة ما انتهى إليه من ذلك؛ فنفذ الجيش ، فوافق جماعةً من الأعراب يرأسهم رجلٌ قد أورد من الbadية إبلًا وغنماً وطعاماً ، فأوقع بهم أبو العباس ، فقتل منهم جماعةً وأسر الباقين ، ولم يُفلت من القوم إلا رئيسهم؛ فإنه سبق على حجر كانت

تحته ، فأمّعن هرباً وأخذ كلَّ ما كان أولئك الأعراب أتوا به من الإبل والغنم والطعام ، وقطع أبو العباس يدَ أحد الأسرى وأطلقه ، فصار إلى معسكر الخبيث ، فأخبرهم بما نزل به ، فريع مالك بن أخت القلوص بما كان من إيقاع أبي العباس بهؤلاء الأعراب ، فاستأمن إلى أبي أحمد ، فأومن وحبي وكسىَ وضمَّ إلى أبي العباس ، وأجريت له الأرزاق ، وأقيمت له الأنزال ، وأقام الخبيث مقام مالك رجلاً كان من أصحاب القلوص ، ويقال له: أحمد بن الجنيد ، وأمره أن يعسكر بالموضع المعروف بالدهشير ومؤخر نهر أبي الخصيب ، وأن يصير في أصحابه إلى ما يقبل من سمك البَطِيحَة ، فيحمله إلى عسكر الخبيث ، وتأدى إلى أبي أحمد خبر أحمد بن الجنيد ، فوجّه قائدًا من قواد الموالي يقال له: الترمдан في جيش ، فعسكر بالجزيرة المعروفة بالرَّوحية ، فانقطع ما كان يأتي إلى عسكر الخبيث من سمك البَطِيحَة ، ووجّه الموفق شهاب بن العلاء ومحمد بن الحسن العنبريين في خيل لمنع الأعراب من حمل المِير إلى عسكر الخبيث ، وأمر بإطلاق السوق لهم بالبصرة ، وحمل ما يريدون امتيازه من التمر؛ إذ كان ذلك سبب مصيرهم إلى عسكر الخبيث ، فتقدّم شهاب ومحمد لما أمرا به ، فأقاما بالموضع المعروف بقصر عيسى؛ فكان الأعراب يوردون إليهما ما يجلبونه من البدية ، ويكتارون التمر مما قِيلُهما.

ثم صرف أبو أحمد الترمدان عن البصرة ، ووجّه مكانه قائدًا من قُوَّاد الفراغنة ، يقال له قيس بن أرْخُوز إخناد فرغانة ، ووجّه نصيراً المعروف بأبي حمزة في الشَّدَّا والسميريات ، وأمره بالمقام بفِيض البصرة ونهر دُبَيْس وأن يخترق نهر الأَبْلَة ونهر معقل ونهر غربي ، ففعل ذلك.

قال محمد بن الحسن: وحدّثني محمد بن حماد ، قال: لما انقطعت المير عن الخبيث وأشياعه بمقام نصیر وقيصر بالبصرة ، ومنعهم الميرة من البَطِيحَة والبحر بالشَّدَّا ، صرفووا الحيلة إلى سلوك نهر الأمير إلى القندل ، ثم سلوك المسيحي إلى الطرق المؤدية إلى البر والبحر؛ فكانت مِيرُهُم من البر والبحر ، وامتيازهم سمك البحر من هذه الجهة ، فانتهى ذلك إلى الموقف ، فأمر رشيقاً غلام أبي العباس باتخاذ عسكر بجَوَيث بارويه في الجانب الشرقي من دِجلة بإزاء نهر الأمير ، وأن يحفر له خندقاً حصيناً ، وأمر أبا العباس أن يضمَّ إلى رشيق من

خيار أصحابه خمسة آلاف رجل وثلاثين شَذَا ، وتقدم إلى رشيق في ترتيب هذه الشَّذَا على فُوّهة نهر الأمير ، وأن يجعل على كلّ خمس عشرة شَذَا منها نوبة يلتح فيها نهر الأمير ، حتى ينتهي إلى المعترض الذي كان الزَّنج يسلكونه إلى دُبَّا والقَنْدَل والنهر المعروف بالمسيحي؛ فيكون هناك؛ فإن طلع عليهم من الخُبَيَّاء طالع أوقعوا به؛ فإذا انقضت نُوبتهم انصروا وعاقبهم أصحابهم المقيمون على فُوّهة النهر ففعلوا مثل هذا الفعل ، فعسكر رشيق في الموضع الذي أمر بترتيبه به ، فانقطعت طرق الفجرة التي كانوا يسلكونها إلى دُبَّا والقَنْدَل والمسيحي؛ فلم يكن لهم سيل إلى بَرَّ ولا بَحْر ، فضاقت عليهم المذاهب ، واشتَدَّ عليهم الحصار.

* * *

وفيها أوقع أخو شركب بالجُسْتَانِي وأخذ أمَّه .

وفيها وثب ابن شَبَّيث بن الحسن ، فأخذ عمر بن سيماء والي حلوان .

وفيها انصرف أحمد بن أبي الأصبع من عند عمرو بن الليث ، وكان عمرو قد وجّهه إلى أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف ، فقدم معه بمال ، فوجّه عمرو مما صودر عليه ثلاثة ألف دينار ونِيَّفًا ، وهدية فيها خمسون مِنًا مسکاً وخمسون مِنًا عنبراً ، ومئتا من عودًا ، وثلاثمائة ثوب وشي وغيرها ، وآنية ذهب وفضة ودواب وغلمان بقيمة مئتي ألف دينار؛ فكان ما حمل وأهدى بقيمة خمسة ألف دينار.

وفيها ولَى كَيْغَلَغُ الخليل بن ريمال حلوان ، فنا لهم بالمكاره بسبب عمر ابن سيماء وأخذهم بجريرة ابن شَبَّيث ، فضمّنوا له خلاص ابن سيماء وإصلاح أمر ابن شَبَّيث .

* * *

[ذكر خبر إيقاع رشيق بمن أعن الزنج من تميم]

وفيها أوقع رشيق غلام أبي العباس بن الموقّف بقوم من بني تميم ، كانوا أنعموا الزَّنج على دخول البصرة وإحراقها ، وكان السبب في ذلك أنه كان انتهى إليه أن قوماً من هؤلاء الأعراب قد جلبوا ميرةً من البر إلى مدينة الخبيث؛ طعاماً

وإبلاً وغناً ، وأنهم في مؤخر نهر الأمير يتظرون سفناً تأتיהם من مؤخر عسكر الفاجر تحملهم وما معهم ، فسرى إليهم رشيق في الشَّدَا ، فوافى الموضع الذى كانوا حلوا به ، وهو النَّهر المعروف بالإسحاقى ، فأوقع بهم وهم غارون ، فُقْتَلَ أكثُرُهُم وأُسِرَ جماعة منهم وهم تجار كانوا خرجوا من عسكر الخبيث لجلب الميرة ، وحوى ما كان معهم من أصناف المير والشاء والإبل والحمير التي كانوا حملوا عليها الميرة ، فحمل الأسرى والرؤوس في الشَّدَا وفي سفن كانت معه إلى الموقفة ، فأمر الموقف فعلقت الرؤوس في الشَّدَا ، وصُلُبَ الأسارى هنالك ؛ وأظهر ما صار إلى رشيق وأصحابه ، وطَيَّفَ بذلك في أقطار العسكر ، ثم أمر بالرؤوس والأسارى ، فاجتاز بهم على عسكر الخبيث حتى عرفوا ما كان من رشيق من الإيقاع بعجالي المير إليهم ، ففعل ذلك ، وكان فيما ظفر به رشيق رجل من الأعراب ، كان يُسَفِّر بين صاحب الزَّنج والأعراب في جلب الميرة ، فأمر به الموقف فقطعه يده ورجله ، وألقى في عسكر الخبيث ، ثم أمر بضرب أعناق الأسارى فضربت ، وسُوَّغَ أصحاب رشيق ما أصابوا من أموالهم ، وأمر لرشيق بخلع وصلة ، ورده إلى عسكره ، فكثر المستأمنون إلى رشيق ، فأمر أبو أحمد بضمّ منْ خرج منهم إلى رشيق إليه ، فكثروا حتى كان أكثر العساكر جمعاً ، وانقطعت عن الخبيث وأصحابه المير من الوجوه كلّها ، وانسدَّ عليهم كلُّ مسلك كان لهم ، فأضَرَّ بهم الحصار ، وأضعف أبدانهم ؛ فكان الأسير منهم يُؤْسِر ؛ والمستأمين يُسْتَأْمِن ، فيسألُ عن عهده بالخبز ، فيعجب من ذلك ؛ ويذكر أنَّ عهده بالخبز مذ سنة وستين ، فلما صار أصحاب الخائن إلى هذه الحال ، رأى الموقف أن يتبع الإيقاع بهم ، ليزيدهم بذلك ضُرراً وجهداً ، فخرج إلى أبي أحمد في هذا الوقت في الأمان خلْقَ كثير ، واحتاج مَنْ كان مقيناً في حيَّر الفاسق إلى العحيلة لقوته ، فتفرّقوا في القرى والأنهار النائية عن معسكرهم في طلب القوت ، فتآدَى الخبر بذلك إلى أبي أحمد ، فأمر جماعةً من قواد غلمانه السودان وعُرفائهم بأن يقصدوا الموضع التي يعتادها الزَّنج ، وأن يستمليوهم ويستدعوا طاعتهم ؛ فمَنْ أَبْيَ الدَّخُولَ منهم في ذلك قتلوه وحملوا رأسه ، وجعل لهم جُعلًا ؛ فحرصوا واظبوا على الغدو والرواح ؛ فكانوا لا يخلون في يوم من الأيام من جماعة يجلبونهم ، ورؤوس يأتون بها ، وأساري يأسرونهم .

قال محمد بن الحسن : قال محمد بن حمّاد : ولما كثُر أسارى الزَّنج عند الموقّق ، أمر باعتراضهم ؛ فمنْ كان منهم ذا قوّة وجَلْد ونهوض بالسلاح منْ عليه ، وأحسن إليه ، وخلطه بعلمانيه السودان ، وعَرَفُهم ما لهم عنده من البر والإحسان ، ومنْ كان منهم ضعيفاً لا حرّاك به ، أو شيخاً لا يُطِيق حمل السلاح ، أو مجرحاً جراحة قد أَزْمَتْه ، أمر بأن يُكْسِي ثَوَبِين ، ويوصَل بدراهم ، ويزوّد ويحمل إلى عسكر الخبيث ؛ فيلقى هناك بعدهما يؤمر بوصف ما عاين من إحسان الموقّق إلى كلّ من يصير إليه ، وأن ذلك رأيه في جميع مَنْ يأتيه مستأْمناً ويأسره منهم ؛ فتهيأ له من ذلك ما أراد من استمالة أصحاب صاحب الزَّنج ؛ حتى استشعروا الميل إلى ناحيته والدخول في سِلْمه وطاعته ؛ وجعل الموقّق وابنه أبو العباس يغاديان حرب الخبيث ومنْ معه ، ويرأوهانها بأنفسهما ومنْ معهما ، فيقتلان ويأسران ويجرحان ، وأصاب أبو العباس في بعض تلك الوقعات سهم جرحه فبراً منه .

* * *

[ذكر الخبر عن قتل بهبود بن عبد الوهاب]

وفي رجب من هذه السنة قُتِلَ بهبود صاحب الخبيث .

* ذكر الخبر عن سبب مقتله :

ذُكر : أن أكثر أصحاب الفاسق غارات ، وأرشدهم تعرضاً لقطع السبيل وأخذ الأموال كان بهبود بن عبد الوهاب ، وكان قد جمع من ذلك مالاً جليلاً ، وكان كثير الخروج في السميريات الخفاف ، فيخترق الأنهر المؤدية إلى دجلة ، فإذا صادف سفينة لأصحاب الموقّق أخذها فأدخلها النهر الذي خرج منه ، فإن تبعهتابع حتى توغل في طلبه خرج عليه من النهر قوم من أصحابه قد أعدّهم لذلك ، فاقتطعوه وأوقعوا به ؛ فلما كثُر ذلك وتُحرّرَ منه ركب شدّة ، وشَبَهُها بشذوات الموقّق ، ونصب عليها مثل أعلامه ، وسار بها في دجلة ، فإذا ظفر بِغَرّة من أهل العسكرية أوقع بهم ، فقتل وأسر ، ويتجاوز إلى نهر الأُبْلَة ونهر مَعْقُل وبئق شيرين ونهر الدير فيقطع السبيل ، ويعيث في أموال السابلة ودمائهم ؛ فرأى الموقّق عندما انتهى إليه من أفعال بهبود أن يَسْكُر جميع الأنهر التي يخفَ سَكُرُها ، ويرتَب

الشذاء على فُوهَةِ الأنهر العظام؛ ليأْمن عبْث بـهبود وأشياعه ، ويأْمن سُبلَ الناس ومسالكهم ، فلما حُرست هذه المسالك ، وسُكِرَ ما أُمِكِن سُكُرُه من الأنهر ، وحِيل بين بـهبود وبين ما كان يفعل ؛ أقام مُتَهزاً فرصة في غفلة أصحاب الشَّذَا الموكلين بـفُوهَةِ نهر الأَبْلَة؛ حتى إذا وجد ذلك اجتاز من مؤخر نهر أبي الخصيب في شَذَّوات مثل أصحاب الموفق وسميرياتهم ، ونصب عليها مثل أعلامهم ، وشحناها بـجُلد أصحابه وأنجادهم وشجعانهم ، واعتراض بها في معرَض يؤدي إلى النهر المعروف بـاليهودي ، ثم سلك نهر نافذ حتى خرج منه إلى نهر الأَبْلَة ، وانتهى إلى الشَّذَّوات والسميريات المرتبة لحفظ النهر ، وأهلها غازون غافلون ، فأوقع بهم ، وقتل جمِعاً ، وأسر أسرى ، وأخذ ست شَذَّوات ، وكر راجعاً في نهر الأَبْلَة ، وانتهى الخبر بما كان من بـهبود إلى الموفق ، فأمر أبو العباس بمعارضته في الشَّذَا من النهر المعروف بـاليهودي ، ورجا أن يسبقه إلى المعرَض فيقطعه عن الطريق المؤدي إلى مأْمنه .

فوافي أبو العباس الموضع المعروف بالمطوعة ، وقد سبق بـهبود ، فولج النهر المعروف بالسعيدي ، وهو نهر يؤدي إلى نهر أبي الخصيب ، وبصر أبو العباس بشَذَّوات بـهبود ، وطبع في إدراكها ، فجَدَ في طلبها ، فأدركها ونشبت الحرب ، فقتل أبو العباس ، من أصحاب بـهبود جمِعاً ، وأسر جمِعاً ، واستأْمن إليه فريق منهم ، وتلقى بـهبود من أشياعه خلق كثير ، فعاونوه ودافعوا عنه دفعاً شديداً ، وقد كان الماء جَزَر ، فجرث شذواته في الطين في الموضع التي نَصَبَ الماء عنها من تلك الأنهر والمعرَضات ، فأفلت بـهبود والباقيون من أصحابه بـجُريعة الدَّقَن .

وأقام الموفق على حصار الخبيث ومن معه ، وسدَّ المسالك التي كانت المِير تأتيهم منها ، وكثير المستأمنون منهم ، فأمر الموفق لهم بالخلع والجوائز ، وحملوا على الخيل الجياد بـسروجها ولجمها وآلتها ، وأجريت لهم الأرزاق ، وانتهى الخبر إلى الموفق بعد ذلك أن الضرر والبُؤس قد أحوج جماعة من أصحاب الخبيث إلى التفرق في القرى لطلب القوت من السمك والتمر ، فأمر ابنه أبو العباس بالمضي إلى تلك القرى والتواحي والإسراع إليها في الشَّذَا والسميريات ، وما خفت من الزواريق وأن يستصحب جُلد أصحابه وشجعانهم

وأبطالهم ليحولَ بين هؤلاء الرجال والرجوع إلى مدينة صاحب الرَّنج؛ فتوجَّه أبو العباس لذلك ، وعلمُ الخبيث بمسير أبي العباس له ، فأمر بهبود أن يسير في أصحابه في المعتَرضات والأنهار الغامضة ليخفى خبره ، إلى أن يوافي القتْنَدْل وأبراسان ونواحيها ، فنهض بهبود لما أمره به الخبيث من ذلك فاعتَرَضَتْ له في طريقه سُمِيرية من سُمِيريات أبي العباس ، فيها غلامان من غلمانه الناشبة في جماعة الرَّنج ، فقصد بهبود لهذه السُّمِيرية طاماً فيها ، فحاربه أهْلُها ، فأصابته طعنة في بطنه من يد غلام من مقاتلة السُّمِيرية أسود ، فهوَى إلى الماء ، فابتدره أصحابه ، فحملوه ، وولَّوا منهزمين إلى عسْكُر الخبيث ، فلم يصلوا به إلىه؛ حتى أراح الله منه؛ فعُظِّمت الفجيعة به على الفاسق وأوليائه ، واشتَدَّ عليه حزْعُهم ، وكان قتْلُه الخبيث من أعظم الفتوح ، وخفيَ هلاكه على أبي أحمد؛ حتى استَأْمنَ رجلٌ من الملَاحِين ، فأنهى إليه الخبر ، فسُرَّ بذلك ، وأمر بإحضار الغلام الذي ولَّي قتْله ، فأحضر ، فوصله وكسه وطوقه ، وزاد في أرزاقه ، وأمر لجميع مَنْ كان في تلك السُّمِيرية بجوائز وخلع وصلات.

* * *

وفي هذه السنة كان أول شهر رمضان منها يوم الأحد ، وكان الأحد الثاني من الشَّعَانِين وفي الأحد الثالث الفِضْح ، وفي الأحد الرابع النِّيروز ، وفي الأحد الخامس انسلاخ الشَّهْر^(١).

وفيها ظفر أبو أحمد بالذوائبي ، وكان ممايَّلاً لصاحب الرَّنج.

وفيها كانت وقعة بين يدكتين بن إساتكين وأحمد بن عبد العزيز ، فهزمه يدكتين وغلبه على قُمَّ.

وفيها وجَّه عمرو بن الليث قائداً بأمر أبي أحمد إلى محمد بن عبيد الله بن أزارمرد الْكُرْدِي ، فأسره القائد وحمله إليه.

وفي ذي القعدة منها خرج رجل من ولد عبد الملك بن صالح الهاشمي بالشام يقال له: بَكَارٌ بين سَلْمَةَ وحلب وِحْمَص؛ فدعا لأبي أحمد ، فحاربه ابنُ عباس

(١) انظر المنتظم (٢١٩/١٢).

الكلابيّ ، فانهزم الكلابيّ ، ووجه إليه لؤلؤ صاحب ابن طولون قائداً يقال له بودن في عسكر وجيش كثيف ، فرجع وليس معه كثير أحد . وفيها أظهر لؤلؤ الخلاف على ابن طولون .

وفيها قُتِلَ صاحب الزنج ابن ملك الزنج ، وكان بلغه أنه يريد اللحاق ^(١) بأبي أحمد .

وفيها قُتِلَ أحمد بن عبد الله الحُجُستانيّ ، قتله غلام له في ذي الحجة . وفيها قُتِلَ أصحاب ابن أبي الساج محمد بن عليّ بن حبيب اليشكريّ بالقرية ناحيةً واسط ، ونصِبَ رأسُه بيَغْدَاد ^(٢) .

وفيها حارب محمد بن كُمُشْجُور عليّ بن الحسين كفتمر ، فاسر ابن كُمُشْجُور كفتمر ثم أطلقه ، وذلك في ذي الحجة .

وفيها أسر العلوَيُّ الذي يعرف بالحرُون ، وذلك أنه اعترض الخريطة التي يوجَّه بها بخبر الموسم فأخذها ، فوجَّه خليفة ابن أبي الساج على طريق مكة مَنْ أخذ الحرُون ، ووجهه إلى الموقَّف .

وفيها كان مصير أبي المغيرة المخرومي إلى مكة ، وعاملها هارون بن محمد بن إسحاق الهاشميّ ، فجمع هارون جمعاً نحواً من ألفين ، فامتنع بهم منه فصار المخرومي إلى عين مُشاش فغورها ، وإلى جدَّة ، فنهب الطعام ، وحرق بيوت أهلها ، فصار الخبز بمكة أوقتَان بدرهم .

وفيها خرج ابن الصَّقلَبِيَّ طاغية الرَّوْم ، فأناخ على مَلْطِيَّة ، وأعانهم أهل مَرْعَش والحدَّث ، فانهزم الطاغية ، وتبعوه إلى السريع ^(٣) .

وغزا الصائفة من ناحية الثغور الشامية خلف الفرغانيّ عامل ابن طولون ، فقتل من الرَّوْم بضعة عشر ألفاً ، وغنم الناس ، فبلغ السهم أربعين ديناراً ^(٤) .

* * *

(١) انظر وفيات الأعيان (٤٢٣/٦).

(٢) انظر البداية والنهاية (٢٤٢/٨).

(٣) انظر البداية والنهاية (٢٤٢/٨).

(٤) المصدر السابق نفسه .

وحجّ بالناس فيها هارون بن محمد بن إسحاق الهاشمي ، وابن أبي الساج على الأحداث والطريق^(١) .

* * *

ثم دخلت سنة تسع وستين ومئتين ذكر الخبر بما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من إدخال العلوي المعروف بالحرُون عسكراً أبي أحمد في المحرم على جمل ، وعليه قباء ديج وقلنسوة طويلة ، ثم حُمل في شذاعة ، ومضى به حتى وُقف به حيث يراه صاحب الزنج ، ويسمع كلام الرسل .

وفي المحرم منها قطع الأعراب على قافلة من الحاج بين ثُوز وسميراء ، فسلبوهم واستاقوا نحواً من خمسة آلاف بغير بأحمالها وأناساً كثريين^(٢) .

وفي المحرم منها في ليلة أربع عشرة انكسفت القمر وغاب منخساً ، وانكسفت الشمس يوم الجمعة لليلتين بقيتا من المحرم وقت المغيب ، وغابت منكسفة ، فاجتمع في المحرم كسوف الشمس والقمر^(٣) .

وفي صفر منها كان بيغداد وثوب العامة بابراهيم الخليجي ، فانتهُوا داره ، وكان السبب في ذلك : أن غلاماً له رمى امرأة بسهم فقتلها ، فاستعدى السلطان عليه ، فبعث إليه في إخراج الغلام ، فامتنع ورمى غلمانه الناس ، فقتلوا جماعة وجربوا جماعة ، فمنعهم من أعون السلطان رجلان ، فهرب وأخذ غلمانه ، ونهب منزله ودوابه ، فجمع محمد بن عبيد الله بن عبد الله بن طاهر - وكان على الجسر من قبل أبيه - دواباً إبراهيم ، وما قدر عليه مما نهب له ، وأمر عبيد الله بتسليم ذلك إليه ، وأشهد عليه برده عليه .

وفيها وجه ابن أبي الساج بعدما صار إلى الطائف منتصراً من مكة إلى جدة

(١) انظر المنتظم (١٢ / ٢٢٠).

(٢) انظر المنتظم (١٢ / ٢٢٢).

(٣) المصدر السابق نفسه .

جيشاً ، فأخذوا للمخزومي مركبين فيهما مالٌ وسلاح .

وفيها أخذ رومي بن حسنخ ثلاثة نفر من قُواد الفراغنة ، يقال لأحدهم: صديق ، والآخر طخشى ، وللثالث طغان ، فقيدهم ، وجرح صديق جراحات وأفلت .

وفيها كان وثوب خلف صاحب أحمد بن طولون في شهر ربيع الأول منها بالشغور الشامية - وهو عامله عليها - بياzman الخادم مولى الفتح بن خاقان فحبسه ، فوثبت جماعة من أهل الْشَّغْر بخلف ، وتخلصوا يازمان ، وهرب خلف ، وتركوا الدعاء لابن طولون ، ولعنوه على المنابر؛ فبلغ ذلك ابن طولون ، فخرج من مصر ، حتى صار إلى دمشق ، ثم صار إلى الشغور الشامية ، فنزل أذنة ، وسدّ يازمان وأهل طرسوس أبوابها ، خلا باب الجهاد وباب البحر ، وبثقو الماء ، فجري إلى قرب أذنة وما حولها فتحصّنوا بها ، فأقام ابن طولون بأذنة ، ثم انصرف فرجع إلى أنطاكية ، ثم مضى إلى حِمْص ثم إلى دمشق فأقام بها .

وفيها خالفة لؤلؤ غلام ابن طولون مولاه؛ وفي يده حين خالفه حِمْص وحلب وقنسرين وديار مُضر ، وسار لؤلؤ إلى بالس فنهبها ، وأسر سعيداً وأخاه ابني العباس الكلابيّ ، ثم كاتب لؤلؤ أباً أحمد في المصير إليه ومفارقة ابن طولون ، ويشترط لنفسه شروطاً فأجابه أبو أحمد إلى ما سأله؛ وكان مقيناً بالرقة ، فشخص عنها ، وحمل جماعة من أهل الراقة وغيرهم معه ، وصار إلى قرقيسيا ، وبها ابن صفوان العُقيليّ ، فحاربه فأخذ لؤلؤ قرقيسيا ، وسلمها إلى أحمد بن مالك بن طوق ، وهرب ابن صفوان ، وأقبل لؤلؤ يريد بغداد .

* * *

[ذكر خبر إصابة الموفق]

وفيها رُمي أبو أحمد الموفق بسهم ، رماه غلام رومي - يقال له: قرطاس - للخيث بعدما دخل أبو أحمد مدینته التي كان بناها لهدم سورها ، وكان السبب في ذلك - فيما ذُكر - أنّ الخيث بهبود لما هلك ، طمع الزنج فيما كان بهبود قد جمع من الكنوز والأموال ، وكان قد صَحَّ عنده أن ملكه قد حوى مئتي ألف دينار

ووجهراً وذهبأً وفضة لها قدر ، فطلب ذلك بكل حيلة ، وحرص عليه ، وحبس أولياءه وقرباته وأصحابه ، وضربهم بالسياط ، وأثار دوراً من دوره ، وهدم أبنية من أبنيته؛ طمعاً في أن يجد في شيء منها دفيناً ، فلم يجد من ذلك شيئاً؛ وكان فعله الذي فعله بأولياء بهبود في طلب المال أحد ما أفسد قلوب أصحابه ودعاهم إلى الهرب منه والزهد في صحبته ، فأمر الموفق بالنداء في أصحاب بهبود بالأمان ، فنودي بذلك ، فسارعوا إليه راغبين فيه ، فالحقوا في الصلات والجوائز والخلع والأرزاق بنظرائهم ، ورأى أبو أحمد لما كان يتذرع عليه من العبور إلى عسكر الفاجر في الأوقات التي تهب فيها الرياح وتحرك فيها الأمواج في دجلة أن يوسع لنفسه وأصحابه موضعًا في الجانب الغربي من دجلة ليعسكر به فيما بين دير جabil ونهر المغيرة ، وأمر بقطع النخل وإصلاح موضع الخندق ، وأن يحفر بالخنادق ، ويحصن بالسور ليأمن بيات الفجّار واغتيالهم إياه ، وجعل على قواده نواب؛ فكان لكل واحد منهم نوبة يغدو إليها برجاته ، ومعه العمال في كل يوم لإحكام أمر العسكر الذي عزم على اتخاذه هنالك ، فقابل الفاسق ذلك بأن جعل على علي بن أبيان المهليّ وسلمان بن جامع وإبراهيم بن جعفر الهمدانى نوبة ، فكان لكل واحد منهم يوم ينوب فيه .

وكان ابنُ الخبيث المعروف بـأنكلاي يحضر في كل يوم نوبة سليمان ، وربما حضر في نوبة إبراهيم ، ثم أقامه الخبيث مقام إبراهيم بن جعفر ، وكان سليمان بن جامع يحضر معه في نوبته ، وضم إليه الخبيث سليمان بن موسى الشعراي وأخويه ، وكانوا يحضورون بحضوره ، ويغيبون بغيته ، وعلم الخبيث أن الموفق إذاجاوره في محاربته ، وقرب على من يريد اللحاق به المسافة فيما يحاول من الهرب إليه ، مع ما يدخل قلوب أصحابه من الرهبة بتقارب العسكريين إن في ذلك انتقاماً تدبيره ، وفساداً جميـع أموره؛ فأمر أصحابه بمحاربة من يعبر من القواد في كل يوم ، ومنعهم من إصلاح ما يحاولون إصلاحه من أمر عسكـرـهم الذي يريدون الانتقال إليه ، وعصفت الرياح في بعض تلك الأيام وبعض قواد الموفق في الجانب الغربي لـما كان يعبر له ، فانتهز الفاسق الفرصة في انفراد هذا القائد وانقطاعه عن أصحابه ، وامتناع دجلة بعصفوف الريح من أن يرمي عبورها ، فرمى القائد المقيم في غربى دجلة بـجمـيع جـيشـه ، وكـاثـره بـرجـاته ، ولـم تـجد

الشَّذَّوَاتِ الَّتِي كَانَتْ تَكُونُ مَعَ الْقَادِيِّ الْمَوْجَهِ سَبِيلًا إِلَى الْوَقْفِ بِحِيثُ كَانَتْ تَقْفِي لِحَمْلِ الرِّيَاحِ إِيَّاهَا عَلَى الْحِجَارَةِ ، وَمَا خَافَ أَصْحَابُهَا عَلَيْهَا مِنِ التَّكَسُّرِ ، فَقَوَى الرَّزْنَجُ عَلَى ذَلِكَ الْقَادِيِّ وَأَصْحَابِهِ ، فَأَزَّ الْوَهْمَ مِنْ مَوْضِعِهِمْ ، وَأَدْرَكُوا طَائِفَةً مِنْهُمْ ، فَثَبَّتُوا فَقْتُلُوا عَنْ آخِرِهِمْ؛ وَلَجَّتْ طَائِفَةً إِلَى الْمَاءِ ، فَتَبَعَّهُمُ الرَّزْنَجُ ، فَأَسْرَوْا مِنْهُمْ أَسْرَى ، وَقْتُلُوا مِنْهُمْ نَفْرًا ، وَأَفْلَتْ أَكْثَرُهُمْ ، وَأَدْرَكُوا سُفَّنَهُمْ ، فَأَلْقَوْا أَنفُسَهُمْ فِيهَا ، وَعَبَرُوا إِلَى الْمَدِينَةِ الْمَوْفِقِيَّةِ ، فَاشْتَدَ جَزْعُ النَّاسِ لِمَا تَهْيَأَ لِلْفَسْقَةِ ، وَعَظَمَ بِذَلِكَ اهْتِمَامُهُمْ ، وَتَأْمَلَ أَبُو أَحْمَدَ فِيمَا كَانَ دَبَّرَ مِنِ النَّزُولِ فِي الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ مِنْ دِجْلَةِ أَنَّهُ أَكْدَى ، وَمَا لَا يُؤْمِنُ مِنْ حِيلَةِ الْفَاسِقِ وَأَصْحَابِهِ فِي اِنْتِهِازِ فَرَصَةٍ ، فَيُوقَعُ بِالْعُسْكُرِ بِيَاتًا ، أَوْ يَجِدُ مَسَاغًا إِلَى شَيْءٍ مَا يَكُونُ لَهُ فِيهِ مَتَنَفِّسٌ؛ لِكُثْرَةِ الْأَدْغَالِ فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ وَصَعْوَدَةِ الْمَسَالِكِ ، وَأَنَّ الرَّزْنَجَ عَلَى التَّوْغِّلِ إِلَى الْمَوْاضِعِ الْوَحْشَةِ أَقْدَرُ وَهُوَ عَلَيْهِمْ أَسْهَلُ مِنْ أَصْحَابِهِ .

فَانْصَرَفَ عَنْ رَأْيِهِ فِي نَزُولِ غَرْبِيِّ دِجْلَةِ ، وَجَعَلَ قَصْدَهُ لِهَدْمِ سُورِ الْفَاسِقَةِ وَتَوْسِعَةِ الْطَّرِقِ وَالْمَسَالِكِ مِنْهَا لِأَصْحَابِهِ؛ فَأَمْرَ عِنْدَ ذَلِكَ أَنْ يَبْدأَ بِهَدْمِ السُّورِ مَا يَلِي النَّهَرِ الْمَعْرُوفِ بِمَنْكِي؛ فَكَانَ تَدْبِيرُ الْخَبِيثِ فِي ذَلِكَ تَوجِيهُ أَبْنَى الْمَعْرُوفِ بِأَنْكَلَايِ وَعَلَيِّ بْنِ أَبْيَانِ وَسَلِيمَانَ بْنِ جَامِعِ الْمَنْعِ مِنْ ذَلِكَ؛ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ فِي تَوْبَتِهِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ ، فَإِذَا كَثُرَ عَلَيْهِمْ أَصْحَابُ الْمَوْفِقِ اجْتَمَعُوا جَمِيعًا لِمَدَافِعَةِ مَنْ يَأْتِيهِمْ .

فَلَمَّا رَأَى الْمَوْفِقَ تَحَاشِدَ الْخَبَائِرَ وَتَعَاوَنُهُمْ عَلَى الْمَنْعِ مِنِ الْهَدْمِ لِلْسُّورِ ، أَزْمَعَ عَلَى مُبَاشَرَةِ ذَلِكَ وَحْضُورِهِ لِيُسْتَدْعَى بِهِ جَدًّا أَصْحَابِهِ وَاجْتِهَادِهِمْ ، وَيُزِيدُ فِي عَنَائِهِمْ وَمُجَاهَدَتِهِمْ؛ فَفَعَلَ ذَلِكَ ، وَاتَّصَلَتِ الْحَرْبُ ، وَغَلَّظَتْ عَلَى الْفَرِيقَيْنِ؛ وَكَثُرَ الْقَتْلُ وَالْجَرْحُ فِي الْحَرَبَيْنِ كُلِّيَّمَا ، فَأَقَامَ الْمَوْفِقُ أَيَّامًا يَغَادِيُ الْفَسْقَةَ وَيَرَاوِحُهُمْ؛ فَكَانُوا لَا يَفْتَرُونَ مِنِ الْحَرْبِ فِي يَوْمٍ مِنِ الْأَيَّامِ ، وَكَانَ أَصْحَابُ أَبِي أَحْمَدَ لَا يَسْتَطِيعُونَ الْوُلُوجُ عَلَى الْخَبَائِرَ لِقَنْطَرَتِينِ كَانَتَا عَلَى نَهْرِ مَنْكِي كَانَ الرَّزْنَجُ يَسْلُكُونَهُمَا فِي وَقْتِ اسْتِعْدَارِ الْحَرْبِ ، فَيَنْتَهُونَ مِنْهُمَا إِلَى طَرِيقٍ يَخْرُجُوهُمْ فِي ظَهُورِ أَصْحَابِ أَبِي أَحْمَدَ ، فَيَنْتَهُونَ مِنْهُمْ ، وَيَحْجِزُونَهُمْ عَنِ اسْتِتِمامِ مَا يَحَاوِلُونَ مِنْ هَدْمِ السُّورِ ، فَرَأَى الْمَوْفِقُ إِعْمَالَ الْحَيْلَةِ فِي هَدْمِ هَاتَيْنِ الْقَنْطَرَتِينِ لِيَمْنَعَ الْفَسْقَةَ عَنِ الطَّرِيقِ الَّذِي كَانُوا يَصِيرُونَ مِنْهُ إِلَى اسْتِدَارِ أَصْحَابِهِ فِي وَقْتِ احْتِدَامِ الْحَرْبِ؛ فَأَمْرَ قَوَادَ غَلْمَانِهِ

بقصد هاتين القنطرتين ، وأن يختلوا الزنجر ، وينتهزوا الفرصة في غفلتهم عن حراستهما؛ وتقدم إليهم في أن يُعدُّوا لهما من الفؤوس والمناشير والآلات التي يحتاج إليها لقطعهما ما يكون عوناً لهم على الإسراع فيما يقصدون له من ذلك.

فانتهى الغلمان إلى ما أمروا به ، وصاروا إلى نهر منكى وقت نصف النهار ، فبرز لهم الزنج ، فبادروا وتسربوا ، فكان ممّن تسرع إليهم أبو النداء في جماعة من أصحابه يزيدون على الخمسة ، ونشبت الحرب بين أصحاب الموفق والزنجر ، فاقتتلوا صدر النهار ، ثم ظهر غلمان أبي أحمد على الفسقة فكشفوهم عن القنطرتين ، فأصابوا المعروف بأبي النداء سهم في صدره وصل إلى قلبه فصرعه ، وحاصوا أصحابه على حيفته فاحتملوها ، ولوّوا منها منهزمين ، وتمكن قواد غلمان الموفق من قطع القنطرتين ، فقطعواهما وأخرجوهما إلى دجلة ، وحملوا خشبهما إلى أبي أحمد ، وانصرفا على حال سلام ، وأخبروا الموفق بقتل أبي النداء وقطع القنطرتين ، فعظم سروره وسرور أهل العسكر ، بذلك ، وأمر لرامي أبي النداء بصلة وافرة.

وألح أبو أحمد على الخبيث وأشياعه بالحرب ، وهدم من السور ما أمكنهم به اللوچ عليهم ، فشغلوهم بالحرب في مديتها عن المدافعة عن سورهم ، فأسرع الهدم فيه ، وانتهى منه إلى داري ابن سمعان وسلامان بن جامع ، فصار ذلك أجمع في أيدي أصحاب الموفق ، لا يستطيع الفسقة دفعهم عنه ولا منعهم من الوصول إليه ، وهدمت هاتان الداران ، وانتهت ما فيها ، وانتهى أصحاب الموفق إلى سوق لصاحب الزنج كان اتخذها مظلة على دجلة ، سماها الميمونة ، فأمر الموفق زيرك صاحب مقدمة أبي العباس بالقصد لهذه السوق ، فقصد بأصحابه لذلك ، وأكبّ عليها ، فهدمت تلك السوق وأخربت ، فقصد الموفق الدار التي كان صاحب الزنج اتخذها للجباري فهدمها ، وانتهت ما كان فيها وفي خزائن الفاسق كانت متصلة بها .

وأمر أصحابه بالقصد إلى الموضع الذي كان الخبيث اتخذ فيها بناء سماه مسجد الجامع ، فاشتدت محاجة الفسقة عن ذلك والذب عنه؛ بما كان الخبيث يحصّهم عليه ، ويُوهمهم أنه يجب عليهم من نصرة المسجد وتعظيمه؛ فيصدقون قوله في ذلك ، ويتبعون فيه رأيه ، وصعب على أصحاب الموفق ما كانوا يرددون

من ذلك ؛ وتطاولت الأيام بالحرب على ذلك الموضع ، والذي حصل مع الفاسق يومئذ نخبة أصحابه وأبطالهم والموطنون أنفسهم على الصبر معه ، فحاموا جهدهم ؛ حتى لقد كانوا يقفون الموقف فيصيب أحدهم السهم أو الطعنة أو الضربة فيسقط ، فيجذبه الذي إلى جنبه ويقف موقفه إشفاقاً من أن يخلو موقف رجل منهم ؛ فيدخل الخلل على سائر أصحابه .

فلما رأى أبو أحمد صبر هذه العصابة ومحاماتها ، وتطاول الأيام بمدافعتها أمر أبا العباس بالقصد لركن البناء الذي سماها الخبيث مسجداً ، وأن يندب لذلك أنجاد أصحابه وغلمانه ، وأضاف إليهم الفعلة الذين كانوا أعدوا للهدم ، فإذا تهيا لهم هدم شيء أسرعوا فيه ، وأمر بوضع السلاليم على سور فوضعواها ، وصعد الرماة يجعلوها يرشقون بالسهام من وراء سور من الفسقة ، ونظم الرجال من حد الدار المعروفة بالجباري إلى الموضع الذي رتب فيه أبا العباس ، وبدل الموقف الأموال والأطوة والأسوره لمن سارع إلى هدم سور الفاسق وأسواقه ، ودور أصحابه ، فتسهل ما كان يصعب بعد محاربة طويلة وشدة ، فهدم البناء الذي كان الخبيث سماه مسجداً ، ووصل إلى متبته فاحتمل ، فأتى به الموقف ، وانصرف به إلى مدینته الموقفية جيلاً مسروراً ، ثم عاد الموقف لهدم سور فهدمه من حد الدار المعروفة بأنكلاي إلى الدار المعروفة بالجباري . وأفضى أصحاب الموقف إلى دواوين من دواوين الخبيث وخزائن من خزاناته ؛ فانتهيت وأحرقت ؛ وكان ذلك في يوم ذي ضباب شديد ، قد ستر بعض الناس عن بعض ؛ فما يكاد الرجل يبصر صاحبه ، فظهر في هذا اليوم للموقف تبشير الفتح ، فإنهم لعلى ذلك ؛ حتى وصل سهم من سهام الفسقة إلى الموقف ، رماه به غلام رومي كان مع الفاسق يقال له : قرطاس ، فأصابه في صدره ، وذلك في الإثنين لخمس بقين من جمادى الأولى سنة تسع وستين ومئتين ، فستر الموقف ما ناله من ذلك السهم ، وانصرف إلى المدينة مع الموقفية ، فعولج في ليلته تلك من جراحته ، وبات ثم عاد إلى الحرب على ما به من ألم الجراح ، يشد بذلك قلوب أوليائه من أن يدخلها وهم أو ضعف ، فزاد ما حمل نفسه عليه من الحركة في قوة علته ، فغلظت وعظم أمرها حتى خيف عليه ، واحتاج إلى علاجه بأعظم ما يعالج به الجراح ؛ واضطرب لذلك العسكر والجناد والرعية ، وخافوا قوة الفاسق عليهم ؛ حتى خرج عن مدینته جماعة

ممن كان مقیماً بها، لما وصل إلى قلوبهم من الرهبة ، وحدثت في حال صعوبة العلة عليه حادثة في سلطانه ، فأشار عليه مشيرون من أصحابه وثقاته بالرحلة عن معسكره إلى مدينة السلام ، ويختلف من يقوم مقامه؛ فأبى ذلك ، وخف أن يكون فيه ائتلاف ما قد تفرق من شمال الخبيث ، فأقام على صعوبة علته عليه ، وغلط الأمر الحادث في سلطانه؛ فمن الله بعافيته ، وظهر لقواده وخاسته؛ وقد كان أطال الاحتجاب عنهم ، فقويَت بذلك مُنتَهُم ، وأقام متماثلاً موَدعاً نفسه إلى شعبان من هذه السنة، فلما أبلَّ وقويَ على النهوض لحرب الفاسق، تيقظ لذلك، وعاود ما كان مواطباً عليه من الحرب ، وجعل الخبيث لمَا صَحَّ عنده الخبر عما أصاب أبي أحمد يعُدُ أصحابه العادات ، ويمنيهم الأماني الكاذبة ، وجعل يحلف على منبره - بعدما اتصل به الخبر بظهور أبي أحمد وركوبه الشذا - أن ذلك باطلٌ لا أصل له ، وأن الذي رأوه في الشذا مثال مُوَهٌ لهم وشَبَهَ لهم.

* * *

[ذكر عزم المعتمد على اللحاق بمصر]^(١)

وفيها في يوم السبت للنصف من جمادى الأولى ، شخص المعتمد يrepid اللحاق بمصر ، وأقام يتصيد بالكُخيل ، وقدم صاعد بن مخلد من عند أبي أحمد؛ ثم شخص إلى سامرًا في جماعة من القواد في جمادى الآخرة ، وقدم قائدان لابن طولون - يقال لأحدهما: أحمد بن جبوعنة ولآخر: محمد بن عباس الكلابي - الرقة ، فلما صار المعتمد إلى عمل إسحاق بن كنداج - وكان العامل على الموصل وعامة الجزيرة - وتب ابن كنداج بمن شخص مع المعتمد من سامرًا يrepid مصر ، وهم تبنك وأحمد بن خاقان وخطارِمش ، فقيدهم وأخذ أموالهم ودوايَهم ورقيقهم ، وكان قد كتب إليه بالقبض عليهم وعلى المعتمد ، وأقطع إسحاق بن كنداج ضياعهم وضياع فارس بن بغا.

وكان سبب وصوله إلى القبض على من ذكرت ، أن ابن كنداج لما صار إلى عمله ، وقد نفذت إليه الكتب من قبل صاعد بالقبض عليهم ، أظهر أنه معهم ، وعلى مثل رأيهما في طاعة المعتمد؛ إذ كان الخليفة ، وأنه غير جائز له الخلاف

(١) انظر المنتظم فقد ذكر الخبر (١٢/٢٢٢ - ٢٢٣).

عليه ، وقد كان من مع المعتمد من القواد حذروا المعتمد المرور به ، وخوفوه وثوبه بهم ؛ فأبى إلا المرور به - فيما ذكر - وقال لهم : إنما هو مولاي وغلامي ، وأريد أن أتصيد ؛ فإن في الطريق إليه صيداً كثيراً ، فلما صاروا في عمله ، لقيهم وسار معهم كي يرد المعتمد - فيما ذكر - متزلاً قبل وصوله إلى عمل ابن طولون ، فلما أصبح ارتحل التابع والغلمان الذين كانوا مع المعتمد ومن شخص معه من سامراً ، وخلا ابن كنداج بالقُوَّاد الذين مع المعتمد ، فقال لهم : إنكم قد قربتم من عمل ابن طولون والمقيم بالرقة من قواده ؛ وأنتم إذا صرتم إلى ابن طولون ؟ فالأمر أمره ، وأنتم من تحت يده ومن جنده ؛ أفترضون بذلك ؛ وقد علمتم أنه إنما هو كواحد منكم ! وجرت بينه وبينهم في ذلك مناظرة حتى تعالى النهار ، ولم يرتحل المعتمد بعد لاشتغال القواد بالمناظرة بينهم وبين يديه ، ولم يجتمع رأيهما بعد على شيء ، فقال لهم ابن كنداج : قوموا بنا حتى نتناظر في هذا في غير هذا الموضوع ، وأكرموا مجلس أمير المؤمنين عن ارتفاع الصوت فيه ، فأخذ بأيديهم ، وأخرجهم من مضرب المعتمد فأدخلهم مضرب نفسه ؛ لأنه لم يكن بقي مضرب إلا قد مضى به غير مضربه ؛ لما كان من تقدمه إلى فرائسيه وغلمانه وحاشيته وأصحابه في ذلك اليوم ألا تبرحوا إلا ببراحه ، فلما صاروا إلى مضربه دخل عليه وعلى مَنْ معه من القواد جلة غلمانه وأصحابه ، وأحضرت القيود وشدّ غلمانه على كلّ مَنْ كان شخص مع المعتمد من سامراً من القواد ، فقيدوهم ؛ فلما قيدوا وفرغ من أمرهم مضى إلى المعتمد ، فعدله في شخصه عن دارملكه وملك آبائه وفرقه أخاه على الحال التي هو بها من حرب مَنْ يحاول قتلها وقتل أهل بيته وزوال ملوكهم ، ثم حمله والذين كانوا معه في قيودهم حتى وافى بهم سامراً^(١) .

* * *

وفيها قام رافع بن هرثمة بما كان **الخُجُستانِي** غلب عليه من كُور خراسان وقرابها ؛ وكان رافع بن هرثمة قد احتوى عدّة من كور خراسان خراجها سلفاً لبضع عشرة سنة ، فأفقر أهلها وخربها .

وفيها كانت وقعة بين **الحسينيين** والحسينيين والجعفريين ، فقتل من

(١) انظر البداية والنهاية (٢٤٣/٨).

الجعفريّين ثمانية نفر ، وعلا الجعفريون فتخلّصوا الفضل بن العباس العباسي العامل على المدينة .

وفي جمادى الآخرة عقد هارون بن الموفق لابن أبي الساج على الأنبار طريق الفرات ورحبة طوق ، وولى أحمد بن محمد الطائي الكوفة وسواتها المعاون والخارج ، فصيّر المعاون باسم عليّ بن الحسين المعروف بكفترم ، فلقى أحمد بن محمد الهيضم العجلاني فيها ، فانهزم الهيضم واستباح الطائي أمواله وضياعه .

ولأربع خلّون من شعبان منها رد إسحاق بن كنداج المعتمد إلى سامراً فنزل الجوست المطل على الحير .

ولثمان خلّون من شعبان خلع على ابن كنداج ، وقدّ سيفين بحمائل أحدهما عن يمينه ، والآخر عن يساره ، وسمّي ذا السيفين ، وخُلع عليه بعد ذلك بيومين قباء ديباج ووشاحان ، وتوج بتاج ، وقدّ سيفاً كل ذلك مخصص بالجوهر ، وشيّعه إلى منزله هارون بن الموفق وصاعد بن مخلد والقواد وتغدوأ عنده .

* * *

[ذكر الخبر عن إحراق قصر صاحب الزنج]^(١)

وفي شعبان من هذه السنة أحرق أصحاب أبي أحمد قصر الفاسق ، وانتبهوا ما فيه .

* ذكر الخبر عن سبب ذلك وسبب وصولهم إليه :

ذكر محمد بن الحسن ، أن أباً أحمد لما برأ الجرح الذي كان أصابه ، عاد للذى كان عليه من مغادرة الفاسق الحرب ومراوحته؛ وكان الخبيث قد أعاد بناء بعض التلّم التي ثُلمت في السور ، فأمر الموفق بهدم ذلك ، وهدم ما يتصل به ، وركب في عشية من العشايا في أول وقت العصر ، وقد كانت الحرب متصلة في

(١) انظر المتنظم (١٢/٢٢٣ - ٢٢٤).

ذلك اليوم مما يلي نهر منكى ، والفسقة مجتمعون في تلك الناحية قد شغلوا أنفسهم بها ، وظنّوا أنهم لا يحاربون إلا فيها ، فوافى الموفق وقد أعدّ الفعلة ، وقرب على نهر منكى وناوش الفسقة فيه؛ حتى إذا استعرت الحرب أمر الجذافين والإشتيا咪ين أن يحثّوا السير حتى ينتهوا إلى النهر المعروف بجوى كور ، وهو نهر يأخذ من دجلة أسفل من المقاتلة والرجال ، فقرب وأخرج الفعلة ، فوافى جوى كور ، وقد خلا من المقاتلة والرجال ، فصعد المقاتلة ولوّجوا النهر؛ فقتلوا بهم ما كان يلي ذلك النهر ، وصعد المقاتلة ولوّجوا النهر؛ فقتلوا فيه مقتلةً عظيمة ، وانتهوا إلى قصور من قصور الفسقة ، فانتهوا ما كان فيها وأحرقوها ، واستنقذوا عدداً من النساء اللواتي كنّ فيها ، وأخذوا خيلاً من خيل الفجرة فحملوها إلى غربي دجلة ، فانصرف الموفق في وقت غروب الشمس بالظفر والسلامة ، وقادهم الحرب والقصد لهدم سور ، فأسرع فيه حتى اتصل بدار المعروف بانكلاي ، وكانت متصلة بدار الخبيث؛ فلما أعيت الحيلُ الخبيث في المنع من هدم سور ، ودفع أصحاب الموفق عن ولوّج مدنته ، أُسقط في يديه ، ولم يدرّ كيف يحتال لجسم ذلك ، فأشار عليه عليّ بن أبيان المهليي بإجراء الماء على السباخ التي يسلكها أصحاب الموفق لثلا يجدوا إلى سلوکها سبيلاً ، وأن يحفر خنادق في مواضع عدة يعوقهم بها عن دخول المدينة ، فإن حملوا أنفسهم على اقتحامها فوقعت عليهم هزيمة ، لم يسهل عليهم الرجوع إلى سفنهم؛ ففعلوا ذلك في عدّة مواضع من مدنتهـم ، وفي الميدان الذي كان الخبيث جعله طريقاً حتى انتهت تلك الخنادق إلى قريب من داره ، فرأى الموفق بعدما هيأ الله له من هدم سور مدينة الفاسق ما هيأ أن جعل قصده لطم الخنادق والأنهار والمواضع المغورة كي تصلح فيها مسالك الخيل والرجالـة ، فرام ذلك ، فحامى عنه الفسقة ، ودامـت الحرب وطالـت ووصلـ إلى الفريـقين من القتل والجرحـ أمرـ عظيمـ؛ حتى لقد عـدـ الجرحـ في بعض تلك الأيام زهاء ألفـ جـريحـ؛ وذلك لتقـارـبـ الفـريـقـينـ في وقتـ القـتـالـ ، ومنـعـ الخـنـادـقـ كلـ فـرـيقـ منـهـمـ عنـ إـزـالـةـ مـنـ بـإـيـازـهـ عنـ مـوـضـعـهــ ، فـلـمـ رـأـيـ ذـلـكـ المـوـفـقـ قـصـدـ لـإـحـرـاقـ دـارـ الخـبـيـثـ والـهـجـومـ عـلـيـهـاـ منـ دـجـلـةـ ، وـكـانـ يـعـوـقـ عـنـ ذـلـكـ كـثـرـةـ مـاـ أـعـدـ الخـبـيـثـ مـنـ الـحـمـةـ عـنـ دـارـهـ؛ فـكـانـ الشـذـاـ إـذـ قـرـبـتـ مـنـ قـصـرـهـ رـمـواـ مـنـ سـوـرـهـ وـمـنـ أـعـلـىـ القـصـرـ بـالـحـجـارـةـ وـالـشـابـ وـالـمـقـالـعـ وـالـمـجـانـيـقـ وـالـعـرـادـاتـ وـأـذـيبـ الرـصـاصـ ،

وأفرغ عليهم؛ فكان إحراق داره يتعدّر عليهم لما وصفنا؛ فأمر الموقّق بإعداد ظلال من خشب للشدا وإلباسها جلود الجواميس ، وتغطية ذلك بالخيش المطلبي بصنوف العقاقير والأدوية التي تمنع النار من الإحراق ، فعمل ذلك ، وطلّيت به عدّة شَذُّوات ورتب فيها جميعاً شجعاء غلمانه: الرامحة والناثبة ، وجمعوا من حُذّاق النفّاطين وأعدّهم لإحراق دار الفاسق صاحب الرَّزْنج .

فاستأمن إلى الموقّق محمد بن سمعان كاتب الخبيث وزيره في يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شعبان سنة تسع وستين ومئتين ، وكان سبب استئمانه - فيما ذكر محمد بن الحسن - أنه كان ممّن امتحن بصحبته ، وهو لها كاره على علم منه بضلالته ، وقال: كنت له على ذلك مواصلاً ، وكنا جميعاً ندبر الحيلة في التخلّص ، فيتعذر علينا ، فلما نزل بالخبيث من الحصار ما نزل ، وتفرق عنه أصحابه ، وضَعُفَ أمره؛ شمر في الحيلة للخلاص ، وأطّلعني على ذلك ، وقال: قد طبّت نفساً بآلاً أستصحب ولداً ولا أهلاً ، وأن أنجو وحيداً؛ فهل لك في مثل ما عزّمت عليه؟ فقلت له: الرأي لك ما رأيت؛ إذ كنت إنما تختلف ولداً صغيراً لا سبيل للخائن عليه إلى أن يصول به ، أو أن يحدث عليك فيه حدثاً يلزمك عاره؛ فأماماً أنا فإنّ معي نساء يلزمني عارهنّ ، ولا يسعني تعريضهنّ لسيطرة الفاجر؛ فامض لشأنك؛ فأخبرني بما علمت من نيتّي في مخالفه الفاجر وكراهه صحبته؛ وإن هيأ الله لي الخلاص بولدي ، فأنا سريع اللحاق بك ، وإن جرت المقادير فيها بشيء كنا معاً وصبرنا .

فوجّه محمد بن سمعان وكيلًا له يعرف بالعرّاقي ، فأتى عسّكر الموقّق ، فأخذ له ما أراد من الأمان ، وأعدّ له الشدا ، فوافته في السَّبَّحة في اليوم الذي ذكرنا ، فصار إلى عسّكر الموقّق ، وأعاد الموقّق محاربة الخبيث والقصد للإحراق من غد اليوم الذي استأمن فيه محمد بن سمعان؛ وهو يوم السبت لإحدى عشرة ليلة بقيت من شعبان سنة تسع وستين ومئتين ، في أحسن زيّ ، وأكمل عدّة ، ومعه الشَّذُّوات المطلية بما وصفنا ، وسائل شَذُّواته وسُميرياته فيها مواليه وغلمانه والمعابر التي فيها الرَّجالـة ، فأمر الموقّق ابنه أبا العباس بالقصد إلى دار محمد بن يحيى المعروف بالكرّبائي ، وهي بإزاء دار الخائن في شرقى النهر المعروف بأبي الخصيب ، يشرع على النهر وعلى دجلة ، وتقدم إليها في

إحراقها وما يليها من منازل قواد الخائن ، وشغلهم بذلك عن إنجاده ومعاونته ، وأمر المرتدين في الشّذا المظللة بالقصد؛ لما كان مطلأً على دجلة من رواشين الخبيث وأبنيته ، ففعلوا ذلك ، وألصقوا شذوايهم بسور القصر ، وحاربوا الفجرة أشدّ حرب ، ونضحوهم بالنيران ، وصبر الفسقة وقاتلوا ، فرزق الله النصر عليهم ، فتزحزحوا عن تلك الرواشين والأبنية التي كانوا يحامون عليها ، وأحرقها غلمان الموفق ، وسلم منْ كان في الشّذا مما كان الخباء يكيدونهم به من النشاب والحجارة وصب الرصاص المذاب وغير ذلك بالظلال التي كان آتخدناها على الشّذا فكان ذلك سبباً لتمكنها من دار الخبيث .

وأمر الموفق منْ كان في الشّذا بالرجوع فرجعوا ، فأخرج منْ كان فيها من الغلمان ، ورتب فيها آخرين ، وانتظر إقبال المدّ وعلوه؛ فلما تهيأ ذلك عادت الشّذواط المظللة إلى قصر الخبيث ، فأمر الموفق منْ كان فيها بإحراق بيوت كانت تشرع على دجلة من قصر الفاسق؛ ففعلوا ذلك ، فاضطررت النار في هذه البيوت ، واتصلت بما يليها من الستارات التي كان الخبيث ظلل بها داره ، وستور كانت على أبوابه ، فقويت النار عند ذلك على الإحراق ، وأعجلت الخبيث ومنْ كان معه عن التوقف على شيء مما كان في منزله من أمواله وذخائره وأثاثه وسائر أمتعته ، فخرج هارباً ، وترك ذلك كله ، وعلا غلمان الموفق قصر الخبيث استرقةن ، ودخل غلمان الموفق سائر دور الخبيث ودور ابنه أنكلاي ، فأضرمواها ناراً ، وعظم سرور الناس بما هيأ الله لهم في هذا اليوم ، فأقام جماعة يحاربون الفسقة في مدinetهم وعلى باب قصر الخبيث ، مما يلي الميدان ، فأثخنوا فيهم القتل والجرح والأسر ، وفعل أبو العباس في دارالمعروف بالكرنيائي وما يتصل بها من الإحراق والهدم والنهب مثل ذلك . وقطع أبو العباس يومئذ سلسلة حديد عظيمة وثيقة كان الخبيث قطع بها نهر أبي الخصيب ليمنع الشّذا من دخوله ، وحازها ، فحملت في بعض شذوااته وانصرف الموفق بالناس صلاة المغرب بأجمل ظفر ، وقد نال الفاسق في ذلك اليوم في نفسه وماليه وولده وما كان غالب عليه من نساء المسلمين مثل الذي أصاب المسلمين منه من الذعر

والجلاء وتشتت الشمل والمصيبة في الأهل والولد ، وجُرح ابنه المعروف بأنكلاي في هذا اليوم جراحة شديدة في بطنه أشفي منها على التلف .

* * *

[ذكر الخبر عن غرق نصير المعروف بأبي حمزة]

وفي غد هذا اليوم وهو يوم الأحد عشر بقين من شعبان من هذه السنة غرق نصير .

* ذكر سبب غرقه :

ذكر محمد بن الحسن : أنه لما كان غد هذا اليوم ، باكر الموقق محاربة الخبيث ، وأمر نصيراً المعروف بأبي حمزة بالقصد لقنطرة كان الخائن عملها بالسياج على النهر المعروف بأبي الخصيب ، دون الجسرِين اللذين اتخذهما عليه ، وأمر زيرك بإخراج أصحابه مما يلي دار الجبائي لمحاربتهم مَنْ هناك من الفجرة ، وأخرج جمعاً من قوادها مما يلي دار أنكلاي لمحاربتهم أيضاً ، فتسرع نصير ، فدخل نهر أبي الخصيب في أول المد في عدّة من شِدَّواته ، فحملها المد فأقصقها بالقنطرة ، ودخلت عدّة من شِدَّوات موالي الموقق وغلمانه مِنْ لم يكن أمراً بالدخول ، فحملهم المد فألقاهم على شِدَّوات نصير ، فصَّكت الشِّدَّوات بعضها بعضاً؛ حتى لم يكن للإشتيامين والجذافين فيها حيلة ولا عمل ، ورأى الزَّنج ذلك ، فاجتمعوا على الشِّدَّوات ، وأحاطوا بها من جانبي نهر أبي الخصيب ، فألقى الجذافون أنفسهم في الماء ذعرًا ووجلاً ، ودخل الزَّنج الشِّدَّotas ، فقتلوا بعض المقاتلة ، وغرق أكثرهم ، وحاربهم نصير في شِدَّواته حتى خاف الأسر ، فقد نفسه في الماء فغرق ، وأقام الموقق في يومه يحارب الفسقة ، وينهب ويحرق منازلهم ، ولم يزل باقي يومه مستعلياً عليهم؛ وكان ممن حامي على قصر الخائن يومئذ وثبت في أصحابه سليمان بن جامع ، فلم تزل الحرب بين أصحاب الموقق وبينه ، وهو مقيم بموضعه لم يرُل عنه إلى أن خرج في ظهره كمین من غلامي الموقق السودان ، فانهزم لذلك ، واتّبعه الغلمان يقتلون أصحابه ، ويأسرون منهم ، وأصابت سليمان في هذا الوقت جراحة في ساقه ، فهو لفيفه في موضع؛ قد كان الحريق ناله ببعض جُمر فيه ، فاحتراق

بعض جسده ، وحامى عليه جماعة من أصحابه ، فنجا بعد أن كاد الأسر يحيط به ، وانصرف الموفق ظافراً سالماً ، وضعفت الفسقة ، واشتد خوفهم لما رأوا من إدبار أمرهم ، وعرضت لأبي أحمد علة من وجع المفاصل ؛ فأقام فيها بقية شعبان وشهر رمضان وأياماً من شوال ممسكاً عن حرب الفاسق ، فلما استبلّ من عيلته وتماثل ، أمر بإعداد ما يحتاج إليه للقاء الفسقة ، فتأهب لذلك جميع أصحابه .

* * *

وفي هذه السنة كانت وفاة عيسى بن الشيخ بن السليل .

وفيها لعن ابن طولون المعتمد في دار العامة ، وأمر بلعنه على المنابر ، وصار جعفر المفروض إلى مسجد الجامع يوم الجمعة ، ولعن ابن طولون وعقد لإسحاق بن كنداج على أعمال ابن طولون ، وولي من باب الشamasية إلى إفريقية وولي سُرْطة الخاصة .

وفي شهر رمضان منها كتب أحمد بن طولون إلى أهل الشام يدعوهم إلى نصر الخليفة ، ووُجد فَيْجُ يريد ابنَ طولون معه كُتب من خليفته جواباً بأخبار ، فأخذَ جواب فحبس وأخذَ له مال ورقيق ودواب .

وفي شوال منها كانت وقعة بين أبي الساج والأعراب ، فهزمه فيها ، ثم بيّتهم فقتل منهم وأسر ، ووجه بالرؤوس والأسارى إلى بغداد ، فوصلت في شوال منها .

ولإحدى عشرة ليلة بقيت من شوال منها عقد جعفر المفروض لصاعد بن مخلد على شهرزور ودباذ والصامغان وحلوان وما بذان ومهرجان تذف وأعمال الفرات ، وضمّ إليه قواد موسى بن بغا خلاً أَحمد بن موسى وكينغَلَغ وإسحاق بن كنداجيق وأساتذتين ، فعقد صاعد للؤلؤ على ما عهد له عليه من ذلك المفروض يوم السبت لثمان بقين من شوال ، وبعث إلى ابن أبي الساج بعقد من قبله على العمل الذي كان يتولاه ، وكان يتولى الأنبار وطريق الفرات ورحمة طوق بن مالك من قبيل هارون بن الموفق ، وكان شخص إليها في شهر رمضان ، فلما ضُمّ ذلك إلى صاعد أقره صاعد على ما كان إليه من ذلك .

وفي آخر شوال منها دخل ابن أبي الساج رحمة طوق بن مالك بعد أن حاربه أهلهما ، فغلبهم وهرب أحمد بن مالك بن طوق إلى الشام ، ثم صار ابن أبي الساج إلى فرزقيسياء ؛ فدخلها وتنحى عنها ابن صفوان العقيلي .

* * *

[ذكر الخبر عن الواقعة التي كانت بين الموفق وبين الزنج]

وفي يوم الثلاثاء لعشر خلوزن من شوال من هذه السنة ، كانت بين أبي أحمد وبين الزنج وقعة في مدينة الفاسق أثر فيها آثاراً ، وصل بها إلى مراده منها .

* ذكر السبب في هذه الواقعة وما كان منها :

ذكر محمد بن الحسن أنَّ الخبيث عدو الله كان في مدة اشتغال الموفق بعلته أعاد القنطرة التي كانت شذوات نصير لججت فيها ، وزاد فيها ما ظنَّ أنه قد أحکمها ، ونصب دونها أدقال ساج وصل بعضها ببعض ، وألبسها الحديد ، وسَكَرَ أمام ذلك سِكْرَاً بالحجارة ليضيق المدخل على الشَّدَا ، وتحتَّد جريمة الماء في النهر المعروف بأبي الخصيب ، فيهاب الناس دخوله ، فندب الموفق قائديْن من قُوَّاد غلمانه في أربعة آلاف من الغلمان؛ وأمرهما أن يأتيا نهر أبي الخصيب؛ فيكون أحدهما في شرقه والأخر في غربه؛ حتى يوافيا القنطرة التي أصلحها الفاجر وما عمل في وجهها من السُّكُرْ فيحاربا أصحاب الخبيث حتى يجلياهم عن القنطرة ، وأعد معهما النجارين والفعلة لقطع القنطرة والبدود التي كانت جعلت أمامها ، وأمر بإعداد سفن محسنة بالقصب المصبوب عليه النفق ، لتدخل ذلك النهر المعروف بأبي الخصيب ، وتضرم ناراً لتحترق بها القنطرة في وقت المد ، فركب الموفق في هذا اليوم في الجيش حتى وافى فوهة نهر أبي الخصيب ، وأمر بإخراج المقاتلة في عدة مواضع من أعلى عسكر الخبيث وأسفله ، ليشغلهم بذلك عن التعاون على المنع عن القنطرة ، وتقدم القائدان في أصحابهما ، وتلقاهما أصحاب الخائن من الزنج وغيرهم ، يقودهم ابنه أنكلاي وعليّ بن أبان المهليبي وسليمان بن جامع ، فاشتبكت الحرب بين الفريقين ، ودامَت ، وقاتل الفسقة أشدَّ قتال ، محاماً عن القنطرة ، وعلموا ما عليهم في قطعها من الضَّرر ، وأنَّ الوصول إلى ما بعدها من الجسرتين العظيمتين اللَّذَيْنْ كان الخبيث اتخذهما على

نهر أبي الخصيب سهل مرامه ، فكثُر القتل والجراح بين الفريقين ، واتصلت الحرب إلى وقت صلاة العصر ، ثم إن غلمان الموفق أزالوا الفسقة عن القنطرة وجاؤزوها ، فقطعها التجارون والفعلة ، ونقضوها وما كان اتخذ من البدود التي ذكرناها .

وكان الفاسق أحكم أمر هذه القنطرة والبدود إحكاماً تعذر على الفعلة والتجارين الإسراع في قطعها ، فأمر الموفق عند ذلك بإدخال السفن التي فيها القصب والنفط ، وضربها بالنار وإرسالها مع الماء؛ ففعل ذلك ، فوافت السفن القنطرة فأحرقتها ، ووصل التجارون إلى ما أرادوا من قطع البدود فقطعواها ، وأمكن أصحاب الشّذا دخول النهر فدخلوه ، وقوي نشاط الغلمان بدخول الشّذا؛ فكشفوا أصحاب الفاجر عن مواقعهم حتى بلغوا بهم الجسر الأول الذي يتلو هذه القنطرة ، وقتل من الفجرة خلق كثير ، واستأمن فريق منهم؛ فأمر الموفق أن يخلع عليهم في ساعتهم تلك ، وأن يوقفوا بحيث يراهم أصحابهم ليرغبوا في مثل ما صاروا إليه؛ وانتهى الغلمان إلى الجسر الأول ، وكان ذلك قبيل المغرب ، فكره الموفق أن يُظلم الليل ، والجيش موغل في نهر أبي الخصيب ، فيتهيأ للفجرة بذلك انتهاز فرصة ، فأمر الناس بالانصراف ، فانصرفوا سالمين إلى المدينة الموقفة ، وأمر الموفق بالكتاب إلى النواحي بما هيأ الله له من الفتح والظفر؛ ليقرأ بذلك على المنابر ، وأمر بإثابة المحسنين من غلمانه على قدر غنائهم وبلائهم وحسن طاعتهم؛ ليزدادوا بذلك جداً واجتهاداً في حرب عدوهم .

فعمل ذلك ، وعبر الموفق في نفر من مواليه وغلمانه في الشّذوات والسميريات وما خفت من الزّواريق إلى فوهة نهر أبي الخصيب؛ وقد كان الخبيث ضيقها بيرجين عملهما بالحجارة لضيق المدخل وتحتَّد الجريمة ، فإذا دخلت الشّذا النهر لججتْ فيه ، ولم يسهل السبيل إلى إخراجها منه؛ فأمر الموفق بقطع ذينك البرجيين ، فعمل فيهما نهار ذلك اليوم ، ثم انصرف العمال وعادوا من غد لاستتمام قلع ما بقي من ذلك؛ فوجدوا الفجرة قد أعادوا ما قلع منها في ليلتهم تلك؛ فأمر بنصب عِرَادتين قد كانتا أعدتا في سفيتين ، نصبتا حيال نهر أبي الخصيب ، وطرحت لهما الأناجر حتى استقرتا؛ ووكل بهما من أصحاب الشّذا ، وأمر بقطع هذين البرجَيْن ، وتقدم إلى أصحاب العِرَادتين في رمي كلّ من

دنا من أصحاب الفاسق؛ لإعادة شيء من ذلك في ليل أو نهار؛ فتحامى الفجرة الدنوَّ من الموضع، وأحجموا عنه، وألْتَّ الموَّگلُون بقلع هذه الحجارة بعد ذلك ، حتى استتموا ما أرادوا ، واتَّسَعَ المسْلَكُ للشذا في دخول النهر والخروج منه .

* * *

[خبر انتقال صاحب الزنج إلى شرقى نهر أبي الخصيب]

وفي هذه السنة تحولَ الفاسق من غربى نهر أبي الخصيب إلى شرقىه وانقطعت عنه الميرة من كل وجهة .

* * *

ذكر الخبر عن حاله وحال أصحابه وما آل إليه أمرهم عند انتقاله من الجانب الغربي

ذُكر: أن الموقّق لما أخرّب منازل صاحب الزنج وحرّقها ، لجأ [أي: صاحب الزنج] إلى التحصن في المنازل الواقلة في نهر أبي الخصيب ، فنزل منزلًا كان لأحمد بن موسى المعروف بالقلوص ، وجمع عياله وولده حوله هناك ، ونقل أسواقه إلى السوق القرية من الموضع الذي اعتصم به؛ وهي سوق كانت تعرف بسوق الحسين ، وضُعِفَ أمره ضعفًا شديداً ، وتبيّن للناس زوال أمره ، فتهبّوا جلب الميرة إليه ، فانقطعت عنه كلّ مادة ، فبلغ عنده الرّطل من خبز البَرِّ عشرة دراهم ، فأكلوا الشعير ، ثم أكلوا أصناف الحبوب ، ثم لم يزل الأمر بهم إلى أن كانوا يتبعون الناس؛ فإذا خلا أحدُهم بامرأة أو صبيّ أو رجل ذبحه وأكله ، ثم صار قوي الزنج يَعْدُو على ضعيفهم؛ فكان إذا خلا به ذبحه وأكل لحمه؛ ثم أكلوا لحوم أولادهم ، ثم كانوا يبنشون الموتى ، فيبيعون أكفانهم ويأكلون لحومهم ، وكان لا يعاقب الخبيث أحدًا من فعل شيئاً من ذلك إلَّا بالحبس ، فإذا تطاول حبسه أطلقه .

وذُكر: أن الفاسق لما هُدِّمت داره وأحرقت ، وانتهَبَ ما فيها ، وأخرج طريداً سليباً من غربى نهر أبي الخصيب ، تحول إلى شرقىه ، فرأى أبو أحمد أن يخرب عليه الجانب الشرقي لتصرير حال الخبيث فيه كحاله في الغربي في الجلاء عنه ،

فأمر ابنه أبا العباس بالوقوف في جمع من أصحابه في الشَّذَا في نهر أبي الخصيب ، وأن يختار من أصحابه وغلمانه جمعاً يخرجهم في الموضع الذي كانت فيه دار الكنبائي من شرقى نهر أبي الخصيب ، ويخرج معهم الفعلة لهدم كل ما يلقاهم من دور أصحاب الفاجر ومنازلهم ، ووقف الموفق على قصر المعروف بالهمданى - وكان الهمدانى يتولى حياة هذا الموضع ، وهو أحد قادة جيوش الخبيث وقدماء أصحابه - وأمر الموفق جماعة من قواده ومواليه فقصدوا لدار الهمدانى ، ومعهم الفعلة؛ وقد كان هذا الموضع محسناً بجمع كثير من أصحاب الخبيث من الزنج وغيرهم ، وعليه عرادات ومجانق متصوبة وقصى ناوكة ، فاشتبكت الحرب وكثُر القتلى والجرح إلى أن كشف أصحاب الموفق الخباء ، ووضعوا فيهم السلاح ، فقتل منهم مقتلة عظيمة ، وفعل أصحاب أبي العباس مثل ذلك بمن مرّ بهم من الفسقة .

والتقى أصحاب الموفق وأصحاب أبي العباس؛ فكانوا يداً واحدة على الخباء ، فولوّا منهزمين ، وانتهوا إلى دار الهمدانى ، وقد حصنتها ونصب عليها العرادات ، وحفلها بأعلام بيض من أعلام الفاجر ، مكتوب عليها اسمه ، فتعذر على أصحاب الموفق تسلّر هذه الدار لعلّ سورها وحصانتها ، فوضعوا عليها الساليم الطوال ، فلم تبلغ آخره ، فرمى بعض غلمان الموفق بكلاليب كانوا أعدوها ، وجعلوا فيها الحبال لمثل هذا الموضع ، فأثبتوها في أعلام الفاسق وجذبواها ، فانقلبت الأعلام منكوبة من أعلى السور؛ حتى صارت في أيدي أصحاب الموفق ، فلم يشك المحامون عن هذه الدار أن أصحاب أبي أحمد قد علوّها ، فوجلوا فانهزموا ، وأسلموها وما حولها ، وصعد التقاطون فأحرقوا ما كان عليها من المجانق والعرادات ، وما كان فيها للهمدانى من متاع وأثاث ، وأحرقوا ما كان حولها من دور الفجرة ، واستنقذوا في هذا اليوم من نساء المسلمين المأسورات عدداً كثيراً، فأمر الموفق بحملهن في الشَّذَا والسميريات ، والمعابر إلى الموقمية والإحسان إليهنّ .

ولم تزل الحرب في هذا اليوم قائمةً من أول النهار إلى بعد صلاة العصر ، واستأنمن يومئذ جماعةً من أصحاب الفاسق وجماعةً من خاصة غلمانه الذين كانوا في داره يلون خدمته والوقوف على رأسه؛ فآمنهم الموفق وأمر بالإحسان إليهم ،

وأن يخلع عليهم ، ويصلوا وتُجرى لهم الأرزاق ، وانصرف الموفق ، وأمر أن تنكس أعلام الفاسق في صدور الشَّذَّوات ليراهما أصحابه ، ودللت جماعة من المستأمنة الموفق على سوق عظيمة كانت للخبيث في ظهر دار الهمدانى متصلةً بالجسر الأول المعقود على نهر أبي الخصيب ، كان الخبيث سماها المباركة ، وأعلموه أنه إن تهيأ له إحراقها لم يبق لهم سوق ، وخرج عنهم تجارهم الذين بهم قوامهم؛ واستوحشوا لذلك ، واضطروا إلى الخروج في الأمان ، فعزם الموفق عند ذلك على قصد هذه السوق وما يليها بالجيوش من ثلاثة أوجه؛ فأمر أبا العباس بقصد جانب من هذه السوق مما يلي الجسر الأول؛ وأمر راشداً مولاه بقصدها مما يلي دار الهمدانى ، وأمر قواد غلمانه السودان بالقصد لها من نهر أبي شاكر ، ففعل كلُّ فريق ما أمر به ، ونذر الرَّنج بمسير الجيوش إليهم ، فنهضوا في وجوههم ، واستعرت الحرب وغلظت ، فأمدَّ الفاجر أصحابه ، وكان المهلبي وأنكلاي وسليمان بن جامع في جميع أصحابهم بعد أن تكاملوا ووافتهم أ Madd الخبيث بهذه السوق يحامون عنها ، ويحاربون فيها أشد حرب .

وقد كان أصحاب الموفق في أول خروجهم إلى هذا الموضع وصلوا إلى طرف من أطراف هذه السوق ، فأضرموا ناراً فاحتراق ، فاتصلت النار بأكثر السوق ، فكان الفريقان يتحاربون والنار محطة بهم؛ ولقد كان ما علا من ظلالٍ يحترق فيقع على رؤوس المقاتلة؛ فربما أحرق بعضهم ، وكانت هذه حالهم إلى مغيب الشمس وإقبال الليل ، ثم تحاجزوا ، وانصرف الموفق وأصحابه إلى سفنهم ، ورجع الفسقة إلى طاغيتهم بعد أن احترق السوق ، وجلا عنها أهلها ومن كان فيها من تجار عسكر الخائن وسوقتهم ، فصاروا في أعلى مديتها بما تخلصوا به من أموالهم وأمتعتهم ، وقد كانوا تقدموا في نقل جل تجارتهم وبضائعهم من هذه السوق خوفاً من مثل الذي نالهم في اليوم الذي أظفر الله فيه الموفق بدار الهمدانى وهياً له إحراق ما أحرق حولها .

ثم إن الخبيث فعل في الجانب الشرقي من حفر الخنادق وتعوير الطرق ما كان فعل في الجانب الغربي بعد هذه الواقعة ، واحتفت خندقاً عريضاً من حد جوى كور إلى نهر الغربي ، وكان أكثر عنایته بتحصين ما بين دار الكرنبائي إلى النهر المعروف بجوى كور؛ لأنه كان في هذا الموضع جُلَّ منازل أصحابه ومساكنهم ،

وكان من حدّ جوى كور إلى نهر الغربي بساتين ومواضع قد أخلوها ، والسور والخندق محيطان بها ، وكانت الحرب إذا وقعت في هذا الموضع قصدوا من موضعهم إليه للمحاماة عنه والمنع منه ؛ فرأى الموفق عند ذلك أن يخرب باقي السور إلى نهر الغربي ، ففعل ذلك بعد حرب طويلة في مدة بعيدة.

وكان الفاسق في الجانب الشرقي من نهر الغربي في عسكر فيه جمع من الزنج وغيرهم متحصّنين بسور منيع وخنادق ، وهم أجلد أصحاب الخبيث وشجاعتهم ، فكانوا يحاصرون عما قرب من سور نهر الغربي ، وكانوا يخرجون في ظهور أصحاب الموفق في وقت الحرب على جوى كور وما يليه ، فأمر الموفق بقصد هذا الموضع ومحاربة مَنْ فيه وهدم سوره وإزالة المتصحّنين به ، فتقدّم عند ذلك إلى أبي العباس وعدة من قواد غلمانه ومواليه في التأهّب لذلك ، ففعلوا ما أمرُوا به ، وصار الموفق بمَنْ أعدَه إلى نهر الغربي ، وأمر بالشَّدَّا فنظمت من حدّ النهر المعروف بجوى كور إلى الموضع المعروف بالدبّاسين ، وخرج المقاتلة على جنبي نهر الغربي ، ووضعت السلاليم على السور.

وقد كانت لهم عليه عدة عِرَادَات ، ونشبت الحرب ، ودانت مذ أول النهار إلى بعد الظهر ، وهُدم من السور موانع ، وأحرق ما كان عليه من العِرَادَات ، وتحاجز الفريقان ، وليس لأحدهما فضل على صاحبه إلَّا ما وصل إليه أصحاب الموفق من هذه المواقع التي هدموها وإحراق العِرَادَات ، ونال الفريقين من ألم الجراح أمرٌ غليظ موجع .

فانصرف الموفق وجميع أصحابه إلى الموقفة ، فأمر بمداواة الجرحى ، ووصل كلّ امرئ على قدر الجراح التي أصابته ؛ وعلى ذلك كان أجرى التدبير في جميع وقائعه منذ أول معاربته الفاسق إلى أن قتله الله .

وأقام الموفق بعد هذه الواقعة مدة ، ثم رأى معاودة هذا الموضع والتشاغل به دون المواقع ، لما رأى من حصانته وشجاعة مَنْ فيه وصبرهم ، وأنه لا يتھيأ ما يقدر فيما بين نهر الغربي وجوى كور إلا بعد إزالة هؤلاء ، فأعاد ما يحتاج إليه من آلات الهدم ، واستكثر من الفعلة ، وانتخب المقاتلة الناشبة والرامحة والسودان أصحاب السيوف ، وقصد هذا الموضع على مثل قصده له المرة

الأولى ، فأنخرج الرجالـة في الموضعـ التي رأـي إخراجـهمـ فيها ، وأدخلـ عدداً من الشـذاـ النـهـرـ ، ونشـبتـ الحـربـ وـدامـتـ ، وصـبرـ الفـسـقةـ أـشـدـ صـبـرـ ، وصـبرـ لـهـمـ أصحابـ المـوـقـعـ .

واستمدـ الفـسـقةـ طـاغـيـتـهـمـ ، فـوـافـاهـمـ الـمـهـلـيـيـ وـسـلـيمـانـ بنـ جـامـعـ فيـ جـيـشـهـمـ ، فـقـويـتـ قـلـوبـهـمـ عـنـ ذـلـكـ ، وـحـمـلـواـ عـلـىـ أـصـحـابـ المـوـقـعـ ، وـخـرـجـ سـلـيمـانـ كـمـيـناـ مـاـ يـلـيـ جـوـىـ كـورـ ، فـأـزـالـواـ أـصـحـابـ المـوـقـعـ حـتـىـ اـنـتـهـواـ إـلـىـ سـفـنـهـمـ ، وـقـتـلـواـ مـنـهـمـ جـمـاعـةـ وـانـصـرـفـ المـوـقـعـ وـلـمـ يـلـغـ كـلـ الـذـيـ أـرـادـ ، وـتـبـيـنـ أـنـهـ قدـ كـانـ يـجـبـ أـنـ يـحـارـبـ الفـسـقةـ مـنـ عـدـّـ مـوـاـضـعـ ، لـيـفـرـقـ جـمـعـهـمـ ، فـيـخـفـ وـطـؤـهـمـ عـلـىـ مـنـ يـقـصـدـ لـهـذـاـ المـوـضـعـ الصـعـبـ ، وـيـنـالـ مـنـهـ مـاـ يـحـبـ ، فـعـزـمـ عـلـىـ مـعـاـودـهـمـ ، وـتـقـدـمـ إـلـىـ أـبـيـ العـبـاسـ وـغـيـرـهـ مـنـ قـوـادـهـ فـيـ الـعـبـورـ وـاـخـتـيـارـ أـنـجـادـ رـجـالـهـمـ ، وـوـكـلـ مـسـرـورـاـ مـوـلـاـ بـالـنـهـرـ الـمـعـرـوـفـ بـمـنـكـيـ ، وـأـمـرـهـ أـنـ يـخـرـجـ رـجـالـهـ فـيـ ذـلـكـ المـوـضـعـ وـمـاـ يـتـصـلـ بـهـ مـنـ الـجـبـالـ وـالـنـخـلـ ، لـتـشـتـغلـ قـلـوبـ الـفـجـرـةـ ، وـلـيـرـوـاـ أـنـ عـلـيـهـمـ تـدـبـيرـاـ مـنـ تـلـكـ الـجـهـةـ ، وـأـمـرـ أـبـيـ العـبـاسـ بـإـخـرـاجـ أـصـحـابـهـ عـلـىـ جـوـىـ كـورـ ، وـنـظـمـ الشـذاـ عـلـىـ هـذـاـ المـوـضـعـ حـتـىـ اـنـتـهـىـ إـلـىـ المـوـضـعـ الـمـعـرـوـفـ بـالـدـبـاسـينـ ؛ وـهـوـ أـسـفـلـ نـهـرـ الـغـرـبـيـ ، وـصـارـ المـوـقـعـ إـلـىـ نـهـرـ الـغـرـبـيـ ، وـأـمـرـ قـوـادـهـ وـغـلـمـانـهـ أـنـ يـخـرـجـوـاـ فـيـ أـصـحـابـهـمـ فـيـحـارـبـوـاـ الفـسـقةـ فـيـ حـصـنـهـمـ وـمـعـقـلـهـمـ ، وـأـلـاـ يـنـصـرـفـوـاـ عـنـهـمـ حـتـىـ يـفـتـحـ اللـهـ لـهـمـ ، أـوـ يـلـغـ إـرـادـتـهـ مـنـهـمـ ، وـوـكـلـ بـالـسـوـرـ مـنـ يـهـدـمـهـ ، وـتـسـرـعـ الفـسـقةـ كـعـادـتـهـمـ ، وـأـطـعـمـهـمـ مـاـ تـقـدـمـ مـنـ الـوـقـعـتـينـ اللـتـيـنـ ذـكـرـنـاهـماـ ، فـثـبـتـ لـهـمـ غـلـمـانـ المـوـقـعـ ، وـصـدـقـوـهـمـ الـلـقاءـ ؛ فـأـنـزـلـ اللـهـ عـلـيـهـمـ نـصـرـهـ ، فـأـزـالـواـ الفـسـقةـ عـنـ مـوـاقـفـهـمـ ، وـقـوـيـ أـصـحـابـ المـوـقـعـ ، فـحـمـلـواـ عـلـيـهـمـ حـمـلـةـ كـشـفـوـهـمـ بـهـاـ ، فـانـهـزـمـواـ وـخـلـوـاـ عـنـ حـصـنـهـمـ ، وـصـارـ فـيـ أـيـديـ غـلـمـانـ المـوـقـعـ فـهـدـمـوـهـ ، وـأـحـرـقـوـاـ مـنـازـلـهـمـ ، وـغـنـمـوـاـ مـاـ كـانـ فـيـهـاـ ، وـاتـبـعـوـاـ الـمـنـهـزـمـينـ مـنـهـمـ ، فـقـتـلـواـ مـنـهـمـ مـقـتـلـةـ عـظـيـمـةـ وـأـسـرـوـاـ ، وـاستـنقـذـوـاـ مـنـ هـذـاـ حـصـنـ مـنـ النـسـاءـ الـمـأـسـورـاتـ خـلـقاـ كـثـيرـاـ ، فـأـمـرـ المـوـقـعـ بـحـمـلـهـنـ وـالـإـحـسـانـ إـلـيـهـنـ ، وـأـمـرـ أـصـحـابـهـ بـالـرجـوعـ إـلـىـ سـفـنـهـمـ فـفـعـلـوـاـ ، وـانـصـرـفـ إـلـىـ عـسـكـرـهـ بـالـمـوـفـقـيـةـ ، وـقـدـ بـلـغـ مـاـ حـاـوـلـ مـنـ هـذـاـ المـوـضـعـ .

[ذكر خبر دخول الموفق مدينة صاحب الزنج]

وفيها دخل الموفق مدينة الفاسق ، وأحرق منازله من الجانب الشرقي من نهر أبي الخصيب .

* ذكر الخبر عن سبب وصوله إلى ذلك :

ذكر أنّ أبو أحمد لما أراد ذلك بعد هدمه سور داره ذلك ، أقام يصلح المسالك في جنوبتي نهر أبي الخصيب وفي قصر الفاسق ، ليتسع على المقاتلة الطريق في الدخول والخروج للحرب ، وأمر بقلع باب قصر الخبيث الذي كان انتزعاً من حصن أرْوَخ بالبصرة ، فقلع وحمل إلى مدينة السلام ، ثم رأى القصد لقطع الجسر الأول الذي كان على نهر أبي الخصيب ، لما في ذلك من منع معاونة بعضهم بعضاً عند وقوع الحرب في نواحي عسکرهم ، فأمر بإعداد سفينة كبيرة تُملأ قصباً قد سُقِيَ التقط ، وأن يُنصب في وسط السفينة ، دَقْل طويل يمنعها من مجاوزة الجسر إذا لصقت به ، وانتهز الفرصة في غفلة الفسقة وتفرّقهم .

فلما وجد ذلك في آخر النهار قدّمت السفينة ، فجرّها الشذا حتى وردت النهر ، وأشعل فيها النيران ، وأرسلت وقد قوى المدّ ، فوافت القنطرة ، ونَذَرَ الزَّنج بها ، وتجمعوا وكثروا حتى ستروا الجسر وما يليه ، وجعلوا يقدّفون السفينة بالحجارة والأجرّ ، ويهيلون عليها التراب ، ويصبّون الماء ، وغاص بعضهم فنقبها؛ وقد كانت أحرقت من الجسر شيئاً يسيرًا فأطفاء الفسقة ، وغرّقوا السفينة وحازوها؛ فصارت في أيديهم .

فلما رأى أبو أحمد فعلَّهم ذلك ، عزم على مجاهدتهم على هذه الجسر حتى يقطعه ، فسمى لذلك قائدين من قواد غلمانه ، وأمرهما بالعبور في جميع أصحابهما في السلاح الشاك واللامة الحصينة والآلات المحكمة ، وإعداد النفاطين والآلات التي تُقطع بها الجسور ، فأمر أحد القائدين أن يقصد غربى النهر ، وجعل الآخر في شرقه ، وركب الموفق في مواليه وخدّامه وغلمانه الشَّذَّوات والشَّمَرِيَّات ، وقصد فُوَّهَة نهر أبي الخصيب؛ وذلك في غداة يوم السبت لأربع عشرة ليلة خلت من شوال سنة تسع وستين ومئتين ، فسبق إلى الجسر القائد الذي كان أمراً بالقصد له من غربي نهر أبي الخصيب ، فأوقع بمَنْ

كان موكلًا به من أصحاب الفاسق ، وقتلت منهم جماعة ، وضرب الجسر بالنار ، وطرح عليه القصب وما كان أعدّ له من الأشياء المحرقـة ، فانكشف مـن كان هناك من أعونـ الخـيـث ، ووافـى بـعـد ذـلـك مـنْ كـان أمرـ بالقصدـ للجـسـرـ منـ الجـانـبـ الشـرـقيـ ، فـفـعـلـواـ ماـ أـمـرـواـ بـهـ مـنـ إـحـراـقـهـ .

وقد كان الخـيـثـ أمرـ اـبـنهـ أـنـكـلـايـ وـسـلـيمـانـ بنـ جـامـعـ بـالـمـقـامـ فـيـ جـيشـهـماـ لـلـمـحـاماـةـ عـنـ الجـسـرـ ، وـالـمـنـعـ مـنـ قـطـعـهـ ؛ فـفـعـلـاـ ذـلـكـ ، فـقـصـدـ إـلـيـهـمـاـ مـنـ كـانـ بـإـيـازـهـمـاـ ، وـحـارـبـوهـ حـرـباـ غـلـيـظـاـ حـتـىـ انـكـشـفـاـ ، وـتـمـكـنـواـ مـنـ إـحـرـاقـ الجـسـرـ فـأـحـرـقـوهـ ، وـتـجـاـزوـهـ إـلـىـ الـحـظـيرـةـ التـيـ كـانـ يـعـمـلـ فـيـهاـ شـذـوـاتـ الفـاسـقـ وـسـمـيرـيـاتـهـ وـجـمـيعـ الـآـلـاتـ التـيـ كـانـ يـحـارـبـ بـهـ ، فـأـحـرـقـ ذـلـكـ عنـ آـخـرـهـ إـلـاـ شـيـئـاـ يـسـيرـاـ مـنـ الشـذـوـاتـ وـالـسـمـيرـيـاتـ كـانـ فـيـ النـهـرـ ، وـانـهـزـمـ أـنـكـلـايـ وـسـلـيمـانـ بنـ جـامـعـ ، وـانـتـهـيـ غـلـمـانـ المـوـقـعـ إـلـىـ سـجـنـ كـانـ لـلـخـيـثـ فـيـ غـرـبـيـ نـهـرـ أـبـيـ الـخـصـيبـ ، فـحـامـيـ عـنـ الرـَّنـجـ سـاعـةـ مـنـ النـهـارـ حـتـىـ أـخـرـجـوـاـ مـنـ جـمـاعـةـ ، وـغـلـبـهـمـ عـلـيـهـ غـلـمـانـ المـوـقـعـ ، فـخـلـصـوـاـ مـنـ كـانـ فـيـ الرـجـالـ وـالـنـسـاءـ ، وـتـجـاـزوـرـ مـنـ كـانـ فـيـ الجـانـبـ الشـرـقيـ مـنـ غـلـمـانـ المـوـقـعـ ، بـعـدـ أـنـ أـحـرـقـوـاـ مـاـ وـلـوـاـ مـنـ الجـسـرـ إـلـىـ المـوـضـعـ الـمـعـرـوفـ بـدـارـ مـصـلـحـ ؛ وـهـوـ مـنـ قـدـمـاءـ قـوـادـ الـفـاسـقـ ، فـدـخـلـوـاـ دـارـهـ وـأـنـهـبـوـهاـ ، وـسـبـواـ وـلـدـهـ وـنـسـاءـهـ ، وـأـحـرـقـوـاـ مـاـ تـهـيـأـ لـهـمـ إـحـراـقـهـ فـيـ طـرـيقـهـ ، وـبـقـيـتـ مـنـ الجـسـرـ فـيـ وـسـطـ مـنـ الشـذـنـاـ إـلـىـ ذـلـكـ المـوـضـعـ ، فـفـعـلـ ذـلـكـ ؛ فـكـانـ فـيـمـنـ تـقـدـمـ زـيـرـكـ فـيـ عـدـدـ مـنـ أـصـحـابـهـ ، فـوـافـىـ هـذـهـ الـأـدـقـالـ ، وـأـخـرـجـوـاـ إـلـيـهـاـ قـوـمـاـ قـدـ كـانـوـاـ أـعـدـوـهـمـ لـهـاـ مـعـهـمـ الـفـؤـوسـ وـالـمـنـاشـيرـ ، فـقـطـعـوـهـاـ ، وـجـذـبـتـ وـأـخـرـجـتـ عـنـ النـهـرـ ، وـسـقـطـ مـاـ بـقـيـ مـنـ الـقـنـطـرـةـ ، وـدـخـلـتـ شـذـوـاتـ المـوـقـعـ النـهـرـ ، وـسـارـ الـقـائـدانـ فـيـ جـمـيعـ أـصـحـابـهـمـ عـلـىـ حـافـتـيـهـ فـهـزـمـ أـصـحـابـ الـفـاجـرـ فـيـ الـجـانـبـيـنـ ، وـانـصـرـفـ المـوـقـعـ وـجـمـيعـ أـصـحـابـهـ سـالـمـينـ ، وـاـسـتـنـقـدـ خـلـقـ كـثـيرـ ، وـأـتـيـ المـوـقـعـ بـعـدـ كـثـيرـ مـنـ رـؤـوسـ الـفـسـقـةـ ، فـأـثـابـ مـنـ أـتـاهـ بـهـ ، وـأـحـسـنـ إـلـيـهـ وـوـصـلـهـ .

وـكـانـ اـنـصـارـهـ فـيـ هـذـاـ الـيـوـمـ عـلـىـ ثـلـاثـ سـاعـاتـ مـنـ النـهـارـ ، بـعـدـ أـنـ اـنـحـازـ الـفـاسـقـ وـجـمـيعـ أـصـحـابـهـ مـنـ الرـَّنـجـ وـغـيـرـهـمـ إـلـىـ الـجـانـبـ الشـرـقيـ مـنـ نـهـرـ أـبـيـ الـخـصـيبـ ، وـأـخـلـوـاـ غـرـبـيـهـ ، وـاـحـتـوـيـ عـلـيـهـ أـصـحـابـ المـوـقـعـ ، فـهـدـمـوـاـ مـاـ كـانـ

يعوق عن محاربة الفَجْرَة من قصور الفاسق وقصور أ أصحابه ، ووسعوا مخترقات ضيقة كانت على نهر أبي الخصيب ، فكان ذلك مما زاد في رعب أصحاب الخائن ، ومال جمُعٌ كثير من قواده وأصحابه الذين كان لا يرى أنهم يفارقونه إلى طلب الأمان ، فبذل ذلك لهم ، فخرجوا أرسلاً ، فُقِيلُوا ، وأحسِنَ إليهم وألحقوا بنظرائهم في الأرزاق والصلات والخلع .

ثم إن الموفق واظب على إدخال الشذا النهر ، وتقتحمه في غلمانه ، وأمر بإحرق ما على حافتيه من منازل الفجرة وما في بطنه من السفن ، وأحب تمرين أصحابه على دخول النهر وتسهيل سلوكه لهم لما كان يقدّر من إحراق الجسر الثاني ، والتوصل إلى أقصى مواضع الفجرة .

فيينا الموفق في بعض أيامه - التي ألح فيها على حرب الخبيث وولوج نهر أبي الخصيب - واقف في موضع من النهر؛ وذلك في يوم الجمعة ، إذ استأمن إليه رجل من أصحاب الفاجر ، وأتاه بمنبر كان للخبيث في الجانب الغربي ، فأمره بنقله إليه ، ومعه قاض كان للخبيث في مدنته؛ فكان ذلك مما فت في أعضادهم؛ وكان الخبيث جمع ما كان بقي له من السفن البحرية وغيرها ، فجعلها عند الجسر الثاني ، وجمع قواده وأصحابه وأنجاد رجاله هنالك؛ فأمر الموفق بعض غلمانه بالدنو من الجسر وإحرق ما تهياً إحراقه من المراكب البحرية التي تليه ، وأخذ ما أمكن أخذها منها ، ففعل ذلك المأمورون به من الغلمان ، فزاد فعلهم في تحرّز الفاجر ومحاماته عن الجسر الثاني ، فألزم نفسه وجميع أصحابه حفظه وحراسته خوفاً من أن تتهيأ حيلة فيخرج الجانب الغربي عن يده ، ويُوطئه أصحاب الموفق؛ فيكون ذلك سبباً لاستئصاله ، فأقام الموفق بعد إحراق الجسر الأول أيامًا يعبر بجمع بعد جمع من غلمانه إلى الجانب الغربي من نهر أبي الخصيب ، فيحرقون ما بقي من منازل الفجرة ، ويقربون من الجسر الثاني فيحاربهم عليه الزنج .

وقد كان تخلف منهم جمُعٌ في منازلهم في الجانب الغربي المقاربة للجسر الثاني ، وكان غلمان الموفق يأتون هذا الموضع ويقفون على الطرق والمسالك التي كانت تخفي عليهم من عسكر الخبيث؛ فلما وقف الموفق على معرفة غلمانه وأصحابه بهذه الطريق واهتدائهم لسلوكها ، عزم على القصد لإحراق الجسر

الثاني ليحوز الجانب الغربي من عسكر الخبيث ، ولتهيأ لأصحابه مساواتهم على أرض واحدة ، لا يكون بينهما فيها حائل غير نهر أبي الخصيب ؛ فأمر الموفق عند ذلك أبا العباس بقصد الجانب الغربي في أصحابه وغلمانه ، وذلك في يوم السبت لثمان بقين من شوال سنة تسع وستين ومئتين ، وتقىد إليه أن يجعل خروجه بأصحابه في موضع البناء الذي كان الفاجر سماه مسجد الجامع ، وأن يأخذ الشارع المؤدي إلى الموضع الذي كان الخبيث اتخذ مصلى يحضره في أعياده ؛ فإذا انتهى إلى موضع المصلى عطف منه إلى الجبل المعروف بجبل المكتنى بأبي عمرو أخي المهلبي ، وضم إليه من قواد غلمانه الفرسان والرجال زهاء عشرة آلاف ، وأمره أن يرتب زيرك صاحب مقدمته في أصحابه في صحراء المصلى ، ليأمن خروج كمين إن كان للفسقة من ذلك الموضع ، وأمر جماعة من قواد الغلمان أن يتفرقوا في الجبال التي فيها بين الجبل المعروف بالمكتنى بأبي عمرو وبين الجبل المعروف بالمكتنى أبا مقاتل الزنجي ، حتى توافدوا جميعاً من هذه الجبال موضع الجسر الثاني في نهر أبي الخصيب ، وتقىد إلى جماعة من قواد الغلمان المضمومين إلى أبا العباس أن يخرجوا في أصحابهم بين دار الفاسق ودار ابنه أنكلاي ، فيكون مسيرهم على شاطئ نهر أبي الخصيب وما قاربه ؛ ليتصلوا بأوائل الغلمان الذين يأتون على الجبال ، ويكون قصد الجميع إلى الجسر ، وأمرهم بحمل الآلات من المعاول والفؤوس والمناشير مع جمع من التفاطين لقطع ما يتهيأ قطعه ، وإحراق ما يتهيأ إحراقه ، وأمر راشداً مولاه بقصد الجانب الشرقي من نهر أبي الخصيب في مثل العدة التي كانت مع أبي العباس وقصد الجسر ومحاربة من يدافع عنه ، ودخل أبو أحمد نهر أبي الخصيب في الشذى ، وقد أعد منها شذوات رتب فيها من أنجاد غلمانه الناشبة والزاحمة من ارتضاه ، وأعد معهم من الآلات التي يقطع بها الجسر ما يحتاج إليه لذلك ؛ وقد هم أمامه في نهر أبي الخصيب ، واشتبت الحرب في الجانبين جميعاً بين الفريقين ، واشتد القتال .

وكان في الجانب الغربي بإزار أبا العباس ومن معه أنكلاي ابن الفاسق في جيشه ، وسلامان بن جامع في جيشه ، وفي الجانب الشرقي بإزار راشد ومن معه الفاجر صاحب الرنج والمهلبي في باقي جيشه ، فكانت الحرب في ذلك اليوم

إلى مقدار ثلاثة ساعات من النهار ، ثم انهزمت الفسقة لا يلُوون على شيء ، وأخذت السيفون منهم مأخذها ، وأخذ من رؤوس الفسقة ما لم يقع عليه إحصاء لكثرته ؛ فكان الموفق إذا أتى برأس من الرؤوس أمر بإلقائه في نهر أبي الخصيب ، ليدع المقاتلة الشغل بالرؤوس ، ويجدوا في اتباع عدوهم ، وأمر أصحاب الشذا الذين ربهم في نهر أبي الخصيب بالدنو من الجسر وإحراقه ، ودفع من تحامى عنه من الزنج بالسهام ؛ ففعلوا ذلك وأضرموا الجسر ناراً ، ووافى أنكلاي وسيمان في ذلك الوقت جريحين مهزومين ، يريدان العبور إلى شرقى نهر أبي الخصيب ، فحالت النار بينهما وبين الجسر ، فألقوا أنفسهما ومن كان معهما من حماتهم في نهر أبي الخصيب ، ففرق منهم خلق كثير ، وأفلت أنكلاي وسيمان بعد أن أشفيا على الهلاك ، واجتمع على الجسر من الجانبين خلق كثير ، فقطع بعد أن ألقيت عليه سفينة مملوقة قصباً مضروراً بالدار ، فأعانت على قطعه وإحراقه ، وتفرق الجيش في نواحي مدينة الخبيث من الجانبين جميعاً ، فأحرقوا من دورهم وقصورهم وأسواقهم شيئاً كثيراً ، واستنقذوا من النساء المؤسورات والأطفال ما لا يحصى عدده ، وأمر الموفق المقاتلة بحملهم في سفينهم والعبور بهم إلى الموقفية .

وقد كان الفاجر سكن بعد إحراق قصره ومنازله الدار المعروفة بأحمد بن موسى القلوص والدار المعروفة بمحمد بن إبراهيم أبي عيسى ، وأسكن ابنه أنكلاي الدار المعروفة بمالك ابن أخت القلوص ؛ فقصد جماعة من غلمان الموفق المواقع التي كان الخبيث يسكنها فدخلوها ، وأحرقوا منها مواضع ، وانتبهوا منها ما كان سلم للفاسق من الحرير الأول ، وهرب الخبيث ولم يوقف في ذلك اليوم على مواضع أمواله ، واستنقذ في هذا اليوم نسوة عَلَوَيات كن محتبسات في موضع قريب من داره التي كان يسكنها ، فأمر الموفق بحملهن إلى عسكره ، وأحسن إليهن ، ووصلهن ، وقصد جماعة من غلمان الموفق من المستأنفة المضمومين إلى أبي العباس سجناً كان الفاسق اتخذه في الجانب الشرقي من نهر أبي الخصيب ، ففتحوه وأخرجوا منه خلقاً كثيراً ممن كان أسر من العساكر التي كانت تحارب الفاسق وأصحابه ، ومن سائر الناس غيرهم ، فأخرج جميعهم في قيودهم وأغلالهم حتى أتى بهم الموفق ، فأمر بفك الحديد عنهم

وحملهم إلى الموقبة ، وأخرج في ذلك اليوم كل ما كان بقى في نهر أبي الخصيب من شذاً ومراتب بحرية وسفن صغار وكبار وحرّاقات وزلاالت وغير ذلك من أصناف السفن من النهر إلى دجلة ، وأباها الموفق أصحابه وغلمانه مع ما فيها من السلب والنهب الذي حازوا في ذلك اليوم من عسكر الخبيث ، وكان ذلك قدر جليل وخطر عظيم .

* * *

وفيها كان إحدار المعتمد إلى واسط ، فسار إليها في ذي القعدة وأنزل دار زيرك .

وفيها سأله أنكلاي ابن الفاسق أباً أحمد الموفق الأمان ، وأرسل إليه في ذلك رسولاً ، وسأل أشياء فأجابه الموفق إلى كل ما سأله ، ورد إليه رسوله ، وعرض لل媿 عقب ذلك ما شغله عن الحرب ، وعلم الفاسق أبو أنكلاي بما كان من ابنه فعذله - فيما ذكر - على ذلك ، حتى ثناه عن رأيه في طلب الأمان ، فعاد للجد في قتال أصحاب الموفق ، ومبشرة الحرب بنفسه .

* * *

[ذكر طلب رؤساء صاحب الزنج الأمان]

وفيها وجه أيضاً سليمان بن موسى الشعراوي - وهو أحد رؤساء أصحاب الفاسق - من يطلب الأمان له من أبي أحمد ، فمنعه أبو أحمد ذلك ، لما كان سلف منه من العبث وسفك الدماء ، ثم اتصل به أن جماعة من أصحاب الخبيث قد استوحشوا لمنعة ذلك الشعراوي ، فأجابه أبو أحمد إلى إعطائه الأمان ؛ استصلاحاً بذلك غيره من أصحاب الفاسق ، وأمر بتوجيه الشذا إلى الموضع الذي وادعهم الشعراوي ، ففعل ذلك ، فخرج الشعراوي وأخوه وجماعة من قواده ، فحملهم في الشذا ، وقد كان الخبيث حرساً به مؤخر نهر أبي الخصيب ، فحمله أبو العباس إلى الموفق ، فمن عليه ، ووفى له بأمانه ، وأمر به فوصل ووصل أصحابه ، وخلع عليهم ، وحمل على عدة أفراس بسروجهما وألتها ، وزرّله وأصحابه أنزلاً سنية ، وضمه وإياهم إلى أبي العباس ، وجعله في جملة أصحابه ، وأمره بإظهاره في الشذا لأصحاب الخائن ليزدادوا ثقةً بأمانه ؛ فلم يربح

الشَّدَا من موضعها من نهر أبي الخصيب ، حتى استأمن جمع كثير من قواد الرَّزْنج وغيرهم ، فحملوا إلى أبي أحمد ، فوصلتهم وألحقهم في الخلع والجوائز بمن تقدمهم .

ولما استأمن الشعراي اختل ما كان الخبيث يضيّط به من مؤخر عسکره ، ووَهِي أُمُرُه وضعف ؛ فقلدَ الخبيث ما كان إلى الشعراي من حفظ ذلك شبل بن سالم ، وأنزله مؤخر نهر أبي الخصيب ، فلم يُمسِ الموفق من اليوم الذي أظهر فيه الشعراي لاصحاب الخبيث حتى وافاه رسولُ شبل بن سالم يطلب الأمان ، ويسأل أن يوقف شَذَوات عند دار ابن سمعان ؛ ليكون قصده فيمن يصبحه من قواده ورجاله في الليل إليها .

فأعطيَ الأمان ، ورُدَّ إليه رسوله ، ووُقفت له الشَّدَا في الموضع الذي سأله أن توقف له ؛ فوافاها في آخر الليل ومعه عياله وولده وجماعة من قواده ورجاله ، وشهر أصحابه سلاحهم ؛ وتلقاهم قوم من الرَّزْنج قد كان الخبيث وجّههم لمنعه من المصير إلى الشَّدَا . وقد كان خبره انتهى إليه ، فحاربهم شبل وأصحابه ، وقتلوا منهم نفراً ؛ فصاروا إلى الشَّدَا سالمين ، فصَرَّ بهم إلى قصر الموفق بالمويقية ، فوافاهم وقد ابتليَ الصبح ؛ فأمر الموفق أن يوصل شبل بصلة جزيلة ، وخلع عليه خلعاً كثيرة ، وحمله على عدة أفراس بسرور جها ولجمها .

وكان شبل هذا من عدد الخبيث وقدماء أصحابه وذوي الغناء والبلاء في نصرته ، ووصل أصحاب شبل ، وخلع عليهم ، وأسيئت له ولهم الأرزاق والأزال ، وضموا جميعاً إلى قائد من قواد غلمان الموفق ، ووجّه به وب أصحابه في الشَّدَا ، فوافقوا بحثٍ يراهم الخبيث وأشياعه ، فعظم ذلك على الفاسق وأوليائه ، لما رأوا من رغبة رؤسائهم في اغتنام الأمان ، وتبيّن الموفق من مناصحة شبل وجودة فهمه ما دعاه إلى أن يستكفيه بعض الأمور التي يكيد بها الخبيث ؛ فأمره بتبييت عسكر الخبيث في جمع أمر بضمّهم إليه من أبطال الرَّزْنج المستأمنة ، وأفرده وإيّاهم بما أمرهم به من البيات ؛ لعلّهم بالمسالك في عسكر الخبيث .

فنفذ شبل لما أمر به ، فقصد موضعًا كان عرفه ، فكبسه في السَّحر ، فوافي به جمِعاً كثيفاً من الرَّزْنج في عدّة من قواده وحماته ، قد كان الخبيث ربّهم في

الدفع عن الدار المعروفة بأبي عيسى ، وهي منزل الخبيث حينئذ ، فأوقع بهم وهم غارون ، فقتل منهم مقتلةً عظيمة ، وأسر جمعاً من قواد الرزنج ، وأخذ لهم سلاحاً كثيراً ، وانصرف ومنْ كان معه سالمين ، فأتى بهم الموفق ، فأحسن جائزتهم ، وخلع عليهم ، وسُور جماعة منهم .

ولما أوقع أصحاب شبل بأصحاب الخائن هذه الواقعة ذعرهم ذلك شديداً ، وأخافهم ومنعهم النوم؛ فكانوا يتحارسون في كل ليلة ، ولا تزال التفّرة تقع في عسكرهم لما استشعروا من الخوف ، ووصل إلى قلوبهم من الوحشة؛ حتى لقد كان ضجيجهم وتحارسهم يسمع بالموقفيَّة .

ثم أقام الموفق بعد ذلك ينفذ السرايا إلى الخبرة ليلاً ونهاراً من جانبي نهر أبي الخصيب ، ويكتدهم بالحرب ، ويُسْهِر ليلهم ، ويحول بينهم وبين طلب أقواتهم ، وأصحابه في ذلك يتعرّفون المسالك ، ويتدربون بالوغول في مدينة الخبر وتقحّمها ، ويصيرون من ذلك على ما كانت الهيبة تحولُ بينهم وبينه؛ حتى إذا ظنَّ الموفق أن قد بلغ أصحابه ما كانوا يحتاجون إليه ، صَحَّ عزمه على العبور إلى محاربة الفاسق في الجانب الشرقي من نهر أبي الخصيب ، فجلس مجلساً عاماً وأمر بإحضار قواد المستأمنة ووجوه فرسانهم ورجالتهم من الزَّيَّاج والبيضان ، فأدخلُوا إليه ، ووقفوا بحيث يسمعون كلامه ، ثم خاطبهم فعرفهم ما كانوا عليه من الضلال والجهل وانتهاك المحaram ، وما كان الفاسق دين لهم من معاصي الله؛ وأن ذلك قد كان أباح له دماءهم ، وأنه قد غفر الزَّلة ، وعفا عن الھفوة ، وبذل الأمان ، وعاد على مَنْ لجأ إليه بفضلِه ، فأجزل الصّلات ، وأنسى الأرزاق ، وأحقهم بالأولياء وأهل الطاعة؛ وأن ما كان منه من ذلك يُوجب عليهم حقه وطاعته؛ وأنهم لن يأتوا شيئاً يتعرّضون به لطاعة ربهم والاستدعاء لرضا سلطانهم؛ أولى بهم من الجد والاجتهد في مجاهدة عدو الله الخائن وأصحابه ، وأنهم من الخبرة بمسالك عسكر الخبيث ومضايق طرق مدینته والمعاقل التي أعدّها للهرب إليها على ما ليس عليه غيرهم؛ فهم أحرياء أن يُمحضُوه نصيحتهم ، ويجهّدوا في الولوج على الخبرة ، والتتوغلُ إليه في حضونه ، حتى يمكنهم الله منه ومن أشياعه ، فإذا فعلوا ذلك فلهم الإحسان والمزيد ، وإن مَنْ قصر منهم استدعى من سلطانه إسقاط حاليه وتصغير منزلته ،

ووضع مرتبته ، فارتقت أصواتهم جمِيعاً بالدعاء للموفق والإقرار بإحسانه ، وبما هم عليه من صحة الضمائر في السمع والطاعة والجد في مواجهة عدوه ، وبذل دمائهم ومُهاجهم في كلّ ما يقرّ بهم منه ، وأن ما دعاهم إليه قد قوى نيتهم ، ودلهم على ثقته بهم وإحلاله إياهم محل أوليائه ، وسألوه أن يفردتهم بناحية يحاربون فيها ، فيظهر من حسن نياتهم ونكاياتهم في العدو ما يعرف به إخلاصهم وتورّعهم مما كانوا عليه من جهلهم ، فأجابهم الموفق إلى ما سألوا ، وعرّفهم حُسن موقع ما ظهر له من طاعتهم ، وخرجوا من عنده مبهجين بما أجيوا به من حسن القول وجميل الوعد .

* * *

[خبر دخول الموفق مدينة صاحب الزنج وتخريب داره]

وفي ذي القعدة من هذه السنة دخل الموفق مدينة الفاسق بالجانب الشرقي من نهر أبي الخصيب ، فخرّب داره ، وانتهَب ما كان فيها .

* ذكر الخبر عن هذه الواقعة :

ذكر أن أبياً أَحمد لما عزم على الهجوم على الفاسق في مدنته بالجانب الشرقي من نهر أبي الخصيب ، أمر بجمع السفن والمعابر من دجلة والبَطِيحَة ونواحيها ليضيقها إلى ما في عسکره؛ إذ كان ما في عسکره مقصراً عن الجيش لكثرته ، وأحصى ما في الشَّدَا والسميريات والرِّقَّيات التي كانت تعبر فيها الخيل ، فكانوا زهاء عشرة آلاف ملاح ، ومن يجري عليه الرزق من بيت المال مشاهرة ، سوى سفن أهل العسکر التي يحمل فيها المِيرة ، ويركبها الناس في حوائجهم ، و سوى ما كان لكل قائد ومن يحضر من أصحابه من السميريات والجربيات والزواريق التي فيها الملاحون الراتبة ، فلما تكاملت له السفن والمعابر ، ورضي عددها ، تقدم إلى أبي العباس وإلى قواد مواليه وغلمانه في التأهيب والاستعداد للقاء عدوهم ، وأمر بتفرق السفن والمعابر إلى حمل الخيل والرجال ، وتقدم إلى أبي العباس في أن يكون خروجه في جيشه في الجانب الغربي من نهر أبي الخصيب ، وضم إليه قواداً من قواد غلمانه في زهاء ثمانية آلاف من أصحابهم ، وأمره أن يعمد مؤخراً عسکر الفاسق حتى يتجاوز دار المعروف

بالمهليبيّ ، وقد كان الخبيث حصّنها وأسكن بقربها خلْقاً كثيراً من أصحابه ؛ ليأمن على مؤخر عسکره ، ولি�صعب على من يقصده المسلك إلى هذا الموضع .

فأمر أبو أحمد أبا العباس بالعبور بأصحابه إلى الجانب الغربي من نهر أبي الخصيب ، وأن يأتي هذه الناحية من ورائها ، وأمر راشداً مولاًه بالخروج في الجانب الشرقي من نهر أبي الخصيب في عدد كثير من الفرسان والرجال زهاء عشرين ألفاً ، وأمر بعضهم بالخروج في ركن دار المعروف بالكرنبائي كاتب المهليبيّ ، وهي على قرنة نهر أبي الخصيب في الجانب الشرقي منه ، وأمرهم أن يجعلوا مسيرهم على شاطئ النهر حتى يوافوا الدار التي نزلها الخبيث ؛ وهي الدار المعروفة بأبي عيسى ، وأمر فريقاً من غلمانه بالخروج على فوهة النهر المعروف بأبي شاكر ، وهو أسفل من نهر أبي الخصيب ، وأمر آخرين منهم بالخروج في أصحابهم على فوهة النهر المعروف بجوى كور ، وأوعز إلى الجميع في تقديم الرجال أمام الفرسان ، وأن يزحفوا بجميعهم نحو دار الخائن ؛ فإن أظفراهم الله به وبمن فيها من أهله وولده وإلا قصدوا دار المهليبي ليلقائهم هناك من أمر بالعبور مع أبي العباس ؛ فتكون أيديهم يداً واحدة على الفسقة .

فعمل أبو العباس وراشد وسائر قواد الموالي والعلماني بما أُمِرُوا ، فظهرروا جمِيعاً ، وأبرزوا سفنهم في عشية يوم الإثنين لسبعين ليل خلون من ذي القعدة سنة تسع وستين ومئتين ، وسار الفرسان يتلو بعضهم بعضاً ، ومشت الرجال وسارت السفن في دجلة منذ صلاة الظهر من يوم الإثنين إلى آخر وقت عشاء الآخرة من ليلة الثلاثاء ، فانتهوا إلى موضع من أسفل العسكر ؛ وكان الموفق أمر بإصلاحه وتنظيفه وتنقية ما فيه من خراب ودغل ، وطم سواقيه وأنهاره حتى استوى واتسع ، وبعدت أقطاره ، واتخذ فيه قصراً وميداناً لعرض الرجال والخيول بإزاء قصر الفاسق ، وكان غرضه في ذلك إبطال ما كان الخبيث يَعِد به أصحابه من سرعة انتقاله عن موضعه ؛ فأراد أن يعلم الفريقين أنه غير راحل حتى يَحْكُم الله بينه وبين عدوه ؛ فبات الجيش ليلة الثلاثاء في هذا الموضع بإزاء عسكر الفاسق ؛ وكان الجميع زهاء خمسين ألف رجل من الفرسان والرجال في أحسن زياً وأكمل هيئة ، وجعلوا يكبرون ويهللون ، ويقرؤون القرآن ويصلّون ، ويوقدون النار .

فرأى الخبيث من كثرة الجمع والعدة والعدد ما بهر عقله وعقل أصحابه ؛

وركب الموفق في عشية يوم الإثنين الشّذا؛ وهي يومئذ مئة وخمسون شّذاً قد شحنها بأنجاد غلمانه ومواليه الناشبة والرّامحة ، ونظمها من أول عسکر الخائن إلى آخره؛ لتكون حصناً للجيش من ورائه ، وطُرحت أناجرها بحيث تقرب من الشّطّ ، وأفرد منها شذوّات اختارها لنفسه ، ورتب فيها من خاصة قوّاد غلمانه ليكونوا معه عند تقدّمه نهر أبي الخصيب؛ وانتخب من الفرسان والرّجالـة عشرة آلاف ، وأمرهم أن يسيروا على جانبي نهر أبي الخصيب بمسيره ، ويقفوا بوقوفه ، ويتصرّفوا فيما رأى أن يصرّفهم فيه في وقت الحرب .

وغداً الموفق يوم الثلاثاء لقتال الفاسق صاحب الرّنج ، وتوجّه كلّ رئيس من رؤساء قوّاده نحو الموضع الذي أمر بقصده ، وزحف الجيش نحو الفاسق وأصحابه ، فتلقاهم الخبيث في جيشه واشتبتـكـتـ الـحـربـ ، وكثـرـ القـتـلـ والـجـراـحـ بينـ الفـرـيقـيـنـ ، وحامـيـ الفـسـقةـ عـماـ كـانـواـ اـقـتـصـرـواـ عـلـيـهـ مـنـ مـدـيـنـتـهـ أـشـدـ مـحـاماـةـ ، واستـمـاتـواـ ، وصـبـرـ أـصـحـابـ الـمـوـفـقـ ، وصـدـقـواـ الـقـتـالـ؛ فـمـنـ اللهـ عـلـيـهـمـ بـالـنـصـرـ ، وهـزـمـ الـفـسـقةـ ، فـقـتـلـواـ مـنـهـمـ مـقـتـلـةـ عـظـيمـةـ ، وأـسـرـواـ مـنـ مـقـاتـلـهـمـ وـأـنـجـادـهـمـ جـمـعـاـ . كـثـيرـاـ.

وأتى الموفق بالأسرى ، فأمر بهم فضريـتـ أعنـاقـهـمـ فـيـ المـعرـكـةـ ، وـقـصـدـ بـجـمـعـهـ لـدارـ الـفـاجـرـ فـوـافـاـهـاـ ، وـقـدـ لـجـأـ الـخـبـيـثـ إـلـيـهـاـ ، وـجـمـعـ أـنـجـادـ أـصـحـابـهـ لـلـمـدـافـعـةـ عـنـهـاـ؛ فـلـمـ لـمـ يـغـنـواـ عـنـهـاـ شـيـئـاـ أـسـلـمـهـاـ ، وـتـفـرـقـ أـصـحـابـهـ عـنـهـاـ ، وـدـخـلـهـاـ غـلـمـانـ الـمـوـفـقـ ، وـفـيـهـاـ بـقـايـاـ مـاـ كـانـ سـلـمـ لـلـخـبـيـثـ مـنـ مـالـهـ وـأـثـاثـهـ؛ فـانـتـهـيـوـاـ ذـلـكـ كـلـهـ ، وـأـخـذـوـاـ حـرـمـهـ وـوـلـدـهـ الـذـكـورـ وـالـإـنـاثـ؛ وـكـانـوـاـ أـكـثـرـ مـنـ مـئـةـ بـيـنـ اـمـرـأـ وـصـبـيـ ، وـتـخـلـصـ الـفـاسـقـ وـمـضـىـ هـارـبـاـ نـحـوـ دـارـ الـمـهـلـيـ ، لـاـ يـلـوـيـ عـلـىـ أـهـلـ ولاـ مـالـ ، وـأـحـرـقـتـ دـارـهـ وـمـاـ بـقـيـ فـيـهـاـ مـنـ مـتـاعـ وـأـثـاثـ ، وـأـتـيـ الـمـوـفـقـ بـنـسـاءـ الـخـبـيـثـ وـأـلـادـهـ ، فـأـمـرـ بـحـمـلـهـمـ إـلـىـ الـمـوـفـقـيـةـ وـالـتـوـكـيلـ بـهـمـ ، وـالـإـحـسـانـ إـلـيـهـمـ .

وكان جماعة من قواد أبي العباس عبروا نهر أبي الخصيب ، وقصدوا الموضع الذي أمرُوا بقصده من دار المهلبيّ ، ولم ينتظروا إلـحـاقـ أـصـحـابـهـمـ بـهـمـ ، فـوـافـوـاـ دـارـ الـمـهـلـيـ ، وـقـدـ لـجـأـ إـلـيـهـاـ أـكـثـرـ الرـنجـ بـعـدـ انـكـشـافـهـمـ عـنـ دـارـ الـخـبـيـثـ؛ فـدـخـلـ أـصـحـابـ أـبـيـ الـعـبـاسـ الدـارـ ، وـتـشـاغـلـوـاـ بـالـنـهـبـ وـأـخـذـ مـاـ كـانـ غـلـبـ عـلـيـهـ الـمـهـلـيـ

من حرم المسلمين وأولاده منهن ، وجعل كلَّ مَنْ ظفر بشيء انصرف به إلى سفيته في نهر أبي الخصيب.

وتبين الزَّنج قلة مَنْ يَقِي منهم وتشاغلهم بالنَّهُب ، فخرجوا عليهم من عدَّة مواضع قد كانوا كمنوا فيها ، فأزالوه عن مواضعهم ؛ فانكشفوا ، وأتبعهم الزَّنج حتى وافوا نهر أبي الخصيب وقتلوا مِنْ فرسانهم ورجالتهم جماعةً يسيرة ، وارتجعوا بعض ما كانوا أخذوا من النساء والمتاع .

وكان فريق من غلمان الموفق وأصحابه الذين قصدوا دار الخبيث في شرقى نهر أبي الخصيب تشارغلوا بالنَّهُب وحمل الغنائم إلى سفنهم ؛ فأطمع ذلك الزَّنج فيهم ، فأكَبُوا عليهم ، فكشفوهم واتبعوا آثارهم إلى الموضع المعروف بسوق الغنم من عسكر الزَّنج ، فثبتت جماعة من قُوَاد الغلمان في أنجاد أصحابهم وشجعائهم ، فرددوا وجوه الزَّنج حتى ثاب الناس ، وترجعوا إلى مواقفهم ، ودامت الحرب بينهم إلى وقت صلاة العصر فأمر أبو أحمد عند ذلك غلمانه أن يحملوا على الفسقة بأجمعهم حملةً صادقة ، ففعلوا ذلك ، فانهزم الزَّنج وأخذتهم السيوف حتى انتهوا إلى دار الخبيث ؛ فرأى الموفق عند ذلك أن يصرف غلمانه وأصحابه على إحسانهم ، فأمرهم بالرجوع ، فانصرفوا على هدوء وسكون ؛ فأقام الموفق في النهر ومنْ معه في الشَّذا يحميهما ؛ حتى دخلوا سفنهم ، وأدخلوها خيلهم ، وأحجم الزَّنج عن اتباعهم لما نالهم في آخر الواقعة .

وانصرف الموفق ومعه أبو العباس وسائر قواده وجميع جيشه قد غنموا أموال الفاسق ، واستنقذوا جمعاً من النساء اللواتي كان غلب عليهن من حرم المسلمين كثيراً ، جعلهن يخرجن في ذلك اليوم أرسلاً إلى فوهة نهر أبي الخصيب ، فيحملن في السفن إلى الموقفية إلى انقضاء الحرب .

وكان الموفق تقدّم إلى أبي العباس في هذا اليوم أن ينفذ قائداً من قواده في خمس شَذَّوات إلى مؤخر عسكر الخبيث بنهر أبي الخصيب ، لإحراق بيادر ثم جليل قدرها ، كان الخبيث يقوت أصحابه منها من الزَّنج وغيرهم ، ففعل ذلك وأحرق أكثره ، وكان إحراق ذلك من أقوى الأشياء على إدخال الضعف على الفاسق وأصحابه ، إذ لم يكن لهم معوّل في قوتهم غيره ؛ فأمر أبو أحمد بالكتاب بما تهياً له على الخبيث وأصحابه في هذا اليوم إلى الآفاق ليقرأ على الناس ، ففعل ذلك .

وفي يوم الأربعاء لليلتين خلتا من ذي الحجة من هذه السنة وافى عسکر أبي أحمد صاعد بن مخلد كاتبه منصرفًا إليه من سامراً ، ووافى معه بجيش كثيف قيل : إنَّ عدد الفرسان والرجال الذين قدموها كان زهاء عشرة ألف ، فأمر الموفق بإراحة أصحابه وتجديد أسلحتهم وإصلاح أمورهم ؛ وأمرَّهم بالتأهب لمحاربة الخبيث ، فأقام أياماً بعد قدومه لما أمر به .

فهم في ذلك من أمرهم ؛ إذ ورد كتاب لؤلؤ صاحب ابن طولون مع بعض قواده ، يسأله فيه الإذن له في القدوم عليه ؛ ليشهد عليه حرب الفاسق ، فأجابه إلى ذلك ، فأذن له في القدوم عليه ، وأخَرَ ما كان عزم عليه من مناجزة الفاجر انتظاراً منه قدوم لؤلؤ ؛ وكان لؤلؤ مقيماً بالرقة في جيش عظيم من الفراغنة والأتراك والروم والبربر والسودان وغيرهم ، من نخبة أصحاب ابن طولون ؛ فلما ورد على لؤلؤ كتاب أبي أحمد بالإذن له في القدوم عليه ، شخص من ديار مصر حتى ورد مدينة السلام في جميع أصحابه ، وأقام بها مدة ، ثم شخص إلى أبي أحمد فوافاه بعسکره يوم الخميس لليلتين خلتا من المحرم سنة سبعين ومئتين ، فجلس له أبو أحمد ، وحضر ابنه أبو العباس وصاعد والقواد على مراتبهم ؛ فأدخل عليه لؤلؤ في زيَّ حسن ، فأمر أبو العباس أن ينزل عسکرًا كان أعدَّ له بإزاء نهر أبي الخصيب ، فنزله في أصحابه ، وتقدم إليه في مبكرة المصير إلى دار الموفق ، ومعه قواده وأصحابه للسلام عليه ، فغدا لؤلؤ يوم الجمعة لثلاث خلوٰن من المحرّم ، وأصحابه معه في السواد ، فوصل إلى الموفق وسلم عليه فقرّبه وأدناه ، ووعده وأصحابه خيراً ، وأمر أن يخلع عليه وعلى خمسين ومئة قائد من قواده ، وحمله على خيل كثيرة بالسرور واللجم المحلاة بالذهب والفضة ، وحمل بين يديه من أصناف الكسي والأموال في البدور ما يحمله مئة غلام ؛ وأمر لقواده من الصلات والحملان والكُسْن على قدر محل كل إنسان منهم عنده ، وأقطعه ضياعاً جليلة القدر ، وصرفه إلى عسکره بإزاء نهر أبي الخصيب بأجمل حال ، وأعدت له وأصحابه الأنزال والعَلُوفات ، وأمره برفع جرائد لأصحابه بمبلغ أرزاقهم على مراتبهم ؛ فرفع ذلك ؛ فأمر لكل إنسان منهم بالضعف مما كان يجري له ، وأمر لهم بالعطاء عند رفع الجرائد ، ووفوا ما رسم لهم .

ثم تقدم إلى لؤلؤ في التأهب والاستعداد للعبور إلى غربي دجلة لمحاربة الفاسق وأصحابه؛ وكان الخبيث لما غلب على نهر أبي الخصيب ، وقطع القناطر والجسور التي كانت عليه أحدث سكراً في النهر من جانبيه ، وجعل في وسط السكر باباً ضيقاً ليحتم فيه جريمة الماء ، فيمتنع الشدّا من دخوله في الجزر ، ويتعذر خروجهما منه في المدّ ، فرأى أبو أحمد أن حربه لا تنهيأ له إلا بقلع هذا السكر ، فحاول ذلك ، فاشتictت محاماة الفسقة عنه ، وجعلوا يزيدون فيه في كل يوم وليلة ، وهو متوسط دورهم ، والمؤونة لذلك تسهل عليهم وتغليظ على من حاول قلعه .

فرأى أبو أحمد أن يحارب بفريق بعد فريق من أصحاب لؤلؤ ، ليضرروا لمحاربة الزنج ، ويقفوا على المسالك والطرق في مدينتهم ، فأمر لؤلؤاً أن يحضر في جماعة من أصحابه للحرب على هذا السكر ، وأمر بإحضار الفعلة لقلعه ، ففعل ، فرأى الموفق من نجدة لؤلؤ وإقادمه وشجاعته أصحابه وصبرهم على ألم الجراح وثبات العدة اليسيرة منهم ، في وجوه الجمع الكثير من الزنج ما سره ، فأمر لؤلؤاً بصرف أصحابه إشفاقاً عليهم ، وضناً بهم ، فوصلهم الموفق ، وأحسن إليهم ، ورددتهم إلى معسكرهم ، وألح الموفق على هذا السكر؛ فكان يحارب المحامين عنه من أصحاب الخبيث بأصحاب لؤلؤ وغيرهم ، والفعلة يعملون في قلعه ، ويحارب الفاجر وأشياعه من عدّة وجوه ، فيحرق مساكنهم ، ويقتل مقاتلتهم ، ويستأمن إليه الجماعة من رؤسائهم .

وكانت قد بقيت للخبيث وأصحابه أرضون من ناحية نهر الغربي ، كان لهم فيها مزارع وخضر وقنطرتان على نهر الغربي ، يعبرون عليها إلى هذه الأرضين ، فوقف أبو العباس على ذلك فقصد لتلك الناحية ، واستأند الموفق في ذلك ، فأذن له ، وأمره باختيار الرجال ، وأن يجعلهم شجاعاء أصحابه وعلمانيه؛ ففعل أبو العباس ذلك ، وتوجه نحو نهر الغربي ، وجعل زيرك كميناً في جمع من أصحابه في غربي النهر ، وأمر رشيقاً غلامه أن يقصد في جمع كثير من أنجاد رجاله ومخاتيرهم للنهر المعروف بنهر العمسيين؛ ليخرج في ظهور الزنج وهم غارون ، فيوقع بهم في هذه الأرضين ، وأمر زيرك أن يخرج في وجوههم إذا أحسن بانهزامهم من رشيق .

وأقام أبو العباس في عدة شذوات قد انتخب مقاتلتها ، واختارهم في فوّهه نهر الغربيّ ، ومعه من علمانه البيضان والسودان عدد قد رضيَّه ؛ فلما ظهر رشيق للجرة في شرقى نهر الغربيّ ، راعهم فأقبلوا يريدون العبور إلى غربيه ليهربوا إلى عسكرهم ؛ فلما عاينهم أبو العباس اقتحم النَّهَر بالسَّذُوات ، وبث الرَّجَالة على حافتيه ، فأدركوهُم ، ووضعوا السيف فيهم ، فقتل منهم في النهر وعلى ضفّتيه خلق كثير ، وأسر منهم أسرى ، وأفلت آخرون ، فتلقاهم زيرك في أصحابه فقتلوهم ، ولم يقلت منهم إلَّا الشريد ، وأخذ أصحاب أبي العباس من أسلحتهم ما ثقل عليهم حمله ؛ حتى ألقوا أكثره ، وقطع أبو العباس القنطرتين ، وأمر بإخراج ما كان فيهما من البدود والخشب إلى دجلة وانصرف إلى الموفق بالأساري والرؤوس ، فطيف بها في العسكر ، وانقطع عن الفسقة ما كانوا يرتفقون به من المزارع التي كانت بنهر الغربيّ .

* * *

وفي ذي الحجة من هذه السنة ، أعني سنة تسع وستين ومتين - أدخل عيال صاحب الزنج وولده بغداد .
وفيها سُمِّيَ صاعد ذا الوزارتين .

* * *

وفي ذي الحجة منها كانت وقعة بين قائدين وجيش معهما لابن طولون كان أحدهما يسمى محمد بن السراح والآخر منهما يعرف بالغنوّي ، كان ابن طولون وجههما ، فوافيا مكة يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من ذي القعدة في أربعين وسبعين فارساً وألفي راجل ، فأعطوا الجزارين والحناطين دينارين ، والرؤساء سبعة ، وهارون بن محمد عامل مكة إذ ذاك بستان ابن عامر ، فوافى مكة جعفر بن الباغمردي لثلاث خلؤن من ذي الحجة في نحو من مئي فارس ، وتلقاه هارون في مئة وعشرين فارساً ومئي أسود وثلاثين فارساً من أصحاب عمرو بن الليث ومئي راجل ممَّن قدم من العراق ، فقوىَ بهم جعفر ، فالتقوا هم وأصحاب ابن طولون ، وأغان جعفرا حاجَّ أهل خراسان ، فقتل من أصحاب ابن طولون ببطن مكة نحو من مئي رجل ، وانهزم الباقون في الجبال ، وسلبوا

دوايهم وأموالهم ، ورفع جعفر السيف ، وحوى جعفر مضرب الغَنَوِيّ ، وقيل : إنه كان فيه مئتا ألف دينار ، وأمن المصريين والحتاطين والجزارين ، وقرىء كتاب في المسجد الحرام بلعن ابن طولون ، وسلم الناس وأموال التجار^(١) .

* * *

وحجَّ بالناس في هذه السنة هارون بن محمد بن إسحاق الهاشمي ، ولم يبح إسحاق بن كنداج - وقد وُلِّيَ المغرب كله في هذه السنة - سامراً حتى انقضت السنة^(٢) .

* * *

ثم دخلت سنة سبعين ومئتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث الجليلة

في المحرّم منها كانت وقعة بين أبي أحمد وصاحب الزنج أضعفـت أركان صاحب الزنج^(٣) .

[ذكر الخبر عن قتل صاحب الزنج وأسر من معه]^(٤)

وفي صفر منها قتل الفاجر ، وأسر سليمان بن جامع وإبراهيم بن جعفر الهمداني واستريح من أسباب الفاسق .

ذكر الخبر عن هاتين الوقعتين :

قد ذكرنا قبلُ أمر السَّكْر الذي كان الخبيث أحدهـه ، وما كان من أمر أبي أحمد وأصحابـه في ذلك ، ذكر أنـ أبيـهـ لمـ يـزـلـ مـلـحاـ علىـ الـحـرـبـ علىـ ذـلـكـ السـكـرـ حتىـ تـهـيـأـ لـهـ فـيـ ماـ أـحـبـ ، وـسـهـلـ المـدـخـلـ لـلـشـدـاـ فـيـ نـهـرـ أـبـيـ الـخـصـبـ فـيـ المـدـ

(١) انظر البداية والنهاية (٢٤٣/٨).

(٢) انظر المنتظم (١٢/٢٢٢).

(٣) انظر المنتظم (١٢/٢٢٨).

(٤) المصدر السابق نفسه.

والجزر ، وسهل لأبي أحمد في موضعه الذي كان مقیماً فيه كل ما أراده من رُخص الأسعار وتتابع المير وحَمْل الأموال إليه من البلدان ورغبة الناس في جهاد الخبيث ومن معه من أشياعه ؛ فكان ممّن صار إليه من المطوّعه أَحمد بن دينار عامل إِيذَج ونواحيها من كُور الأهواز في جمع كثير من الفرسان والرجالات ؛ فكان يباشر الحرب بنفسه وأصحابه إلى أن قُتل الخبيث ، ثم قدم بعده من أهل البحرين - فيما ذكر - خلق كثير ، زُهاء الْفَيِّ رجل ، يقودهم رجل من عبد القيس ، فجلس لهم أبو أحمد ، ودخل إليه رئيسهم ووجوههم ؛ فأمر أن يخلع عليهم ؛ واعتراض رجالهم أجمعين ، وأمر بإقامة الأنزال لهم ، وورد بعدهم زهاء ألف رجل من كُور فارس ، يرأسهم شيخ من المطوّعة يكنى أبا سلمة ، فجلس لهم الموفق ، فوصل إليه هذا الشّيخ ووجوه أصحابه ، فأمر لهم بالخلع ، وأقر لهم الأنزال ، ثم تتابعت المطوّعة من البلدان ؛ فلما تيسر له ما أراد من السّكُر الذي ذكرنا ، عزم على لقاء الخبيث ، فأمر بإعداد السفن والمعابر وإصلاح آلة الحرب في الماء وعلى الظَّهُر ، واختار مَنْ يُثْقِب بِيَاسِه ونجدته في الحرب فارساً وراجلاً ؛ لضيق المواقع التي كان يحارب فيها وصعوبتها وكثرة الخنادق والأنهار بها ؛ فكانت عدّة مَنْ تخَرَّج من الفرسان زُهاء الْفَيِّ فارس ، ومن الرجالة خمسين ألفاً أو يزيدون ، سوى مَنْ عبر من المطوّعة وأهل العسكرية ، ممّن لا ديوان له ، وخلف بالموافقة من لم تتسع السفن بحمله جمّاً كثيراً أكثرهم من الفرسان .

وتقديم الموفق إلى أبي العباس في القصد للموضع الذي كان صار إليه في يوم الثلاثاء عشر خلون من ذي القعدة سنة تسع وستين ومتين من الجانب الشرقي بإزار دار المهلبي في أصحابه وغلمانه ومن ضمّهم إليه من الخيول والرجالات والشَّدَا ، وأمر صاعد بن مخلد بالخروج على النهر المعروف بأبي شاكر في الجانب الشرقي أيضاً ، ونظم القواد من مواليه وغلمانه من فُوهه نهر أبي الحصيب إلى نهر الغربي ، وكان فيمن خرج من حدّ دار الكرنبائي إلى نهر أبي شاكر راشد ولؤلؤ مَوْلَياً الموفق في جمع من الفرسان والرجالات زُهاء عشرين ألفاً ، يتلو بعضهم بعضاً ، ومن نهر أبي شاكر إلى النهر المعروف بجوى كور جماعة من قواد الموالي والغلمان ، ثم من نهر جوى كور إلى نهر الغربي مثل ذلك . وأمر شيئاً أن يقصد في أصحابه ومن ضُمِّ إليه إلى نهر الغربي ، فيأتي منه موازيأً لظهر دار المهلبي ، فيخرج من ورائها عند اشتباك الحرب ، وأمر الناس أن

يزحفوا بجميعهم إلى الفاسق ؛ لا يتقدم بعضهم بعضاً ، وجعل لهم أمارة الزحف تحريك علم أسود أمر بنصبه على دار الكنبائي بفوهه نهر أبي الخصيب في موضع منها مشيد عالٍ ، وأن ينفع لهم ببوق بعيد الصوت ، وكان عبوره يوم الإثنين لثلاث ليال بقين من المحرم سنة سبعين ومئتين ، فجعل بعض من كان على النهر المعروف بجوى كور يُرْجَف قبل ظهور العلامة ؛ حتى قرب من دار المهلبي ، فلقيه وأصحابه الرنج فردوهم إلى مواضعهم ، وقتلوا منهم جمعاً ، ولم يشعر سائر الناس بما حدث على هؤلاء المتسرعين للقتال لكثرتهم وبعد المسافة فيما بين بعضهم وبعض .

فلما خرج القواد ورجالهم من المواقع التي أمرُوا بالخروج منها ، واستوى الفرسان والرجال في أماكنهم ، أمر الموفق بتحريك العلم والنفح في البوق ، ودخل النهر في الشدَا ، وزحف الناس يتلو بعضهم بعضاً ، فلقיהם الرنج قد حشدوا وجّموا واجترووا بما تهيا لهم على من كان تسع إليهم ، فلقיהם الجيش بنيات صادقة وبصائر نافذة ، فأذل الوهم عن مواضعهم بعد كرات كانت بين الفريقين ، صرخ فيها منهم جمع كثير ، وصبر أصحاب أبي أحمد ، فمن الله عليهم بالنصر ، ومنهم أكتاف الفسقة ، فولوا منهزمين ، وأتبعهم أصحاب الموفق ، يقتلون ويأسرون ، وأحاط أصحاب أبي أحمد بالفجرة من كل موضع ، فقتل الله منهم في ذلك اليوم ما لا يحيط به الإحصاء ، وغرق منهم في النهر المعروف بجوى كور مثل ذلك ، وحوى أصحاب الموفق مدينة الفاسق بأسرها ، واستنقذوا من كان فيها من الأسرى من الرجال والنساء والصبيان ، وظفروا بجميع عيال عليٍّ بن أبان المهلبي وأخويه الخليل ومحمد ابنى أبان وسليمان بن جامع وأولادهم ، وعبر بهم إلى المدينة الموقعة ، ومضى الفاسق في أصحابه ومعه المهلبي وابنه أنكلاي وسلامان بن جامع وقواد من الرنج وغيرهم هرباً ، عامدين لموضع قد كان الخبيث رأه لنفسه ومن معه ملحاً إذا غلبوا على مدinetه؛ وذلك على النهر المعروف بالسفيني .

وكان أصحاب أبي أحمد حين انهزم الخبيث ، وظفروا بما ظفروا به ، أقاموا عند دار المهلبي الواقلة في نهر أبي الخصيب ، وتشاغلوا بانتهاب ما كان في

الدار وإحراقها وما يليها ، وتفرقوا في طلب النهب ، وكُلّ ما بقي للفاسق وأصحابه مجموعاً في تلك الدار .

وتقىد أبو أحمد في الشَّذَا قاصداً للنهر المعروف بالسفيني ، ومعه لؤلؤ في أصحابه الفرسان والرجال ، فانقطع عن باقي الجيش ، فظنوا أنه قد انسف ، فانصرفوا إلى سفنهم بما حَرَفُوا ، وانتهى الموقف فيمن معه إلى معسكر الفاسق وأصحابه وهم منهزمون ، فاتبعهم لؤلؤ وأصحابه حتى عبروا النهر المعروف بالسفيني ، فاقتصر لؤلؤ النهر بفرسه ، وعبر أصحابه خلفه ، ومضى الفاسق حتى انتهى إلى النهر المعروف بالقريري ، فوصل إليه لؤلؤ وأصحابه ، فأوقعوا به وبينَ معه ، فكشفوهم ، فولَّوا هاربين وهو يتبعونهم ، حتى عَبَرُوا النهر المعروف بالقريري ، وعبر لؤلؤ وأصحابه خلفهم وأجرواهم إلى النهر المعروف بالمساوان ، فعبروه واعتصموا بجبل وراءه .

وكان لؤلؤ وأصحابه الذين انفردوا بهذا الفعل دون سائر الجيش ، فانتهى بهم الجد في طلب الفاسق وأشياعه إلى هذا الموضع الذي وصفنا في آخر النهار ، فأمره الموقف بالانصراف محمود الفعل ، فحمله الموقف معه في الشَّذَا ، وجدد له من البر والكرامة ورفع المرتبة ، لما كان منه في أمر الفسقة حسب ما كان مستحقاً ، ورجع الموقف في الشَّذَا في نهر أبي الخصيب وأصحاب لؤلؤ يسايرونه ، فلما حاذى دار المهلبي ، لم يربها أحداً من أصحابه ، فعلم أنهم قد انصرفوا ، فاشتَدَّ غيظه عليهم ، وسار قاصداً لقصره ، وأمر لؤلؤ بالمضي بأصحابه إلى عسكره ، وأيقن بالفتح لما رأى من أماته ، واستبشر الناس جميعاً بما هيأ الله من هزيمة الفاسق وأصحابه وإخراجهم عن مدنهما ، واستباحة كل ما كان لهم من مال وذخيرة وسلاح ، واستنقاذ جميع من كان في أيديهم من الأسرى ، وكان في نفس أبي أحمد على أصحابه من الغيظ لمخالفتهم أمره ، وتركهم الوقوف حيث وقفهم ، فأمر بجمع قواد مواليه وغلمانه ووجوههم؛ فجُمعوا له ، فوبخهم على ما كان منهم وعجزهم ، وأغاظ لهم ، فاعتذرُوا بما توهّموا من انصرافه ، وأنهم لو علموا بمسيره إلى الفاسق ، وانتهائه إلى حيث انتهى من عسكره؛ وأنهم لو علموا ذلك لأسرعوا نحوه ، ولم يبرحوا موضعهم حتى تحالفوا وتعاقدوا على ألا ينصرف منهم أحد إذا توجهوا نحو الخبيث حتى

يظفرون الله به؛ فإن أعيادهم ذلك أقاموا بمواضعهم حتى يحكم الله بينهم وبينه ، وسألوا الموفق أن يأمر برد السفن التي يعبرون فيها إلى الموقفية عند خروجهم منها للحرب ، لتنقطع أطماء الذين يريدون الرجوع عن حرب الفاسق من ذلك ، فجزاهم أبو أحمد الخير على تنصّلهم من خطئهم ، ووعدهم الإحسان ، وأمرهم بالتأهب للعبور ، وأن يعظوا أصحابهم بمثل الذي وُعظوا به ، وأقام الموفق بعد ذلك يوم الثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة لإصلاح ما يحتاج إليه؛ فلما كَمِل ذلك تقدم إلى من يثق به من خاصةه وقواد غلمانه ومواليه ، بما يكون عليه عملهم في وقت عبورهم .

وفي عشيّ يوم الجمعة ، تقدم إلى أبي العباس وقواد غلمانه ومواليه بالنهوض إلى مواضع سماها لهم؛ فأمر أبو العباس بالقصد في أصحابه إلى الموضع المعروف بعسكر ريحان ، وهو بين النهر المعروف بالسفيني والموضع الذي لجأ إليه ، وأن يكون سلوكه بجيشه في النهر المعروف بنهر المغيرة؛ حتى يخرج بهم في معرض نهر أبي الخصيب ، فيوافي بهم عسكر ريحان من ذلك الوجه ، وأنفذ قائداً من قواد غلمانه السودان وأمره أن يصير إلى نهر الأمير فيعترض في المنصف منه ، وأمر سائر قواده وغلمانه بالمبث في الجانب الشرقي من دجلة بإزاء عسكر الفاسق متاهين للعدو على محاربته ، وجعل الموفق يطفو في الشّذا على القواد ورجالهم في عشيّ يوم الجمعة وليلة السبت ، ويفرقهم في مراكزهم والمواضع التي ربّهم فيها من عسكر الفاسق ، ليباكروا المصير إليها على ما رسم لهم .

وغدا الموفق يوم السبت لليلتين خلتا من صفر سنة سبعين ومتين ، فوانى نهر أبي الخصيب في الشذا ، فأقام بها حتى تكامل عبور الناس وخروجهم عن سفنهم ، وأخذ الفرسان والرجالات مراكزهم ، وأمر بالسفن والمعابر فُردت إلى الجانب الشرقي ، وأذن للناس في الزحف إلى الفاسق ، وسار يقدمهم حتى وافى الموضع الذي قدر أن يثبت الفسقة فيه لمدافعة الجيش عنهم .

وقد كان الخائن وأصحابه لخيثهم رجعوا إلى المدينة يوم الإثنين بعد انصراف الجيش عنها ، وأقاموا بها ، وأملأوا أن تتطاول بهم الأيام ، وتندفع عنهم المناجزة ، فوجد الموفق المتسرعين من فرسان غلمانه ، ورجالتهم قد سبقوا أعظم الجيش ، فأوقعوا بالفاجر وأصحابه وقعةً أزل الوهم بها عن مواقفهم؛

فانهزموا وتفرّقوا لا يلوى بعضهم على بعض ، وأتبّعهم الجيش يقتلون ويأسرون مَنْ لحقوا منهم ، وانقطع الفاسق في جماعة من حُمَّاته من قُوَّاد الجيش ورجالهم وفيهم المهليبي .

وفارقه ابنه أنكلاي وسليمان بن جامع ، فقصد لكل فريق ممّن سميّنا جمع كثيف من موالي الموفق وغلمانه الفرسان والرجال ، ولقيَ مَنْ كان رتبه الموفق من أصحاب أبي العباس في الموضع المعروف بعسكر ريحان المنهزمين من أصحاب الفاجر ، فوضعوا فيهم السلاح ، ووافي القائد المرتب في نهر الأمير ، فاعتراض الفجرة ، فأوقع بهم ، وصادف سليمان بن جامع فحاربه ، فقتل جماعة من حُمَّاته ، فظفر بسليمان فأسره ، فأتى به الموفق بغير عهد ولا عقد ، فاستبشر الناس بأسر سليمان ، وكثُر التكبير والضجيج ، وأيقنوا بالفتح إذ كان أكثر أصحابه غَنَاء عنه ، وأسر بعده إبراهيم بن جعفر الهمداني - وكان أحد أمراء جيوشه - وأسر نادر الأسود المعروف بالحفار ، وهو أحد قدماء أصحاب الفاجر - فأمر الموفق بالاستئناق منهم وتصيرهم في شذوة لأبي العباس ، ففعل ذلك .

ثم إن الرَّنج الذين انفردوا مع الفاسق عطفوا على الناس عطفة أز الوهم بها عن مواقفهم ، ففتروا لذلك ، وأحسن الموفق بفتورهم ، فجدّ في طلب الخبيث ، وأمعن في نهر أبي الخصيب ، فشدَّ ذلك من قلوب مواليه وغلمانه وجذُوا في الطلب معه .

وانتهى الموفق إلى نهر أبي الخصيب ، فواه البشير بقتل الفاجر؛ ولم يلبث أن وفاه بشير آخر ومعه كفّ زعم أنها كفه ، فقوى الخبر عنده بعض القُوَّة ، ثم أتاه غلام من أصحاب لؤلؤ يركض على فرس ، ومعه رأس الخبيث ، فأدناه منه ، فعرضه على جماعة ممن كان بحضرته من قواد المستأمنة ، فعرّفوه فخرَّ الله ساجداً على ما أولاه وأبلاه ، وسجد أبو العباس وقُوَّاد موالي الموفق وغلمانه شكرَ الله ، وأكثروا حمد الله والثناء عليه ، وأمر الموفق برفع رأس الفاجر على قناة ونصبه بين يديه ، فتأمَّله الناس وعرفوا صحة الخبر بقتله ، فارتقت أصواتهم بالحمد لله .

وذكر أن أصحاب الموفق لما أحاطوا بالخبيث ، ولم يبقَ معه من رؤساء أصحابه إلا المهليبي ، ولَّ عنده هارباً وأسلمَه ، وقصد النهر المعروف بنهر الأمير ، فقذف نفسه فيه يريد النجاة ، وقبل ذلك ما كان ابن الخبيث أنكلاي فارق

أباه ، ومضى يوم النهر المعروف بالديناري ، فأقام فيه متحضناً بالأدغال والآجام ، وانصرف الموفق ورأس الخبيث منصوب بين يديه على قناة في شذاء ، يخترق بها نهر أبي الخصيب ، والناس في جنبي النهر ينظرون إليه حتى وافى دجلة ، فخرج إليها فأمر برد السفن التي كان عبر بها في أول النهار إلى الجانب الشرقي من دجلة ، فرددت ليعبر الناس فيها.

ثم سار ورأسُ الخبيث بين يديه على القناة ، وسليمان بن جامع والهمданى مصلوبان في الشذاء ، حتى وافى قصره بالموفقة ، وأمر أبي العباس بركوب الشذاء وإقرار الرأس وسليمان والهمدانى على حالهم والسير بهم إلى نهر جطى ، وهو أول عسكر الموفق ، ليقع عليهم عيون الناس جميعاً في العسكر ، ففعل ذلك وانصرف إلى أبيه أبي أحمد ، فأمر بحبس سليمان والهمدانى وإصلاح الرأس وتنقيته .

وذكر أنه تتابع مجيء الزنج الذين كانوا أقاموا مع الخبيث وآثروا صحبته ، فوافى ذلك اليوم زهاء ألف منهم ، ورأى الموفق بذلك الأمان ، لما رأى من كثريتهم وشجاعتهم ، لثلا تبقى منهم بقية تخاف معرتها على الإسلام وأهله ، فكان من وافى من قواد الزنج ورجالهم في بقية يوم السبت وفي يوم الأحد والإثنين زهاء خمسة آلاف زنجي ، وكان قد قُتل في الواقعة وغرق وأسر منهم خلقٌ كثير لا يوقف على عددهم ، وانقطعت منهم قطعة زهاء ألف زنجي مالوا نحو البر ، فمات أكثرهم عطشاً ، فظفر الأعراب بمن سلم منهم واسترقواهم .

وانتهى إلى الموفق خبر المهلبي وأنكلاي ومقامهما بحيث أقاما مع من تبعهما من جلة قواد الزنج ورجالهم ، فبث أنجاد غلمانه في طلبهم ، وأمرهم بالتضيق عليهم؛ فلما أيقنوا بأن لا ملجأ لهم أعطوا بأيديهم ، فظفر بهم الموفق وبمن معهم ، حتى لم يشد أحد ، وقد كانوا على نحو العدة التي خرجت إلى الموفق بعد قتل الفاجر في الأمان ، فأمر الموفق بالاستئثار من المهلبي وأنكلاي وحبسهما ، ففعل .

* * *

وكان فيمن هرب من عسكر الخبيث يوم السبت ولم يركن إلى الأمان قرطاس

الذى كان رمى الموفق بالسهم ، فانتهى به الهرب إلى رامهُرْمز ، فعرفه رجل قد كان رأه في عسكر الخبيث فدلّ عليه عامل البلد ، فأخذه وحمله في وَثاق ، فسأل أبو العباس أباه أن يوليه قتلَه فدفعه إليه فقتله .

* * *

[ذكر خبر استئمان درمويه الزنجي إلى أبي أحمد]

وفيها استأمان درمويه الزنجي إلى أبي أحمد ، وكان درمويه هذا - فيما ذكر - من أنجاد الرّنج وأبطالهم ، وكان الفاجر وجّهه قبل هلاكه بمدة طويلة إلى أواخر نهر الفهْرَج ، وهي من البصرة في غربِي دجلة ، فأقام هنالك بموضع وَغْرَ كثير النخل والدَّاغل والأجام متصل بالبَطِيحَة ، وكان درمويه ومن معه هنالك يقطعون على السَّابلة في زواريق خفاف وسُمِيرَات اتَّخذوها لأنفسهم ، فإذا طلبهم أصحاب الشَّدَا ولدوا الأنهر الضيّقة ، واعتصموا بمواضع الأدغال منها ، وإذا تعذّر عليهم مسلك نهر منها لضيقها خرجوا من سفنهم وحملوها على ظهورهم ، ولجوؤا إلى هذه المواضع الممتنعة .

وفي خلال ذلك يُغِرون على قرى البَطِيحَة وما يليها ، فيقتلون ويسلبون من ظفروا به؛ فمكث درمويه ومن معه يفعلون هذه الأفعال إلى أن قتل الفاجر وهم بموضعهم الذي وصفنا أمره ، لا يعلمون بشيء مما حدث على صاحبهم ، فلما فُتح بقتل الخبيث موضعه ، وأمن الناس وانشروا في طلب المكاسب وحمل التجارات ، وسلكت السَّابلة دُجلة ، أوقع درمويه بهم ، فقتل وسلب ، فأوحش الناس ذلك ، واشرأبَ لمثل ما فيه درمويه جماعة من شرار الناس وفُسَاقَهم ، وحدّثوا أنفسهم بالمصير إليه وبالمقام معه على مثل ما هو عليه ، فعزم الموفق على تسریح جيش من غلمانه السودان ، ومنْ جرى مجراهم من أهل البَصَر بالحرب في الأدغال ومضائق الأنهر ، وأعدَ لذلك صغار السفن وصنوف السلاح؛ فبينما هو في ذلك وافي رسول لدرمويه يسأل الأمان له على نفسه وأصحابه ، فرأى الموفق أن يؤمّنه ليقطع مادة الشر الذي كان فيه الناس من الفاجر وأشياعه .

وذكر: أن سبب طلب درمويه الأمان كان أنه كان فيمن أُقعَ به قومٌ من خرج

من عسکر الموقف للقصد إلى منازلهم بمدينة السلام ، فيهم نسوة ، فقتلهم وسلبهم ، وغلب على النسوة اللاتي كن معهم ؛ فلما صرُّن في يده بحثهن عن الخبر ، فأخبرنه بقتل الفاسق والظفر بالمهلبي وأنكلاي وسلمان بن جامع وغيرهم من رؤساء أصحاب الفاسق وقواده ومصير أكثرهم إلى الموقف في الأمان وقوله إياهم وإحسانه إليهم ؛ فأسقط في يده ، ولم ير لنفسه ملجاً إلا التعوذ بالأمان ومسألة الموقف الصفع عن جرمها ، فوجَّه في ذلك ، فأجيب إليه ، فلما ورد عليه الأمان خرج وجميع من معه حتى وافى عسکر الموقف ، فوافت منهم قطعة حسنة كثيرة العدد لم يصبها بؤس الحصار وضرره مثل ما أصاب سائر أصحاب الخبيث ، لما كان يصل إليهم من أموال الناس وميرهم .

فذكر : أن درمويه لما أومن وأحسن إليه وإلى أصحابه ، أظهر كل ما كان في يده وأيديهم من أموال الناس وأمتعتهم ، ورد كل شيء منه إلى أهله ردًا ظاهراً مكتشوفاً ، فووفق بذلك على إنباته ، فخلع عليه وعلى وجوه أصحابه وقواده ، ووصلوا ، فضيهم الموقف إلى قائد من قواد غلمانه ، وأمر الموقف أن يكتب إلى أمصار الإسلام بالنداء في أهل البصرة والأبلة وكُور دجلة وأهل الأهواز وكوزها وأهل واسط وما حولها مما دخله الزنج بقتل الفاسق ، وأن يؤمروا بالرجوع إلى أوطانهم ، ففعل ذلك ، فسارع الناس إلى ما أمرُوا به ، وقدموا المدينة الموقفة من جميع النواحي .

وأقام الموقف بعد ذلك بالموقفية ليزداد الناس بمقامه أمناً وإناساً ، وولى البصرة والأبلة وكُور دجلة رجلاً من قواد مواليه قد كان حميد مذهبة ، ووقف على حسن سيرته ، يقال له العباس بن تركس ؛ فأمره بالانتقال إلى البصرة والمقام بها .

ولى قضاء البصرة والأبلة وكُور دجلة ، وواسط محمد بن حماد .

وقدم ابنه أبي العباس إلى مدينة السلام ، ومعه رأس الخبيث صاحب الزنج ليراه الناس ، فاستبشروا ، فنفذ أبو العباس في جيشه حتى وافى مدينة السلام يوم السبت لاثنتي عشرة بقيت من جمادى الأولى من هذه السنة ، فدخلها في أحسن زَيَّ ، وأمر برأس الخبيث فسيير به بين يديه على قناة ، اجتمع الناس لذلك .

وكان خروج صاحب الزنج في يوم الأربعاء لأربع بقين من شهر رمضان سنة خمس وخمسين ومئتين ، وقتل يوم السبت لليلتين خلتا من صفر سنة سبعين

ومئين ، فكانت أيامه من لدن خرج إلى اليوم الذي قتل فيه أربع عشرة سنة وأربعة أشهر وستة أيام ، وكان دخوله الأهواز لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان سنة ست وخمسين ومئين ، وكان دخوله البصرة وقتلها أهلها وإحرافه لثلاث عشرة ليلة بقيت من شوال سنة سبع وخمسين ومئين .

فقال - فيما كان من أمر الموفق ، وأمر المخذول - الشعراً أشعاراً كثيرة^(١) .

(١) هذه نهاية حركة صاحب الزنج وقد قتل غير مأسوف عليه بعد سفكه للدماء كثيرة ومتلك لأعراض طاهرة وحرقه لبيوت وهدمه . . . إلخ .

وقد ظهر حوالي سنة ٢٥٥ هـ وانتهى أمره سنة ٢٧٠ هـ - وهذه السنوات حافلة بأحداث ومعارك ومصائب بسبب هذه الحركة ويعتبر تاريخ الطبرى مصدرًا هاماً من مصادر معلوماتنا عن هذه الحركة الضالة للأسباب التالية :

١ - انفرد الطبرى بذكر جل التفاصيل ضمن وقائع وأحداث تلك الصولات والجولات من حين ظهورها إلى حين اختفائها .

٢ - وما يضفي أهمية على هذه التفاصيل كذلك أن الطبرى قد عاصر تلك الأحداث وإن لم يشارك في تلك المعارك وهو مؤرخ ثقة .

٣ - التقى الطبرى أحياناً ببعض الشهود وأخذ عنهم هذه التفاصيل . وعلى أية حال فإن هذه التفاصيل لا تخلو من مبالغات وأوهام نقلها الطبرى وأدعاها كما سمعها .

إلا أن المفاسد الرئيسية من هذه الأحداث والتي لا تخفي على العامة والخاصة فصحيحه كدخول الزنج البصرة سنة ست وخمسين والبعث فيها والإكثار من القتل والسلب والنهب وشراسة المعارك التي جرت بين الطرفين ثم بناء المتوكل لبلدة قريبة من أرض المعركة ثم إعداده العدة وقطعه لطرق المؤونة على صاحب الزنج المقيم في مدنته (المختار) وصبر المتوكل وطول نفسه في حربه تلك حتى نصره الله في نهاية المطاف وانهزم صاحب الزنج مقبحاً مرذولاً .

وأما عن نسبة فقد قال ابن خلدون (العلامة المؤرخ) في تاريخه : (وقال الطبرى وابن حزم وغيره من المحققين : إنه من عبد القيس واسمها علي بن عبد الرحيم من قرية من قرى الري ورأى كثرة خروج الزيادية فحدثته نفسه بالتوبيخ فانتحل هذا النسب ويشهد لذلك أنه كان على رأى الأزارقة من الخوارج ولا يكون ذلك من أهل البيت) [تأريخ ابن خلدون / ٣ / ٣٧٧] .

وكان خروج صاحب الزنج آخر رمضان سنة خمس وخمسين وقتلها أول صفر سنة سبعين لأربع عشرة سنة وأربعة أشهر من دولته كما قال ابن خلدون [٤١٠ / ٣] .

وأصل الكلام عند الطبرى [تأريخ الطبرى ٩ / ٦٦٣] وانظر المتظم [١٢ / ٢٣٥] والبداية والنهاية [٨ / ٢٤٣] ولعل من أهم أسباب خروجه اضطراب أمر الخلافة وضعف الخليفة .

ما قيل في ذلك قول يحيى بن محمد الأسلمي :

أعَرَّتْ مِنِ الإِسْلَامِ مَا كَانَ وَاهِيَا
أَبْيَحَ حَمَاهِمَ خَيْرَ مَا كَانَ جَازِيَا
بِتَجْدِيدِ دِينِ كَانَ أَصْبَحَ بِالِّيَا
وَإِدْرَاكِ ثَارَاتِ تَبَرُّ الْأَعْادِيَا
لِيَرْجِعَ فِيءَ قَدْ تُخْرَمُ وَافِيَا
مِرَارًا فَقَدْ أَمْسَتْ قِوَاءَ عَوَافِيَا
يَقْرُّ بِهَا مَنَا الْعَيْنَ الْبَوَاكِيَا
وَيُلْقِي دُعَاءَ الطَّالِبَيْنَ خَاسِيَا
وَعَنْ لَذَّةِ الدِّينِ وَأَقْبَلَ غَازِيَا

مَا كَانَ بِالْطَّبِّ وَلَا الْحَادِقِ
لَسِيَّدِ فِي قَوْلِهِ صَادِقِ
إِلَى أَسْوَدِ الْغَابِ فِي الْمَازِيقِ
كَرِيهَةَ الطَّعْمِ عَلَى الْذَّائِقِ

أَقُولُ وَقَدْ جَاءَ البَشِيرُ بِوَقْعَةِ
جَزَى اللَّهُ خِيرَ الرَّأْسِ لِلنَّاسِ بِقَدْمَا
تَفَرَّدَ إِذْ لَمْ يَنْصُرْ اللَّهُ نَاصِرٌ
وَتَشْدِيدِ مَلْكٍ قَدْ وَهَى بَعْدَ عَزَّهُ
وَرَدَ عِمَارَاتِ أَزِيلَثُ وَأَخْرَبَثُ
وَيَرْجَعَ أَمْصَارِ أَبِيَّحَثُ وَأَخْرَقَثُ
وَيُشَفَّى صَدُورُ الْمُؤْمِنِينَ بِوَقْعَةِ
وَيُلْمَى كِتَابُ اللَّهِ فِي كُلِّ مَسْجِدٍ
فَأَعْرَضَ عَنْ أَحْبَابِهِ وَنَعِيمِهِ
فِي قصيدة طويلة ، ومن ذلك أيضاً قوله :

أَيْنَ نَجَومُ الْكَاذِبِ الْمَارِقِ
صَبَحَهُ بِالنُّخْسِ سَعْدُ بَدَا
فَخَرَّ فِي مَا زِيقَهُ مُسَلَّمًا
وَذَاقَ مِنْ كَأسِ الرَّدَى شَرْبَةَ

وقال فيه يحيى بن خالد :

وانهيار شوكته وسيطرة قادة الترك على الأمور بل اختلافهم فيما بينهم واقتتالهم فيما بينهم وصراعهم على السلطة وانحسار سلطة الخليفة وما أدى ذلك إلى فراغ سياسي وببلة وهرج ومرج فاستغل صاحب الفكر الخبيث (بهبود) صاحب الزنج هذا الوضع المتردي مع أسباب أخرى تتعلق بمعاش الزنج في منطقة الأهوار والمستنقعات جنوب العراق ، وليس في دعوة صاحب الزنج أية فكرة اشتراكية وما إلى ذلك بل كان يمني أصحابه وأتباعه بأن يكونوا أصحاب رق وعيid ثم كان الزنجي منهم أحياناً يمتلك عشرات من النساء العربيات وامتلك هو ومن حوله كثيراً من النساء العلويات واحتضن هو ومن حوله دون جنده بكميات خيالية من الذهب والمجوهرات والمال . . . إلخ.

وادعى معرفة الغيب وما إلى ذلك كما قال الحافظ السيوطي (وكان ادعى أنه أرسل إلى الخلق فرداً الرسالة ، وأنه مطلع على المغيبات) (تأريخ الخلفاء / ٤١١) والملحوظ أن أتباعه جلهم من الجهلة كما قال ابن كثير (فتحه على ذلك جهله من الطعام وطائفة من رعاع الناس العوام) البداية والنهاية (٨/ ٢٢٦).

والغامرينَ الناسَ بالإفضالِ
والمعلمينَ لکلِ يومِ نزالِ
واستنقذَ الأسرىَ منَ الأغالِ
وإليكَ يقصدُ راغبٌ بسؤالِ
يا واهبَ الامالِ والأجالِ
ماضي العزيمةَ طاهرِ السرّابِ
متلدينَ قد أيقنوا بزوالِ
ملأَتْ قلوبَهُمْ مِنَ الأهوالِ
بالمشروعِ وبالقنا الجوابِ
منقطَعَ الأوداجِ والأوصالِ
بسلاسلِ قد أوهنتَهِ ثقالِ
وبما أتى من سوءِ الأعمالِ
وأدلتَهُ مِنْ قاتلَ الأطفالِ
مَنْ بالمغاربِ صولةُ الأبطالِ

بابنَ الخلائفِ منَ أرومَةِ هاشمِ
والذائدينَ عنَ الحريرِ عدوهم
ملكُ أعادَ الدينَ بعدَ دروسِهِ
أنَتَ المُجيرُ منَ الزمانِ إذا سطَا
أطفأتَ نيرانَ النفاقِ وقد عَلَتْ
اللهِ درُوكَ منَ سليلِ خلائفيِ
أفنيتَ جمعَ المارقينَ فأصبحوا
أمطرتهم عزماتِ رأيِ حازمِ
لما طغى الرجسُ اللعينُ قصدتهِ
وتتركَهُ والطيرُ يحْجُلُ حولَهُ
يهوي إلى حَرَّ الجحيمِ وقعرِها
هذا بما كسبَتْ يداهُ وما جنى
أقرَرتَ عينَ الدينِ ممَّنْ قادَهُ
صالِ الموفقُ بالعراقِ فأفزعتْ

وفيه يقول أيضاً يحيى بن خالد بن مروان:

فلا زال مُهلاً بساحاتِكَ القطرُ
وهل عادَتِ الدنيا ، وهل رجعَ السَّفَرُ!
ولم يبقَ منَ أعلامِ ساكنِها سطُرُ
وضاقتَ بي الدينَا وأسلَمَني الصبرُ
وكان على الأَيَامِ في هُلكِهِمْ نُذرُ
وشَرُّ ذوي الأَصْعَادِ ما فعلَ الدهرُ
يُمِنِ ولِيَ العهْدِ وانقلبَ الامرُ
ولم يبقَ للملعونَ في موضعٍ إِثْرٌ
وأشرقَ وجْهُ الدينِ واصطبَمُ الْكُفَرُ
بنفسِ لها طولُ السَّلامَةِ والنصرُ

أَبْنَ لي جواباً أَيُّها المَنْزُلُ الْفَقْرُ
أَبْنَ لي عنَ الجيرانِ أَيْنَ تَحْمَلُوا
وكيف تجibُ الدارُ بعدَ دروسِها
منيازُ أبْكاني مَغَانِي أَهْلَها
كَانُوهُمْ قومٌ رغا البكرُ فيهِمُ
وعاثَتْ صُرُوفُ الدهرِ فيهم فَأَسْرَعَتْ
فقد طابتَ الدينَا وأَيَّسَتْ نَبَتها
وعادَ إلى الأوطانِ مَنْ كانَ هارباً
بسيفٍ ولِيَ العَهْدِ طالتْ يدُ الْهَدِي
وجاهَدَهُمْ في اللهِ حقَّ جهادِهِ

وهي طويلة .

وقال يحيى بن محمد:

عني اشتغالك إني عنك في شَغْلِ
لا تعذلي في ارتحالي إني رجلٌ
فيَمِ المُقامُ إِذَا مَا ضاقَ بِي بَلْدُ
ما استيقظت هَمَّةً لَمْ تلفِ صاحبها
ولَمْ يَبْتَأْ أَمْنًا مِنْ لَمْ يَبْتَأْ وَجَلَّ
وَهِيَ أَيْضًا طَوِيلَةً.

وفي هذه السنة في شهر ربيع الأول منها ، ورد مدينة السلام الخبرُ: أن الروم نزلت بناحية باب قلمية على ستة أميال من طرسوس؛ وهم زهاء مئة ألف ، يرأسهم بطريق البطارقة أندرياس ، ومعه أربعة آخر من البطارقة ، فخرج إليهم يازمان الخادم ليلاً ، فبيتهم ، فقتل بطريق البطارقة وبطريق القباذيق وبطريق الناطلق ، وأفلت بطريق قرة وبه جراحات ، وأخذ لهم سبعة صليان من ذهب وفضة ، فيها صليبهم الأعظم من ذهب مكمل بالجوهر ، وأخذ خمسة عشر ألف دابة وبلغ ، ومن السروج نحو من ذلك ، وسيوف محلاة بذهب وفضة وأنية كثيرة ، ونحو من عشرة آلاف علم دياج ، ودياج كثير ويزيون ولحف سُمور ، وكان النفير إلى أندرياس يوم الثلاثاء لسبعين خلون من شهر ربيع الأول ، فكبس ليلاً وقتل من الروم خلق كثير ، فزعم بعضهم أنه قتل منهم سبعون ألفاً^(١).

وفيها تُوفِّيَ هارون بن أبي أحمد الموفق بمدينة السلام يوم الخميس للبيتين خلتا من جمادى الأولى .

ولَسْتَ خلون من شعبان منها ، ورد الخبر بموت أحمد بن طولون مدينة السلام - فيما ذكر . وقال بعضهم: كانت وفاته يوم الإثنين لثمان عشرة مضت من ذي القعدة منها^(٢) .

وفيها مات الحسن بن يزيد العلوي بطبرستان ، إما في رجب ، وإما في شعبان .

وللنصف من شعبان دخل المعتمد بغداد ، وخرج من المدينة حتى نزل بحذاء

(١) انظر المستظم (٢٢٩/١٢).

(٢) انظر وفيات الأعيان (١/٥٥) والنجوم الظاهرة (١/٣٧) وسير أعلام النبلاء (١٣/٩٤).

قطُّرْبَل في تعبية ، ومحمد بن طاهر يسير بين يديه بالحربة ، ثم مضى إلى سامراً.

وفيها كان فداء أهل ساتيَّدما على يدي يازمان في سُلْخ رجب منها.

وفي يوم الأحد لِتُسْعَ بَقِينَ من شعبان من هذه السنة شَغَبُ أَصْحَابُ أبي العباس بن الموفق بِبَغْدَادِ عَلَى صَاعِدَ بْنَ مَخْلُدَ ، وَهُوَ وزَيرُ الْمَوْفَقِ ، فَطَلَبُوا الْأَرْزَاقَ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ أَصْحَابُ صَاعِدَ لِيُدْفَعُوهُمْ ، فَصَارَتْ رِجَالَةُ أَبِي العَبَّاسِ إِلَى رِحْبَةِ الْجَسْرِ ، وَأَصْحَابُ صَاعِدَ دَاهِرُوا إِلَى الْأَبْوَابِ بِسُوقِ يَحْيَىِ ، وَاقْتُلُوا ، فَقُتِلَ بَيْنَهُمْ قَتْلَى ، وَجُرِحَتْ جَمَاعَةٌ ، ثُمَّ حُرِزَ بَيْنَهُمْ اللَّيلُ ، وَبَكَرُوا مِنَ الْغَدِ ، فَوُضِعَ عَلَيْهِمُ الْعَطَاءَ وَاصْطَلَحُوا.

وفي شوال منها كانت وقعة بين إِسْحَاقَ بْنَ كُنْدَاجَ وَابْنَ دُعْبَاشَ ، وَكَانَ ابْنُ دُعْبَاشَ عَلَى الرَّقَّةِ وَأَعْمَالِهَا ، وَعَلَى الشَّغُورِ وَالْعُوَاصِمِ مِنْ قِبَلِ ابْنِ طَولُونَ ، وَابْنُ كُنْدَاجَ عَلَى الْمَوْصِلِ مِنْ قِبَلِ السُّلْطَانِ.

وفيها انبثق بِبَغْدَادِ فِي الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ مِنْهَا مِنْ نَهْرِ عِيسَى مِنَ الْيَاسِرِيَّةِ بَئْقُ ، فَغَرَقَ الدِّبَاغِينَ وَأَصْحَابَ السَّاجِ بِالْكَرْخِ ، ذَكَرَ أَنَّهُ دَقَّ سَبْعَةَ آلَافَ دَارَ وَنَحْوَهَا.

وُقُتِلَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ مَلِكُ الْرُّومِ الْمُعْرُوفُ بِابْنِ الصَّقْلَبِيِّ^(١).

وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ هَارُونَ بْنَ مُحَمَّدٍ بْنَ إِسْحَاقَ الْهَاشَمِيِّ بْنَ عِيسَى بْنِ مُوسَى بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلَيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ^(٢).

* * *

(١) انظر المتظم (٢٢٩/١٢).

(٢) المصدر السابق نفسه.

مقدمة صغيرة

الحمد لله والصلوة والسلام على رسول الله وبعد :

فقد كتبنا في مقدمة المجلد الأول فصولاً في منهج الطبرى ومصادره وماله وما عليه وأوضحنا بعضاً من معالم منهجنا في تحرير روايات الطبرى فليراجع . وقد رأينا كتابة مقدمة صغيرة وخاصة في بداية كل مجلد من مجلدات الطبرى أو بداية مرحلة معينة على الأقل - وما تبقى من تاريخ الطبرى (الذى ينتهي بأحداث سنة ٣٠٢ هـ / ١٥١ / ١٠) هو امتداد لمنهج الطبرى في المجلد التاسع وقد كتبنا مقدمة قصيرة في بداية تعليقاتنا ضمن أحداث سنة ٢٤٧ هـ - خلافة المتوكل - أي في (٢٣٥ / ٩).

وذكرنا فيه كيفية تعاملنا مع مرويات الطبرى التاريخية المتعلقة بهذه الحقبة الزمنية ومنهجنا هذا امتداد لسابقه هناك ؛ إلا أننا أردنا أن نضيف شيئاً لم نذكره هناك ، فنقول وبالله التوفيق :

من الواضح تماماً أن الطبرى كان رجلاً متكاملاً من الناحية الذهنية وقوة الحافظة وحضور البديهة وكان إماماً مؤرخاً ثقة - معاصرأ لما سجله من أحداث العقود الأخيرة من القرن الهجرى الثالث ولكنه وللأسف الشديد لم يسجل شهاداته الشخصية ومشاهداته اليومية سواء كان في بغداد (حاضرة الخلافة) أو مصر أو الحجاز وغيرها من بلاد المسلمين - ولاشك أنه عايش جانباً هاماً من تلك الأحداث إلا أنه سجلها بصيغة توحى أنه أخذ جلها عن الآخرين ولعله أحياناً يروي عن شهود عيان ولو سجل تلك الواقع بصيغة أخرى كما ذكرنا لكان لها أهمية تفوق صيغتها المعروفة والله أعلم .

ولو قرأتنا لغيره من معاصريه وهو يسجل أحداث وواقع تلك العقود؛ لتبيّن لنا

أن الطبرى عايشها عن قرب وكان له رأي خاص في الأحداث الجسام يومها إلا أنه لم يسجلها في تاريخه ولم يودعها صفحاته.

و سنضرب مثلاً واحداً على ذلك:

قال المعافى بن زكريا الجريري وهو يتحدث عن وقائع سنة ٢٩٦ هـ لما خلع المقتدر وبويغ ابن المعتر دخلوا على شيخنا محمد بن جرير الطبرى فقال: ما الخبر؟ قيل: بويغ ابن المعتر: قال: فمن رشح للوزارة؟

قيل: محمد بن داود، قال فمن ذكر للقضاء؟ قيل: أبو المثنى فأطرق ثم قال: هذا الأمر لا يتم، قيل له: وكيف؟ قال: كل واحد من سميهم متقدم في معناه عالي الرتبة والزمان مدبرُ الدنيا مولية ، وما أرى هذا إلا إلى اضمحلال ، وما أرى لمدته طولاً [تأريخ الخلفاء/٤٢٦/ط المكتبة العصرية] فهذا كلامه ورأيه في الأحداث لم نر له أثراً في تاريخه فقد وقف بأعصاب باردة رحمه الله أمام تلك الأحداث وهو يسجلها فلعله أراد بذلك أن يكون مؤرخاً محايضاً تماماً أميناً في نقل الأحداث دون أن يشوّهها برأيه الخاص والله تعالى أعلم.

* * *

ثم دخلت سنة إحدى وسبعين ومئتين

وأولها يوم الإثنين للتاسع والعشرين من حزيران ، ولخمس وتسعين ومئة ألف من عهد ذي القرنين .

* ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث الجليلة :

فمن ذلك ما كان فيها من ورود الخبر في غرة صفر بدخول محمد علىّ ابني الحسين بن جعفر بن موسى بن محمد بن عليّ بن حسين المدينة وقتلهم جماعة من أهلها ومطالبتهما أهلها بمال ، وأخذهما من قوم منهم مالاً ، وأنّ أهل المدينة لم يصلوا في مسجد رسول الله ﷺ أربع جمع؛ لا جمعة ولا جماعة ، فقال أبو العباس بن الفضل العلوي^(١) :

أَخْرَبَتْ دَارُ هِجْرَةِ الْمَصْطَفَى الْبَعْدَ فَبَكَى إِخْرَابُهَا الْمُسْلِمِينَ — رَبِّ فَبَكَى الْمُتَبَرَّ الْمَيْمُونَ — عَيْنُ فَابْكَى مَقَامَ جَبَرِيلَ وَالْقَبْوَ — وَعَلَى الْمَسْجِدِ الَّذِي أَسْهَهُ التَّقَبَّلَ — وَعَلَى طَيَّبَةِ الَّتِي بَارَكَ اللَّهُ — قَبَحَ اللَّهُ مَعْشَرًا أَخْرَابُوهَا
وفيها أدخل على المعتمد منْ كان حضر بغداد من حاج خراسان ، فأعلمهم أنه قد عزل عمرو بن الليث عما كان قليده ، ولعنه بحضرتهم ، وأخبرهم أنه قد قلل خراسان محمد بن طاهر؛ وكان ذلك لأربع بيّن من شوال^(٢) وأمر أيضاً بلعنة عمرو بن الليث على المنابر ، فلعن .

(١) انظر المنتظم (١٢/٢٤٣).

(٢) انظر المنتظم (١٢/٢٤٣) و(١٢/٢٤٤).

ولثمان بقين من شعبان من هذه السنة شخص صاعد بن مخلد من معسكر أبي أحمد بواسط إلى فارس لحرب عمرو بن الليث^(١).

ولعشر خلون من شهر رمضان منها عُقد لأحمد بن محمد الطائي على المدينة وطريق مكة^(٢).

وفيها كانت بين أبي العباس بن الموفق وبين خمارويه بن أحمد بن طلوبن وقعة بالطواحين ، فهزم أبو العباس خمارويه ، فركب خمارويه حماراً هارباً منه إلى مصر ، ووقع أصحاب أبي العباس في النهب ، ونزل أبو العباس مضرب خمارويه ، ولا يرى أنه بقى له طالب ، فخرج عليه كمين لخمارويه كان كمنه لهم خمارويه ، وفيهم سعد الأعسر وجماعة من قواده وأصحابه ، وأصحاب أبي العباس قد وضعوا السلاح ونزلوا ، فشدّ كمين خمارويه عليهم فانهزموا ، وتفرق القوم ، ومضى أبو العباس إلى طرسوس في نفر من أصحابه قليل ، وذهب كل ما كان في العسكرين؛ عسكر أبي العباس وعسكر خمارويه من السلاح والكراع والأثاث والأموال ، وانتهت ذلك كله؛ وكانت هذه الواقعة يوم السادس عشر من شوال من هذه السنة - فيما قيل^(٣).

وفيها وَثَبَ يَوسُفُ بْنُ أَبِي السَّاجِ - وَكَانَ وَالِيَّ مَكَّةَ - عَلَى غَلامِ الْطَّائِي يَقَالُ لَهُ: بَدَرُ، وَخَرَجَ وَالِيَاً عَلَى الْحَاجَ فَقَيَدَهُ، فَحَارَبَ ابْنَ أَبِي السَّاجِ جَمَاعَةً مِنَ الْجَنْدِ، وَأَغَاثَهُمُ الْحَاجُ حَتَّى اسْتَنقَذُوا غَلامَ الْطَّائِيَ، وَأَسْرَوْا ابْنَ أَبِي السَّاجِ، فَقُيِّدَ، وُحْمَلَ إِلَى مَدِينَةِ السَّلَامِ، وَكَانَ الْحَرْبُ بَيْنَهُمْ عَلَى أَبْوَابِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ^(٤).

(١) انظر المتنظم (٢٤٣/١٢).

(٢) انظر المتنظم (٢٤٣/١٢).

(٣) انظر المتنظم (٢٤٣/١٢) فقد ذكر الخبر مع ذكر بعض التفاصيل.

(٤) انظر المتنظم (٢٤٣/١٢) فقد ذكر الخبر كما عند الطبرى ثم أردف الخبر برواية مسندة عن أبي بكر الأدمي قال: لما أدخل مؤنس أبا القاسم بن أبي الساج أسيراً خرجت إلى تلقيه على فراسخ ودخلت بغداد معه فقال لي لما قربنا: إذا كان غداً فإني سأركب ابن أبي الساج وأشهره فأركب بين يديه فقللت السمع والطاعة فلما كان من الغد شهر ابن أبي الساج بيرنس فبدأت، فقرأت «وَكَذَلِكَ أَخْدُرِيكَ إِذَا أَخْدَرَ الشَّرَى وَهِيَ ظَلَامَةٌ إِنَّ أَخْدَهُ أَلْمَشْدِيدَ»... الخبر وفيه: فلما كان بعد أيام رضي عنه السلطان شفاعة مؤنس فأطلقه إلى داره.. إلى آخر الخبر المتنظم (٢٤٤/١٢).

وفيها خربت العامة الديْر العتيق الذي وراء نهر عيسى ، وانتهوا كلّ ما كان فيه من متاع ، وقلعوا الأبواب والخشب وغير ذلك ، وهدموا بعض حيطانه وسقوفه ؛ فصار إليهم الحسين بن إسماعيل صاحب شرطة بغداد من قبّل محمد بن طاهر ، فمنعهم من هدم ما بقي منه ؛ وكان يتردد إليه أيامًا هو والعامّة ؛ حتى يكاد يكون بين أصحاب السلطان وبينهم قتال ، ثم بنى ما كانت العامة هدمته بعد أيام ، وكانت إعادة بنائه - فيما ذكر - بقوّة عبدون بن مخلد ؛ أخي صاعد بن مخلد^(١) .

وحجّ بالناس في هذه السنة هارون بن محمد بن إسحاق بن عيسى بن موسى العباسى^(٢) .

* * *

ثم دخلت سنة اثنين وسبعين ومتّين

أولها يوم الجمعة للثامن عشر من حزيران ، سنة ست وتسعين ومئة وألف لذى القرنين .

* ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث :

فمما كان فيها من ذلك إخراجُ أهل طرسوس أبا العباس بن الموفق من طرسوس ؛ لخلاف كان وقع بينه وبين يازمان ؛ فخرج عنها يريد بغداد للنصف من المحرم من هذه السنة^(٣) .

وفيها تُوفّي سليمان بن وهب في حبس الموفق يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة بقيت من صفر^(٤) .

وفيها تجمّعت العامة ، فهدموا ما كان يُبنى من البيعة يوم الخميس لشمان خلؤن من شهر ربيع الآخر^(٥) .

(١) انظر المنتظم (٢٤٦/١٢).

(٢) انظر المنتظم (٢٤٥/١٢).

(٣) انظر البداية والنهاية (٢٤٧/٨).

(٤) انظر لوفاة سليمان بن وهب وفيات الأعيان (٤١٥/٢) والمتوسط (٢٤٩/١٢).

(٥) انظر المنتظم (٢٤٩/١٢).

ثم دخلت سنة اثنين وسبعين ومتئين

وفيها حَكَم شَارِ في طَرِيق خُرَاسَان، وَصَار إِلَى دَسْكَرَة الْمَلِك، فُقْتَلَ وَانْتَهَبَ.
وَفِيهَا وَرَدَ الْخَبَرُ مِنْ مَدِينَة السَّلَام بِدُخُولِ حَمْدَانَ بْنَ حَمْدُونَ وَهَارُونَ الشَّارِي
مِنْ مَدِينَة الْمُوَصِّلِ، وَصَلَّى الشَّارِي بِهِمْ فِي مَسْجِدِ الْجَامِع^(١):
وَفِيهَا قَدِمَ أَبُو الْعَبَّاسِ بْنُ الْمَوْفَقَ بَغْدَادَ مُنْصَرِفًا مِنْ وَقْتِهِ مَعَ أَبْنَى طَلْوَنَ
بِالظَّاهِرِينَ لِتَسْعِ بَقِيَّتِهِ مِنْ جَمَادِي الْآخِرَةِ.

وَفِيهَا نُقِبَ الْمَطَبَّقُ مِنْ دَاخِلِهِ، وَأَخْرَجَ الذَّوَائِبِ الْعَلَوِيَّ وَنَفَسَانَ مَعِهِ، وَكَانُوا
قَدْ أَعِدَّتْ لَهُمْ دَوَابَّ تَوْقِفٍ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ لِيُخْرِجُوهَا فَيُرْكِبُوهَا هَارِبِينَ، فَنُذِرَ بِهِمْ،
وَغُلَّقَتِ أَبْوَابِ مَدِينَةِ أَبِي جَعْفَرِ الْمُنْصُورِ، فَأَخِذَ الذَّوَائِبُ وَمَنْ خَرَجَ مَعَهُ،
وَرَكِبَ مُحَمَّدُ بْنُ طَاهِرَ، وَكَتَبَ بِالْخَبَرِ إِلَى الْمَوْفَقَ وَهُوَ مُقِيمٌ بِوَاسْطَةِ بَعْضِهِ، فَأَمَرَ أَنْ
تُقْطَعَ يَدُ الذَّوَائِبِ وَرَجْلُهُ مِنْ خَلَافِهِ، فَقُطِّعَ فِي مَجَسِّلِ الْجَسْرِ بِالْجَانِبِ الْغَرَبِيِّ،
وَمُحَمَّدُ بْنُ طَاهِرَ وَاقِفٌ عَلَى دَابِّتِهِ، وَكُوِيَّ يَوْمَ الإِثْنَيْنِ لِثَلَاثِ خَلْوَنَ مِنْ جَمَادِي
الْآخِرَةِ.

وَفِيهَا قَدِمَ صَاعِدُ بْنَ مَخْلُدٍ مِنْ فَارِسَ، وَدَخَلَ وَاسْطَةَ رَجَبٍ، فَأَمَرَ الْمَوْفَقَ
جَمِيعَ الْقَوَادِ أَنْ يَسْتَقْبِلُوهُ فَاسْتَقْبَلُوهُ، وَتَرَجَّلُوا إِلَيْهِ، وَقُبِلُوا كَفَهُ.

وَفِيهَا قَبضَ الْمَوْفَقُ عَلَى صَاعِدَ بْنَ مَخْلُدٍ بِوَاسْطَةِ أَسْبَابِهِ، وَانْتَهَبَ
مَنَازِلَهُمْ يَوْمَ الإِثْنَيْنِ لِتَسْعِ خَلْوَنَ مِنْ رَجَبٍ، وَقِبِضَ عَلَى ابْنِيِهِ أَبِي عِيسَى
وَأَبِي صَالِحِ بَغْدَادَ، وَعَلَى أَخِيهِ عَبْدِوْنَ وَأَسْبَابِهِ بِسَامُرَاءِ، وَذَلِكَ كُلُّهُ فِي يَوْمٍ
وَاحِدٍ، وَهُوَ الْيَوْمُ الَّذِي قَبضَ فِيهِ عَلَى صَاعِدَ، وَاسْتَكْتَبَ الْمَوْفَقَ إِسْمَاعِيلَ بْنَ
بَلْعَلِّ، وَاقْتَصَرَ بِهِ عَلَى الْكِتَابَةِ دُونَ غَيْرِهِ^(٢).

وَوَرَدَتِ الْأَخْبَارُ فِيهَا أَنَّ مَصْرَ زُلْزَلَتِ فِي جَمَادِي الْآخِرَةِ زَلَازِلُ أَخْرَبَتِ الدَّوَرَ
وَالْمَسْجِدَ الْجَامِعَ، وَأَنَّهُ أَحْصَيَ فِي يَوْمِ وَاحِدٍ بِهَا أَلْفَ جَنَازَةً^(٣).

وَفِيهَا غَلَا السَّعْرُ بِبَغْدَادِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ أَهْلَ سَامُرَاءِ مَنْعُوا - فِيمَا ذُكِرَ - سُفُنَ الدَّقِيقِ
مِنَ الْاِنْهَارِ إِلَيْهَا، وَمَنْعَ الطَّائِيَّ أَرْبَابَ الصَّبَاعِ مِنْ دِيَاسِ الطَّعَامِ وَقَسْمِهِ، يَتَرَبَّصُ

(١) انظر البداية والنهاية (٨/٢٤٧).

(٢) انظر البداية والنهاية (٨/٢٤٧).

(٣) انظر المتنظم (١٢/٢٤٩).

بذلك غلاء الأسعار ، فمنع أهل بغداد الزيت والصابون والتمر وغير ذلك من حمله إلى سامراً ، وذلك في النصف من شهر رمضان .

وفيها ضجّت العامة بسبب غلاء السعر ، واجتمعت لللّوثوب بالطائي ، فانصرفوا من مسجد الجامع للنصف من شوال إلى داره بين باب البصرة وباب الكوفة ، وجاؤوه من ناحية الكَرْخ ، فأصعد الطائي أصحابه على السطوح ، فرمُؤهم بالشّاب ، وأقام رجاله على بابه وفي فناء داره بالسيوف والرماح ، فقتل بعض العامة ، وجُرحت منهم جماعة ، ولم يزالوا يقاتلونهم إلى الليل ، فلما كان الليل انصرفوا ، وباكروه من غد ، فركب محمد بن طاهر ، فسكن الناس وصرفهم عنه .

وفيها توفي إسماعيل بن بُريه الهاشمي يوم الثلاثاء لإحدى عشرة ليلة بقيت من شوال منها .

ولشمان بقين منها توفي عبيد الله بن عبد الله الهاشمي .

وفيها كانت للزنج بواسط حركة ، فصاحوا: أنكلاي ، يا منصور ! وكان أنكلاي والمهليي وسليمان بن جامع والشعراني والهمданى وأخر معهم من قواد الزنج محتابسين في دار محمد بن عبد الله بن طاهر بمدينة السلام في دار البطيخ ، في يد غلام من غلمان الموفق ، يقال له: فتح السعديي ، فكتب الموفق إلى فتح أن يوجه برؤوس هؤلاء الستة ، فدخل إليهم ، فجعل يخرج الأول فالأخير منهم ، فذبحهم غلام له ، وقلع رأس بالوعة في الدار ، وطِرحت أجسادهم فيها ، وسد رأسها ، ووجه رؤوسهم إلى الموفق^(١) .

وفيها ورد كتاب الموفق على محمد بن طاهر في جث هؤلاء الستة المقتولين ، فأمره بصلبها بحضورة الجسر ، فأحرجوا من البالوعة ، وقد انتفخوا ، وتغيرت رؤاهم ، وتقدّر بعض جلودهم ، فحملوا في المحامل: المحمل بين رجلين؛ وصليب ثلاثة منهم في الجانب الشرقي ، وثلاثة في الجانب الغربي ، وذلك لسبع بقين من شوال من هذه السنة ، وركب محمد بن طاهر حتى صلبوا بحضورته .

(١) انظر المتنظم (٢٤٩/١٢) فقد ذكر أصل الخبر .

ثم دخلت سنة ثلاثة وسبعين ومئتين

وفيها صَلح أمر مدينة رسول الله ﷺ ، وعَمِرت ، وترَاجَع الناس إليها .
وفيها غزا الصائفة يا زَمان .

وَحْجَّ بالناس فيها هارون بن محمد بن إسحاق بن عيسى بن موسى
الهاشمي^(١) .

* * *

ثم دخلت سنة ثلاثة وسبعين ومئتين
ذكر الخبر بما كان فيها من الأحداث

ففيها كانت وقعة بين أَحْمَد بْن عبد العزِيز بْن أَبِي دُلْف وعُمَر بْن الْلَّيْث
الصَّفَّار يوم السادس عشر من شهـر ربيع الأول .

وفيها كانت أيضًا وقعة بين إسحاق بن كُنداج ومحمد بن أبي الساج بالرقة ،
فانهزم إسحاق ؛ وكان ذلك يوم الثلاثاء لـسع خلـون من جـمـادـىـ الـأـولـىـ .

وفيها قدمت رسـل يـازـمانـ مـنـ طـرـسـوـسـ ، فـذـكـرـواـ أـنـ ثـلـاثـةـ بـنـيـ لـطـاغـيـةـ الرـوـمـ
وـثـبـواـ عـلـيـهـ ، فـقـتـلـوـهـ وـمـلـكـوـاـ أـحـدـهـمـ عـلـيـهـ^(٢) .

وفيها قـيـدـ أـبـوـ أـحـمـدـ لـؤـلـؤـاـ الـقـادـمـ عـلـيـهـ بـالـأـمـانـ مـنـ عـنـدـ اـبـنـ طـوـلـونـ ، وـاستـصـفـيـ
مـالـهـ ، لـثـمـانـ بـقـيـنـ مـنـ ذـيـ الـقـعـدـةـ مـنـ هـذـهـ السـنـةـ ، وـذـكـرـ أـنـ الـذـيـ أـخـذـ مـالـهـ كـانـ
أـرـبـعـمـائـةـ أـلـفـ دـيـنـارـ^(٣) .

وـذـكـرـواـ عـنـ لـؤـلـؤـ أـنـهـ قـالـ : مـاـ عـرـفـتـ لـنـفـسـيـ ذـنـبـاـ اـسـتـوجـبـتـ بـهـ مـاـ فـعـلـ بـيـ إـلـاـ
كـثـرـةـ مـالـيـ .

وـفـيـهاـ كـانـتـ بـيـنـ مـحـمـدـ بـنـ أـبـيـ السـاجـ وـإـسـحـاقـ بـنـ كـنـدـاجـ وـقـعـةـ أـخـرىـ لـأـربعـ
عـشـرـ لـيـلـةـ خـلـتـ مـنـ ذـيـ الـحـجـةـ ؛ وـكـانـتـ الدـبـرـةـ فـيـهاـ عـلـىـ اـبـنـ كـنـدـاجـ .

(١) وكذلك قال ابن الجوزي : وَحْجَّ بالناس في هذه السنة هارون بن محمد الهاشمي (المتظم) ٢٤٩/١٢ .

(٢) انظر المتظم ٢٥٥/١٢ .

(٣) انظر البداية والنهاية ٢٤٧/٨ .

وَحْجَّ بِالنَّاسِ فِيهَا هَارُونَ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ إِسْحَاقَ بْنُ عَيْسَى بْنُ مُوسَى بْنُ عَلَىٰ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ^(١).

* * *

ثم دخلت سنة أربع وسبعين ومئتين ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك شخصٌ أَبِي أَحْمَدَ إِلَى كَرْمَانَ لِحَرْبِ عُمَرَ بْنِ الْلَّيْثِ لِاثْتِي عَشَرَةَ
بَقِيَّتْ مِنْ شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ^(٢).

وَفِيهَا غَزَا يَازِمَانُ ، فَبَلَغَ الْمُسْكَنِينَ ، فَأَسْرَ وَغَنْمَ ، وَسَلَمَ وَالْمُسْلِمُونَ ،
وَذَلِكَ فِي شَهْرِ رَمَضَانِ مِنْهَا^(٣).

وَفِيهَا دَخَلَ صِدِيقُ الْفَرْغَانِيَّ دُورَ سَامِرًا فَأَغَارَ عَلَى أَمْوَالِ التَّجَارِ ، وَأَكْثَرُ الْعِثَّ
فِي النَّاسِ ، وَكَانَ صِدِيقٌ هَذَا يَخْفِرُ أَوَّلًا الطَّرِيقَ ، ثُمَّ تَحُولُ لِصَاحِبِ الْمَنَافِعِ
الطَّرِيقَ^(٤).

وَحْجَّ بِالنَّاسِ فِيهَا هَارُونَ بْنُ مُحَمَّدٍ الْهَاشَمِيَّ^(٥).

* * *

ثم دخلت سنة خمس وسبعين ومئتين ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من توجيهه الطائفي جيشاً إلى سامراً بسبب ما أحدث صديقه بها

(١) وقال ابن الجوزي: وَحْجَّ في هذه السنة هارون بن محمد الهاشمي وهذه السنة العاشرة من حججه بالناس ولم يحج بالناس بعد عمر بن الخطاب رضي الله عنه عشر سنين متتابعة سواء [المتنظم ٢٥٥ / ١٢].

(٢) انظر المتنظم (٢٦١ / ١٢).

(٣) انظر المتنظم (٢٦١ / ١٢).

(٤) انظر البداية والنهاية (٢٤٨ / ٨).

(٥) انظر المتنظم (٢٦١ / ١٢).

وإطلاقه أخاه من السجن؛ وكان أسيراً عنده ، وذلك في المحرم من هذه السنة: ثم خرج الطائي إلى سامرا ، وأرسل صديقاً ووعده ومتاه وأمنه ، فعزم على الدخول إليه في الأمان ، فحدّره ذلك غلام له يقال له: هاشم ، وكان - فيما ذكر - شجاعاً ، فلم يقبل منه ، ودخل سامرا مع أصحابه ، وصار إلى الطائي ، فأخذه الطائي ، ومن دخل معه منهم ، فقطع يد صديق ورجله ويد هاشم ورجله وأيدي جماعة من أصحابه وأرجلهم وحبسهم ، ثم حملهم في محامل إلى مدينة السلام ، وقد أبرزَتْ أيديهم وأرجلهم المقطعة ليراها الناس ، ثم حبسوا.

وفيها غزا يازمان في البحر ، فأخذ للروم أربعة مراكب^(١).

وفيها تَصَعُّلُك فارس العبيدي ، فعاد بناحية سامرا ، وصار إلى كوخها ، فانته布 دور آل حَسَنْج ، فشخص الطائي إليه ، فلحقه بالحديثة ، فاقتلا ، فهزمه الطائي وأخذ سواده ، وصار الطائي إلى دجلة ، فدخل طيارة ليعبرها ، فأدركه أصحاب العبيدي فتعلقوا بكوثر الطيارة ، فرمى الطائي بنفسه في دجلة ، فعبرها سباحة ، فلما خرج منها نفض لحيته من الماء ، وقال: أيش ظُنْ العبيدي؟ أليس أنا أصبح من سمكة! ثم نزل الطائي الجانب الشرقي والعبيدي بإزائه في الجانب الغربي ، وفي انصراف الطائي قال علي بن محمد بن منصور بن نصر بن بسام: قد أَقْبَلَ الطائي ، لا أَقْبَلَ قَبَحٌ في الأفعال ما أَجْمَلَ كَائِنٌ مِنْ لِينِ الْفَوَاظِهِ صَبَّةٌ تَمْضِيْغٌ جَهَدَ الْبَلَا

وفيها أمر أبو أحمد بتقييد الطائي وحبسه ، ففعل ذلك لأربع عشرة خلت من شهر رمضان ، وختم على كل شيء له ، وكان يلي الكوفة وسوادها وطريق خراسان وسامرا والشريطة ببغداد ، وخرج بادوريا وقطربيل ومسكين وشيشاً من ضياع الخاصة.

وفيها حبس أبو أحمد ابنه أبي العباس ، فشغب أصحابه ، وحملوا السلاح ، وركب غلمانه ، واضطربت بغداد لذلك ، فركب أبو أحمد لذلك حتى بلغ باب الرصافة ، وقال لأصحاب أبي العباس وغلمانه فيما ذكر: ما شأنكم؟ أترؤنكم أشفق على ابني مني! هو ولدي ، واحتاجت إلى تقويمه ، فانصرف الناس ،

ووضعوا السلاح ، وذلك يوم الثلاثاء لست خلوٌ من شوال من هذه السنة^(١) .
وحجّ بالناس فيها هارون بن محمد الهاشمي^(٢) .

* * *

ثم دخلت سنة ست وسبعين ومئتين ذكر الخبر بما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ضم الشرطة بمدينة السلام إلى عمرو بن الليث ، وكتب فيها على الأعلام والمطارد والترسـة - التي تكون في مجلس الجسر - اسمه ، وذلك في المحرّم^(٣) .

ولأربع عشرة خلٌتْ من شهر ربيع الأول من هذه السنة شخص أبو أحمد من مدينة السلام إلى الجبل ، وكان سبب شخوصه إليها - فيما ذكر - أن الماذرائي كاتب اذكتين ، أخبره أنّ له هنالك مالاً عظيماً ، وأنه إن شخص صار ذلك إليه ، فشخص إليه فلم يجد من المال الذي أخبره به شيئاً ، فلما لم يجد ذلك شخص إلى الكرج ، ثم إلى أصبهان يريد أبو أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف ، فتنحى له أبو أحمد بن عبد العزيز عن البلد بجيشه وعياله ، وترك داره بفرشها لينزلها أبو أحمد إذا قدم.

وقدم محمد بن أبي الساج على أبي أحمد قبل شخوصه من مضربه بباب خراسان هارباً من ابن طولون ، بعد وقفات كانت بينهما ، ضعف في آخر ذلك ابن أبي الساج عن مقاومته ، لقلة من معه وكثرة من مع ابن طولون من الرجال ، فلحق بأبي أحمد ، فانضمّ إليه ، فخلع أبو أحمد عليه ، وأخرجه معه إلى الجبل . وفيها ولَيَ عبيد الله بن عبد الله بن طاهر شرطة بغداد ، من قِبَلْ عمرو بن الليث في شهر ربيع الآخر .

وفيها ورد الخبر بانفراج تل بنهر الصَّلَة - ويعرف بتل بنى شَقِيق - عن سبعة أقرب فيها سبعة أبدان صحيحة ، عليها أكفان جدد لينة ، لها أهداب ، تفوح منها

انظر المنتظم (١٢/٢٦٤) .

انظر المنتظم (١٢/٢٦٤) .

انظر المنتظم (١٢/٢٧٣) .

ثم دخلت سنة سبع وسبعين ومئتين

رائحة المسك ، أحدهم شاب له جمة ، وجبهة وأذناه وخدّاه وأنفه وشفتاها وذقنها وأشفار عينيه صحيحة ، وعلى شفتينه بلال ، كأنه قد شرب ماء؛ وكأنه قد كحّل ، وبه ضربة في خاصرته ، فرُدّت عليه أكفانه^(١).

وحدثني بعض أصحابنا أنه جذب من شعر بعضهم ، فوجده قويّ الأصل نحو قوة شعر الحيّ ، وذكر أن التلّ انفرج عن هذه القبور عن شبه الحوض من حجر في لون المسنّ ، عليه كتاب لا يدرى ما هو !

وفيها أمر بطرح المطارد والأعلام والترسّة التي كانت في مجالس الشرطة التي عليها اسم عمرو بن الليث ، وإسقاط ذكره ، وذلك لإحدى عشرة خلت من شوال^(٢).

وحجّ بالناس في هذه السنة هارون بن محمد بن إسحاق الهاشميّ ، وكان والياً على مكة والمدينة والطائف^(٣).

* * *

ثم دخلت سنة سبع وسبعين ومئتين

ذكر الخبر عن الأحداث التي كانت فيها

فمن ذلك دعاء يازمان بطرسوس لخمارويه بن أحمد بن طولون؛ وكان سبب ذلك - فيما ذكر - أن خمارويه وجّه إليه بثلاثين ألف دينار وخمسين ألفاً ثوب وخمسين ومئة دابة وخمسين ومئة ممطر وسلاح ، فلما وصل ذلك إليه دعا له ، ثم وجّه إليه بخمسين ألف دينار^(٤).

(١) انظر المتنظم (٢٧٣ / ١٢) والعجيب أن الطبرى ذكر هذا الخبر كما ترى إلا أن ابن كثير لم يُشر إلى وجوده في تاريخ الطبرى وإنما نسبه إلى المتأخرین من بعده كابن الأثير فقال ابن كثير وذكر ابن الجوزي في متظمته وابن الأثير في كامله أن في هذه السنة انفرج . . إلخ [البداية والنهاية ٨ / ٢٥٠].

(٢) انظر المتنظم (٢٧٣ / ١٢).

(٣) انظر المتنظم (٢٧٣ / ١٢).

(٤) انظر البداية والنهاية (٨ / ٢٥٢).

وفي أول شهر ربيع الآخر كان بين وصيف خادم ابن أبي الساج والبرابرة أصحاب أبي الصقر شرّ؛ فاقتتلوا ، فقتل من غلمان الخادم أربعة غلمان ومن البرابرة سبعة ؛ فكانت الحرب بينهم بباب الشأم إلى شارع باب الكوفة ، فركب إليهم أبو الصقر ، فكلمهم فتفرقوا ، ثم عادوا للشّرّ بعد يومين ، فركب إليهم أبو الصقر فسكنهم .

وفيها ولـي يوسف بن يعقوب المظالم ، فأمر أن ينادى : مَنْ كانت له مظلمة قيل الأمير الناصر لـدين الله أو أحد من الناس فليحضر ، وتقـدم إلى صاحب الشرطة ألا يطلق أحداً من المحبسـين إلـا من رأـي إطلاـقه يوسف ، بعد أن يعرض عليه قصصـهم^(١) .

وفي أول يوم من شعبان قـدـم قـائد من قـوـاد بن طـولـون في جـيش عـظـيم من الفرسـان والرجـالة بـغـداـد^(٢) .

وـجـجـ بالـنـاسـ فيـ هـذـهـ السـنـةـ هـارـونـ بـنـ مـحـمـدـ الـهاـشـميـ^(٣) .

* * *

ثم دخلت سنة ثمان وسبعين ومئتين ذكر الخبر بما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك الحرب التي كانت بين أصحاب وصيف الخادم والبربر وأصحاب موسى ابن أخت مُفلح أربعة أيام تباعاً ، ثم اصطلحوا ؛ وقد قـُـلــيــ بينــهــمــ بــضــعــعــةــ عــشــرــ رــجــلــ ، وــذــلــكــ فــيــ أــوــلــ الــمــحــرــمــ ، ثــمــ وــقــعــ فــيــ الــجــانــ الشــرــقــيــ حــرــبــ بــيــنــ النــصــرــيــنــ وأــصــحــابــ يــونــســ ، قــُـلــيــ رــجــلــ ، ثــمــ اــفــرــقــواــ .

وفيها انحدر وصيف خادم ابن أبي الساج إلى واسط بأمر أبي الصقر لتكون عدّة له - فيما ذكر - وذلك أنه اصطنعه وأصحابه ، وأجازه بجوائز كبيرة ، وأدّر على أصحابه أرزاقهم ، وكان قد بلغه قドوم أبي أحمد ، فخافه على نفسه لما كان

(١) انظر المتنظم فقد ذكر الخبر.

(٢) انظر البداية والنهاية (٨/٢٥٢).

(٣) انظر المتنظم (١٢/٢٧٣).

من إتلافه ما كان في بيوت أموال أبي أحمد؛ حتى لم يبق فيها شيء بالبهة التي كان يهبه؛ والجوائز التي كان يُجيز ، والخلع التي كان يخلع على القواد ، وإنفاقه على القواد ، فلما نَفَدَ ما في بيت المال ، طالب أرباب الضياع بخراج سنة مُبْهِمة عن أراضيهم ، وحبس منهم بذلك جماعة؛ وكان الذي يتولى له القيام بذلك الزَّاغَل ، فعسف على الناس في ذلك ، وقدم أبو أحمد قبل أن يستوظف أداء ذلك منهم ، فشُغِلَ عن مطالبة الناس بما كان يطالبهم به ، وكان انحدار وصيف في يوم الجمعة لثلاث عشرة بقيت من المحرم .

ولليلتين بقيتا من المحرم منها ، طلع كوكب ذو جُمَّة ، ثم صارت الجمعة ^{ذُؤابة^(١)} .

* * *

[ذكر الخبر عن مرض أبي أحمد الموفق ثم موته]

وفيها انصرف أبو أحمد من الجبل إلى العراق ، وقد اشتَدَّ به وجع النَّقْرس حتى لم يقدر على الركوب ، فاتَّخذ له سرير عليه قبة ، فكان يقعده عليه ، ومعه خادم يبرد رجله بالأشياء الباردة ، حتى بلغ من أمره أنه كان يضع عليها الثلج ، ثم صارت عَلَّة رجله داء الفيل ، وكان يحمل سريره أربعون حِمَالاً يتناوب عليه عشرون عشرون ، وربما اشتَدَّ به أحياناً ، فيأمرهم أن يضعوه ، فذكر أنه قال يوماً للذين يحملونه: قد ضجرتم بحملي ، بودي أني أكون كواحد منكم أحمل على رأسي وأكلّ وأتّي في عافية ، وأنه قال في مرضه هذا: أطبق دفتري على مئة ألف مرتفق ، ما أصبح فيهم أسوأ حالاً مني^(٢) .

وفي يوم الإثنين لثلاث بقين من المحرم منها وافى أبو أحمد النَّهروان ، فتلقاء أكثر الناس ، فركب الماء ، فسار في النهروان ، ثم في نهر دِيَالَى ، ثم في دِجلة إلى الزعفرانية ، وصار ليلة الجمعة إلى الفِرْزَك ، ودخل داره يوم الجمعة لليلتين خلتا من صفر .

انظر المتنظم (٢٨٧/١٢) .

انظر لمرض الموفق ورجوعه إلى العراق ثم وفاته المتنظم (٣٠٣/١٢) و(٢٨٧/١٢) .

ولما كان في يوم الخميس لثمان خلون من صَفَرْ ، شاع موته بعد انصراف أبي الصقر من داره ، وقد كان تقدّم في حفظ أبي العباس ، فغلقت عليه أبواب دون أبواب ، وأخذ أبو الصقر ابنَ الفياض معه إلى داره ، وكان يبقى بناحية ، وأقام أبو الصقر في داره يومه ذلك ، وازداد الإرجاف بموت أبي أحمد ، وكانت اعترته غُشْيَة ، فوجّه أبو الصقر يوم الجمعة إلى المدائن ، فحمل منها المعتمد وولده ، فجيء بهم إلى داره ، وأقام أبو الصقر في داره ولم يصِرْ إلى دار أبي أحمد؛ فلما رأى غلمان أبي أحمد المائلون إلى أبي العباس والرؤساء من غلمان أبي العباس الذين كانوا حضوراً ما قد نزل بأبي أحمد ، كسروا أقفال الأبواب المغلقة على أبي العباس .

فذكر عن الغلام الذي كان مع أبي العباس في الحُجْرة أنه قال لما سمع أبو العباس صوت الأقفال تُكسَرَ قال: ليس يريد هؤلاء إلا نفسي .

وأخذ سيفاً كان عنده ، فاستله ، وقعد مستوفزاً والسيف في حجره ، وقال: لي: تنحَّ أنت ، والله لا وصلوا إليَّ وفيَّ شيء من الروح ، قال: فلما فُتح الباب كان أول من دَخَلَ عليه وصيف مُؤْشِكِير - وهو غلام أبي العباس - فلما رأه رمى السيف من يده ، وعلم أنهم لم يقصدوا إلا الخير ، فآخرجوه حتى أقعدوه عند أبيه ، وهو بعقب غشيته ، فلما فتح أبو أحمد عينيه ، وأفاق رآه ، فأدناه وقربه ، ووافي المعتمد - ذلك اليوم الذي وجَّهَ إلَيْهِ في حمله ، وهو يوم الجمعة نصف النهار قبل صلاة الجمعة - مدينة السلام ، لتسع خلون من صَفَرْ ، ومعه ابنه جعفر المفُوض إلى الله ولِيُّ العهد عبد العزيز ومحمد وإسحاق بنوه ، فنزل على أبي الصقر ، ثم بلغ أبو الصقر: أنَّ أباً أَحْمَدَ لَمْ يَمُتْ ، فوجّه إسماعيل بن إسحاق يترَّفَّ له الخبر ، وذلك يوم السبت .

وجمع أبو الصقر القوَاد والجند ، وشحن داره وما حولها بالرجال والسلاح ، ومنْ داره إلى الجسر كذلك ، وقطع الجسرتين ، ووقف قومٌ على الجسر في الجانب الشرقي يحاربون أصحاب أبي الصقر ، فقتل بينهم قتلى ، وكانت بينهم جراحات .

وكان أبو طلحة أخو شَرْكَب مع أصحابه مقيمين بباب البستان ، فرجع إسماعيل ، فأعلم أبو الصقر أنَّ أباً أَحْمَدَ حَيٌّ ، فكان أول منْ مضى إليه من القوَاد محمد بن أبي الساج ، عبر من نهر عيسى ، ثم جعل الناس يتسلّلون؛ منهم من

يعبر إلى باب أبي أحمد ، ومنهم من يرجع إلى منزله ، ومنهم من يخرج من بغداد؛ فلما رأى أبو الصقر ذلك ، وصحت عنده حياة أبي أحمد ، انحدر هو وأبناءه إلى دار أبي أحمد؛ فما ذاكره أبو أحمد شيئاً مما جرى ، ولا ساءله عنه ، وأقام في دار أبي أحمد.

فلما رأى المعتمد: أنه قد بقي في الدار وحده ، نزل هو وبنوه وبكتمر ، فركبوا زورقاً ، ثم لقيهم طيار أبي ليلى بن عبد العزيز بن أبي دلف ، فحملهم في طيارة ، ومضى بهم إلى داره ، وهي دار عليّ بن جهشيار برأس الجسر ، فقال له المعتمد: أريد أن أمضي إلى أخي فاحدره ومن معه من بيته إلى دار أبي أحمد ، وانتهبت دار أبي الصقر وكل ما حوطه حتى خرج حرمُه حفاةً بغير إزار ، وانتهبت دور دار محمد بن سليمان كاتبه ، ودار ابن الواثقية انتهبت وأحرقت ، وانتهبت دور أسبابه ، وكسرت أبواب السجون ، ونُقِبت الحيطان ، وخرج كل من كان فيها ، وخرج كل من كان في المطبق ، وانتهبت مجلساً الجسر ، وأخذ كل ما كان فيهما ، وانتهبت المنازل التي تقرب من دار أبي الصقر ، وخلع أبو أحمد على ابنه أبي العباس وعلى أبي الصقر ، فركبا جمِيعاً ، والخلع عليهما من سوق الثلاثاء إلى باب الطَّاق ، ومضى أبو الصقر مع أبي العباس إلى داره؛ دار صاعد، ثم انحدر أبو الصقر في الماء إلى منزله وهو متَّهِب ، فأتوه من دار الشاه بحصير فقد علية ، فولى أبو العباس غلامه بدار الشرطة ، واستخلف محمد بن غانم بن الشاه على الجانب الشرقي ، وعيسى النوشي على الجانب الغربي؛ وذلك لأربع عشرة خلت من صفر منها.

وفيها في يوم الأربعاء لثمانٍ بقين من صفر ، كانت وفاة أبي أحمد الموفق ودفن ليلة الخميس في الرُّصافة عند قبر والدته ، وجلس أبو العباس يوم الخميس للناس للعزبة .

* * *

[ذكر خبر البيعة للمعتضد بولاية العهد^(١)]

وفيها بايع القواد والعلماء لأبي العباس بولاية العهد بعد المفوض ، ولقب

(١) وكذلك قال ابن الجوزي (١٢ / ٣٠٤).

بالمعتضد بالله ، في يوم الخميس ، وأخرج للجند العطاء ، وخطب يوم الجمعة للمعتمد ، ثم للمفوض ، ثم لأبي العباس المعتضد؛ وذلك لسبع ليال بقين من صفر .

* * *

وفيها في يوم الإثنين لأربع بقين من صفر قُبض على أبي الصقر وأساليبه وانتهت منازلهم ، وطلب بنو الفرات - وكان إليهم ديوان السواد - فاختفوا ، وخليع على عبيد الله بن سليمان بن وهب يوم الثلاثاء لثلاث بقين من صفر منها ، وولى الوزارة .

وفيها بعث محمد بن أبي الساج إلى واسط ليرد غلامه وصيفاً إلى مدينة السلام ، فمضى وصيفاً إلى الأهواز ، وأبي الانصراف إلى بغداد ، وأنهب الطيب ، وعاد بالسوس .

وفيها ظفر بأبي أحمد بن محمد بن الفرات؛ فحبس وطُلب بأموال ، وظفر معه بالرغل ، فحبس ، وظفر معه بمال .

وفيها وردت الأخبار بقتل عليّ بن الليث أخي الصفار ، قتلها رافع بن هرثمة ، كان لحق به ، وترك أخاه .

ووردت الأخبار فيها عن مصر: أن النيل غار ماؤه وغلت الأسعار عندهم^(١) .

* * *

ذكر ابتداء أمر القرامطة^(٢)

وفيها وردت الأخبار بحركة قوم يُعرفون بالقرامطة بسوان الكوفة؛ فكان ابتداء أمرهم قدوم رجل من ناحية خوزستان إلى سوان الكوفة ومقامه بموضع منه يقال له النهرين ، يُظهر الزهد والتقطش ، ويُسْفِرُ الخوص ، ويأكل من كسيه ، ويُكثِر الصلاة ، فأقام على ذلك مدة ، فكان إذا قعد إليه إنسان ذاكره أمر الدين ، وزهده

(١) انظر البداية والنهاية (٨/٢٥٥).

(٢) لبداية حركة القرامطة انظر المنتظم (١٢/٢٨٧).

في الدنيا ، وأعلمه أن الصلاة المفترضة على الناس خمسون صلاة في كل يوم وليلة ؛ حتى فشا ذلك عنه بموضعه ، ثم أعلمهم أنه يدعو إلى إمام من أهل بيته الرسول ، فلم يزل على ذلك يقعد إليه الجماعة فيخبرهم من ذلك بما تعلق قلوبهم ، وكان يقعد إلى بقال في القرية ؛ وكان بالقرب من البقال نخل اشتراه قوم من التجار ، واتخذوا حظيرة جمعوا فيها ما صرموا من حمل النخل ، وجاؤوا إلى البقال فسألوه أن يطلب لهم رجلاً يحفظ عليهم ما صرموا من النخل ، فأولم لهم إلى هذا الرجل ، وقال : إن أجابكم إلى حفظ ثمرتكم ، فإنه بحيث تحبون ، فناظروه على ذلك ، فأجابهم إلى حفظه بدراهم معلومة ؛ فكان يحفظ لهم ، ويصلّي أكثر نهاره ويصوم ، ويأخذ عند إفطارة من البقال رطل تمر ، فيفطر عليه ، ويجمع نوى ذلك التمر .

فلما حمل التجار ما لهم من التمر ، صاروا إلى البقال ، فحاسبوا أجيرهم هذا على أجنته ، فدفعوها إليه ، فحاسب الأجير البقال على ما أخذ منه من التمر ، وحطّ من ذلك ثمن النوى الذي كان دفعه إلى البقال ؛ فسمع التجار ما جرى بينه وبين البقال في حق النوى ، فوثبوا عليه فضربوه ، وقالوا : ألم ترض أن أكلت تمرنا حتى بعت النوى ! فقال لهم البقال : لا تفعلوا ، فإنه لم يمس تمركم ؛ وقصّ عليهم قصته ، فندموا على ضربهم إياه ، وسألوه أن يجعلهم في حلّ فعل ، وازداد بذلك ثُلَاثاً عند أهل القرية لما وقفوا عليه من زُهده .

ثم مرض فمكث مطروحاً على الطريق ، وكان في القرية رجل حمل على أثوار له أحمر العينين شديدة حمرتها ، وكان أهل القرية يسمونه كرميته لحمرة عينيه ، وهو بالتبطية أحمر العينين ، فكلم البقال كرميته هذا ، في أن يحمل هذا العليل إلى منزله ، ويوصي أهله بالإشراف عليه والعناية به ؛ ففعل وأقام عنده حتى برأ ، ثم كان يأوي إلى منزله ، ودعا أهل القرية إلى أمره ، ووصف لهم مذهبة ، فأجابه أهل تلك الناحية ، وكان يأخذ من الرجل إذا دخل في دينه ديناراً ؛ ويزعم أنه يأخذ ذلك للإمام ؛ فمكث بذلك يدعو أهل تلك القرى فيجيبونه ، واتّخذ منهم اثني عشر نقيباً ، أمرهم أن يدعو الناس إلى دينهم ، وقال لهم : أنتم كحواري عيسى ابن مريم ؛ فاشتغل أكراة تلك الناحية عن أعمالهم بما رسم لهم من الخمسين الصلاة التي ذكر أنها مفترضة عليهم .

وكان للهِيَّصِم في تلك الناحية ضياع ، فوقف على تقصير أكْرَتِه في العمارة ، فسأل عن ذلك ، فأخِيرٌ: أن إنساناً طرأ عليهم ، فأظهر لهم مذهبًا من الدين ، وأعلمهم أنَّ الذي افترضه الله عليهم خمسون صلاة في اليوم والليلة ، فقد شغلوها بها عن أعمالهم فوجَّه في طلبه ، فأخذ وجِيء به إليه ، فسأله عن أمره ، فأخبره بقصته ، فحلف أنه يقتله .

فأمر به فحبس في بيت ، وأقفل عليه الباب ، ووضع المفتاح تحت وسادته ، وتشاغل بالشرب ، وسمع بعض مَنْ في داره من الجواري بقصته ، فرقَت له ، فلما نام الهِيَّصِم أخذت المفتاح من تحت وسادته ، وفتحت الباب وأخرجته ، وأقفلت الباب ، وردَّت المفتاح إلى موضعه . فلما أصبح الهِيَّصِم دعا بالمفتاح ففتح الباب فلم يجده ، وشاع بذلك الخبر ، فُتنَّ به أهل تلك الناحية ، وقالوا: رُفع ثم ظهر في موضع آخر ، ولقي جماعة من أصحابه وغيرهم فسألوه عن قصته ، فقال: ليس يمكن أحداً أن يبدأني بسوء ، ولا يقدر على ذلك مني ، فعظم في أعينهم ، ثم خاف على نفسه ، فخرج إلى ناحية الشأم ، فلم يُعرَف له خبر ، وسمى باسم الرجل الذي كان في منزله صاحب الأثوار كرميته ، ثم خفَّ ف قالوا: قرمط .

ذكر هذه القصة بعض أصحابنا عَمِّنْ حدثه ، أنه حضر محمد بن داود بن الجراح ، وقد دعا بقوم من القرامطة من الحبس ، فسألهم عن زکرویه ، وذلك بعدما قتلها ، وعن قرمط وقصته ، وأنهم أمواله إلى شيخ منهم ، وقالوا له: هذا سلف زکرویه ، وهو أخِير الناس بقصته ، فسأله عمَا تريده ، فسألَه فأخبره بهذه القصة .

وذكر عن محمد بن داود أنه قال: قرمط رجل من سواد الكوفة ، كان يحمل غلات السواد على أثار له ، يسمى حمدان ويلقب بقرمط ، ثم فشا أمرُ القرامطة ومذهبُهم ، وكثروا بسواد الكوفة ، ووقف الطائيُّ أَحمد بن محمد على أمرهم ، فوُظِّفَ على كلِّ رجل منهم في كلِّ سنة ديناراً ، وكان يجيء من ذلك مالاً جليلاً ، فقدم قوم من الكوفة فرفعوا إلى السلطان أمرَ القرامطة ، وأنهم قد أحدثوا ديناً غير الإسلام ، وأنهم يرون السيف على أمَّةِ محمدٍ إِلَّا مَنْ بايعهم على دينهم ، وأنَّ الطائيَّ يخفى أمرهم على السلطان ، فلم يلتقط إليهم ، ولم يسمع منهم ، فانصرفوا ، وأقام رجل منهم مدةً طويلة بمدينة السلام ، يرفع ويُزعم أنه لا يمكنه

الرجوع إلى بلده خوفاً من الطائي ، وكان فيما حكوا عن هؤلاء القرامطة من مذهبهم أن جاؤوا بكتاب فيه .

لِسْتَ إِلَّا رَجُلُ الْحَمْدَةِ

يقول الفرج بن عثمان ، وهو من قرية يقال لها: نصرانة ، داعية إلى المسيح ، وهو عيسى ، وهو الكلمة ، وهو المهدى ، وهو أحمد بن محمد بن الحنفية ، وهو جبريل ، وذكر أنّ المسيح تصور له في جسم إنسان ، وقال له: إنك الداعية ، وإنك الحجة ، وإنك الناقة ، وإنك الدابة ، وإنك روح القدس ، وإنك يحيى بن زكرياء ، وعرفه أن الصلاة أربع ركعات: ركعتان قبل طلوع الشمس ، وركعتان قبل غروبها؛ وأنّ الأذان في كل صلاة أن يقول: الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله؛ مرتين أشهد أن آدم رسول الله ، أشهد أنّ نوحًا رسول الله ، أشهد أن إبراهيم رسول الله ، أشهد أن موسى رسول الله ، وأشهد أن عيسى رسول الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله ، وأشهد أنّ أحمد بن الحنفية رسول الله؛ وأن يقرأ في كل ركعة الاستفتاح؛ وهي من المنزل على أحمد بن محمد بن الحنفية .

والقبلة إلى بيت المقدس ، والحج إلى بيت المقدس ، ويوم الجمعة يوم الإثنين لا يُعمل فيه شيء ، والسورة: الحمد لله بكلمته ، وتعالى باسمه ، المتخد لأوليائه بأوليائه ، قل: إن الأهلة مواقيت للناس؛ ظاهرها ليعلم عدد السنين والحساب والشهور والأيام ، وباطئها أوليائي الذين عرفوا عبادي سبيلي ، اتقون يا أولي الألباب؛ وأنا الذي لا أسأل عما أفعل ، وأنا العليم الحكيم ، وأنا الذي أبلو عبادي ، وامتحن خلقي؛ فمن صبر على بلائي ومحنتي واختباري أقيته في جنتي ، وأخلدته في نعمتي ، ومن زال عن أمري ، وكذب رسلي ، أخلدته مهاناً في عذابي ، وأتممتُ أجلي ، وأظهرتُ أمري؛ على السنة رُسُلي؛ وأنا الذي لم يعلُّ عليَّ جبار إلا وضعته ، ولا عزيزٌ إلا أذللُه ، وليس الذي أصرَّ على أمره وداوم على جهالته ، وقالوا: لن نربح عليه عاكفين ، وبه مؤمنين: أولئك هم الكافرون .

ثم يركع ويقول في ركوعه: سبحان رب العزة وتعالى عما يصف

الظالمون! يقولها مرتين ، فإذا سجد قال : الله أعلَى ، الله أعظم ، الله أعظم .
ومن شرائعه أن الصوم يومان في السنة ، وهما المهرجان والتوروز؛ وأن النبي حرام والخمر حلال؛ ولا غُسلَ من جنابة إلا الوضوء كوضوء الصلاة ، وأنَّ مَنْ حاربه وجب قتله ، ومن لم يحاربه من خالقه أخذَت منه الجزية ولا يُؤكل كلَّ ذي ناب ، ولا كلَّ ذي مخلب .

وكان مصير قرمط إلى سواد الكوفة قبل قتل صاحب الزنج؛ وذلك أن بعض أصحابنا ذكر عن سلف ذكره : أنه قال : قال لي قرمط : صرْتُ إلى صاحب الزنج ، ووصلت إليه ، وقلت له : إني على مذهب ، وورائي مئة ألف سيف؛ فنظرني ، فإن اتفقنا على المذهب ملْتُ بمَنْ معِي إليك ، وإن تكن الأخرى انصرفت عنك ، وقلت له : تعطيني الأمان؟ ففعل .

قال : فنظرته إلى الظاهر ، فتبين لي في آخر مناظري إيه أنه على خلاف أمري ، وقام إلى الصلاة ، فانسللت ، فمضيت خارجاً من مدینته ، وصرت إلى سواد الكوفة^(١) .

* * *

[ذكر خبر غزو الروم ووفاة يازمان في هذه الغزوة]^(٢)

ولخمس بقين من جُمادى الآخرة من هذه السنة ، دخل أَحْمَدُ العُجَيْفِيَّ مدینة طرسوس ، وغزا مع يازمان غَزَّة الصائفة ، فبلغ سَلَنْدُو .

وفي هذه الغزوة مات يازمان ، وكان سبُبُ موته أن شظيَّةً من حجر مُنْجنيق أصاب أصلاعه وهو مقيم على حصن سَلَنْدُو؛ فارتَحَلَ العسكري؛ وقد كانوا أشرفوا على فتحه ، فتُوفِيَ في الطريق من غَدِيرِ يوم الجمعة ، لأربع عشرة ليلة خلت من رجب ، وحُمِّلَ إلى طرسوس على أكتاف الرجال فدُفنَ هناك .

وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ هَارُونُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْهَاشَمِيِّ .

* * *

(١) عن مثنا القرامطة ومذاهبهم الفاسدة انظر المنتظم فقد أفرد فصولاً لشرح أحوالهم وضلالاتهم استغرقت صفحات عديدة (المنتظم ١٢/٢٨٨ - ٣٠٠).

(٢) لوفاة يازمان انظر النجوم الراحلة (٣/٨٧).

ثم دخلت سنة تسع وسبعين ومئتين
ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من أمر السلطان بالنداء بمدينة السلام : ألا يقُدُّم على الطريق
ولا في مسجد الجامع قاصٍ ولا صاحب نجوم ولا زاجر ؟ وحُلْف الوراقون ألا
يبيعوا كتب الكلام والجدل والفلسفة^(١) .

وفيها خُلع جعفر المفوّض من العهد لشمان بقين من المحرّم^(٢) .

وفي ذلك اليوم بُويع للمعتضد بأنه ولِي العهد من بعد المعتمد ، وأنشئت
الكتب بخلع جعفر وتولية المعتضد ، ونُفِّذَت إلى البلدان ، ونُخطِّب يوم الجمعة
للمعتضد بولاية العهد ، وأنشئت عن المعتضد كتب إلى العمال والولاة ؛ بأن أمير
المؤمنين قد ولَّه العهد ، وجعل إليه ما كان الموفَّقَ إليه من الأمر والنهي والولاية
والعزل^(٣) .

وفيها قُبض على جرادة كاتب أبي الصَّقر لخمس خلوٰن من شهر ربيع الأول ،
وكان الموفَّقَ وجْهه إلى رافع بن هرثمة ، فقدم مدينة السلام قبل أن يُقْبَض عليه
بأيام .

وفيها انصرف أبو طلحة منصور بن مسلم من شهر زور لست بقين من جُمادى
الأولى - وكانت ضُمِّت إليه - فُقِبِضَ عليه وعلى كاتبه عَقَامَة ، وأوْدِعَا السُّجْنَ ؛
وذلك لأربع بقين من جُمادى الأولى .

* * *

[ذكر خبر الفتنة بطرسوس]

وفيها كانت الملحمة بطرسوس بين محمد بن موسى ومكِّنون غلام راغب
مولى الموفَّق ؛ في يوم السبت لتسع بقين من جُمادى الأولى ؛ وكان سبب ذلك

(١) انظر المتنظم (٣٠٥ / ١٢) .

(٢) انظر المتنظم (٣٠٥ / ١٢) .

(٣) انظر المتنظم (٣٠٥ / ١٢) .

- فيما ذكر - أن طُعْجَنْ بن جُفَّ لقى راغبًا بحلب ، فأعلمه أن خَمَارُويه بن أَحْمَد يحب لقاءه ، ووعلمه عنه بما يحب؟ فخرج راغب من حلب ماضياً إلى مصر في خمسة غلمان له ، وأنفذ خادمه مكتنوناً مع الجيش الذي كان معه وأمواله وسلاحه إلى طَرَسُوس ، فكتب طُعْجَنْ إلى محمد بن موسى الأعرج يعلمه أنه قد أنفذ راغبًا ، وأن كل ما معه من مال وسلاح وغلمان مع غلامه مكتنون ، وقد صار إلى طَرَسُوس وأنه ينبغي له أن يقبض عليه ساعة يدخل وعلى ما معه ، فلما دخل مكتنون طَرَسُوس وثبت به الأعرج ، فقبض عليه ووكل بما معه ، فوثب أهل طرسوس على الأعرج ، فحالوا بينه وبين مكتنون ، وقبضوا على الأعرج فحبسوه في يد مكتنون ، وعلموا أن الحيلة قد وقعت براًغب؛ فكتبوا إلى خَمَارُويه بن أَحْمَد يعلمه بما فعل الأعرج ، وأنهم قد وكلوا به ، وقالوا: أطلق راغبًا لينفذ إلينا حتى نطلق الأعرج ، فأطلق خَمَارُويه راغبًا ، وأنفذه إلى طَرَسُوس ، وأنفذ معه أَحْمَد بن طُعْجَنْ واليَا على الشغور ، وعزل عنهم الأعرج ، فلما وصل راغب إلى طَرَسُوس أطلق محمد بن موسى الأعرج ، ودخل طَرَسُوس أَحْمَد بن طُعْجَنْ واليَا عليها وعلى الشغور ومعه راغب ، يوم الثلاثاء لثلاث عشرة خلت من شعبان .

* * *

[خبر وفاة المعتمد]

وفيها توفى المعتمد ليلة الإثنين لإحدى عشرة ليلة بقيت من رجب ، وكان شرب على الشط في الحسني يوم الأحد شراباً كثيراً ، وتعشى فأكثر ، فمات ليلاً ، فكانت خلافته ثلاثة وعشرين سنة وستة أيام - فيما ذكر^(١) .

* * *

(١) لوفاة المعتمد وترجمته انظر سير أعلام (١٢/٥٤٠)، وتاريخ بغداد (٤/٦٠) والمتنظم (١٢/٣٢٨).

خلافة المعتصم

وفي صَبِيحة هذه الليلة بُويع لأبي العباس المعتصم بالله بالخلافة ، فولى غلامه بدرًا الشرطة وعيَّد الله بن سليمان بن وهب الوزارة ومحمد بن الشاد بن ميكال الحرس ، وحجبة الخاصة والعامة صالحًا المعروف بالأمين ، فاستخلف صالح خفيفاً السمرقندى^(١) .

وللليلتين خلتَا من شعبان فيها قدم على المعتصم رسولُ عمرو بن الليث الصفار بهدايا ، وسأَل ولایة خراسان ، فوجَّه المعتصم عيسى التُّوشريَّ مع الرسول ، ومعه خلع ولواء عقده له على خراسان ، فوصلوا إليه في شهر رمضان من هذه السنة ، وخُلِع عليه ، ونُصب اللواء في صحن داره ثلاثة أيام^(٢) .

* * *

وفيها ورد الخبر بموت نصر بن أحمد ، وقام بما كان إليه من العمل وراء نهر بلخ أخيه إسماعيل بن أحمد^(٣) .

وفيها قدم الحسين بن عبد الله المعروف بابن الجصاص من مصر رسولاً لخمارويه بن أحمد بن طولون ، ومعه هدايا من العين؛ عشرون حملًا على بغال وعشرة من الخدم وصندوغان فيما طراز وعشرون رجلاً على عشرين نجيبياً ، بسرورج محللة بحلية فضة كثيرة ، ومعهم حراب فضة ، وعليهم أقيمة الدبياج والمناطق المحللة وسبعين عشرة دابة بسرورج ولجم ، منها خمسة بذهب والباقي

(١) وقال ابن الجوزي في صَبِيحة يوم الإثنين لإحدى عشرة ليلة بقيت من رجب سنة تسع وسبعين وهو ابن سبع وثلاثين سنة فولى عبد الله بن سليمان بن وهب الوزارة إلخ [المتنظم ٣٠٦/١٢]

(٢) انظر المتنظم (٣٢٧/١٢).

(٣) انظر المتنظم (٣٣١/١٢).

بفضة ، وسبع وثلاثون دابة بجلال مشهّرة ، وخمسة أبغل بسرورج ولجم وزرّافة يوم الإثنين لثلاث خلون من شوال ، فوصل إلى المعتصم ، فخلع عليه وعلى سبعة نفر معه ، وسفر ابن الجصاص في تزوّيج ابنة خمارويه من عليّ بن المعتصم ، فقال المعتصم : أنا أتزوجها ، فتزوجها^(١) .

وفيها ورد الخبر بأخذ أحمد بن عيسى بن الشيخ قلعة ماردين من محمد بن إسحاق بن كنداج^(٢) .

وفيها مات إبراهيم بن محمد بن المديّر ، وكان يليّ ديوان الضياع ، فولّي مكانه محمد بن عبد الحميد ، وكان موته يوم الأربعاء لثلاث أو أربع عشرة بقيت من شوال .

وفيها عُقد لراشد مولى الموفق على الدينور ، وخلع عليه يوم السبت لسبعين من شوال ، ثم خرج راشد إلى عمله يوم الخميس لعشرين خلون من ذي القعدة .

وفي يوم النحر منها ركب المعتصم إلى المصلى الذي اتخذه بالقرب من الحسّني ، وركب معه القواد والجيش ، فصلّى بالناس ، فذُكر عنه أنه كبر في الركعة الأولى ست تكبيرات ، وفي الركعة الثانية تكبيرة واحدة ، ثم صعد المنبر ، فلم تسمّ خطبته ، وعطل المصلى العتيق فلم يصلّ فيه .

وفيها كتب إلى أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف بمحاربة رافع بن هرثمة ورافع بالريّ ، فزحف إليه أحمد ، فالتفوا يوم الخميس لسبعين من ذي القعدة ، فانهزم رافع بن هرثمة ، وخرج عن الريّ ، ودخلها ابن عبد العزيز .

وحجّ بالناس في هذه السنة هارون بن محمد الهاشمي ، وهي آخر حجة حجّها ، وحجّ بالناس ست عشرة سنة ، من سنة أربع وستين إلى هذه السنة^(٣) .

* * *

(١) انظر المنتظم (١٢/٣٢٧).

(٢) انظر البداية والنهاية (٨/٢٥٦).

(٣) انظر المنتظم (١٢/٣٢٧).

ثم دخلت سنة ثمانين ومئتين

ذكر الخبر عن الأحداث التي كانت فيها

فمن ذلك ما كان من أخذ المعتضد عبد الله بن المهدى ومحمد بن الحسن بن سهل المعروف بشيّلمة - وكان شيّلمة هذا مع صاحب الزنج إلى آخر أيامه ، ثم لحق بالموقق في الأمان فآمنه - وكان سبب أخذه إياهما أن بعض المستأمنة سعى به إلى المعتضد ، وأعلمه أنه يدعوه إلى رجل لم يوقف على اسمه ، وأنه قد استفسد جماعةً من الجناد وغيرهم ، وأخذ معه رجل صيدناني وابن أخي له من المدينة ، فقرره المعتضد فلم يقرّ بشيء ، وسأله عن الرجل الذي يدعوه إليه ، فلم يقرّ بشيء ، وقال : لو كان تحت قدمي ما رفعتهما عنه ، ولو عملتني كرذناك لما أخبرتك به ؛ فأمر بinar فأوقدَتْ ، ثم شُدَّ على خشبة من خشب الخيم ، وأدبر على النار حتى تقطّع جلده ، ثم ضربت عنقه ، وصُلب عند الجسر الأسفل في الجانب الغربي^(١) .

وحبس ابن المهدى إلى أن وقف على براءته ، فأطلق ، وكان صلبه لسبع خلوٰن من المحرّم .

فذُكر أن المعتضد قال لشيّلمة : قد بلغني أنك تدعوه إلى ابن المهدى ، فقال : المأثور عني غير هذا ، وأنني أتوّلى آل ابن أبي طالب - وقد كان قرر ابن أخيه فأقرّ - فقال له : قد أقرّ ابن أخيك ، فقال له : هذا غلام حدث تكلم بهذا خوفاً من القتل ، ولا يقبل قوله ، ثم أطلق ابن أخيه والصيدناني بعد مدة طويلة .

* * *

[ذكر خبر قصد المعتضد بنى شيبان وصلحه معهم]^(٢)

ولليلة خلت من صفر يوم الأحد شخص المعتضد من بغداد يريد بنى شيبان ، فنزل بستان بشر بن هارون ، ثم سار يوم الأربعاء منه ، واستخلف على داره

(١) انظر المنتظم (١٢/٣٣٢).

(٢) انظر المنتظم (١٢/٣٣٣).

وبغداد صالحًا الأمين حاجبه ، فقصد الموضع الذي كانت شيبان تتخذه معلقًا من أرض الجزيرة ، فلما بلغهم قصده إياهم ، ضمُّوا إليهم أموالهم وعيالاتهم .

ثم ورد كتاب المعتصد أنه أسرى إلى الأعراب من السنن ، فأوقع بهم ، فقتل منهم مقتلة عظيمة ، وغرق منهم خلق كثير في الزابدين ، وأخذ النساء والذراري ، وغنم أهل العسكر من أموالهم ما أعجزهم حمله ، وأخذه من غنائمهم وإبلهم ما كثر في أيدي الناس حتى بيعت الشاة بدرهم والجمل بخمسة دراهم ، وأمر بالنساء والذراري أن يخفظوا حتى يُحدروا إلى بغداد ثم مضى المعتصد إلى الموصل ، ثم إلى بلد ، ثم رجع إلى بغداد ، فلقيه بنو شيبان يسألونه الصفح عنهم ، وبذلوا له الرهائن ، فأخذ منهم خمسة رجال - فيما قيل ، ورجع المعتصد يريد مدينة السلام ، فوفاه أحمد بن أبي الأصبع بما فارق عليه أحمد بن عيسى بن الشيخ من المال الذي أخذه من مال إسحاق بن كنداج ، وبهدايا ودوابٍ وبغال في يوم الأربعاء لسبعين خلون من شهر ربيع الأول .

* * *

وفي شهر ربيع الأول ورد الخبر بأن محمد بن أبي الساج افتتح المراغة بعد حصار شديد وحرب غليظة كانت بينهم ، وأنه أخذ عبد الله بن الحسين بعد أن آمنه وأصحابه ، فقيده وحبسه ، وقرره بجميع أمواله ، ثم قتله بعد .

وفي شهر ربيع الآخر ورد الخبر بوفاة أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف ، وكانت وفاته في آخر شهر ربيع الأول ، فطلب الجناد أرزاقهم ، وانتهبا متزل إسماعيل بن محمد المنشئ ، وتنازع الرئاسة عمر وبكر ابنا عبد العزيز ، ثم قام بالأمر عمر ، ولم يكتب إليه المعتصد بالولاية .

وفيها افتتح محمد بن ثور عثمان ، وبعث برؤوس جماعة من أهلها ، وذكر أنّ جعفر بن المعتمد تُوفّي في يوم الأحد لاثنتي عشرة خلْتُ من شهر ربيع الآخر منها؛ وأنه كان مقامه في دار المعتصد لا يخرج ولا يظهر ، وقد كان المعتصد نادمه مراراً .

وفيها انصرف المعتصد إلى بغداد من خرجته إلى الأعراب .

وفيها في جمادى الآخرة ورد الخبر بدخول عمرو بن الليث نِيَسابور ، في جمادى الأولى منها .

وفي وجه يوسف بن أبي الساج اثنين وثلاثين نفساً من الخارج ، من طريق الموصل ، فضررت أعناق خمسة وعشرين رجلاً منهم ، وصلبوا وحبس سبعة منهم في الحبس الجديد^(١).

وفيها دخل أحمد بن أبا طرسوس لغزة الصائفة ، لخمس خلوٌ من رجب من قبل خمارويه ، ودخل بعده بدر الحمامي ، فعزوا جميعاً مع العجيفي أمير طرسوس حتى بلغوا البلقسور.

وفيها ورد الخبر بعزو إسماعيل بن أحمد بلاد الترك وافتتاحه - فيما ذكر - مدينة ملكهم ، وأسره إيه وامرأته خاتون ونحوه من عشرة آلاف ، وقتل منهم خلقاً كثيراً ، وغنم من الدواب كثيرة لا يوقف على عددها ، وأنه أصاب الفارس من المسلمين من الغنيمة في المقسم ألف درهم^(٢).

وللليلتين بقيتا من شهر رمضان منها ، توفي راشد مولى الموفق بالدينور ، وحمل في تابوت إلى بغداد.

ولثلاث عشرة خلت من شوال منها مات مسروor البخاري^(٣).

وفيها - فيما ذكر - في ذي الحجة ورد كتاب من دبلي بانكساف القمر في شوال لأربع عشرة خلت منها ، ثم تجلّى في آخر الليل ، فأصبحوا صحيحة تلك الليلة والدنيا مظلمة ، ودامت الظلمة عليهم؛ فلما كان عند العصر هبت ريح سوداء شديدة ، فدامت إلى ثلث الليل؛ فلما كان ثلث الليل زلزلوا ، فأصبحوا وقد ذهبت المدينة فلم ينج من منازلها إلا يسير قدر مئة دار ، وأنهم دفعوا إلى حين كتب الكتاب ثلاثين ألف نفس يخرجون من تحت الهدم ، ويدفنون ، وأنهم زلزلوا بعد الهدم خمس مرات^(٤).

وذكر عن بعضهم أن جملة من أخرج من تحت الهدم خمسون ومئة ألف ميت.

(١) انظر المتظم (١٢/٣٣٣).

(٢) انظر المتظم (١٢/٣٣٣).

(٣) انظر البداية والنهاية (٨/٢٥٨).

(٤) انظر البداية والنهاية (١٢/٣٣٤).

وَحْجَّ بِالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدٌ بْنُ هَارُونَ الْمُعْرُوفُ
بِابْنِ تَرْنَجَةَ^(١).

* * *

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ إِحْدَى وَثَمَانِينَ وَمِئَتَيْنِ ذَكْرُ الْخَبْرِ عَمَّا كَانَ فِيهَا مِنَ الْأَحْدَاثِ

فَمِنْ ذَلِكَ مَا كَانَ مِنْ موافَةِ تَرْنَجَةَ بْنِ الْعَبَّاسِ عَامِلِ السُّلْطَانِ عَلَى دِيَارِ مُضَرِّ
مَدِينَةِ السَّلَامِ لِتَسْعُ خَلَوْنَ مِنَ الْمَحْرَمِ بَنِيَفْ وَأَرْبَعِينَ نَفْسًا مِنْ أَصْحَابِ أَبِي الْأَغْرِّ
صَاحِبِ سُمَيْسَاطِ عَلَى جَمَالٍ ، عَلَيْهِمْ بِرَانِسْ وَدَرَارِيعْ حَرِيرَ.

فَمُضِيَّ بَعْدَهُمْ إِلَى دَارِ الْمَعْتَضِدِ ، ثُمَّ رُدُّوا إِلَى الْجَبَسِ الْجَدِيدِ فَجُبِسُوا بِهِ ،
وَخُلِعُوا عَلَى تُرْنَجَةَ ، وَانْصَرَفُوا إِلَى مَنْزِلِهِ.

وَفِيهَا وَرَدَ الْخَبْرُ بِوَقْعَةِ كَانَتْ لَوْصِيفِ خَادِمِ ابْنِ أَبِي السَّاجِ بَعْمَرِ بْنِ
عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ أَبِي دُلْفٍ وَهَزِيمَتِهِ إِيَاهُ ، ثُمَّ صَارَ وَصِيفُ إِلَى مَوْلَاهُ مُحَمَّدِ بْنِ
أَبِي السَّاجِ فِي شَهْرِ رَبِيعِ الْآخِرِ مِنْهَا.

وَفِيهَا دَخَلَ طُعْجَ بنَ جُفَّ طَرَسُوسَ لِغَزَّةِ الصَّائِفَةِ مِنْ قَبْلِ خَمَارُويَهِ يَوْمَ
الْخَمِيسِ لِلنَّصْفِ مِنْ جَمَادِيِّ الْآخِرَةِ - فَيَمَا قَيلَ - وَغَزَا فَبَلَغَ طَرَايِونَ ، وَفَتَحَ
مُلُورِيَةَ.

وَلِخَمْسِ لِيَالٍ بَقِيَنِ مِنْ جَمَادِيِّ [الْآخِرَةِ] مَاتَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ الطَّائِيَّ
بِالْكُوفَةِ ، وَدُفِنَ بِهَا فِي مَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ: مَسْجِدُ السَّهْلَةِ.

وَفِيهَا غَارَتِ الْمَيَاهُ بِالرَّيْ وَطَبَرِسْتَانَ^(٢).

وَلِلْيَلَتَيْنِ خَلَتَا مِنْ رَجْبِهِ مَنْهَا شَخْصُ الْمَعْتَضِدِ إِلَى الْجَبَلِ ، فَقَصَدَ نَاحِيَةَ
الْدِينُورِ ، وَقَلَّدَ أَبَا مُحَمَّدٍ عَلَيَّ بْنِ الْمَعْتَضِدِ الرَّيَّ وَقَرْوَينَ وَزَنجَانَ وَأَبْهَرَ وَقُمَّ
وَهَمَدَانَ وَالْدِينُورَ ، وَقَلَّدَ كَتَبَتِهِ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْأَصْبَغِ ، وَنَفَقَاتِ عَسْكَرِهِ وَالضَّيَاعِ

(١) انظر المتنظم (٣٣٦/١٢).

(٢) انظر المتنظم (٣٣٩/١٢).

بالي الحسين بن عمرو الضراني ، وقلد عمر بن عبد العزيز بن أبي دلف أصبهان ونهاوند والكرج ، وتعجل للانصراف من أجل غلاء السعر وقلة الميرة ، فوافى بغداد يوم الأربعاء لثلاث خلوٌ من شهر رمضان^(١).

وفيها استأمن الحسن بن علي كوره عامل رافع على الري إلى علي بن المعتضى في زهاء ألف رجل ، فوجّهه إلى أبيه المعتضى.

وفيها دخل الأعراب سامرا فأسرروا ابن سيمما أنف في ذي القعدة منها وانتهوا.

* * *

[ذكر خبر الواقعة بين الأكراد والأعراب]^(٢)

ولست ليال بقين من ذي القعدة خرج المعتضى الخرجة الثانية إلى المؤصل عامداً لحمدان بن حمدون؛ وذلك أنه بلغه أنه ما يل هارون الشاري الواقىي ، ودعا له فورد كتاب المعتضى من كرخ جدان على نجاح الحرمي الخادم بالوقعة بينه وبين الأكراد والأعراب؛ وكانت يوم الجمعة سلخ ذي القعدة:

بسم الله الرحمن الرحيم

كتابي هذا وقت العتمة ليلة الجمعة ، وقد نصر الله - وله الحمد - على الأكراد والأعراب ، وأظفرنا بعالٍ منهم وبعيالاتهم؛ ولقد رأينا ونحن نسوق البقر والغنم كما كان نسوقها عاماً أو لاً ، ولم تزل الأستنة والسيوف تأخذهم ، وحال بيننا وبينهم الليل ، وأوقدت النيران على رؤوس الجبال ، ومن غدوتنا ، فيقع الاستقصاء ، وعسكرى يتبعنى إلى الكرخ ، وكان وقاعنا بهم وقتلنا إياهم خمسين ميلاً ، فلم يبق منهم مخبر والحمد لله كثيراً ، فقد وجب الشكر لله علينا والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد نبيه وآلـه وسلم كثيراً.

وكانت الأعراب والأكراد لما بلغهم خروجُ المعتضى ، تحالفوا أنهم يقتلون على دم واحد ، واجتمعوا وعَبَّوا عسكراً لهم ثلاثة كراديس؛ كردوساً دون

(١) انظر المستظم (٤٠ / ١٢) و (١٢ / ٣٣٩).

(٢) انظر المستظم (١٢ - ٣٣٩ - ٣٤٠).

كردوس ، وجعلوا عيالاتهم وأولادهم في آخر كُردوس ، وتقدم المعتضد عسكره في خيل جربدة ، فأوقع بهم ، وقتل منهم ، وغرق في الْرَّابِّ منهم خلق كثير ، ثم خرج إلى الموصل عامداً لقلعة ماردين ، وكانت في يد حمدان ابن حمدون ، فلما بلغه مجيء المعتضد هرب وخلف ابنه بها ، فنزل عسكر المعتضد على القلعة ، فحاربهم من كان فيها يومئذ ذلك ؛ فلما كان من الغدر كُبُرُ المعتضد ، فصعد القلعة حتى وصل إلى الباب ، ثم صاح : يا بن حمدون ! فأجابه : ليبيك ! فقال له : افتح الباب ، ويلك ! ففتحه ، فبعد المعتضد في الباب ، وأمر من دخل فنقل ما في القلعة من المال والأثاث ، ثم أمر بهدمها فهدمت ، ثم وجه خلف حمدان بن حمدون ، فطلب أشد الطلب ، وأخذت أمواله كانت له مودعة ، وجيء بالمال إلى المعتضد ، ثم ظفر به ، ثم مضى المعتضد إلى مدينة يقال لها : الحسنية ، وفيها رجل يقال له : شداد في جيش كثيف ، ذكر أنهم عشرة آلاف رجل ، وكان له قلعة في المدينة فظفر به المعتضد ، فأخذه فهم قلعته .

وفيها ورد الخبر من طريق مكة أنه أصاب الناس في المصعد برد شديد ومطر جَوْدٌ وبرد أصيـبـ فيه أكثر من خمسـمـئة إنسـانـ .

وفي شوال منها غزا المسلمين الروم ، فكانت بينهم الحرب الثانية عشر يوماً ، فظفر المسلمين وغنموا غنـيةـ كثـيرـةـ وانصرـفـواـ^(١)ـ .

* * *

ثم دخلت سنة ثنتين وثمانين ومئتين

ذكر الأحداث التي كانت فيها

[ذكر أمر النيروز المعتضدي]

فمن ذلك ما كان من أمر المعتضد في المحرّم منها بإنشاء الكتب إلى جميع العمال في النواحي والأماصار بترك افتتاح الخراج في النيروز الذي هو نيروز العجم ، وتأخير ذلك إلى اليوم الحادي عشر من حزيران ، وسمى ذلك الْنَّيْرُوزُ المعتضدي ، فأنشئت الكتب بذلك من الموصل والمعتضد بها ، وورد كتابه

ذكر أمر المعتضد مع حمدان بن حمدون

بذلك على يوسف بن يعقوب يعلمه أنه أراد بذلك الترفية على الناس ، والرُّفق بهم ، وأمر أن يُقرأ كتابه على الناس ، ففعل^(١) .

* * *

وفيها قدم ابن الجصاص من مصر بابنة أبي الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون التي تزوجها المعتضد ، ومعها أحد عمومتها ، فكان دخولهم بغداد يوم الأحد لليلتين خلتا من المحرم ، وأدخلت للحرم ليلة الأحد ، ونزلت في دار صاعد بن مخلد ؛ وكان المعتضد غائباً بالموصل^(٢) .

وفيها مُنْعِنُ الناس من عمل ما كانوا يعملون في نَيَرُوز العجم من صب الماء ورفع النيران وغير ذلك^(٣) .

* * *

[ذكر أمر المعتضد مع حمدان بن حمدون]

وفيها كتب المعتضد من المؤصل إلى إسحاق بن أيوب وحمدان بن حمدون بالمصير إليه ؛ فأما إسحاق بن أيوب فسارع إلى ذلك ، وأما حمدان بن حمدون فتحصن في قلاعه ، وغيب أمواله وحرمه ، فوجّه إليه المعتضد الجيوش مع وصيف موشكير ونصر القشوري وغيرهما ؛ فصادفوا الحسن بن علي كوره وأصحابه مُنيخين على قلعة لحمدان ، بموضع يعرف بدير الزعفران من أرض الموصل ، وفيها الحسين بن حمدان ، فلما رأى الحسين أوائل العسكر مقبلين طلب الأمان فأومن ، وصار الحسين إلى المعتضد ، وسلم القلعة ، فأمر بهدمها ، وأخذ وصيف موشكير السير في طلب حمدان ، وكان قد صار بموضع يعرف بباسورين بين دجلة ونهر عظيم ، وكان الماء زائداً ، فعبر أصحاب وصيف إليه ونذر بهم ، فركب أصحابه ودافعوا عن أنفسهم ، حتى قتل أكثرهم ، فألقى حمدان نفسه في زورق كان معداً له في دجلة ، ومعه كاتب له نصراً يسمى

(١) انظر المستنظم (١٢ / ٣٤٣).

(٢) انظر المستنظم (١٢ / ٣٤٣).

(٣) انظر المستنظم (١٢ / ٣٤٤).

ذكر يحيى ، وحمل معه مالاً ، وعبر إلى الجانب الغربي من دجلة من أرض ديار ربيعة ، وقدر اللحاق بالأعراب لما حيل بينه وبين أكراده الذين في الجانب الشرقي ، وعبر في أثره نفرٌ يسير من الجناد فاقتضوا أثره ، حتى أشرفوا على دير كان قد نزله؛ فلما بصر بهم من خرج من الدين هارباً ومعه كاتبه ، فألقيا أنفسهما في زورق ، وخلقا المال في الدين ، فحمل إلى المعتضد ، وانحدر أصحاب السلطان في طلبه على الظهر وفي الماء ، فلحقوه ، فخرج عن الزورق حاسراً إلى ضيعة له بشرقي دجلة ، فركب دابة لوكيله ، وسار ليلاً أجمع إلى أن وافى مضرب إسحاق بن أيوب في عسكر المعتضد ، مستجيراً به ، فأحضره إسحاق مضرب المعتضد ، وأمر بالاحتفاظ به ، وبئث الخيل في طلب أسبابه ، فظفر بكتبه وعدة من قراباته وغلمانه ، وتتابع رؤساء الأكراد وغيرهم في الدخول في الأمان؛ وذلك في آخر المحرّم من هذه السنة.

* * *

وفي شهر ربيع الأول منها قُبض على بكتمر بن طاشتر ، وفُييد وحبس ، وقُبض ماله وضياعه ودوره.

وفيها نُقلت ابنة خمارويه بن أحمد إلى المعتضد لأربع خلوٰن من شهر ربيع الآخر ، ونُودي في جانبي بغداد ألا يعبر أحد في دجلة يوم الأحد ، وغلقت أبواب الدُّرُوب التي تلي الشطّ ، ومدد على الشوارع النافذة إلى دجلة شراع ، ووُكّل بحافظي دجلة مَنْ يمنع أن يظهروا في دورهم على الشطّ.

فلما صلّيت العتمة وافت الشّذا من دار المعتضد ، وفيها خدم معهم الشمع ، فوقعوا بإزاء دار صاعد ، وكانت أعيدت أربع حرّاقات شُدّت مع دار صاعد ، فلما جاءت الشذا أحدرت الحرّاقات ، وصارت الشذا بين أيديهم؛ وأقامت الحرّة يوم الإثنين في دار المعتضد ، وجُلّيَت عليه يوم الثلاثاء لخمس خلوٰن من شهر ربيع الأول^(١).

وفيها شخص المعتضد إلى الجبل ، فبلغ الكرج ، وأخذ أموالاً لابن أبي دلف

(١) انظر المتنظم (٣٤٤ / ١٢).

وكتب إلى عمر بن عبد العزيز بن أبي دلف يطلب منه جوهراً كان عنده ، فوجه به إليه ، وتنحى من بين يديه .

وفيها أطلق لؤلؤ غلام ابن طولون بعد خروج المعتصد ، وحمل على دواب وبغال .

وفيها وجّه يوسف بن أبي الساج إلى الصيّمة مددًا لفتح القلاسي ، فهرب يوسف بن أبي الساج بمن أطاعه إلى أخيه محمد بالمراغة ، ولقي مالاً للسلطان في طريقه فأخذه ، فقال في ذلك عبيد الله بن طاهر :

إمام الهدى أنصاركم آل طاهر بلا سبب يُجفونَ والدهرُ يذهبُ
وقد خلطوا صبراً بشكر ورابطاً وغيرُهُمْ يُعطى ويُجبى ويُهربُ
وفيها وجّه المعتصد الوزير عبيد الله بن سليمان إلى الرئي إلى أبي محمد ابني .

* * *

وفيها وجّه محمد بن زيد العلوى من طبرستان إلى محمد بن ورد العطار باثنين وثلاثين ألف دينار ، ليفرّقها على أهله ببغداد والكوفة؛ ومكة والمدينة ، فسعي به ، فحضر دار بدر ، وسئل عن ذلك ، فذكر أن يوجّه إليه في كل سنة بمثل هذا المال ، فيفرّقه على من يأمره بالتفرقة عليه من أهله ، فأعلم بدر المعتصد ذلك ، وأعلمه أن الرجل في يديه والمال ، واستطلع رأيه وما يأمر به .

فذكر عن أبي عبد الله الحسني أنَّ المعتصد قال لبدر: يا بدر ، أما تذكر الرؤيا التي خبرتك بها؟ فقال: لا يا أمير المؤمنين ، فقال: ألا تذكر أني حدثتك أنَّ الناصر دعاني ، فقال لي: أعلم أنَّ هذا الأمر سيصير إليك ، فانظر كيف تكون مع آل عليّ بن أبي طالب! ثم قال: رأيتُ في النوم كأني خارج من بغداد أريد ناحية النهروان في جيشي ، وقد تشوف الناس إليّ ، إذ مررتُ برجل واقف على تل يصلي ، لا يلتفت إليّ ، فعجبت منه ومن قلة اكتراثه بعسكرى ، مع تشوف الناس إلى العسكر ، فأقبلتُ إليه حتى وقفت بين يديه ، فلما فرغ من صلاته قال لي: أقبل ، فأقبلتُ إليه ، فقال: أترغبني؟ قلت: لا ، قال: أنا عليّ بن أبي طالب؛ خذ هذه المسحة ، فاضرب بها الأرض - لمسحة بين يديه - فأخذتها فضربت بها ضربات ، فقال لي: إنه سيلي من ولدك هذا الأمر بقدر ما ضربت بها ، فأوصهم

بولي خيراً ، قال بدر : فقلت : بلّي يا أمير المؤمنين ، قد ذكرت ، قال : فأطلق المال ، وأطلق الرجل وتقدم إليه أن يكتب إلى صاحبه بطبرستان أن يوجه ما يوجه به إليه ظاهراً ، وأن يفرق محمد بن ورد ما يفرقه ظاهراً ، وتقدم بمعونة محمد على ما يريد من ذلك^(١).

وفي شعبان لـ إحدى عشرة بقيت منها ، تُوفّي أبو طلحة منصور بن مسلم في حبس المعتضد.

وفيها لثمانٍ خلون من شهر رمضان منها ، وافى عبيد الله بن سليمان الوزير بغداد قادماً من الرّي ، فخلع عليه المعتضد.

ولثمان بقين من شهر رمضان منها ، ولدت ناعم جارية أم القاسم بنت محمد بن عبد الله للمعتضد ابناً سماه جعفراً ، فسمى المعتضد هذه الجارية سغرب.

وفيها قدم إبراهيم بن أحمد الماذري لاثنتي عشرة بقيت من ذي الحجة من دمشق على طريق البر ، فوافى بغداد في أحد عشرة يوماً ، فأخبر المعتضد أن خمارويه بن أحمد ذبح على فراشه ، ذبحه بعض خدمه من الخاصة ، وقيل : إن قتلته كان لثلاث خلون من ذي الحجة ، وقيل إن إبراهيم وافى بغداد من دمشق في سبعة أيام ، وقتل من خدمه الذين اتهموا بقتله يَفْ وعشرون خادماً^(٢).

وكان المعتضد بعث مع ابن الجصاص إلى خمارويه بهدايا ، وأودعه إليه رسالة ، فشخص ابن الجصاص لما وَجَه له ، فلما بلغ سامراً بلغ المعتضد مهلك خمارويه ، فكتب إليه يأمره بالرجوع إليه فرجع ، ودخل بغداد لسبع بقين من ذي الحجة .

* * *

(١) انظر المتنظم (١٢/٣٤٤).

(٢) انظر المتنظم (١٢/٣٤٥).

ثم دخلت سنة ثلاثة وثمانين ومئتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

[خبر هارون الشاري والظفر به]^(١)

فمن ذلك ما كان من شخص المعتضد لثلاث عشرة بقيت من المحرم منها - بسبب الشاري هارون - إلى ناحية الموصل ظفر به ، وورَد كتابُ المعتضد بظفره به إلى مدينة السلام يوم الثلاثاء لتسع خلْوَن من شهر ربيع الأول ، وكان سبب ظفره به أنه وجَّه الحسين بن حمدان بن حمدون في جماعة من الفرسان والرجال من أهل بيته وغيرهم من أصحابه إليه؛ وذُكر أن الحسين بن حمدان قال للمنتضر: إن أنا جئت به إلى أمير المؤمنين فلي ثلاث حوائج إلى أمير المؤمنين ، فقال: اذكريها ، قال: أولها إطلاق أبي ، وحاجتان أسلأه إياهما بعد مجيئي به إليه ، فقال له المعتضد: لك ذلك فامض ، فقال الحسين: أحتاج إلى ثلاثة فارس أنتخبهم فوقَّه المنتضر معه ثلاثة فارس مع موشكير ، فقال: أريد أن يأمره أمير المؤمنين لا يخالفني فيما أمره به ، فأمر المنتضر موشكير بذلك.

فمضى الحسين حتى انتهى إلى مخاضة دجلة ، فتقدَّم إلى وصيف ومن معه بالوقوف على المخاضة ، وقال له: ليس لهارون طريق إن هرب غير هذا ، فلا تبرحن من هذا الموضع حتى يمر بك هارون؟ فتمتنعه العبور ، وأجبَّهك أنا ، أو يبلغك: أني قد قُتلت ، ومضى حسين في طلب هارون فلقَّيه وواقَعَه ، وكانت بينهما قتلى ، وانهزم الشاري هارون ، وأقام وصيف على المخاضة ثلاثة أيام ، فقال له أصحابه: قد طال مقامنا بهذا المكان القَّفر ، وقد أضرَ ذلك بنا ، ولسنا نأمن أن يأخذ حسين الشاري فيكون الفتح له دوننا؟ والصواب أن نمضي في آثارهم ، فأطاعهم ومضى ، وجاء هارون الشاري منهزاً إلى موضع المخاضة ، فعبر وجاء حسين في أثره ، فلم ير وصيفاً وأصحابه بالموضع الذي تركهم فيه ، ولا عرف لهارون خبراً ، ولا رأى له أثراً ، وجعل يسأل عن خبر هارون حتى وقف على عبوره ، فعبر في أثره ، وجاء إلى حيٍّ من أحياط العرب ، فسألهم عنه

(١) انظر المنتظم (٣٥٩/١٢).

فكتموه أمره ، فأراد أن يُوقع بهم ، وأعلمهم أنَّ المعتضد في أثره؛ فأعلمهوه: أنه اجتاز بهم ، فأخذ بعض دوابهم ، وترك دوابه عندهم - وكانت قد كلَّت وأعیت - واتبع أثره ، فلحقه بعد أيام والشاري في نحو من مئة ، فناشده الشاري ، وتوعَّده ، فأبى إلَّا محاربته فحاربه؛ فذكر أنَّ حسين بن حمدان رمى بنفسه عليه ، فابتدره أصحاب حسين فأخذوه ، وجاء به إلى المعتضد سلماً بغير عقد ولا عهْد ، فأمر المعتضد بحلّ قيود حمدان بن حمدان ، والتَّوسيعة عليه والإحسان إليه أن يقدم فيطلقه ويخلع عليه؛ فلما أسر الشاري وصار في يد المعتضد ، انصرف راجعاً إلى مدينة السلام ، فوافاها لثمان بقين من شهر ربيع الأول ، فنزل بباب الشماسية ، وعبأ الجيش هنالك ، وخلع المعتضد على الحسين بن حمدان ، وطوقه بطوق من ذهب ، وخلع على جماعةٍ من رؤساء أهله ، وزين الفيل يثاب الدّياب ، واتخذ للشاري على الفيل كالمحفة ، وأقيمت فيها ، وأليس درّاعة دياب ، وجعل على رأسه برنس حرير طويل .

* * *

ولعشر بقين من جمادى الأولى منها ، أمر المعتضد بالكتاب إلى جميع النواحي برد الفاضل من سهام المواريث على ذوي الأرحام ، وإبطال ديوان المواريث ، وصرف عمالها؛ فنفذت الكتب بذلك ، وقرئت على المنابر^(١) .

وفيها خرج عمرو بن الليث الصفار من نيسابور ، فخالفه رافع بن هرثمة إليها ، فدخلها وخطب بها لمحمد بن زيد الطالبي وأبيه ، فقال: اللهم أصلح الداعي إلى الحق؛ فرجع عمرو إلى نيسابور ، فعسكر خارج المدينة ، وخندق على عسكره لعشر خلْوَنْ من شهر ربيع الآخر ، فأقام محاصراً أهل نيسابور.

وفي يوم الإثنين لأربع خلْوَنْ من جمادى الآخرة منها ، وافي بغداد محمد بن إسحاق بن كنداجيق وخاقان المفلحي ومحمد بن كُمسُنجُور المعروف ببن دقّة وبدر بن جُفَّ أخو طغج وابن حَسَنَج في جماعة من القواد من مصر في الأمان^(٢) .

(١) انظر المنتظم (٣٥٩/١٢) فقد ذكر ابن الجوزي الخبر وزاد عليه مبيناً العلة في ذلك وهذا يعني أنَّ ابن الجوزي لم يتقيَّد بتاريخ الطبرى كمصدر رئيس وهذه ليست المرة الأولى.

(٢) انظر المنتظم (٣٥٩/١٢).

وذكر أن سبب مجئهم إلى المعتضد في الأمان كان أنهم أرادوا أن يفتكونا بجيش بن خمارويه بن أحمد بن طولون ، فسعي بهم إليه وكان راكباً ، وكانوا في موكبه ، وعلموا أنه قد وقف على أمرهم ، فخرجوا من يومهم وسلكوا البرية ، وتركوا أموالهم وأهاليهم ، فتاهوا أياماً ، ومات منهم جماعة من العطش ، وخرجوا على طريق مكة فوق الكوفة بمرحلتين أو ثلاثة ، ووجه السلطان محمد بن سليمان صاحب الجيش إلى الكوفة حتى كتب أسماءهم ، وأقيمت لهم الوظائف من الكوفة فلما قربوا من بغداد ، خرجت إليهم الوظائف والخدم والطعام ، ووصلوا إلى المعتضد يوم دخلوا فخلع عليهم ، وحمل كل قائد منهم على دابة بسرجه ولجامه ، وخلع على الباقين ، وكان عددهم ستين رجلاً .

وفي يوم السبت لأربع عشرة بقيت منها شخص الوزير عبد الله بن سليمان إلى الجبل لحرب ابن أبي دلف بأصبهان .

* * *

[خبر حصر الصقالبة القسطنطينية]

وفيها - فيما ذكر - ورد كتابٌ من طرسوس : أن الصقالبة غزت الروم في خلق كثير ، فقتلوا منهم وخرّبوا لهم قرىًّا كثيرة حتى وصلوا إلى قسطنطينية وألجموا الرّوم إليها ، وأغلقت أبواب مديتها ، ثم وجّه طاغية الروم إلى ملك الصقالبة أن ديننا ودينكم واحد؛ فعلام نقتل الرجال بيننا ! فأجابه ملك الصقالبة : أن هذا ملك آبائي ، ولست منصراً عنك إلا بغلبة أحدنا صاحبه؛ فلما لم يجد ملك الروم خلاصاً من صاحب الصقالبة ، جمَّع من عنده من المسلمين ، فأعطياهم السلاح ، وسألهم معونته على الصقالبة ، ففعلوا ، وكشفوا الصقالبة ، فلما رأى ذلك ملك الروم خافهم على نفسه ، فبعث إليهم فردهم ، وأخذ منهم السلاح ، وفرقهم في البلدان ، حذراً من أن يجنوا عليه .

* * *

[خلاف جند جيش بن خمارويه عليه]

وللنصف من رجب من هذه السنة ورد الخبر من مصر : أن الجندي من المغاربة والبربر وثبوا على جيش بن خمارويه ، وقالوا : لا نرضى بك أميراً علينا ففتح عنا

حتى نولي عُمَّك ، فكلمهم كاتبه علي بن أحمد الماذرائي ، وسائلهم أن ينصرفوا عنه يومهم ذلك ، فانصرفوا وعادوا من غد ، فعدا جيش على عمه الذي ذكروا أنهم يؤمرون به ، فضرب عنقه وعنق عم له آخر ، ورمي بأرؤسهما إليهم ، فهجم الجند على جيش بن خمارويه ، فقتلوا وقتلوا أمه وانتهبو داره ، وانتهبو مصر وأحرقوها ، وأقعدوا هارون بن خمارويه مكان أخيه .

وفي رجب منها أمر المعتصد بكربي دُجَيل والاستقصاء عليه ، وقلع صخر في فوّهته كان يمنع الماء فجُبِيَ لذلك من أرباب الضياع والإقطاعات أربعة آلاف دينار ، وكسر - فيما ذكر - وأنفق عليه ، وولى ذلك كاتب زيرك وخدم المعتصد .

• • •

[ذكر الفداء بين المسلمين والروم]

وفي شعبان منها ، كان الفداء بين المسلمين والروم على يدي أحمد بن طغان ، وذكر: أن الكتاب الوارد بذلك من طرسوس كان فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

أعلمك : أن أَحْمَدَ بْنَ طَغَانَ نَادَى فِي النَّاسِ يَحْضُرُونَ الْفَدَاءَ يَوْمَ الْخَمِيسِ
لِأَرْبَعِ خَلْوَنَ مِنْ شَعْبَانَ سَنَةِ ثَلَاثَ وَسَمِينَ وَمَئِينَ ، وَأَنَّهُ قَدْ خَرَجَ إِلَى لَامِسٍ
- وَهُوَ مَعْسِكُرُ الْمُسْلِمِينَ - يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، لِخَمْسِ خَلْوَنَ مِنْ شَعْبَانَ ، وَأَمَرَ النَّاسَ
بِالْخُرُوجِ مَعَهُ فِي هَذَا الْيَوْمِ ، فَصَلَّى الْجُمُعَةَ ، وَرَكِبَ مِنْ مَسْجِدِ الْجَامِعِ وَمَعَهُ
رَاغِبٌ وَمَوَالِيهِ ، وَخَرَجَ مَعَهُ وُجُوهُ الْبَلْدِ وَالْمَوَالِيِّ وَالْقُوَّادِ وَالْمَطْوَعَةِ بِأَحْسَنِ زَيِّ ،
فَلَمْ يَزُلِ النَّاسُ خَارِجِينَ إِلَى لَامِسٍ إِلَى يَوْمِ الْإِثْنَيْنِ لِثَمَانِ خَلْوَنَ مِنْ شَعْبَانَ ،
فَجَرِيَ الْفَدَاءُ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ اثْنَيْ عَشَرَ يَوْمًا ؛ وَكَانَتْ جَمْلَةُ مِنْ فُودِيَّ بَهِ مِنْ
الْمُسْلِمِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالصَّبِيَّانِ الْفَلَقِينِ وَخَمْسِمَائَةِ وَأَرْبَعَةِ أَنْفُسٍ ، وَأَطْلَقَ
الْمُسْلِمُونَ يَوْمَ الْثَّلَاثَاءِ لِسَبْعِ يَوْمٍ سَمِيونَ رَسُولُ مَلَكِ الرُّومِ ، وَأَطْلَقَ

(١) انظر المتنظم (١٢ / ٣٦٠) فقد ذكر الخبر مختصراً جداً.

الرّوم فيه يحيى بن عبد الباقي رسول المسلمين المتوجّه في الفداء ، وانصرف الأمير ومن معه .

وخرج - فيما ذكر - أحمد بن طُغان بعد انصرافه من هذا الفداء في هذا الشهور في البحر ، أو خلف دميانة على عمله على طَرسوس ، ثم وجّه بعده يوسف بن الباغمري على طَرسوس ، ولم يرجع هو إليها .

* * *

[ذكر أمر المعتضد مع عمر بن عبد العزيز بن أبي دلف وأخيه بكر]

وفي يوم الجمعة لعشر حَلْوَنَ من شهر رمضان من هذه السنة قُرئ كتاب على المنبر بمدينة السلام في مسجد جامعها؛ بأن عمر بن عبد العزيز بن أبي دلف صار إلى بدر ، وعيّد الله بن سليمان في الأمان يوم السبت لثلاث بقين من شعبان ساماً مطيناً منقاداً لأمير المؤمنين ، مذعنًا بالطاعة والمصير معهما إلى بابه ، وأن عيّد الله بن سليمان خرج إليه فتلقاء ، وصار به إلى مضرب بدر ، فأخذ عليه وعلى أهل بيته وأصحابه البيعة لأمير المؤمنين ، وخلع عليه بدر وعلى الرؤساء من أهل بيته ، وانصرفوا إلى مضرب قد أعد لهم ، وكان قبل ذلك قد دخل بكر بن عبد العزيز في الأمان على بدر وعيّد الله بن سليمان ، فولّاه عمل أخيه عمر ، على أن يخرج إليه ويحاربه ، فلما دخل عمر في الأمان قالا لبكر: إن أخاك قد دخل في طاعة السلطان؛ وإنما كنا ولّيناك عمله على أنه عاصٍ ، والآن فأمير المؤمنين أعلى عيّناً فيما يرى من أمركما ، فامضيا إلى بابه^(١) .

وولي عيسى التُّوشري أصبهان ، وأظهر أنه من قِيل عمر بن عبد العزيز ، فهرب بكر بن عبد العزيز في أصحابه ، فكتب بذلك إلى المعتضد ، فكتب إلى بدر يأمره بالمقام بموضعه إلى أن يعرف خبر بكر وما إليه يصير أمره؛ فأقام وخرج الوزير عيّد الله بن سليمان إلى أبي محمد علي بن المعتضد بالرّيّ ، ولحق بكر بن عبد العزيز بن أبي دلف بالأهواز ، فوجّه المعتضد في طلبه وصيفاً موشكير ، فخرج من بغداد في طلبه حتى بلغ حدود فارس ، وقد كان لحقه - فيما

(١) انظر المتنظم (٣٦٠ / ١٢) فقد ذكر الخبر مختصراً جداً .

ذكر - ولم يوافعه ، وباتا ؛ كلّ واحد منها قريب من صاحبه ، فارتحل بكر بالليل
فلم يتبعه وصيف ، ومضى بُكْر إلى أصبهان ، ورجع وصيف إلى بغداد فكتب
المعتضد إلى بدر يأمره يطلب بُكْر وعرَبَه ، فتقدّم بدر إلى عيسى التُّوشري بذلك ،

فقال بكر بن عبد العزيز:

هيئاتٍ أَخْدِثُ زائداً لِلْلَّوَامِ
ومضى أوان شراستى وعَرَامِي
وبقيت نصب حواتِ الأَيَّامِ
مَرْمَسِي البعيد قطيعةُ الْأَرْحَامِ
فَذَبَّيْتُ عن أَحْسَابِهِمْ بِحُسَامِي
والسُّمْرُ عنْ تصادُمِ الْأَقْوَامِ
قرْعَا يَهُدَّ رواسيَ الْأَعْلَامِ
ضَرَبَ الْقُدَّارِ نقِيعَةَ الْقَدَّامِ
بِقَرَارةِ لِمَوَاطِئِ الْأَقْدَامِ
والمَوْتُ يَلْحِظُ وَالصَّفَاحُ دوامي
ولضاقَ ذرْعُكَ فِي اطْرَاحِ ذَمَامِي
حرَكَتِ مِنْ حِضْنِي جَبَّالَ تَهَامِ
خَشِنَ الْمَناكبُ كُلَّ يَوْمٍ زَحَامِ
يَجْلُو بِغُرَرِهِ دُجَى الْإِظْلَامِ
فِي عِيشَةِ رَغْدٍ وَعَزْ نَامِي
ما نَابَني وَتَنَكَّرْتُ أَيَامِي
ما غَرَدْتُ فِي الأَيْكِ وُرْقُ حَمَامِ
لِلنَّائِبَاتِ وَعُدَّتِي وَسَامِي
فَهَزَّزْتُ حَدَّ الصَّارِمِ الْصَّمَصَامِ
أَوْ يَسْتَكِينَ يَرْؤُمُ غَيْرَ مَرَامِ
وَالْيَيْضَنْ مُضْلَّةً لِضَرْبِ الْهَامِ

عَنِي مَلَامُك لِيسَ حِينَ مَلَامٌ
طَارَتْ غَيَابَاتُ الصَّبَا عَنْ مَفْرَقِي
أَلْقَى الْأَجَبَةُ بِالْعَرَاقِ عِصِيَّهُمْ
وَتَقَادَثْ بِأَخِي النَّوْي وَرَمَثْ بِهِ
وَتَشَعَّبَ الْعَرَبُ الَّذِينَ تَصَدَّعُوا
فِيهِ تَمَاسُكَ مَا وَهَىٰ مِنْ أَمْرِهِمْ
فَلَا قَرَعَنَّ صَفَاهَ دَهْرِ نَابِهِمْ
وَلَا ضَرَبَنَّ الْهَامَ دُونَ حَرَبِهِمْ
وَلَا تَرُكَنَّ الْوَارِدِينَ حِيَاضَهُمْ
يَا بَدْرُ إِنَّكَ لَوْ شَهِدْتَ مَوَاقِفي
لَذَمَمْتَ رَأْيَكَ فِي إِضَاعَةِ حُرْمَتِي
حَرَّكْتَنِي بَعْدَ السَّكُونِ إِنَّمَا
وَعَجَمْتَنِي فَعَجَمْتَ مِنِي مِرَجَمًا
قُلْ لِلْأَمِيرِ أَبِي مُحَمَّدِ الَّذِي
أَسْكَنَتَنِي ظِلَّ الْعَلَا فَسَكُنَتَهُ
هَتَّى إِذَا حُلِّتَ عَنِهِ نَابِنِي
فَلَا شَكْرَنَّ جَمِيلًا مَا أَولَيَنِي
هَذَا أَبُو حَفْصِ يَدِي وَذِخِيرَتِي
نَادِيُّهُ فَأَجَابَنِي ، وَهَزَّتَهُ
مِنْ رَامَ أَنْ يُغَضِّي الْجَفَوْنَ عَلَى الْقَنْدَى
وَيَخِيمُ حِينَ يَرَى الْأَسِنَةَ شَرَّعاً

وقال يكرين عيد العزيز يذكر هرب التوشرى من بين يديه ويعيّر وصيفاً

بالإحجام عنه ويتهدد بدرأً:

قالَتِ الِّيْضُ قَدْ تَغَيَّرَ بَكْرُ
لِيْسَ كَالسِّيفِ مُونِسٌ حِينَ يَعْرُو
أَوْقَدُوا الْحَرَبَ بَيْنَا فَاصْطَلَوْهَا
وَبَغَوْا شَرَّنَا فَهَذَا أَوَانُ
قَدْ رَأَى النُّوشَرِيُّ لِمَا التَّقَيْنَا
جَاءَ فِي قَسْطَلِ لَهَامٍ فَصُلْنَا
وَلَوَاءُ الْمُؤْشِجِيرِ أَفْضَى إِلَيْنَا
غَرَّ بَدْرَا حِلْمِيُّ وَفَضَلُّ أَنَّاتِي
سَوْفَ يَأْتِيْنَةً شَوَّادِبُ قُبَّ
يَتَبَارَيْنَ كَالسَّعَالِيُّ عَلَيْهَا
لَسْتَ بَكْرًا إِنْ لَمْ أَدْعُهُمْ حَدِيشًا

وفي يوم الجمعة لسبعين خلؤن من شوال من هذه السنة مات علي بن محمد بن أبي الشوارب ، فحمل إلى سامرا من يومه في تابوت ، وكانت ولايته للقضاء على مدينة أبي جعفر ستة أشهر^(١).

وفي يوم الإثنين لأربعين من شوال منها دخل بغداد عمر بن عبد العزيز بن أبي دلف فادما من أصحابه ، فأمر المعتضد - فيما ذكر - القواد باستقباله ، فاستقبله القاسم بن عبيد الله والقواد ، وقعد له المعتضد ، فوصل إليه ، وخلع عليه ، وحمله على دابة بسرج ولجام محلّي بذهب ، وخلع معه على ابنين له وعلى ابن أخيه أحمد بن عبد العزيز وعلى نفسيين من قواده ، وأنزل في الدار التي كانت لعيبد الله بن عبد الله عند رأس الجسر؛ وكانت قد فرشت له.

وفي هذه السنة قرئ على القواد في دار المعتضد كتاب ورد من عمرو بن الليث الصفار؛ بأنه واقع رافع بن هرثمة وهزمه ، وأنه مز هاربا وأنه عزم على أن يتبعه .

وكانت الواقعة لخمس بقين من شهر رمضان وقرئ الكتاب يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة خللت من ذي القعدة .

(١) لوفاته وترجمته انظر تاريخ بغداد (٦٠ / ١٢).

وفي يوم الأحد لثلاث عشرة بقيت من ذي القعدة ، وردت خريطة - فيما ذكر - من عمرو بن الليث على المعتضد ، وهو في الحلة ، فانصرف إلى دار العامة ، وقرأ الكتاب على القواد من عمرو بن الليث يُخبر فيه أنه وجّه في أمر رافع بعد الهزيمة محمد بن عمرو البليخي مع قائد آخر من قواده ، وقد كان رافع صار إلى طوس فواقعوه ، فانهزم واتبعوا أمره ، فلحق بخوارزم ، فقتل بخوارزم ، فأرسل بخاتمه مع الكتاب ، وذكر أنه قد حمل الرسول في أمر الرأس ما يُخبر به السلطان.

وفي يوم الجمعة لثمان بقين من ذي القعدة منها قرئت الكتب على المنابر بقتل رافع بن هرثمة .

* * *

ثم دخلت سنة أربع وثمانين ومئتين

ذكر الخبر بما كان فيها من الأحداث الجليلة

فمن ذلك ما كان من قدوم رسول عمرو بن الليث الصفار برأس رافع بن هرثمة في يوم الخميس لأربع خلوٰن من المحرّم على المعتضد ، فأمر بنصبه في المجلس بالجانب الشرقي إلى الظهر ، ثم تحويله إلى الجانب الغربي ، ونصبه هناك إلى الليل ، ثم رده إلى دار السلطان ، وخلع على الرسول وقت وصوله إلى المعتضد بالرأس^(١) .

وفي يوم الخميس لسبعين خلوٰن من صفر كانت ملحمة بين راغب ودميانة بطرسوس ، وكان سبب ذلك - فيما ذكر - أن راغباً مولى الموفق ترك الدعاء لخمارويه بن أحمد ، ودعا لبدر مولى المعتضد ، فوقع بينه وبين أحمد بن طغان الخلاف؛ فلما انصرف ابن طغان من الفداء الذي كان في سنة ثلات وثمانين ومئتين ركب البحر ولم يدخل طرسوس ، ومضى وخلف دميانت للقيام بأمر طرسوس؛ فلما كان في صفر من هذه السنة ، وجّه يوسف بن الباغمري ليخلقه على طرسوس؛ فلما دخلها وقويَّ به دميانت ، كرهوا ما يفعله راغب من الدعاء

(١) انظر المنتظم (٣٧٠ / ١٢).

لبلد ، فوَقعت بينهم الفتنة ، وظفر بهم راغب ، فحمل دميانة وابن الباغموري وابن اليتيم مقيدين إلى المعتصم.

ولعشر بقين من صفر في يوم الإثنين من هذه السنة وردت خريطة من الجبل؛ بأن عيسى التُّوشري أوقع بيكر بن عبد العزيز بن أبي دُلف في حدود أصبهان ، فقتل رجاله ، واستباح عسکره ، وأفلت في نفريسير.

وفي يوم الخميس لأربع عشرة خلت من شهر ربیع الأول منها ، خُلع على أبي عمر ، يوسف بن يعقوب ، وقلد قضاء مدينة أبي جعفر المنصور مكان علي ابن محمد بن أبي الشوارب ، وقضاء قطريئل ومسكٌ وبُرْزَجَسَابور والرذائين ، وقعد للخصوم في هذا اليوم في المسجد الجامع ، ومكثت مدينة أبي جعفر من لدن مات ابن أبي الشوارب إلى أن ولِيَها أبو عمر بغير قاض ، وذلك خمسة أشهر وأربعة أيام^(١).

وفي يوم الأربعاء لثلاث عشرة خلت منه في هذه السنة ، أخذ خادم نصراني لغالب النصراني متطلب السلطان يقال له: وَصِيف ، فُرُفع إلى الحبس ، وشهد عليه أنه شتم النبي ﷺ فحبس ، ثم اجتمع من غد هذا اليوم ناس من العامة بسبب هذا الخادم ، فصاحوا بالقاسم بن عبيد الله ، وطالبوه بإقامة الحد عليه ، بسبب ما شهد عليه؛ فلما كان يوم الأحد لثلاث عشرة بقيت منه اجتمع أهل باب الطاق إلى قنطرة البردان وما يليها من الأسواق ، وتدعاعوا ، ومضوا إلى باب السلطان ، فلقائهم أبو الحسين بن الوزير ، فصاحوا به ، فأعلموا أنه قد أنهى خبره إلى المعتصم ، فكذبوا وأسمعواه ما كره ، ووثبوا بأعوانه ورجاله حتى هربوا منهم ، ومضوا إلى دار المعتصم بالشريان ، فدخلوا من الباب الأول والثاني فمُنعوا من الدخول ، فوثبوا على مَنْ معَهُمْ ، فخرج إليهم من سألهُم عن خبرهم ، فأخبروه ، فكتب به إلى المعتصم ، فأدْخِلَ إليه منهم جماعة ، وسألهم عن الخبر فذكروه له ، فأرسل معهم خفيفاً السمرقندى إلى يوسف القاضى ، وتقىد إلى خفيف أن يأمر يوسف بالنظر في أمر الخادم ، وأن ينهى إليه ما يقف عليه من أمره ، فمضى معهم خفيف إلى يوسف ، فكادوا يقتلونه ويقتلون يوسف لِمَا

(١) انظر المنتظم (٣٧٠/١٢).

دخلوا عليه ممّا ازدحموا ، حتى أفلت يوسف منهم ، ودخل باباً وأغلقه دونهم ، ولم يكن بعد ذلك للخادم ذِكْر ، ولا كان للعامة في أمره اجتماع^(١) .

وفي هذا الشهر من هذه السنة قدم - فيما ذكر - قوم من أهل طَرسوس على السلطان يسألونه أن يولّي عليهم والٍ ، ويذكرون أن بلدتهم بغير والٍ؛ وكانت طرسوس قبل في يدي ابن طولون ، فأساء إليهم ، فأخرجوا عامله عن البلد ، وراسلهم في ذلك ، ووعدهم الإحسان ، فأبوا أن يتركوا له غلاماً يدخل بلدتهم ، وقالوا: مَنْ جاءنا من قبلك حاربناه ، فكف عنهم .

وفي يوم الخميس لثلاث بقين من شهر ربيع الآخر من هذه السنة - فيما ذكر - ظهرت ظلمة بمصر ، وحُمرة في السماء شديدة؛ حتى كان الرجل ينظر إلى وجه الآخر ، فираه أحمر ، وكذلك الحيطان وغير ذلك ، ومكثوا كذلك من العصر إلى العشاء الآخرة ، وخرج الناس من منازلهم يدعون الله ويتضرعون إليه^(٢) .

وفي يوم الأربعاء لثلاث خلون من جمادى الأولى ، والإحدى عشرة ليلة خلت من حَزِيران ، نُودي في الأربعاء والأسوق ببغداد بالتهي عن وقود النيران ليلة النيروز ، وعن صبّ الماء في يومه ، ونُودي بمثل ذلك في يوم الخميس ، فلما كان عشيّة يوم الجمعة نُودي على باب سعيد بن يكسين صاحب الشرطة بالجانب الشرقي من مدينة السلام بأن أمير المؤمنين قد أطلق للناس في وقود النيران وصبّ الماء ، ففعلت العامة من ذلك ما جاور الحدّ ، حتى صبّوا الماء على أصحاب الشرطة في مجلس الجسر - فيما ذكر^(٣) .

وفيها أغريت العامة بالصياح بمن رأوا من الخدم السود: يا عقيق ، فكانوا يغضبون من ذلك ، فوجّه المعتصد خادماً أسود عشيّة الجمعة برقة إلى ابن حمدون النديم؛ فلما بلغ الخادم رأسَ الجسر من الجان

ب الشرقي صاح به صائح من العامة: يا عقيق! فشتم الخادم الصائح وقَتَّعَه ، فاجتمعت جماعة من العامة على الخادم فنكسوه وضربوه ، وضاعت الرقعة التي

(١) انظر المتنظم (٣٧٠/١٢).

(٢) انظر المتنظم (٣٧١/١٢).

(٣) انظر المتنظم (٣٧١/١٢).

كانت معه ، فرجع إلى السلطان فأخبره بما صنع به ، فأمر المعتضد طريفاً المخلدي الخادم بالركوب والقبض على كلّ من تولّ بالخادم وضربه بالسياط ، فركب طريف يوم السبت لثلاث عشرة خلت من جمادى الأولى في جماعة من الفرسان والرجال ، وقدّم بين يديه خادماً أسود؛ فصار إلى باب الطاقِ لِمَا أُمِرَ به من القبض على من صاح بالخادم: يا عقيق ، فقبض فيما ذكر بباب الطاق على سبعة أنفس؛ ذُكِرَ أن بعضهم كان بِرِّيَا؛ فُضْرِبُوا بالسياط في مجلس الشرطة بالجانب الشرقيّ وعَبَرَ طريف فمضى إلى الكرْخ ، ففعل مثل ذلك ، وأخذ خمسة أنفس فُضْرِبُوا في مجلس الشرطة بالشَّرقَيَّة ، وحُمِلَ الجميع على جمال ، ونودي عليهم: هذا جزاء مَنْ أولَى بخدم السلطان ، وصَاحَ بهم: يا عقيق ، وحبسوا يومهم ، وأطْلِقوْا بالليل .

وفي هذه السنة عَزَمَ المعتضد بالله على لعن معاوية بن أبي سفيان على المنابر ، وأمر بإنشاء كتاب بذلك يُقرأ على الناس ، فخوّفه عبيد الله بن سليمان بن وهب اضطراب العامة ، وأنه لا يأمن أن تكون فتنة ، فلم يلتفت إلى ذلك من قوله^(١) .

وذكر أن أول شيء بدأ به المعتضد حين أراد ذلك الأمر بالتقديم إلى العامة بلزوم أعمالهم ، وترك الاجتماع والقضية والشهادات عند السلطان ، إلا أن يُسألوا عن شهادة إن كانت عندهم ، ويبْنِعُ القصاص من القعود على الطرقات ، وعملت بذلك نسخ قرئت بالجانبين بمدينة السلام في الأربع والمحال والأسوق ، فقرئت يوم الأربع لست بقين من جمادى الأولى من هذه السنة ، ثم مُنْعِي يوم الجمعة لأربع بقين منها القصاص من القعود في الجامعين ، ومنع أهل الحلق في الفتيا أو غيرهم من القعود في المسجدين ، ومنع البايعة من القعود في رحابهما .

وفي جمادى الآخرة نودي في المسجد الجامع بنهي الناس عن الاجتماع على قاصٍ أو غيره ، ومنع القصاص وأهل الحلق من القعود^(٢) .

وفي يوم الحادي عشر - وذلك يوم الجمعة - نُودي في الجامعين بأنّ الذمة برئَةٍ

(١) انظر تعليقنا (١٠/٦٣/٦٩٠).

(٢) انظر المتنظم (١٢/٣٧٢).

ممن اجتمع من الناس على مناظرة أو جدل ، وأن من فعل ذلك أحلّ بنفسه الضرب ، وتقديم إلى الشراب والذين يسقون الماء في الجامعين لا يترحّموا على معاوية ، ولا يذكروه بخير .

* * *

[ذكر كتاب المعتضد في شأن بنى أمية]^(١)

وتحدّث الناس أن الكتاب الذي أمر المعتضد بإنشائه بلعن معاوية يقرأ بعد صلاة الجمعة على المنبر ، فلما صلّى الناس الجمعة بادروا إلى المقصورة ليسمعوا قراءة الكتاب فلم يقرأ .

فذكر : أن المعتضد أمر بإخراج الكتاب الذي كان المأمون أمر بإنشائه بلعن معاوية ، فأخرج له من الديوان ، فأخذ من جوامعه نسخة هذا الكتاب ، وذكر : أن نسخة الكتاب الذي أنشأ للمعتضد بالله :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله العلي العظيم ، الحليم الحكيم ، العزيز الرحيم ، المتفرد بالوحدانية ، الباهر بقدرته ، الخالق بمشيئته وحكمته؛ الذي يعلم سوابق الصدور ، وضمائر القلوب ، لا يخفى عليه خافية ، ولا يغُرّ عنه مثقال ذرة في السموات العليا ، ولا في الأرضين السفلی؛ قد أحاط بكل شيء علماً ، وأحصى كل شيء عدداً ، وضرب لكل شيء أمداً ، وهو العليم الخبير ، والحمد لله الذي برأ خلقه لعبادته ، وخلق عباده لمعرفته ، على سابق علمه في طاعة مطيعهم ، وماضي أمره في عصيان عاصيهم؛ فيبيّن لهم ما يأتون وما يتّقون ، ونهج لهم سبل النجاة ، وحذرهم مسالك الهلاكة ، وظاهر عليهم الحجّة ، وقدّم إليهم المعدنة ، واختار لهم دينه الذي ارتضى لهم ، وأكرّمهم به ، وجعل المعتصمين بحبّله والمتمسّكين بعروته أولياءه وأهل طاعته ، والعاندين عنه والمخالفين له أعداءه وأهل معصيته ، ليهلك منْ هَلَكَ عن بيّنة ، ويحيى منْ حيّ عن بيّنة ، وإن الله لسميع عليم ، والحمد لله الذي اصطفى محمداً رسوله من جميع برئته ،

(١) انظر تعليقنا في نهاية هذا الخبر (٦٣/٦٩٠).

واختار لرسالته ، وابتاعه بالهدى والدين المرتضى إلى عباده أجمعين ، وأنزل عليه الكتاب المبين المستعين ، وتأذن له بالنصر والتمكين ، وأيده بالعز والبرهان المتيين ، فاهتدى به مَنْ اهتدى ، واستنقذ به مَنْ استجاب له من العمى ، وأصلَّى من أدب وتوَلَّى ، حتى أظهر الله أمره ، وأعَزَّ نصره ، وقهَرَ مَنْ خالفه ، وأنجز له وعده ، وخَتَمَ به رسالته ، وقبضه مؤدياً لأمره ، مبلغاً لرسالته ، ناصحاً لأمته ، مرضياً مهتدياً إلى أكرم مآب المنقلبين ، وأعلى منازل أنبيائه المرسلين ، وعباده الفائزين؛ فصلَّى اللهم عليه أفضل صلاة وأتمَّها ، وأجلَّها وأعظمَها ، وأزكَّها وأطهرها وعلى آله الطيبين .

والحمدُ لله الذي جعل أمير المؤمنين وسلفه خلفاء خاتم النبيين وسيد المرسلين والقائمين بالدين والمقومين لعباده المؤمنين ، والمستحفظين وداعي الحكمة ، ومواريث النبوة ، والمستخلفين في الأمة ، والمنصوريين بالعز والمنعنة ، والتأييد والغلبة؛ حتى يظهر الله دينه على الدين كله ولو كره المشركون .

وقد انتهى إلى أمير المؤمنين ما عليه جماعةٌ من العامة من شبهة قد دخلتهم في أديانهم ، وفساد قد لحقهم في معتقدهم ، وعصبية قد غلت عليها أهواؤهم ، ونقطت بها أستئنهم ، على غير معرفة ولا رؤية ، وقلدوا فيها قادة الضلاله بلا بَيِّنَةٍ ولا بصيرة ، وخالفوا السنن المتتبعة ، إلى الأهواء المبتعدة ، قال الله عز وجل : ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ أَتَيَ هُونَهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَهِدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ ، خروجاً عن الجماعة ، ومسارعة إلى الفتنة وإثارة للفرقـة ، وتشتيتاً للكلمة وإظهاراً لموالة من قطع الله عنه الموالاة ، وبَسْرَ منه العصمة ، وأخرجه من الملة ، وأوجب عليهم اللعنة ، وتعظيمـاً لمن صغَّرَ الله حقه ، وأوهنَ أمره ، وأضعف ركنه ، منبني أمية الشجرة الملعونة ، ومخالفـةً لمن استنقذـهم الله به من الـهـلـكة ، وأسبـغـ عليهم به النـعـمة؛ من أهل بـيتـ البرـكةـ والـرـحـمةـ، قال الله عـزـ وـجـلـ : ﴿يَخْصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ ، فأعظمـ أمـيرـ المؤـمنـينـ ما انتـهىـ إليهـ منـ ذلكـ ، ورأـيـ فيـ تركـ إنـكارـهـ حـرجـاـ عـلـيـهـ فيـ الدـينـ ، وفسـادـاـ لـمـنـ قـلـدـهـ اللهـ أمرـهـ منـ الـمـسـلـمـينـ ، وإـهـمـاـلـاـ لـمـاـ أـوجـبـهـ اللهـ عـلـيـهـ منـ تـقـوـيـمـ الـمـخـالـفـينـ وـتـبـصـيرـ الـجـاهـلـينـ ، وإـقـامـةـ الحـجـةـ عـلـيـ الشـاكـيـنـ ، وـبـسـطـ الـيدـ عـلـىـ الـمـعـانـدـيـنـ .

وأمير المؤمنين يرجع إليكم معاشر الناس بأن الله عز وجل لمّا ابتعث محمداً بدينه ، وأمره أن يصدّع بأمره ، بدأ بأهله وعشيرته ، فدعاهم إلى ربه ، وأنذرهم وبشّرهم ، ونصح لهم وأرشدهم ، فكان من استجاب له وصدق قوله ، واتّبع أمره نفرٌ يسير من بنى أبيه ، من بين مؤمنٍ بما أتى به من ربّه ، وبين ناصر له وإن لم يتّبع دينه؛ إعزازاً له ، وإشفاقاً عليه ، لماضي علم الله فيمن اختار منهم ، ونفذت مشيّته فيما يستودعه إياه من خلافته وإرث نبيه؛ فمؤمنهم مجاهد بننصرته وحميّته ، يدفعون مَنْ نابذه ، وينهرون مَنْ عاَرَه وعانده ، ويتوّقّون له ممن كانفه وعارضه ، ويبايعون له مَنْ سمح بنصرته ، ويتجسّسون له أخبار أعدائه ، ويكيدون له بظاهر الغيب كما يكيدون له برأي العين؛ حتى بلغ المدى ، وحان وقت الاهتداء ، فدخلوا في دين الله وطاعته وتصديق رسوله ، والإيمان به ، بأشبّت بصيرة ، وأحسن هدى ورغبة ، فجعلهم الله أهل بيت الرّحمة ، وأهل بيت الدين - أذهب عنهم الرّجس وطهرهم تطهيراً - ومعدن الحكمة ، ووراثة النّبوة وموضع الخلافة ، وأوجب لهم الفضيلة وألزم العباد لهم الطاعة .

وكان ممن عانده ونابذه وكذبه وحاربه من عشيرته العدد الأكثـر ، والسود والأعظم؛ يتلقّونه بالتكذيب والتّنزيـب ، ويقصدونه بالأذية والتّخويف ، ويبادونه بالعداوة ، وينصبون له المحاربة ، ويصدّون عنه مَنْ قصده ، وينالون بالتعذيب مَنْ اتّبعه ، وأشدّهم في ذلك عدواً وأعظمهم له مخالفة ، وأولئـهم في كلّ حرب ومناصـبة ، لا يُرفع على الإسلام راية إلا كان صاحبها وقادتها ورئيسها ، في كلّ مواطن الحرب ، من بدر وأحد والخندق والفتح ... أبو سفيان بن حـزب وأشياـعه من بنـي أمـية ، الملـعونـين في كتاب الله ، ثم الملـعونـين على لسان رسول الله في عـدة مواطنـ، وعدـة مواضعـ ، لماضـي علم الله فيـهم وفيـ أمرـهم ، ونـفـاقـهم وـكـفـرـ أحـلـامـهم؛ فـحارـبـ مجـاهـداـ ، وـدـافـعـ مـكـابـداـ ، وـأـقامـ مـنـابـداـ حتـى قـهـرهـ بـالـسـيفـ ، وـعـلاـ أـمـرـ اللهـ وـهـمـ كـارـهـونـ؛ فـتـقـوـلـ بـالـإـسـلامـ غـيرـ منـطـقـ عـلـيـهـ ، وـأـسـرـ الـكـفـرـ غـيرـ مـقـلـعـ عـنـهـ ، فـعـرـفـهـ بـذـلـكـ رـسـولـ اللهـ ﷺـ وـالـمـسـلـمـونـ ، وـمـيـزـ لـهـ الـمـؤـلـفـةـ قـلـوبـهـمـ ، فـقـبـلـهـ وـولـدـهـ عـلـىـ علمـهـ؛ فـمـمـاـ لـعـنـهـمـ اللهـ بـهـ عـلـىـ لـسـانـ نـبـيـهـ ﷺـ ، وـأـنـزـلـ بـهـ كـتـابـاـ قـوـلـهـ: ﴿وَالشَّجَرَةُ الْمَلْوَعَةُ فِي الْقُرْءَانِ وَخَوْفُهُمْ فَمَا يَرِيدُهُمْ إِلَّا طَغْيَانًا كَيْرًا﴾ ، وـلـاـ اـخـتـلـافـ بـيـنـ أـحـدـهـ أـرـادـ بـهـ بـنـيـ أـمـيةـ .

ومنه قول الرسول عليه السلام وقد رأه مقبلاً على حمارٍ ومعاوية يقوده ويزيد ابنه يسوق به: «لعن الله القائد والراكب والسائق». ومنه ما يرويه الرواة من قوله: يا بني عبد مناف تلقفواها تلقف الكرة ، فما هناك جنة ولا نار . وهذا كفر صراح يلحقه به اللعنة من الله كما لحقت ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاؤِه وَعَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ ذَرِيكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ ومنه ما يروون من وقوفه على ثانية أحد بعد دهاب بصره ، وقوله لقائده: هاهنا ذيبينا محمداً وأصحابه ، ومنه الرؤيا التي رأها النبي ﷺ فوجم لها ، فما رأى ضاحكاً بعدها ، فأنزل الله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَرْءِيَّا أَلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾؛ فذكروا أنه رأى نفراً من بنى أمية ينزلون على منبره . ومنه طرد رسول الله ﷺ الحكم بن أبي العاص لحكايته إياه . وألحقه الله بدعة رسله آية باقية حين رأه يتخلج ، فقال له: «كن كما أنت» ، فبقى على ذلك سائر عمره ، إلى ما كان من مروان في افتتاحه أول فتنة كانت في الإسلام ، واحتقاره لكل دم حرام سُفِّيك فيها أو أريق بعدها .

ومنه ما أنزل الله على نبيه في سورة القدر: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ من مُلك بنى أمية . ومنه أن رسول الله ﷺ دعا بمعاوية ليكتب بأمره بين يديه ، فدافع بأمره ، واعتقل بطعامه ، فقال النبي: «لا أشبع الله بطنه» ، فبقى لا يشع ، ويقول: والله ما أتركت الطعام شيئاً؛ ولكن إعياء . ومنه أن رسول الله ﷺ قال: «يطلع من هذا الفجر رجلٌ من أمتى يُحشر على غير ملتي» فطلع معاوية . ومنه أن رسول الله ﷺ ، قال: «إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه». ومنه الحديث المرفوع المشهور أنه قال: «إن معاوية في تابوت من نار في أسفل درك منها ينادي: يا حنان يا منان ، الآن وقد عصيت قبل و كنت من المفسدين .

ومنه انبراؤه بالمحاربة لأفضل المسلمين في الإسلام مكاناً وأقدمهم إليه سبقاً ، وأحسنهم فيه أثراً وذكراً؛ عليّ بن أبي طالب ، ينazuه حقه بباطله ، وي jihad أنصاره بضلالة وغواته ، ويحاول ما لم يزل هو وأبوه يحاولانه ، من إطفاء نور الله وجود دينه ، ويأبى الله إلا أن يُسمّ نوره ولو كره المشركون ، يستهوي أهل الغباوة ، ويimotoه على أهل الجهالة بمكره وبغيه ، الذين قدم رسول الله ﷺ الخبر عنهم ، فقال لumar: «تقتلk الفتاة الباغية تدعوه إلى الجنة ويدعونك إلى النار» ، مؤثراً للعاجلة ، كافراً بالأجلة ، خارجاً من ربقة

الإسلام ، مستحلاً للدم الحرام ، حتى سفك في فتنته ، وعلى سبيل ضلاله ما لا يحصى عدده من خيار المسلمين الذين ارتكبوا عن دين الله والناصرين لحقه ، مجاهداً الله ، مجتهداً في أن يعصي الله فلا يطاع ، وتبطل أحكامه فلا تقام ، ويُخالف دينه فلا يُدان ، وأن تعلو كلمة الضلال ، وترتفع دعوة الباطل ؛ وكلمة الله هي العليا ، ودينه المنصور ، وحكمه المتبوع النافذ ، وأمره الغالب ، وكيد من حاده المغلوب الداخص؛ حتى احتمل أوزار تلك الحرث ومحاربها ، واتبعها ، وتطوّق تلك الدماء وما سفك بعدها ، وسنّ سنن الفساد التي عليه إثمها وإثم من عمل بها إلى يوم القيمة ، وأباح المحارم لمن ارتكبها ، ومنع الحقوق أهلها؛ وأغتّرها الإماء ، واستدرجها الإمهال ، والله له بالمرصاد.

ثم مما أوجب الله له به اللعنة قتلُه مَنْ قُتِلَ صبراً من خيار الصحابة والتابعين وأهل الفضل والديانة؛ مثل عمرو بن العاص وحجر بن عبد الله ، فيمن قتل [من] أمثالهم ، في أن تكون له العزة والملك والغلبة ، والله العزة والملك والقدرة ، والله عز وجل يقول : ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَدِيلًا فِيهَا وَعَذَابٌ أَعَظَّ مِنْهُ وَأَعْذَابُهُ وَأَعْذَابُهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ .

ومما استحقّ به اللعنة من الله ورسوله أدعاؤه زياد بن سمية ، جرأةً على الله؛ والله يقول : ﴿ أَدْعُوهُمْ لِأَبَايْهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ ، ورسول ﷺ ، يقول : «ملعون من ادعى إلى غير أبيه ، أو انتمى إلى غير مواليه» ، ويقول : «الولد للفراش وللعاهر الحجر» ، فخالف حكم الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ جهاراً ، وجعل الولد لغير الفراش ، والعاهر لا يضره عهره ، فأدخل بهذه الدعوة من محارم الله ومحارم رسوله في أم حبيبة زوجة النبي ﷺ وفي غيرها من سفور وجوه ما قد حرم الله ، وأثبت بها قربى قد باعدها الله ، وأباح بها ما قد حظره الله ، مما لم يدخل على الإسلام خلل مثله ، ولم ينزل الدين تبديل شبهه .

ومنه إيثاره بدين الله ودعاؤه عباد الله إلى ابنه يزيد المتكبر الخمير ، صاحب الديوك وال فهو و القروود ، وأخذه البيعة له على خيار المسلمين بالقهر والسيطرة والتوعيد والإخافة والتهديد والرهبة ، وهو يعلم سفهه ، ويطلع على خبثه ورهاقه ، ويعاين سكراته وكفره ، فلما تمكن منه ما مكنته منه ، ووطأه له ، وعصى الله ورسوله فيه ، طلب بثارات المشركين وطوابئهم عند المسلمين ،

فأوقع بأهل الحرّة الواقعية التي لم يكن في الإسلام أشنع منها ولا أفحش؛ مما ارتكب من الصالحين فيها ، وشفى بذلك عبد نفسه وغليله ، وظن أنه قد انتقم

من أولياء الله ، وبلغ النّوى لأعداء الله ، فقال مجاهراً بکفره ومظہراً لشرکه :

جزَّ الخُرْزَجِ مِنْ وَقْعِ الْأَسْلَنْ
وَعَدَلْنَا مِيلَ بَدْرَ فَاعْتَدْلَنْ
ثُمَّ قَالُوا: يَا يَزِيدَ لَا تُسْلِنْ
مِنْ بَنِي أَحْمَدَ مَا كَانَ فَعْلَنْ
خَبْرُ جَاءَ، وَلَا وَحْيٌ نَزَلَنْ

لِيَتَ أَشِيَّا خَيِّي بِبَدْرٍ شَهَدُوا
قَدْ قَتَلْنَا الْقَوْمَ مِنْ سَادَاتِكُمْ
فَأَهَلَّوا وَاسْتَهَلَّوا فَرَحَا
لَسْتُ مِنْ خَنْدَفَ إِنْ لَمْ أَنْتَقِمْ
وَلَعَتْ هَاشِمٌ بِالْمُلْكِ فَلَا

هذا هو المرrocُ من الدين ، وقول من لا يرجع إلى الله ولا إلى دينه ولا إلى كتابه ، ولا إلى رسوله ، ولا يؤمن بالله ولا بما جاء من عند الله .

ثم مِنْ أَغْلَظِ مَا انتهَكَ ، وأَعْظَمِ مَا اخْتَرَمَ سُفْكَةً دَمَ الحُسَيْنَ بْنَ عَلَيْهِ وَابْنَ فَاطِمَةَ بَنْتَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ مَوْقِعِهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَكَانِهِ مِنْهُ وَمَنْزِلَتِهِ مِنْ الدِّينِ وَالْفَضْلِ ، وَشَهَادَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُ وَلِأَخِيهِ بِسِيَادَةِ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، اجْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ ، وَكَفَرَاً بِدِينِهِ ، وَعِدَاؤَهُ لِرَسُولِهِ ، وَمَجَاهِدَةً لِعَتْرَتِهِ ، وَاسْتَهَانَةً بِحُرْمَتِهِ ، فَكَانُوا يُقْتَلُونَ بِهِ وَيُأْهَلُ بَيْتَهُ قَوْمًا مِنْ كُفَّارِ أَهْلِ التَّرْكِ وَالْدَّىلِيمِ ، لَا يَخَافُ مِنَ اللَّهِ نَقْمَةً ، وَلَا يَرْقُبُ مِنْهُ سَطْوَةً ، فَبَيْنِ اللَّهِ عُمَرَهُ ، وَاجْتَثَ أَصْلَهُ وَفَرَعَهُ ، وَسَلَبَهُ مَا تَحْتَ يَدِهِ ، وَأَعْدَلَهُ مِنْ عَذَابِهِ وَعَقْوبَتِهِ مَا اسْتَحْقَهُ مِنَ اللَّهِ بِمَعْصِيَتِهِ .

هذا إِلَى مَا كَانَ مِنْ بَنِي مَرْوَانَ مِنْ تَبْدِيلِ كِتَابِ اللَّهِ وَتَعْطِيلِ أَحْكَامِهِ ، وَاتَّخَاذِ مَالِ اللَّهِ دُولَّاً بَيْنَهُمْ ، وَهَدْمِ بَيْتِهِ ، وَاسْتِحْلَالِ حِرَامِهِ ، وَنَصْبِهِمْ الْمَجَانِقَ عَلَيْهِ ، وَرَمِيهِمْ إِيَّاهُ بِالنَّيْرَانِ ، لَا يَأْلُونَ لِهِ إِحْرَافًاً وَإِخْرَابًاً ، وَلَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ مِنْهُ اسْتِبَاحَةً وَانْتَهَاكًا ، وَلَمَنْ لَجَ إِلَيْهِ قَتْلًا وَتَنْكِيَّاً ، وَلَمَنْ أَمْنَهُ اللَّهُ بِهِ إِخْافَةً وَتَشْرِيدًاً؛ حَتَّى إِذَا حُقِّتْ عَلَيْهِمْ كَلْمَةُ الْعَذَابِ ، وَاسْتَحْقَوُا مِنَ اللَّهِ الْأَنْتِقَامَ ، وَمُلْئُوا الْأَرْضَ بِالْجُورِ وَالْعُدُوانِ ، وَعُمِّلُوا عِبَادَ اللَّهِ بِالظُّلْمِ وَالْفَقْسَارِ ، وَحَلَّتْ عَلَيْهِمُ السُّخْطَةُ ، وَنَزَلتْ بِهِمْ مِنَ اللَّهِ السَّطْوَةُ ، أَتَاحَ اللَّهُ لَهُمْ مِنْ عِتْرَةِ نَبِيِّهِ ، وَأَهْلَ وَرَاثَتِهِ مَنْ اسْتَخلَصَهُمْ مِنْهُمْ بِخَلْفَتِهِ ، مِثْلُ مَا أَتَاحَ اللَّهُ مِنْ أَسْلَافِهِمُ الْمُؤْمِنِينَ وَآبَائِهِمُ الْمُجَاهِدِينَ لِأَوَّلِهِمُ الْكَافِرِينَ ، فَسَفَكَ اللَّهُ بِهِمْ دَمَاءَهُمْ مِنْتَدِينَ ، كَمَا سَفَكَ بِآبَائِهِمْ دَمَاءَ آبَاءِ الْكُفَّارِ الْمُشْرِكِينَ؛ وَقَطَعَ اللَّهُ دَابِرَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ،

ومكن الله المستضعفين ، وردَ الله الحق إلى أهله المستحقين ، كما قال جل شأنه : « وَرَبِّنَا أَنْ تَعْنَى عَلَى الَّذِينَ أَسْتُضْعِفُونَ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَجَعَلَهُمْ أَوْرَثِينَ ». »

واعلموا أيها الناس ، أنَ الله عز وجل إنما أمر ليطاع ، ومثل ليتمثل ، وحكم ليقبل ، وألزم الأخذ بسنة نبيه ﷺ ليتبع ؛ وإن كثيراً ممن ضلَ فالتوى ، وانتقل من أهل الجهة والسفاهة ومن اتخذوا أخبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ؛ وقد قال الله عز وجل : « فَقَاتَلُوا أَئِمَّةَ الْكُفَّارِ ». »

فانتهوا معاشر الناس بما يُسخط الله عليكم ؛ وراجعوا ما يرضيه عنكم ، وارضوا من الله بما اختار لكم ، والزموا ما أمركم به ، وجانبوا ما نهاكم عنه ، واتبعوا الصراط المستقيم ، والحجَّةُ البَيْنَةُ ، والسبيل الواضحة ، وأهل بيت الرحمة ؛ الذين هداكم الله بهم بدِيَّا ، واستنقذكم بهم من الجُورِ والعدوان أخيراً ، وأصاركم إلى الخفض والأمن والعز بدولتهم ، وشملكم الصلاح في أديانكم ومعايشكم في أيامهم ، والعنوا من لعنه الله ورسوله ، وفارقوا من لا تنالون القرية من الله إلا بمفارقه .

اللهم العن أبا سفيان بن حرب ، ومعاوية ابنته ، ويزيد بن معاوية ، ومروان بن الحكم وولده ، اللهم العن أئمة الكفر ، وقادة الضلال ، وأعداء الدين ، ومجاهدي الرسول ، ومحاري الأحكام ، ومبدلي الكتاب ، وسفاكى الدم الحرام .

اللهم إنا نتبرأ إليك من موالة أعدائك ، ومن الإغماض لأهل معصيتك ، كما قلت : « لَا يَحِدُّ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُؤَدِّوْنَ مَنْ حَادَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ». »

يا أيها الناس ، اعرفوا الحق تعرفوا أهله ، وتأملوا سبل الضلال تعرفوا سبابلها ، فإنه إنما يبين عن الناس أعمالهم ، ويلحقهم بالضلالة والصلاح آباءهم ؛ فلا يأخذكم في الله لومة لائم ، ولا يميلن بكم عن دين الله استهواه من يستهويكم وكيد من يكيدكم ، وطاعة من تخرجكم طاعته إلى معصية ربكم .

أيها الناس ، بنا هداكم الله ، ونحن المستحفظون فيكم أمر الله ، ونحن ورثة رسول الله والقائمون بدين الله ، فقفوا عندما نقفكم عليه ، وانفذوا لما نأمركم به ؛

فإنكم ما أطعتم خلفاء الله وأئمة الهدى على سبيل الإيمان والتقوى؛ فأمير المؤمنين يستعصم الله لكم، ويسأله توفيقكم، ويرغب إلى الله في هدایتكم لرشدكم، وفي حفظ دينه عليكم؛ حتى تلقوه به مستحقين طاعته، مستحقين لرحمته، والله حسب أمير المؤمنين فيكم، وعليه توكله، وبالله على ما قللده من أموركم استعانته، ولا حول لأمير المؤمنين ولا قوة إلا بالله والسلام عليكم.

وكتب أبو القاسم عبيد الله بن سليمان في سنة أربع وثمانين ومئتين.

وذكر: أن عبيد الله بن سليمان أحضر يوسف بن يعقوب القاضي، وأمره أن يُعمل الحيلة في إبطال ما عزم عليه المعتضد؛ فمضى يوسف بن يعقوب، فكلّم المعتضد في ذلك، وقال له: يا أمير المؤمنين؛ إني أخاف أن تضطرب العامة، ويكون منها عند سماعها هذا الكتاب حركة! فقال: إن تحركت العامة أو نطقت وضعت سيفي فيها. فقال: يا أمير المؤمنين، مما تصنع بالطالبيين الذين هم في كل ناحية يخرجون، ويميل إليهم كثير من الناس لقربتهم من الرسول وما ثرهم؛ وفي هذا الكتاب إطرؤهم، أو كما قال، وإذا سمع الناس هذا كانوا إليهم أميل، وكانوا هم أبسط السنة، وأثبتت حجة منهم اليوم، فأمسك المعتضد فلم يرد عليه جواباً، ولم يأمر في الكتاب بعده بشيء^(١).

(١) هذا خبر باطل متناوِسناً - فقد:

١ - ذكره الطبرى بلا إسناد وهذا أمر في غاية الخطورة ولو كان صحيحاً لتناقله العلماء والرواة في ذلك العصر وما أكثرهم.

٢ - وما يكشف زيف هذا الخبر ما جاء في أوله من أن المعتضد أمر بإخراج الكتاب الذى كان المأمون أمر بإنشائه بلعن معاوية فأخرج له من الديوان. اهـ.

ومثل هذا لم يقع البنة من المأمون وحتى الروايات الضعيفة لم تذكر هذا الكتاب عن المأمون علمًا بأن المأمون كان من علماء عصره فقد اهتم بتدوين العلوم المختلفة فكيف لم يذكر التاريخ شيئاً عن كتابه هذا في عهده حتى مرّ على وفاته أكثر من قرن من الزمان؟!

٣ - إن قراءة متأنية لمضمون هذه الرسالة تؤكد أن الذي كتبه صاحب بدعة مغالٍ في بعضه لأصحاب النبي ﷺ فلم يدع خبراً منكراً في ذم سيدنا معاوية إلا وذكره هنا أضعف إلى ذلك تفسير الآيات القرآنية تفسيراً باطلًا لم يذكره كتاب من كتب التفسير المعتمدة عند أهل السنة والجماعة وهي أحاديث باطلة في ذم معاوية كما قال الحافظ ابن كثير رحمة الله تعالى [البداية والنهاية ٢٦٠/٨] سوى حديث واحد هو قوله عليه الصلاة والسلام لا أشبع الله بطنه - فذلك من مناقبه فلو تذكّرنا سبب ورود هذا الحديث لعلمنا أنه رضي الله عنه كان من كتاب الحديث

وفي يوم الجمعة لأربع عشرة بقيت من رجب منها شخص جعفر بن بغلاغز إلى عمرو بن الليث الصفار وهو بنيسابور بخلع ولواء لولايته على الري وهدايا من قبل المعتمد.

وفي هذه السنة لحق بكر بن عبد العزيز بن أبي دلف بمحمد بن زيد العلوي بطبرستان ، فأقام بدر وعبد الله بن سليمان ينتظران أمر بكر إلام يؤول وعلى إصلاح الجبل .

وفيها - فيما ذكر - فتحت من بلاد الروم قرّة ، على يد راغب مولى الموفق وابن كلوب ، وذلك في يوم الجمعة من رجب .

وفي ليلة الأربعاء لاثنتي عشرة خلت من شعبان - أو ليلة الخميس فيما ذكر - ظهر شخص إنسان في يده سيف في دار المعتمد بالشريّا ، فمضى إليه بعض الخدم لينظر ما هو ، فضربه الشخص بالسيف ضربة قطع بها منطقته ، ووصل السيف إلى بدن الخادم ، ورجع الخادم منصراً عنه هارباً ، ودخل الشخص في زرع في البستان ، فتوارى فيه ، فطلب باقي ليلته ومن غد ، فلم يوقف له على أثر ، فاستوحش المعتمد لذلك ، وكثير الناس في أمره رجماً بالظنون ، حتى قالوا: إنه من الجن ، ثم عاد هذا الشخص للظهور بعد ذلك مراراً كثيرة ، حتى وكل المعتمد بسور داره ، وأحکم السور ورأسه ، وجعل عليه كالبرابخ؛ لئلا يقع عليه الكلاب إن رمي به ، وجيء بالخصوص من الحبس وناظروا في ذلك ، وهل يمكن أحد الدخول إليه بعقب أو تسلق .

وقد قال عليه الصلاة والسلام هذا القول (أو الدعاء) في حقه لما تأخر عن المجيء يوماً من الأيام لكتابة الآيات القرآنية المنزلة .

أضف إلى ذلك فإن الرسول عليه الصلاة والسلام قد طلب من الله سبحانه وتعالى أن يجعل ما دعا به على أحد من أصحابه (يوماً ما) بركة وخيراً ويدله بالفضل والنعمة (معنى قول النبي ﷺ لا لفظه) وهذا يعني أن هذا الدعاء عاد بركة على سيدنا معاوية رضي الله عنه وثالثاً فإن عدم الشبع من صفات الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم فهم لا يشعرون إذا أكلوا والسعيد من قلدهم وسار على طريقتهم وستهم في أمور الحياة كلها - ألا رضي الله عن سيدنا معاوية الذي بايعه المسلمين جميعاً عام الجماعة وكان قبلها كاتباً للوحي وقائداً فاتحاً أيام الخلافة الراشدة وخليفة المسلمين عقدين من الزمان .

وفي يوم السبت لشمان بقين من شعبان من هذه السنة ، وجّه كرامة بن مُرّ من الكوفة بقوم مقيدين ، ذكر أنهم من القرامطة ، فأقرّوا على أبي هاشم بن صدقه الكاتب أنه كان يكتابهم ، وأنه أحد رؤسائهم ، فقبض على أبي هاشم ، وقيد ^(١) وحبس في المطامير .

وفي يوم السبت لسبعين من شهر رمضان من هذه السنة جُمع المجانين والمعزّمون ، ومُضيّ بهم إلى دار المعتضد في الشريّا بسبب الشخص الذي كان يظهر له ، فأدخلوا الدار ، وصعد المعتضد عليه لـه ، فأشرف عليهم؛ فلما رأهم صرّعت امرأة كانت معهم من المجانين واضطربت ، وتكتّفت فضجر وانصرف عنهم ، ووهب لكلّ واحد منهم خمسة دراهم - فيما ذكر - وصرفوها .

وقد كان وجّه إلى المعزّمين قبل أن يشرف عليهم من يسألهم عن خبر الشخص الذي ظهر له : هل يمكنهم أن يعلّموا علمه؟ فذكر قومٌ منهم أنهم يعزّمون على بعض المجانين ، فإذا سقط سأل الجنّي عن خبر ذلك الشخص وما هو ، فلما رأى المرأة التي صرّعت أمر بصرفهم .

وفي ذي القعدة منها ورد الخبر من أصبهان بوثوب الحارث بن عبد العزيز بن أبي دلف المعروف بأبي ليلي بشفيع الخادم الموكل كان به فقتله ، وكان أخوه عمر بن عبد العزيز بن أبي دلف أخذه فقيده ، وحمله إلى قلعة لآل أبي دلف بالرّزّ ، فحبسه فيها ، وكان كلّ ما لآل أبي دلف من مال ومتاع نفيس وجوهر في القلعة ، وشفيع مولاهم موكل بحفظ ذلك وحفظ القلعة ، ومعه جماعة من غلمان عمر وخاصة ، فلما استأمن عمر إلى السلطان ، وهرب بكر عاصيًّا للسلطان بقيت القلعة بما فيها في يد شفيع ، فكلّمه أبو ليلي في إطلاقه فأبي ، وقال : لا أفعل فيك وفيما في يدي إلا بما يأمرني به عمر .

فذكر عن جارية لأبي ليلي أنها قالت : كان مع أبي ليلي في الحبس غلامٌ صغير يخدمه ، وآخر يخرج ويدخل في حوائجه ولا يبيت عنده ، وبيت عنده الغلام الصغير ، فقال أبو ليلي لغلامه الذي يخرج في حوائجه : احتلْ لي في مبرد تدخله إلى ، ففعل وأدخله في شيء من طعامه ، وكان شفيع الخادم يجيء في كل ليلة إذا

(١) انظر المنتظم (٣٧٢ / ١٢).

أراد أن ينام إلى البيت الذي فيه أبو ليلي حتى يراه ، ثم يقفل عليه باب البيت هو بيده ويمضي فينام ، وتحت فراشه سيف مسلول ، وكان أبو ليلي قد سأله أن تدخل إليه جارية ، فأدخلت إليه جارية حدثة السن ، فذكر عن ذلفاء جارية أبي ليلي عن هذه الجارية أنها قالت : بَرَادَ أبو ليلي المسمار الذي في القيد ، حتى كان يخرجه من رجله إذا شاء ، قالت : وجاء شفيع الخادم عشيةً من العشايا إلى أبي ليلي ، فقدع معه يحده ، فسألته أبو ليلي أن يشرب معه أقداحاً ، ففعل ، ثم قام الخادم ل حاجته ، قالت : فأمرني أبو ليلي ، ففرشت فراشه ، فجعل عليه ثياباً في موضع الإنسان من الفراش ، وغطى على الثياب باللحف ، وأمرني أن أقعد عند رجل الفراش ، وقال لي : إذا جاء شفيع لينظر إليّ ويقفل الباب ، فسألتك عنّي قولي : هو نائم ، وخرج أبو ليلي من البيت ، فاختفى في جوف فرش ومتاع في صفة فيها باب هذا البيت ، وجاء شفيع فنظر إلى الفراش ، وسائل الجارية فأخبرته أنه قد نام ، فاقفل الباب ، فلما نام الخادم ومن معه في الدار التي في القلعة خرج أبو ليلي ، فأخذ السيف من تحت فراش شفيع ، وشد عليه فقتله ، فوثب الغلمان الذين كانوا ينامون حوله فزعين ، فاعتزلهم أبو ليلي والسيف في يده ، وقال لهم : أنا أبو ليلي قد قتلت شفيعاً ، ولئن تقدم إليّ منكم أحد لأقتلنّه وأنتم آمنون ؛ فاخرجوا من الدار حتى أكلمكم بما أريد ، ففتحوا باب القلعة ، وخرجوا وجاء حتى قعد على باب القلعة ، واجتمع الناس ممّن كان في القلعة فكلّمهم ووعدهم الإحسان ، وأخذ عليهم الأيمان ، فلما أصبح نزل من القلعة ، ووجه إلى الأكراد وأهل الزّوم ، فجمعهم وأعطائهم ، وخرج مخالفًا على السلطان ، وقيل : إن قتله الخادم كان في ليلة السبت لاثنتي عشرة بقيت من ذي القعدة من هذه السنة ، وقيل : إنه ذبح الخادم ذبحاً بسكيٍّ كان أدخلها إليه غلامه ، ثم أخذ السيف من تحت فراش الخادم وقام به إلى الغلمان .

وفي هذه السنة - وهي سنة أربع وثمانين ومئتين - كان المنجمون يوعدون الناس بغرق أكثر الأقاليم ، وأن إقليم بابل لا يسلم منه إلا اليسيير ، وأن ذلك يكون بكثرة الأمطار وزيادة المياه في الأنهر والعيون والأبار ، فقحط الناس فيها فلم يرُوا فيها من المطر إلا اليسيير ، وغارت المياه في الأنهر ، والعيون والأبار ،

حتى احتاج الناس إلى الاستسقاء فاستسقوا ببغداد مرات^(١).

ولليلة بقيت من ذي الحجة من هذه السنة كانت - فيما ذكر - وقعة بين عيسى التوشرى وبين أبي ليلى بن عبد العزيز بن أبي دلف ، وذلك يوم الخميس دون أصبهان بفرسخين ، فأصاب أبو ليلى سهم في حلقه - فيما ذكر - فنحره ، فسقط عن دابته ، وانهزم أصحابه ، وأخذ رأسه فحمل إلى أصبهان.

ووحّ بالناس في هذه السنة محمد بن عبد الله بن داود الهاشمي المعروف بأترجحه^(٢).

* * *

ثم دخلت سنة خمس وثمانين ومئتين

ذكر الخبر بما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من قطع صالح بن مدرك الطائي في جماعة من طيئ على الحاج بالأجر يوم الأربعاء لاثنتي عشرة بقيت من المحرم ، فحاربه الجنّي الكبير ، وهو أمير القافلة ، فظفر الأعراب بالقافلة؛ فأخذوا ما كان فيها من الأموال والتجارات ، وأخذوا جماعة من النساء الحرائر والمماليل ، وقيل إن ذلك الذي أخذوا من الناس بقيمة ألف دينار^(٣).

ولسبعين من المحرم منها قرئ على جماعة من حاج خراسان في دار المعتضد بتولية عمرو بن الليث الصفار ما وراء نهر بلخ ، وعزل إسماعيل بن أحمد عنه^(٤).

ولخمسين خلون من صفر منها ورد مدينة السلام وصيف كامه مع جماعة من القواد من قيل بدر مولى المعتضد وعييد الله بن سليمان من الجبل ، معهم رأس الحارث بن عبد العزيز بن أبي دلف المعروف بأبي ليلى ، فمضوا به إلى دار

(١) انظر المتنظم (١٢ / ٣٧٣ - ٣٧٤).

(٢) انظر المتنظم (١٢ / ٣٧٤).

(٣) انظر المتنظم (١٢ / ٣٧٧).

(٤) انظر المتنظم (١٢ / ٣٧٧).

المعتضد بالثريّا ، فاستوّه به أخوه فوّهبه ، واستأذنه في دفنه فأذن له ، وخلع على عمر بن عبد العزيز ، في هذا اليوم وعلى جماعة من القواد القادمين .

وفيها - فيما ذكر - كتب صاحب البريد من الكوفة ، يذكر أن رحاحاً صفراء ارتفعت بنواحي الكوفة في ليلة الأحد العشرين من شهر ربيع الأول ، فلم تزل إلى وقت صلاة المغرب ، ثم استحالت سوداء فلم يزل الناس في تضرع إلى الله .

وإن السماء مطرت بعقب ذلك مطراً شديداً برعد هائلة وبروق متصلة ، ثم سقط بعد ساعة بقرية تعرف بأحمد أباز ونواحيها حجارة بيض وسود مختلفة الألوان ، في أوساطها ضغطة شبه أفهار العطارين ، فأنفذ منها حجراً ، فأخرج إلى الدواوين والناس حتى رأوه^(١) .

ولتسع بقين منه شخص ابن الإخشاد أميراً على طرسوس من بغداد مع التّنفّر
الذين كانوا قدموها منها يسألون أن يولّى عليهم وال.

وخرج أيضاً في هذا اليوم من بغداد فاتك مولى المعتصم للنّظر في أمور العُمال بالموصل وديار ربيعة وديار مصر والشّغور والشامية والجزرية وإصلاح الأمور بها إلى ما كان يتقلده من أعمال البريد بهذه النواحي.

وفي هذه السنة ورد الخبر - فيما ذُكر - من البصرة أن ريحًا ارتفعت بها بعد صلاة الجمعة لخمس بقين من شهر ربيع الأول صفراء ، ثم استحال خضراء ثم سوداء ، ثم تتابعت الأمطار بما لم يرُوا مثلها ، ثم وقع بردٌ كبار كان وزن البردَة الواحدة مئة وخمسين درهماً - فيما قيل - وأن الرياح أقلعت من نهر الحسين خمسمئة نخلة وأكثر ، ومن نهر معقل مئة نخلة عدداً^(٢).

وفيها كانت وفاة الخليل بن ريمال بـ حلوان.

ولخمس خلؤن من جُمادى الآخرة ورد الخبر على السلطان أن بكر بن عبد العزيز بن أبي دلف تُوفّي بطبرستان من علة أصابته ، ودفن هنالك . فأعطي الذي جاء بالخبر - فيما ذكر - ألف دينار .

^(١) انظر المتنظم (٣٧٧ / ١٢).

^{٢)} انظر المتنظم (١٢ / ٣٧٨).

وفيها ولّى المعتصد محمد بن أبي الساج أعمال آذربيجان وأرمينية ، وكان قد تغلّب عليها وخالف ، وبعث إليه بخلع وحملان .

وفيها ورد الخبر لثلاثة خلؤن من شعبان أن راغباً الخادم مولى الموقّع غزا في البحر ، فأظفره الله بمراكب كثيرة ، وبجميع مَنْ فيها من الرُّوم ، فضرب أعناق ثلاثة آلاف من الرُّوم الذين كانوا في المراكب ، وأحرق المراكب ، وفتح حصوناً كثيرة من حصون الرُّوم ، وانصرفو سالمين^(١) .

وفي ذي الحجّة منها ورد الخبر بوفاة أحمد بن عيسى بن شِيْخ وقيام ابنه محمد بن أحمد بن عيسى بما كان في يد أبيه بأمِد ، وما يليها على سبيل التغلب .

والإحدى عشرة بقيت من ذي الحجّة منها خرج المعتصد من بغداد قاصداً إلى آمد ، وخرج معه ابنه أبو محمد والقواد والغلمان ، واستخلف ببغداد صالحًا الأمين الحاجب ، وقلده النّظر في المظالم وأمر الجسرين وغير ذلك^(٢) .

وفيها وجّه هارون بن خمارويه بن أحمد بن طولون ومن معه من قواد المصريين إلى المعتصد وضيقَ قاطر ميز ، يسألونه مقاطعتهم عمّا في أيديهم من مصر والشّام ، وأجرى هارون على ما كان يجري عليه أبوه ، فقدم وصيف بغداد ، فرددَ المعتصد ، ووجّه معه عبد الله بن الفتح ليشافهم برسائل ، ويشرط عليهم شروطاً ، فخرجاً لذلك في آخر هذه السنة .

وفيها غزا ابن الأخشاد بأهل طرسوس وغيرهم في ذي الحجّة ، وبلغ سلندُو .

وقتّح عليه ، وكان انصرافه إلى طرسوس في سنة ست وثمانين ومئتين .

وحجّ بالناس في هذه السنة محمد بن عبد الله بن داود الهاشمي^(٣) .

* * *

(١) انظر المتّظم (٣٧٨/١٢).

(٢) انظر المتّظم (٣٧٩/١٢).

(٣) انظر المتّظم (٣٧٩/١٢).

ثم دخلت سنة ست وثمانين ومئتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث الجليلة

فمن ذلك ما كان من توجيهه محمد بن أبي الساج ابنه المعروف بأبي المسافر إلى بغداد رهينةً بما ضمن للسلطان من الطاعة والمناصحة ، فقدم - فيما ذكر - يوم الثلاثاء ، لسبع خلوٌن من المحرّم منها ، معه هدايا من الدواب والمتعة وغير ذلك ، والمعتضد يومئذ غائب عن بغداد.

وفي شهر ربيع الآخر منها ورد الخبر أنَّ المعتضد بالله وصل إلى آمد ، فأناخ بجنته عليها ، وأغلق محمد بن أحمد بن عيسى بن شيخ عليه أبواب مدينة آمد ، وعلى من فيها من أشياعه. ففرق المعتضد جيوشه حولها وحاصرهم ، وذلك لأيام بقيَّت من شهر ربيع الأول ، ثم جرت بينهم حروب ، ونصب عليهم المجانيق ، ونصب أهل آمد على سورهم المجانيق ، وتراموا بها^(١).

وفي يوم السبت لإحدى عشرة بقيت من جمادى الأولى وجَّه محمد بن أحمد ابن عيسى إلى المعتضد يطلب لنفسه ولأهلة ولاهل آمد الأمان ، فأجابه إلى ذلك ، فخرج محمد بن أحمد بن عيسى في هذا اليوم ومنْ معه من أصحابه وأولئك فوصلوا إلى المعتضد ، فخلع عليه وعلى رؤساء أصحابه ، وانصرفو إلى مضرب قد أعد لهم ، وتحول المعتضد من عسکره إلى منازل ابن عيسى بن شيخ ودوره؛ وكتب بذلك كتاباً إلى مدينة السلام مؤرخاً بيوم الأحد لعشر بقين من جمادى الأولى . ولخمس بقين من جمادى الأولى منها ورد الكتاب من المعتضد بفتحه آمد إلى مدينة السلام ، وقرئ على المنبر بالجامع.

وفيها انصرف عبد الله بن الفتح إلى المعتضد وهو مقيم بأمد من مصر بأجوبه كتبه إلى هارون بن خمارويه ، وأعلمه أنَّ هارون قد بذل أن يسلم أعمال قُنسرين العواسم ، ويحمل إلى بيت المال ببغداد في كل سنة أربعمئة ألف وخمسين ألف دينار ، وأنه يسأل أن يجدد له ولاية على مصر والشام ، وأن يوجه المعتضد بخدمه إليه بذلك ، فأجابه إلى ما سأله ، وأنفذ إليه بدرأ القدامى

(١) انظر المتنظم (٣٩٨/١٢).

وعبد الله بن الفتح بالولاية والخلع ، فخرجا من آمد إلى مصر بذلك ، و وسلم عمال المعتصم أعمال قُسرين والعواصم من أصحاب هارون في جُمادى الأولى ، وأقام المعتصم بأمد بقية جُمادى الأولى وثلاثة وعشرين يوماً من جُمادى الآخرة . ثم ارتحل منها يوم السبت لسبعين بقين منها نحو الرقة ، وخلف ابنه علياً بأمد مع جيوش ضمّهم إليه لضبط الناحية وأعمال قُسرين والعواصم وديار ربيعة وديار مُضر . وكان كاتب علي بن المعتصم يومئذ الحسين بن عمرو النصراوي ، وقد الحسين بن عمرو النظر في أمور هذه النواحي ومكانتة العمال بها ، وأمر المعتصم بهدم سور آمد فهدم^(١) .

وفيها وافت هدية عمرو بن الليث الصفار من نيسابور إلى بغداد ، فكان مبلغ المال الذي وجّهه أربعة آلاف درهم ، وعشرين من الدواب ، وبسرور ولجم محللاً مغرقة ومئة وخمسين دابة بجلال مشهّرة وكسوة وطيب وبُزّة ، وذلك في يوم الخميس لثمان بقين من جُمادى الآخرة^(٢) .

وفي هذه السنة ظهر رجل من القرامطة يعرف بأبي سعيد الجنائي بالبحرين ، فاجتمع إليه جماعة من الأعراب والقرامطة؛ وكان خروجه - فيما ذُكر - في أول السنة ، وكثير أصحابه في جُمادى الآخرة ، وقوى أمره ، فقتل من حوله من أهل القرى ، ثم صار إلى موضع يقال له القَطِيف ، بينه وبين البصرة مراحل ، فقتلَ مَنْ بها . وذكر أنه يريد البصرة ، فكتب أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ يَحْيَى الْوَاثِقِي - وكان يتقدّم معاون البصرة وكور دجلة في ذلك الوقت - إلى السلطان بما اتصَلَ به من عَزْمٍ هؤلاء القرامطة؛ فكتب إليه وإلى محمد بن هشام المتأولِي أعمال الصدقات والخارج والضياع بها ، في عمل سور على البصرة ، فقدرَت النفقة على ذلك أربعة عشر ألف دينار ، فأمر بالإنفاق عليه فُبني^(٣) .

وفي رجب من هذه السنة صار إلى الأنبار جماعة من أعراب بني شَيْبَان ، فأغاروا على القرى ، وقتلوا من لحقوا من الناس ، واستاقوا الماشي . فخرج إليهم أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ كُمُشْجُورِ المتأولِي المعاون بها ، فلم يُطْقِهم . فكتب إلى

(١) انظر المتنظم (١٢/٣٩٨).

(٢) انظر المتنظم (١٢/٤٠٠).

(٣) انظر المتنظم (١٢/٤٠٢).

السلطان يخبره بأمورهم . فوجّه من مدينة السلام نفيساً المولدي وأحمد بن محمد الرَّنْجي والمظفر بن حاج مداداً له في زُهاء ألف رجل؛ فصاروا إلى موضع الأعراب ، فواعقوهم بموضع يعرف بالمنقبة من الأنبار ، فهزّهم الأعراب ، وقتلوا أصحابهم وغَرِقَ أكثرهم في الفرات ، وتفرقوا . فورد كتاب ابن حاج يوم الإثنين لست بقين من رجب بخبر هذه الواقعة وهزيمة الأعراب أيامهم ، فأقام الأعراب يعيشون في الناحية ، ويختفرون القرى ، فكتب إلى المعتضد بخبرهم ، فوجّه إليهم لقتالهم من الرقة العباس بن عمرو الغنوي وخفيقاً الأذكوتيني وجماعة من القواد . فصار هؤلاء القواد إلى هيـت في آخر شعبان من هذه السنة .

وبلغ الأعراب خبرُهم ، فارتحلوا عن موضعهم من سواد الأنبار ، وتوجهوا نحو عين التمر ، فنزلوها ودخل القواد الأنبار فأقاموا بها ، وعاش الأعراب بعين التمر ونواحي الكوفة؛ مثل عيـثـمـ بـنـوـاحـيـ الـأـنـبـارـ ، وـذـلـكـ بـقـيـةـ شـعـبـانـ وـشـهـرـ رمضان .

وفيها وجّه المعتضد إلى راغب مولى أبي أحمد وهو بَطَرْسُوس ، يأمره بالمجـيـرـ إـلـيـهـ بـالـرـقـةـ ، فـصـارـ إـلـيـهـ وـهـوـ بـهـاـ ، فـلـمـاـ وـصـلـ إـلـيـهـ تـرـكـهـ فـيـ عـسـكـرـهـ يـوـمـاـ ثـمـ أـخـذـهـ مـنـ الـغـدـ فـجـبـسـهـ ؛ وـأـخـذـ جـمـيـعـ ماـ كـانـ مـعـهـ ؛ وـوـرـدـ الـخـبـرـ بـذـلـكـ مـدـيـنـةـ السـلـامـ يـوـمـ الإـثـنـيـنـ لـتـسـعـ خـلـوـنـ مـنـ شـعـبـانـ ، ثـمـ مـاتـ رـاغـبـ بـعـدـ أـيـامـ ، وـقـبـضـ عـلـىـ مـكـنـونـ غـلامـ رـاغـبـ وـعـلـىـ أـصـحـابـهـ ، وـأـخـذـ مـالـهـ بـطـرـسـوـسـ يـوـمـ الـثـلـاثـاءـ لـسـتـ بـقـينـ مـنـ رـجـبـ ، وـكـانـ الـمـتـولـيـ أـخـذـهـ اـبـنـ الـإـخـشـادـ .

ولـعـشـرـ بـقـينـ مـنـ شـهـرـ رـمـضـانـ مـنـهـاـ وجـهـ الـمـعـتـضـدـ مـؤـنـساـ الـخـازـنـ إـلـيـ الـأـعـرـابـ بـنـوـاحـيـ الـكـوـفـةـ وـعـيـنـ التـمـرـ ، وـضـمـ إـلـيـهـ الـعـبـاسـ بـنـ عـمـرـ وـخـفـيـقاـ الـأـذـكـوـتـكـيـنـيـ وـغـيـرـهـاـ مـنـ الـقـوـادـ ، فـسـارـ مـؤـنـسـ وـمـنـ مـعـهـ حـتـىـ بـلـغـ الـمـوـضـعـ الـمـعـرـفـ بـبـنـيـوـيـ ، فـوـجـدـ الـأـعـرـابـ قـدـ اـرـتـحـلـوـاـ عـنـ مـوـضـعـهـمـ ، وـدـخـلـ بـعـضـهـمـ إـلـيـ بـرـيـةـ طـرـيقـ مـكـةـ وـبـعـضـهـمـ إـلـيـ بـرـيـةـ الشـأـمـ ، فـأـقـامـ بـمـوـضـعـهـ أـيـامـاـ ، ثـمـ شـخـصـ إـلـيـ مـدـيـنـةـ السـلـامـ .

وـفـيـ شـوـالـ مـنـهـاـ قـلـدـ الـمـعـتـضـدـ وـعـبـيدـ اللهـ بـنـ سـلـيـمانـ دـيـوانـ الـمـشـرـقـ مـحـمـدـ بـنـ دـاـوـدـ بـنـ الـجـرـاحـ ، وـعـزـلـ عـنـهـ أـحـمـدـ بـنـ مـحـمـدـ بـنـ الـفـرـاتـ ، وـقـلـدـ دـيـوانـ الـمـغـرـبـ عـلـيـ بـنـ عـيـسـىـ بـنـ دـاـوـدـ بـنـ الـجـرـاحـ ، وـعـزـلـ عـنـهـ اـبـنـ الـفـرـاتـ .

ثم دخلت سنة سبع وثمانين ومئتين

ذكر الخبر بما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من قبض المعتضد على محمد بن أحمد بن عيسى بن شيخ وعلى جماعة من أهله وتقييده إياهم ، وحبسه لهم في دار ابن طاهر؛ وذلك أنه صار بعض أقربائه - فيما ذكر - إلى عبيد الله بن سليمان ، فأعلمه أنَّ محمداً أجمع على الهرب في جماعة من أصحابه وأهله. فكتب بذلك عبيد الله إلى المعتضد ، فكتب إليه المعتضد يأمره بالقبض عليه ، ففعل ذلك يوم الأربعاء لأربع خلوٰن من المحرم منها.

وفي هذا الشهر من هذه السنة ورد كتاب أبي الأغرٌ على السلطان أنَّ طيئاً تجمعت له ، وحشدوا واستعاناً بمنْ قدرُوا عليه من الأعراب ، واعتربوا قافلة الحاج ، فوأقعوا لهم لما جاؤوا المعدن منصريين إلى مدينة السلام من مكة ببضعة عشر ميلاً ، وأقبل إليهم فرسان الأعراب ورجالتهم ومعهم بيوتهم وحرفهم وإبلهم؛ وكانت رجالتهم أكثر من ثلاثة آلاف ، فالتحمت الحرب بينهم ، ولم تزل الحرب بينهم يومهم أجمع ، وهو يوم الخميس لثلاث بقين من ذي الحجة ، فلما جنّهم الليل باليوم ، فلما أصبحوا غادُوهُم الحرب غداة يوم الجمعة إلى انتصاف النهار. ثم أنزل الله النصر على أوليائه وولى الأعراب منهزمين ، فما اجتمعوا بعد تفرقهم ، وأنه سار هو وجميع الحاج سالمين ، وأنفذ كتابه مع سعيد بن الأصفير بن عبد الأعلى ، وهو أحد وجوهبني عمه والمتولى للقبض على صالح بن مدرك.

وفي يوم السبت لثلاث بقين من المحرم وافي الأغرٍ مدينة السلام ، وبين يديه رأس صالح بن مدرك ، ورأس جحش ، ورأس غلام لصالح أسود ، وأربعة أسرى من بني عم صالح ، فمضى إلى دار المعتضد ، فخلع عليه ، وطُوق بطوق من ذهب ، ونصبت الرؤوس على رأس الجسر الأعلى بالجانب الشرقي ، وأدخل الأسرى المطامير.

ولأربع ليال بقين من صفر منها ، دخل المعتضد من متّرّه ببراز الروز إلى

بغداد ، وأمر ببناء قصر في موضع اختياره من براز الرّوز ، فحمل إليه الآلات ،
وابتدأ في عمله^(١) .

وفي شهر ربيع الأول منها غلظ أمر القرامطة بالبحرين ، فأغاروا على نواحي
هجر ، وقرب بعضهم من نواحي البصرة ، فكتب أحمد بن محمد بن يحيى
الواشقى يسأل المدد ، فوجه إليه في آخر هذا الشهر بشماني شذوات ، فيها ثلاثة
رجل ، وأمر المعتصم باختيار جيش لينفذه إلى البصرة^(٢) .

وفي يوم الأحد لعشر خلوٌ من شهر ربيع الآخر ، فقد بدر مولى المعتصم في
داره ، ونظر في أمور الخاصة والعامة من الناس والخارج والضياع والمعاون.

وفي يوم الإثنين لإحدى عشرة خلت من شهر ربيع الآخر ، مات محمد بن
عبد الحميد الكاتب المتولي ديوان زمام المشرق والمغرب .

وفي يوم الأربعاء لثلاث عشرة خلت منه ولّى جعفر بن محمد بن حفص هذا
الديوان ، فصار من يومه إلى الديوان وقد فيه .

وفي شهر ربيع الآخر منها ولّى المعتصم عباس بن عمرو الغنوي اليمامة
والبحرين ومحاربة أبي سعيد الجنابي ومن معه من القرامطة ، وضم إله زهاء
ألفي رجل ، فعسكر العباس بالفرزك أيامًا حتى اجتمع إليه أصحابه ، ثم مضى إلى
البصرة ، ثم شخص منها إلى البحرين واليمامة^(٣) .

وفيها - فيما ذكر - وفي العدّو باب قلمية من طرسوس ، فنفر أبو ثابت وهو
أمير طرسوس بعد موت ابن الإخشاد - وكان استخلفه على البلد حين غزا - فمات
وهو على ذلك؛ فبلغ في نفيه إلى نهر الرّيحان في طلب العدّو ، فأسر أبو ثابت
وأصيب الناس؛ فكان ابن كلوب غازياً في درب السلامه؛ فلما قفل من غزاته
جَمِعَ المشايخ من أهل الشّغْر ليتراسوا بأمير يلي أمرهم ، فاتفق رأيُهم على
عليّ بن الأعرابيّ ، فولوه أمرهم بعد اختلاف من ابن أبي ثابت .

وذكر أن أباه استخلفه ، وجمع جمعاً لمحاربة أهل البلد حتى توسط الأمر ابن

(١) انظر المستنظم (٤١١/١٢).

(٢) انظر المستنظم (٤١١/١٢).

(٣) انظر المستنظم (٤١١/١٢).

كلوب ، فرضي ابن ثابت ؛ وذلك في شهر ربيع الآخر ، وكان التّغيل حينئذ غازياً ببلاد الروم ، فانصرف إلى طرسوس ، وجاء الخبر أن أبوا ثابت حُمِل إلى القسطنطينية من حصن قونية ، ومعه جماعة من المسلمين .

وفي شهر ربيع الآخر مات إسحاق بن أيوب الذي كان إليه المعاون بديار ربيعة ، فقلد ما كان إليه عبد الله بن الهيثم بن عبد الله بن المعتمر .

وفي يوم الأربعاء لخمس بقين من جُمادى الأولى ، ورد كتاب - فيما ذكر - على السلطان بأن إسماعيل بن أحمد أسر عمراً الصفار ، واستباح عسكره ، وكان من خبر عمرو وإسماعيل ، أن عمراً سأله السلطان أن يوليه ما وراء النهر ، فولاه ذلك ، ووجه إليه وهو مقيم بنيسابور بالخلع ، واللواء على ما وراء النهر ، فخرج لمحاربة إسماعيل بن أحمد ، فكتب إليه إسماعيل بن أحمد: إنك قد وليت دنيا عريضة ، وإنما في يدي ما وراء النهر ، وأنا في ثغر؛ فاقنع بما في يدك ، واتركني مقيناً بهذا الثغر. فأبى إجابته إلى ذلك؛ فذكر له أمر نهر بلخ وشدة عبوره ، فقال: لو أشاء أن أسكنه ببدر الأموال وأعبره لفعلت؟ فلما أيس إسماعيل من انصرافه عنه جمع مَنْ معه والثناء والدهاقين ، وعبر النهر إلى الجانب الغربي؛ وجاء عمرو فنزل بلخ ، وأخذ إسماعيل عليه التواحي ، فصار كالمحاصر ، وندم على ما فعل ، وطلب المحاجزة - فيما ذكر - فأبى إسماعيل عليه ذلك ، فلم يكن بينهما كثير قتال حتى هُزم عمرو فولى هارباً ، ومرّ بأجمة في طريقه ، قيل له: إنها أقرب ، فقال لعامة مَنْ معه: امضوا في الطريق الواضح. ومضى في نفر يسير ، فدخل الأَجْمَة ، فوحلت دابته؛ فوَقَعَتْ ، ولم يكن له في نفسه حيلة ، ومضى مَنْ معه. ولم يلُووا عليه ، وجاء أصحاب إسماعيل ، فأخذوه أسيراً. ولما وصل الخبر إلى المعتصم بما كان من أمر عمرو وإسماعيل ، مدح إسماعيل - فيما ذكر - وذم عمراً .

ولليلة بقيت من جُمادى الأولى من هذه السنة ، ورد الخبر على السلطان أن وصيفاً خادم ابن أبي الساج ، هرب من بَرْدَعَة ، ومضى إلى مَلَطْية مراجماً لمحمد بن أبي الساج في أصحابه ، وكتب إلى المعتصم يسأله أن يوليه الشغور ، ليقوم بها ، فكتب إليه المعتصم يأمره بالمصير إليه ، ووجه إليه رشيقاً الحرمي . ولسبعين خلون من رَجَب من هذه السنة تُوفِّيَتْ ابنة خمارويه بن أحمد بن

طلولون . زوجة المعتضد ، ودفنت داخل قصر الرصافة .

ولعشر خلون من رجب وفد على السلطان ثلاثة أنفس وجهم وصيف خادم ابن أبي الساج إلى المعتضد ، يسأله أن يوليه الشغور . ويوجه إليه الخلع ، فذكر أن المعتضد أمر بتقرير الرُّسل بالسبب الذي من أجله فارق وصيف صاحبه ابن أبي الساج ، وقصد الشغور ، فقرروا بالضرب ، فذكروا أنه فارقه على مواطأة بينه وبين صاحبه على أنه متى صار إلى الموضع الذي هو به متى لحق به صاحبه ، فصارا جمِيعاً إلى مضر وتغلباً عليها ، وشاع ذلك في الناس وتحدثوا به .

ولإحدى عشرة خلت من رجب من هذه السنة ولـي حامد بن العباس الخراج والضياع بفارس ؛ وكانت في يد عمرو بن الليث الصفار ، ودفعت كتبه بالولاية إلى أخيه أحمد بن العباس ، وكان حامد مقيماً بواسط ، لأنَّه كان يلها وكور دجلة ، وكتب إلى عيسى التُّوشري وهو ياصبهان بالمصير إلى فارس والياً على معونتها .

* * *

[خروج العباس بن عمرو الغنوبي من البصرة]

وفي هذه السنة كان خروج العباس بن عمرو الغنوبي - فيما ذكر - من البصرة بمن ضمَّ إليه من الجندي ، مع من خَفَّ معه من مطْوَعة البصرة نحو أبي سعيد الجنابي ومن انصوئي إليه من القرامطة ، فلقاهم طلائع لأبي سعيد ، فخلف العباس سواده ، وسار نحوهم ، فلقي أبا سعيد ومن معه مساء ، فتناوشوا القتال ، ثم حجز بينهم الليل ، فانصرف كل فريق منهم إلى موضعهم . فلما كان الليل انصرف من كان مع العباس من أعراببني ضبة - وكانت زهاء ثلاثة - إلى البصرة ، ثم تبعهم مطْوَعة البصرة ؛ فلما أصبح العباس غادي القرامطة الحرب ، فاقتلوه قتلاً شديداً . ثم إنَّ صاحب ميسرة العباس - وهو نجاح غلام أحمد بن عيسى بن شيخ - حمل في جماعة من أصحابه رُهاء مئة رجل على ميمنة أبي سعيد ؛ فوقعوا فيهم ، فقتل وجميع من معه ، وحمل الجنابي وأصحابه على أصحاب العباس ، فانهزموا ، فاستأسر العباس ، وأسر من أصحابه رُهاء سبعينية رجل ، واحتوى الجنابي على ما كان في عسكر العباس ؛ فلما كان من غد يوم

الوَقْعَةُ أَحْضَرَ الْجَنَابِيَّ مِنْ كَانَ أَسْرَ مِنْ أَصْحَابِ الْعَبَّاسِ ، فَقَتَلُوهُمْ جَمِيعاً ، ثُمَّ أَمْرَ بِحَطْبِ فَطْرِحِ عَلَيْهِمْ ، وَأَحْرَقَهُمْ .

وَكَانَتْ هَذِهِ الْوَقْعَةُ - فِيمَا ذُكِرَ - فِي آخِرِ رَجَبٍ ، وَوَرَدَ خَبْرُهَا بَغْدَادَ لِأَرْبَعِ خَلْوَةِ شَعْبَانَ .

* * *

وَفِيهَا - فِيمَا ذُكِرَ - صَارَ الْجَنَابِيَّ إِلَى هَجَرَ ، فَدَخَلُوهَا وَآمِنُ أَهْلَهَا؛ وَذَلِكَ بَعْدَ مَنْصُوفَهُ مِنْ وَقْعَةِ الْعَبَّاسِ ، وَانْصَرَفَ فَلُ أَصْحَابُ الْعَبَّاسِ بْنِ عَمْرُو يَرِيدُونَ الْبَصَرَةَ ، وَلَمْ يَكُنْ أَفْلَتْ مِنْهُمْ إِلَّا الْقَلِيلُ بِغَيْرِ أَزْوَادٍ وَلَا كَسَّاً ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ مِنْ الْبَصَرَةِ جَمَاعَةٌ بِنَحْوِهِ مِنْ أَرْبَعِمَائَةِ رَاحِلَةَ ، عَلَيْهَا الْأَطْعَمَةُ وَالْكَسَّا وَالْمَاءُ ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ - فِيمَا ذُكِرَ - بْنُ أَسْدٍ ، فَأَخْذُوا تِلْكَ الرَّوَاحِلَ بِمَا عَلَيْهَا ، وَقَتَلُوا جَمَاعَةَ مَنْ كَانَ مَعَ تِلْكَ الرَّوَاحِلِ وَمَنْ أَفْلَتَ مِنْ أَصْحَابِ الْعَبَّاسِ؛ وَذَلِكَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ؛ فَاضْطُرَّبَتِ الْبَصَرَةُ لِذَلِكَ اضْطُرَّاباً شَدِيداً وَهَمُّوا بِالانتِقَالِ عَنْهَا ، فَمَنْعَمَهُمْ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْوَاثِقِيُّ الْمَتَوَلِيُّ لِمَاعُونَهَا مِنْ ذَلِكَ ، وَتَحْوَفُوا هَجَومَ الْقَرَامِطَةِ عَلَيْهِمْ .

وَلِشَمَانِ خَلْوَةِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانِ مِنْهَا - فِيمَا ذُكِرَ - وَرَدَتْ خَرِيَّةُ السُّلْطَانِ مِنَ الْأَبْلَةِ بِمَوَافَةِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَمْرُو فِي مَرْكَبٍ مِنْ مَرَاكِبِ الْبَحْرِ ، وَأَنَّ أَبَا سَعِيدَ الْجَنَابِيَّ أَطْلَقَهُ وَخَادِمًا لَهُ .

وَلِإِحدى عَشَرَةِ خَلْتَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ ، وَافَى الْعَبَّاسُ بْنُ عَمْرُو مَدِينَةَ السَّلَامَ ، وَصَارَ إِلَى دَارِ الْمَعْتَضِدِ بِالثَّرِيَا ، فَذُكِرَ أَنَّهُ بَقَى عِنْدَ الْجَنَابِيَّ أَيَّامًا بَعْدَ الْوَقْعَةِ ، ثُمَّ دَعَا بِهِ ، فَقَالَ لَهُ: أَتَحِبُّ أَنْ أَطْلَقَكَ؟ ، قَالَ: نَعَمْ ، قَالَ: امْضِ وَعَرَّفِ الَّذِي وَجَهَ بِكَ إِلَى مَا رَأَيْتَ . وَحَمَلَهُ عَلَى رَوَاحِلَ ، وَضَمَّ إِلَيْهِ رِجَالًا مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَحَمَلَهُمْ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ مِنَ الزَّادِ وَالْمَاءِ ، وَأَمْرَ الرِّجَالَ الَّذِينَ وَجَهُوكُمْ مَعَهُ أَنْ يَؤْدُوهُ إِلَى مَأْمَنِهِ ، فَسَارُوا بِهِ حَتَّى وَصَلَ إِلَى بَعْضِ السَّوَاحِلِ فَصَادَفَ بِهِ مَرْكَبًا ، فَحَمَلَهُ فَصَارَ إِلَى الْأَبْلَةِ ، فَخَلَعَ عَلَيْهِ الْمَعْتَضِدَ وَصَرَفَهُ إِلَى مَنْزِلِهِ .

وَفِي يَوْمِ الْخَمِيسِ لِإِحدى عَشَرَةِ خَلْتَ مِنْ شَوَّالٍ ارْتَحَلَ الْمَعْتَضِدُ مِنْ مَضِرَّبِهِ

باب الشماسية في طلب وصيف خادم ابن أبي الساج ، وكتم ذلك ، وأظهر أنه يريد ناحية ديار مُضَرَّ.

وفي يوم الجمعة لاثنتي عشرة خلت منه ، ورد الخبر - فيما ذكر - على السلطان أن القرامطة بالسوداد من أهل جنوباء وثبوا بواлиهم بدر غلام الطائي ، فقتلوا من المسلمين جمِعاً فيهم النساء والصبيان ، وأحرقوا المنازل .

ولأربع عشرة خلت من ذي القعدة نزل المعتضد كنيسة السوداء في طلب وصيف الخادم ، فأقام بها يوم الإثنين والثلاثاء والأربعاء ، حتى تلاحق به الناس ، وأراد الرحيل في طريق المصيصة ، فأتته العيون أنَّ الخادم يريد عين زربة ، فأخضر الركاضة الشغريَّين وأهل الخبرة ، فسألهم عن أقصد الطريق إلى عين زربة ، فقطعوا به جيحان غداة الخميس لسبعين عشرة خلت من ذي القعدة ، فقدم ابنه علياً ومه الحسن بن علي كوره ، وأتبعه بجعفر بن سعْر ، ثم أتى عجفراً محمد بن كُمسجور ، ثم أتبعه خاقان المفلحي ، ثم مؤنس الخادم ، ثم مؤنس الخازن ، ثم مضى في آثارهم مع غلمان الحجر ، ومرّ بعين زربة؛ وضرب له بها مضرب ، وخلف بها خفيفاً السُّمْر قندي مع سواده ، وسار هو قاصداً للخادم في أثر القواد ، فلما كان بعد صلاة العصر جاءته البشارات بأخذ الخادم ، ووافوه به المعتضد ، فسلمه إلى مؤنس الخادم وهو يومئذ صاحب شرطة العسكر ، وأمر بيذل الأمان لأصحاب الخادم والنداء في العسكر ببراءة الذمة من وُجد في رحله شيء من نهب عسكر الخادم ، ولم يرده على أصحابه؛ فردد الناس على كثير منهم ما انتهوا من عسكرهم . وكانت الواقعة وأسرُّ وصيف الخادم - فيما قيل - يوم الخميس لثلاث عشرة بقيت من ذي القعدة ، وكان من اليوم الذي ارتحل المعتضد فيه من مضربه بباب الشماسية إلى أن قبض على الخادم ستة وثلاثون يوماً .

ولما قبض المعتضد على الخادم انصرف - فيما ذكر - إلى عين زربة ، فأقام بها يومين ، فلما كان في صبيحة الثالث؛ اجتمع إليه أهل عين زربة ، وسألوه أن يرحل عنهم لضيق الميرة بيدهم ، فرحل عنها في اليوم الثالث ، فنزل المصيصة بجميع عساكره إلَّا أبا الأغر خليفة بن المبارك؛ فإنه كان وجْهه ليأخذ على الخادم الطريق لثلاً يصير إلى مَرْعش ، وناحية مَلْطَية ، وكان الخادم قد أنفذ عياله وعيال أصحابه إلى مَرْعش وبلغ أصحاب الخادم الذين كانوا قد هربوا ما بذل لهم

المعتضد من الأمان، وما أمر برده عليهم من أمعتهم ، فللحقا بعكسر المعتضد داخلين في أمانه . وكان نزول المعتضد بالمضيضة - فيما قيل - يوم الأحد لعشر بقين من ذي القعدة ، فأقام بها إلى الأحد الآخر ، وكتب إلى وجوه أهل طرسوس في المصير إليه ، فأقبلوا إليهم منهم التغيل - وكان من رؤساء الثغر - وابن له ، ورجل يقال له ابن المهندس ، وجماعة معهم ، فحبس هؤلاء مع آخرين ، وأطلق أكثرهم . فحمل الذين حبسهم معه إلى بغداد ، وكان قد وجد عليهم لأنهم - فيما ذكر - كانوا كاتبوا وصيفاً الخادم ، وأمر المعتضد بإحراق جميع المراكب البحريه التي كان المسلمين يغزوون فيها وجميع آلاتها.

وذكر أن دميانت غلام يازمان هو الذي أشار عليه لشيء كان في نفسه على أهل طرسوس ، فأحرق ذلك كله ، وكان في المراكب نحو من خمسين مركباً قدماً قد أنفق عليها أموال جليلة لا يُعمل مثلها في هذا الوقت فأحرقت ، فأضرر ذلك بال المسلمين ، وكسر ذلك في أعضادهم ، وقوى به الروم ، وأمنوا أن يُغزوا في البحر . وقد المعتضد الحسن بن علي كورة الشغور الشامية بمسألة من أهل الشغور واجتماع كلمتهم عليه ، ورحل المعتضد - فيما قيل - من المضيضة فنزل فندق الحسين ، ثم الإسكندرية ، ثم بعراش ثم أنطاكية ، لليلتين خلتا من ذي الحجة . فأقام بها إلى نحر ، وبكّر في ثاني النحر بالرحيل ، فنزل أرتاح ثم الأثارب ثم حلب ، فأقام بها يومين ، ثم رحل إلى الناعورة ، ثم إلى خساف ، وصفين هناك في الجانب الجيري ، وبيت مال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه في الجانب الآخر ، ثم إلى يالس ، ثم إلى دفسر ، ثم إلى بطن دامان ، ثم إلى الرقة ، فدخلها لثمان بقين من ذي الحجة ، فأقام بها إلى أن بقي ليتان منه .

* * *

[**ذكر الخبر عن مقتل محمد بن زيد العلوي^(١)**]

ولخمس بقين من شوال ورد الخبر على السلطان بأن محمد بن زيد العلوي

قتيل .

(١) لوفاة محمد بن زيد العلوي (أمير طبرستان) انظر تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢١٨ - ٢٩٠ هـ) والبداية والنهاية [٢٦٣/٨].

* ذكر الخبر عن سبب مقتله :

ذُكر : أن محمد بن زيد خرج لمَا اتصل به الخبر عن أسر إسماعيل بن أحمد عمرو بن الليث توجّه في جيش كثيف نحو خراسان طامعاً فيها ، ظناً منه أن إسماعيل بن أحمد لا يتجاوز عمله الذي كان يتولاه أيام ولاية عمرو بن الليث الصفار خراسان ، وأنه لا دافع له عن خراسان ، إذ كان عمرو قد أسر ، ولا عامل للسلطان به؛ فلما صار إلى جرجان له واستقرّ به ، كتب إليه يسأله الرجوع إلى طبرستان ، وترك جرجان له ، فأبى ذلك عليه ابنُ زيد ، فندب إسماعيل - فيما ذكر لي - خليفةً كان لرافع بن هرثمة أيام ولاية رافع خراسان يُدعى محمد بن هارون ، لحرب محمد بن زيد ، فانتدب له ، فضمّ إليه جمعاً كثيراً من رجاله وجنته ، ووجهه ، إلى ابن زيد لحربه ، فشخص محمد بن هارون نحو ابن زيد ، فالتقى على باب جرجان ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فانهزم عسكر محمد بن هارون .

ثم إن محمد بن هارون رجع ، وقد انتقضت صفوف العلويّ ، فانهزم عسكر محمد بن زيد ، وولوا هاربين ، وقتل منهم - فيما ذكر - بشر كثير ، وأصابت ابن زيد ضربات ، وأسر ابنه زيد ، وحوى محمد بن هارون عسكره وما كان فيه . ثم مات محمد بن زيد بعد هذه الواقعة بأيام من الضربات التي كانت فيه ، فدُفن على باب جرجان ، وحمل ابنه زيد إلى إسماعيل بن أحمد ، وشخص محمد بن هارون إلى طبرستان .

وفي يوم السبت لاثنتي عشرة خلت من ذي القعدة أوقع بدر غلام الطائي بالقراطمة على غرّة منهم بنواحي روزستان وغيرها ، فقتل منهم - فيما ذكر - مقتلة عظيمة ، ثم تركهم خوفاً على السواد أن يخرب؛ إذ كانوا فلاحيه وعماله ، وطلب رؤسائهم في أماكنهم ، فقتل منْ ظفر به منهم؛ وكان السلطان قد قوى بدرأً بجماعة من جنده وغلمانه بسببيهم للحدث الذي كان منهم .

وحجّ بالناس في هذه السنة محمد بن عبد الله بن داود^(١) .

* * *

ثم دخلت سنة ثمان وثمانين ومئتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من ورود الخبر على السلطان - فيما ذكر - بوقوع الوباء بأذربيجان ، فمات منه خلق كثير إلى أن فقد الناس ما يكفنون به الموتى ، فكفناه في الأكسية واللبد ، ثم صاروا إلى أن لم يجدوا مَنْ يدفن الموتى ، فكانوا يتربكونهم مطروحين في الطرق^(١) .

وفيها دخل أصحاب طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث فارس ، وأخرجوا منها عمال السلطان ، وذلك لاثنتي عشرة بقيت من صفر منها.

وفيها تُوفِّيَ محمد بن أبي الساج الملقب بأفشنين بأذربيجان ، فاجتمع غلمانه وجماعة من أصحابه ، فأمروا عليهم ديوداد بن محمد ، واعتزلهم يوسف بن أبي الساج على الخلاف لهم.

وللليلتين بقيتا من شهر ربيع الآخر ورد كتاب صاحب البريد بالأهواز ، يذكر فيه أن أصحاب طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث صاروا إلى سنبيل يريدون الأهواز .

وفي أول جمادى الأولى دخل عمرو بن الليث عبد الله بن الفتح - الموجَّه كان إلى إسماعيل بن أحمد - بغداد وأشناس غلام إسماعيل بن أحمد . وذكر لي أن إسماعيل بن أحمد خَيَّرَ بين المقام عنده أسيراً وبين توجيهه إلى باب أمير المؤمنين ، فاختار توجيهه فوجَّهه .

وللليلتين خَلَتَا من جمادى الآخرة ، ورد - فيما ذُكر - كتاب صاحب بريد الأهواز منها ، يذكر أن كتاب إسماعيل بن أحمد ورد على طاهر بن محمد بن عمرو يعلمه أن السلطان ولاه سجستان ، وأمره بالخروج إليها ، وأنه خارج إليه إلى فارس ليوقع به ، ثم ينصرف إلى سجستان ، وأن طاهراً خرج لذلك ، وكتب

(١) انظر المنتظم (٤١٦/١٢).

إلى ابن عمّه وكان مقيماً بأرْجَان في عسکره يأمره بالانصراف إليه إلى فارس بمن معه.

وفيها ولّى المعتضد مولاه بدرأً فارس ، وأمره بالشخص إلّي لها لّما بلّغه من تغلّب طاهر بن محمد عليها ، وخلع عليه لتسع خلوّن من جمادى الآخرة ، وضمّ إليه جماعةً من القوّاد ، فشخص في جيش عظيم من الجنود والعلمانيّون .

ولعشر خلُونَ من جمادى الآخرة منها خرج عبد الله بن الفتح وأشناس غلام إسماعيل إلى إسماعيل بن أحمد بن سامان يخلع من المعتصم حملها إليه ، وبينته وثاج وسيف من ذهب مركب على جميع ذلك جوهر ، وبهدايا وثلاثة آلاف ألف درهم ، يفرّقها في جيش من جيوش خراسان ، يوجه إلى سجستان لحرب مَنْ بها من أصحاب طاهر بن محمد بن عمرو .

وقد قيل: إن المال الذي وجّهه إليه المعتصد كان عشرة آلاف درهم ، وجّه ببعض ذلك من بغداد ، وكتب بباقيه على عمّال الجبل ، وأمروا أن يدفعوه إلى الرّسل .

وفي رجب منها وصل بدر مولى المعتصم إلى ما قرب من أرض فارس ،
فتتّحى عنها مَنْ كان بها من أسباب طاهر بن محمد بن عمرو ، فدخلها أصحاب
بدر ، وجبى عماله الخراج بها .

وللليلتين حلّتا من شهر رمضان منها ، ذكر أنّ كتاب عجّ بن حاجّ عامل مكة ورد يذكر فيه أنّبني يعفر أوقعوا برجل كان تغلّب على صناعه ، وذكر أنه علوّي وأنهم هزموه ، فلجأا إلى المدينة وتحصّن بها ، فصاروا إليه فأوقعوا به ، فهزموه أيضاً ، وأسرّوا ابنَاه ، وأفلت هو في نحو خمسين نفساً ، ودخل بنو يعفر صناعه وخطّبوا بها للمنتقض .

وفيها أوقع يوسف بن أبي الساج وهو في نفر يسير بابن أخيه ديوداد بن محمد ، ومعه جيش أبيه محمد بن أبي الساج ، فهرب عسکره ، فبقي ديوداد في جماعة قليلة ، فعرض عليه يوسف المقام معه ، فأبى وأخذ طريق الموصل فوافى بغداد يوم الخميس لسبع بقين من شهر رمضان من هذه السنة ، فكانت الواقعة بينهما بناحية أدربيجان .

ثم دخلت سنة تسع وثمانين ومئتين

وفيها غزا نزار بن محمد عامل الحسن بن علي كورة الصائفة ، ففتح حصوناً كثيرة للرّوم ، وأدخل طرسوس مئة علّج ونِيغاً وستين علّجاً من القواصة والشمامسة وصلباناً كثيرة وأعلاماً لهم ، فوجّهها كورة إلى بغداد ^(١).

ولاثنتي عشرة خلت من ذي الحجّة وردت كتب التجار من الرّوّم وافت في مراكب كثيرة ، وجاء قومٌ منهم على الظّهر إلى ناحية كيسون ، فاستاقوا من المسلمين أكثر من خمسة عشر ألف إنسان؛ ما بين رجل وامرأة وصبيّ ، فمضوا بهم ، وأخذوا فيهم قوماً من أهل الذمة ^(٢).

وفيها قرب أصحاب أبي سعيد الجنابي من البصرة ، واشتدّ جزع أهل البصرة منهم حتى همّوا بالهرب منها والنّقلة عنها ، فمنعهم من ذلك واليهم.

وفي آخر ذي الحجّة منها قُتل وصيف خادم ابن أبي الساج ، فحملت جثته فصلبت بالجانب الشرقي . وقيل إنه مات ولم يقتل ، فلما مات احتُرّ رأسه.

وحجّ بالنّاس فيها هارون بن محمد المكنى أبا بكر ^(٣).

* * *

ثم دخلت سنة تسع وثمانين ومئتين

ذكر الخبر عن الكائن فيها من الأمور

فمن ذلك ما كان من انتشار القرامطة بسواند الكوفة ، فوجّه إليهم شبل غلام أحمد بن محمد الطائي ، وتقدّم إليه في طلبهم ، وأخذَ من ظفر به منهم وحملهم إلى باب السلطان . وظفر برئيس لهم يُعرفَ بابن أبي فوارس ، فوجّه به معهم ، فدعا به المعتضد لثمان بقين من المحرّم ، فسألَه ، ثم أمرَ به فقلعت أضراسه ، ثم خُلع بمدّ إحدى يديه - فيما ذكر - ببكرة ، وعلقَ في الأخرى صخرة ، وترك على حاله تلك من نصف النّهار إلى المغرب ، ثم قُطعت يداه ورجلاه من غد ذلك

(١) انظر المتنظم (٤١٦/١٢).

(٢) انظر المتنظم (٤١٦/١٢).

(٣) انظر المتنظم (٤١٧/١٢).

اليوم ، وضربَت عنقه ، وصَلِبَ مَنْ هنالك من القرامطة^(١) .

ولليلتين خلتَ من شهر ربيع الأول ، أخرجَ مَنْ كانت له دار وحانوت بباب الشماسية عن داره وحانوته ، وقيل لهم : خذوا أقفاصكم وانخرجوه ، وذلك لأنَّ المعتضد كان قد قدر أن يبني لنفسه داراً يسكنها ، فخطَّ موضع السور ، وحفر بعضه ، وابتداً في بناء دَكَّة على دُجلة ، كان المعتضد أمرَ ببنائها لينتقل فيقيم فيها إلى أن يفرُغ من بناء الدار والقصر^(٢) .

وفي ربيع الآخر منها في ليلة الأمير تُوفى المعتضد ، فلما كان في صبيحتها أحضر دار السلطان يوسف بن يعقوب وأبو خازم عبد الحميد بن عبد العزيز وأبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب ، وحضر الصلاة عليه الوزير القاسم بن عبيد الله بن سليمان ، وأبو خازم وأبو عمر والحرام والخاصة ، وكان أوصى أن يُدفن في دار محمد بن عبد الله بن طاهر ، فحفر له فيها ، فحمل من قصره المعروف بالحسني ليلاً ، دُفِنَ في قبره هناك^(٣) .

ولسبع بقين من شهر ربيع الآخر من هذه السنة - وهي سنة تسع وثمانين ومئتين - جلس القاسم بن عبيد الله بن سليمان في دار السلطان في الحسني ، وأذن للناس ، فعرَّوه بالمعتضد ، وهنؤوه بما جدَّ له من أمر المكتفي ، وتقدَّم إلى الكتاب والقواد في تجديد البيعة للمكتفي بالله ، فقبلوا.

* * *

(١) انظر المتنظم (٤٢١/١٢).

(٢) انظر المتنظم (٤٢١/١٢).

(٣) انظر المتنظم (٤٢٢/١٢) وتطرق ابن الجوزي مرة أخرى لوفاته حين ذكره ضمن وفيات الأكابر سنة (٢٨٩ هـ) وقال : وتوفي في يوم الإثنين لشان بقين من ربيع الآخر من هذه السنة وغسله أحمد بن شيبة عند زوال الشمس [المتنظم / ١٣ / ٧] ولترجمته ووفاته انظر تأريخ بغداد (٤٠٣/٤).

خلافة المكتفي با الله^(١)

ولما تُوفيَّ المعتضد كتب القاسم بن عبيد الله بالخبر إلى المكتفي كتاباً ، وأنفذها من ساعته ، وكان المكتفي مقيماً بالرقة ، فلما وصل الخبر إليه أمر الحسين بن عمرو النصراوی كاتبه يومئذ بأخذ البيعة على من في عسكره ، ووضع العطاء لهم ، ففعل ذلك الحسين ، ثم خرج شاخضاً من الرقة إلى بغداد ، ووجه إلى النواحي بديار ربيعة وديار مصر ونواحي المغرب من يضبطها .

وفي يوم الثلاثاء لشمان خلؤن من جمادى الأولى دخل المكتفي إلى داره بالحسنيّ؛ فلما صار إلى منزله ، أمر بهدم المطامير التي كان أبوه اتخذها لأهل الجرائم :

وفي هذا اليوم كتَّ المكتفي بلسانه القاسم بن عبيد الله وخلع عليه .

وفي هذا اليوم مات عمرو بن الليث الصفار ، ودُفن في غد هذا اليوم بالقرب من القصر الحسنيّ ، وقد كان المعتضد - فيما ذكر - عند موته بعد ما امتنع من الكلام أمر صافياً الْحُرَمِيَّ بقتل عمرو بالإيماء والإشارة ، ووضع يده على رقبته وعلى عينيه ، أراد ذبح الأعور فلم يفعل ذلك صافي لعلمه بحال المعتضد وقرب وفاته ، وكراه قتلَ عمرو ، فلما دخل المكتفي بغداد سأله - فيما قيل - القاسم بن عبيد الله عن عمرو: أحيٌ هو؟ قال: نعم ، فسرّ ب حياته . وذكر أنه يريد أن يحسن

(١) وقال ابن الجوزي وكان المعتضد لما اشتدت علته أمر بأخذ البيعة لابنه علي (أبي المكتفي) بالخلافة من بعده فأخذت البيعة بذلك على الناس ببغداد في عشية يوم الجمعة لإحدى عشرة بقية من ربيع الآخر من هذه السنة قبل موت المعتضد بأربعة أيام ثم جددت له البيعة صبيحة الليلة التي مات المعتضد فيها وكان المكتفي بالرقة فلما بلغه الخبر أخذ البيعة على من عنده ثم انحدر إلى بغداد [المتنظم ٣/١٣].

إليه ، وكان عمرو يهدى إلى المكتفي وبيره برأً كثيراً أيام مقامه بالرئيسي فأراد مكافأته ، فذكروا أن القاسم بن عبيد الله كره ذلك ، ودس إلى عمرو من قتله^(١) .

وفي رجب منها ورد الخبر لأربعين منه أن جماعة من أهل الرئيسي كاتبوا محمد بن هارون الذي كان إسماعيل بن أحمد صاحب خراسان استعمله على طبرستان بعد قتله محمد بن زيد العلواني ، فخلع محمد بن هارون وبيض ، فسألوه المصير إلى الرئيسي ليدخلوه إليها؛ وذلك أن أوكر تُمش التركيَّ المولى عليهم كان - فيما ذكر - قد أساء السيرة فيهم ، فحاربه ، فهزمه محمد بن هارون وقتله ، وقتل ابنيه له وقاده من قواد السلطان يقال له: أبرون أخو كيغلغ ، ودخل محمد بن هارون الرئيسي واستولى عليها.

وفي رجب من هذه السنة زلزلت بغداد ، ودامت الزلزلة فيها أياماً وليلياً كثيرة .

* * *

[ذكر الخبر عن مقتل بدر غلام المعتصم]

وفي هذه السنة كان مقتل بدر غلام المعتصم^(٢)

ذكر سبب قتله :

ذكر: أن سبب ذلك كان أن القاسم بن عبيد الله كان هم بتصيير الخلافة من بعد المعتصم في غير ولد المعتصم ، وأنه كان ناظر بدرأ في ذلك ، فامتنع بدر عليه وقال: ما كنت لأصرفها عن ولد مولاي الذي هو ولائي نعمتي . فلما رأى القاسم ذلك وعلم أنه لا سبيل إلى مخالفته بدر؛ إذ كان بدر صاحب جيش المعتصم ، والمستولي على أمره ، والمطاع في خدمه وغلمانه ، اضطغناها على بدر . وحدث بالمعتصم حدث الموت وبدر بفارس ، فعقد القاسم للمكتفي عقد الخلافة ، وبایع له وهو بالرقة ، لما كان بين المكتفي وبين بدر من التباعد في حياة والده .

(١) لوفاة (عمرو بن الليث) انظر المنتظم (١٣/١٣).

(٢) انظر لوفاته المنتظم (٩/١٣).

وكتب القاسم إلى المكتفي لما بايع غلمان أبيه له بالخلافة ، وأخذ عليهم البيعة بما فعل من ذلك ، فقدم بغداد المكتفي وبدر بعد بفارس ، فلما قدمها عمل القاسم في هلاك بدر؛ حذراً على نفسه - فيما ذكر - من بدر أن يقدم على المكتفي ، فيطلعه على ما كان القاسم هم به ، وعزم عليه في حياة المعتضد من صرف الخلافة عن ولد المعتضد إذا مات . فوجّه المكتفي - فيما ذكر - محمد بن كُمسجور وجماعة من القواد برسائل ، وكتب إلى القواد الذين مع بدر يأمرهم بالصير إلى ما قبله ومفارقة بدر وتركه ، فأوصلت الكتب إلى القواد في شرط ، ووجّه إليه يانس خادم الموفق ، ومعه عشرة آلاف ألف درهم ليصرفها في عطاء أصحابه لبيعة المكتفي ، فخرج بها يانس .

فذكر: أنه لما صار بالأهواز ، وجّه إليه بدر مَنْ قَبض المال منه فرجع يانس إلى مدينة السلام؛ فلما وصلت كتب المكتفي إلى القواد المضمومين إلى بدر؛ فارق بدرًا جماعة منهم ، وانصرفوا عنه إلى مدينة السلام؛ منهم العباس بن عمرو الغنوي وخاقان المفلحي و Mohammad bin إسحاق بن كنداح وخفيف الأذكى تكيني وجماعة غيرهم . فلما صاروا إلى مدينة السلام دخلوا على المكتفي ، فخلع - فيما ذكر - على نتف وثلاثين رجلاً منهم ، وأجاز جماعةً من رؤسائهم؛ كلّ رجل منهم بمئة ألف درهم ، وأجاز آخرين بدون ذلك ، وخلع على بعضهم ، ولم يجزه بشيء . وانصرف بدر في رجب؛ عامدًا المصير إلى واسط . واتّصل بالمكتفي إقبال بدر إلى واسط ، فوكل بدار بدر ، وقبض على جماعة من غلمانه وقواده؛ فحبسوا ، منهم نحرير الكبير ، وغريب الجلي ، ومنصور ابن أخت عيسى التوسي . وأدخل المكتفي على نفسه القواد ، وقال لهم: لست أؤمّر عليكم أحداً ، ومنْ كانت له منكم حاجة فليلق الوزير ، فقد تقدّمت إليه بقضاء حوائجكم . وأمر بمحو اسم بدر من التراس والأعلام ، وكان عليها أبو النجم مولى المعتضد بالله ، وكتب بدر إلى المكتفي كتاباً دفعه إلى زيدان السعدي ، وحمله على الجمّازات . فلما وصل الكتاب إلى المكتفي أخذه ، ووكل بزيدان هذا وأشخاص الحسن بن عليّ كوره في جيش إلى ناحية واسط . وذُكر أنه قدّمه المكتفي على مقدمته .

ثم أحدر محمد بن يوسف مع المغرب لليلة بقيت من شعبان من هذه السنة

برسالة إلى بدر ، وكان المكتفي أرسل إلى بدر حين فَصَلَ من عمل فارس يعرض عليه ولاية أي النواحي شاء ؛ إن شاء أصبهان وإن شاء الري ، وإن شاء الجبال ، ويأمره بالمسير إلى حيث أحب من هذه النواحي مع مَنْ أحب من الفرسان والرجال ، يقيم بها معهم والياً عليها . فأبى ذلك بدر ، وقال : لا بدّ لي من المصير إلى باب مولاي .

فوجد القاسم بن عبيد الله مساغاً للقول فيه ، وقال للمكتفي : يا أمير المؤمنين ، قد عرضنا عليه أن نقلّده أي النواحي شاء أن يمضي إليها ، فأبى إلا المعجِي إلى بابك ، وخوفه غائطه ، وحرّض المكتفي على لقائه ومحاربته ، واتصل الخبر بدر أنه قد وُكِلَ بداره ، وحبس غلمانه وأسبابه ، فأيقن بالشرّ ، ووجه مَنْ يحتال في تخلص ابنه هلال وإحداره إليه ، فوقف القاسم بن عبيد الله على ذلك ، فأمر بالحفظ به ، ودعا أبا خازم القاضي على الشرقي وأمره بالمضي إلى بدر وللقائه وتطييب نفسه وإعطائه الأمان من أمير المؤمنين ، على نفسه وما له وولده ، فذُكر أن أبا خازم قال له : أحتاج إلى سماع ذلك من أمير المؤمنين حتى أؤديه إليه عنه ، فقال له : انصرف حتى أستأذن لك في ذلك أمير المؤمنين .

ثم دعا بأبي عمر محمد بن يوسف ، فأمره بمثل الذي أمر به أبا خازم ، فسارع إلى إجابته إلى ما أمره به ، ودفع القاسم بن عبيد الله إلى أبي عمر كتاب أمان عن المكتفي ، فمضى به نحو بدر ، فلما فصل بدر عن واسط ارْفَضَ عنه أصحابه وأكثر غلمانه ؛ مثل عيسى التُّوشري وخَتَّه يانس المستأمن وأحمد بن سمعان ونحرير الصغير ، وصاروا إلى مضرب المكتفي في الأمان . فلما كان بعد مضي ليالٍ من شهر رمضان من هذه السنة ، خرج المكتفي من بغداد إلى مضربه بنهر دِيالي ، وخرج معه جميع جيشه ، فعسكر هنالك ، وخلع على مَنْ صار إلى مضربه من الجماعة الذين سَمِيتُ ، وعلى جماعة من القواد والجناد . ووكل بجماعة منهم ، ثم قيد تسعة منهم ، وأمر بحملهم مقيدين إلى السجن الجديد؛ ولقي - فيما ذكر - أبو عمر محمد بن يوسف بدرًا بالقرب من واسط ، ودفع إليه الأمان وخبره عن المكتفي بما قال له القاسم بن عبيد الله ، فصاعد معه في حَرَّاقَة بدر ، وكان قد سَيَرَه في الجانب الشرقي وغلمانه الذين بُقُوا معه في جماعة من الجناد وخلق كثير من الأكراد وأهل الجبل يسيرون معه بمسيره على شطِّ دِجلة ،

فاستقرَّ الأمر بين بدر وأبي عمر على أن يدخل بدر بغداد ساماً مطيناً ، وعبر بدر دُجْلة ، فصار إلى النعمانية ، وأمر غلمانه وأصحابه الذين بقُوا معه أن يتزعوا سلاحهم ، وألا يحاربوا أحداً ، وأعلمهم ما ورد به عليه أبو عمر من الأمان؛ فبينا هو يسير إذ وفاه محمد بن إسحاق بن كنداج في شدأ ، ومعه جماعة من الغلمان ، فتحول إلى الحرّاقة ، وسأله بدر عن الخبر ، فطَيَّب نفسه ، وقال له قولهً جميلاً ، وهم في كل ذلك يؤمرون به؛ وكان القاسم بن عبيد الله وجّهه ، وقال له: إذا اجتمعت مع بدر ، وصرت معه في موضع واحد؛ فأعلموني . فوجّه إلى القاسم ، وأعلمته؛ فدعا القاسم بن عبيد الله لؤلؤاً أحد غلمان السلطان ، فقال له: قد ندبتك لأمر ، فقال: سمعاً وطاعة؛ فقال له: امض وتسَلِّم بدرًا من ابن كنداجيق ، وجئني برأسه . فمضى في طيّار حتى استقبل بدرًا ومن معه بين سيفبني كوما وبين اضطربيد ، فتحول من الطيّار إلى الحرّاقة ، وقال لبدر: قم ، فقال: وما الخبر؟ قال: لا بأس عليك ، فحوّله إلى طيّاره ، ومضى به حتى صار به إلى جزيرة بالصافية ، فأخرجه إلى الجزيرة ، وخرج معه ، ودعا بسيف كان معه فاستله ، فلما أيقن بدر بالقتل سأله أن يمهله حتى يُصلّي ركعتين ، فأمهله ، فصالاًهما ، ثم قدمه فضرب عنقه ، وذلك في يوم الجمعة قبل الزوال لست خلون من شهر رمضان ، ثم أخذ رأسه ورجع إلى طيّاره؛ وأقبل راجعاً إلى معسكر المكتفي بنهر دِيالي ورأس بدر معه ، وترك جثته مكانها ، فبقيت هنالك . ثم وجّه عياله من أخذ جثته سراً ، فجعلها في تابوت ، وأنهفوها عندهم ، فلما كان أيام الموسم حملوها إلى مكة ، فدفنوها بها . فيما قيل - وكان أوصى بذلك ، وأعتقد قبل أن يقتل مماليكه كلّهم ، وسلم السلطان ضياع بدر ومستغلاقه ودوره وجميع ماله بعد قتله . وورد الخبر على المكتفي بما كان من قتل بدر ، لسبعين خلون من شهر رمضان من هذه السنة ، فرحل منصرفاً إلى مدينة السلام ، ورحل معه مَنْ كان معه من الجندي ، وجيء برأس بدر إليه ، فوصل إليه قبل ارتحاله من موضع معسكره ، فأمر به فنَفَفَ ، ورُفع في الخزانة ، ورجع أبو عمر القاضي إلى داره يوم الإثنين كثييراً حزيناً ، لما كان منه في ذلك ، وتكلّم الناس فيه ، وقالوا: هو كان السبب في قتل بدر ، وقالوا فيه أشعاراً ، فمما قيل فيه منها:

بِسْمِ الْحَلَّةِ أَخْذَ رَأْسَ الْأَمِيرِ
قُلْ لِقَاضِي مَدِينَةِ الْمُنْصُورِ
لَدَّ وَعْدِ الْأَيْمَانِ فِي مَنْشُورِ
بَعْدَ إِعْطَائِهِ الْمَوَاثِيقَ وَالْعَهْدِ

أَيْنَ أَيْمَانُكَ التِّي شَهَدَ اللَّهَ
أَنَّ كَفِيَّكَ لَا تَفْسِارِقَ كَفِيَّ
يَا قَلِيلَ الْحَيَاءِ يَا أَكْذَبَ الْأَ
لِيْسَ هَذَا فِعْلَ الْقَضَاءِ وَلَا يُحَدِّ
أَيْ أَمْرٍ رَّكِيْتَ فِي الْجُمُعَةِ الْزَّهْرَ
قَدْ مَضَى مِنْ قُتْلَتَ فِي رَمَضَانَ
يَا بْنَيْ يُوسْفَ بْنَ يَعْقُوبَ أَصْحَى
بَسْدَدَ اللَّهُ شَمْلَكَمْ وَأَرَانِي
فَأَعِدَّ الْجَوَابَ لِلْحَكْمِ الْعَالَمِ
أَنْتُمْ كُلُّكُمْ فِدَا لِأَبَيِّ خَا^١
وَلِسَعْ خَلْوَنْ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ ، حُمِّلَ زِيدَانُ السَّعِيدِيُّ الَّذِي كَانَ قُدْمَ رَسُولًا
مِنْ قَبْلِ بَدْرٍ إِلَى الْمَكْتَفِي مَعَ التَّسْعَةِ الْأَنْفُسِ الَّذِينَ قُيْدُوا مِنْ قَوَادِ بَدْرٍ ، وَسَبْعَةٌ
أَنْفُسٌ أَخْرَى مِنْ أَصْحَابِ بَدْرٍ قُبِضُوا عَلَيْهِمْ بَعْدَهُمْ فِي سَفِينَةٍ مَطْبَقَةٍ عَلَيْهِمْ ، وَأَحْدَرُوا
مَقْيَدِينَ إِلَى الْبَصَرَةَ ، فَحُبْسُوا فِي سَجْنِهَا .

وَذَكْرُ : أَنَّ لَؤْلَؤًا الَّذِي وَلِيَ قُتْلَ بَدْرٍ كَانَ غَلَامًا مِنْ غَلْمَانَ مُحَمَّدَ بْنَ هَارُونَ
الَّذِي قُتْلَ مُحَمَّدَ بْنَ زِيدَ بَطَّبِرِسْتَانَ وَأَكْرَتْمُشَ بِالرَّيِّ ، قَدَمَ مَعَ جَمَاعَةَ مِنْ غَلْمَانَ
مُحَمَّدَ بْنَ هَارُونَ عَلَى السُّلْطَانِ فِي الْأَمَانِ .

وَفِي لَيْلَةِ الْإِثْنَيْنِ لِأَرْبَعِ عَشْرَةِ بَقِيَّتْ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ ، مِنْهَا قُتْلَ عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنَ
أَبِي أَحْمَدِ الْمَوْفَقِ - فِيمَا ذَكَرَ - وَكَانَتْ وَالدَّتَهُ - فِيمَا قِيلَ - وَجَهَتْ مَعَهُ إِلَى دَارِ
مَؤْنَسٍ لَمَا قُبِضَ عَلَيْهِ دَاهِيَّةً لَهُ ، فَفَرِقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الدَّاهِيَّةِ فَمَكَثَتْ يَوْمَيْنَ أَوْ ثَلَاثَةَ ، ثُمَّ
صُرِفَتْ إِلَى مَنْزِلِ مَوْلَاتِهَا ، فَكَانَتْ وَالدَّةُ عَبْدُ الْوَاحِدِ إِذَا سُأْلَتْ عَنْ خَبْرِهِ قِيلَ لَهَا :
إِنَّهُ فِي دَارِ الْمَكْتَفِي ؛ وَهُوَ فِي عَافِيَّةٍ . وَكَانَتْ طَامِعَةً فِي حَيَاتِهِ ، فَلَمَّا مَاتَ الْمَكْتَفِي
أَيْسَتْ مِنْهُ وَأَقَامَتْ عَلَيْهِ مَأْتِمًا .

* * *

ذَكْرُ بَاقِيِّ الْكَائِنِ مِنَ الْأَمْوَارِ الْجَلِيلَةِ فِي سَنَةِ تَسْعَ وَثَمَانِينَ وَمَئَيْنِ .
فَمَمَّا كَانَ مِنْ ذَلِكَ فِيهَا لَتَسْعَ بَقِينَ مِنْ شَعْبَانَ مِنْهَا ، وَرَدَ كِتَابٌ مِنْ

ذكر خبر هذا الرجل الذي ظهر بالشام

إسماعيل بن أحمد صاحب خُراسان على السلطان بخبر وقعة كانت بين أصحابه وبين ابن جُستان الديلمي بطبرستان ، وأن أصحابه هزموه ، وقرئ بذلك كتابه بمسجدي الجامع ببغداد.

وفيها لحق رجل يقال له إسحاق الفرغاني من أصحاب بدر لما قُتل بدر إلى ناحية الباذية في جماعة من أصحابه على الخلاف على السلطان؛ فكانت بينه هنالك وبين أبي الأغر وقعة ، هُزم فيها أبو الأغر ، وقتل من أصحابه ومن قواده عدّة ، ثم أشخاص مؤنس الخازن في جمع كثيف إلى الكوفة لحرب إسحاق الفرغاني.

ولسلخ ذي القعدة خُلع على خاقان المفلحي ، وُؤلِيَ معونة الرئيسي ، وضم إليه خمسة آلاف رجل.

وفيها ظهر بالشام رجل جمع جموعاً كثيرة من الأعراب وغيرهم ، فأتى بهم دمشق ، وبها طُفْج بن جُفت من قِيل هارون بن خمارويه بن أحمد بن طولون على المعونة ، وذلك في آخر هذه السنة ، فكانت بين طُفْج ، وبينه وقعت كثيرة قُتل فيها - فيما ذكر - خلق كثير.

* * *

ذكر خبر هذا الرجل

الذي ظهر بالشام وما كان من سبب ظهوره بها^(١)

ذكر: أن زكرويَّه بن مهرويَّه الذي ذكرنا أنه كان داعية قرمط لما تتابع من المعتقد توجيه الجيوش إلى من بساد الكوفة من القرامطة ، وألح في طلبهم ، وأثخن فيهم القتل ، ورأى أنه لا مدفع عن أنفسهم عند أهل السواد ولا غناء ، سعى في استغواه من قُرب من الكوفة من أعراب أسد وطَيَّه وتميم وغيرهم من

(١) لقد ذكر الطبرى هنا خبراً طويلاً وتفاصيل دقيقة بينما ذكر ابن الجوزي خبراً عاماً عن خروج القرامطة في هذه السنة دون ذكر لاسم قائدتهم [المتنظم ٦/١٣] وكذلك فعل (في البداية والنهاية) ابن كثير [٢٦٩/٨] إلا أن ابن الجوزي ذكر اسم قائد القرامطة فيما بعد ضمن أحداث سنة (٢٩٠ هـ).

قبائل الأعراب ، ودعاهم إلى رأيه؛ وزعم لهم: أنَّ مَنْ بالسود من القرامطة يطأقونهم على أمره إن استجابوا له ، فلم يستجيبوا له ، وكانت جماعة من كلب تixer الطريق على البر بالسماوة فيما بين الكوفة ودمشق على طريق تدمر وغيرها ، وتحمل الرُّسل وأمتعة التجار على إبلها ، فأرسل زكرويه أولاده إليهم ، فباعوهم وخالطوهم ، وانتموا إلى علي بن أبي طالب وإلى محمد بن إسماعيل بن جعفر ، وذروا أنهم خائفون من السلطان ، وأنهم ملجمون إليهم ، فقبلوهم على ذلك ، ثم دبوا فيهم بالدعاء إلى رأي القرامطة؛ فلم يقبل ذلك أحد منهم - أعني من الكلبيين - إلا الفخذ المعروفة ببني العُليص بن ضمضم بن عدي بن جناب ومواليهم خاصة ، فباعوا في آخر سنة تسع وثمانين ومئتين بناحية السماوة ابنَ زكرويه المسمى بيحبي والمكتنى أبا القاسم ، ولقبوه الشيخ ، على أمر احتاله فيهم ، ولقب به نفسه ، وزعم لهم: أنه أبو عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد.

وقد قيل: إنه زعم أنه محمد بن عبد الله بن يحيى ، وقيل: إنه زعم أنه محمد بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، وقيل: إنه لم يكن لمحمد بن إسماعيل ابن يسمى عبد الله ، وزعم لهم أن أباه المعروف بأبي محمود داعية له ، وأن له بالسود والمشرق والمغرب مئة ألف تابع ، وأن ناقته التي يركبها مأمورة ، وأنهم إذا اتبعوها في مسيرها ظفروا ، وتكهن لهم وأظهر عضداً له ناقصة ، وذكر أنها آية ، وانحازت إليه جماعة من بني الأصيغ وأخلصوا له وتسمو بالفاطميين ، ودانوا بدينه ، فقصدتهم سبُك الديلمي مولى المعتصم بالله بناحية الرُّصافة في غربِ الفرات من ديار مُضر ، فاغتربوا وقتلوا ، وحرقوا مسجد الرُّصافة ، واعتراضوا كل قرية اجتازوا بها حتى أصعدوا إلى أعمال الشام التي كان هارون بن خمارويه قوطع عليها ، وأسند أمرها هارون إلى طُفج بن جُفت ، فأنانخ عليها ، وهزم كل عسكر لقيه طُفج حتى حصره في مدينة دمشق ، فأنفذ المصريون إليه بدرأ الكبير غلام ابن طولون ، فاجتمع مع طُفج على محاربته ، فوقعهم قريباً من دمشق ، فقتل الله عدوَ الله يحيى بن زكرويه .

وكان سبب قتله - فيما ذكر -: أن بعض البرابرة زرقه بمزرق واتبعه نفاط ،

ففرقه بالنار فأحرقه؛ وذلك في كبد الحرب وشدتّها ، ثم دارت على المصريين الحرب ، فانحازوا ، فاجتمعت موالىبني العليص إلىبني العليص ومن معهم من الأصبغيين وغيرهم على نصب الحسين بن زكرويه أخي الملقب بالشيخ فنصبوا أخاه ، وزعم لهم: أنه أحمد بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد ، وهو ابن نيق وعشرين سنة ، وقد كان الملقب بالشيخ حمل موالىبني العليص على صريحهم ، فقتلوا جماعة منهم ، واستذلوهم ، فباعوا الحسين بن زكرويه المسمى بأحمد بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بعد أخيه ، فأظهر شامة في وجهه ذكر أنها آيته ، وطرأ إليه ابن عمّه عيسى بن مهرويه المسمى عبد الله ، وزعم: أنه عبد الله بن أحمد بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد ، فلقبه المدثر ، وعهد إليه ، وذكر أنه المعنّي في السورة التي يذكر فيها المدثر ولقب غلاماً من أهله المطرّق وقلده قتل أسرى المسلمين ، وظهر على المصريين وعلى جند حمص وغيرها من أهل الشأم ، وتسمى بإمرة المؤمنين على منابرها ، وكان ذلك كله في سنة تسع وثمانين وفي سنة تسعين.

* * *

وفي اليوم التاسع من ذي الحجة من هذه السنة صلّى الناس العصر في قُمُص الصيف ببغداد ، فهبت ريح الشمال عند العصر ، فبرد الهواء حتى احتاج الناس بها من شدة البرد إلى الوقود والاصطلاء بالنار ، وليس المحشو والجباب ، وجعل البرد يزداد حتى جمد الماء^(١).

وفيها كانت وقعة بين إسماعيل بن أحمد بالري ومحمد بن هارون وابن هارون - فيما قيل - حينئذ في نحو من ثمانية آلاف ، فانهزم محمد بن هارون وتقدم أصحابه ، وتبعه من أصحابه نحو من ألف ، ومضوا نحو الديلم ، فدخلها مستجيرأ بها ، ودخل إسماعيل بن أحمد الري ، وصار زهاء ألف رجل - فيما ذكر - ممن انهزم من أصحابه إلى باب السلطان.

وفي جمادى الآخرة منها لأربع خلون منها ولـي القاسم بن سيماء غزو الصائفة بالشغور الجزّرية ، وأطلق له من المال اثنان وثلاثون ألف دينار.

(١) انظر المتنظم (٦/١٣).

وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ الْفَضْلُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْهَاشِمِيِّ^(١).

* * *

ثم دخلت سنة تسعين ومئتين

ذكر الخبر عن الأحداث التي كانت فيها

فمما كان فيها من ذلك توجيه المكتفي رسولًا إلى إسماعيل بن أحمد لليلتين خلتا من المحرم منها بخلع ، وعقد ولاية له على الرّي ، وبهدايا مع عبد الله بن الفتح .

ولخمس بقين من المحرم منها ورد - فيما ذكر - كتاب عليّ بن عيسى من الرّقة ، يذكر فيه أن القرمطيّ بن زكرويه المعروف بالشيخ ، وافق الرّقة في جمّع كثير ، فخرج إليه جماعة من أصحاب السلطان ورئيسهم سُبُك غلام المكتفي ، فرافقوه ، فُقتل سُبُك ، وانهزم أصحاب السلطان^(٢) .

ولست خلؤن من شهر ربيع الآخر ورد الخبر بأن طفج بن جفت أخرج من دمشق جيشاً إلى القرمطيّ ، عليهم غلام له يقال له: بشير ، فواقعهم القرمطيّ ، فهزم الجيش وقتل بشيراً^(٣) .

ولثلاث عشرة بقيت من شهر ربيع الآخر خلع على أبي الأغر ووجه به لحرب القرمطيّ بناحية الشام ، فمضى إلى حلب في عشرة آلاف رجل .

ولإحدى عشرة بقيت من شهر ربيع الآخر خلع على أبي العشائر أحمد بن نصر ووليّ طرسوس ، وعزل عنها مظفر بن حاج لشكایة أهل الشغور إياه .

وللنصف من جمادى الأولى من هذه السنة ، وردت كتب التجار إلى بغداد من دمشق مؤرّخة لسبعين من ربيع الآخر يخبرون فيها أن القرمطيّ الملقب بالشيخ قد هزم طفج غير مرة ، وقتل أصحابه إلا القليل ، وأنه قد بقي في قلة ، وامتنع من الخروج ، وإنما تجتمع العامة ، ثم تخرج للقتال ، وأنهم قد أشرفوا على

(١) انظر المنتظم (٧/١٣).

(٢) انظر المنتظم (١٤/١٣).

(٣) انظر المنتظم (١٤/١٣).

ثم دخلت سنة تسعين ومتئين

الهلكة ، فاجتمعت جماعة من تجار بغداد في هذا اليوم ، فمضوا إلى يوسف بن يعقوب ، فأقرؤوه كتبهم ، وسألوه المضي إلى الوزير ليخبره خبر أهل دمشق ، فوعدهم ذلك .

ولسبع بقين من جمادى الأولى أحضر دار السلطان أبو خازم ويوسف وابنه محمد ، وأحضر صاحب طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث ، فقطع على مال فارس ، ثم عقد المكتفي لطاهر على أعمال فارس ، وخلع على صاحبه ، وحُمِّلت إليه خلع مع العقد .

وفي جُمادى الأولى هرب من مدينة السلام القائد المستأمين المعروف بأبي سعيد الخوارزمي ، وأخذ نحو طريق الموصل ، فكتب إلى عبد الله المعروف بغلام نون ، وكان يتقلد المعاون بتكريت والأعمال المتصلة بها إلى حد سامراً وإلى الموصل في معارضته وأخذه ، فزعموا أن عبد الله عارضه ، فاختدعه أبو سعيد حتى اجتمعوا جميعاً على غير حرب ، ففتكت به أبو سعيد فقتله ، ومضى أبو سعيد نحو شهرزور ، فاجتمع هو وابن أبي الربيع الگردي ، وصاهره ، واجتمعوا على عصيان السلطان ، ثم إن أبو سعيد قُتل بعد ذلك ، وتفرق منْ كان اجتمع إليه .

ولعشرين من جُمادى الآخرة ، شخص أبو العشار إلى عمله بطرسوس ، وخرج معه جماعة من المطوعة للغزو ، ومعه هدايا من المكتفي إلى ملك الروم .

ولعشرين من جمادى الآخرة خرج المكتفي بعد العصر عامداً سامراً ، مریداً البناء بها للانتقال إليها ، فدخلها يوم الخميس لخمس بقين من جمادى الآخرة ، ثم انصرف إلى مضارب قد ضربت له بالجوسوق ، فدعى القاسم بن عبيد الله والقوم بالبناء ، فقدروا له البناء وما يحتاج إليه من المال للنفقة عليه ، فكثروا عليه في ذلك ، وطَلَّوا مدة الفراغ مما أراد بناءه ، وجعل القاسم يصرفه عن رأيه في ذلك ، ويعظم أمر النفقة في ذلك وقدر مبلغ المال ، فشناه عن عزمه ، ودعا بالغداء ، فتغدى ثم نام ، فلما هب من نومه ركب إلى الشطّ ، وقعد في الطيارة ، وأمر القاسم بن عبيد الله بالانحدار . ورجع أكثر الناس من الطريق قبل أن يصلوا

إلى سامراً حين تلقاهم الناس راجعين^(١).

ولسبع خلوٌ من رجب خُلُج على ابني القاسم بن عبيد الله ، فوْلَيَ الأَكْبَرْ منها ضياع الولد والحرم والنفقات ، والأصغر منها كتبة أبي أحمد بن المكتفي ؛ وكانت هذه الأعمال إلى الحسين بن عمرو النصراني ، فعُرِّلَ بهما ، وكان القاسم بن عبيد الله أَتَّهُم الحسين بن عمرو أنه قد سعى به إلى المكتفي.

ثم إن الحسين بن عمرو كاشفَ القاسم بن عبيد الله بحضورة المكتفي ، فلم يزل القاسم يدبّر عليه ، ويغلظ قلب المكتفي عليه ، حتى وصل إلى ما أراد من أمره.

وفي يوم الجمعة لأربع عشرة بقيت من شعبان قرئ كتابان في الجامعين بمدينة السلام بقتل يحيى بن زكرويه الملقب بالشيخ ، قتله المصريون على باب دمشق ؛ وقد كانت الحرب اتصلت بينه وبين مَنْ حاربه من أهل دمشق وجندها ومددهم من أهل مصر ، وكسر لهم جيوشاً ، وقتل منهم خلقاً كثيراً ، وكان يحيى بن زكرويه هذا يركب جملًا برحاله ، ويلبس ثياباً واسعة ويعتم عمّة أغراوية ، ويتشمّ ، ولم يركب دابةً من لدن ظهر إلى أن قُتِلَ وأمر أصحابه إلا يحاربو أحداً ، وإن أتى عليهم حتى يبتعد الجمل من قبل نفسه ؛ وقال لهم : إذا فعلتم ذلك لم تهزموا^(٢).

وذُكر أنه كان إذا أشار بيده إلى ناحية من التواحي التي فيها محاربوه ، انهزم أهل تلك الناحية ، فاستغوا بذلك الأعراب ، ولما كان في اليوم الذي قُتِلَ فيه يحيى بن زكرويه الملقب بالشيخ ، وانحازوا إلى أخيه الحسين بن زكرويه ، فطلب أخيه الشيخ في القتلى ، فوجده ، فواراه وعقد الحسين بن زكرويه لنفسه ، وتسمى بأحمد بن عبد الله ، وتكنى بأبي العباس.

وعلم أصحابُ بدر بعد ذلك بقتل الشيخ ، فطلبوه في القتلى فلم يجدوه ، ودعا الحسين بن زكرويه إلى مثل ما دعا إليه أخوه ، فأجابه أكثر أهل البوادي وغيرهم من سائر الناس ، واشتَدَّ شوكته وظهر ، وصار إلى دمشق ، فذُكر أن

(١) انظر المنتظم (١٤/١٣).

(٢) انظر المنتظم (١٥/١٣) فقد ذكر الخبر مختصرًا.

أهلها صالحوه على خراج دفعوه إليه ، ثم انصرف عنهم ، ثم سار إلى أطراف حِمْص ، فتغلب ، عليها وخطب له على منابرها ، وتسمى بالمهدي ، ثم سار إلى مدينة حِمْص ، فأطاعه أهلها وفتحوا له بابها خوفاً منه على أنفسهم فدخلها ، ثم سار منها إلى حَمَة ومرة النعمان وغيرهما ، فقتل أهلها ، وقتل النساء والأطفال ثم سار إلى بعلبك فقتل عامة أهلها حتى لم يبق منهم - فيما قيل - إلا اليسيير ، ثم سار إلى سَلْمِيَّة فحاربه أهلها ومنعوه الدخول ، ثم وادعهم وأعطاهم الأمان ، ففتحوا له بابها ، فبدأ بمَن فيها من بنى هاشم ، وكان بها منهم جماعة فقتلهم ، ثم ثنى بأهل سَلْمِيَّة فقتلهم أجمعين . ثم قتل البهائم ، ثم قتل صبيان الكتاتيب ، ثم خرج منها؛ وليس بها عين تطرف - فيما قيل - وسار فيما حوالى ذلك من القرى يقتل ويُسْبِي ويحرق ويُخيف السبيل .

فذكر عن متطلب بباب المحول يُدعى أبا الحسن أنه قال : جاءتني امرأة بعدما دخل القرمطي صاحب الشامة وأصحابه بغداد ، فقالت لي : إني أريد أن تعالج شيئاً في كفي ، قلت : وما هو؟ قالت : جرح ، قلت : أنا كحال؛ وهو هنا امرأة تعالج النساء ، و تعالج الجراحات ، فانتظري مجئها ، فقعدت ، ورأيتها مكروبة كثيبة باكية ، فسألتها عن حالها ، وقلت : ما سبب جراحتك؟ فقالت : قضتني تطول ، فقلت : حدثيني بها واصدقيني وقد خلا منْ كان عندي ، فقالت : كان لي ابن غاب عنِّي ، وطالت غيبته ، وخلف علىي أخوات له ، فضيقْتُ واحتاجت ، واشتقتُ إليه ، وكان شخص إلى ناحية الرقة ، فخرجت إلى الموصل وإلى بلد وإلى الرقة؛ كل ذلك أطلبه ، وأسائل عنه؛ فلم أدلّ عليه ، فخرجت عن الرقة في طلبه ، فوقيعت في عسكر القرمطي ، فجعلت أطوف وأطلبه؛ فيينا أنا كذلك إذ رأيته فتعلقت به ، فقلت : ابني! فقال : أمي! قلت : نعم ، قال : ما فعل أخواتي؟ قلت : بخير ، وشكوت ما نالنا بعده من الصِّيق ، فمضى بي إلى منزله ، وجلس بين يديّ ، وجعل يسائلني عن أخبارنا ، فخبرته ، ثم قال : دعوني من هذا وأخبريني ما دينك؟ فقلت : يا بنى أما تعرفني! فقال : وكيف لا أعرفك! فقلت : ولم تسألني عن ديني وأنت تعرفي وتعرف ديني! فقال : كل ما كنَا فيه باطل ، والذين ما نحن فيه الآن ، فأعظمت ذلك وعجبت منه ، فلما رأى كذلك خرج وتركني ، ثم وجه إلى بخز ولحم وما يصلحني ، وقال : اطبخيه ، فتركته ولم

أمسه ، ثم عاد فطبيخه ، وأصلح أمر منزله ، فدقّ الباب داقّ ؛ فخرج إليه فإذا رجل يسأله ، ويقول له : هذه القادمة عليك تُحسن أن تصلح من أمر النساء شيئاً؟ فسألني فقالت : نعم ، فقال : أمضي معك ، فمضيت فأدخلني داراً ، وإذا امرأة تطلق ، فقعدت بين يديها ، وجعلت أكلّمها ، فلا تكلّمني ، فقال لي الرجل الذي جاء بي إليها : ما عليك من كلامها ، أصلحي أمر هذه ، ودعني كلامها ، فأقمت حتى ولدت غلاماً ، وأصلحت من شأنه ، وجعلت أكلّمها ، وأنطلقت بها وأقول لها : يا هذه ، لا تحشمي ؛ فقد وجب حقي عليك ، أخبريني خبرك وقصتك ومن والد هذا الصبي ، فقالت : تسأليني عن أبيه لطالبيه بشيء يهبه لك ! فقلت : لا ، ولكن أحب أن أعلم خبرك ، فقالت لي : إني امرأة هاشمية - ورفعت رأسها ؛ فرأيت أحسن الناس وجهاً - وإن هؤلاء القوم أثونا ، فذبحوا أبي وأمي وإخوتي وأهلي جميعاً ، ثم أخذني رئيسهم ، فأقمت عنده خمسة أيام ، ثم أخرجنني ، فدفعوني إلى أصحابه ، فقال : طهرواها فأرادوا قتلي ، فبكى ، وكان بين يديه رجل من قواده ، فقال : هبها لي ، فقال : خذها ، فأخذني ، وكان بحضرته ثلاثة أنفس قيام من أصحابه ، فسلوا سيفهم ، وقالوا : لا نسلمها إليك ؛ إما أن تدفعها إلينا ، وإلا قتلناها ، وأرادوا قتلي ، وضجوا ، فدعاهم رئيسهم القرمطي ، وسائلهم عن خبرهم فخبروه ، فقال : تكون لكم أربعتكم ، فأخذوني ، فأنا مقيمة معهم أربعتهم ، والله ما أدرى ممّن هو هذا الولد منهم !

قالت : فجاء بعد المساء رجل فقالت لي : هنّيه ، فهناكه بالمولود ، فأعطاني سبيكة فضة ، وجاء آخر وآخر ، أهنى كلّ واحد منهم ، فيعطيوني سبيكة فضة ؛ فلما كان في السحر جاء جماعة مع زجل وبين يديه شمع ، وعليه ثياب خرّ تفوح منه رائحة المسك ، فقالت لي : هنّيه ، فقمت إليه ، فقالت : بيض الله وجهك ، والحمد لله الذي رزقك هذا الابن ، ودعوت له ، فأعطاني سبيكة فيها ألف درهم ، وبات الرجل في بيت ، وبت مع المرأة في بيت ، فلما أصبحت قلت للمرأة : يا هذه ، قد وجب عليك حقي ، فالله الله في ، خلصيني ! قالت : ممّ أخلصك ؟ فخبرتها خبر ابني ، وقلت لها : إني جئت راغبة إليه ، وإن قال لي كيت وكيت ، وليس في يدي منه شيء ،ولي بنات ضعاف خلفتهنّ بأسوأ حال ، فخلّصيني من هاهنا لأصل إلى بنتي ، فقالت : عليك بالرجل الذي جاء آخر

ال القوم ، فسليه ذلك ، فإنه يخلصك ، فأقمت يومي إلى أن أمسيت ؛ فلما جاء تقدّمت إليه ، وقبّلت يده ورجله ، وقلت : يا سيدِي قد وجب حقي عليك ، وقد أغناني الله على يديك بما أعطيتني ، ولِي بنات ضعاف فقراء ، فإن أذنت لي أن أمضي فأجيئك ببناتي حتى يخدمتك ويُكَفِّرَ بين يديك ! فقال : وتفعلين ؟ قلت : نعم ، فدعا قوماً من غلمانه ، فقال : امضوا معها حتى تبلغوا بها موضع كذا وكذا ، ثم اترکوها وارجعوا ، فحملوني على دابة ، ومضوا بي ، قالت : بينما نحن نسير ، وإذا أنا بابني يركض ، وقد كنا سرنا عشرة فراسخ - فيما خبرني به القوم الذين معى - فلتحقني وقال : يا فاعلة ، زعمت أنك تمضين وتجيئين ببناتك ! وسل سيفه ليضربني ، فمنعه القوم ، فلتحقني طرف السيف ، فوقع في كتفي ، وسل القوم سيوفهم ، فأرادوه ، فتنحى عنِّي ، وساروا بي حتى بلغوا بي الموضع الذي سماه لهم أصحابهم ، فتركوني ومضوا ، فتقدّمت إلى هاهنا وقد طفت لعلاج جرجي ، فوُصف لي هذا الموضع ، فجئت إلى هاهنا ، قالت : ولما قدم أمير المؤمنين بالقرمطي وبالأسارى من أصحابه خرجت لأنظر إليهم ؛ فرأيت ابني فيهم على جمل ؛ عليه برسن وهو يبكي وهو فتى شاب ، فقلت له : لا خفف الله عنك ولا خلّصك ! قال المتتبّب : فقمت معها إلى المتتبّبة لما جاءت ، وأوصيّتها بها ، فعالجت جرحها وأعطيتها مَرْهَماً ، فسألت المتتبّبة عنها بعد منصرفها ، فقالت : قد وضعت يدي على الجرح ، وقلت : انفخي ، ففخت فخرجت الريح من الجرح من تحت يدي ، وما أراها تبراً منه ، ومضت فلم تعد إلينا .

ولإحدى عشرة بقيت من شوال من هذه السنة ، قبض القاسم بن عبيد الله على الحسين بن عمرو النصراني ، وحبسه ، وذلك أنه لم يزل يسعى في أمره إلى المكتفي ، ويقبح فيه عنده ؛ حتى أمره بالقبض عليه ، وهرب كاتب الحسين بن عمرو حين قبض على الحسين المعروف بالشيرازي ، فطلّب وكُبِّست منازل جيرانه ، ونُودي : مَنْ وجده فله كذا وكذا ، فلم يوجد .

ولسبع بقين منه صُرِفَ الحسين بن عمرو إلى منزله ، على أن يخرج من بغداد ، وفي الجمعة التي بعدها خرج الحسين بن عمرو وحُدِّر إلى ناحية واسط على وجه النفي ، ووُجِدَ الشيرازي كاتبه لثلاث خلون من ذي القعدة .

وللليلتين خلتا من شهر رمضان من هذه السنة أمر المكتفي بإعطاء الجندي أرزاقهم والتأهّب للشخصوص لحرب القرمطي بناحية الشأم ، فأطلق للجندي في دفعة واحدة مئة ألف دينار ؛ وذلك أنّ أهل مصر كتبوا إلى المكتفي يشكّون ما لقوه من ابن زكرويه المعروف بصاحب الشامة ، وأنه قد أخرب البلاد ، وقتل الناس ، وما لقوه من أخيه قبله وقتلهما رجالهم ، وأنه لم يبق منهم إلا العدد اليسير^(١) . ولخمس خلؤن من شهر رمضان أخرّجت مضارب المكتفي ، فضُربت بباب الشماسيّة.

ولسبعين خلؤن منه خرج المكتفي في السّحر إلى مضربه بباب الشماسيّة ، ومعه قواده وغلمانه وجيوشه.

ولا شتني عشرة ليلة من شهر رمضان ، رحل المكتفي من مضربه بباب الشماسيّة في السّحر ، وسلك طريق الموصل.

وللنصف من شهر رمضان منها مضى أبو الأغر إلى حلب ، فنزل وادي بُطنان قريباً من حلب ، ونزل معه جميع أصحابه ، فنزع - فيما ذُكر - جماعة من أصحابه ثيابهم ، ودخلوا الوادي يتبرّدون بمائه ، وكان يوماً شديداً الحرّ ؛ فيبيناهم كذلك إذ وافى جيش القرمطي المعروف بصاحب الشامة ، وقد بدرهم المعروف بالمطوق ، فكبّسهم على تلك الحال ، فقتل منهم خلقاً كثيراً وانهش العسكرية ، وأفلت أبو الأغر في جماعة من أصحابه ، فدخل حلب ، وأفلت معه مقدار ألف رجل ، وكان في عشرة آلاف بين فارس وراجل ، وكان قد ضُمّ إليه جماعة ممّن كان على باب السلطان من قوّاد الفراغنة ورجالهم ، فلم يفلت منهم إلا اليسير ، ثم صار أصحاب القرمطي إلى باب حلب ، فحاربهم أبو الأغر ومن بقي معه من أصحابه وأهل البلد ، فانصرفوا عنه بما أخذوا من عسكره من الكُراع والسلاح والأموال والأمتّة بعد حرب كانت بينهم ، ومضى المكتفي بمَنْ معه من الجيش حتى انتهى إلى الرقة ، فنزلها وسرّح الجيوش إلى القرمطي جيشاً بعد جيش.

وللليلتين خلتا من شوال ورد مدينة السلام كتابٌ من القاسم بن عبيد الله ، يخبر فيه أن كتاباً ورد عليه من دمشق من بدر الحمامي صاحب ابن طولون ، يخبر

(١) انظر المتنظم (١٣/١٥).

فيه أنه واقع القرمطي صاحب الشامة ، فهزمه ووضع في أصحابه السيف ، ومضى منْ أفلت منهم نحو البدية ، وأنَّ أمير المؤمنين وجه في أثره الحسين بن حمدان بن حمدون وغيره من القواد.

وورد أيضاً في هذه الأيام - فيما ذكر - كتاب من البحرين من أميرها ابن بانوا ، يذكر فيه أنه كبس حصناً لقراطمة ، فظفر بهن فيه.

ولل三天 عشرة خلت من ذي القعدة منها - فيما ذكر - ورد كتاب آخر من ابن بانوا من البحرين ، يذكر فيه أنه واقع قرابة لأبي سعيد الجنابي ، وولي عهده من بعده على أهل طاعته ، فهزمه ، وكان مقام هذا المهزوم بالقطيف فوجد بعدما انهزم أصحابه قليلاً بين القتلى ، فاحتقر رأسه ، وأنه دخل القطيف فافتتحها.

ومن كتب صاحب الشامة إلى بعض عماله :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من عبد الله أحمد بن عبد الله المهدي المنصور بالله الناصر للدين الله القائم بأمر الله الحاكم بحكم الله ، الداعي إلى كتاب الله ، الذائب عن حرم الله ، المختار من ولد رسول الله أمير المؤمنين وإمام المسلمين ، ومذلة المنافقين خليفة الله على العالمين ، وحاصلد الظالمين ، وقادصي المعتمدين ، ومبيد الملحدين ، وقاتل القاسطين ، ومهلك المفسدين ، وسراج المبصرين ، وضياء المستضيئين ، ومشتت المخالفين ، والقييم بسنة سيد المرسلين ، وولد خير الوصيئين ، صلى الله عليه وعلى أهل بيته الطيبين ، وسلم كثيراً ، إلى جعفر بن حميد الكردي :

سلام عليك ؟ فإني أحمدُ إليك الله الذي لا إله إلا هو ، وأسأله أن يصلّي على جَدِّي محمد رسول الله ﷺ ، أما بعد؛ فقد أُنْهِيَ إلينا ما حدث قبلك من أخبار أعداء الله الكفّرة ، وما فعلوه بناحيتك ، وأظهروه من الظلم والعَيْث والفساد في الأرض ، فأعظمتنا ذلك ، ورأينا أن ننفذ إلى ما هناك من جيوشنا مَنْ ينتقم الله به من أعدائه الظالمين ، الذين يسعون في الأرض فساداً ، وأنفذنا عُطِيرَاً داعيَنا وجماعة من المؤمنين إلى مدينة حمص ، وأمدناهم بالعساكر ، ونحن في أثرهم ، وقد أوعزنا إليهم في المصير إلى ناحيتك لطلب أعداء الله حيث كانوا ، ونحن نرجو أن يُجرينا اللهُ فيهم على أحسن عوائده عندنا في أمثالهم؛ فينبغي أن

تشدّ قلبك وقلوب مَنْ معك من أوليائنا ، وتنشق بالله وبنصره الذي لم يزل يعودنا في كل من مرق عن الطاعة وانحرف عن الإيمان ، وتبادر إلينا بأخبار الناحية ، وما يتجدد فيها ، ولا تُخفِّ عنِّي شيئاً من أمرها إن شاء الله .

سبحانك اللهم ، وتحمّلهم فيها سلام ، وأخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على جدي محمد رسول الله وعلى أهل بيته وسلم كثيراً .

* * *

نسخة كتاب عامل له إليه :

بسم الله الرحمن الرحيم

لعبد الله أحمد الإمام المهدى المنصور بالله - ثم الصدر كله على مثال نسخة صدر كتابه إلى عامله الذي حكينا في الكتاب الذي قبل هذا الكتاب - إلى ولد خير الوصيّين صلى الله عليه وعلى أهل بيته الطيبين وسلم كثيراً . ثم بعد ذلك : من عامر بن عيسى العنقائي .

سلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته؛ أما بعد أطال الله بقاء أمير المؤمنين ، وأدام الله عزه وتأييده ، ونصره وسلامته ، وكرامته ونعمته وسعادته ، وأسبغ نعمه عليه ، وزاد في إحسانه إليه ، وفضله لديه ، فقد كان وصل كتاب سيّدي أمير المؤمنين أطال الله بقاءه ، يعلّمني فيه ما كان من نفوذ بعض الجيوش المنصورة مع قائد من قواده إلى ناحيتنا لمجاهدتنا لعداء الله بني الفضيّص والخائن بن دُحيم ، وطلبهم حيث كانوا ، والإيقاع بهم وبأسبابهم وضياعهم ، ويأمرني أدام الله عزه عند نظري في كتابه بالنهوض في كلّ من قدرت عليه من أصحابي وعشائري للقائهم ومكافحة الجيش ومعاضدتهم والمسير بسيرهم ، والعمد كلّ ما يؤمنون إليه ويأمرون به ، وفهمته ، ولم يصل إلى هذا الكتاب أعز الله أمير المؤمنين حتى وافت الجيوش المنصورة؛ فتالت طرفاً من ناحية ابن دُحيم ، وانصرفوا بالكتاب الوارد عليهم من مسروor بن أحمد الداعية ليلقوه بمدينة أساميّة ، ثم ورد على كتاب مسروور بن أحمد في درجة الكتاب الذي اقتتصتُ ما فيه من صدر كتابي هذا ، يأمرني فيه بجمع من تهأءَ مِنْ أصحابي وعشيرتي والنھوض إلى ما قيله ، ويحذرني التخلف عنه ، وكان ورود كتابه على وقتٍ صَحَّ عندنا نزول المارق سُبُّك عبد مفلح مدينة عَرْقة في زهاء ألف رجل ،

ما بين فارس وراجل ، وقد شارف بلدنا ، وأطلَّ على ناحيتنا ، وقد وجَّهَ أحمد بن الوليد عبد أمير المؤمنين أطال الله بقاءه إلى جميع أصحابه ، ووجَّهَتْ إلى جميع أصحابي ، فجمعناهم إلينا ، ووجَّهَنا العيون إلى ناحية عَرْقة لعرفة أخبار هذا الخائن ، وأين يريده ، فيكون قصتنا ذلك الوجه ، ونرجو أن يُظفر الله به ، ويمكن منه بمنه وقدرته .

ولولا هذا الحادث ، ونزلول هذا المارق في هذه الناحية ، وإشرافه على بلدنا لما تأخرت في جماعة أصحابي عن النهوض إلى مدينة أقامية ، لتكون يدي مع أيدي القوَّاد المقيمين بها لمجاهدة منْ بتلك الناحية حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين ، وأعلمت سيدِي أمير المؤمنين أطال الله بقاءه السبب في تخلّفي عن مسروور بن أحمد ، ليكونَ على علم منه ، ثم إنْ أمرني أدام الله عزه بالتفوز إلى أقامية كان نفوذِي برأيه ، وامتثلتُ ما يأمرني به إن شاء الله ، أتمَ الله على أمير المؤمنين نعمه وأدام عزه وسلامته ، وهنَّاه كرامته ، وألبسه عفوه وعافيتها .

والسلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته؛ والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد النبي وعلى أهل بيته الطاهرين الأخيار .

وفيها وجَّهَ القاسم بن عبيد الله الجبوشَ إلى صاحب الشامة ، وولَّ حربه محمد بن سليمان الكاتب الذي كان إليه ديوان الجيش ، وضمَّ جميع القواد إليه ، وأمرهم بالسمع له والطاعة ، فنفذ من الرقة في جيشِه كثيف ، وكتب إلى منْ تقدمه من القوَّاد بالسمع له والطاعة .

* * *

وفيها ورد رسولاً صاحب الروم؛ أحدهما خادم ، والآخر فحل ، يسأله الفداء بمن في يده من المسلمين أسير ، ومعهما هدايا من صاحب الروم وأساري من المسلمين بعث بهم إليه ، فأجابهما إلى ما سألا ، وخلع عليهما .

وحجَّ الناس في هذه السنة الفضل بن عبد الملك بن عبد الله بن العباس بن محمد^(١) .

* * *

ثم دخلت سنة إحدى وتسعين ومئتين
ذكر الخبر بما كان فيها من الأمور الجليلة

[ذكر خبر الواقعة بين أصحاب السلطان وصاحب الشامة]

فمن ذلك ما كان من أمر الوعة بين أصحاب السلطان وصاحب الشامة^(١).

ذكر الخبر عن هذه الواقعة:

قال أبو جعفر: قد مضى ذكرى شخص المكتفي من مدينة السلام نحو صاحب الشامة لحربه ومصيره إلى الرقة ، وبئه جيشه فيما بين حلب وحمص ، وتوليته حرب صاحب الشامة محمد بن سليمان الكاتب وتصييره أمراً جيشه وقواده إليه؛ فلما دخلت هذه السنة كتب وزير القاسم بن عبيد الله إلى محمد بن سليمان وقاد السلطان يأمره وإياهم بمناهضة ذي الشامة وأصحابه ، فساروا إليه حتى صاروا إلى موضع بينهم وبين حماة - فيما قيل - اثنا عشر ميلاً ، فلقوا به أصحاب القرمطي في يوم الثلاثاء لست خلؤن من المحرم ، وكان القرمطي قد أصحابه ، وتخلف هو في جماعة من أصحابه ، ومعه مالٌ قد كان جمعه ، وجعل السواد وراءه ، فالتحمت الحرب بين أصحاب السلطان وأصحاب القرمطي ، واشتتت ، فهُزم أصحاب القرمطي ، وقتلوا وأسر من رجالهم بشرٌ كثير ، وتفرق الباقيون في البوادي ، وتبعهم أصحاب السلطان ليلة الأربعاء لسبعين خلؤن من المحرم ، فلما رأى القرمطي ما نزل بأصحابه من الفلول والهزيمة حمل - فيما قيل - أخاً له يكفي أبا الفضل مالاً ، وتقدم إليه أن يلحق بالبوادي إلى أن يظهر في موضع ، فيصير إليه ، وركب هو وابن عمّه المسئي المدثر والمطوق صاحبه وغلام له رومي وأخذ دليلاً ، وسار يريد الكوفة عرضاً في البرية ، حتى انتهى إلى موضع يعرف بالدالية من أعمال طريق الفرات ، فنجد ما كان معهم من الزاد والعلف ، فوجّه بعض من كان معه ليأخذ له ما يحتاجون إليه ، فدخل الدالية المعروفة بدالية ابن طوق لشراء حاجة ، فأنكرواوا زيه ، وسئل عن أمره فمجمجم ،

(١) كذلك ذكر ابن الجوزي هذه الواقعة العظيمة ضمن أحداث سنة (٢٩١ هـ) وانظر تعليقنا الآتي.

فأعلم المتولي مسلحة هذه الناحية بخبره ، وهو رجل يعرف بأبي خبزة خليفه
أحمد بن محمد بن كشمرد عامل أمير المؤمنين المكتفي على المعاون بالرحبة
وطريق الفرات ، فركب في جماعة ، وسأل هذا الرجل عن خبره ، فأخبره أن
الشامة خلف رابية هنالك في ثلاثة نفر .

فمضى إليهم ، فأخذهم وصار بهم إلى صاحبه ، فتوّجَهُ بهم ابن كُشْمُرْد وأبو خبزة إلى المكتفي بالرقة ، ورجعت الجيوش من الطلب بعد أن قتلوا وأسروا جميعَ منْ قدرُوا عليه من أولياء القرمطي وأشياعه ، وكتب محمد بن سليمان إلى الوزير بالفتح :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قد تقدمت كتبى إلى الوزير أعزه الله في خبر القرمطي اللعين وأشياعه؛ بما أرجو أن يكون قد وصل إن شاء الله ، ولما كان في يوم الثلاثاء لست ليال خلون من المحرّم رحلت من الموضع المعروف بالقروانة نحو موضع يعرف بالعليانة في جميع العسكر من الأولياء ، وزحفنا بهم على مراتبهم في القلب والميمونة والميسرة وغير ذلك ؛ فلم أبعد أن وافاني الخبر بأن الكافر القرمطي أنفذ النعمان ابن أخي إسماعيل بن النعمان أحد دعاته في ثلاثة آلاف فارس ، وخلق من الرجال ، وإنه نزل بموضع يعرف بتمنع ، بينه وبين حماة اثنا عشر ميلاً ، فاجتمع إليه جميع من كان بمعرة النعمان وبناحية الفصيصي وسائر النواحي من الفرسان والرجال ، فأسررت ذلك عن القواد والناس جمیعاً ولم أظهره ، وسألت الدليل الذي كان معني عن هذا الموضع ، وكم بيننا وبينه ، فذكر أنه ستة أميال ، فتوكلت على الله عز وجل ، وتقدمت إليه في المسير نحوه ، فمال الناس جمیعاً ، وسرنا حتى وافت الكفرا ، فوجدتهم على تعبئة ، ورأينا طلائعهم ، فلما نظروا إلينا مقبلين زحفوا نحونا ، وسرنا إليهم ، فاقتربوا ستة كراديس ، وجعلوا على ميسرتهم - على ما أخبرني من ظفرت به من رؤسائهم - مسروراً العليصي وأبا الحمل وغلام هارون العليصي ، وأبا العذاب ، ورجاء وصافي وأبا يعلى العليسي ، في ألف وخمسمائة فارس ، وكمنا كميناً في أربعمائة فارس خلف ميسرتهم بإزاء ميمتنا ، وجعلوا في القلب النعمان العليصي والمعروف بأبي الخطّي ، والحماري وجماعة من بطلاهم في ألف وأربعمائة فارس وثلاثة آلاف

رجل ، وفي ميّتهم كلبياً العليسيّ والمعروض بالسديد العليسيّ والحسين بن العليسي وأبا الجراح العليسي وحميد العليسي ، وجماعة من نظرائهم في ألف وأربعين متفرقين ، متوكّلين على الله عزّ وجلّ .

وقد استحثت الأولياء والعلمانيون وسائر الناس غيرهم ، ووعدهم ، فلما رأى بعضنا بعضاً حمل الكرسوس الذي كان في ميسرتهم ضرباً بالسياط ، فقصد الحسين بن حمدان ، وهو في جناح الميمنة ، فاستقبلهم الحسين - بارك الله عليه وأحسن جزاءه - بوجهه وبموضعه من سائر أصحابه برماتهم ، فكسروها في صدورهم ، فانفلوا عنهم ، وعاود القرامطة الحمل عليهم ، فأخذوا السيف ، واعتبرضوا ضرباً للوجوه فصرعوا من الكفار الفجرة ستمائة فارس في أول وقعة وأخذ أصحاب الحسين خمسين فرس وأربعين فضة ، وولوا مدربين مفلولين ، واتّبعهم الحسين ، فرجعوا عليه ، فلم يزالوا حملة وحملة ، وفي خلال ذلك يصرع منهم الجماعة بعد الجماعة؛ حتى أفناهم الله عزّ وجلّ ، فلم يفلت منهم إلا أقل من مئتي رجل .

وتحمل الكرسوس الذي كان في ميّتهم على القاسم بن سيما ويُمن الخادم ومنْ كان معهما من بنى شيبان وبنى تميم ، فاستقبلوهم بالرماح حتى كسرُوها فيهم؛ واعتنق بعضُهم بعضاً ، فقتل من الفجرة جماعةً كثيرة ، وحمل عليهم في وقت حملتهم خليفة بن المبارك ولؤلؤ ، وكنت قد جعلته جناحاً لخليفة في ثلاثة فارس ، وجميع أصحاب خليفة؛ وهم يعارضون بنى شيبان وتميم ، فقتل من الكفرة مقتلة عظيمة ، واتّبعوهم ، فأخذ بنو شيبان منهم ثلاثة فرس ومنه طوق ، وأخذ أصحاب خليفة مثل ذلك؛ وزحف النعمان ومنْ معه في القلب إلينا ، فحملتُ ومنْ معي ، وكنت بين القلب والميمنة ، وحمل خاقان ونصر القشوريّ ومحمد بن كُمشجور ومنْ كان معهم في الميمنة ، ووصيف مُوشكير ومحمد بن إسحاق بن كُنداجيق وابنا كَيْغَلَع والمبارك القمي وربيعة بن محمد ومهاجر بن طليق والمظفر بن حاج وعبد الله بن حمدان وحيي الكبير ووصيف البكتيري وبشر البكتيري ومحمد بن قراطغان .

وكان في جناح الميمنة جميعُ من حمل علىَ منْ في القلب ومنْ انقطع منه كان حمل على الحسين بن حمدان ، فلم يزالوا يقتلون الكفار فرسانهم ورجالتهم

حتى قتلوا أكثر من خمسة أميال ، ولما أن تجاوزت المصفّ بنصف ميل خفتُ أن يكون من الكفار مكيدة في الاحتياط على الرجال والسود ، فوتفت إلى أن لحقوني ، وجمعتهم وجمعت الناس إلى وبين يدي المطرد المبارك ، مطرد أمير المؤمنين ، وقد حملت في الوقت الأول ، وحمل الناس ، ولم يزل عيسى النورسي ضابطاً للسوداد من مصفّ خلفهم مع فرسانه ورجالاته على ما رسمته له ، لم يرُل من موضعه إلى أن رجع الناس جمِيعاً إلى من كلّ موضع ، وضربت مضربِي في الموضع الذي وقفت فيه؛ حتى نزل الناس جمِيعاً ، ولم أزل واقفاً إلى أن صليتُ المغرب ، حتى استقرَّ العسكر بأهله ، ووجهت في الطلائع ثم نزلت؛ وأكثرت حمد الله على ما هنأنا به من النصر ، ولم يبق أحد من قوّاد أمير المؤمنين وغلمانه ولا العجم وغيرهم غاية في نصر هذه الدولة المباركة في المناصحة لها إلا بلغوها؛ بارك الله عليهم جميعاً!

ولما استراح الناس خرجت والقواد جميعاً لنقيم خارج العسكر إلى أن يصبح الناس خوفاً من حيلة تقع ، وأسأل الله تمام النعمة وإيزاع الشكر؛ وأنا - أعز الله سيدنا الوزير - راحل إلى حماة ، ثم أشخص إلى سلمية بمنَّ الله تعالى وعنده ، فمن بقيَ من هؤلاء الكفار مع الكافر فهم بسلمية؛ فإنه قد صار إليها منذ ثلاثة أيام ، وأحتاج إلى أن يتقدم الوزير بالكتاب إلى جميع القواد وسائر بطون العرب منبني شَيْبَان وَتَغْلِب وبنـي تميم ، يجزيهم جميعاً الخير على ما كان في هذه الواقعة؛ مما بقي لأحد منهم - صغير ولا كبير - غاية ، والحمد لله على ما تفضل به ، وإياه أسأل تمام النعمة.

ولما تقدّمت في جمع الرؤوس ، وُجد رئيس أبي الحمل ، ورئيس أبي العذاب وأبي البغل ، وقيل إن النعمان قد قُتل؛ وقد تقدّمت في طلبه ، وأخذ رئيسه وحمله مع الرؤوس إلى حضرة أمير المؤمنين إن شاء الله .

وفي يوم الإثنين الأربع بقين من المحرّم ، أدخل صاحب الشامة إلى الرقة ظاهراً للناس على فالج ، عليه برنـس حرير ودرّاعة ديـجاج ، وبين يديه المدّثر والمطوق على جملين .

ثم إن المكتفي خلّف عساكره مع محمد بن سليمان ، وشخص في خاصته وغلمانه وخدمه ، وشخص معه القاسم بن عبيد الله من الرقة إلى بغداد ، وحمل

معه القرمطي والمدثر والمطوق وجماعة من أسرى الواقعة ، وذلك في أول صفر من هذه السنة .

فلما صار إلى بغداد عزم - فيما ذكر - على أن يدخل القرمطي مدينة السلام مصلوباً على دقل ، والدقل على ظهر فيل ؛ فأمر بهدم طاقات الأبواب التي يجتاز بها الفيل ، إن كانت أقصر من الدقل ؛ وذلك مثل باب الطاق وباب الرصافة وغيرهما .

ثم استسمج المكتفي - فيما ذكر - فعل ما كان عزم عليه من ذلك ، فعمل له دميةنة - غلام يازمان - كرسيّا ، ورَكِبَ الكرسيّ على ظهر الفيل ، وكان ارتفاعه عن ظهر الفيل ذراعين ونصف ذراع - فيما قيل - ودخل المكتفي مدينة السلام بغداد صبيحة يوم الإثنين لليلتين خلتان من شهر ربيع الأول ، وقدم الأسرى بين يديه على جمال مقيددين ، عليهم دراربع حرير وبرانس حرير ، والمطوق في وسطهم ، غلام ما خرجت لحيته ، قد جعل في فيه خشبة مخروطة ، وشدّت إلى قفاه كهيئه اللجام ، وذلك أنه لما أدخل الرقة كان يشتم الناس إذا دعوا عليه ، ويزق عليهم ، ففعل ذلك به لثلا يشتم إنساناً .

ثم أمر المكتفي ببناء دكة في المصلى العتيق من الجانب الشرقي ، تكسيرها عشرون ذراعاً في عشرين ذراعاً ، وارتفاعها نحو من عشرة أذرع ، وبئي لها درج يصعد منه إليها ، وكان المكتفي خلف مع محمد بن سليمان عساكره بالرقة عند منصرفه إلى مدينة السلام ، فتلقط محمد بن سليمان منْ كان في تلك الناحية من قواد القرمطي وقضاته وأصحاب شرطه ، فأخذهم وقيدهم ، وانحدر والقواد الذين تخلفوا معه إلى مدينة السلام على طريق الفرات ، فوافى باب الأنبار ليلة الخميس لاثني عشرة خلت من شهر ربيع الأول ، ومعه جماعة من القواد ، منهم خاقان المفلحي ومحمد بن إسحاق بن كنداجيق وغيرهما : فأمر القواد الذين ببغداد بتلقي محمد بن سليمان والدخول معه ، فدخل بغداد وبين يديه نيف وسبعون أسيراً ، حتى صار إلى الشريّا ، فخلع عليه ، وطُوق بطوق من ذهب وسُور بسوارين من ذهب ، وتخلع على جميع القواد القادمين معه ، وطُوقوا وسُوروا وصاروا إلى منازلهم ، وأمر بالأسرى إلى السجن .

وذكر عن صاحب الشامة أنه أخذ وهو في حبس المكتفي سكرجة من المائدة

التي تدخل إليه فكسرها ، وأخذ شظيّة منها فقطع بها بعض عروق نفسه ، فخرج منه دم كثير ، ثم شد يده ، فلما وقف المولى خدمته على ذلك سأله: لم فعل ذلك؟ فقال: هاج بي الدم فأخرجه ، فترك حتى صلح ، ورجعت إليه قوّته.

ولما كان يوم الإثنين لسبعين بقين من شهر ربّع الأول أمر المكتفي القواد والغلمان بحضور الدكّة التي أمر ببنائها ، وخرج من الناس خلق كثير لحضورها ، فحضروها ، وحضر أحمد بن محمد الواثقي وهو يومئذ يلي الشرطة بمدينة السلام ومحمد بن سليمان كاتب الجيش الدكّة ، فقعدا عليها ، وحمل الأسرى الذين جاء بهم المكتفي معه من الرّقة والذين جاء بهم محمد بن سليمان ومنْ كان في السجن من القرامطة الذين جمعوا من الكوفة ، وقومٌ من أهل بغداد كانوا على رأي القرامطة ، وقومٌ من الرفّوغ من سائر البلدان من غير القرامطة - وكانوا قليلاً - فجيء بهم على جمال ، وأحضروا الدكّة ، ووقفوا على جمالهم ، ووكل بكل رجل منهم عنان ، فقيل: إنهم كانوا ثلاثة وستين ، وقيل ثلاثة وستين ، وجيء بالقرميّي الحسين بن زكرويه المعروف بصاحب الشامة؛ ومعه ابن عمّه المعروف بالمدّثر على بغل في عمارة ، وقد أسلِّل عليهما الغشاء ، ومعهما جماعة من الفرسان والرجال ، فصعد بهما إلى الدكّة ، وأقعدا ، وقدم أربعة وثلاثون إنساناً من هؤلاء الأسرى ، فقطعت أيديهم وأرجلهم ، وضربت أعناقهم واحداً بعد واحد ، كان يؤخذ الرجل فيطبح على وجهه فتقطع يمنى يديه ، ويحلق بها إلى أسفل ليراها الناس ، ثم تقطع رجله اليسرى ، ثم يسرى يديه ، ثم يمنى رجليه ، ويرمى بما قطع منه إلى أسفل ، ثم يقعَد فيمدّ رأسه ، فيضرب عنقه ، ويرمى برأسه وجشه إلى أسفل ، وكانت جماعة من هؤلاء الأسرى قليلة يضجون ويستغيثون ، ويحلقون: أنهم ليسوا من القرامطة.

فلما فرغ من قتل هؤلاء الأربعين والثلاثين النفس - كانوا من وجوه أصحاب القرميّي - فيما ذكر - وكبارهم قدم المدّثر ، فقطعت يداه ورجلاه وضربت عنقه ، ثم قدم القرميّي فضرّب مثي سوط ، ثم قطعت يداه ورجلاه ، وكويَّ فغُشّيَ عليه ، ثم أخذ خشب فأضرمت فيه النار ، ووضع في خواصره وبطنه ، فجعل يفتح عينيه ثم يغمضهما؛ فلما خافوا أن يموت ضربت عنقه ، ورفع رأسه على خشبة ، وكثير من على الدكّة وكثير سائر الناس ، فلما قُتل انصرف القواد ومنْ

كان حضر ذلك الموضع للنظر إلى ما يُفعل بالقرمطي. وأقام الواثقي في جماعة من أصحابه في ذلك الموضع إلى وقت العشاء الآخرة ، حتى ضربت أعناق باقي الأسرى الذين أحضروا الذكرة ، ثم انصرف^(١).

فلما كان من غد هذا اليوم حملت رؤوس القتلى من المصلى إلى الجسر ، وصُلِبَ بَدَنُ القرمطي في طرف الجسر الأعلى ببغداد ، وحفرت لأجساد القتلى في يوم الأربعاء آبار إلى جانب الذكرة ، وطُرحت فيها وطّمت ، ثم أمر بعد أيام بهدم الذكرة ففعل .

ولأربع عشرة خلت من شهر ربيع الآخر وافى بغداد القاسم بن سيماء منصراً عن عمله بطريق الفرات ، ومعه رجلٌ من بني العليص من أصحاب القرمطي صاحب الشامة ؛ دخل إليه بأمان ، وكان أحد دعاة القرمطي ، يكُنْ أباً محمد ، وكان سبب دخوله في الأمان أنَّ السلطان راسله ، ووعده الإحسان إن هو دخل في الأمان ، وذلك أنه لم يكن بقى من رؤساء القرامطة بنواحي الشأم غيره ، وكان من موالي بني العليص ، فـ وقت الوعة إلى بعض النواحي الغامضة ، فأفلت ، ثم رغب في الدخول في الأمان والطاعة خوفاً على نفسه ، فوافى هو ومن معه مدينة السلام ، وهم تَيَّفُّ وستون رجلاً ، فأومنوا وأحسن إليهم ، ووصلوا بمال حِيل إليهم ، وأخرج هو ومن معه إلى رَحْبة مالك بن طوق مع القاسم بن سيماء ، وأحرجت لهم الأرزاق ، فلما وصل القاسم بن سيماء إلى عمله وهم معه ، أقاموا معه مدة ، ثم أجمعوا على الغدر بالقاسم بن سيماء ، واتمروا به ، ووقف على ذلك من عزمه ، فبادرهم ووضع السيف فيهم فأبادُهم ، وأسر جماعة منهم ، فارتدع منْ بقي من بني العليص ومواليهم ، وذلوا ولزموا أرض السَّماوة وناحيتها مدة حتى راسلهم الخبيث زكرويه ، وأعلمهم أنَّ مما أوحى إليه ، أنَّ المعروف بالشيخ وأخاه يُقتلان ، وأنَّ إمامَه الذي يوحى إليه يظهر بعدهما ويظفر.

* * *

وفي يوم الخميس لتسع خلون من جمادى الأولى زوج المكتفي ابنه محمدًا

(١) لقد ذكر ابن الجوزي هذه التفاصيل (١١٤ - ١٠٨) مختصرًا في منظمه (٢٣ - ٢٢/١٣). وكذلك ذكره ابن كثير مختصرًا [٨/٢٧٠].

ويكفي أباً أحمد بابنة أبي الحسين القاسم بن عبيد الله على صداقٍ مئة ألف دينار.

وفي آخر جمادى الأولى من هذه السنة وَرَدَ - فيما ذكر - كتاب من ناحية جُبَّى ، يذكر فيه أنْ جُبَّى وما يليها جاءها سيل في وادٍ من الجبل ، فغرق نحوًا من ثلاثين فرسخاً ، غرق في ذلك خلقٌ كثير ، وغرقت المواشي والغالات ، وخربت المنازل والقرى ، وأخرج من الغرقى ألف ومئتا نفس ، سوى من لم يلحق منهم.

وفي يوم الأحد غرة رجب خلع المكتفي على محمد بن سليمان كاتب الجيش وعلى جماعة من وجوه القواد ، منهم محمد بن إسحاق بن كُنْداجيق ، وخليفة بن المبارك المعروف بأبي الأغر وابنا كيغَلْع ، وبندقة بن كُمْشجور ، وغيرهم من القواد ، وأمرهم بالسمع والطاعة لمحمد بن سليمان ، وخرج محمد بن سليمان والخلع عليه حتى نزل مضربه بباب الشamasية ، وعسكر هنالك ، وعسكر معه جماعة القواد الذين أخرجوا وبرزوا ، وكان خروجهم ذلك قاصدين لدمشق ومصر لقبض الأعمال من هارون بن خمارويه؛ لما تبين للسلطان من ضعفه وضعف مَنْ معه وذهب رجاله بقتل مَنْ قتل منهم القرمطي.

ثم رحل لست خلون من رجب محمد بن سليمان بن باب الشamasية ومن ضمَّ إليه من الرجال ، وهم زهاء عشرة آلاف رجل ، وأمر بالجذ في المسير.

ولثلاث بقين من رجب قرئ في الجامعين بمدينة السلام كتابٌ ورد من إسماعيل بن أحمد من خراسان ، يذكر فيه أنَّ الترك قصدوا المسلمين في جيش عظيم وخلق كثير ، وأنه كان في عسكرهم سبعون قبة تركية ، ولا يكون ذلك إلا للرؤساء منهم ، فوجَّه إليه برجل من قُواده في جيش ضمه إليه ، ونودي في الناس بالتنفير ، فخرج من المطوعة ناس كثير ، ومضى صاحب العسكر نحو الترك بهُنَّ معه ، فوافاهم المسلمون وهم غازون ، فكبسوهم مع الصبح ، فُقتل منهم خلق كثير ، وانهزم الباقون ، واستُريح عسكرهم ، وانصرف المسلمون إلى موضعهم سالمين غانمين^(١).

وفي شعبان منها ورد الخبر أنَّ صاحب الروم وجَّه عشرة صلبان معها مئة ألف

رجل إلى التغور ، وأن جماعة منهم قصدت نحو الحدث ، فأغاروا وسبوا منْ قدروا عليه من المسلمين ، وأحرقوا^(١).

وفي شهر رمضان منها ورد كتاب من القاسم بن سيماء من الرّحبة على السلطان ، يذكر فيه أن الأعراب الذين استأمنوا إلى السلطان وإليه منبني العلیص ومواليهم منْ كان مع القرمطي نكثوا وغدروا ، وأنهم عزموا على أن يكبسو الرّحبة في يوم الفطر ، عند اشتغال الناس بصلة العيد ، فيقتلوا منْ يلحقون ، وأن يحرقوا وينهبو ، وإنني أوقعت عليهم الحيلة حتى قلت منهم وأسرت خمسين ومئة نفس ، سوى منْ غرق منهم في الفرات ، وإنني قادم بالأسرى وفيهم جماعة من رؤسائهم وبرؤوس منْ قتل منهم^(٢).

وفي آخر شهر رمضان من هذه السنة ورد كتاب من أبي معدان من الرّقة - فيما قيل - باتصال الأخبار به من طرسوس أنَّ الله أظهر المعروف بغلام زرافة في غزاة غزاها الروم في هذا الوقت بمدينة تدعى أنطالية ، وزعموا أنها تعادل قسطنطينية ، وهذه المدينة على ساحل البحر ، وأن غلام زرافة فتحها بالسيف عنوة ، وقتل - فيما قيل - خمسة آلاف رجل ، وأسر شبيهاً بعدهم ، واستنقذ من الأسرى أربعة آلاف إنسان ، وأنه أخذ للروم ستين مركباً ، فحملوها ما غنم من الفضة والذهب والمتأع والرقيق ، وأنه قدر نصيب كلّ رجل حضر هذه الغزاة ، فكان ألف دينار ، فاستبشر المسلمون بذلك ، وبادرت بكتابي هذا ليقف الوزير على ذلك.

وكتب يوم الخميس لعشر خلون من شهر رمضان.

* * *

وأقام الحجّ للناس في هذه السنة الفضل بن عبد الملك بن عبد الله بن العباس بن محمد^(٣).

(١) انظر المتنظم (٢٣/١٣).

(٢) انظر المتنظم (٢٣/١٣) فقد ذكر الخبر مختصراً.

(٣) انظر المتنظم (٢٣/١٣).

ثم دخلت سنة اثنين وتسعين ومئتين

ذكر ما كان فيها من الأحداث الجليلة

فمن ذلك ما كان من توجيه نزار بن محمد من البصرة إلى السلطان ببغداد رجلاً ذكر أنه أراد الخروج على السلطان ، وصار إلى واسط ، وأن نزاراً وَجَهَ في طلبه مَنْ قبض عليه بواسط ، وأحدره إلى البصرة ، وأنه أخذ بالبصرة قوماً؛ ذكر أنهم بايعوه ، فوجه نزار جميعهم في سفينة إلى بغداد ، فوقفوا في فُرْضة البصريين ، ووجه جماعة من القواد إلى فرضة البصريين ، فحمل هذا الرجل على الفالح ، وبين يديه ابن له صبيّ على جمل ، ومعه تسعه وثلاثون إنساناً على جمال ، وعلى جماعتهم برانس الحرير ودراريع الحرير ، وأكثرهم يستغيث وييكي ، ويحلف أنه بريء ، وأنه لا يعرف مما ادعى عليه شيئاً ، وجازوا بهم في التمارين وباب الكرخ والخلد حتى وصلوا إلى دار المكتفي ، فأمر بردهم ، وحبسهم في السجن المعروف بالجديد.

وفي المحرّم منها أغارت أندرؤونقس الرومي على مَرْعَش ونواحيها ، فنفر أهل المصيصة وأهل طرسوس ، فأصيب أبو الرجال بن أبي بكار في جماعة من المسلمين .

وفي المحرّم منها صار محمد بن سليمان إلى حدود مصر لحرب هارون بن خمارويه ، ووجه المكتفي دميانة غلام يازمان من بغداد ، وأمره برکوب البحر والمضي إلى مصر ودخول النيل ، وقطع المواد عَمِّن بمصر من الجندي ، فمضى ودخل النيل حتى وصل إلى الجسر ، فأقام به ، وضيق عليهم ، وزحف إليهم محمد بن سليمان في الجيوش على الظهر حتى دنا من الفسطاط ، وكاتب القواد الذين بها ، فكان أول مَنْ خرج إليه بدر الحمامي - وكان رئيس القوم - فكسرهم ذلك ، ثم تابع مَنْ يستأمن إليه من قواد المصريين وغيرهم؛ فلما رأى ذلك هارون وبقية مَنْ معه ، زحفوا إلى محمد بن سليمان ، فكانت بينهم وقفات - فيما ذكر - ثم وقع بين أصحاب هارون في بعض الأيام عصبية فاقتتلوا ، فخرج هارون ليُسْكَنَهم ، فرمى بعض المغاربة بزانة فقتله .

وبلغ محمد بن سليمان الخبر ، فدخل هو ومنْ معه الفسطاط ، واحتوى على

دور آل طولون وأسبابهم ، وأخذهم جميعاً وهم بضعة عشر رجلاً ، فقيدهم وحبسهم ، واستصفى أموالهم ، وكتب بالفتح ، وكانت الواقعة في صفر من هذه السنة^(١) .

وكتب إلى محمد بن سليمان في إشخاص جميع آل طولون وأسبابهم من القواد ، وألا يترك أحداً منهم بمصر ولا بالشام ، وأن يبعث بهم إلى بغداد ، ففعل ذلك.

ولثلاثة خلون من شهر ربيع الأول منها سقط الحائط الذي على رأس الجسر الأول من الجانب الشرقي من الدار التي كانت لعبد الله بن عبد الله بن طاهر على الحسين بن زكرويه القرمطي ، وهو مصلوب بقرب ذلك الحائط ، فطحنه ، فلم يوجد بعد منه شيء.

وفي شهر رمضان منها ورد الخبر على السلطان بأنّ قائداً من قواد المصريين - يُعرف بالخليجي ، يسمى إبراهيم - تخلف عن محمد بن سليمان في آخر حُدود مصر مع جماعة استمالهم من الجندي وغيرهم ، ومضى إلى مصر مخالفًا للسلطان ، وصار معه في طريقه جماعة تحب الفتنة ، حتى كثر جمعه ، فلما صار إلى مصر أراد عيسى التُّوشري محاربته ، وكان عيسى التُّوشري العامل على المعونة بها يومئذ فعجز عن ذلك لكثره من مع الخليجي ، فانحاز عنه إلى الإسكندرية وأخلَّ مصر فدخلها الخليجي.

وفيها ندب السلطان لمحاربة الخليجي وإصلاح أمر المغرب فاتكًا مولى المعتمد ، وضم إليه بدرًا الحمامي ، وجعله مشيرًا عليه فيما يعمل به ، وضم إليه جماعة من القواد وجندًا كثيراً.

ولسبع خلون من شوال منها خلع على فاتك وبدر الحمامي لما ندباه إليه من الخروج إلى مصر ، وأمرا بسرعة الخروج ، ثم شخص فاتك وبدر الحمامي لاثني عشرة خلت من شوال.

وللنصف من شوال منها دخل مدينة طَرَسُوس رستم بن بردوا والياً عليها وعلى الشغور الشامية.

(١) هذا الخبر (١١٨/١٠ - ١١٩) ذكره ابن الجوزي مختصرًا (٣٣/١٣).

وفيها كان الفداء بين المسلمين والروم ، وأول يوم من ذلك كان لست بقين من ذي القعدة منها ، فكان جملة من فودي به من المسلمين - فيما قيل - ألفاً ونحوأً من مئتي نفس ، ثم غدر الروم ، فانصرفا ورجع المسلمون بمن بقي معهم من أسرى الروم ، فكان عهد الفداء والهدنة من أبي العشائر والقاضي ابن مكرم ؛ فلما كان من أمر أندر ونقس ما كان من غارته على أهل مرجعش وقتله أبا الرجال وغيره ، عزل أبو العشائر وولي رستم ، فكان الفداء على يديه ، وكان المتأول أمر الفداء من قبل الروم رجل يدعى أسطانا^(١) .

وحج بالناس في هذه السنة الفضل بن عبد الملك بن عبد الله بن العباس بن محمد^(٢) .

* * *

ثم دخلت سنة ثلاثة وتسعين ومئتين ذكر الخبر بما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من ورود الخبر لخمس بقين من صفر ؛ بأن الخليجي المتغلب على مصر ، واقع أحمد بن كيغلغ وجماعة من القواد بالقرب من العريش ، فهزمهم أربع هزيمة ، فنُدب للخروج إليه جماعة من القواد المقيمين بمدينة السلام ، فيهم إبراهيم بن كيغلغ ، فخرجوا.

ولسبعين خلؤن من شهر ربيع الأول منها ، وافى مدينة السلام قائداً من قواد طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث الصفار مستأماناً ، يعرف بأبي قابوس ، مفارقاً عسكر السجّية ، وذلك أن طاهر بن محمد - فيما ذكر - تشاغل باللهو والصيد ، ومضى إلى سجستان للصيد والنزهة ، فغلب على الأمر بفارس الليث بن علي بن الليث وبكري مولى عمرو بن الليث ، ودبر الأمر في عمل طاهر والاسم له ، فوقع بينهم وبين أبي قابوس تباعداً ، ففارقهم وصار إلى باب السلطان ، فقبله السلطان ، وخلع عليه وعلى جماعة معه وحباه وأكرمه ، فكتب طاهر بن

(١) انظر المنتظم (١٣ / ٣٣).

(٢) انظر المنتظم (١٣ / ٣٤).

محمد بن عمرو بن الليث إلى السلطان يسأله رد أبي قابوس إليه ، ويذكر أنه استكفاه بعض أعمال فارس ، وأنه جَبَ المال ، وخرج به معه ، ويسأل إن لم يردد إليه أن يحسب له ما ذهب به من مالٍ فارس مما صُودر عليه ، فلم يجبه السلطان إلى شيء من ذلك .

* * *

[ذكر الخبر عن ظهور أخي الحسين بن زكرويه]^(١)

وفي هذا الشهر من هذه السنة ورد الخبر أن أخاً للحسين بن زكرويه المعروف بصاحب الشامة ظهر بالذالية من طريق الفرات في نفر ، وأنه اجتمع إليه نفر من الأعراب والمتصصنة فسار بهم نحو دمشق على طريق البر ، وعاث بتلك الناحية ، وحارب أهلها ، فنُدِبَ للخروج إليه الحسين بن حمدان بن حمدون ، فخرج في جماعة كثيرة من الجندي ، وكان مصير هذا القرمطي إلى دمشق في جمادى الأولى من هذه السنة ، ثم ورد الخبر أن هذا القرمطي صار إلى طَبْرِيَة فامتنعوا من إدخاله ، فحاربهم حتى دخلها ، فقتل عاملاً مَنْ بها من الرجال والنساء ، ونهبها ، وانصرف إلى ناحية البادية .

وفي شهر ربيع الآخر ورد الخبر بأن الداعية الذي بنواحي اليمن صار إلى مدينة صنعاء ، فحاربه أهلها ، فظفر بهم ، فقتل أهلها ، فلم ينفلت منهم إلا القليل ، وتغلب على سائر مدن اليمن^(٢) .

* * *

عاد الخبر إلى ما كان من أمر أخي ابن زكرويه^(٣)

فذكر عن محمد بن داود بن الجراح أنه قال: أنفذ زكرويه بن مهرويه بعدما

(١) انظر المتنظم (٤٤ / ١٣) فقد ذكر الخبر مختصراً.

(٢) انظر المتنظم (٤٤ / ١٣) .

(٣) هذه التفاصيل تتمة للخبر السابق (٧٣٩) وتممة للمعارك التي جرت بين جيوش الخلافة وجيوش القرامطة .

قتل ابنه صاحب الشامة رجلاً كان يعلم الصبيان بقرية تدعى الزابوقة من عمل الفلوجة، يسمى عبد الله بن سعيد ، ويكنى أبا غانم ، فتسمى نصراً ليعمى أمره ، فدار على أحياe كَلْب يدعوهـم إلى رأيه ، فلم يقبلهـم أحد سوى رجلـ من بني زياد ، يسمى مقدام بن الكـيـال ، فإنهـ استغـوى لهـ طـوائفـ من الأصـبغـيـنـ المـتـمـتـينـ إلىـ الفـواـطـمـ وـسـوـاقـطـ منـ الـعـلـيـصـيـنـ وـصـعـالـيـكـ منـ سـائـرـ بـطـوـنـ كـلـبـ ، وـقـصـدـ نـاحـيـةـ الشـاءـ ، وـعـاـمـلـ السـلـطـانـ عـلـىـ دـمـشـقـ وـالـأـرـدـنـ أـحـمـدـ بـنـ كـيـلـغـ ، وـهـوـ مـقـيمـ بـمـصـرـ عـلـىـ حـرـبـ اـبـنـ خـلـيـجـ ، الـذـيـ كـانـ خـالـفـ مـحـمـدـ بـنـ سـلـيـمـانـ ، وـرـجـعـ إـلـىـ مـصـرـ ، فـغـلـبـ عـلـيـهـ ، فـاغـتـنـمـ ذـلـكـ عـبـدـ اللهـ بـنـ سـعـيدـ هـذـاـ ، وـسـارـ إـلـىـ مـديـنـيـتـيـ بـصـرـىـ وـأـذـرـعـاتـ مـنـ كـوـرـتـيـ حـورـانـ وـالـبـشـيـةـ ، فـحـارـبـ أـهـلـهـاـ ثـمـ آـمـهـمـ ، فـلـمـ اـسـتـلـمـواـ قـتـلـ مـقـاتـلـهـمـ ، وـسـبـىـ ذـرـارـيـهـمـ ، وـاسـتـصـفـىـ أـمـوـالـهـمـ ، ثـمـ سـارـ يـوـمـ دـمـشـقـ ، فـخـرـجـ إـلـىـ هـذـيـهـ جـمـاعـةـ مـمـنـ كـانـ مـرـسـومـاـ بـتـشـحـيـنـهـاـ مـنـ الـمـصـرـيـنـ كـانـ خـلـفـهـمـ أـحـمـدـ بـنـ كـيـلـغـ معـ صـالـحـ بـنـ الـفـضـلـ ، فـظـهـرـوـاـ عـلـيـهـمـ ، وـأـتـخـنـوـاـ فـيـهـمـ ، ثـمـ اـغـتـرـوـهـمـ بـذـلـلـ الـأـمـانـ لـهـمـ ، فـقـتـلـوـاـ صـالـحـاـ ، وـفـضـلـوـاـ عـسـكـرـهـ ، وـلـمـ يـطـمـعـوـاـ فـيـ مـدـيـنـةـ دـمـشـقـ ، وـكـانـوـاـ قـدـ صـارـوـاـ إـلـيـهـ ، فـدـافـعـهـمـ أـهـلـهـاـ عـنـهـاـ ، فـقـصـدـوـاـ نـحـوـ طـبـرـيـةـ مـدـيـنـةـ جـنـدـ الـأـرـدـنـ ، وـلـحـقـ بـهـمـ جـمـاعـةـ اـفـتـنـتـ مـنـ الـجـنـدـ بـدـمـشـقـ ، فـوـاقـعـهـمـ يـوـسـفـ بـنـ إـبـرـاهـيـمـ بـنـ بـغـامـرـيـ عـاـمـلـ أـحـمـدـ بـنـ كـيـلـغـ عـلـىـ الـأـرـدـنـ ، فـكـسـرـوـهـ وـبـذـلـوـاـ الـأـمـانـ لـهـ ، ثـمـ غـدـرـوـاـ بـهـ ، فـقـتـلـوـهـ وـنـهـبـوـاـ مـدـيـنـةـ الـأـرـدـنـ ، وـسـبـوـاـ النـسـاءـ ، وـقـتـلـوـاـ طـائـفـةـ مـنـ أـهـلـهـاـ ، فـأـنـقـذـ السـلـطـانـ الـحـسـيـنـ بـنـ حـمـدانـ لـطـلـبـهـمـ وـوـجـوـهـاـ مـنـ الـقـوـادـ ، فـوـرـدـ دـمـشـقـ وـقـدـ دـخـلـ أـعـدـاءـ اللـهـ طـبـرـيـةـ ، فـلـمـ اـتـصـلـ خـبـرـهـ بـهـمـ عـطـفـوـاـ نـحـوـ السـمـاـوةـ ، وـتـبـعـهـمـ الـحـسـيـهـ يـطـلـبـهـمـ فـيـ بـرـيـةـ السـمـاـوةـ ، وـهـمـ يـنـتـقـلـوـنـ مـنـ مـاءـ إـلـىـ مـاءـ ، وـيـعـوـزـونـهـ حـتـىـ لـجـؤـواـ إـلـىـ الـمـاءـيـنـ الـمـعـرـوـفـيـنـ بـالـدـمـعـانـةـ وـالـحـالـةـ ، وـانـقـطـعـ الـحـسـيـنـ مـنـ اـتـبـاعـهـمـ لـعـدـمـهـ الـمـاءـ ، فـعـادـ إـلـىـ الرـحـبةـ ، وـأـسـرـىـ الـقـرـامـطـةـ مـعـ غـاوـيـهـمـ الـمـسـمـىـ نـصـرـاـ إـلـىـ قـرـيـةـ هـيـتـ فـصـبـحـوـهـاـ وـأـهـلـهـاـ غـارـوـنـ لـتـسـعـ بـقـيـنـ مـنـ شـعـبـانـ مـعـ طـلـوعـ الـشـمـسـ ، فـنـهـبـ رـبـضـهـاـ ، وـقـتـلـ مـنـ قـدـرـ عـلـيـهـ مـنـ أـهـلـهـاـ ، وـأـحـرـقـ الـمـنـازـلـ ، وـانـتـهـبـ السـفـنـ الـتـيـ فـيـ الـفـرـاتـ فـيـ غـرـضـتـهـاـ ، وـقـتـلـ مـنـ أـهـلـ الـبـلـدـ - فـيـمـاـ قـيلـ - زـهـاءـ مـتـيـ نـفـسـ مـاـ بـيـنـ رـجـلـ وـأـمـرـأـ وـصـبـيـ ، وـأـخـذـ مـاـ قـدـرـ عـلـيـهـ مـنـ الـأـمـوـالـ وـالـمـتـاعـ ، وـأـوـقـرـ - فـيـمـاـ قـيلـ - ثـلـاثـةـ آـلـافـ رـاحـلـةـ ، كـانـتـ مـعـهـ زـهـاءـ مـتـيـ كـرـ حـنـطةـ بـالـمـعـدـلـ وـمـنـ الـبـرـ وـالـعـطـرـ وـالـسـقـطـ جـمـيعـ مـاـ اـحـتـاجـ إـلـيـهـ ، وـأـقـامـ بـهـاـ بـقـيـةـ الـيـوـمـ الـذـيـ

دخلها والذي بعده ، ثم رحل عنها بعد المغرب إلى البرية ، وإنما أصاب ذلك من ربضها ، وتحصن منه أهل المدينة بسورها ، فشخص محمد بن إسحاق بن كنْداجيق إلى هيت في جماعة من القواد في جيش كثيف بسبب هذا القرطي ، ثم تبعه بعد أيام مؤنس الخازن .

وذكر عن محمد بن داود ، أنه قال : إن القرامطة صبّحوا هيت وأهلها غارّون فحملهم الله منه بسورها ، ثم عجل السلطان محمد بن إسحاق بن كنْداجيق نحوهم ، فلم يقيموا بها إلا ثلاثة ، حتى قرب محمد بن إسحاق منهم ، فهربوا منه نحو الماءين ، فنهض محمد نحوهم ، فوجدهم قد عوروا المياه بينه وبينهم ، فأنفذت إليه من الحضرة الإبل والروايا والزاد ، وكتب إلى الحسين بن حمدان بالنفوذ من جهة الرحبة إليهم ليجتمع هو ومحمد بن إسحاق على الإيقاع بهم ، فلما أحسن الكلبيون بإشراف الجندي عليهم ، اثمروا بعده الله المسمى نصراً ، فوثبوا عليه ، وفكوا به ، وتفرّد بقتله رجلٌ منهم يقال له الذئب بن القائم ، وشخص إلى الباب متقرّباً ، بما كان منه ، ومستأمناً لبقيتهم ، فأسيّنت له الجائزة ، وعُرِفَ له ما أتاه ، وُكُفَّ عن طلب قومه ، فمكث أيامًا ثم هرب ، وظفرت بطلائع محمد بن إسحاق برأس المسمى بنصر ، فاحتزوه وأدخلوه مدينة السلام ، واقتلت القرامطة بعده ، حتى وقعت بينهما الدماء ، فصار مقدام بن الكيال إلى ناحية طبئ مفلتاً بما احتوى عليه من الحطام ، وصارت فرقة منهم كرهت أمرهم إلىبني أسد المقيمين بنواحي عين التمر ، فجاوروهم وأرسلوا إلى السلطان وفداً يعتذرون مما كان منهم ، ويسألون إقرارهم في جواربني أسد ، فأجิبوه إلى ذلك ، وحصلت على الماءين بقية الفسقة المستبصرة في دين القرامطة .

وكتب السلطان إلى حسين بن حمدان في معاودتهم باجتناث أصولهم ، فأنفذ زكرويه إليهم داعيةً له من أكرة أهل السواد يسمى القاسم بن أحمد بن علي ، ويعرف بأبي محمد ، من رستاق نهر تلحانا ، فأعلمهم أن فعل الذئب بن القائم قد انفره عنهم ، وشقّ قلبه عليهم ، وأنهم قد ارتدوا عن الدين ، وأن وقت ظهورهم قد حضر ، وقد بايع له بالكوفة أربعون ألف رجل ، وفي سوادها أربعون ألف رجل ، وأن يوم موعدهم الذي ذكره الله في كتابه في شأن موسى كليمه عليه

السلام وعدوه فرعون إذ يقول : ﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الْزِيَّةِ وَأَنْ يُحَسَّرَ النَّاسُ صُبْحًا﴾ ، وأن زكرويه يأمرهم أن يخفوا أمرهم ، ويظهروا الانقلاب نحو الشام ، ويسيروا نحو الكوفة حتى يصيّبُوها في غداة يوم النحر ، وهو يوم الخميس لعشر تخلو من ذي الحجة سنة ثلاثة وتسعين ومئتين ، فإنهم لا يُمنعون منها ، وأنه يظهر لهم ، وينجز لهم وعده الذي كانت رسله تأتِهم به ، وأن يحملوا القاسم بن أحمد معهم ، فامتثلوا أمره ، ووافُوا بباب الكوفة ، وقد انصرف الناس عن مصلاهم مع إسحاق بن عمران عامل السلطان بها ، وكان الذين وافوا بباب الكوفة في هذا اليوم - فيما ذكر - ثمانمائة فارس أو نحوها ، رأسهم الذيلاني بن مهرويه من أهل الصوعق ، وقيل : هو من أهل جنْبُلَاءَ ، عليهم الدروع والجواشن والآلة الحسنة ، ومعهم جماعة من الرجال على الرؤاحل فأوقعوا بمن لحقوه من العوام ، وسلبوا جماعة ، وقتلوا نحوًا من عشرين نفساً ، وبادر الناس إلى الكوفة فدخلوها ، وتنادوا السلاح ، فنهض إسحاق بن عمران في أصحابه ، ودخل مدينة الكوفة من القرامطة زهاء مئة فارس من الباب المعروف بباب كندة ، فاجتمعت العوام وجماعة من أصحاب السلطان ، فرمُوهُم بالحجارة وحاربوهم وألقوا عليهم السُّتُّر ، فقتل منهم زهاء عشرين نفساً ، وأخرجوهم من المدينة ، وخرج إسحاق بن عمران ومن معه من الجندي ، فصافُوا القرامطة الحرب ، وأمر إسحاق بن عمران أهل الكوفة بالتحارس لئلا يجد القرامطة غرّة منهم ، فيدخلوا المدينة ، فلم يزل الحرب بينهم إلى وقت العصر يوم النحر ، ثم انهزمت القرامطة نحو القادسيّة ، وأصلاح أهل الكوفة سورهم وخندقهم ، وقاموا مع أصحاب السلطان يحرُّسون مدینتهم ليلاً ونهاراً.

وكتب إسحاق بن عمران إلى السلطان يستمدّه ، فندب للخروج إليه جماعة من قواده ، منهم طاهر بن عليّ بن وزير ، ووصيف بن صوار تكبّن التركي ، والفضل بن موسى بن بغا ، وبشر الخادم الأفشياني ، وجني الصّفواني ، ورائق الخزري . وضمّ إليه جماعة من غلمان الحجر وغيرهم ، فشخص أولهم يوم الثلاثاء للنصف من ذي الحجة ، ولم يرأس واحد منهم ؛ كلُّ واحد منهم رئيس على أصحابه . وأمر القاسم بن سيماء وغيره من رؤساء الأعراب بجمع الأعراب من البوادي بدبار مُضر وطريق الفرات ودقوقاء وخانيجـار وغيرها من النواحي ،

لينهضوا إلى هؤلاء القرامطة إذ كان أصحاب السلطان متفرقين في نواحي الشأم ومصر ، فمضت الرسائل بذلك إليهم ، فحضروا ، ثم ورد الخبر فيها بأن الذين شخصوا مددأً لإسحاق بن عمران خرجوا إلى زكرويه في رجالهم ، وخلفوا إسحاق بن عمران بالكوفة مع مَنْ معه من رجاله ليضبطها ، وصاروا إلى موضع بينه وبين القادسيّة أربعة أميال ، يعرف بالصُّور وهي في البرية في العرض ، فلقاهم زكرويه هنالك فصافوه يوم الإثنين لتسع بقين من ذي الحجة .

وقد قيل كانت الواقعة يوم الأحد لعشرين بقين منه ، وجعل أصحاب السلطان بينهم وبين سوادهم نحواً من ميل ، ولم يخلفوا أحداً من المقاتلة عنده ، واشتدت الحرب بينهم ، وكانت الدّبرة أول هذا اليوم على القرمطي وأصحابه حتى كادوا أن يظفروا بهم ، وكان زكرويه قد كَمِنَ عليهم كميناً من خلفهم ، ولم يشعروا به ، فلما انتصف النهار خرج الكمين على السواد فانتبه ، ورأى أصحاب السلطان السيف من ورائهم ، فانهزموا أقبح هزيمة ، ووضع القرمطي وأصحابه السيف في أصحاب السلطان ، فقتلواهم كيف شاؤوا ، وصبر جماعة من غلمان الحجر من الخزر وغيرهم ، وهم زهاء مئة غلام ، وقاتلوا حتى قُتلوا جميعاً بعد نهاية شديدة نَكُوها في القرامطة ، واحتوت القرامطة على سواد أصحاب السلطان فحازوه ، ولم يُفلت من أصحاب السلطان إلّا مَنْ كان في دابته فَضَلَّ فنجا به ، أو من أثخن بالجراح ، فطرح نفسه في القتل ، فتحامل بعد انقضاء الواقعة حتى دخل الكوفة ، وأخذ للسلطان في هذا السواد ، مما كان وجّه به مع رجاله من الجمادات ، عليها السلاح والآلة زهاء ثلاثة جمارة ، ومن البغال خمسة بغل .

وذكر أن مبلغ مَنْ قُتل من أصحاب السلطان في هذه الواقعة سوى غلمانهم والحمّالين ومنْ كان في السواد ألف وخمسينَ رجل ، فقوى القرمطي وأصحابه بما أخذوا في هذه الواقعة ، وتطرف بيادر كانت إلى جانبه ، فأخذ منها طعاماً وشعيراً ، وحمله على بغال السلطان إلى عسكره ، وارتاح من موضع الواقعة نحواً من خمسة أميال في العرض إلى موضع يقرب من الموضع المعروف بنهر المثنية ، وذلك أن روائح القتل آذتهم .

وذكر عن محمد بن داود بن الجراح أنه قال : وافي بَابَ الكوفة الأعرابُ الذين

كان زكرويه راسلهم ، وقد انصرف المسلمون عن مصلاتهم مع إسحاق بن عمران ، فتفرقوا من جهتين ، ودخلوا أبيات الكوفة ، وقد ضربوا على القاسم بن أحمد داعية زكرويه قبة ، وقالوا: هذا ابن رسول الله ﷺ ، ودعوا: يالثارات الحسين! يعنون الحسين بن زكرويه المصلوب بباب جسر مدينة السلام ، وشعارهم: يا أحمد يا محمد - يعنون ابني زكرويه المقتولين . وأظهروا الأعلام البيض ، وقدرُوا أن يستغوا رعاع الكوفيين بذلك القول ، فأسرع إسحاق بن عمران ومن معه المبادرة نحوهم ، ودفعهم وقتل من ثبت له منهم ، وحضر جماعةٌ من آل أبي طالب ، فحاربوا مع إسحاق بن عمران ، وحضر جماعة من العامة؛ فحاربوا ، فانصرف القرامطة خاسئين ، وصاروا إلى قرية تدعى العشيرة من آخر عمل طشوج السالحين ونهر يوسف مما يلي البر من يومهم ، وأنذلوا إلى عدق الله زكرويه بن مهرويه من استخرج من نقير في الأرض ، كان متطرماً فيه سنين كثيرة بقرية الدرية وأهل قرية الصور يتلقونه على أيديهم ، ويسمونه ولِي الله ، فسجدوا له لَمَّا رأوه ، وحضر معه جماعة من دعاته وخاصته ، وأعلمهم أن القاسم بن أحمد أعظم الناس عليهم مِنْهُ ، وأنه رَدَّهم إلى الدين بعد خروجهم منه ، وأنهم إذا امثلوا أمره أنجز مواعيدهم ، وبلغهم آمالهم ، ورمز لهم رمزاً؛ وذكر فيها آيات من القرآن ، نقلها عن الوجه الذي أنزلت فيه ، واعترف لزكرويه جميع مَنْ رَسَخَ حُبُّ الكفر في قلبه من عربيٍّ ومولىٍ ونبيٍّ وغيرهم أنه رئيسهم المقدم ، وكفهم وملاذهم ، وأيقنوا بالنصر وبلغوا الأمل ، وسار بهم وهو محجوب عنهم يدعونه السيد ، ولا يبرزونه لمن في عسكرهم ، والقاسم يتولى الأمور دونه ، ويُمضيها على رأيه إلى مؤخر سقي الفرات من عمل الكوفة ، وأعلمهم أنَّ أهل السواد قاطبة خارجون إليه ، فأقام هنالك نِيَفاً وعشرين يوماً؛ يبث رسَّله في السوادين مستلتحقين ، فلم يلحق بهم من السواديين إلا من لحقته الشقوة ، وهم زهاء خمسينه رجل بنسائهم وأولادهم ، وسرَّب إليه السلطان الجنود ، وكتب إلى كلَّ مَنْ كان نفذ نحو الأنبار وهيت لضبطها خوفاً من معاودة المقيمين الذين كانوا بالماءين إليها بالانصراف نحو الكوفة ، فعجل إليهم جماعة من القواد منهم: بشر الأفشنيني ، وجني الصفواني ، ونحرير العمري ، ورائق فتى أمير المؤمنين ، والغلمان الصغار المعروفيين بالحجيرية ، فأوقعوا بأعداء الله بقرب قرية الصور ، فقتلوا رجالهم وجماعة من فرسانهم ، وأسلموا بيوتهم في

أيديهم ، فدخلوها ، وتشاغلوا بها ، فعطفت القرامطة عليهم فهزموهم ^(١).

وذكر عن بعض من ذكر أنه حضر مجلس محمد بن داود بن الجراح ، وقد أدخل إليه قوم من القرامطة ، منهم سلفُ زكرويه ، فكان مما حدثه أنه قال : كان زكرويه مختفيًّا في متزلي في سردار في داري عليه باب حديد ، وكان لنا تُور نقله ، فإذا جاءنا الطلب وضعنا التُور على باب السردار ، وقامت امرأة تسُجُّره؛ فمكث كذلك أربع سنين ، وذلك في أيام المعتصم ، وكان يقول : لا أخرج والمعتصم في الأحياء ، ثم انتقل من متزلي إلى دار قد جعل فيها بيت وراء باب الدار ، إذا فتح باب الدار انطبقَ على باب البيت ، فيدخل الداخل فلا يرى باب البيت الذي هو فيه ، فلم يزل هذه حاله حتى مات المعتصم ، فحينئذ أنفذ الدُّعاء ، وعمل في الخروج.

ولما ورد خبر الواقعة التي كانت بين القرمطي وأصحاب السلطان بالصَّور على السلطان والناس ، أعظمهوه ، ونُدب للخروج إلى الكوفة من ذكرت من القواد ، وجعلت الرئاسة لمحمد بن إسحاق بن كُنَّاج ، وضمَّ إليه جماعة من أعراببني شيبان والتَّمِّر زهاء الْفَيْ رجل ، وأعطُوا الأرزاق .

* * *

ولاثني عشرة بقيت من جمادى الأولى قدم بغداد من مكة جماعة نحو العشرة ، فصاروا إلى باب السلطان ، وسألوه توجيهه جيش إلى بلدتهم ، لأنهم على خوف من الخارج بناحية اليمن أن يطأ بلدتهم ، إذ كان قد قرب منها بزعيمهم.

وفي يوم الجمعة لاثني عشرة ليلة خلت من رجب ، قرئ على المنبر ببغداد كتابٌ ورد على السلطان ، أنَّ أهل صنعاء وغيرهم من مدن اليمن اجتمعوا على الخارجي الذي كان تغلب عليها ، فحاربوه وهزموه ، وفلوا جموعه ، فانحاز إلى موضع من نواحي اليمن ، ثم خلع السلطان لثلاث خلوٰن من شوال على مظفر

(١) هذه نهاية التفاصيل التي ذكرها الطبرى عن تلك المعارك الطاحنة فقد لخصها الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية [٢٧٣ - ٢٧٢] وانظر المتنظم [٤٤ - ٤٥] فابن الجوزي بدورة اختصر تلك التفاصيل فلينظر .

ابن حاج ، وعقد له على اليمن ، فخرج ابن حاج لخمس خلون من ذي القعدة ، ومضى إلى عمله باليمن ، فأقام بها حتى مات .

ولسبع بقين من رجب من هذه السنة ، أخرج مضرب المكتفي ، فضرب بباب الشمامية على أن يخرج إلى الشام بسبب ابن الخليج ، فوردت خريطة لست بقين منه من مصر من قبل فاتك ، يذكر أنه والقواد زحفوا إلى الخليجي ، وكانت بينهم حروب كثيرة ، وأن آخر حرب جرت بينهم وبينه قتيل فيها أكثر أصحابه ، ثم انهزم الباقون ، فظفروا بهم ، واحتلوا على معسكرهم ، فهرب الخليجي حتى دخل الفسطاط ، فاستر بها عند رجل من أهل البلد ، ودخل الأولياء الفسطاط ، فلما استقرروا بها دُلّ على الخليجي ، وعلى منْ كان استتر معه من شايته ، فقبض عليهم وحبسهم قبله ، فكتب إلى فاتك في حمل الخليجي ومنْ أخذ معه إلى مدينة السلام ، فرُدّت مضارب المكتفي التي أخرجت إلى باب الشمامسة ، ووجه في رد خزائنه ، فرُدّت وقد كانت جاوزت تكريت^(١) .

ثم وجه فاتك بالخليجي من مصر وجماعة ممّن أسر معه مع بشر مولى محمد بن أبي الساج إلى مدينة السلام .

فلما كان في يوم الخميس للنصف من شهر رمضان من هذه السنة أدخل مدينة السلام من باب الشمامية ، وقُدِّم بين يديه إحدى وعشرون رجلاً على جمال ، وعليهم برانس ودراريع حرير ، منهم ابنا بيتك - فيما قيل - وابن أشكال الذي كان صار إلى السلطان من عسكر عمرو الصفار في الأمان ، وصندل المزاجمي الخادم الأسود .

فلما وصل الخليجي إلى المكتفي ، فنظر إليه أمر بحبسه في الدار ، وأمر بحبس الآخرين في الحديد ، فوجّه بهم إلى ابن عمرويه ، وكانت إليه الشرطة ببغداد ، ثم خلع المكتفي على وزيره العباس بن الحسن خلعاً ، لحسن تدبيره في هذا الفتح ، وخلع على بشر الأفشيبي .

ولخمس خلون من شوال أدخل بغداد رأس القرمطي المسمى نصراً الذي كان انتهب هـيت منصوباً على قناة .

(١) انظر البداية والنتهاية (٨/٢٧٢).

ولسبع خلون من شوال ورد الخبر مدينة السلام أن الروم أغروا على قورس ، فقاتلهم أهلها ، فهزموهم ، وقتلوا أكثرهم ، وقتلوا رؤساءبني تميم ، ودخلوا المدينة ، وأحرقوا مسجدها ، واستأدوا من بقى من أهلها.

وحيث الناس في هذه السنة الفضل بن عبد الملك الهاشمي^(١).

* * *

ثم دخلت سنة أربع وتسعين ومئتين ذكر الخبر بما كان فيها من الأحداث الجليلة

فمما كان فيها من ذلك دخول ابن كيغلغ طرسوس غازياً في أول المحرم وخرج معه رستم ، وهي غزوة رستم الثانية ، فبلغوا سلندو ، ففتح الله عليهم ، وصاروا إلى آلس ، فحصل في أيديهم نحو من خمسة آلاف رأس ، وقتلوا من الروم مقتلةً عظيمة ، وانصرفوا سالمين.

[خبر زكرويه بن مهرويه القرمطي]^(٢)

ولاثنتي عشرة خلت من المحرم ورد الخبر مدينة السلام أن زكرويه بن مهرويه القرمطي ارتحل من الموضع المعروف بنهر المثنية ، ي يريد الحاج وأنه وافى موضعًا بينه وبين واقصة أربعة أميال.

وذكر عن محمد بن داود أنهم مضوا في البر من جهة المشرق ، حتى صاروا بالماء المسمى سلمان ، وصار ما بينهم وبين السواد مفازة ، فأقام بموضعه يريد الحاج يتضرر القافلة الأولى ، ووافت القافلة واقصة لست - أو سبع - خلون من المحرم ، فأنذرهم أهل المنزل ، وأخبروهم أن بينهم وبينه أربعة أميال.

فارتحلوا ولم يقيموا فنحوا ، وكان في هذه القافلة الحسن بن موسى الربيعى ، وسيما الإبراهيمى ، فلما أمعنت القافلة في السير صار القرمطي إلى واقصة ،

(١) انظر المتنظم (٤٥ / ١٣).

(٢) انظر المتنظم [١٣ / ٤٩ - ٥٠] فقد ذكر ابن الجوزي الخبر الطويل (هذا) مختصراً.

فسألهم عن القافلة فأخبروه أنها لم تقم بواقعة ، فاتّهمهم بإذارهم إياهم ، فقتل من العلafين بها جماعة ، وأحرق العلف ، وتحصن أهلها في حصنهم ، فأقام بها أياماً ، ثم ارتحل عنها نحو زباله .

وذكر عن محمد بن داود أنه قال: إن العساكر سارت في طلب زكرويه نحو عيون الطف ، ثم انصرفت عنه لما علمت بمكانه بسلمان ، ونفذ علان بن كشمرد مع قطعة من فرسان الجيش متجردة على طريق جادة مكة نحو زكرويه حتى نزلوا السّيال ، فمضى نحو واقعة حتى نزلها بعد أن جازت القافلة الأولى ، ومرّ زكرويه في طريقه بطوابئ منبني أسد ، فأخذها من بيتهما معه ، وقصد الحاج المنصرين عن مكة ، وقصد الجادة نحوهم .

ووافي خبر العظير من اللحوq لأربع عشر بقيت من المحرم من هذه السنة بأن زكرويه اعترض قافلة الخراسانية يوم الأحد لإحدى عشرة خلت من المحرم بالعقبة من طريق مكة ، فحاربوه حرباً شديداً ، فسألهما: وقال: أفيكم السلطان؟ قالوا: ليس معنا سلطان ، ونحن الحاج ، فقال لهم: فامضوا فلست أريدكم ، فلما سارت القافلة تبعها فأوقع بها ، وجعل أصحابه ينخسون الجمال بالرّماح ، ويتعجّونها بالسيوف ، فنفرت واختلطت القافلة ، وأكبّ أصحاب الخبيث على الحاج يقتلونهم كيف شاؤوا ، فقتلوا الرجال والنساء ، وسبّوا من النساء من أرادوا واحتروا على ما كان في القافلة ، وقد كان لقي بعض من أفلت من هذه القافلة علان بن كشمرد ، فسأله عن الخبر ، فأعلمه ما نزل بالقافلة الخراسانية ، وقال له: ما بينك وبين القوم إلا قليل ، والليلة أو في غد توافي القافلة الثانية ، فإن رأوا علماً للسلطان قويث أنفسهم ، والله الله فيهم! فرجع علان من ساعته ، وأمر من معه بالرجوع ، وقال: لا أعرض أصحاب السلطان للقتل ، ثم أصد زكرويه ، ووافته القافلة الثانية .

وقد كان السلطان كتب إلى رؤساء القافتين الثانية والثالثة ومن كان فيهما من القواد والكتاب مع جماعة من الرّسل الذين تنكّبوا طريق الجادة بخبر الفاسق و فعله بالحاج ، ويأمرهم بالتحرّز منه ، والعدول عن الجادة نحو واسط والبصرة ، أو الرجوع إلى قيّد أو إلى المدينة ، إلى أن يلحق بهم الجيوش . ووصلت الكتب إليهم فلم يسمعوا ولم يقيموا ، ولم يلبثوا وتقديم أهل القافلة

الثانية وفيها المبارك القمي وأحمد بن نصر العقيلي وأحمد بن علي بن الحسين الهمذاني ، فوافوا الفجرة وقد رحلوا عن واقعة وعوروا مياهاها ، وملؤوا بركها وأبارها بجيف الإبل والدواب التي كانت معهم ، مشقة بطونها ، ووردوا منزل العقبة في يوم الإثنين لاثنتي عشرة خلث من المحرم ، فحاربهم أصحاب القافلة الثانية ، وكان أبو العشائر مع أصحابه في أول القافلة ومبارك القمي فيمن معه في ساقتها ، فجرت بينهم حرب شديدة حتى كشفوهم ، وأشاروا على الظفر بهم ، فوجد الفجرة من ساقتهم غرّة ، فركبوهم من جهتها ، ووضعوا رماحهم في جنوب إبلهم وبطونها ، فطحنتهم الإبل وتمكنوا منهم ، فوضعوا السيف فيهم فقتلواهم عن آخرهم ، إلا من استعبدوه ، ثم أنددوا إلى ما دون العقبة بأميال فوارس لحقوا المفلحة من السيف ، فأعطوه الأمان ، فرجعوا فقتلواهم أجمعين ، وسبوا من النساء ما أحبو ، واتسحوا الأموال والأمتعة ، وقتل المبارك القمي والمظفر ابنه ، وأسر أبو العشائر ، وجُمع القتلى ، فُوضع بعضهم على بعض ، حتى صاروا كالتل العظيم ، ثم قطعت يدا أبي العشائر ورجله ، وُضربت عنقه ، وأطلق من النساء من لم يرغبو فيه ، وأفلت من الجرحى قوم وقعوا بين القتلى ، فتحاملوا في الليل ومضوا؛ فمنهم من مات ، ومنهم من نجا وهم قليل ، وكان نساء القرامطة يطفن مع صبيانهم في القتلى يعرضون عليهم الماء ، فمن كلامهم أجهزوا عليه .

وقيل: إنه كان في القافلة من الحاج زهاء عشرين ألفاً رجلاً ، قُتل جميعهم غير نفر يسير من قوي على العدو ، فنجا بغير زاد ومن وقع في القتل وهو مجروح ، وأفلت بعده ، أو من استعبدوه لخدمتهم .

وذكر أن الذي أخذوا من المال والأمتعة الفاخرة في هذه القافلة قيمة ألفي ألف دينار .

وذكر عن بعض الضرائب: أنه قال: وردت علينا كتب الضرائب بمصر: أنكم في هذه السنة تستغنوون ، قد وجه آل ابن طولون والقواد المصريون الذين أشخاصوا إلى مدينة السلام ، ومن كان في مثل حالهم في حمل ما لهم بمصر إلى مدينة السلام ، وقد سبكون آنية الذهب والفضة واللحبي بقاراً ، وحمل إلى مكة

ليوافوا به مدينة السلام مع الحاج ، فُحمل في القوافل الشاخصة إلى مدينة السلام ، فذهب ذلك كلـه .

وذكر : أن القرامطة بينما هم يقتلون وينهبون هذه القافلة يوم الإثنين ؛ إذ أقبلت قافلة الحُراسانية ، فخرج إليهم جماعةٌ من القرامطة ، فواقعوهم ، فكان سبيـلـهم سـبـيلـ هذه ، فلما فرغ زكرويه من أهل القافلة الثانية من الحاج . وأخذ أموالـهم ، واستباح حـرـيمـهم ، رـحلـ مـنـ وـقـتهـ منـ العـقـبةـ بـعـدـ أـنـ مـلـأـ الـبرـكـ وـالـآـبـارـ بهاـ بـالـجـيـفـ منـ النـاسـ وـالـدـوـابـ ، وـكـانـ وـرـدـ خـبـرـ قـطـعـهـ عـلـىـ القـافـلـةـ الثـانـيـةـ مـنـ قـوـافـلـ السـلـطـانـ مـدـيـنـةـ السـلـامـ فـيـ عـشـيـةـ يـوـمـ الـجـمـعـةـ لـأـربعـ عـشـرـ بـقـيـتـ مـنـ الـمـحـرـمـ ، فـعـظـمـ ذـلـكـ عـلـىـ النـاسـ جـمـيـعـاـ وـعـلـىـ السـلـطـانـ ، وـنـدـبـ الـوـزـيرـ الـعـبـاسـ بـنـ الـحـسـنـ بـنـ أـيـوبـ مـحـمـدـ بـنـ دـاـودـ بـنـ الـجـرـاحـ الـكـاتـبـ الـمـتـوـلـيـ دـوـاـوـينـ الـخـرـاجـ وـالـضـيـاعـ بـالـمـشـرـقـ وـدـيـوـانـ الـجـيـشـ لـلـخـرـوجـ إـلـىـ الـكـوـفـةـ ، وـالـمـقـامـ بـهـ لـإـنـفـاذـ الـجـيـشـ إـلـىـ الـقـرـمـطـيـ ، فـخـرـجـ مـنـ بـغـدـادـ لـإـحـدـىـ عـشـرـ بـقـيـتـ مـنـ الـمـحـرـمـ ، وـحـمـلـ مـعـهـ أـمـوـالـ كـثـيرـةـ لـإـعـطـاءـ الـجـنـدـ .

ثم سار زكرويه إلى زُبالة فنزلها ، وبـثـ الطـلـائـعـ أـمـامـهـ وـورـاءـهـ خـوـفـاـ منـ أـصـحـابـ السـلـطـانـ الـمـقـيـمـينـ بـالـقـادـسـيـةـ أـنـ يـلـحـقـوـهـ وـمـتـوقـعـاـ وـرـوـدـ القـافـلـةـ الثـالـثـةـ التـيـ فـيـهـ الـأـمـوـالـ وـالـتـجـارـ ، ثـمـ سـارـ إـلـىـ الـثـلـلـيـةـ ، ثـمـ إـلـىـ الـشـقـوقـ ، وـأـقـامـ بـهـ بـيـنـ الـشـقـوقـ وـالـبـلـطـانـ فـيـ طـرـفـ الرـمـلـ فـيـ مـوـضـعـ يـعـرـفـ بـالـطـلـيـحـ ، يـنـتـظـرـ القـافـلـةـ الثـالـثـةـ ، وـفـيـهـ مـنـ الـقـوـادـ نـفـيـسـ الـمـوـلـدـيـ وـصـالـحـ الـأـسـوـدـ ، وـمـعـهـ الشـمـسـةـ وـالـخـرـانـةـ ، وـكـانـ الشـمـسـةـ جـعـلـ فـيـهـ الـمـعـتـضـدـ جـوـهـرـاـ نـفـيـساـ .

وـفـيـ هـذـهـ القـافـلـةـ ، كـانـ إـبـرـاهـيمـ بـنـ أـبـيـ الـأـشـعـثـ - وـإـلـيـهـ كـانـ قـضـاءـ مـكـةـ وـالـمـدـيـنـةـ وـأـمـرـ طـرـيقـ مـكـةـ وـالـنـفـقـةـ فـيـهـ لـمـصـالـحـهـ - وـمـيمـونـ بـنـ إـبـرـاهـيمـ الـكـاتـبـ - وـكـانـ إـلـيـهـ أـمـرـ دـيـوـانـ زـمـامـ الـخـرـاجـ وـالـضـيـاعـ - وـأـحـمـدـ بـنـ مـحـمـدـ بـنـ أـحـمـدـ الـمـعـرـوفـ بـابـنـ الـهـزـلـجـ ، وـالـفـرـاتـ بـنـ أـحـمـدـ بـنـ مـحـمـدـ بـنـ الـفـرـاتـ ، وـالـحـسـنـ بـنـ إـسـمـاعـيلـ قـرـابـةـ الـعـبـاسـ بـنـ الـحـسـنـ - وـكـانـ يـتـولـىـ بـرـيدـ الـحـرـمـينـ - وـعـلـيـ بـنـ الـعـبـاسـ الـنـهـيـكـيـ .

فـلـمـاـ صـارـ أـهـلـ هـذـهـ القـافـلـةـ إـلـىـ فـيـدـ بـلـغـهـ خـبـرـ الـخـبـيثـ زـكـرـوـيـهـ وـأـصـحـابـهـ ، وـأـقـامـوـاـ بـفـيـدـ أـيـامـاـ يـتـنـظـرـوـنـ تـقـوـيـةـ لـهـمـ مـنـ قـبـلـ السـلـطـانـ .

وقد كان ابن كشمرد رجع من الطريق إلى القادسية في الجيوش التي أنفذها السلطان معه وقبله وبعد.

ثم سار زكرويه إلى فَيْد ، وبها عامل السلطان ، يقال له : حامد بن فیروز ، فالتجأ منه حامد إلى أحد حصنيها في نحو من مئة رجل كانوا معه في المسجد ، وشَحَنَ الحصن الآخر بالرجال ، فجعل زكرويه يراسل أهل فَيْد ، ويسألهم أن يُسلِّموا إليه عاملهم ومنْ فيها من الجندي ، وأنهم إن فعلوا ذلك آمنهم ، فلم يجيئوه إلى ما سأله ، ولمّا لم يجيئوه حاربهم ، فلم يظفر منهم بشيء ، قال : فلما رأى أنه لا طاقة له بأهلها ، تناهى فصار إلى النِّيَاج ، ثم إلى حُفَير أبي موسى الأشعري .

وفي أول شهر ربيع الأول أنهض المكتفي وصيف بن صوارتكين - ومعه من القواد جماعة - فنفذوا من القادسية على طريق خفَان ، فلقيه وصيف يوم السبت لثمان بقين من شهر ربيع الأول ، فاقتتلوا يومهم ، ثم حجز بينهم الليل ، فباتوا يتحارسون ، ثم عاودهم الحرب ، فقتل جيش السلطان منهم مقتلة عظيمة ، وخلصوا إلى عدو الله زكرويه ، فضربه بعض الجندي بالسيف على قفاه وهو مولًّ ضربة اتصلت بدماغه ، فأخذ أسيرًا وحليفه وجماعة من خاصته ، وأقربائه ، فيهم ابنه وكاتبه وزوجته ، واحتوى الجندي على ما في عسكره ، وعاش زكرويه خمسة أيام ثم مات ، فشقَّ بطنه ، ثم حُمِّل بهيئته ، وانصرف بمن كان بقي حيًّا في يديه من أسرى الحاج .

* * *

وفيها غزا ابن كيَّلغُلخ من طَرسوس ، فأصاب من العدو أربعة آلاف رأس سبُّي ودواَبٌ ومواشي كثيرة ومتاعاً ، ودخل بِطريق من البطارقة إليه في الأمان ، وأسلم ، وكان شخوصه من طَرسوس لهذه الغزاة في أول المحرم من هذه السنة^(١) .

وفيها كاتب أندر ونقس البطريق السلطان يطلب الأمان ، وكان على حرب أهل الشغور من قَلَّ صاحب الروم ، فأعطيَ ذلك ، فخرج ، وأخرج نحواً من مئتي

(١) انظر البداية والنهاية [٢٧٣/٨]

نفس من المسلمين كانوا أسرى في حصنه ، وكان صاحب الروم قد وَجَّهَ إِلَيْهِ مَنْ يقبض عليه ، فأعطى المسلمين الذين كانوا في حصنه أسرى السلاح ، وأخرج معهم بعض بنيه ، فكبسوا الطريق الموَجِّهُ إِلَيْهِ لِلقبضِ عَلَيْهِ لِيلًا ؛ فقتلوا مَمْنَ مَعْهُ خَلْقًا كثِيرًا ، وغنموا ما في عسكره ، وكان رستم قد خرج في أهل التغور في جمادى الأولى قاصداً أندرونقس ليتخلصه ، فوافى رستم قونية بعقب الواقعة ، وعلم البطارقة بمسير المسلمين إليهم فانصرفوا ، ووَجَّهَ أندرونقس ابنه إلى رستم ، ووَجَّهَ رستم كاتبه وجماعة من البحرين ، فباتوا في الحصن ، فلما أصبحوا خرج أندرونقس وجميُّ مَنْ مَعْهُ من أسرى المسلمين ، وَمَنْ صارُ إِلَيْهِمْ مِنْهُمْ ، وَمَنْ وافَهُ عَلَيْهِ رأْيُهُ مِنَ النَّصَارَى ، وأخرج ماله ومتاعه إلى معسكر المسلمين ، وخرب المسلمين قونية ، ثم قفلوا إلى طرسوس وأندرونقس وأسرى المسلمين ، وَمَنْ كَانَ مَعَ أَنْدَرُونقَسِ مِنَ النَّصَارَى .

وفي جمادى الآخرة منها كانت بين أصحاب حسين بن حمدان بن حمدون وجماعة من أصحاب ذكرؤيه كانوا هربوا من الواقعة التي أصابها فيها ما أصابه ، وأخذوا طريق الفرات يريدون الشام ، فأوقع بهم وقعة ، فقتل جماعة منهم ، وأسر جماعة من نسائهم وصبيانهم .

وفيها وَافَى رَسُولُ مَلِكِ الرُّومِ أَحَدُهُمْ خَالُ وَلَدِهِ أَلْيُونَ وَبِسِيلَ الْخَادِمِ ، وَمَعْهُمْ جماعة بباب الشمامسة بكتاب منه إلى المكتفي يسأله الفداء بَمَنْ فِي بَلَادِهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، مَنْ فِي بَلَادِ الإِسْلَامِ مِنَ الرُّومِ ، وَأَنْ يَوْجَّهَ الْمَكْتَفِي رَسُولًا إِلَى بَلَادِ الرُّومِ لِيَجْمِعَ الْأَسْرَى مِنَ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ فِي بَلَادِهِ ، وَلِيَجْتَمِعَ هُوَ مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ يَقْقَانُ عَلَيْهِ ، وَيَتَخَلَّفُ بِسِيلَ الْخَادِمِ بِطَرْسُوسَ لِيَجْتَمِعَ إِلَيْهِ الْأَسْرَى مِنَ الرُّومِ فِي التغور ليصيّرُهُمْ مَعَ صاحب السلطان إلى موضع الفداء ، فأقاموا بباب الشمامسة أيامًا ، ثم أدخلوا بغداد ومعهم هدية من صاحب الروم عشرة من أسرى المسلمين ، فقبلت منهم ، وأجيب صاحب الروم إلى ما سأله .

وفيها أخذَ رَجُلٌ بِالشَّامَ - زَعَمَ أَنَّهُ السَّفِيَانِيَّ - فَحَمِلَ هُوَ وَجَمَاعَتُهُ مَعَهُ مِنَ الشَّامَ إِلَى بَابِ السُّلْطَانِ ، فَقَيْلَ : إِنَّهُ مُوسُوسَ .

وفيها أخذ الأعراب بطريق مكة رجلين يعرف أحدهما بالحداد والآخر بالمنتقم ، وذكر : أن المعروف بالمنتقم منهما أخو امرأة زكرويه ، فدفعوهما إلى نزار بالكوفة ، فوجههما نزار إلى السلطان ، فذكر عن الأعراب أنهما كانا صارا إليهما يدعوانهم إلى الخروج على السلطان .

وفيها وجّه الحسين بن حمدان من طريق الشام رجلاً يعرف بالكيال مع ستين رجلاً من أصحابه إلى السلطان كانوا استأمنوا إليه من أصحاب زكرويه .

وفيها وصل إلى بغداد أندرونقس البطريق .

وفيها كانت وقعة بين الحسين بن حمدان وأعراب كليب والتمر وأسد وغيرهم ، اجتمعوا عليه في شهر رمضان منها ، فهزموه حتى بلغوا به باب حلب . وفيها حاصر أعراب طيئ وصيف بن صوارتكين بفِيد ، وكان وجّه أميراً على الموسم ، فحُوصر ثلاثة أيام ، ثم خرج إليهم ، فواقعهم فقتل منهم قتلى ، ثم انهزمت الأعراب ، ورحل وصيف من فِيد بمن معه من الحاج .

وحج بالناس الفضل بن عبد الملك الهاشمي^(١) .

* * *

ثم دخلت سنة خمس وتسعين ومتّين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من خروج عبد الله بن إبراهيم المسمعي عن مدينة أصبهان إلى قرية من قراها على فراسخ منها وانضمّام نحو من عشرة آلاف من الأكراد وغيرهم - فيما ذكر - إليه مظهراً الخلاف على السلطان ، فأمر بدر الحمامي بالشخصوص إليه ، وضمّ إليه جماعة من القواد ونحو من خمسة آلاف من الجند .

وفيها كانت وقعة للحسين بن موسى على أعراب طيئ الذين كانوا حاربوا وصيف بن صوارتكين على غرّة منهم ، فقتل من رجالهم - فيما قيل - سبعين ، وأسرَ من فرسانهم جماعة .

(١) انظر المنتظم (١٣/٥٠).

وفيها تُوفى أبو إبراهيم إسماعيل بن أحمد عامل خراسان وما وراء النهر في صفر منها لأربع عشرة خلت منه ، وقام ابنه أحمد بن إسماعيل بن أحمد في عمل أبيه مقامه ، وولي أعمال أبيه ، وذكر: أن المكتفي لأربع ليال خلون من شهر ربيع الآخر قَدَّ ، فعقد بيده لواء ودفعه إلى طاهر بن عليّ بن وزير ، وخلع عليه وأمره بالخروج باللواء إلى أحمد بن إسماعيل^(١) .

وفيها وُجّه منصور بن عبد الله بن منصور الكاتب إلى عبد الله بن إبراهيم المسمعي ، وكتب إليه يخوّفه عاقبة الخلاف إليه ، فتوّجه إليه ، فلما صار إليه ناظره ، فرجع إلى طاعة السلطان ، وشخص في نفر من غلمانه ، واستخلف على عمله بأصبهان خليفة ، ومعه منصور بن عبد الله ، حتى صار إلى باب السلطان ، فرضي عنه المكتفي ، ووصله وخلع عليه وعلى ابنه .

وفيها أوقع الحسين بن موسى بالكردي المتغلب كان على نواحي الموصل ، فظفر ب أصحابه ، واستباح عسكره وأمواله ، وأفلت الكردي فتعلق بالجبال فلم يدرك .

وفيها فتح المظفر بن حاج بعض ما كان غالب عليه بعض الخوارج باليمن ، وأخذ رئيساً من رؤسائهم يعرف بالحكيمي .

وفيها لثلاث عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة أمر خاقان المقلحى بالشخص إلى أذريجان لحرب يوسف بن أبي الساج ، وضمّ إليه نحو أربعة آلاف رجل من الجند .

ولثلاث عشرة بقيت من شهر رمضان دخل بغداد رسول أبي مُضْر زيادة الله بن الأغلف ، ومعه فتح الأعمى ، ومعه هدايا وجه بها إلى المكتفي .

وفيها تمّ الفداء بين المسلمين والروم في ذي القعدة؛ وكانت عدّة من فودي بها من الرجال والنساء ثلاثة آلاف نفس^(٢) .

وفي ذي القعدة لاثنتي عشرة ليلة خلت منها تُوفى المكتفي بالله ، وكانت

(١) لوفاة إسماعيل عامل خراسان انظر وفيات الأعيان (٥/١٦١).

(٢) انظر المنتظم (١٣/٥٩).

خلافته ست سنين وستة أشهر وتسعة عشر يوماً ، وكان يوم تُوفَّى ابنَ اثنين وثلاثين سنة يومئذ ، وكان ولد سنة أربع وستين ومئتين ، ويكنى أباً محمد ، وأمه أم ولد تركية تسمى چيچك ، وكان رَبْعَةَ جميلاً ، رقيق اللون ، حسن الشعر ، وافر الجُمَّةِ ، وافر اللحية^(١) .

* * *

(١) وكذلك ذكر ابن الجوزي (المتنظم ٥٩ / ١٣) واختار الحافظ ابن كثير أنه توفي في ذي القعدة من هذه السنة [البداية والنهاية ٨ / ٢٧٤] ولترجمته ووفاته انظر سير أعلام النبلاء (٤٧٩ / ١٣) وتاريخ بغداد [٣١٦ / ١١].

خلافة المقتدر بالله

ثم بويع جعفر بن المعتضد بالله؛ ولما بويع جعفر بن المعتضد لقب المقتدر بالله وهو يومئذ ابن ثلث عشرة سنة وشهر واحد وأحد وعشرين يوماً، وكان مولده ليلة الجمعة لشمان بقين من شهر رمضان من سنة اثنتين وثمانين ومئتين، وكنيته أبو الفضل، وأمه أم ولد يقال لها شغب، فذكر أنه كان في بيت المال يوم بويع خمسة عشر ألف دينار، ولما بويع المقتدر غسل المكتفي وصلّى عليه، ودُفِنَ في موضع من دار محمد بن عبد الله بن طاهر^(١).

وفيها كانت بين عج بن حاج والجند وقعة في اليوم الثاني من أيام مني، قُتِلَ فيها جماعة، وجرح منهم بسبب طلبهم جائزة بيعة المقتدر، وهرب الناس الذين كانوا بمنى إلى بستان ابن عامر، وانتهت الجند مضرب أبي عدنان ربيعة بن محمد بمنى، وكان أحد أمراء القوافل، وأصحاب المنصريين من مكة في منصرفهم في الطريق من القطع والعطش أمر غليظ، مات من العطش - فيما قيل - منهم جماعة، وسمعت بعض من يحكى: أن الرجل كان يبول في كفه، ثم يشربه. وحجّ الناس فيها الفضل بن عبد الملك الهاشمي.

ثم دخلت سنة ست وتسعين ومئتين
ذكر الخبر بما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من اجتماع جماعة من القواد والكتاب والقضاة على خلع

(١) انظر المتنظم (٦٠ / ١٣) وقد قال فيما قال (ابن الجوزي): وبويع بالخلافة بعد وفاة المكتفي في سحر يوم الأحد لأربع عشرة ليلة خلت من ذي القعدة من هذه السنة. أ. هـ. وهذا الذي اختاره الحافظ ابن كثير [٨ / ٢٧٥].

المقتدر ، وتناظرهم فيمن يجعل في موضعه ، فاجتمع رأيهم على عبد الله بن المعتز وناظروه في ذلك ، فأجابهم إلى ذلك على ألا يكون في ذلك سفك دم ولا حرب ، فأخبروه : أنَّ الْأَمْرَ يُسَلِّمُ إِلَيْهِ عَفْوًا ، وأنَّ جمِيعَ مَنْ ورَاءَهُمْ مِنَ الْجَنْدِ وَالْقَوَادِ وَالْكِتَابِ قَدْ رَضُوا بِهِ ، فبَايِعُهُمْ عَلَى ذَلِكَ ، وَكَانَ الرَّأْسُ فِي ذَلِكَ مُحَمَّدُ بْنُ دَاوِدَ بْنِ الْجَرَاحِ ، وَأَبُو الْمَشْنَى أَحْمَدُ بْنُ يَعْقُوبَ الْقَاضِيِّ ، وَوَاطَّا مُحَمَّدُ بْنُ دَاوِدَ بْنِ الْجَرَاحِ جَمَاعَةً مِنَ الْقَوَادِ عَلَى الْفَتْكِ بِالْمُقْتَدِرِ وَالْبَيْعَةِ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمَعْتَزِ ، وَكَانَ الْعَبَاسُ بْنُ الْحَسَنِ عَلَى مُثْلِ رَأْيِهِمْ ، فَلَمَّا رَأَى الْعَبَاسَ أَمْرَهُ مُسْتَوْثِقًا لَهُ مَعَ الْمُقْتَدِرِ ، بَدَأَهُ فِيمَا كَانَ عَزْمُ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ ، فَحِينَئِذٍ وَثَبَ بِهِ الْآخَرُونَ فَقَتَلُوهُ ، وَكَانَ الَّذِي تَولَّ قَتْلَهُ بَدْرُ الْأَعْجَمِيُّ ، وَالْحَسِينُ بْنُ حَمْدَانٍ ، وَوَصِيفُ بْنُ صَوَارِتَكِينَ ، وَذَلِكَ يَوْمُ السَّبْتِ لِإِحْدَى عَشْرَةِ لَيْلَةٍ بَقِيتُ مِنْ شَهْرِ رَبِيعِ الْأُولِ.

ولما كان من غدِّ هذا اليوم - وذلك يوم الأحد - خلع المقتدر القواد ، والكتاب ، وقضاة بغداد ، وبايعوا عبد الله بن المعتز ، ولقبوه الراضي بالله^(١) . وكان الذي أخذ له البيعة على القواد وتولى استخلافهم والدعاء بأسمائهم محمد بن سعيد الأزرق كاتب الجيش .

وفي هذا اليوم كانت بين الحسين بن حمدان وبين غلمان الدار حرب شديدة من غدوة إلى انتصاف النهار .

وفيه انقضت الجموع التي كان محمد بن داود جمعها لبيعة ابن المعتز عنه ؛ وذلك : أنَّ الْخَادِمَ الَّذِي يَدْعُ مَؤْنَسًا حَمَلَ غَلْمَانَ الدَّارِ فِي شَدَّوَاتِ ،

(١) تحدث ابن الجوزي عن اجتماع القادة المذكورين وبيعتهم لابن المعتز [المتنظر ١٣/٧٩] والبداية والنهاية [٨/٢٧٧] وهنالك رواية مستندة تتحدث عن هذه الواقعة وتبيّن الرواية حرص الطبرى على معرفة ما دار وما حدث في هذا الاجتماع ورأيه الخاص في ذلك فقد قال المعافى بن زكريا الجيرى وهو يتحدث عن هذه الحادثة التي حدثت سنة (٢٩٦ هـ) (لما خلع المقتدر وبويغ ابن المعتز دخلوا على شيخنا محمد بن جرير الطبرى فقال : ما الخبر ؟ قيل بويغ ابن المعتز قال فمن رشح للوزارة ؟ قيل محمد بن داود قال فمن ذكر للقضاء ؟ قيل : أبو المشنى فأطرق ثم قال : هذا الأمر لا يتم . . . إلى آخر الخبر - تاريخ الخلفاء للسيوطى /

فصادع بها وهم فيها في دجلة ، فلما حاذوا الدار التي فيها ابن المعترّ ومحمد بن داود صاحوا بهم ، ورشقوهم بالنشاب ، فتفرقوا وهربَ مَنْ في الدار من الجندي والقواد والكتاب ، وهرب ابن المعترّ ولحق بعض الذين بایعوا ابن المعترّ بالمقذر ، فاعتذروا بأنه منع من المصير إليه ، واختفى بعضهم فأخذوا وقتلوا وانتهت العامة دور ابن داود والعباس بن الحسن ؛ وأخذ ابن المعترّ فيمن أخذ .

وفي يوم السبت لأربع بقين من شهر ربيع الأول منها سقط الثلوج ببغداد من غدوة إلى قدر صلاة العصر ، حتى صار في الدور والسطوح منه نحو من أربعة أصابع ، وذكر أنه لم ير ببغداد مثل ذلك قط^(١) .

وفي يوم الإثنين لليلتين بقينا من شهر ربيع الأول منها ، سُلَّمَ محمد بن يوسف القاضي ، ومحمد بن عمرويه ، وأبو المثنى ، وابن الجصاص ، والأزرق كاتب الجيش في جماعة غيرهم إلى مؤنس الخازن ، فترك أبو المثنى في دار السلطان ، ونقل الآخرين إلى منزله ، فافتدى بعضهم نفسه ، وقتل بعضهم ، وشُفع في بعض فأطلق^(٢) .

وفيها كانت وقعة بين طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث وسبكري غلام عمرو بن الليث ، فأسر سبكري طاهراً ، ووجهه مع أخيه يعقوب بن محمد إلى السلطان .

وفيها وجه القاسم بن سيماء مع جماعة من القواد والجندي في طلب حسين بن حمدان بن حمدون ، فشخص لذلك حتى صار إلى قرقيسيا والرحبة ، والدالية ، وكتب إلى أخي الحسين عبد الله بن حمدان بن حمدون بطلب أخيه ، فالتحق هو وأخوه بموضع يعرف بالأعمى بين تكريت والسودانية بالجانب الغربي من دجلة ، فانهزم عبد الله ، وبعث الحسين يطلب الأمان ، فأعطي ذلك .

وليس بقين من جمادى الآخرة منها وافى الحسين بن حمدان بغداد ، فنزل بباب حرب ، ثم صار إلى دار السلطان من غد ذلك اليوم ، فخلع عليه وعقد له على قُمَّ وقاشان .

(١) انظر المتظم (٨١/١٣).

(٢) انظر المتظم (٨٢/١٣).

ولست بقين من جمادى الآخرة ، خلع على ابن دليل النصرانى كاتب يوسف بن أبي الساج رسوله ، وعقد ليوسف بن أبي الساج على المرااغة وأدرب يجان ، وحملت إليه الخلع ، وأمر بالشخصوص إلى عمله.

وللنصف من شعبان منها خلع على مؤنس الخادم ، وأمر بالشخصوص إلى طرسوس لغزو الصائفة ، فنفذ لذلك وخرج في عسكر كثيف وجماعة من القواد غلمان الحجر^(١).

وحجّ الناس فيها الفضل بن عبد الملك الهاشمى^(٢).

ثم دخلت سنة سبع وتسعين ومئتين ذكر الخبر بما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من غزو مؤنس الخادم الصائفة بلاد الروم من ثغر ملطية في جيش كثيف ، ومعه أبو الأغر السُّلْطَنِي وظفر بالرُّوم ، وأسر أعلاجاً في آخر سنة ست وتسعين ومئتين ، وورد الخبر بذلك على السلطان لست خلون من المحرّم^(٣).

وفيها صار الليث بن عليّ بن الليث الصفار إلى فارس في جيش ، فتغلّب عليها ، وطرد عنها سُبْكَرِي ، وذلك بعدهما ولّى السلطان سُبْكَرِي بعدهما بعث سبكري طاهر بن محمد إلى السلطان أسيراً ، فأمر المقتدر مؤنساً الخادم بالشخصوص إلى فارس لحرب الليث بن عليّ ، فشخص إليها في شهر رمضان منها.

وفيه وجّه أيضاً المقتدر القاسم بن سيماء لغزوة الصائفة ببلاد الروم في جمع كثير من الجناد في شوال منها^(٤).

وفيها كانت بين مؤنس الخادم والليث بن عليّ بن الليث وقعة هزم فيها

(١) انظر المنتظم (٨٢/١٣).

(٢) انظر المنتظم (٨٢/١٣).

(٣) انظر المنتظم (٩٣/١٣).

(٤) انظر المنتظم (٩٣/١٣).

ثم دخلت سنة تسع وتسعين ومئتين

الليث ، ثم أسر وقتل من أصحابه جماعة كثيرة ، واستأنف منهم إلى مؤنس
جماعة كثيرة ، ودخل أصحاب السلطان التوبنديجان ، وكان الليث قد تغلب
عليها .

وأقام الحجّ فيها للناس الفضل بن عبد الملك بن عبد الله بن عبيد الله بن
العباس بن محمد^(١) .

ثم دخلت سنة ثمان وتسعين ومئتين

ذكر الخبر بما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان فيها من غزو القاسم بن سيماء أرض الروم الصائفة^(٢) .

وفيها وجّه المقتدر وصيف كامه الديلمي في جيش وجماعة من القواد لحرب
سبكري غلام عمرو بن الليث .

وفيها كانت بين سبكري ووصيف كامه وقعة هزمته فيها وصيف ، وأخرجه من
عمل فارس ، ودخل وصيف كامه ومن معه فارس ، واستأنف إليه من أصحاب
سبكري جماعة كثيرة ، فأسر رئيس عسكره المعروف بالقتال ، ومضى سبكري
هارباً إلى أحمد بن إسماعيل بن أحمد بما معه من الأموال والذخائر فأخذ ما معه
إسماعيل بن أحمد ، وقبض عليه فحبسه .

وفيها كانت بين أحمد بن إسماعيل بن أحمد ومحمد بن علي بن الليث وقعة
بناحية بُست والرُّنج ، أسره فيها أحمد بن إسماعيل .

وحجّ بالناس فيها الفضل بن عبد الملك^(٣) .

ثم دخلت سنة تسع وتسعين ومئتين

ذكر الخبر بما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من غزو رستم بن بردوا الصائفة من ناحية طرسوس ، وهو

(١) انظر المنتظم (١٣/٩٣).

(٢) انظر المنتظم (١٣/١٠٥).

(٣) انظر المنتظم (١٣/١٠٥).

والى الشغور من قبل بني نقيس ، ومعه دميانة ، فحاصر حصن ملبح الأرمني ، ثم رحل عنه ، وأحرق أرباض ذي الكلاع .

وفيها ورد رسول أحمد بن إسماعيل بن أحمد بكتاب منه إلى السلطان يخبره فيه أنه فتح سجستان ، وأن أصحابه دخلوها ، وأخرجوا من كان بها من أصحاب الصفار ، وأن المعدل بن عليّ بن الليث صار إليه بمن معه من أصحابه في الأمان ، وكان المعدل يومئذ مقيناً بزرنج ، فصار إلى أحمد بن إسماعيل وهو مقيم بسُنْت والرَّخْج ، فوجَّهَ به ابن إسماعيل وبعاليه ومن معه إلى هراة ، وبين سجستان وبُسْت الرَّخْج ستون فرسخاً ، فوردت الخريطة بذلك على السلطان يوم الإثنين لعشر خلؤن من صفر^(١) .

وفيها وافي بغداد العطير صاحب زكرويه ومعه الأغر - وهو أيضاً أحد قواد زكرويه - مستأمناً .

وفي ذي الحجة منها غضب على عليّ بن محمد بن الفرات لأربع خلؤن منه ، وحبس وُكّل بدوره ودور أهله وأخذ كلّ ما وُجد له ولهم ، وانتهب دوره ودور بني إخوته وأهلهما ، واستوزر محمد بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان^(٢) .
وحج بالناس فيها الفضل بن عبد الملك^(٣) .

ثم دخلت سنة ثلاثة

ذكر الخبر بما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من ورود بغداد رسول من العامل على بُزقة ، وهي من عمل مصر ، إلى ما خلفها بأربع فراسخ ، ثم ما بعد ذلك من عمل المغرب بخبر خارجي خرج عليه ، وأنه ظفر بعسكره ، وقتل خلقاً من أصحابه ، ومعه آذان وأنوف من قتله في خيوط وأعلام من أعلام الخارجى .

وفي هذه السنة كثُرت الأمراض والعلل ببغداد في الناس ، وذكر أن الكلاب

(١) انظر المنتظم (١٢٤/١٣).

(٢) انظر المنتظم (١٢٣/١٣).

(٣) انظر المنتظم (١٢٣/١٣).

والذئاب كلبت فيها بالبادية ، فكانت تطلب الناس والدواب والبهائم ، فإذا عضَّت إنساناً أهلكته^(١).

وحيث بالناس فيها الفضل بن عبد الملك الهاشمي^(٢).

ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك عزل المقتدر محمد بن عبيد الله عن الوزارة وحبسه إياه مع ابنه عبد الله وعبد الواحد وتصييره عليّ بن عيسى بن داود بن الجراح له وزيراً^(٣).

وفيها كثر أيضاً الوباء ببغداد ، فكان بها منه نوع سمّوه حَيْنِيَّا ، ومنعه نوع سمّوه الماسرا؛ فأما الحَيْنِيَّة فكانت سليمة ، وأما الماسرا فكانت طاعوناً قاتلاً^(٤).

وفيها أحضر دار الوزير عليّ بن عيسى رجل - ذكر أنه يعرف بالحلاج ويكنى أباً محمد - مُشغِّلَة ، ومعه صاحب له ، سمعت جماعة من الناس يزعمون أنه يدّعى الربوبية فصُلبَ هو وصاحبِه ثلاثة أيام ، كلّ يوم من ذلك من أوله إلى انتصافه ، ثم ينزل بهما ، فيؤمر بهما إلى الحبس ، فجُسِّس مدة طويلة ، فافتتن به جماعة منهم نصر القشوري وغيره ، إلى أن ضُرِّجَ الناس ، ودَعَوْا على من يعييه ، وفحش أمره ، وأخرج من الحبس ، فقطعت يداه ورجلاه ، ثم ضربت عنقه ، ثم أحرق بالنار.

وفيها غزا الصائفة الحسين بن حمدان بن حمدون ، فورد كتاب من طرسوس يذكر فيه أنه فتح حصوناً كثيرة ، وقتل من الروم خلقاً كثيراً^(٥).

وفيها قُتل أحمد بن إسماعيل بن أحمد صاحب خراسان وما وراء النهر ، قتله

(١) انظر المستظم (١٣/١٣٣).

(٢) انظر المستظم (١٣/١٣٣).

(٣) انظر المستظم (١٣/١٤١).

(٤) انظر المستظم (١٣/١٤١).

(٥) انظر المستظم (١٣/١٤١).

غلام له تركي - أخص غلمانه به - ذبحاً ، هو وغلامان معه ، دخلوا عليه في قبته ، ثم هربوا فلم يدركوا .

وفيها وقع الاختلاف بين نصر بن أحمد بن إسماعيل بن أحمد وعم أبيه إسحاق بن أحمد ، فكان مع نصر بن أحمد غلمان أبيه وكتابه وجماعة من قواده والأموال والكراع والسلاح ، وانحاز بعد قتل أبيه إلى بخارى وإسحاق بن أحمد بسمَرْقَنْد وهو عليل من نُقُرس به ، فدعا الناس بِسَمَرْقَنْد إلى مبايعته على الرئاسة عليهم ، وبعث كل واحد منهم إلى السلطان كتبه خطاباً على نفسه عمل إسماعيل بن أحمد ، وأنفذ إسحاق كتبه - فيما ذكر - إلى عمران المرزبانى لإيصالها إلى السلطان ، ففعل ذلك ، وأنفذ نصر بن أحمد بن إسماعيل كتبه إلى حماد بن أحمد ؛ ليتولى إيصالها إلى السلطان ، ففعل .

وفيها كانت وقعة بين نصر بن أحمد بن إسماعيل وأصحابه من أهل بخارى وإسحاق بن أحمد عم أبيه وأصحابه من أهل سَمَرْقَنْد لأربع عشرة بقيت من شعبان منها ، هَزَم فيها نصر وأصحابه إسحاق وأهل سمرقند ومن كان قد انضم إليه من أهل تلك النواحي ، وتفرقوا عنه هاربين ، وكانت هذه الواقعة بينهم على باب بخارى .

وفيها زحف أهل بخارى إلى أهل سَمَرْقَنْد بعدما هزموا إسحاق بن أحمد ومن معه ، فكانت بينهم وقعة أخرى ظفر فيها أيضاً أهل بخارى بأهل سَمَرْقَنْد فهزموهم ، وقتلو منهم مقتلة عظيمة ، ودخلوا سَمَرْقَنْد قسراً ، وأخذوا إسحاق بن أحمد أسيراً ، وولوا ما كان إليه من عمل ابن لعمرو بن نصر بن أحمد .

وفيها دخل أصحاب ابن البصري من أهل المغرب برقة ، وطرد عنها عامل السلطان .

وللي أبو بكر محمد بن علي بن أحمد بن أبي زنبور الماذري أعمال مصر وخارجها .

وفيها قُتل أبو سعيد الجنابي الخارج كان بناحية البحرين وهجر ، قتله - فيما قيل - خادم له .

وفيها كثُرت الأمراض والعلل ببغداد ، وفشا الموت في أهلها ، وكان أكثر ذلك - فيما قيل - في الحرية وأهل الأرباض^(١) .

وفيها وافى قائد من قواد ابن البصري في البراءة والمغاربة الإسكندرية .

وفيها ورد كتاب تكين عامل السلطان من مصر يسأله المدد .

وحجَّ بالناس فيها الفضل بن عبد الملك^(٢) .

ثم دخلت سنة اثنتين وثلاثمائة ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من إشخاص الوزير علي بن عيسى . . . ابن عبد الباقي في ألهي فارس فيها لغزو الصائفة ، معونة لبشر خادم ابن أبي الساج وهو والي طرسوس من قبل السلطان إلى طرسوس ، فلم يتيسر لهم غزو الصائفة ، فغزوهَا شاتية في برد شديد وثلج .

وفيها تنحى الحسن بن علي العلوي الأطروش بعد غلبه على طبرستان عن آمل ، وصار إلى سالوس فأقام بها ، ووجه صعلوك صاحب الري إلى جيشاً ، فلم يكن لجيشه بها ثبات ، وعاد الحسن بن علي إليها ، ولم ير الناس مثل عدلِ الأطروش وحسن سيرته وإقامته الحق .

وفيها دخل حبَّاسة صاحب ابن البصري الإسكندرية ، وغلب عليها ، وذكر أنه وردها في مئتي مركب في البحر .

وفيها وافى حبَّاسة صاحب ابن البصري موضعًا من فسطاط مصر على مرحلة ، يقال لها: سَفَط ، ثم رجع منه إلى وراء ذلك ، فنزل متزلًا بين الفسطاط والإسكندرية .

وفيها شخص مؤنس الخادم إلى مصر لحرب حبَّاسة ، وقوى بالرجال والسلاح والمال .

(١) انظر المنتظم (١٤٢ / ١٣) .

(٢) انظر المنتظم (١٤٢ / ١٣) .

وفيها لسبع بقين من جمادى الأولى قُبض على الحسين بن عبد الله المعروف بابن الجصاص وعلى ابنيه ، واستُصْبِغَ كل شيء له ، ثم حُبس وقُيد^(١) .

وفيها كانت وقعة بمصر بين أصحاب السلطان وحباسة وأصحابه لست بقين من جمادى الأولى منها ، فُقتل من الفريقين جماعة ، وجرحت منهم جماعة ، ثم أخرى بعد ذلك بيوم نحو التي كانت في هذه ، ثم ثالثة بعد ذلك في جمادى الآخرة منها .

ولأربع عشرة بقيت من جمادى الآخرة منها ورد كتاب بوقعة كانت بينهم ، هزم أصحاب السلطان فيها المغاربة .

وفيها ورد كتاب من بشر عامل السلطان على طرسوس على السلطان ، يذكر فيه غزوه أرض الروم ، وما فتيح فيها من الحصون ، وما غنم وسبي ، وأنه أسر من البطارقة مئة وخمسين ، وأن مبلغ السبي نحو من ألفي رأس^(٢) .

ولاحدي عشرة بقيت من رجب ورد الخبر من مصر أن أصحاب السلطان لقوا حساسة وأهل المغرب يقاتلونهم ، فكانت الهزيمة على المغاربة ، فقتلوا منهم وأسرعوا سبعة آلاف رجل ، وهرب الباقون مفلولين ، وكانت الواقعة يوم الخميس بسلح جمادى الآخرة .

وفيها انصرف حساسة ومن معه من المغاربة عن الإسكندرية راجعين إلى المغرب بعد ما ناظر - فيما ذكر - حساسة عامل السلطان بمصر على الدخول إليه بالأمان ، وجرت بينهما في ذلك كتب ، وكان انصرافه - فيما ذكر - لاختلاف حدث بين أصحابه في الموضع الذي شخص منه .

وفيها أوقع يانسُ الخادم بناحية وادي الذئاب ، وما قرب من ذلك الموضع بمن هنالك من الأعراب ، فقتل منهم مقتلة عظيمة ، ذكر أنه قتل منهم سبعة آلاف رجل ، ونهب بيوتهم ، وأصاب في بيوتهم من أموال التجار وأمتعتهم التي كانوا أخذوها بقطع الطريق عليهم ما لا يحصى كثرته .

(١) انظر المتنظم (١٣ / ١٥٠).

(٢) انظر المتنظم (١٣ / ١٥٠).

ولست خلؤن من ذي الحجة هلكت بدعة مولاة المأمون .
وحج بالناس فيها الفضل بن عبد الملك .

* * *

وفي اليوم الثاني والعشرين من ذي الحجة منها خرج أعراب من الحاجر على ثلاثة فراسخ مما يلي البر على المنصريين من مكة ، فقطعوا عليهم الطريق ، وأخذوا . . . ما معهم من العين واستاقوا من جمالهم ما أرادوا ، وأخذوا - فيما قيل - مئتين وثمانين امرأة حرائر سوى من أخذوا من المماليك والإماء^(١) .

تم الكتاب ، وهو آخر تاريخ ابن جرير الطبرى رحمة الله ، وقد ضمّنا هذا الكتاب أبواباً من أوله إلى آخره ، حيث انتهينا إليه من يومنا هذا ، فما كان متقدّراً ذكرناه برواية سمعان إن آخر الله في الأجل .

* * *

(١) انظر المتنظم (١٣ / ١٥١) وهذه آخر حاشية من حواشينا المتعلقة بتخریج أخبار تأریخ الطبری رحمة الله تعالى وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين - الأول من صفر عام ١٤٢٤ للهجرة .

فهرس الموضوعات

٥	مقدمة
٧	خلافة المنتصر محمد بن جعفر السنة الثامنة والأربعون بعد المئتين
١٣	ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ..
١٣	ذكر غزاة وصيف التركي الروم ..
١٧	ذكر خبر خلع المعترض والمؤيد أنفسهما ..
١٩	نسخة كتاب المنتصر بالله إلى أبي العباس محمد بن عبد الله بن طاهر في خلع المعترض والمؤيد ..
٢٣	ذكر الخبر عن وفاة المنتصر ..
٢٦	ذكر بعض سيره ..
٢٧	أخبار متفرقة ..
٢٨	خلافة أحمد بن محمد بن المعتصم وهو المستعين .. السنة التاسعة والأربعون بعد المئتين
٣٢	ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ..
٣٢	خبر قتل علي بن يحيىالأرمني ..
٣٣	شعب الجناد والشاكرة ببغداد ..
٣٤	ذكر خبر قتل أتامش وكاتبه ..
٣٦	مقتل علي بن الجهم ..
	السنة الخمسون بعد المئتين
٣٧	ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ..
٣٧	ظهور يحيى بن عمر الطالبي ثم مقتله ..
٤١	ذكر خبر ظهور الحسن بن زيد العلوى ..

السنة الحادية والخمسون بعد المئتين

٤٧	ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ..
٤٧	ذكر خبر قتل باغر التركى ..
٥١	وقوع الفتنة ببغداد بين أهلها وبين جند السلطان ..
٨٢	ذكر خبر المدائن في هذه الفتنة ..
٨٢	ذكر الخبر عن الأنبار وما كان فيها من هذه الفتنة ..
٩١	خروج الحسين بن محمد الطالبى وما آل إليه أمره ..
٩٦	ذكر خبر قتل بالفردل ..
٩٧	ذكر خبر هزيمة الأتراك ببغداد ..
٩٨	خبر وقعة أبي السلاسل مع المغاربة ..
٩٨	ذكر خبر وقوع الصلح بين الموالى وبين ابن طاهر ..
١٠٠	ذكر بدء عزم ابن طاهر على خلع المستعين والبيعة للمعتر ..
١٠٠	خروج العامة ونصرة المستعين على ابن طاهر ..
١٠٣	ذكر خبر انتقال المستعين إلى دار رزق الخادم بالرصافة ..
١٠٥	ذكر المفاوضة في أمر خلع المستعين ..
١٠٩	ذكر خبر خروج إسماعيل بن يوسف بمكة ..

السنة الثانية والخمسون بعد المئتين

١١٠	ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ..
١١٠	ذكر خبر خلع المستعين وبيعة المعتر ..
١١٥	ذكر خبر قتل شريح الحبشي ..
١١٥	ذكر حال بغا ووصيف ..
١١٧	ذكر الفتنة بين جند بغداد وأصحاب محمد بن عبد الله بن طاهر ..
١٢١	ذكر الخبر عن خلع المؤيد ثم موته ..
١٢٢	ذكر الخبر عن مقتل المستعين ..
١٢٥	أمر المعتر مع أهل بغداد ..
١٢٨	وقوع الفتنة بين الأتراك والمغاربة ..
١٢٩	ذكر خبر حمل الطالبين من بغداد إلى سامرا ..

السنة الثالثة والخمسون بعد المئتين	
١٣٢	ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث
١٣٢	ذكر خبر أخذ الكرج من ابن أبي دلف
١٣٣	ذكر الخبر عن قتل وصيف
١٣٣	ذكر الخبر عن قتل بندار الطبرى
١٣٥	ذكر خبر موت محمد بن عبد الله بن طاهر
السنة الرابعة والخمسون بعد المئتين	
١٣٧	ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث
١٣٧	ذكر خبر مقتل بغا الشرابي
السنة الخامسة والخمسون بعد المئتين	
١٤٠	ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث
١٤٠	ذكر خبر استيلاء يعقوب بن الليث على كرمان
١٤٢	ذكر خبر دخول يعقوب بن الليث فارس
١٤٥	ذكر فعل صالح بن وصيف مع أحمد بن إسرائيل ورفيقيه
١٤٦	ذكر الخبر عن خلع المعتر ثم موته
١٤٩	خلافة ابن الواثق المهتمي بالله
١٥٠	قيام الشغب ببغداد ووثوب العامة بسلامان بن عبد الله
١٥١	ذكر خبر ظهور قبيحة أم المعتر
١٥٤	ذكر الخبر عن قتل أحمد بن إسرائيل وأبي نوح
١٥٦	شغب الجناد والعامة ببغداد وولاية سليمان بن عبد الله بن طاهر عليها
١٦٢	ذكر خبر استيلاء مفلح على طيرستان ثم انتصاره عنها
١٦٥	ذكر الخبر عن مفارقة كنجرور عليّ بن الحسين بن قريش
١٦٦	خروج أول علوّي بالبصرة
١٨٥	ذكر الخبر عن مسیر صاحب الزنج بزوجه وجيوشه إلى البصرة
السنة السادسة والخمسون بعد المئتين	
١٩١	ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث الجليلة
١٩١	ذكر الخبر عن وصول موسى بن بغا إلى سامراً واحتفاء صالح

ذكر الخبر عن قتل صالح بن يوسف	١٩٤
ذكر الخبر عن خروج العامة على المهتدي	١٩٧
ذكر الخبر عن خلع المنهي ثم موته	٢٠٨
ذكر أخبار صاحب الزنج مع جعلان	٢٢١
ذكر الخبر عن دخول الزنج الأبلة	٢٢٢
ذكر خبر استيلاء صاحب الزنج على عبادان	٢٢٣
ذكر خبر دخول أصحاب صاحب الزنج الأهواز	٢٢٤
خلافة المعتمد على الله	٢٢٥
السنة السابعة والخمسون بعد المئتين	
ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث	٢٢٦
ذكر خبر مسير يعقوب بن الليث إلى فارس وانصرافه عنها	٢٢٦
ذكر خبر انهزام الزنج أمام سعيد بن الحاجب	٢٢٧
خلاص ابن المدبر من صاحب الزنج	٢٢٨
ذكر خبر إيقاع صاحب الزنج بسعيد وأصحابه	٢٢٨
خبر الواقعة بين منصور بن جعفر وصاحب الزنج	٢٢٩
خبر مقتل شاهين بن بسطام وهزيمة إبراهيم بن سينا	٢٣٠
خبر دخول الزنج البصرة هذا العام	٢٣١
ذكر الخبر عن الحرب بين محمد المولد وبين الزنج	٢٣٨
السنة الثامنة والخمسون بعد المئتين	
ذكر الخبر عما كان فيها من الأمور الجليلة	٢٣٩
ذكر الخبر عن قتل منصور بن جعفر الخياط	٢٤٠
ذكر الخبر عن قتل مفلح	٢٤١
ذكر خبر أسر يحيى بن محمد البحريني ثم قتيله	٢٤٤
ذكر خبر انحياز أبي أحمد بن المتوكل إلى واسط	٢٤٧
السنة التاسعة والخمسون بعد المئتين	
ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث	٢٤٩
ذكر الخبر عن مقتل كنجرور	٢٥٠

ذكر خبر دخول المهلبي ويحيى بن خلف سوق الأهواز	٢٥٠
شخوص موسى بن بغا لحرب صاحب الزنج	٢٥٢
ذكر الخبر عن دخول يعقوب بن الليث نيسابور	٢٥٤
السنة الستون بعد المئتين	
ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث	٢٥٥
خبر الواقعة بين يعقوب بن الليث والحسن بن زيد الطائي	٢٥٦
ذكر خبر مقتل العلاء بن أحمد الأزدي	٢٥٨
السنة الحادية والستون بعد المئتين	
ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث	٢٥٩
ذكر خبر وقعة كانت برامهرمز هذا العام	٢٥٩
السنة الثانية والستون بعد المئتين	
ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث	٢٦٢
ذكر خبر دخول يعقوب بن الليث رامهرمز	٢٦٢
ذكر خبر توجه رجال الزنج إلى البطيحة ودست مisan	٢٦٦
ذكر خبر الواقعة بين الزنج وأحمد بن ليثويه	٢٧٢
السنة الثالثة والستون بعد المئتين	
ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث	٢٧٥
ذكر خبر الواقعة بين ابن ليثويه وأخي علي بن أبان	٢٧٥
السنة الرابعة والستون بعد المئتين	
ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث	٢٧٨
خبر أسر الروم لعبد الله بن رشيد	٢٧٨
ذكر خبر الواقعة بين محمد المولد وقائد الزنج	٢٧٩
ذكر الخبر عن السبب الذي من أجله تهياً للزنج دخول واسط مع ذكر بعض الأحداث التي وقعت في هذه السنة	٢٨١
ذكر خبر خروج سليمان بن وهب من بغداد إلى سامرا	٢٨٤
السنة الخامسة والستون بعد المئتين	
ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث	٢٨٥
ذكر خبر الواقعة بين أحمد بن ليثويه وسليمان قائد الزنج	٢٨٥

ذكر خبر شخص تكين البخاري إلى الأهواز	٢٨٩
السنة السادسة والستون بعد المئتين	
ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث	٢٩١
ذكر الخبر عن الفتنة بين الجعفريّة والعلويّة	٢٩٥
ذكر خبر دخول أصحاب قائد الزنج رامهرمز	٢٩٦
ذكر الخبر عن وقعة أكراد داربان مع صاحب الزنج	٢٩٧
السنة السابعة والستون بعد المئتين	
ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث	٢٩٩
ذكر خبر غلبة أبي العباس بن الموفق على سليمان بن جامع	٢٩٩
ذكر الخبر عن سبب دخول أبي أحمد وأصحابه طهيناً ومقتل الجبائي	٣١٢
ذكر خبر مقتل صندل الزنجي	٣٢٧
ذكر خبر استئمان الزنج إلى أبي أحمد	٣٢٧
ذكر خبر إيقاع بالزنج هذا العام	٣٢٨
ذكر خبر الواقعة مع الزنج بنهر ابن عمر	٣٣٠
عبور الموفق إلى مدينة صاحب الزنج لحربه	٣٣٢
السنة الثامنة والستون بعد المئتين	
ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث	٣٣٩
ذكر خبر استئمان جعفر بن إبراهيم إلى أبي أحمد الموفق	٣٣٩
ذكر عبور الموفق إلى مدينة الزنج	٣٤٠
ذكر وقعة أبي العباس بمن كان يمد الزنج من الأعراب	٣٤١
ذكر خبر إيقاع رشيق بمن أعاد الزنج منبني تميم	٣٤٤
ذكر الخبر عن قتل بهبود بن عبد الوهاب	٣٤٦
السنة التاسعة والستون بعد المئتين	
ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث	٣٥٠
ذكر خبر إصابة الموفق	٣٥١
ذكر عزم المعتمد على اللحاق بمصر	٣٥٦
ذكر الخبر عن إحراق قصر صاحب الزنج	٣٥٨

ذكر الخبر عن غرق نصير المعروف بأبي حمزة ٣٦٢	السنة السابعة والسبعين بعد المئتين
ذكر الخبر عن الواقعة التي كانت بين الموفق وبين الزنج ٣٦٤	السنة الخامسة والسبعين بعد المئتين
خبر انتقال صاحب الزنج إلى شرقي نهر أبي الخصيب ٣٦٦	السنة الرابعة والسبعين بعد المئتين
ذكر خبر دخول الموفق مدينة صاحب الزنج ٣٧١	السنة الثالثة والسبعين بعد المئتين
ذكر طلب رؤساء صاحب الزنج الأمان ٣٧٦	السنة الثانية والسبعين بعد المئتين
خبر دخول الموفق مدينة صاحب الزنج وتخريب داره ٣٧٩	السنة الحادية والسبعين بعد المئتين
	السنة السبعون بعد المئتين
ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ٣٨٦	ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ٤٠١
ذكر الخبر عن قتل صاحب الزنج وأسر من معه ٣٨٦	السنة الحادية والسبعين بعد المئتين
ذكر خبر استئمان درمويه الزنجي إلى أبي أحمد ٣٩٣	ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ٤٠٣
	السنة الثانية والسبعين بعد المئتين
ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ٤٠٥	السنة الثالثة والسبعين بعد المئتين
	السنة الرابعة والسبعين بعد المئتين
ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ٤٠٨	السنة الخامسة والسبعين بعد المئتين
	السنة السادسة والسبعين بعد المئتين
ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ٤٠٩	السنة السابعة والسبعين بعد المئتين
	السنة السابعة والسبعين بعد المئتين
ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ٤١١	ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ٤١٢

السنة الثامنة والسبعون بعد المئتين	
٤١٣	ذكر الخبر عن الأحداث التي كانت فيها
٤١٤	ذكر الخبر عن مرض أبي أحمد الموفق ثم موته
٤١٦	ذكر خبر البيعة للمنتظر بولاية العهد
٤١٧	ذكر ابتداء أمر القرامطة
٤٢١	ذكر خبر غزو الروم ووفاة يازمان في هذه الغزوة
السنة التاسعة والسبعون بعد المئتين	
٤٢٢	ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث
٤٢٢	ذكر خبر الفتنة بطرسوس
٤٢٣	خبر وفاة المعتمد
٤٢٤	خلافة المنتظر
السنة الشهانون بعد المئتين	
٤٢٦	ذكر الخبر عن الأحداث التي كانت فيها
٤٢٦	ذكر خبر قصد المنتظر بنى شيبان وصلحه معهم
السنة الحادية والشهانون بعد المئتين	
٤٢٩	ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث
٤٣٠	ذكر خبر الواقعة بين الأكراد والأعراب
السنة الثانية والشهانون بعد المئتين	
٤٣١	ذكر الأحداث التي كانت فيها
٤٣١	ذكر أمر النيروز المنتظري
٤٣٢	ذكر أمر المنتظر مع حمدان بن حمدون
السنة الثالثة والشهانون بعد المئتين	
٤٣٦	ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث
٤٣٦	خبر هارون الشاري والظفر به
٤٣٨	خبر حصر الصقالبة القسطنطينية
٤٣٨	خالق جند جيش بن خمارويه عليه
٤٣٩	ذكر الفداء بين المسلمين والروم

ذكر أمر المعتصم مع عمر بن عبد العزيز بن أبي دلف وأخيه بكر ٤٤٠	السنة الرابعة والثمانون بعد المئتين
ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث الجليلة ٤٤٣	السنة السادسة والثمانون بعد المئتين
ذكر كتاب المعتصم في شأنبني أمية ٤٤٧	السنة الخامسة والثمانون بعد المئتين
ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ٤٥٨	السنة السابعة والثمانون بعد المئتين
ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث الجليلة ٤٦١	السنة الثامنة والثمانون بعد المئتين
ذكر الخبر عن مقتل محمد بن زيد العلوي ٤٦٤	السنة التاسعة والثمانون بعد المئتين
خروج العباس بن عمرو الغنوّي من البصرة ٤٦٧	السنة العاشرة والثمانون بعد المئتين
ذكر خبر ظهور رجل بالشام وسبب ظهوره بها ٤٧٢	السنة الحادية والثمانون بعد المئتين
ذكر الخبر عن الأحداث التي كانت فيها ٤٧٤	السنة الحادية والثمانون بعد المئتين
خلافة المكتفي بالله ٤٧٦	السنة الحادية والثمانون بعد المئتين
ذكر الخبر عن مقتل بدر غلام المعتصم ٤٧٧	السنة الثانية والثمانين
ذكر باقي الكائن من الأمور التي حدثت في هذه السنة ٤٨١	السنة الثانية والثمانين
ذكر خبر ظهور رجل بالشام وسبب ظهوره بها ٤٨٢	السنة الثانية والثمانين
ذكر الخبر عن الأحداث التي كانت فيها ٤٨٥	السنة الثانية والثمانين
ذكر الخبر عما كان فيها من الأمور الجليلة ٤٩٥	السنة الثانية والثمانين
ذكر خبر الواقعة بين أصحاب السلطان وصاحب الشامة ٤٩٥	السنة الثانية والثمانين

السنة الثانية والتسعون بعد المئتين	
ذكر ما كان فيها من الأحداث الجليلة	٥٠٤
السنة الثالثة والتسعون بعد المئتين	
ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث	٥٠٦
ذكر الخبر عن ظهور أخي الحسين بن زكرويه	٥٠٧
السنة الرابعة والتسعون بعد المئتين	
ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث	٥١٥
خبر زكرويه بن مهرويه القرمطي	٥١٥
السنة الخامسة والتسعون بعد المئتين	
ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث	٥٢١
خلافة المقذر بالله	٥٢٤
السنة السادسة والتسعون بعد المئتين	
ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث	٥٢٤
السنة السابعة والتسعون بعد المئتين	
ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث	٥٢٧
السنة الثامنة والتسعون بعد المئتين	
ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث	٥٢٨
السنة التاسعة والتسعون بعد المئتين	
ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث	٥٢٨
السنة الثلاثمائة	
ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث	٥٢٩
السنة الحادية بعد الثلاثمائة	
ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث	٥٣٠
السنة الثانية بعد الثلاثمائة	
ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث	٥٣٢
فهرس الموضوعات	٥٣٥